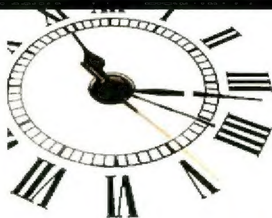
توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

سلسلة

بيد النفط





# لك القرار

سلسلة

# لك القرار

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

1

# لك القرار

مؤسسة الجديد النافع

الكويت - ت: ٠٠٩٦٥-٩٧٢٢٠٩٣٦

Aljadeed_alnafi3@yahoo.com

---

يطلب الكتاب من :



**المنابر القرآنية**

لتعليم القرآن الكريم وعلومه

هاتف : 22570153 965+ - فاكس : 22560228 965+

ص.ب 16967 القادسية 35860 الكويت

www.Q8Quran.com

---

**جمهورية مصر العربية:**

مكتبة عباد الرحمن

القاهرة - جسر السويس - هاتف : 20101825016+



28 ش منشية التحرير جسر السويس بعين شمس الشرقية. القاهرة. ج م ع

ت وفاكس :26422323 - ت:26363786

**الإمارات:**

**مكتبة دار البشير للنشر والتوزيع**

الشارقة - موبايل : 505960702 971+

هاتف: 5632980 6 971+

**السعودية:**

**مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع**

الرياض - هاتف : 4033962-1-966+

**دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع**

الدمام - هاتف : 8428146 - 3 - 966+

---

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٣٥٠٢

## المقدمة[١]

## أمنية آن أوانها

كم تمنيت وأنا أعيش بين ظهراني أهل الكتاب - معذوراً في بلادهم وفي بيوتهم - أو هم يعيشون بين ظهرانينا - في بلادنا - أن عندي كتاباً شاملًا أهديه لهم يكفيني في إبلاغ أحسن رسالة - رسالة الإسلام - على أحسن وجه.. نظرت هنا وهناك فلم أجد ذاك الكتاب[٢]..!

فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..

كم نظرت لنفسي ولدعاة الإسلام وهم يتحاورون مع النصارى في مواضيع عفوية، فوجدت رغم قوة دين المسلمين ودليلهم إلا أن بعضهم يتخبطون في استحضار الحجة، ويتعثرون

---

(١) هذه المقدمة خاصة بالطبعة العربية.

(٢) نعم، لم أجد حتى اللحظة هذا الكتاب الشامل وربما وجده غيري، فأنا أتحدث عن نفسي، وفي حدود علمي رغم تطلبي.

في استثمارها، فكثيراً ما يبقى النصراني بلا حجة والمسلم يحاول ويحاول لكنه لا يستطيع إدخاله الإسلام كمن رقى مصروعاً بالقرآن فأثار المارد الذي فيه وما عرف كيف يخرجه منه!

فتمنيت كتاباً يرفع هذا التخبط، ويعبر بالقلب من أقرب الطرق ليدخله الإسلام من أوسع الأبواب وأرحبها... فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..

لقد نظرت في المحاورين المسلمين المشهورين، لأهل الكتاب المشهورين... فدعوت للدعاة بأحسن الدعوات، وأكبرت جهدهم ورسوخهم وجهادهم أيّما إكبار، وما جهدي إلا خطوة في طريق عظيم طويل... لكنني رأيت أن خطابنا الحاضر - كمسلمين - كان موجهاً للمتخصصين في النصرانية، من بابوات وقساوسة وأمثالهم علماً بأن هؤلاء معزولون في مجتمعاتهم ولا يمثلون إلا أقل القلة بالنسبة لأمة النصارى، أما عوام النصارى - وكل النصارى عوام في دينهم مهما كانت تخصصاتهم العلمية

التقنية - فهؤلاء لم نوجه لهم خطاباً يفهمون فيه حقيقة دينهم ويفهون ديننا، فقلت: من يعذرنا أمام اللَّه.. **فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..**

نظرت في طريقة حواراتنا مراراً فإذا بها تفهم الآخرين أن مقصودنا ووسيلتنا التحدي في الحوار، وإقامة الحجة الدامغة عند الاختصام فحسب، وهذا وحده كافٍ في إنشاء سد العناد دون قبول حجج الهداية.!

**عندها** تمنيت الحجج الشرعية القاطعة تساق كالسلسبيل تجري في قلوبهم عذباً زلالًا، لا يشعرون به إلا وقد روى أرض قلوبهم، وبذر حب الإيمان فيها، فنمى، واستوى على سوقه، وأبهج، وأينع، وأثمر..

**فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..**

كم غصت في أعماقهم وأعماق مجتمعاتهم، فرأيت منطقهم غير منطقنا، ومبادئهم غير مبادئنا، وأفهامهم غير أفهامنا، فطفقت أبحث هنا وهناك طالباً قاسماً مشتركاً نستمسك به عند الحوار،

ونحتكم له عند الخلاف. . . فكنت أقول في نفسي:

أهو القرآن والسنة. .؟ لا، إنهم ينفرون منهما، بل إنهم لا يفهمون الإنجيل نفسه. .!
أهي المبادئ، والأخلاق. . .؟ لا، فقد ضُرِبت الأخلاق عندهم في مقتل.

بعد فترة وجُهدٍ - وقبل ذلك بفضل من اللَّه - وجدتُ القاسم المشترك الوحيد المهجور، ألا إنه: «**العقل**». . .

لكن أين خطابنا الذي يعتمد العقل قاسماً مشتركاً في كل قضايانا التي نعرضها عليهم، وكل إشكالاتهم التي يعرضونها علينا ونعتمد العقل في كل حواراتنا معهم، بحيث نثبت بالعقل كل ما نريد، ونبطل بالعقل كل ما هو باطل، فنثبت لهم لا إله إلا اللَّه بالعقل مثلًا وأن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول اللَّه بالعقل، ونثبت أنه خاتم الرسل بالعقل، وبالعقل نحقق كل موضوع يطرح للحوار دون مجاوزة العقل حَدَّه، أو عدوانه على

نص، ودون تحجيم دوره وتقصير بُعده.

فبالعقل وحده يسير معك العقلاء المنصفون وهم في غمرة الرضا والسعادة، أليس هو مركز التحكم عند جميع البشر، وأنه القاسم المشترك المقبول لدي جميع الأمم؟ فربما لا يرضى بعض الناس بأرزاقهم، وآخرون لا يرضون بأولادهم، وآخرون بزوجاتهم ولكنهم جميعاً راضون بعقولهم...

ولربما فرَّ المرء من كل من لا يريد لكنه لا يمكنه الفرار من **عقله**، فالناس لا يختلفون إلا لاختلاف قناعاتهم العقلية، فشمّرتُ لهذه المهمة... **فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**..

**كم** تمنيته بساطاً حريرياً يحمل ديننا على الريح الرخاء، فتهب على أمة النصارى المولعة بقراءة الروايات والقصص، فلا تدع بيتاً من بيوتاتهم إلا دخلته، ولا عقلاً إلا تخللته، ولا قلباً إلا غسلته من أدرانه وصُلبانه وأفرغت فيه التوحيد.. ولذا تمنيته خطاباً قصصياً، حوارياً، حقيقياً، سلساً.. تعمُّ كل النصارى على الأرض قصته،

وتجري في قلوبهم هدايته، وتشمل نقاطه موضوعاتهم الحاضرة، بلين أسلوبه مع بلاغة حجته. . . يستطيع فهمه ثم تبليغه كل المسلمين إلى كل النصارى، ويحمله المهتدون منهم إلى الذين مازالوا حيارى. . كتاباً يُعِدُّ الدعاة السابقين - في الميدان اليوم - من جديد، ويصنع من عامة المسلمين دعاة للتوحيد. . **فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. .**

كم تمنيته خطاباً يتخطى أساليبنا التي تمثل لهم حاجزاً نفسياً من أول نظرة، ويتخطى آسار عوائق تفكيرنا المصطنعة إلى أعمق طرائق تفكيرهم. . خطاباً يشعرهم بمودة لهم وكأن كاتبه من بني جلدتهم، وأنه يحاصرهم في عقر عقولهم، مع أنه يفديهم بروحه وماله لنجاتهم، وقلبه يتفتت لأجلهم صدقاً وإشفاقاً. . **فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. .**

كم تمنيته خطاباً يفجر برودهم في اتخاذ قرار الهداية تفجيراً، ويحرك موات إرادتهم نحو القرار

تحريكاً، ويحمل قلوبهم على ذلك حملًا، ويجعل قارئه قبل أن يطوى الكتاب يطوي شِركه طياً سريعاً. . **فيا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**. . . .

كم نظرت مشفقاً على نفسي قبل أن أشفق عليهم من نصارى العرب الذين حقهم علينا أكبر وسؤال اللَّه لنا عنهم أخطر، إذ هم الجيران والأصحاب وهم أحق بالتوحيد الصافي الذي جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام. . . ولذا ترى الشبه كبير ما بين أخلاقياتهم بأخلاقياتنا. . . فاستعنت باللَّه سائلًا إعذارنا من تقصيرنا بتأخيرنا، راجياً البلاغ والبركة والهداية لهم.

**فأفرغت الوسع** في الثناء والدعاء، ورجعت للأصول، وجمعت ما تفرع منها وما أثْمَرَتْ من كتب وحوارات - ونعمّا جهد من سبق ومن لحق - فجاء هذا الكتاب في شكل حوارات قصصية، ما منها إلا وله قصة حقيقية ثابتة، وقعتْ فيما بيني وبينهم، وإن غُيِّرت أحياناً بعض الأسماء لتبادل الرغبة في ذلك، وما أضيف إلى الحوارات كان

خدمة لكل طرف، وإظهاراً لأقوى ما عنده من حجج، وخدمة للعقل والحقيقة. . .

فكان هذا الكتاب، وكانت هذه الشعلة التي أُوقِدَ قبسُها من وميض القلب المصطلي، فإن كان فيها من نور فهو من كتاب اللّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ليس لي في ذلك من شيء، وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان واللّه ورسوله ﷺ بريئان من ذلك. . . تاركاً من يشاء من أصحاب العلم والدعوة والمال والقرار، يمشي بهذا النور في الناس كما يشاء، بأي مساحة من الأرض شاء: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والحمد للّه رب العالمين

* * *

## القـرار[1]

عزيزي: لاشك أن لديك الجرأة الكافية لقراءة هذا الكتاب.. إذن فلتقرأ ولتقرر...

وإذا لم تكن لديك الجرأة الكافية لتقرر... فسوف تُصْنع لديك الجرأة بقراءة هذا الكتاب..

وسوف تقرر..

وإذا لم تقرر بعد انتهائك من قراءة هذا الكتاب... فسوف تقرر إعادة قراءة هذا الكتاب... لتقرر

ومع هذا فلتعلم... أن رجال هذه الحوارات ونساءها أشخاص حقيقيون وأن «مجالس» هذا الكتاب حقيقية...

وأن قصد الإنصاف بين الأطراف قصد حقيقي...

وما أضيف له من أسماء وأسئلة وإجابات

---

(١) هذه المقدمة خاصة باللغات الأجنبية.

وأدلة إنما هو خدمة للحقيقة لأي طرف من الأطراف كانت. .

لبنة واحدة وتوضع في هذا البناء آخر لبنات الحقيقة. . . . !

**إنه طلبك الحقيقي للحقيقة. . .**

فامنح **عقلك** ـ أيها العملاق ـ فرصةً. . . وأعطه وقتاً. . . . وسوف ترى مقدرته الحقيقية على إصدار **أنجح** وأكبر قرار.

* * *

# المجلس الأول[1]
# سَهرة على نهر «الصنّ»

## بوابة المجلس الأول

سهرةٌ جمعتنا على نهر «الصنّ» في صيف فرنسا الرائع: ثُلّة من الحاضرات المثقفات الراقيات، وكوكبة من أكابر العلماء في مختلف التخصصات. . ! لكن أروعهن في نظري هي أغربهن في نظرهن، إنها زوجتي «أم حامد». . !

فبعدما اختلط الترحاب الفرنساوي باللقاء العربي ثارت من ذلك اللقاء حرارة الحب الصادق، فكانت جلسة استحقت أن يشهدها جمهور من الرجال والنساء، ورجوت أن يتجاوز عدد الحاضرين ستة مليارات من البشر. . !

فكانت المقدمة التي هيأت للسؤال الفاتح بعد طريق السفر الذي امتد خمسة آلاف كيلو متر من

---

(١) جرت هذه الحوارات ما بين ٢٠٠٣م - ٢٠٠٨ وأغلبها كان في صيف فرنسا ٢٠٠٧ وقد كتبتها بين ١/٦/٢٠٠٧ - ١/٦/٢٠٠٨ .

مطار دبي إلى مطار (شارل ديغول)، في ست ساعات ونصف ما بين السماء والأرض.. !

أبوحامد[1]: لم يكن على الطائرة الإماراتية المتجهة إلى باريس، والحاملة على متنها ثلاثمائة راكب وزيادة من يلبس الغترة والعقال غيري... لكن ثمة العديد من المحجبات والمنقبات على متن هذه الطائرة، فعلمت أن العديد من رجال بني قومي قد ألقى لباسنا العربي وتخفى في لباسكم.. !

زوجتي: الحقيقة أنني لم أجد أحداً من الفرنسيين يتقصد إيذائي ولو بكلمة واحدة أو بنظرة مؤذية..

---

(١) هو المؤلف و «أم حامد» زوجته، ومع أن اسم المؤلف توفيق إلا أن التسمي باسم الولد الأكبر أمر معتاد عند المسلمين سواءً كان الأكبر بنتاً أو ولداً ويسمونه «الكنية» وفيها دلالة كبيرة على عمق الترابط الأسري، فكما يحمل الولد اسم أبيه فإن الوالد يفتخر أن يحمل اسم ولده أو ابنته، وقد كان أشهر الخلفاء في الإسلام يكنى باسم ابنته «أبي حفص» وهو الخليفة الثاني في الإسلام واسمه عمر بن الخطاب.

لكني قرأت الاستغراب في أعين الرجال والنساء منذ نزولي مطار (شارل ديغول)، وفي المتنزهات الباريسية، والمستشفيات، والمصحات. . . ولم تفارقني حتى هذه اللحظة. . !

الموضع

إيزابيلا - بنظرة استغراب -: هذا موقف طبيعي. . لا بد أن تعلموا أن أكثر أفراد مجتمعنا لم يروا في حياتهم امرأة تلبس لباساً كهذا، ربما شاهدوه في التلفاز وربما لم يشاهدوه. . !

أي شعور سيقع في نفس المرأة الفرنسية وهي ترى امرأة مثلها، تتغطى بغطاء أسود أو أبيض، تخرج منه وجهها، وكفيها، وأحياناً لا تخرج إلا عينيها - مثلكِ - يا أختنا «أم حامد». .

إذن فهي نظرة طبيعية نَتجتْ عن تساؤلات داخلية. .

ويتبع تلك التساؤلات تساؤلات وتحليلات وتخيلات: تُرى لماذا؟! لماذا تراها صنعت بنفسها هكذا. . ؟!

أتراه تَنكّرٌ مقصود؟ أم خوف من العالم؟

أم هروب من الواقع؟ أم إخفاء لدمامة وجه؟

أم لا هذا، ولا هذا، إنما هو إكراه من الزوج وولي الأمر؟!

هذه هي الحقيقة التي اعتلجت في نفسي حين جئتُ دبي أول مرة، فرأيت «أم حامد» ومثيلاتها، فكيف بمن لم تخرج من فرنسا حتى رأت أمثالكن لأول مرة هنا؟!

الدكتورة «كاترينا»: نعم، إن مجتمعنا مجتمع الحريات، وبودي أن نمارس الحرية هنا في هذه الجلسة الرائعة، من خلال حرية الحوار في كل ما يُعْرض، ولذا فإني سوف أبدأ معك «يا أم حامد» بسؤال فيه صراحة وجرأة، فأرجو أن تتحمليني: يا أم حامد: أي سعادة لامرأة غطت وجهها، وكتمت شذاها عن العالم..؟!

أي سعادة لامرأة ترى الريبة في كل شيء، في كل الناس..؟!

أي سعادة داخلية لرجل يخشى على زوجته من كل شيء، فهو دائم الريبة..؟!

أين الانفتاح. . ؟!

أين التزين. . ؟!

أين الحياة. . ؟!

**أستاذ «فيفا»**: قبل أن تجيب «أبا حامد» أريد أن تعلم أني قد حاولت التفكير كثيراً في هذا الأمر، فقلت: أيمكنني أن أَقْبل زوجتي بهذا المظهر. . ؟!

كيف ستسلم على أصدقائي. . ؟!

كيف سيسلمون عليها. . ؟!

كيف سَأُقَبِّل نساءهم، وُيَقبِّلونها لو كانت في هذا النقاب. . ؟!

كيف ستبدو الشوارع الباريسية لو أنها امتلأت بمثل لباس «أم حامد». . ؟!

إذن كيف سنعيش داخل بيوتنا. . ؟!

كيف سنتنفس. . ؟!

**«أم فيفا»**: - وهي تنظر إلى أم حامد بإشفاق

ممزوج باستحياء، وتنظر لصويحباتها بعتاب قائلة-: لعلنا أثقلنا على «أبي حامد» «وأم حامد» كثيراً وهم ضيوفنا! ألهذا جئنا إلى هنا..؟!

«أبو حامد»[1]: أحسب أن أهم ما قامت عليه علاقاتنا هو: الصدق والصراحة.. ولذلك أقول لكم:

صدقوني بأني أحب أن يكون حوارنا صادقاً صريحاً لا يُخْفِي في داخلنا شيئاً، وجريئاً ليس له

---

(١) لعل القارئ سيجد إجابات أبي حامد أطول من إجابات الآخرين، وذلك يعود لعدة أمور، منها: أن طبيعة الجواب أطول من السؤال وعادة ما يكون «أبو حامد» هو المسؤول، ومنها: أن المتهم في هذه المجالس هو «أبو حامد» ، وعادة ما يكون دفاع المتهم أطول من الشبهة التي تثار ضده، فلا ينبغي للقارئ أن يتصور أن طول الإجابة يدل على الانحياز، بل هو ما ذكرت وهو ما وقع فعلًا، إذ كان «أبو حامد» محاطاً بمجموعة من الغربيين والغربيات وأكثر الحوارات كانت مع فرنسيين وألمان وأمثالهم وهو متعرض لأسئلتهم وشبههم وهم يطلبون الإيضاح وكم من كتاب كبير كان بسبب سؤال قصير.

قممٌ شاهقة، وواسعاً ليس له خطوط حمراء..

وهذا يا «أم فيفا» خير ما نتحدث فيه إذا جلسنا، فما أحسن المجلس إذا جمع ما بين الألفة الصادقة، والمنفعة الخالصة..!

تنحية الأعراف

دعونا نتفق على أمر لا يختلف عليه مخلوقان، ذلك هو أن غايتنا جميعاً هي: السعادة، وكل ما يوصلنا إلى السعادة الحقيقية يجب أن نأخذ به، لأنه هو الطريق الصحيح نحو بلوغ الغاية، ومنهجنا تحكيم العقل في كل شيء.. بغض النظر عن كونه عرفاً اجتماعياً عندنا أو عرفاً اجتماعياً عندكم أو عند غيركم، ولهذا يجب علينا أن لا نجعل الأعراف الاجتماعية المختلفة هي مصدر الحُكْم في كون هذا حقاً أم باطلاً.. فالعرف قضية نسبية، والنسبي لا يصلح أن يكون ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل، لأنه غير ثابت..

ولنضرب على ما نقول مثالاً:

فلو أن امرأة منكن - يا من اعتبرتن العباءة

وغطاء الرأس والوجه منكراً - ذهبتْ إلى قرية من قرى بلاد العرب الملتزمة نساؤها بتغطية الوجه.. فهل الحق معك - أيتها الفرنسية - المتكشفة الأيدي والسيقان، إذ تتمشين في أزقة تلك القرية وقد ظهرتِ في غاية الشذوذ عن العرف، أم الحق مع ذاك المجتمع الذي أجمع على التستر وعاش طيلة حياته على ذلك..؟!

إذن فلا نتقاضى إلى الأعراف إذا اختلفنا، سواءً كانت شوارع باريسية، أم أزقة قرية عربية محافظة.

إيزابيلا: إخراج الأعراف المختلفة من الاحتكام إليها أمرٌ لا أحسب أحداً يختلف عليه منا ومنكم، لأنكم إذا طالبتم بالاحتكام لأعرافكم طالبناكم بالاحتكام لأعرافنا، وبهذا فسوف ندور في حلقة مفرغة..

تحييد النصوص الدينية

ولكن هل سنحتكم إلى التوراة، أم إلى الإنجيل، أم إلى القرآن..؟ وبهذا سوف نطالبكم

بمثل ما تطالبوننا به.. وسوف ندور في حلقة مفرغة أخرى..!

فمتى نصل إلى الحكم الصحيح، بل كيف يمكن أن نصل إلى طريق السعادة..؟!

**أبو حامد:** ما رأيكم لو أننا اخترنا حَكَماً - في قضية الحجاب وفي كل قضايانا - لا نختلف عليه نحن ولا أنتم أبداً، ونجعل هذا الحَكَم هو مرجعنا في جميع ما نتحاور به..؟!

اختيار العقل قاضياً

ما رأيكم لو احتكمنا إلى «**العقل**»، **والعقل** قاسم مشترك بين جميع الناس.. فما وافقتْ عليه **عقولنا** المنصفة أَعْلَنّا جميعاً أنه الحق، وما ناقضها أَعْلَنّا جميعاً أنه باطل...

**أستاذ فيفا: عجباً..! أنت رجل دين وترضى بترك حكم الدين إلى حكم العقل..!!**

إذن بودي هنا أن آخذ زمام المبادرة لأكسب **العقل** إلى صفنا، فأقول: إن في هذا التكشف الذي نعيشه إظهاراً لزينة المرأة، وعدم إظهاره أمرٌ

مناقض لفطرتها تلك، فالمرأة فُطرتْ على محبة الزينة والتزين، وهذا موافق للعقل..

ثم إن من القواعد العقلية المجربة هو أن: «الممنوع مرغوب»، ولذلك فإن ترك اللباس لحرية الناس يزيل التعقيد عن الجنس، ويقلل الرغبة فيه، على خلاف ما لو كان التبرج قليلًا في مجتمع محافظ، فإن الرغبة في المتبرجات ستكون أكبر، والهجوم الحيواني عليهن سوف يكون وحشياً..

أبو حامد: أنا أثبت لكم خطأ ما تقولون بدليلٍ تشاهدونه صباح مساء بأعينكم وليس بعقولكم فحسب..

كاترينا: لو استطعت الإتيان بدليل عياني في قضية عقلية فقد حسمت المسألة من أولها... وأنى لك ذلك.؟!

أبو حامد: هل عندكم امرأة أطهر، وأنقى، وأحسن، وأفضل من مريم العذراء عليها السلام..؟

**كاترينا**: قطعاً لا، وأظن أنها مُطهَّرة عندكم كمسلمين كذلك. .

**أبو حامد**: لا شك، ولكن: هل توجد عندكم صورة لمريم العذراء وهي كاشفة غير متسترة.؟!

**كاترينا**: لا.

دليلان حسيان

**أبو حامد**: أليس هذا دليلًا عيانياً على أن التستر موافق للفطرة، موافق للعقل، وفي النهاية هو الصواب؟

**ودليل آخر وهو: ما أكبر مثال على انعدام العقل في الكائنات؟ هل عندكم صورة هي أعظم مناقضة لصورة الإنسان من صورة الحيوان. .؟!**

**والجواب**: قطعاً لا يوجد. . . ولذلك فالإنسان ينفر أشد النفرة من التشبه بصورة الحيوان.

وبناءً على هذين المثالين المشاهدين فإن المرأة تتردد بين مستويين، بين مستوى العقلاء وذروته مريم ومثيلاتها من جهة، وبين مستوى الحيوان

من جهة أخرى.. فكلما تسترت المرأة في مظهرها أكثر كلما اقتربت من مستوى مريم العذراء ومقامها أكثر وأكثر.. وكلما تكشفت أكثر، هبطت إلى مستوى الحيوان أكثر وأكثر...

وهكذا فكلما تحكمت في عقلها أكثر كانت شبيهة في مظهرها بمريم أكثر، وكلما كانت شبيهة في مظهرها بالحيوان أكثر كان شبه عقلها بعقل الحيوان أكثر وأكثر..

حتى إذا تخلت عن ثيابها كما الحيوان، تخلت عن عقلها كما الحيوان أو أشد..

شبهة آدم وحواء كانا عاريين

«**الأستاذ فيفا**»: لكن ؛ ألم يخلق اللّه حواء - أُم البشر - وجعلها وأبانا آدم عاريين في الجنة..؟! فدلَّ هذا على أن تكشف المرأة كان في أصل الخلقة، وأنه كان في أُمّنا، ولا خير للإنسان إن لم يتشبه بأبيه وأمه؟

فهل كانت حواء غير عاقلة..؟!

إن من السفسطة أن يفرض أحد فرضاً وينتظر

من الناس تصديقه..

إذ لا أدري هل جاء ربطك الحجاب بالعقل لكون الحجاب على الرأس وهو مركز العقل..؟!

أم جاء من طريق لا نعرفه؟!

الحقيقة أننا شَبِعْنا من السفسطة زمناً طويلًا، فأصبحت لدينا ردة فعل من هذا الأسلوب، فإن كان لديكم شواهد ظاهرة للعيان على هذا وإلا فإن اقتناعنا بهذا الأمر مستحيل..

**أبو حامد:** من أين علمنا أن آدم وحواء - عليهما الصلاة السلام[1] - كانا عاريين في الجنة؟.. ما هو المصدر..؟! أهو الأفلام السينمائية أم القصص الأسطورية..؟!

إنمن الأمور المتفق عليها أن مصدر هذه القصص هو الكتب السماوية، وموجود عندنا في

(١) التزاماً مني أن أذكر الصلاة والسلام بعد ذكر اسم كل نبي تعظيماً لكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحتراماً لأتباعهم.

القرآن وعندكم في العهد القديم قصة أبينا آدم وأمنا حواء بصور مختلفة، لكن الذي تتفق عليه جميع روايات الكتب السماوية أن آدم وحواء قبل أن يأكلا من الشجرة ويعصيا اللّه تعالى كانا لابسين من لباس الجنة، وبعدما أغواهما الشيطان وخدعهما تساقطت الثياب عنهما فوراً من أثر الأكل من الشجرة، فأخذا يجمعان من أوراق الأشجار، ويضعان على أبدانهما كي يسترا عورتيهما[1].

فأي المظهرين أوفق للعقل، وأي المظهرين لأبويكما أكمل، أهو حال الأبوين قبل معصيتهما، أم حالهما ومظهرهما بعد معصيتهما..؟!

وأي الحالين كان أقرب إلى الكمال الإنساني؟!

إيزابيلا: لاشك أن حالهما قبل الوقوع في خدعة الشيطان.. لكن أين موافقة العقل..؟!

---

(١) كما ورد ذلك في التوراة سفر التكوين (٢: ٧ - ١١) وهي كذلك في القرآن في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [آية: ٧].

أبو حامد: هل عَصَيا اللّه واتّبعا الشيطان إلا بعد أن صرع الشيطان عقليهما، وأنساهما العهد الأول الذي عاهدا به ربهما أن لا يأكلا من الشجرة، وإلا هل يمكن لعاقل أن يختار منزلًا أعلى من الجنة...؟!

وهل يتبع الإنسان شهوته في كل شيء إلا إذا نقص عقله، ولذلك يقولون: «**اتقوا مصارع العقول عند التهاب الشهوات**»؟

وهنا لا بد أن أبين سر المسألة وهي الخلط بين الشهوة و**العقل** من خلال أدلة عيانية كلها تقول: إذا زاد **العقل** زاد التستر، وإذا نقص **العقل** نقص التستر.

**انظر للإنسان وتأمل**..! هل كان عقله يوم كان في بطن أمه مثلما أصبح بعدما كبر؟!

ارجع الآن ستجد الحقيقة الطبيعية التالية: فيوم كان عارياً من **العقل** كان عاري الجسد حين كان في بطن أمه، ولا يزال عقله يكبر مع كبره،

وستره كذلك يزداد مع نمو عقله .

وانظر في شاهدِ آخر في الحياة: ستجد أن أقل العقلاء استخداماً لعقولهم في كل بلاد الدنيا هم المراهقون . .

وهم في العادة أكثر الناس اتباعاً لشهواتهم، والإحصائيات تشهد أن أكثر الأعمار طيشاً هم شباب سن المراهقة .

وانظر في شاهد ثالث: انظر للنائم، أرأيت أحداً يؤاخذه إذا انكشفت عورته . . ؟!

الجواب: لا، لأن عقله ليس معه، فإذا استيقظ وتهاون في انكشاف عورته عاتبوه .

وسوف أعطيك شاهداً شاهدته مع المتسوقين، وشاهداً شاهده معي الملايين .

أما الشاهد الأول: فبينما كنت أتسوق في أحد فروع «كارفور» الباريسية رأيت امرأة تخلع ملابسها كاملة شيئاً فشيئاً في السوق حتى السروال، ووضعتها في عربتها، ثم أخذت تمشي

في السوق بين الرجال والنساء! تقف عند هذا الرف وتنتقل إلى ذاك بكل هدوء، وقد كانت مثار استغراب الناس واستنكارهم حتى تفطن لها أحد الباعة، فاستدعى رجل الأمن فأمسك بها وذهب بها إلى الغرفة الخاصة.

**أما الشاهد الثاني** الذي شهد عليه الملايين، فهو في إحدى مباريات فريق برشلونه الأسباني لكرة القدم لدوري عام سنة ٢٠٠٦ والتي كانت تُنقل على الهواء مباشرة، نزل أحد المشجعين العراة فحاول قطع الملعب عرضاً، وكان مُصرّاً على السلام على بعض اللاعبين وأظنه اللاعب البرازيلي الشهير «رُونالدينو»، فاستنكر ذلك الملايين من البشر سواءً مَنْ كانوا وراء الشاشات، أو من كانوا على المدرجات.. لكن جميع الناس عذروا هذين العاريين الرجل والمرأة بمجرد أن علموا أن ذلك الرجل العاري وتلك المرأة المتعرية مُخْتَلّا العقل، فتحول الاستغراب والاستنكار إلى إعذار وإشفاق،

والجميع يقول عن هذه المرأة: مسكينة لا عقل لها، لقد ظلمناها، فإن فاقد العقل لا يعاتب، إنما يعاتب العقلاء الذين تركوها تخرج من البيت أو من المصح..!

صراحتي

دكتورة آن: كل ما ذَكَرْتَه إنما هو نظري تنظيري أقصد أن الواقع في وادٍ وما تقوله في واد آخر.. فالكلام صحيح من الناحية النظرية ١٠٠٪ ومن حيث الواقع (صفر بالمائة ٠٪) فالمعذرة على قوة الصراحة..!

فهل مِنْ عقلٍ إنسانيٍّ يقول إن الإنسان يجب أن يكون مِثْل ملائكة السماء..؟!

أم يقول: إن على النساء أن يكنَّ كمريم العذراء..؟!

أم أن التربية الصحيحة هي أن نعزل الأبناء عن ممارسة الشهوة حتى يتزوجوا كما هو الأمر في الشرق..؟!

أم أن على غير المتزوجين أن يعصموا أنفسهم

مـن كـل شـهـوة طـارئـة وغـيـر طـارئـة إلـى أن يموتوا. . ؟!

إن هذا بالإضافة إلى استحالته واقعياً، فإنه مناقض للمنطق، والمنطق هو العقل. . أليس كذلك يا «أم حامد». . ؟

أم حامد: أنا أعتبر هذا الكلام من «الدكتورة آن» كلام في غاية الأهمية لأن فيه موافقة للعقل، لما فيه من موافقة حاجة النفس الفطرية، وهذه الشهوة ما جُعلت في الإنسان إلا لأنها تحتاج إلى إشباع، ولذا كانت الملائكة - كما ذكرت الدكتورة آن - لا تحتاج إلى إشباع شهوة لأنه ليس فيها الشهوة أصلًا، وهذا المنطق لا يختلف عليه كل واحد لديه ذرة واحدة من العقل، لكن الذي نختلف عليه هو كيفية إشباع هذه الشهوة. .

النسبة ما بين العقل والشهوة

أبو حامد: سوف أقطع على «أم حامد» تواصل أفكارها - إن أذنت لي بذلك - على أن أعطيها دوري وأذكرها بموضع نهاية فكرتها هذه.

**أم حامد**: تفضل.

**أبو حامد**: أخذتُ الدور في الحديث لأجل أن أُذكِّر «الدكتورة آن» باتفاقنا الأول وهو أن نُخْرج أعرافنا وأعرافكم من الحكم، ونرجع إلى حكم **العقل** في كل قضايانا.

لا تحسبوا أن المشكلة الكبرى هي انجرار الناس نحو الفواحش. . . لا، بل المشكلة الكبرى هي انجرار **العقل** نحو الرضا بالفواحش، والتبرير لها، وهذا ما يهيئ المجتمعات لمنحدر أشد فحشاً، فإذا انحدر **العقل** وأصبح يقنن الفاحشة للمجتمع ويبرر لها، انحدر المجتمع إلى مستوى أهبط منه، وتحولت القيادة من **العقل** إلى الفرج.

وهكذا كلما انحدر المجتمع نحو هاويةٍ أسحق وأعمق، قنن له **العقل** قانوناً يبرر للشهوة ويشرّع لها. . ! وبالتالي أصبح **العقل** في المؤخرة وفُحْش الناس في المقدمة، وإن شئتم أيها الجالسون

قلتم: جعل الناس فروجهم في نواصيهم، وعقولهم في مؤخرتهم... فالمصيبة مصيبة **العقل**..

أتعرفون الخطأ الكبير الذي يرتكبه القائد العسكري بتقديم الوصفة المثالية للهزيمة الكبرى؟ ذلك بأن يجعل مقر القيادة العسكرية في مرمى العدو، بينما الواجب هو أن يعزلها تماماً عن الميدان، فمهما تساقطت جنودٌ أو حصون أو قرى، أو قدمت خسائر، فيجب أن يكون الحصن الذي لا تَفاوُضَ عليه ولا تنازل عنه هو مركز القيادة والتحكم، لأنه ربما يقلب الحسابات ويحول الهزيمة إلى نصر في أي لحظة أخرى، وهل للإنسان مركز تحكم وقيادة مثل **العقل**.

ولو أن الناس عندكم لم يستخدموا **عقولهم** لكان الأمر أهون، لكنهم أصبحوا يستخدمون **عقولهم** في التقْنين لفحشهم، والدفاع عن جرائم فروجهم، وبذا أصبح **العقل** عبداً للفرج.

ولعل هذا المستوى الذي تعيشونه اليوم عاشت بعضه - وليس كله - المجتمعات العربية قبل مجيء الإسلام، بعد ميلاد عيسى - عليه الصلاة والسلام -، فعابهم القرآن في آيات عدة، ولذا فإن من تأمل تلك الآيات التي تتحدث عن الفاحشة تأملًا عقلياً عرف أن تركيزها كان على حماية العقل حتى وإن وقع الفرج في الفاحشة، ففي سورة الأعراف يقول اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

فالقرآن حين نفى عن اللّه أن يأمر بالفحشاء إنما أراد أن يحمي عقولهم من أن تشرع للفاحشة باسم اللّه.. والتشريع للفاحشة أخطر وأكبر من عمل الفحشاء.

ولذا كان لزاماً أن نحمي العقل حتى لو لم نستطع حماية الفرج، وأن نُرفِّع عقولنا عن

الاحتجاج للواقع الشهواني أو الدفاع عنه أو التشريع له.

فإذا اتفقنا على هذه المسألة وحمينا عقولنا من أن تبرر خطايا الشهوة، استطعنا مناقشتها بسهولة ويسر، ولم يصبح الوصول إلى الحقيقة مشكلة أبداً.

وأريد أن أؤكد أن احتجاجي بالآية ليس احتجاجاً دينياً عليكم وإنما كشاهد، ولبيان أهمية العقل، ثم هل ترانا حكَّمنا هنا إلا العقل؟

علاج شاب يستأذن بالزنا

وهنا سوف أسوق لكم هذه القصة الجميلة الصريحة الواضحة الصحيحة التي وقعت لشاب مع النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - كما هي في المصادر الثابتة[1].

---

(١) سيمر معنا في هذا المجلس وفي مجالس قادمة كيفية التوثق من صحة الرواية المروية عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وأنها خاضعة لقواعد معروفة، وللعلم فإننا في هذا الكتاب ملتزمون بأن لا نذكر رواية إلا صحيحة مع ذكر مصادرها.

فهذا أحد أصحابه وكنيته «أبو أمامة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروي الحادثة فيقول: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال الشاب: يا رسول اللّه ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه!!

فقال الرسول ﷺ: (اذْنه).

فدنا منه قريباً فجلس، فقال الرسول ﷺ: «أتحبه لأمك»؟

فقال الشاب: لا واللّه - جعلني اللّه فداءك -.

فقال الرسول ﷺ: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك»؟

فقال الشاب: لا واللّه - جعلني اللّه فداءك -.

فقال الرسول ﷺ: «ولا الناس يحبونه لبناتهم، أفتحبه لأختك»؟

فقال الشاب: لا واللّه - جعلني اللّه فداءك -.

فقال الرسول ﷺ: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

أفتحبه لعمتك، أفتحبه لخالتك»؟

فقال الشاب: لا والله - جعلني الله فداءك -.

فقال الرسول ﷺ: «ولا الناس يحبونه لعماتهم ولا لخالاتهم».

قال: فوضع يده عليه وقال ﷺ: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

فإذا تأملتي هذا الدعاء وجدت أن في ترتيب كلماته الثلاث حكمة بالغة، ففي الأولى دعا له بمغفرة ذنبه السابق، ثم دعا له بأن يطهر الله قلبه قبل أن يدعو له بأن يحصن فرجه ذلك أن المراد بالقلب هو مركز الفكر والقيادة في الإنسان، وإذا تطهر مركز القيادة والتحكم تطهر ما وراءه، فكان

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

تقديمه في الدعاء للأهمية.

ولهذا رأيتي نتيجة هذا الحوار وهذا الدعاء هو ما جاء في آخر القصة.

أنا لا أريد الاستشهاد بهذه الحادثة على إثبات حكم ديني هنا... لا، فهذا خارج الاتفاق الذي أبرمناه أولًا، ولكن الذي أريده من هذه القصة هو أهمية حماية العقل من التغيير، فقد كان هذا الشاب واضحاً جريئاً، ومحدداً في طلبه، فطلبه الإذن بالزنا وهو يعلم أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - يحرمه، ويعلن تحريمه ويعاقب عليه كذلك!

وقد كان الأعجب منه هو جواب النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - له، فلم يقل له: لا تزن، أو إن الزنا حرام، أو إنه يُغضب اللَّه، أو أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - غضب عليه أو طرده، أو وعظه موعظة تحذيرية طارئة سرعان ما تطير إذا ما التهبت نيران الشهوة في

النفس أو في المجتمع، بل حاكَم الرجل إلى قاعدةٍ اجتماعيةٍ ما زالت عندهم قائمة لم تغيرها الفواحش وإن كثرت، إنها قاعدة: «الغيرة» المعتدلة.

فمن السر في نجاح نصيحة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هو أن فكرتها قائمة على أن الشهوة إذا طغت أذهلت صاحبها عن غيرها، ولم يَتَعد بصره ذلك، ولم يتَخط فكره موضع شهوته، وهنا مدّ النبي - عليه الصلاة والسلام - بصر هذا الشاب المفتون إلى مسافة أبعد من مسافة الفتنة والافتتان وأخرجه من دوامة شهوته، فرأى شيئاً لم يكن في حسبانه..!

لقد رأى أُمَّه مقابل تلك المرأة التي يريد الزنا بها، ورأى أخته أو عمته أو خالته مقابلها، فوقعت الصدمة العقلية الكبرى لدى الشاب!

فأثار هذا التقابل الغيرة الشديدة التي أيقظته من سكرته فأفاق.

**وميزة أخرى** لهذه المقابلة، تلك هي أنه كلما اسْتَعَرَت الشهوة عند الشاب الشهواني أكثر. . . . كلما ثار التقابل في نفسه أكثر، إذ إن إثارة الشهوة إنما تكون أساساً بالتصور فإذا عالجتَ المسألة في قاعدة التصور فقد عالجتَ الأساس، وبناء عليه فكلما تخيل الشاب نفسه وهو يزني بتلك الجميلة وقرَّبها بمخيلته وقربها حتى لكأنه يواقعها، أعادته هذه المقابلة في التصور إلى نفس المستوى من وضوح الصورة حيث شاب آخر مع أمه أو أخته، فتكون النفرة هذه كفيلة بمحو تلك الصورة فوراً وإعادة الشاب للوضع الصحيح.

**وميزة أخرى** أكبر لهذه الصورة، تلك هي أنها تجعل المجتمع غيوراً بعضه على بعض كغيرة الفرد على أخته وأمه وابنته. .

وسوف أتوقف عن الاستطراد في الامتيازات الأخرى لهذه الحادثة لأعود إلى كلام «**الدكتورة آن**» وخطورة انجرار حصان **العقل** وراء عربة

الشهوة، التي لن تدع حاجزاً من مبادئ صحيحة مستقرة إلا كسرته، وهذا ما هو حاصل في مجتمعاتكم، وهذا دليل عقلي عملي واضح.

تكييف المبدأ خدمة للشهوة

«**الدكتورة آن**»: باللّه عليك أين الدليل الواضح على جرف الشهوة للمبادئ...؟! يبدو أن كل مجتمع يكيف المبادئ حسب ما يرى ويشتهي، ولعلنا قدمنا لكم دليلًا عيانياً عملياً على هذا.. فلقد أدركتم - يا أبا حامد بأنفسكم البراءة التي حوت قبلاتنا رجالًا ونساءً بعضنا لبعض - كأوروبيين - عندما تلاقينا الليلة، حتى لو لم تشاركونا أنتم القبلات لكنكم شاهدتمونا، ولا أظنكم تتهموننا في هذا، كما أننا لا نتهمكم، لكن الحقيقة التي نجدها في نفوسنا كغربيات هو أننا لا نحسن الظن فيمن يغض بصره عن النظر إلى جمالنا، وذلك أن من لا ينظر يضمر الشهوة في نفسه، ويخاف على نفسه الفتنة، فإذا ما كرر النظر فإن هذا يعني عزمه على المواقعة أو على

الأقل استعداده لفعلها متى أتيحت له الفرصة أو الخلوة، ولذلك فإن خلوة الرجل بالمرأة عندكم محرمة - فيما أعلم من زوجي - بينما الخلوة عندنا لا تعني أي شيء، فلا داعي لمنعها من الأساس.

والذي يبدو لي أن الذي أنشأ هذه الحالة النفسية عندكم هو دينكم الذي مازال يثير شبهات الشهوة، والغيرة، وما إلى ذلك في نفوسكم، ولذلك فإنه حين يُتْرك لكم المجال تفعلون ما لا نفعله نحن.. تفعلونه بشراهة غير آدمية!

انظر إلى بعض المسلمين - الذين يُضيّق عليهم في بلادهم - كيف يصنعون إذا فتح لهم الباب...؟! إنهم إذا جاؤوا هنا أسرفوا في الشراب، وأسرفوا في الزنا، وأسرفوا في كل رذيلة..!

أليس هذا واقعكم؟ وما أحسبه إلا سبباً من أسباب تربيتكم الدينية.

فهل هذا موافق للعقل أم مخالف..؟!

**أبو حامد**: قد كنت وعدت **أم حامد** بأن أعيد إليها الدور في الحديث بعدما أنتهي، لكن تأبى «**دكتورة آن**» إلا أن تجعل الحديث متواصلًا، وأنا مازلت عند وعدي لـ«**أم حامد**»..

أما بالنسبة لحُجة «**دكتورة آن**» فأستطيع أن أقول: إنها قد اختصرت واقعكم في كلمة واحدة تلك هي: **تكييف المبدأ ليناسب الشهوة**..!

فهذا هو السر، وهذه هي المصيبة! فالمصيبة التي وقعت فيها المجتمعات الغربية هي تكييف المبادئ لتوافق الأهواء والشهوات، وليس تكييف الأعمال والحياة لتوافق المبادئ..

قبلات بريئة

وكل ما ذَكَرتْه - «**الدكتورة آن**» - من أدلة علينا لا نسلِّم بالاستدلال بها، كاستدلالها ببراءة القبلات التي رأيناها هذه الليلة، والبراءة في المعانقات ما بين الرجال والنساء، وما قابل ذلك من غض للبصر من قِبَلِنَا، والامتناع عن

المصافحة، وهكذا ما يفعله بعض العرب والمسلمين حين يخرجون من بلادهم إلى بلاد الغرب من فجور، وتهور في فعل الفواحش وشرب الخمور.. فكل هذه وقائع لا أخالف في واحد منها، ولكنها وللأسف كلها أدلة عليكم بحكم **العقل** الذي ارتضيناه اليوم حكماً..

إذ كيف تستشهد «**دكتورة آن**» بما حصل الليلة من قبلات على أن ذلك الأمر يوافق **العقل** ونحن قد اتفقنا من قبل على أن نخرج واقعنا وواقعكم وأعرافنا وأعرافكم المختلفة من الاستشهاد بها على الحق أو الباطل..؟!

ومع كل هذا فأنتم تعرفون أن هذهِ الممارسات خطأ وغش لكنكم تمارسونها لسبب واحد وهو غلبة الشهوة.

لقد خدعوكم حين صوروا لكم أن مجتمعكم لا يحب الفضيلة، وأن كل المجتمع هم هؤلاء الجنسيون، وأصبحتم تدافعون عن الفاحشة بغير

شعور، مع أن المجتمع غير ذلك، والفطرة ما زال فيها خير كبير..

وقد عمل استفتاء غريب على موقع (C.N.N)[1] عبر الهاتف على (١٥٢٣) بالغاً من الرجال والنساء، وقبل أن تقرئي هذا الاستفتاء تذكري أنه لم يكن استفتاءً في بلاد إسلامية ولا عربية إنما هو في البلاد الغربية.

**س٣- هل تعتبر غاشاً لزوجك أو زوجتك إذا:**

**أ- تقبل شخصاً آخر؟**

نعم: ٦٧٪ لا: ٢٨٪

(١) المصدر: www.cnn.com/allpolitics/1998/08/20/adultery.poiv

لقد حرصت بقدر الإمكان أن تكون جميع المعلومات في هذا البحث منسوبة لمصادرها، وجميع مصادرها غربية معتمدة عندهم، وخصوصاً الإحصائيات وأغلبها مبنية على دراسات كثيرة، فإن الموجود على الشبكة العنكبوتية كثير ولكن أكثره من الغث!

وقد تركت رموز المراجع الأجنبية كما هي كي يسهل رجوع من أراد الاستزادة إليها.

ب- ممارسة الجنس الهاتفي؟

نعم: ٦٦٪ لا: ٣٢٪

ج- ممارسة الجنس عبر المحادثة على الإنترنت؟

نعم: ٦٤٪ لا: ٣٣٪

س٤- هل تعتبر غاشاً لزوجك أو زوجتك إذا مسكت يد أحد؟

نعم: ٤٣٪ لا: ٥٣٪

س٥- هل تعتبر غاشاً لزوجك أو زوجتك إذا أعطيت إيحاءً بدنياً جنسياً؟

نعم: ٣٤٪ لا: ٦٤٪

س٦- هل تعتبر غاشاً لزوجك أو زوجتك إذا زرت نادياً للعراة؟

نعم: ٤٥٪ لا: ٥٥٪

س٧- هل تعتبر غاشاً لزوجك أو زوجتك إذا تخيلت شخصاً آخر بشهوة؟

نعم: ٣٨٪ لا: ٥٠ ٪

وبعد هذا فهل تستطيعين - يا «دكتورة آن» بحكم أن عمرك قارب الثمانين - أن تسترجعي صورة فرنسا في ذهنك قبل مائة عام كما حدثك عنها من قبلكم؟

تذكّري جيداً هل كان من المشاع أن يُقبِّل الزوج زوجة صديقه، والصديق يقبل زوجة الآخر..؟!

**دكتورة آن**: لا.

**أبو حامد**: إذن هل كان عدم التقبيل منكراً كما تنظرون له الآن؟!

**دكتورة آن**: بل كان التقبيل هو المنكر، ولا يفعله إلا طبقة خاصة، وهم في نظر المجتمع وقتها مخطئون.

**أبو حامد**: فما الذي حصل حتى تحول ما كان منكراً بالأمس معروفاً اليوم، وتحول ما كان معروفاً بالأمس منكراً اليوم..؟!

إذن فالقضية مرحلية، فقد كان الأمر المستقر في المجتمع هو إنكار أن يُقَبِّل غير الزوج زوجته أو ابنته أو أخته، وبقي الناس على هذا ربما مئات

السنين، حتى ذهب هذا العرف وانحدر المجتمع إلى إشاعة التقبيل، لكنه لم يبلغ درجة الإشاعة مرة واحدة، بل بدأ بالانتشار من أولئك القلة شيئاً فشيئاً، حتى أصبح بمرور السنين عرفاً عاماً، وأصبح مَنْ لا يفعله هو الغريب في فعله هذا، فكيف بمن ينكر على المجتمع؟!

وهنا نعود لنقول: هل كونه مشاعاً وعرفاً يدل على أنه صحيح وأن **العقل** يقتضي صحته؟

الجواب الواحد القاطع: لا، إذاً فهل سيتوقف الأمر عند هذا السفح - أقصد حد إشاعة القبلة -؟! وبالأصح هل سيتوقف الانهيار عند هذا الحد أم ثمة درك أسفل؟!

**والجواب المنطقي** الذي شهد به الواقع والتاريخ هو أن الانهيار الخلقي لن يتوقف عند هذا الحد أبداً، بل سينتقل الناس من المجاهرة بالقبلة إلى المجاهرة بما بعد القبلة، من الاحتضان الشديد والتقبيل الطويل إلى الانتقال إلى الزنا، ثم المجاهرة بالزنا دون أدنى إنكار، بل الإنكار يكون

يومها على من ينكر عليهم، وقد بدت مؤشرات هذا واضحة ظاهرة. . . فإن المشاهد للواقع الفرنسي الآن يجد أن القبلات قد أصبحت عادية لا غضاضة فيها، وتجد الاحتضان بين الجنسين طويلًا، وخصوصاً عند محطات القطار في الاستقبال والوداع أو في المطار، كما أصبح كثيراً، والمجاهرة بالزنا أصبحت شيئاً مرئياً، وإن كان الأمر نادراً لكنه أطلّ برأسه من العدم، وشيئاً فشيئاً سوف يظهر، فهذه رُسُله قد وصلت!

نذير تحقيق

وهذا الذي ذكرته أمر منطقي لأنه يسير وفق التدرج الذي ذكرت تاريخياً، فكل خطوة كما رأينا توصل للتي بعدها اضطراراً، فإذا تتابعت الخطوات ازدادت السرعة واحترقت المراحل، هذا بالإضافة لكونه منطق **العقل** الذي اشترطنا الاحتكام له أول مرة، أضف لذلك أن عندنا شاهداً من قول النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - على ذلك إن شئتم أن أذكره ذكرته، وإلا فقد حصلت الكفاية بشهادة **العقل** هذه.

**الدكتور وافي**: الخطورة أن هذا المرض ينتقل

من السر إلى العلن ثم المجاهرة ثم الحماية ثم تغير الموازين!

فالموازين لا تعده خطئاً آنذاك، لكن أتصور أن الأصل أن يوجد هذا في الغرب ثم ينتقل إلى بلاد المسلمين تقليداً، فليتك تذكر ذلك الشاهد لهم لعلهم يؤمنون بأن أخبار هذا الرسول ليست من عند نفسه إنما هي من عند اللّه تعالى.

أبو حامد: الأمر كما ذكرت، فما المسلمون إلا مقلدون فيه وليسوا الأصل، وهذا يمثل أسوأ حالاتهم، الحديث هو ما قاله النبي - عليه الصلاة والسلام - قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة إذ قال: «والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو واريتها وراء هذا الحائط»[1].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١) رجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ حسين أسد: إسناده قوي.

وفي حديث آخر عن النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لا تقومن الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير» فقلت: إن ذلك لكائن..؟! قال: «نعم، ليكونن»[١]..

اختطاف العقل

إيزابيلا: الذي أراه هو أن يعيش كل أناس مرحلتهم، ويجب أن يتحمل كل جيل اختياراته العقلية، فكما تحمّل آباؤنا اختيارهم فنحن نتحمل اختيارنا، ومن يأتي بعدنا ينبغي أن يتحملوا اختيارهم، وبما أننا قد اتفقنا على أن نحتكم إلى العقل، فهذا هو حكم عقول هؤلاء الناس!

دكتورة آن: لعلكِ يا «إيزابيلا» نسيت أن «أبا حامد» قرّر حقيقة جدُّ مهمة وهي: أن هذا الاختيار ليس إفراز عقولهم بل هذا إفراز شهواتهم، وهذا دليل على غلبة الشهوة على

---

(١) رواه ابن حبان (٦٧٦٧)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح/ ومعنى يتسافدون: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك.

**العقل، فالعقل** أصبح - وللأسف - مِثْل كاسحة الجليد التي تزيح الجليد برأسها عن الطريق للسيارات المارة من ورائها. . . !

أو أصبح مثل عربة الكلاب التي يجرها مجاميع الكلاب لتجري فوق الجليد، فهو في كلتا حالتيه أصبح خادماً للشهوة، سواءً قدمناه في الأمام أم قلنا إنه في الخلف، وهذه هي الخطورة الحقيقية: «**تلك هي اختطاف العقل مِن قِبَلِ الشهوة أو سقوط العقل في أحضان الشهوة**».

قصة أخ مع اخته

**أبو حامد**: أنا أشكر «دكتورة آن» على هذا الاستحضار العظيم للمعنى المناسب في الوقت المناسب.

وهنا بودي أن أذكر قصة حقيقية حصلت في المجتمع الفرنسي وتكررت كثيراً:

قصة أسرة منفتحة كأغلب المجتمع الفرنسي فيها الأبناء وفيها الجميلات، كانت أعمارهم ما بين السابعة عشر والخامسة والعشرين. .

كان «جاك» عمره آنذاك عشرين سنة، و«جون» عمره اثنان وعشرون سنة، و«ماريا» عمرها ست عشرة سنة، كلا الشابين عنده صديقة، وكذلك «ماريا» كان لديها صديق، وكان كل واحد من الأخوين يتحرج أن يأتي بصديقته للبيت، كما كانت أختهما تتحرج من ذلك..!

ثم تطور الأمر فأصبح «جاك» يأتي بصديقته ويجلس معها في غرفته، ويواقعها في فراشه! تجرأ «جون» وفعل نفس الفعل.. لكن أختهما «ماريا» ما كانت تفعل هذا مع صديقها في بيتهم..

أسبوعاً كاملًا لم يكلم «جاك» صديقته! لم يأت بها إلى البيت، لم يواقعها، شهراً وشهرين وثلاثة أشهر، كان الخصام بينهما شديداً، لسبب هو غيرة «جاك» الشديدة عليها..!

في أمسية من الأمسيات أَشْعَر «جون» أخاه وأخته أنه يريد الخروج من البيت الليلة وخرج،

ثم خرج الوالدان التزاماً بدعوة على العشاء، بقي الشاب «جاك» وحده في البيت. . !

وبينما «جاك» يتمشى وحيداً في البيت إذ رأى «ماريا» من الباب المفتوح قليلًا وقد لبست ملابسها الداخلية بقوامها الشامخ، وجمالها الباهر، استعداداً للخروج إلى سهرتها، فتوقف من غير أن تشعر به عند الفتحة الصغيرة للباب، ثم مرّ وقد ذهب قلبه يفكر في صاحبته، اتصل بها تنزلًا عند شهوته فأغلقت الهاتف في وجهه. .

عاد «جاك» يتمشى في البيت والشهوة قد بلغت حداً لا يطاق، اشتم رائحة «ماريا» تفوح، ومن فتحة الباب نظر وإذا بها عروس في ليلة زفافها. . !

قال في نفسه: أكُلُّ هذا الجمال يذهب هدراً لأبناء الشوارع؟!

تجرأ فدخل! فخاطبها - مضطرباً -: ما هذا الجمال. . ؟!

ضحكت ولم ترد عليه..!

أصبح ينظر لأخته نظرة أخرى، قالت وهي تنظر في المرآة إليه: ما بك الليلة..؟!

قال: وحيدٌ في البيت، فقبلته تواسيه، فقبلها بقوة وحرارة فائقة، ثم أرسلها فعاودها، ثم احتضنها بحرارة...! شكّت في المسألة، فدفعته..

جاك: لا خلاص لك الليلة مني.. أرجوكِ أختي سوف أموت، أنقذيني ثم اذهبي حيث تشائين..!

كان له ما يريد فوقع الأخ الشقيق على أخته الشقيقة..!

قصة حقيقية وقعت في بيت لم يكن بيتاً منحطاً بالقياسات الخلقية الفرنسية...!

ولم تكن هذه القصة الواقعية هي القصة الوحيدة التي وقعت في المجتمع الفرنسي، بل ثمة قصص كثيرة جداً فيها الوقوع على الأخت

والعمة بل والأم..!

لكن وجه الشاهد من هذه القصة هي أن الأخ ما وقع عليها إلا لما سلبتْ عقلَه الشهوةُ..

وهنا أعود لاعتراض «إيزابيلا» والتي تقول: **العقل** يقول: فليعش أصحاب كل مرحلة مرحلتهم، فعقولهم هي التي أوصلتهم إلى هذا! وعليه فأنا أسأل «إيزابيلا»:

أليس الوقوع على الأخت أمراً منكراً وسيئاً تنكره الفطرة؟

أليس الوقوع على الأم أشد منه وأفحش..؟!

ألم يبدأ هذا الأمر الذي نسميه منكراً يكثر في مجتمعاتكم أكثر من ذي قبل؟

معذرة، هل تستسيغين وقوعه في بيتكم؟

**إيزابيلا:** طبعاً لا. لكن هذه القصة في غاية الغرابة وفي غاية التأثير..

**أبوحامد:** أنا أدرك أن العائلة التي عاشت على

الحشمة - بالنسبة لمجتمعها - تستصعب وقوع هذا في غيرها من الأُسر؛ لأنها تنظر للأُسر الأخرى بمنظارها الخاص لنفسها..

ولأجل أن نكون واقعيين أكثر فإني أُذَكِّر بما نراه على الصحيفة اليومية كل يوم في صفحة المحاكم أو الشرطة أو الجرائم، وعندها سيقول: إن هذا الذي فعله «جاك» هو نوع من الجريمة المحتشمة.

ومع هذا فسوف أتحول إلى لغة الأرقام والإحصائيات التي لا يمكن تكذيبها لأنها رسمية ومن نفس مجتمعاتكم.

فقد نشرت[١]: (واحدة من كل أربع فتيات

---

(١) Finkelhor, D., Mitchell, K., & Wolak, J. (2001, March). Highlights of the youth internet safety survey. US Department of Justice, Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention.
U.S. Department of Justice (2001). Internet crimes against children. OVC Bulletin. Washington, DC: US Depar tment of Justice, Office for Victims of Crime.

انتهكت جنسياً قبل سن ١٨ سنة، وواحد من كل ست أولاد كذلك).

كما نشر[1]: (٣٠ - ٤٠ ٪ تم انتهاكهم من قِبَل أحد أفراد الأسرة، و٥٠٪ تم انتهاكهم من خارج الأسرة لكن من شخص يعرفونه ويثقون به)[2].

إذن فإن امرأة واحدة من كل أربع نسوة انتهكت جنسياً من قَبْل سن ١٨!

(١) Abel, G. & Harlow, N. (2001). Stop child molestation book. Abel and Harlow.
Kilpatrick, D., Saunders, B., & Smith, D. (2003). Youth victimization: Prevalence and implications. U.S. Depar tment of Justice, National Institute of Justice report.
Snyder, H N. (2000). Sexual assault of young children as reported to law enforcement: Victim, incident, and offender characteristics. National Center for Juvenile Justice, U.S. Depar tment of Justice.

(٢) Statistics Surrounding Child Sexual Abuse http : // www. darkness2light.org /KnowAbout / statistics-2.asp

بمعنى ربع المجتمع، أليس هذا مخيفاً؟!

وأن ٣٠ - ٤٠ ٪ تم انتهاكهن من قِبَلِ أحد أفراد الأسرة أي من نفس البيت وأن ٥٠٪ تم انتهاكهم من خارج الأسرة وكلهم من شخص يعرفونه ويثقون به من أخوال وأعمام وأصحاب ثقات.

ولنقرأ هذه الإحصائية: (٦٠٪ من المولود الأول للمراهقات نتيجة إغواء أو اغتصاب ومتوسط عمر المعتدي هو ٢٧ سنة.. كما أن ٧٥٪ من بائعات الهوى المراهقات تعرضن لاعتداء وهن صغار)[١].

---

(١) Kellogg, N.D., Hoffman, T.J, & Taylor, E.R. (1999). Early sexual experience among pregnant and parenting adolescents.Adolescence, 43, 293 - 303.

. Noll, J.G., Trickett, P.K., Putnam, F.W. (2003) . A prospective investigation of the impact of childhood sexual abuse on the development of sexuality. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 71, 575-586.

(وأن ٥٠٪ من النساء في السجن تعرضن لاعتداء وهن صغار، وأن ٧٥٪ من الذين يغتصبون الأطفال باستمرار قد تعرضوا لاغتصاب هم أنفسهم في الصغر..)[١].

أما حالات الاغتصاب في الولايات المتحدة الأمريكية ففي تقرير لـ (The FBI's Uniform Crime Reporting)[٢] لسنة ٢٠٠٣ قالوا فيه:

إن ٩٣,٤٣٣ حالة اغتصاب بالإكراه، أي ٦٣,٢ من كل ١٠٠,٠٠٠ أنثى تعرضت للاغتصاب.

ورغم أن هذا الرقم يعتبر مخيفاً في مجتمع مفتوح إلا أنكِ يجب أن تعلمي أن هذا هو المسجل رسمياً، أما غير الرسمي فهو أكبر من ذلك بكثير.. وهذه حالات الاغتصاب بالإكراه،

---

(١) Statistics Surrounding Child Sexual Abuse http: // www. darkness2light.org /KnowAbout/ statistics-2.asp

(٢) http://www.fbi.gov/pressrel/pressrel04/ crimestat102504.htm

أما بالتراضي فهذا هو التيار العام الذي لا يمكن حصره، لكن أعود لِأُؤَكِّدَ أن مجتمعكم لم يطمس فيه الخير مرة واحدة وقد أثبتُّ ذلك بالإحصائيات في هذا المجلس.

**إيزابيلا**: حقاً إنها مخيفة وأنا لا أتصور المجتمع الفرنسي بهذا السوء وإن كان بغير شك فيه الكثير من هذا، أما بالنسبة لنا كأسرة فهو كما ذكرتَ أنت: نحن أسرة محتشمة لا تسمح بهذه الأشياء..

**أبو حامد**: لو أنك يا «إيزابيلا» عاملت المجتمع الفرنسي أو البرتغالي أو الأوربي أو الغربي معاملتك أسرتك لما رضيت أن يقع مثل هذا في المجتمع..

**نعم بإمكانك أن تقولي**: لكن هذا الأمر ليس في المجتمع، بمعنى أنه ليس في الأماكن العامة، ولا أماكن الزنا المخصصة، إنما هو في داخل أسوار الأسرة، وهذا راجع لكل أسرة، وذوقهم وانحطاطهم.

وهنا ينبغي أن نتساءل: هل المجتمع إلا مجموع الأسر؟ وهل الأسرة إلا لبنة من لبنات المجتمع؟

وهل كان المنتظر أن يخرج الولد بأخته من البيت أو يأخذ الولد أمه ويضاجعها في الشارع..؟ إنما هو البيت..!

لكن ماذا تنتظر من مجتمع أصبح الولد فيه يضاجع أمه؟! هل من حيوانية بعد هذه؟!

هل من حرمة يمكن أن تصان بعد هتك هذه الحرمة؟!

هل يمكن أن تبقى قيمة من القيم الاجتماعية - أية قيمة - إذا ذهبت قيمة الأم..؟!

ومن المعلوم يا أستاذة «إيزابيلا» أن الجيل ليس منفصلًا عن الجيل الذي قبله، ولا الجيل الذي بعده، إنه موصل كتوصيل السلك المعدني للكهرباء.

القضية يا «إيزابيلا» أنكم لستم بعيدين عن هذه

المرحلة، ارجعي خطوات سابقة عما ذكرناه من قبل ستجدين التدرج المنطقي نحو الهاوية يسير نحوكم، فماذا بعد نكاح المحارم؟!

**أيتها الحاضرات المكرمات**: لتتصور أية امرأة منكن - مجرد تصور فحسب - في لحظة أن ولدها يمكن أن يواقعها! - مجرد تصور -! ثم لتعلم أن ذلك ليس ببعيد، إنه الخطوة الأخيرة أو ما قبل الأخيرة على نهاية الطريق، وقد أخبر عنها النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - إذ قال: «سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلًا بمثل، حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله»[1].

دكتورة آن: التحليل الذي ذُكِر تحليل عقلي مخيف، والتدرج تدرج منطقي لأنه صحيح المقدمات بشهادة الواقع، لقد تصورتُ وأبو حامد

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم (٤٤٤) واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

يتكلم أن الفواحش قد حملت إلينا في عربات قطار بأنواعها المختلفة، و قد وصلتنا عرباتها عربة عربة، وبقي عربة أو عربتان وهي قادمة لا محالة، أتدرون ما تلك العربتان. . ؟!

إنه نكاح أولاد بناتنا لبناتنا أي أمهاتهم، والحمد للّه أنَّ هذه العَربَة لم تصلنا بعد، وأن جيلنا قد ضمن السلامة منها. . لكنها قادمة علينا كمجتمع يقيناً، فليس للعربة خيار في التوقف بعدما تحركت المقطورة، ولكن الأعجب هو هذا الخبر الذي ذكرته عن نبيكم محمد الذي أخبر فيه عن هذا الأمر منذ ذلك الوقت.

يبقى لي سؤال أخير وهو: أليس من المنطق العقلي أن تشبع غريزة الإنسان باعتدال، وهذا لا يكون إلا أن تكون للإنسان غيرة معتدلة فهي الأساس في ذلك كله. . ؟

وهذا هو الذي ننادي به، أما أن يُحرم الشاب طوال حياته من قُبْلة تريح قلبه وتطفئ شهوته حتى

يتزوج فهذا من المحال..؟!

أيمكن من الناحية الواقعية أن يصبر الإنسان على استدعاءات الشهوة ولا يستجيب لها؟!

أيمكن أن يعبر المراهق خندق نار المراهقة المستعر من غير أن تأخذ هذه النار نصيبها..؟!

الاعتدال في الغيرة

**أبو حامد**: المنهج الصحيح هو المنهج الوسطي الذي يراعي حاجيات البشر باعتدال دون إفراط ولا تفريط، ولكن هل من الاعتدال في الغيرة أن يرضى هذا بتقبيل زوجته مِنْ قِبَل صاحبه في مناسبة، وربما يرضى في مناسبة أخرى أن ينام ذاك معها..؟!

نعم، لا بد أن يرضى، أتدرين لماذا؟ لأنه هو قبّل زوجة ذاك أمامه، وفي ظروف معينة نام معها! وهو لن يستطيع الاعتراض لأن زوجته تعلم أنه ينام مع زوجاتِ آخرين..!

هذه هي حقيقة الغيرة المعتدلة كما تقولون..!

إذ المقصود بالغيرة المعتدلة في الغرب هي أن تُسْقطي عني الغيرة قليلًا وأسقط أنا عنك الغيرة

قليلًا . . أليست هذه الحقيقة؟ ثم تُسْقِطِي عني الغيرة أكثر وأكثر وهكذا أبادلك أنا ذلك . . حتى لربما أسقطنا الغيرة كاملة . . !

ولك أن تتصوري نتيجة الاستفتاء الذي أجرته الـ (C.N.N)[١]:

يَعتبر معظم الأمريكيين أن زنا المتزوجين أخطر أخلاقياً من زنا المراهقين، ومن مهنة الزنا . .

س١- هل تعرف رجلًا متزوجاً مارس الزنا؟

نعم: ٦٩٪ لا: ٣٠٪

س٢- هل تعرف امرأة متزوجة مارست الزنا؟

نعم: ٦٠٪ لا: ٣٨٪

إن نسبة الأزواج الذين يضبطون بالخيانة ٨٠٪[٢].

---

(١) المصدر: www.cnn.com/allpolitics/1998/08/20/ adultery.poiv

(٢) المصدر: www.divorcepeers.com/stats31- htm

* نسبة الذين يحافظون على زواجهم بعد الخيانة ٦٤٪ منهم ٧٨٪ يصفون زواجهم بعد الخيانة بغير سعيد.

* نسبة الذين يصفون زواجهم الأول بسعيد جداً بأمريكا ٥٤٪ سنة ١٩٧٦ و ٣٨٪ سنة ١٩٩٦ .

فمن الطبيعي أن الذين يحافظون على زوجاتهم بعد الخيانة يصل ٦٤٪ وما ذلك إلا لأن الخيانة متبادلة، فهل يبلغ مستوى الخيانة المضبوطة فقط من الأزواج ٨٠٪ إلا مع متزوجات وغير متزوجات..؟!

لكن الغريب هنا هو أن هذه الغيرة لا تكون قبل الزواج - غالباً -، إنما الغيرة تكون عندكم أيام العشق... العشيق يغار أشد الغيرة على عشيقته، كما نرى ذلك في الواقع وفي الأفلام السينمائية، فإذا تزوج أسقط من الغيرة ما أسقط..!

ولذا أصبح من أعظم المنكرات عندكم هو أن يتزوج الرجل بزوجة أخرى شرعية علنية! حتى لو

كان فيه حفظ الزواج، وحفظ حقوق الزوجين، وحفظ النسل والمال، بينما ترضى الزوجة أن يتخذ زوجها عشيقة بشرط أن لا تصبح له زوجة!

فما الفارق بين الاثنين..؟!

إن الفارق هو الشرعية، فما له صفة شرعية وهو موافق للعقل والغيرة فهو عندكم ممنوع، والآخر مسموح، مرغوب فيه..!

**أما ما ذكرتيه يا «دكتوره آن» من استحالة عبور الشاب خندق المراهقة** المستعر بالشهوات فإن هذا صحيح - في الغالب - عندكم بحكم أن المجتمع كله مستعر بالشهوات، فالشارع يثير الشهوة، والإعلام مثير للشهوة، والمدرسة والكلية والمعهد كلها مثيرة للشهوات.. والأكبر من هذا أن النظام يحمي الشهوة ويحرس أصحابها والشاب والشابة جزء من هذه المنظومة المستعرة.. **وهنا تأتي عظمة المبدأ** الذي يقْدر على حماية الشاب والشابة من عبور هذا الخندق

دون أن يسقطا أو تمسهما نار الشهوة..

**وتأتي عظمة** المبدإ والنظام الذي إذا سقط أحد أتباعه لم يضغط على رأسه ليرتكس أكثر وأكثر.. إنما ينتشله ويعالجه حتى لا يعود ثانية، وإن عاد ثالثة انتشله وهكذا، فهو كالأم مع ولدها لا تملُّ من إصلاح أخطائه مهما تكررت..

**وسر عظمة** هذا المبدأ أنه جعل العقل والعاطفة يقفان حارسين من وقوع صاحبهما في أخطر مراحل حياته حتى يعبر تلك المرحلة..

**إنه** المبدأ الذي يجعل من الإنسان نفسه حارساً على نفسه، غير محتاج لعقاب قانون خارج عنه.

وأنا لا أدري متى أصبح منطق «أن القبلة تطفئ الشهوة» منطقاً واقعياً..! أو أن «الزنا مرة واحدة يطفئ الشهوة إلى الأبد» منطقاً صحيحاً..!

اللَّهم إلا إذا قلنا أن مزيد الوقود يطفئ النار المشتعلة..!

وأخيراً دعيني أذكر لك نِسَباً تكشف الحقيقة

المُغنِّيَة عندكم . .

يا دكتورة لا تتصوري أبداً أن مجتمعاتكم طمست وأنها تطلب المزيد من السعار، وتطلب هتك كل حرمة، وتحريم كل غيرة . . بينما ليست هذهِ كل الحقيقة فثم وجه آخر للحقيقة.

فلقد أجرت [C.N.N][1] استفتاءً يظهر رأي المجتمع الغربي الحقيقي، فقد كان السؤال:

هل الجنس يعتبر أخلاقياً خطأً . . ؟!

| ت | النــــوع | عــام ١٩٧٧ | الآن |
|---|---|---|---|
| ١ | جنس للمتزوجين | ٪٨٦ | ٪٧٦ |
| ٢ | البغاء | ٪٧٩ | ٪٦١ |
| ٣ | جنس المراهقين | ٪٧٢ | ٪٦٣ |
| ٤ | الصور الخليعة | ٪٦٣ | – |



إيزابيلا: كلام منطقي، ولكن ألا ترين معي يا

(١) المصدر: www.cnn.com/allpolitics/1998/08/20/ adultery.poiv

[أم حامد] أن من عجائب غيرتكم أن المرأة عندكم تغار من زواج الرجل بزوجة أخرىٰ عليها، مع أنها تعترف بأنه أمر مشروع لديكم، وكثيراً ما سببت هذه الغيرة مشاكل في الأسرة الأصلية وفي الأسرة الجديدة؟!

بينما الأمر في اتخاذ الخليلات لا يسبب أية غيرة، ولا يثير أية مشاكل، كما أنه في المقابل يشبع الشهوة. .

فإذا ما أفرط أحدهم في ذلك فالعيب يعود له ولا يعود للنظام. . !

«**أم حامد**»: غيرة الزوجة أن يتزوج عليها الرجل بأخرى غيرة طبيعية في المرأة، كما هي في التملك ونحوه، ولكن الفارق بيننا وبينكم أننا وإن كرهنا ذلك غيرة لا يمكن أن نجعله في مقام اتخاذ الخليلات بتاتاً! فإن اتخاذ الخليلات لا يفعله عندنا إلا الشاذون من أفراد المجتمع، وكل المجتمع ينكره وينكر على أصحابه، ومن يفعله

يفعله خِلْسةً أو في سفر أو نحوه..

بينما اتخاذ الخليلات عندكم أصبح واقعاً كالزواج، يعرفه المجتمع ولا ينكره، بل تعرفه الزوجة ولا تنكره، وكيف تنكره وهي تعلم أن أختها اتخذت خليلًا وأن ابنتها تتخذ الآن خليلًا، بل هي نفسها قد اتخذت خليلًا قبل الزواج، وربما كان غير زوجها هذا، وربما كان أكثر من واحد!

إذ كم تُعابُ البنتُ عندكم إن بقيت بكارتها سالمة حتى سن الخامسة والعشرين..؟!

وذاك الذي اتخذ خليلة ربما مرَّ على غيرها وغيرها وهكذا.... فهل **العقل** يجيز هذه الغيرة؟ وهل بقي هنا من غيرة؟

أليس عقلي كامرأة يرجح لي أن أختار لنفسي ولمجتمعي نظام الطهارة، وأختار لزوجي امرأة لها ما لي من الحقوق، وعليها ما عليّ من الواجبات..؟!

أنا لا أدري: كيف يمكن للزوجة أن ترضى

بخليلات لا حصر لهن، أو يرضى الزوج لزوجته أو الأب لابنته بخِلّانٍ لا حصر لهم، أو حتى بخليل واحد..؟!

هل أرضى أن أعاشر زوجاً ربما واقع امرأة «متأيدزة»[١] وهو لا يدري لينقل لي بعدها هذا الفيروس، أم أختار له أو يختار هو بنفسه امرأة طاهرة نظيفة..؟!

أيُّ الغيرتين لمصلحتي..؟!

لماذا لا أُهذّب غيرتي هنا نحو هذه المرأة الطاهرة العلنية الشرعية لأَقْبلها معي في بيتي وفي حياتي، كما يقبل الشريك شريكاً جديداً في شركته، وكما يقبل الأخ أخاً وأختاً له في الإرث وهكذا..

هل العقل أن لا أغار نحو مجاميع النساء بغير عدد ولا حصر، وأن يفعل زوجي معهن ما يشاء، ثم أغار أشدَّ الغَيْرَةِ من زواج معلن محفوظ الحقوق..؟!

(١) أي مصابةٌ بمرض الإيدز.

مبادرة من الزوجات

«أبو حامد»: يحدثني صديق لي اسمه «علي» يقول: أَدركَتْ زوجتي وزوجةُ أخي «محمد» أننا سوف نتزوج بغيرهما، فبادرا بنفسيهما إلى بنات عَمِّنَا وعَرَضْنَا عليهما الزوِاج مِنَّا ثم أخبرانا بما فعلا لنا، وقالا: ما رأيكما...؟ فبادرْنا بالموافقة، وحقيقة قد كنا نحب الزواج بهاتين البنتين، وذهبت زوجتانا وأعدتا كل شيء، واتفقتا مع صالة أعراس، وعَمِلتا لنا حفلًا مشهوداً..!

أيمكن أن تتصوروا رجاحة عقل مثل هاتين الزوجتين..؟!

لكنهن حين سُئلتا عن السر في هذا قالتا:

نحن نحب زوجينا، ولكننا أدركنا أن زوجينا سوف يتزوجان علينا شئنا أم أبينا.. وإن لم يتزوجا فَسَدا في البلاد وفي خارجها وراء العاهرات وبنات الشوارع، فأي الأمرين خير لنا: هل نزوجهما ممن نعرف من مستوانا، أَم يتزوجان بنفسيهما، وربما وقعا في وضيعتين تستبدان بهما

علينا، وتسرقان منا بخبثهما زوجينا الحبيبين؟!

هل نزوجهما امرأتين نظيفتين أو نتركهما يعاشران (متأيدزات) وما أكثرهن في الشوارع.؟!

إنَّ ترْك الزوج في مثل هذه الحالة إنما يعني المجازفة بنفسي، وبأولادي من بعدي، وربما يكون الثمن السعادة!

كم من مؤسسة هي ملك شخصي لفرد معين يخير المرء بين أن يخسرها كاملة أو يدخل معه شريكاً فيها فلا يكون أمامه إلا أن يختار بقاء شركته وتبقى شركته تكبر وتقوى وتعود أحسن مما كانت، ولكن الأهم هو أن أختار بنفسي شريك المؤسسة المنقذ لها، ثم هؤلاء بنات أعمامنا، وهن خير من يحمي أولادنا.. في حياتنا وبعد مماتنا، كما أن هؤلاء البنات أحق بالإنقاذ من العنوسة أو الضياع، هؤلاء يزرننا دائماً فَلِمَ لا نجعلهن يقمن عندنا..؟

وماذا يعني إذا بات الزوج في غرفة بجوار

غرفتي ليلةً على الشرع والشرف، لذلك فأنا أشترط عليه أن يُسْكن زوجته الجديدة في نفس البيت..

**إيزابيلا:** هذه واللّه وإن كانت مقنعة فهي من العجائب..!

**لكن دعنا نعود لسؤالنا: الغيرة من القُبْلة..! حتى القبلة..؟!**

حتى المصافحة!

«**أم حامد**»: نعم، بل حتى مصافحته النساء أو مصافحةِ النساء له، وهذا في الحقيقة في مصلحتى قبل مصلحته... فأنا أشعر أنني أمانة عنده، وأنه كما كان يحافظ عليّ يوم كنا مخطوبين، فإنني أريده أن يحافظ عليّ اليوم أكثر وأكثر، فالعشق الحقيقي قد ابتدأ بعد الزواج، لأن الوفاء الأكبر لي بعد الزواج، وليس من العقل أن يكون وفياً لي قبل أن يجمعنا سقف واحد، ثم لما اجتمعنا تحته كزوجين يخونني..!

يا أختي إيزابيلا: ما القاسم المشترك بين حارس ائتمنتيه على (يورو) فسرقه، وآخر على

ألف فسرقه، وثالث على مليون فسرقه..؟!

إيزابيلا: القاسم المشترك هو اتصاف الجميع بصفة واحدة مشتركة وهي صفة «الخيانة».

لكن الأول خائن صغير والثاني خائن وسط والثالث خائن كبير، والذي سرق واكتفى (باليورو) لم يكتف به لقناعته، وإنما لأنه لم يجد غيره، فإنّ من جازف بسمعته من أجل (يورو) سوف يكون أكثر إقداماً على الألف لأنه يستحق مجازفة أكبر لكن من سرق الألف ربما لا يجازف بسمعته من أجل يورو.

فمن قبَّل امرأة غير زوجته ممن يجوز له الزواج بها فقد كانت خيانته لزوجته مثل (اليورو)، ومن زاد في الاحتضان وغيره كان مثل الثاني، وهكذا صاحب الألف.

إن نسبةً ليست بالقليلة يمثلها أولئك الذين تُثيرهم المصافحة نحو المزيد من المضي في طريق الشهوة كما مرت معنا الإحصائية التي

أجرتها الـ (C.N.N). ولا ينبغي الخلط هنا بين مَنْ تثيره المصافحة ومَنْ لا تثيره..! بين كون الشهوة تثيرنا نحن أو لا تثيرنا..!

فإن المثيرات نسبية، فرجل أو امرأة تثيرهما المصافحة، وآخران تثيرهما القبلة، وآخران يثيرهما العناق، وآخران المخالعة، وآخران لم يعد يثيرهما شيء..! لكن يبقى أن من الناس مَنْ تثيره المصافحة..!

أليس من المنطق إغلاق بابٍ قد وقع في خطره أناس من قبل..؟!

ثم ماذا يضر المرأة إذا لم تصافح رجلًا يباح له الزواج منها؟ ولماذا يحسب هذا الأمر في صف تخوين الرجل أو تخوين المرأة..؟!

قضية صغيرة

ومع هذا فأنا أقول إن هذه ليست من القضايا الأساسية في ديننا إنما هي قضية فرعية صغيرة، لولا أنكم عرضتموها للبحث لما تعرضنا لها... لا لشيء إلا من باب الأولويات.

حتى القبلة

دكتورة آن: أعود وأقول: يا أم حامد حتى في القبلة..؟!!!

«أم حامد»: سوف أذكر لَكُنَّ - يا صُوَيْحِبَاتِي - لماذا..؟!

إن وسائل تحقق الشهوة تكون بخطوات متدرجة، فاللمسة خطوة، والقبلة خطوة أحط منها، والضم خطوة أحط، والتخالع خطوة أحط، والزنا هو النهاية.. فما يُؤْمنني كزوجة لهذا الرجل أن ينفلت زوجي مع امرأة بقبلة ساخنة تذهب بقلبه؟

أليس هذا واقعاً؟

أليست هي القنوات الطبيعية المؤدية لهذه النتيجة.

وهكذا فإن الحقيقة أن زوجي كذلك لا يأمن عليّ أن أجد إنساناً ألذَّ وأشبَّ وأقوى منه، يجذب قلبي ويفتح بابه بمفتاح القُبْلة.. أليس هذا واقعاً؟

والمثل يقول: «الجديد حبه شديد»، وكل واحدة غيري جديدة بالنسبة له، وهو جديد

بالنسبة لها. . فهل القبلة مجازفة بين جديدين أم لا. .؟! الجواب: نعم. إنها بداية طريق المجازفة، وإن كَتَمْتُ المشاعر المصاحبة للقبلة، لكنها تبقى قبلة، وكما أنّ زوجي مؤتمن عليّ فأنا مؤتمنة على نفسي كذلك، فكيف أَخُونه في قُبْلة؟ وأنا في مقابل ذلك يسعدني أكبر سعادة أن أجد مَنْ يغار عليّ ويحرص عليّ ويحافظ عليّ. . . وإلا هل يستوي هو ومن يفرّط في زوجته. .؟

لو كانت دابّة أو كلبة لفرّقتْ ما بين راع يرعاها ويحميها، وآخر يسيّبها!!

قبلة وردة

وفلسفتي في هذا: أنني عند نفسي مثل الوردة الفواحة في حديقة المنزل الخاص، وأن مركز هذه الوردة المُزْهرِ هو وَجْنَتاي. . .

نعم: يستطيع المار أن يَشُمَّ شذاها الفواح من بعيد أمّا أن يقترب فإن واجب صاحب المنزل أن يمنعه حتى من لَمْسها وإلا زوت وزْدتُه، وربما أعجب أحد المارة برائحتها فاقتطفها فحينها لو

خرج صاحب المنزل وأدركه وأخذ وردته فإنها لن تعود سليمة كما أخذت، حتى لو أعيدت إلى موضعها في شجرتها فإن الشجرة لن تقبلها، إنّ حساسيتي بالشرف والغيرة أكبر من حساسية هذه الوردة. . . !

**أبو حامد:** ثم كلنا يعلم أن أكثر النساء جمالاً هن أكثر جاذبية للرجال، كهذه الوردة تماماً، ومن ثم فرغبة الرجال فيهن أشد، ولذا فهن أكثر وقوعاً في الزنا، وبالتالي فهن أخطر النساء على النساء. . أتدرين لماذا. .؟ لأنهن أكثر حملًا للأمراض!

إنهن أشبه بسيارات النفايات الجميلة، إلا أنْ يكنَّ محتشمات الأخلاق مثلكن. .

أليس هذا هو منطق الواقع. .؟!

من حقك أن تنظر في كل إحصائيات الجنس والأمراض الجنسية وتحدد أسبابها، لكنك لا بد أن تضع في النسبة المئوية للقبلة رقماً معيناً

كمقدمة للوقوع في الزنا، وكسبب في كل مرض من هذهِ الأمراض دون استثناء.

فمن يستطيع أن يقول: إن القبلة لم تكن مرحلة من مراحل هذهِ الجرائم والأمراض؟

ومن يستطيع أن يقول: إننا لو أغلقنا أبواب المصافحة والقبلة لم نغلق باباً كبيراً من الزنا؟

هذا من جهة، ومن جهة عقلية أخرى فإنني قد سألتكن عن شعوركن بالشهوة أثناء القبلة هل تشعرن بها أو لا تشعرن..؟

فإن قلتن لا ليس فيها شهوة، إنها مجرد قبلة، مجرد التقاء شفتين بعضهما ببعض، أو التقاء شفة بخد، فهذا - على افتراض صحته - دليل انتزاع مقصود القبلة الأساس من الرجال للنساء الأجنبيات عنهن، وإذا فَقَدت القبلة مقصودها وروحها من النساء فَلِمَ لا تفقد زوجتي شهوتها معي؟

إن الشهوة ما نزعت من القبلة كظاهرة صحية

إنما كظاهرة مرضية، لقد جعلتم بزعمكم هذا أنه لا فارق ما بين الفاكهة الطبيعية والفاكهة الاصطناعية، لأن اسم كل واحدٍ منها فاكهة!

**إن القبلة رسالة تحمل في طياتها معاني متنوعة، فما ترى المعاني التي تحملها تلك القبلة منك نحو تلك المرأة والعكس..؟!**

**إنها رسالة**، فما تفسيرك لهذه الرسالة تحديداً إذا التقت شفتان ذَكَريتان بشفتين أنثويتين ليس بينهما عقد زواج ولا هما محرمتان على بعضهما..؟

إيزابيلا: إنها لا تحمل إلا معاني المودة والصداقة ونظافة القلب وربما الشهوة أحياناً.

إن من المثالية غير المقبولة أن تمنع القبلة ما بين الذكور والإناث أياً كانوا..!

فهما لا يُقبّلان بعضهما إلا راضيين، ثم إنها تعبيرٌ عن السلام، إذ السلام درجات، فأول درجاته السلام باللسان، وثانيها السلام

بالمصافحة، وثالثها السلام بالقبلة، ومن أين لنا هذا التقسيم للمراتب وأنها ستسلك هذا التدرج؟ وأنها ستقف عند هذا المنتهى؟! فإذا حذفنا السلام بالقبلة فكأننا حذفنا أعلى درجات السلام.. أنا لا أشعر بهذا الذي تقولونه وأظن جميع النساء عندنا لا يشعرن بهذا.. بل ولا الرجال.

**أبو حامد**: عَدِّدي ما شئت من المعاني لكن لا تتجنبي المعنى الأساس لرسالة القبلة من الشفتين الذكريتين للشفتين الأنثويتين الأجنبيتين والعكس، إنه العنوان الأول لكل المعاني، إنه معنى الشهوة.

الدليل على هذا أن القبلات أنواع، وتفسير كل نوع من القبلات يعود للعقل، والعقل يعيدها إلى موقع الشخص المقابل منك..

فهل من **المعقول** أن يفسر العقل قبلة الصغير بالرحمة، وقبلة الولد بالعاطفة، وقبلة الرجل للرجل والمرأة للمرأة بالصداقة، وتبقى قبلة

الرجل للمرأة بغير تفسير، أو بغير معنى..؟!

هل يمكن أن ننكر كون القبلة ليست سبباً من أسباب إثارة الشهوة بناءً على أن البعض لا تثيرهم القبلة.

يا إيزابيلا! أجيبيني بصدق: ما أول حركة في طريق الشهوة الجدية يفعلها الرجل مع المرأة وتفعلها المرأة مع الرجل. أليست القبلة هي الرسالة الجدية وربما الرسالة الأخيرة قبل جماع الرجل زوجته أو وقوعه في الزنا مع غيرها؟ حتى البهائم فإنها لابد أن تستخدم فمها ووجهها ونحو ذلك قبل اللقاح فيما بينها... فهل يمكن لأحد بعد هذا أن ينكر كون القبلة سبباً من أسباب الزنا ومقدمة من مقدماته؟

يا إيزابيلا! هل يصح أن نقول إن الخمرة ليست مسكرة بدليل أن رجالًا لا يسكرهم نصف كأس من الخمر مثلًا! أهذا منطق مقبول؟

كذلك القبلة.

الحليب في القدر

يا إيزابيلا! هل من حقك أن تنكري وجود الحليب في القِدْرِ المغطى وهو ممتلئ بالحليب بحجة أنك لم تعودي تشمي رائحة الحليب، ولا ترين بخاره لا لشيء إلا لأنه حليب بارد؟

لكنكِ بمجرد أن توقدي تحته النار لدقائق إذا به يغلي وربما خرج بخاره، وخرج الحليب عن نطاق القِدْرِ، فما أكبر الشبه بين الشهوة والحليب؟

هبِ أنك جربتِ قبلة ثانية، وثالثة لشاب وسيم في مكان خلوة، ألا تبدأ الشهوة بالغليان ويبدأ الحليب بالفوران، وربما يجاوز حده حتى ينكفئ عن وعائه..!

أين كانت البداية الفعلية بعد استحسان النظر؟ ما هي قدحة الزناد التي أوقدت الفرن..؟

أليست هي القبلة...؟!

إذن فحين أصبحت القبلة مشاعاً بهذه الطريقة كان أعظم المتضررين هن الزوجات، إذ أصبحت الزوجة هي آخر من تثير زوجها، وتقبيلها أبعد ما

يكون عن إثارته! بل أصبح لا يمكن أن يأتيها إلا تحت تأثير مسكرات يفقد فيها عقله فلا يميز بينها وبين غيرها من النساء، أو تحت تأثير مقويات جنسية.

وأنا لا أدري كيف يمكن لامرأة أن تخاصم في قضية هي أُولى المتضررين منها..؟!

يجب أن نحكِّم **عقولنا**.

إن الضرر من التساهل في هذه الأبواب المشرَّعة على الزنا قد تعدى المتزوجات، وتعدى الناحية النفسية والأمانة وما إلى ذلك من معاني..

**يا إيزابيلا**: أنتم أهل عدل وعقل، فارجعوا وانظروا في النِّسَبِ التي أجرتها الـ(C.N.N)[1]، ثم احكموا..

وتفحصوا هذه الأرقام الجديدة المخيفة لأرقى المجتمعات تحضراً وتقنية: المجتمع الأمريكي،

---

(١) المصدر: www.cnn.com/allpolitics/1998/08/20/ adultery.poiv

وأذكرها كما نشرتها الـ (B.B.C) دون تدخل .

**الأمراض الجنسية مستشرية بين الفتيات الأمريكيات:**

خلصت دراسة أمريكية إلى أن فتاة من بين أربع في الولايات المتحدة مصابة بأحد الأمراض التي تنتقل عبر ممارسة الجنس .

واكتشفت الدراسة -التي أنجزتها المراكز الفيدرالية لمراقبة الأمراض والوقاية منها- أن معدلات الإصابة بهذا الصنف من الأمراض المعدية مرتفعة بشكل خاص لدى الفتيات السود .

واعتمد الخبراء على عينة بـ ٨٣٨ فتاة أمريكية تتراوح أعمارهن ما بين ١٤ و١٩ عاماً .

ووجدت الدراسة أن الفيروس المتسبب في سرطان الرحم (HPV) هو الأكثر انتشاراً إذ عثر عليه لدى ١٨ في المائة من الفتيات اللائي خضعن للدراسة .

**وقالت الهيئة التي أشرفت على الدراسة إنها**

المرة الأولى التي تخصص فيها دراسة لبحث الأمراض المعدية جنسياً لدى الفتيات المراهقات[١].

أي جيل من الأمهات ينتظره المجتمع..؟!

وأي جيل من الآباء..؟!

بل كيف سيكون الأبناء إذا كانت هذه أمهاتهم وهؤلاء آباءهم..؟!

**إيزابيلا**: يا «أم حامد»، اصدقينا - وأنا ما عهدتك إلا صادقة وصريحة منذ عرفتك في دبي - هل ترضين أن يتزوج عليك أبو حامد زوجة أخرى؟

**«أم حامد»**: سوف أجيبكم كامرأة **عاقلة**، إجابة لا علاقة لها بالحكم الديني الذي أؤمن إيماناً كاملًا بأنه حق.

---

(١) http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/sci-tech/newsid-7291000/7291126- stm

أنا لا أكتمكن بأن من غيرتي على زوجي أني أحبه لي وحدي، ولا أود أن يتزوج عليَّ بامرأة أخرى مع استسلامي للحكم الديني، لكنني - في المقابل - أشدِ غيرة على أن يتخذ زوجي خليلات!

الحقيقة الواقعية التي يشهد بها مجتمعكم ومجتمعنا وكل مجتمعات الدنيا أن الرجل غالباً إن لم يتزوج بأخرى بطريقة شرعية وقع في حب غير زوجته، وربما واقعها، والحقيقة الأخرى أن هذا الأمر لا يحدث مرة واحدة، وإنما يحدث مراراً وتكراراً.. والحقيقة الثالثة أن الزوجة عادة لا تستطيع منع زوجها من ذلك في كل وقت، والحقيقة الرابعة: أن المرأة يمكن أن تكتفي برجل واحد جنسياً أما الرجل فلا... أليس العقم - عادة - أكثر في المرأة منه في الرجل..؟!

فهل أكون بهذا المستوى من الأنانية حتى أوقع زوجي في مرض أو في أحضان من لا يستحق لأستبد به أنا صورياً وأدمره فعلياً؟

إن الخليلة الجديدة للزوج كالخليل الجديد للزوجة، فالمرأة التي تقبل بهذا لا بد أن تقبل بهذا..!

وإن الخليلة الجديدة ممزِّقة لأوصال الأسرة القديمة لأنها سرقةٌ لرب الأسرة، ولأنه لا ينبني على هذه العلاقة أية حقوق، ولا التزامات، ولا أبناء، ولا إرث، ولا شيء!

بينما الأصل المفترض في الزوجة الجديدة أن يكون فيها تكبير للأسرة، وزيادة في قوتها، وزيادة في عدد أبنائها، ثم إنها علاقة مشروعة ينبني عليها النسب للأولاد، والحقوق المالية، والإرث وما إلى ذلك..

إذن أليست كل امرأة من الخليلات تغار على خليلها إذا أتى بخليلة غيرها، وربما انتقم بعضهن منه..؟!

ومثل هذه الأَحداث نقرؤها كل يوم في الصحف، ومشاهدها تعرض في قاعات المحاكم... فلم نظرتم للغيرة حين منعت الحرام

وتغاضيتم عنها حين كانت بين الخليلات..؟

بالإضافة لكل سلبيات الخليلات من حيث الأمراض، والتشقيق، والضياع، وما إلى ذلك، فإن فيهن فوضى بكل معانيها، والزواج بثانية وثالثة ورابعة نظام بكل معانيه..

أرأيتِ هذه الأعداد الكبيرة من بنات المجتمع المبعثرة في الشوارع والملاهي والملاعب وفي كل مكان... كيف ستسلك في نظام محدد إذا انتقلت من الشوارع إلى بيت الزوجية سواء كانت الأولى أم الثانية أم الثالثة أم الرابعة حيث يتحولن من نساء سائبات إلى زوجات مربيات مسؤولات ومسؤول عنهن؟

أنا أعلم كامرأة ماذا يحصل لي ولأية امرأة إذا هي رأت زوجها مشتتاً بين الخليلات المتجددات، لكن، ماذا يمكن أن يحصل لها إذا تزوج ثانية مثلًا؟ إنها سوف تتأثر الليالي الأولى إذا بات خارج بيتها أو خارج غرفتها عند الزوجة الأخرى..

لكنها سرعان ما تُنظِّم حياتها وحياة أبنائها على ذلك، وأخيراً سوف ترضى.

وبهذا نعرف أن الغيرة الصحيحة موافقة للعقل الصحيح وأن انعدام الغيرة انعدام للعقل، وأن الإفراط في الغيرة نقص في العقل.

هذا من جهة، أما من جهة كوني لا أرضى بزواج ثانية معي وثالثة ورابعة... فإني إذا أنقصت من غيرتي إلى حد الاعتدال وأخرجت الأمر من فرن العاطفة إلى تبريد العقل وتلطيفه وجدت أن الأمر موافق للعقل تمام الموافقة، فإن أكبر أسباب الخطأ في صحة التقييم هو بناء معرفة الحق على ردة الفعل الأولى.

فإنَّ قَصْرَ النَّظَرِ على مَوْقِفٍ نَفْسِيٍّ أو نفسك دون اعتبار عموم المجتمع والبشرية قصور في العقل، ولابد أن يكون قصور، في النتيجة والتقييم، ذلك أن قضية تعدد الزوجات ليست قضية شخصية محضة، فإذا أردنا الوصول للحكم

الصحيح فيجب أن نتخلى عن أنانيتنا العاطفية أو عاطفتنا الأنانية كنساء..

لو تعاملتْ كل واحدة مع هذا المجتمع الذي تعيش فيه على أن المجتمع هو أسرتها الكبيرة، ونظرتْ إلى نفسها كعضو في هذا المجتمع أو هذه الأسرة الكبيرة، لرأت في أكثر الأحيان أن ذلك واجب عليها وعلى مثيلاتها!

نعم إلى هذه الدرجة!

يجب أن يعي الغرب أن القضية ليست قضية أسرة صغيرة فحسب.

من الخطأ أن أنظر للمجتمع نظرة ضيقة بحدود أسرتي، فإذا كانت أسرتي ناجحة عَدَدتُ المجتمع كله ناجحاً، وإذا كانت أسرتي فاشلة عددت المجتمع كله فاشلاً... كمن يرى العالم في الخارج ملوناً بلون نظارته!

إنها قضية في غاية الخطورة، ومن أعظم الأنانية أن يرضى الجيل توريث مصائبه للجيل

الذي بعده دون حلِّها وهو يقدر. والأسرة ترضى توريث أبنائها مصائب أنانيتها دون أن تشعر.

إن الموضوع لا يحل بالتفاؤل المجرّد، كما لا يحل بالعاطفة المجردة، فالأرقام مخيفة ومنذرة بانهيار كبير ومتحقق إن لم يتداركه الجيل الحاضر..

أرجوك: فكري بواقعية! فكري بلغة الأرقام.

أليس نسبة المواليد الإناث تفوق نسبة المواليد الذكور سواء في مجتمعنا هذا تحديداً أم على مستوى العالم عموماً.. كما أن الرجال أكثر عرضة للموت لتعرضهم لأسبابه أكثر؟ فماذا يصنع بهذه الزيادة من الإناث.. هل يحرقن، هل يقتلن عند الولادة كما يصنع الصينيون..؟!

أم يسيبن في الشوارع..؟!

أم علاجهن الإهمال؟!

أليس من حقهن تكوين أسرة، وأن يكنَّ أمهات، وجدّات مثل كل واحدة منا..؟!

أليس لكل واحدة منا بنات؟ هل تفضل كل واحدة منا لابنتها أن تعيش خليلة من قبل هذا وذاك حتى يفوت عليها قطار العمر وتترمل قَبْلَ أن تتزوج. . . ؟!

ما العلاج لمجتمعاتكم الأوروبية التي تتآكل بموت الكبار وقلة المواليد. . حتى غدت مهددة بعد عدة أعوام بالانقراض كما هو الحال في المجتمع الدانمركي والهولندي وغيرهما. . ؟!

ما الاستجابة الصحيحة لصرخات كثيرة، وكبيرة، ومتصاعدة لأعداد مخيفة من المطلقات الصغيرات وغير الصغيرات. . ؟!

هل بالإعراض عنهن والتصامم، أم بالاستماع لهن، أم بماذا. . ؟

أيهما أقوى للمجتمع: أن تكثر فيه الخليلات أم أن تكثر فيه الزوجات. . . ؟!

أيهما أنظف للمجتمع من الأمراض: أن تكثر فيه المعاشرات غير الشرعية أم تكثر فيه

الممارسات الشرعية. . ؟!

أيهما أسلم في تربية جيل المجتمع الناشئ: أن يتربى وهو يرى أبوين سويين، أم يرى أباه يعاشر غير أمه، وأمه تعاشر غير أبيه. . ؟!

وبأي تصنيف سوف يصنِّف الجيل الناشئ هذه المعاشرة. . ؟! وماذا يُسمي هذه المرأة، وماذا يسمي هذه الأم. . ؟!

وهل تُسمى هذه العلاقة في الأساس أسرة، أم ماذا. . ؟!

أي كلام سيفيد في تربية البنت في الأسرة إذا هدمته أمها بعملها. . ؟

أخبريني أي حصاد تحصده كل واحدة من بناتنا إذا كبرت بعدما استهلكها الشارع وزوى جمالها، ووهنت قواها، وأصبحت حبيسة بيتها رغماً عنها فلا زوج ولا بنت ولا ولد. . ؟!

**إيزابيلا**: لدي سؤالٌ ربما يكون محرجاً لك كما أظن ولكنه مطروح عندنا بقوة وكثرة ووراءه

إسناد في بعض البلاد ذلك السؤال هو: لماذا لا تتزوج المرأة برجلين بدل الواحد؟ ما الذي يمنع من ذلك؟ أنا بنفسي حضرت عرساً في الدينمارك دعاني له بعض الأصدقاء؛ بنت في الثلاثين من عمرها جالسة على كرسي الحفل وعن يمينها زوجها الدانمركي الأصل، وعن يسارها زوجها الدنماركي الجنسية الأفريقي الأصل.

فسألت عن اختصاص كل زوج، فقيل إن الزوج الدنماركي للتربية، والأفريقي للجماع!

أنانية المتطرة

أم حامد: فإن هذا ما لا أرضاه أنا لنفسي، ولا ترضاه أية واحدة منكن لنفسها... لماذا..؟!

لأنه يخالف حكم العقل والفطرة و يخالف كرامة المرأة.

وإذا جاز أن تتزوج المرأة برجلين، فلم لا يجوز لها أن تتزوج ثلاثة أزواج أو أربعة..؟!

وإذا علمنا أن سن اليأس في المرأة يبتدئ قبل الرجل إذا تزوجت برجل واحد، فماذا تراها

صانعة مع رجلين. .؟!

وإذا ولدت المرأة ولداً فلأي الرجلين يُنسب. .؟! وهل يبقى النسب معلقاً حتى يثبت بفحص الدم؟ وماذا إذا اشتبهت الأمور واستحال القطع؟

كيف إذا نسب لأحدهما ثم تبين أنه كان عقيماً. .؟!

وأيُّ يقينٍ في العلاقات الاجتماعية في المجتمع سيبقى إذا ذهب اليقين من نسبة الولد إلى أبيه. .؟!

ومن سيكون أعمامه، وأخواله وَرَحِمَه؟، ألا تزيد الدعاوى والمطالبات وخصوصاً إذا ابتنى عليها مكاسب مادية أو شهرة أو نحو ذلك. .؟!

وإذا مات أحد الرجلين فكيف سيقسم الميراث. .؟!

ومن سيرث الولدُ. .؟!

وهـل تـرى الـولـد يـمـكـن أن يـرث رجـلـيـن كأبوين. . ؟!

وكيف يمكن تنظيم غيرة أحد الرجلين من الآخر. . ؟!

ألا يكون هذا داعياً لصنع حزازات تتحول إلى أحقاد ثمّ انتقام؟

وإذا أمكن الزوج الواحد من السيطرة على غيرة النساء في العادة فهل تتمكن المرأة من إيقاف غيرة مجموع أزواجها بما أُوتوا من قوة وعنف وإجرام؟

وكيف ستَبْتز النساء المتحايلات هذا الزوج أو ذاك؟

ثم أنا أسأل: لم لا يجعل في السفينة ربانان وفي البلد حاكمان. . ولكل مجموعة أميران؟!

والجواب: لأن ذلك يخالف الواقع ونظام القيادة. .

وإذا كان للمرأة زوجان فلأي الرَّجُلين تكون القوامة..؟!

أم ستكون القوامة للمرأة على الرَّجلين..؟!

يبقى ما ذكر من قبل من أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال - إذا أخرجنا منه نسبة الصين -، وهو ما يجعل المسألة تزيد المستقبل تأزماً بدلًا من أن تحله.

**أم فيفا**: كلام (أم حامد) مقنع غاية الإقناع، وبالمناسبة فأنا بحكم عمري قد شاهدت العديد من الأسر المحافظة كمحافظة الأسرة المسلمة أو قريباً منها، كانت عندها الأعراض محمية، والمبادئ حية، وليس عندهم ما عندنا اليوم من تفسخ ودعارة وما إلى ذلك...

وأظن هذا هو النموذج الذي نريد أن نرجع إليه.. ومع أن المشكلة جد كبيرة كما تظهر الأرقام ذلك، ونحن واثقون بأن المسؤولين عن الدراسات الاجتماعية إنما هي مؤسسات في ذروة

العلم والتخصص وكذلك الاهتمام. . . ولكن لِمَ نجد الانهيار الاجتماعي في ازدياد. .؟!

أبو حامد: أشكر (أم فيفا) على إنصافها، وأنا أعلم أن الكثير من الفرنسيين والغربيين المطلعين أمثالكم معجبون جداً بالنظام الاجتماعي في البلاد الإسلامية. . . والكثيرون يحسبون أن محافظة بعض العوائل المحافظة عندكم يجعلها مثل المجتمع الإسلامي أو الأسرة المسلمة.

بودي أن أقول لكم بكل صراحة. . . إن السبب في هذا الذي ترونه من قوةٍ في النظام الاجتماعي في البلاد المسلمة رغم تخلف النظام السياسي والنظام الاقتصادي وما إلى ذلك ليس هو دقة النظام الاجتماعي وشموليته وَحْدَه. . كلا. . !

والدليل أنكم لو أخذتم نفس النظام وطبقتموه عندكم ربما فشل فشلاً ذريعاً! نعم، النظام في ذروة الجودة، لكن الذي جعله نافذاً في المجتمع من غير افتراض على الناس، ولا متابعة سلطان، ولا غير ذلك هو ربط هذا النظام بالمعتقد الإسلامي. . . !

يا أم برفسور فيفا، .أنا لا أتحرج من مناقشة هذه القضية نقاشاً عقلياً لا عقدياً، ولا تَحْسَبينَ أن ربطي الزواج بالمعتقد الإسلامي فيه تخلٌ عن شرطنا بتحكيم العقل في الحوار.

ألا تعلمين يا «أم فيفا» أن عقد الزواج منذ القدم إلى يومنا هذا، وعند جميع الأمم يكتسي طابعاً تقديسياً معيناً بغض النظر عن صحة الطقوس التي تمارس من عدم صحتها؟

إذن، فربط المعتقد بالزواج أمرٌ أجمعت عليه الأمم. . . فلا ينبغي أن ننفر من ربطنا الزواج بالدين الإسلامي. . . أليس كذلك؟

هذه هي الخطوة العقلية الأولى. . . أما الخطوة الثانية. . . فبما أنكم شهدتم أن النظام الاجتماعي ناجح عندنا نجاحاً لا نظير له. . . فلتعلموا أن هذه شهادة منكم لديننا في نجاحه، - على الأقل في هذا الجانب بطريق مباشر صريح - وهي شهادة للجوانب الأخرى بطريق غير

مباشر. . . ذلك أنكم لو سألتمونا: من الذي شرَّع لنا هذا النظام الذي شهدتم له بالتكامل؟ لقلنا لكم: هو الذي وضع الأنظمة الأخرى، إنه بكل وضوح: اللَّه.

**الأستاذ فيفا:** إذا كان ما تقوله صحيحاً من أن سبب نجاحكم في هذا الجانب هو دينكم فلِمَ لَمْ يكن هذا النجاح في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو بقية الأنظمة الأخرى. . ؟

فلو كان النظام الاقتصادي الإسلامي ناجحاً فهل يمكن أن نرى دولكم بهذا المستوى من الضعف والتأخّر. . . بحيث أصبحت عبارة عن مستعمرات لدول العالم المتقدم، حتى لو لَم تُسمّ مستعمرات؟

أم أنك تريد أن تقول لي: إنكم أنتم الدول المتقدّمة ونحن دول العالم الثالث؟!

أليس نظامكم الاقتصادي من أسوأ الأنظمة؟

لقد أصبحت دولكم قصعة مليئة للرائح

والغادي. . .!

إذن لا تحاول أن تعمم نجاح النظام الأسري على الأنظمة الأخرى. .

أليست هذه أدلة **عقلية** قوتها فيما يسندها من الواقع الإسلامي؟

هل العادات والتقاليد سر نجاحنا؟

إن سبب نجاحكم في النظام الاجتماعي ليس الإسلام بل هو العادات والتقاليد. . وبالتالي فالإسلام هو السبب في تخلفكم في جميع المجالات الأخرى.

**أبو حامد**: أما كوننا أصبحنا قصعة للرائح والغادي فهذا لا يدل على فشل النظام الاقتصادي الإسلامي وإنما يدل على فشل النظام السياسي المكلف بحماية النظام الاقتصادي وغيره عندنا وعندكم وفي كل مكان، وأتمنى أن نفرغ وقتاً للحديث عن النظام الاقتصادي الإسلامي وباقي الأنظمة، ولكن دعنا الآن نتحدث في الجانب الاجتماعي لئلا نتشعب. .

البابا شنودة وما أدراك ما البابا شنودة هو رأس المسيحية في الشرق ورئيس الأقباط في مصر . . . قدم للحكومة المصرية هذه الورقة وإليك ما فيها: «بناء على طلب الكنيسة موافقة الأقباط حول حلِّ الشريعة الإسلامية لمشكلات العائلات المسيحية وأبرز المشكلات الخلع وسن الحضانة والزوج المفقود والمواريث لعدم وجود نص خاص بها في الإنجيل»(١).

فهل هذا اعتراف من مسلم أم من غير مسلم؟ وهل هو اعتراف بالعادات والتقاليد أم اعتراف بالإسلام . . ؟!

ثم هل القرآن وما روي عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - من العادات والتقاليد أم هما مصدر التشريع في الدين الإسلامي؟

(١) نقلًا من كتاب (القرآن يتكلم والإنجيل يثبت ما يقوله دين الحق) . . . وهذا القرار في مجلة روز اليوسف العدد (٣٨٥٠) ٩ : ١٥ المحرم ١٤٢٣ من ٢٣ : ٢٩ / ٢ / ٢٠٠٢م.

فإذا كان النظام الأسري موجوداً بتفاصيله الدقيقة في القرآن أحياناً وفي أحاديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -. . . فهل من الإنصاف أن تنسب الفضل لعاداتنا وتقاليدنا؟

ثم إن كل المجتمعات عندها عادات وتقاليد فلِم نجحت عندنا وفشلت عند غيرنا. . ؟!

ولِمَ لَمْ تنجح هذه العادات والتقاليد من قَبْلُ عند العرب قبل الإسلام. . ؟!

لو بحثتَ المسألة بحثاً عقلياً لعرفت أن ما ذكرته كان نتيجةً منطقية إذ إن السبب في نجاح المسلمين في النظام الاجتماعي الإسلامي على أرض الواقع مع تخلفهم في الأنظمة الأخرى إنما يعود إلى تطبيقها دون غيرها من الأنظمة!

فَمن المعلوم أن تطبيق النظام الاجتماعي موكول للمجتمع أفراداً وأسراً وأرحاماً، ولذا اجتهد الناس في تطبيقه، فظهرت نتائجه العجيبة منذ ذلك الحين إلى وقت ضعف المسلمين

سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

ولما أوكل تطبيق الأنظمة الأخرى للأنظمة السياسية وغيرها في الدول الإسلامية رأيتم النتيجة المخجلة... لا لشيء وإنما لعدم التطبيق أصلًا..

ودليل ذلك أن ترى بعض التجار المسلمين والمجاميع الإسلامية حين بدأت تطبيق بعض نظام المصارف الإسلامية كيف نجحت نجاحاً مبهراً وهي اليوم في انتشار كبير جداً..

فهل تدعو هذه النتيجة إلى ترك الأنظمة الإسلامية كلها أم تدعو إلى مزيد تطبيقها حتى نحقق نجاحاً أكبر من النجاح في النظام الاجتماعي..؟!

ماذا يقول العقل..؟!

**إن الميزة العظمى في أنظمتنا هي أنها تتصف بصفة الربانية** التي أعطت تلك الأحكام العملية الحياتية قدسية حقيقية عند التلقي وعند

التطبيق. . . وأعطت للعقل - في نفس الوقت - مجالًا رحباً للتفكير والاجتهاد والاستنتاج. . فالزواج من السهولة بحيث يقع بكلمة واحدة والطلاق بكلمة واحدة. .

سأذكر لك هنا نصوصاً قرآنية لا لنتعبد بها - هنا -. . لا، ولكن لنتأكد من الحقيقة، وهي أن سبب حفظ نظامنا الاجتماعي ليس هي العادات والتقاليد. .

ستعرف السر إذا قرأت القرآن وسترى الأحكام العملية الأسرية - مثلًا - مربوطة برباط العقيدة، بل أعظم شيء في العقيدة هو صفات اللَّه، انظر سريعاً في هذه الآيات الواردة في سورة البقرة ودقق النظر في ختام كل آية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢- ٢٢٣].

ويقول: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤١ - ٢٤٢] ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وهكذا ترتبط الأحكام في كل المجالات الحياتية الأخرى بهذا الرباط العظيم، فتأخذ الأحكام قوتها واحترامها ومهابتها من صفات اللَّه، كما تأخذ عمقها، وما فيها من غزارة الأحكام والمعاني عند البحث والاجتهاد، كما تثمر الإحسان عند التطبيق، اقرأ بعض الآيات التي حرم فيها الربا في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١].

لا تتجاوز العقل

**دكتورة كاترينا** «مقاطعة»: لقد اتفقنا أن لا تذكر شيئاً من الكتب المقدسة سواءً القرآن أو الإنجيل أو التوراة أو الزبور.. لذلك أنا أرى هذا إخلالًا بالشرط ومخالفاً للعقل.. أقول هذا للتنبيه.

**أبو حامد**: أنا أُخيِّرك بين أن أذكر شيئاً من الكتب المقدسة وبين أن لا أذكر... ولكن بودي قبل أن نقر طلبكِ هذا أو نتركه أن تعرفي جيداً لِمَ أذكر آيات من الكتب المقدسة؟.

أنا حينما أذكر آيات من الكتب المقدسة فإنما

أعرضها على العقل **ليحكم فيها هو**: هل هي موافقة للعقل أم معارضة له؟ كما نعرض كل شيء في هذا البحث على العقل... **هذا أولًا، أما ثانياً** فإنك حينما تقولين إن في عرض آيات القرآن مخالفة للعقل فهذا حكم سابق قبل الاستماع للدليل، ونحن قد اتفقنا أن لا نعتمد على أحكامنا المسبقة ولا نصدر أحكاماً مسبقة، ولعل هذا الاعتقاد نابع من أصل صحيح وهو مخالفة ما تعرفون من آيات كتبكم المقدسة المحرفة للعقل...

**أما ثالثاً**: أنا حينما أعطيك الآية فإنما أعطيك ما بإمكانك أن تحكمي عليَّ وتُدينينَني منه أو تبرئينني...

**أما رابعاً**: إن لازم قولي إن هذا حكم الإسلام أن تقول لي: وما دليله؟ وهذا من حقك، فإن تنازلت عن حقك فهذا شأنك، ولكن في المقابل

عليكِ أن تعلمي أن هذا يعني الاستسلام لما أقول، لكني لن أتنازل عن حقي وسوف أطالبك بدليل كل دعوى تدعيها في التوراة والإنجيل والزبور من نفس هذه الكتب، ومن حقك كذلك إذا ما ذكرتُ لك نقيصة عن النصرانية أن تطالبيني بدليلها ومن نفس كتبكم ومن العقل كذلك.

**أما خامساً**: فلك أن تتصوري سطحية نقاشٍ لا يعتمد الدليل إنما هو مجرد دعاوى، ودعيني أضرب لكِ مثالًا: فلو أنني قلت لكِ مثلًا: أرأيت هذه الحقيقة العلمية الجديدة والتي اكتشفت هذا العام، فقد ذَكَر القرآن هذه الحقيقة نفسها قبل ١٤٠٠ سنة..؟!

أليس من حقك أن تقول لي: أين ذكرها..؟! فأُصْبِحُ عندها مطالباً بالدليل..؟

ونفس الطلب سوف أطلبه منك إذا ذكرت شيئاً عن الإنجيل..

**د. كاترينا**: إن كان الأمر كذلك فلدي طلب

وشـرط، أمـا الـطـلب فـهـو أن تـرجـع إلـى حـيـث انتهيت، وأما الشرط فهو أن تذكرَ لي المزيد من الأدلة من القرآن، فإني لا أشك أبداً أني سوف أستخرج فيه من التناقضات الكثير الكثير..

والآن أرجـو أن تـعـود إلـى حيـث انتـهـيت... إلى تعقيبك على الآيات القرآنية التي تحدثت عن ربط الأحكام بالمعتقد.

هل هذا كلام نظري؟

أبو حامد: أنا أدرك أنك ربما فَكَّرت بأن هذا كلام نظري بينه وبين التطبيق كما بين السماء والأرض، وهنا أجد نفسي مضطراً لأثبت لك قابلية هذه الأمور للتطبيق، بل إنها طبقت من قبل ومن بعد، وأنَّ كل مَنْ يطبقها يقتدي عملياً بمحمد - عليه الصلاة والسلام - لأنه أحسن مَنْ طبقها..

فالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يجعل من العلاقات بين الزوجين أكبر مجال للعبادة فيقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

لأهله»[١] فخير الأمة كلها خيرهم لزوجته وأولاده وأسرته.. ومحمد - عليه الصلاة والسلام - هو القدوة وهو الأول... فهل من سباق في مضمار الخيرية أعظم من السباق في هذا المضمار؟!

الأمر ليس مجرد آيات تقرأ أو تنظر، لا.. فأنتِ تعجبين كذلك حين تنظرين في سيرة النبي - عليه الصلاة والسلام - وكيف حول هذا القول إلى عمل، وكيف كان قدوة واضحة لكل أحد في هذا المجال... لكن الذي أرجوه منكم جميعاً أن تلحظوا قيمة المرأة في الزمن الذي جاء النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فيه بهذه التعاليم، وكيف كان يطبقها في ذلك المجتمع.

وأؤكد مرة أخرى أنني أنبه إلى هذه الأحاديث عن النبي - عليه الصلاة والسلام - لأثبت مصداقيتي، ولتحاكموني لها فتحكموا لي أو

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني انظر صحيح الترمذي..

عليّ . . فأرجو أن تتأملوها جيداً . .

فهذه زوج النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - تروي هذه القصة عنه واسمها عائشة فتقول: دخل الحبشةُ المسجد يلعبون، فقال لي: يا حميراء، أَتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم، فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خدّه، قالت: ومن قولهم يومئذٍ: أبا القاسم طيّباً، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: حسبكِ؟ فقلت: يا رسول اللَّه لا تعجل، فقام لي، ثم قال: حسبكِ؟ فقلت: لا تعجل يا رسول اللَّه، قالت: ومالي حُبُّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكاني منه[1].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٥١) وصححه الحافظ في الفتح (٢/٤٤٤) ، وقال: «إسناده صحيح ولم أر في حديث ذكر الحميراء إلا في هذا» وللشيخين معناه، وانظر السلسلة الصحيحة (٣٢٧٧) .

تصوري منظر النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ومنظر زوجته عائشة، وقد وضعت ذقنها من ورائه على عاتقه، وهؤلاء الأحابيش يستعرضون مهاراتهم الحربية مع رقصة خاصة بهم في المسجد... ثم هو يصبر حتى تكتفي..

كما تروي عائشة نفسها عن معاملته لها حينما صحبته في أَحد أسفاره فتقول: كنت مع النبي - عليه الصلاة والسلام - في سفر، قالت: فسابقتُهُ فسبقتُهُ على رِجْلي، فلمّا حملتُ اللحم سابقتُهُ فسبقني، فقال: «هذه بتلك السبقة»(١).

تأملي هذه المسابقة التي ترويها زوجته... تأمليها وأنتِ ترين واقعية النبوة، وتفاهم الزوجية، ومحافظته على لياقته البدنية، فهي في صغرها سبقته، وفي كبره سبقها.

وبينما كانت بعض الأديان تعتزل الحائض لأنها

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٧٨) وهذا لفظه، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

نجسة - كما يقولون - تقول عنه عائشة: «كُنتُ أشرب وأنا حائض. ثمّ أُناوِلُهُ النبي - عليه الصلاة والسلام - فيضع فاهُ على موضع فيّ، فيشرب، وأتعرّق العرق[١] وأنا حائض. ثمّ أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ»[٢].

ويقول عنه زوج ابنته: عثُمان بن عفّان - رضي الله عنه - في خُطبةٍ لهُ، «إنّا واللّهِ قدْ صَحِبْنا رَسول اللّهِ - عليه الصلاة والسلام - في السّفرِ وَالحَضَرِ، وكان يعودُ مَرْضانا ويتّبع جنائِزنا، ويَغْزو معنا، ويواسينا بالقليلِ والكثيرِ»[٣].

ويأتي رجل بعد موت النبي - عليه الصلاة والسلام - فيسأل زوجه عائشة فيقول: هَلْ كان رسولُ اللّه - عليه الصلاة والسلام - يَعْمَلُ في

---

(١) وهو العظم الذي عليه بقية من اللحم.
(٢) رواه مسلم (٣٠٠) وغيره. .
(٣) رواه أحمد في مسنده (١/٥٣٢) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

بيتِهِ؟ قالتْ: نَعَمْ كانَ رَسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - يَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَخيطُ ثوبَهُ ويَعملُ في بيتِهِ كما يعملُ أحدكُمْ في بَيْتِهِ[1].

وهذا أحد أصحابه واسمه عقبة يروي عن النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول: «أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج»[2].

أنا أؤكد لكِ أنكِ لا يمكن أن تتصوري إطلاقاً قوة الترابط الأسري في الأسرة المسلمة ما لم تتصوري كيف كانت الأسرة العربية قبل الإسلام. . . وكيف تحولت بعده؟

متى تعشرين على السر؟

ولا يمكنك أن تتصوري إطلاقاً قوة الترابط في الأسرة المسلمة ما لم تقارنيها بجميع الأسر في العالم وتغوصي بحثاً وراء سر هذا الترابط.

ولا يمكنك أن تصلي إلى سر ذلك الترابط ما

---

(١) رواه ابن حبان (٦٤٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٤١٨).

لم تتفحصي القرآن نفسه وأحاديث النبي ﷺ الواردة في نظام الأسرة. . .

إنكما يوم تكونان ركني الأسرة المسلمة أقصد الأب والأم فسوف تعيشان هذا الكلام واقعاً، سترون أولادكما وكيف يتسابقون في بركما، كلٌ بما يقدر عليه، والحاظوظ عندهم من يسبق إلى تنفيذ أمركما. . . بل الحاظوظ من يكتشف محبتكما لشيء قبل أن تتكلما به، فيقدمه لكما قبل إخوانه وأخواته. . . أمنية كل واحد منهم أن تَقْبلا منه شيئاً يقدمه لكما.

هم لا يفعلون هذا لمجرد أنكما سبب وجودهم أو لأنك أبوهم أو أمهم. . .لا!

فلو كان الأمر كذلك فكل الناس من غير المسلمين عندهم آباء وأمهات. . . لكن السر هو رَبْطه بالعقيدة فأصبح المسلمون يفعلون ذلك طلباً لرضوان اللَّه، «لأن النبي محمداً - عليه الصلاة

والسلام - أخبرهم أن رضوان اللّه من رضوان الأم والأب»، فكيف ترى الأولاد سوف يبرون آبائهم؟

إنه توازن عجيب. . . فكل طرف يشعر باللّذة في أداء مهمته، فأنت تعمل بهذا متلذذاً يوم كنت ولداً، فإذا أصبحت أباً تلتذ بتربية ولدك أعظم تلذذ، وهكذا الخادم في البيت المسلم.

وأنا أؤكد لك أن هذه ليست أحكاماً نظرية مثالية، بل هي أحكام عملية قد طبقت على أكمل وجه، وكثير منها مطبق في الأسر المسلمة، وهي قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، وما تراه من تطبيقات في الأسر المسلمة اليوم إنما هو بعض آثار هذه الآيات والأحاديث. .

فانظر فيها بعين عقلك. .

فهذا أبو هريرة - رجل مِنْ أَشْهر من روى عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يروي عن النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول: «إذا أتى

أحدكم خادمه بطعامه فقد كفاه علاجه ودخانه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حرّه[١] وعلاجه»[٢].

وعن أنس - وقد خدم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - عشر سنين إلى أن مات - يقول: «إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم، لم يؤاكلوهن ولم يجامعوهن في البيوت[٣]. فسأل أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -:

(١) أي تولى حر النار في طبخه وعلاجه.
(٢) رواه البخاري (٢٤١٨) ومسلم (١٦٦٣) وغيرهما.
(٣) أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهم في بيت واحد.

«اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول اللَّه، إن اليهود تقول: كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - حتى ظننا أنْ قد وجد عليهما[١]. فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فأرسل في آثارهما فسقاهما. فعرفنا أن لم يجد عليهما»[٢].

ومن آثار الغيرة وعلاجه الفوري لها ما حدث بين زوجات النبي - عليه الصلاة والسلام - حين عابت إحدى زوجاته واسمها حفصة زوجته الأخرى اليهودية الأصل، فماذا كان منه. يقول أنس بن مالك - وهو خادمه كما ذكرت -: بَلَغَ صفية أن حفصة - وهي عربية الأصل بل هي ابنة

---

(١) أي غضب عليهما.
(٢) رواه مسلم (٣٠٢).

عمر بن الخطاب صاحبه الثاني -، قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي - عليه الصلاة والسلام - وهي تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: قالت لي حفصة: أَني بنتُ يهودي. فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «إنك لابنة نبيّ، وإن عمّك لنبيّ، وإنك لتحت نبيّ، ففيم تفخر عليك؟» . ثم قال: «اتقي اللّه يا حفصة»(١).

بل إن قيمة المرأة تعدت الأسرة إلى أن تكون مستشارة في أصعب الأمور، ويأخذ رأيها في القضايا المصيرية، كما أخذ النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - برأي زوجه أم سلمة في مشكلة كادت تصبح مصيبة كبيرة، كما جاء ذكر قيادة بلقيس - في القرآن - وهي حاكمة اليمن لقومها في مرحلة صعبة ثم اتخاذها قرار الهداية.

**دكتور جون لوي:** لا تحاول - يا أبا حامد -

---

(١) رواه أحمد (١٣٥/٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أين مقرّ المرأة؟

ردم الفجوة ما بيننا وبينكم، إن الخلاف حول المرأة عميق الجذور، إنه خلاف في الرؤية وليس في الرأي! كيف يمكن أن نقبل بدين لا يساوي بين الرجل والمرأة..؟!

نعم، ربما يكون دينكم مثالياً للمرأة يوم كانت مظلومة تعامل كالسلعة تُباع وتشترى، وتستعبد وتعتق.. أما الآن فلا..

أنتم كمسلمين مازلتم تقولون إن بيت المرأة هو مقرها.. لا ينبغي أن تعمل..! أليس عندكم في هذا آيات من قرآنكم تقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟!

إن سبب عدم تطور مجتمعاتكم هو تعطيلكم نصف المجتمع عن العمل، وعن المشاركة في بناء دولكم..

لذا فأنا أسدي لكم نصيحة وسترون ثمارها: فكوا القيود عن المرأة وسترون كيف تنهض

مجتمعاتكم، لكنكم لن تستطيعوا أن تفكوا القيود عنها ما لَمْ تتخلوا عن دينكم ولو من هذه الناحية..!

احتمال خطئكم

أبو حامد: أرجوكم إذا قدَّمتم الاعتراض أن تجعلوا في أذهانكم مساحة ولو صغرت جداً لاحتمال أن لا يكون الصواب كله معكم... أرجوكم احكموا على الإسلام من داخله كما هو، لا كما صوّره لكم البعض ظلماً وعدواناً، فأنتم لا ترضون الظلم..

أرجوكم اسألوا المرأة الملتزمة بالإسلام، سلوها أهي مكرهة..؟!

هل تشعر بسلب حقوقها كامرأة في الإسلام..؟!

هل تتمنى أن تكون مثل المرأة الغربية..؟!

إن المرأة الملتزمة هي الأقدر على الحكم الصحيح لأنها الأعرف، أما أن تسأل امرأة غير

ملتزمة فإنها غير قادرة على الحكم لأنها ربما لا تعرفه..

فكيف يمكنكم أن تحكموا - أنتم - على الإسلام..؟!

أقول هذا كمقدمة على اعتراضكم.

**يا دكتور جون لوي**: إن أساس المشكلة في الأذهان وليست في الواقع حيث صوّر لكم البعض وصدقتموه بأن ثمة صراعاً ما بين المرأة والرجل! وأن المنتصر طول الفترة الزمنية السابقة كان الرجل! وأن المرأة طوال التاريخ هي مستعمرة..! وأن عليها الآن أن تحرر نفسها..! وأن علينا أن نساعدها في فك قيودها.

المساواة أم العدالة؟

نحن لا ندافع عن الركام التاريخي الثقيل الظالم الذي تحملته المرأة، إنما ندافع عن الحقيقة، فهل الإسلام كان جزءاً من الركام التاريخي الهائل على المرأة، أم أنه رفع عنها ذلك

الرُّكام، وحررها كما حرر الرجل من السلطات المطلقة للسلاطين، كما حرر الأرِقَّاء من سلطان السادة المطلق، كما حرَّر عامة الناس من سلطان رجال الدين المطلق.

كما حرر الأموال من أحكام التوارث المطلق، وحرر الناس من أحكام الأقوياء المطلق، كما حرر الأحكام والدساتير من السلطات المطلقة لواضعيها، كما حرر الفقراء من استعباد الأغنياء، كما حرر الأطفال الإناث من الوأد وحررهم من البيع!

أستطيع أن أبين لك بوضوح كل نقطة من هذه النقاط، لكن بودي أن أركز على المرأة ولا أتشعب في النقاط الأخرى..

يا أيها الدكتور، أرجوكم فكروا قليلًا في الحجج التي أصبحت عندكم مسلَّمات، أهي حجج حقيقية أم أنها وهمية، أهي مُسلَّمات ينبغي أن نفاصل عليها ونواصل، أم أنها حجج باطلة في

أساسها. . ؟!

فهل صحيح أن المرأة مساوية للرجل فعلًا؟ إذا كان ذلك صحيحاً فهل صحيح أن نقول: إن الرجل مساوٍ للمرأة وفي كل شيء. . ؟!

هل عندكم أنتم - يا علماء الطب - أن المرأة مساوية للرجل تماماً من ناحية التشريح الجسماني. . ؟!

هل المرأة مساوية للرجل عند علماء الجينات، أم مساوية له عند علماء الأجنة. . ؟!

هل المرأة مساوية للرجل عند علماء النفس. . ؟!

هل أبوكَ كأمك؟ أم هل أنتَ كزوجتك؟ أم أن ابنك كابنتك؟ أم أنك كأختك. . ؟!

أيمكن بعد كل هذه الاختلافات الطبيعية، والنفسية، والبدنية، يمكن أن تكون النتيجة هي التساوي في كل شيء. . ؟!

وهل في مصلحة المرأة - أساساً - أن نجعلها مساوية للرجل في كل شيء..؟!

نحن لا نبني على ذلك ظلماً، بل نقول هذا لنُقِيمَ العدل، ونخلِّص المرأة من الظلم..؟!

أليس من العدل أن نعطي كل شخص ما هو مؤهل له من المهام..؟!

أيجوز - بحجة مساواة طلاب الجامعة - أن تجعل الاختبارات الدراسية موحدة في مختلف التخصصات بحجة أنهم متساوون في الأعمار والسنة الدراسية في مختلف الكليات؟!

أيكون من العدل لو طلبتَ موظفي سكرتارية وموظفين للمحاسبة وموظفين للتسويق، وموظفين للدراسات والأبحاث، وموظفي حراس أمنٍ لشركةٍ واحدةٍ من شركاتك... أن تساوي بينهم في أسئلة المقابلة، واختبار التوظيف بحجة أن الشركة واحدة..؟!

الجواب قطعاً: لا.

كما أن الشركة واحدة فإن البيت واحد، وكما تختلف الوظائف في الشركة تختلف في البيت لاختلاف الخصائص، وهكذا فإن المجتمع الكبير واحد.

تصور لو أعطيت المرأة كل وظائف الرجل، والعكس في الأسرة الواحدة، ألا تدمر الأسرة سريعاً لأن خصوصيات الأنثى غير خصوصيات الذكر مع وجود قاسم مشترك كبير.. وذلك لأنك صادمت أصل الفطرة، فكذلك أنت تدمر المجتمع!

إن القضية بقدر ما هي سهلة بقدر ما يكون تجاوزها خطيراً ومدمراً..

فالمطالبة بمساواة المرأة بالرجل أكبر عدوان على التخصصات وقد أخذت عندكم بعداً كبيراً جداً، وسلبياً جداً كذلك..!

حتى إنّ من يفكر بإعادة الأمور إلى الجانب الصحيح - أي من المساواة إلى العدالة - فكأنما يفكر بالمستحيل.

لقد اخترعتم مبدأ المساواة ما بين الرجل والمرأة، وبنيتم عليه وجوب أن تكون المرأة كالرجل في الحقوق الاجتماعية، والأعمال الوظيفية، بينما احترام الخصائص الخَلْقية التي لم يكن لبشر فيها تدخل من لوازم حسن سير الحياة، إنك لا تستطيع أن تحول موضع العين إلى موضع الأذن، وتحول الدماغ بين الرِّجْلين، وتحول موضع القدمين بدل اليدين..!

إنك لا تحسن للسمكة حين تخرجها إلى اليابسة لمساواتها بالبهائم، فأنت تقتلها والعكس..

والغريب أنكم أبعد الناس عن مساواة المرأة بالرجل إلا عند استعراض العضلات بقصد انتقاص الآخرين، أما مساواتها بالرجل فعلياً

كمساواتها في المرتبات أو الإدارة أو الحقوق فأنتم أبعد ما تكونون عن ذلك.

فقد أجريت دراسة(١) على الفارق بين رواتب الرجال ورواتب النساء، وعلى السلالم الوظيفية مقارناً بقوة الشركة المادية وعدمها، وإليك هذه الدراسة:

**الفرق بين رواتب الرجال والنساء تقريباً ٣٥٪.**

* يتقاضى الرجال رواتب أعلى بنسبة ٢٥-٦٠٪ في المؤسسات الغير ربحية.

* يشكل المدراء من النساء ٥٧٪ من المؤسسات الغير ربحية التي تقل ميزانيتها عن واحد مليون دولار، بينما تصل إلى ٣٦٪ في المؤسسات الأكبر حجماً.

«وفي فرنسا حتى عام ١٩٣٩م: لا يسمح القانون هناك للمرأة بالتصرّف بمالها إلا بإذن

---

(١) www.credittoday.net/public/1943-cfm
www.philanthropy.com/free/ articles / via /i19/01002801/htm

زوجها، ثم عُدِّل القانون بإعطاء المرأة شيئاً من الحرية في التصرُّف بمالها لكن مع بعض القيود أيضاً. وفي ألمانيا الغربية: لم يعط القانون هناك للمرأة حق اقتناء الممتلكات حتى عام ١٩٥٧م، بل إن نظام العمل والأجور في أوربا وأمريكا لازال حتى الآن ينقص أجر المرأة المالي بالنسبة للرجل، فَيَصِل في بريطانيا مثلًا إلى٧٥٪ من أجر الرجل مع تساويهما في الوظيفة ونوع العمل»[1].

**الجنرالة فيكتوريا:** هل المقصود من هذا التعقيد أن تترك المرأة الموظفة الوظائف كي يأسرها الزوج بالإنفاق عليها في بيته، بعدما ضمن انقطاعها عن بيت أهلها، وخروجها من عملها وربما ضمن عدم قدرتها بعد ذلك على العمل، لا شك أن في كثير من كلامك أدلة

(١) المصدر: مجلة البيان العدد ٨ ص٥١ مقال بعنوان «دحض الشبهات حول نظام الأسرة في الإسلام» للكاتب الدكتور محمد بن عبد اللّه السلمان .

مقنعة، ولكن التطبيق ينسف ما تقول.

**أبو حامد:** بادئ ذي بدء أقول لك: الإسلام لا يحرم الوظيفة بالنسبة للمرأة، فذلك ليس من العقل أساساً.

الإسلام لا يقول للمرأة إذا تزوجتِ أعط زوجكِ مالك، وأنفقي على عيالك..!

الإسلام لا يقول للرجل: يحل لك سِنْتٌ واحدٌ من مال زوجتك من غير رضاها، ولا يقول للزوج: إن ما تنفقه على المرأة تَفَضُّلٌ منك عليها..!

والإسلام لا يقول للرجل: إنكَ أحق بالوظيفة من المرأة، لا.. لكنكِ يا جنرالة تتفقين معي أن من العدل عدم المساواة بينهم في التوظيف بجميع الوظائف، ومن العدل إعطاء كل واحد منهما ما يناسبه من الأعمال..

فلتكن هذه النقاط عندكِ واضحة، لئلا تكرري الاحتجاج بها أبداً والآن آتيك على كل واحدة

منها بالأدلة.. **وليحكم عقلك**..

في القرآن الكريم وفي سورة النساء تحديداً خاطب اللَّه تعالى الآباء محرِّماً عليهم أن يأكلوا من مال بناتهم شيئاً من مهرهن، فكيف بالأزواج لأن المهر حق خاص بها، وخالص لها من دون الناس، فقال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠ - ٢١].

فالمقصود في الآية هو ما يأخذه مثيلاتها من النساء من غير زيادة وتُروى هنا قصةٌ عظيمة في هذا الموضوع أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ ركب منبر رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - ثم قال: يا أيها الناس ما إكثاركم في صُدُق النساء وقد كان رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند اللَّه أو مكرمة لم تسبقوهم إليها

فلا أعرفن ما زاد رجل على أربعمائة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمائة درهم؟ قال: نعم، قالت: أما سمعت ما أنزل اللَّه عز وجل في القرآن؟ فقال: فأنى ذلك؟ قالت: أما سمعت اللَّه عز وجل يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤] فقال: اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر. قال: ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، فمن طابت نفسه فليفعل[١]، وقد جاءت امرأة من أشهر نساء العرب تشتكي للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - تقتير زوجها على الأسرة،

---

(١) رواه البزار كما في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢٨)، وأورد القصة ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٢)، وقال: إسناده جيد قوي.

وهو من أشهر قادة العرب آنذاك فاستمع للقصة:
«**أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول اللَّه، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[١].

إذن فالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - جعل كل امرأة مؤتمنة على مال زوجها إذا أخذت منه، فإن زادت عن الحاجة فقد خانت الأمانة، وإن أخذت بالمعروف أخذت حقها، من غير تفضل للزوج عليها. .

بينما لو أن المرأة أعطت زوجها المحتاج من مالها، فإن لها ضعف أجرها لو تصدقت على غيره.

وقد حدثت فعلًا أيام النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أن امرأة غنية وزوجها فقير، وهي امرأة تحب أن تنفق على الفقراء والمساكين

---

(١) رواه البخاري (٥٠٤٩) ومسلم (١٧١٤).

رغبة في الأجر. . . لكنها لا تدري هل إذا أنفقت على زوجها من مالها ألها أجر أم ليس لها أجر؟!

فجاءت بنفسها تروي هذه القصة الموثقة فتقول أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام قال في خطبته: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكنَّ قالت: فرجعت إلى عبد اللَّه فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول اللَّه ﷺ قد أَمَرنا بالصدقة فأْتِه فاسأله فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم قالت: فقال لي عبد اللَّه: بل ائتيه أنت قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول اللَّه ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول اللَّه ﷺ قد أُلْقِيتْ عليه المهابة قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول اللَّه ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن قالت: فدخل بلال على رسول اللَّه ﷺ فسأله فقال له رسول

اللَّه ﷺ: من هما؟ فقال: امرأة من الأنصار وزينب فقال رسول اللَّه ﷺ: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد اللَّه فقال له رسول الله ﷺ: لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[١].

أما بالنسبة لوظيفة المرأة وعملها فأحسبك قد فهمت أن الإسلام لا يحرم عليها العمل المناسب لها، بل يجعله أحياناً واجباً عليها، لكن الفارق ما بين الإسلام وبينكم في الأولويات، فأنتم تجعلون الأولوية المطلقة للوظيفة، والإسلام يجعل الأولوية للبيت، ومن أسباب جعلكم الأولوية للوظيفة هو الخوف على المرأة من الحاجة والضياع بعد ذلك.

فلننظر بعقولنا وواقعنا: أي الأولويتين ينبغي تقديمها للمرأة: البيت أم الوظيفة؟!

دعيني من الحكم وسلي طفلك الصغير.. أي

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (٧٩).

الحِجْرين يريد. . ؟! يريد حجرك في الصباح وفي المساء أم يريد حجر الخادمة، والمربية. . !

فإن كان يريد حجرك ثم تتركينه فهذه مصيبة، وإن كان أصبح يريد حجر المربية عنك فهذه مصيبة أكبر. . !

أَجْلِسي الخادمة بجوارك ودعيه يحبو إليكما ليختار إحداكن، وسترين أنه لن يختار غيرك، فكيف تتركينه وأنت اختياره الوحيد. . ؟

خيّريه وقولي له: أي الثديين تريد؟ ثدي أمك أمْ ثدي المرضعة الاصطناعية. . ؟!

إنك تتوهمين حين تظنين أنه لا يفهم ولا يشعر لأنه لا يتكلم. . ؟!

إنه كتلة من المشاعر. . !

سلي الأخوة الأطباء الحضور وقولي لهم: كم يخسر طفلك وتخسرين بإبداله الحليب الاصطناعي بدل حليبك؟

كم يخسر هو من مناعته، وصحته، ونموه،

حين تنقص تغذيته من حليبك..؟!

كم يتكفل التأمين الصحي من أموال بسبب نقص مناعته جراء التفريط في تغذيته من صدرك..؟!

وكم يحرم من العاطفة بإبعاده عن حجرك؟!

وهل تعوض الوظيفة هذا الضعف البدني والنفسي الذي ينشأ عليه الطفل..؟!

فهل من ضياع أكبر من ضياع الصغار؟

حُقّ لولد لم يرضع من ثدي أمه، ولم يَتَرَبَّ في حجر أمه، أن لا يكون وفياً لذلك الثدي وذلك الحجر، ومن لم يكن وفياً لأمه أَفَتَراهُ سيكون وفياً لغير أمه من الأقربين.. فضلًا عن مجتمعه..!

وحُق لأمٍ تركت وَليدها في حجر غيرها أن تصدم بعقوقه إذا كبر...!

هذا إذا كانت الخادمة أو المربية صالحة، أما إذا كانت غير صالحة فلكم أن ترجعوا

لإحصائيات خاصة في العذاب الذي يلاقيه الطفل بغياب أمه على يدي خادمته، والذي يؤدي أحياناً كثيرة إلى القتل بأبشع طريقة..!

**حتى المال** الذي تظن المرأة الموظفة أنها تجمعه لنفسها من وظيفتها.. فانظر كم تُنفق منه على أدوات التجميل اليومية؟! وكم تُضيِّع من نضارة بشرتها حين تمتصها كل يوم بهذه المواد؟! وكم تُضيِّع من حق زوجها في ترك تجملها له حين تجعل وجودها في بيتها إراحة لبشرتها من هذه الأصباغ ليوم وظيفتها القادم؟!

وكم تُضيِّع من مكانتها كزوجة تتجمل للزوج ويتجمل لها؟!

وكم تُضيِّع من مكانتها عند زوجها الذي يراها معه في البيت دون ما يراها أصحابها في العمل؟ وتضيع زوجها حين يرى مثيلاتها مثلها وأجمل منها في العمل..؟! وكم تضيع من المبالغ على لباسها الذي تتزين به عند الخروج للعمل

اليومي؟!

وأخيراً كم تكلف كل واحدة من هذه النقاط وغيرها من تكاليف مادية..؟!

أيتها الجنرالة: أسألك بحكم أنك خبيرة عسكرية سابقة، ما الذي يجب على القائد عمله إذا أراد الدخول في معركة بعد إعداد الجيش؟

أليس حماية الإمداد الذي يصله، وتحقيق الدعم اللوجستي الآمن..؟!

ثم حماية الجبهة الداخلية التي يفيء إليها إذا ما خسر الجيش المعركة؟!

أليس كذلك..؟!

الخسارة الكبرى

أليست الخسارة الكبرى أن ينقطع عن الجيش الدعم اللوجستي في وسط المعركة، أو إذا تحرّف لأهله ومدينته ليعيد الكرَّة فلا يجد أهلًا ولا بلداً في جبهته الداخلية؟

هذا هو الذي يحدث حين يخرج الرجل

وتخرج المرأة إلى العمل ويتركان البيت، يتركان تربية جيل الغد، تربية قاعدة المجتمع؟

ما فائدة البنيان المتعالي إذا لم يكن ثمة أساس راسخ..؟!

أيتها الجنرالة: هل حقيقة أن المرأة بخروجها للعمل تضمن مستقبلها إذا نابها من الدهر أي نائبة..أم أنها تدمر حاضرها ومستقبلها..؟!

إنها حيلة خبيثة حين صور أعداء المرأة للمرأة أن ثمن ضمان مستقبلك بتدمير حاضرك..!

تدمير حضانة صغيرك، وعاطفته، وربما حياته..

تدمير الثقة في زوجك حين أصبحت الحياة بينكما سباق مريب نحو ضمان المستقبل!

فماذا يُنتظر من حياة أسرة يقوم ركناها على عبودية المادة، وعلى سوء الظن، وعلى الأنانية...؟!

وهـل مـن وظـيـفـة أعـظـم مـن وظـيـفـة تـربـيـة الأجيال..؟!

وهل من عوضٍ عن الأم بهذه الوظيفة..؟!

لك أن تحسبي - بالإضافة لكل الخسائر التي ذكرنا - كم من النساء يعملن عملًا يمكن أن يعمله الرجال..؟!

ثم احسبي - بالإضافة لكل الخسائر التي ذكرنا - كم من الرجال المُعِيلِين الأُسر تعطل عن العمل بسبب عمل المرأة؟

ثم احسبي كم من إجازات الحمل والولادة تذهب من ساعات العمل كل عام..؟!

ثم احسبي كم تُسبب بطالة هؤلاء الشباب طالبي العمل من تكاليف باهظة وتخريب في الممتلكات العامة، وخسائر ربما في أرواحهم وأرواح البشر بما يجره فراغ هؤلاء الشباب..؟!

ثم احسبي كم نسبة هؤلاء العاطلين في السجون، وما يذهب بسبب ذلك من جهد

هؤلاء، ونفقات مادية تنفق عليهم وفراغ إنتاجي بسبب تركهم دورهم..؟!

ثم احسبي كم تنفق الأسر من أموال سنوية على العاملات أو المربيات وهن الأمهات البديلات في البيوت..؟!

ثم احسبي كم تصرف النساء العاملات من الأموال على شراء المهدئات بسبب ضغوط العمل..؟!

اجمعي كل ذلك لتعرفي الحسبة التقريبية للخسائر الماديّة التي يتكلفها المجتمع بخروج المرأة للوظيفة بشكل مطلق..؟!

لو أنك حسبت الخسائر من جراء جعل عمل المرأة هو الأولوية في المجتمع بحسبة مادية لا دينية، لوجدت أن الخاسر الأكبر مادياً هي المرأة والمجتمع والمستقبل، وأن من أهم الأسباب التي تتحكم في نتائج الانتخابات الرئاسية - وهي ظاهرة البطالة - ناتجة عن عمل المرأة خارج بيتها..!

ولماذا لا نحسب كل تلك الخسائر ثم نُغيِّر الحسبة فنجعل جلوس المرأة في البيت وظيفة طبيعية ونعطيها في مقابل ذلك أجراً، فنجمع ما بين توفير الخسائر وضمان المستقبل والجيل القادم.

أرجوك أيتها الجنرالة لا تتعجلي، وانتظري حتى أوضح لك الحسبة بالإضافة لكل ما ذكرت من حسابات سابقة..

وكون الأولوية للبيت ليس هو رأيي كمسلم، بل هو - كما ذكرتِ بنفسك - قول القرآن، والغريب حقاً أنه الرأي الذي عادت إليه بعض النساء الغربيات اليوم بعدما جرّبت تبعات الخروج من البيت.

مؤسسة الأم

«نشرت مؤسسة الأم التي تأسست عام ١٩٣٨ م في الولايات المتحدة الأمريكية أن أكثر من ١٥ ألف امرأة انضممن إلى المؤسسة لرعايتهن بعد أن تركن العمل باختيارهن.

في استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق عام ١٩٩٠م، في فرنسا أجري على ٢,٥ مليون فتاة في مجلة (ماري كير) كانت هناك نسبة ٩٠٪ منهن ترغبن العودة إلى البيت لتتجنب التوتر الدائم في العمل ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا عند تناول طعام العشاء.

وفي الولايات المتحدة ٤٠٪ من النساء العاملات، وفي السويد ٦٠ ٪ منهن، وفي ألمانيا ٣٠٪، وفي الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ٢٨ ٪ يعانين من التوتر والقلق وأن نسبة ٧٦٪ من المهدئات تصرف للنساء العاملات.

أما في الاتحاد السوفيتي فقد ذكر الرئيس السابق (جورباتشوف) في كتابه عن البروستريكا أن المرأة بعد أن اشتغلت في مجالات الإنتاج والخدمات والبناء وشاركت في النشاط الإبداعي لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية من أعمال المنزل وتربية الأطفال.

وأضاف: (لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتنا وثقافتنا وإنتاجنا تعود جميعاً إلى تدهور العلاقات الأسرية، وهذه نتيجة طبيعية لرغبتنا الملحة والمسوَّغة سياسياً بضرورة مساواة المرأة بالرجل)(١).

البديل الضامن

والآن ينبغي أن تعلمي أن هذهِ الخسائر التي ذكرتها لك وهذه الأرقام لحالات التوتر وغيرها لم تكن مجرد تسالي بل كانت لها آثار خطيرة وكبيرة على العمل وعلى الأسرة كذلك، ففي دراسة معتمدة أن ٩٤٪ من مدراء الشركات يعتبرون العنف المنزلي يمثل خطراً أعلى على العمل، وأن ٦٠٪ من المدراء التنفيذيين يعتقدون أن العنف المنزلي يؤثر على إنتاجية العمل، وأن

---

(١) المصدر مجلة البيان العدد ١٤٩ ص٦٢، مقال بموضوع: ماذا يريدون من المرأة؟ للكاتب محمود كرم سليمان.

٨٥٪ إلى ٩٥٪ من ضحايا العنف المنزلي نساء، ويذهب مليونان سنوياً في كل سنة خسارة ضحية للعنف المنزلي على مستوى أمريكا[١].

ومع كل هذا فأنا أحب أن أؤكد لك أن هذه النِّسَبَ سوف تزيد بمرور الأيام، ولا بد أن تعلموا أن الحل لمشكلتكم ليس هو أن تجلس المرأة في البيت على هذا الحال اليوم، فالمجتمع لم يهيئ لهذا في هذه الأيام وإن كان ضرر الجلوس أقل، لكن الحل باستخدام العقل وتأسيس قواعد جديدة في الأذهان قبل الواقع . .

فالإسلام لم يأمر المرأة بالجلوس في البيت إلا بعد أن هيأ منظومة كاملة تحمي المرأة مادياً وتحفظ كرامتها معنوياً ومجتمعياً، فهو حين أمر المرأة بالجلوس بالبيت جعل فرضاً على الزوج الإحسان لها والإنفاق عليها، فقال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «كفى بالمرء إثماً أن

(١) www.endabuse.org/programs/printable/display.php3DocID = 00001

يحبس عمن يملك قوته»[١].

وجعل واجباً عليه أن لا يفضل نفسه على زوجته بلباس أو طعام أو دواء وذلك في القرآن نفسه لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجعل بعد ذلك خير الناس من هو خير لأهله فقال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**»[٢].

ومن الخيرية: الخيرية في الإنفاق..

وجعل الإنفاق على الولد واجباً عليه لا على المرأة فقال: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول**»[٣].

ورفع منزلة زيادة إنفاق الرجل على أهله حتى جعله أعلى أنواع النفقة عند اللّه، ففي حديث

---

(١) رواه مسلم (٢/٦٩٢ رقم ٩٩٦).
(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه الألباني، في صحيح الترمذي.
(٣) رواه النسائي (٩١٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦٥).

النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً للذي أنفقته على أهلك»[١].

وجعل ملكية المرأة خاصة بها لا دخل للزوج في ملكيتها إطلاقاً..

وجعل الرجل إذا أنفق على زوجته فذلك فرض، أما إذا أنفقت المرأة على زوجها فذلك صدقة منها عليه.. كما مر معنا في قصة زينب التي سألت النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - عن إنفاقها على زوجها، هل لها به أجر أم لا.؟!

الحامي الأكبر

وجعل الحامي الأكبر للأم هم أولادها؛ ذكوراً كانوا أم إناثاً في حياة أبيهم أو بعد وفاته، وأول الحماية هما الحماية المالية والأدبية...

فَمعَ أن بر الولد لوالديه واجب إلا أن سائلًا

---

(١) رواه مسلم (٩٩٥).

جاء يسأل النبي - عليه الصلاة والسلام - عن ترتيب الأحقية؟

فقال: «يا رسول اللّه، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»(١). وهكذا يتكفل الأولاد بأبيهم عند عجزه، أو كبره، أو فقره، أو ضعفه.

**والرجل إذا مات** وَرِثَتْه زوجته مع الورثة الآخرين ولا تحرم من الإرث مهما كان لديه من الأولاد والبنات، والأهم أنه جعل نصيبها ثابتاً وهو الربع إذا لم يكن للزوج الميت أولاد وبنات، وأما إذا كان له أولاد وبنات فنصيبها ثُمن تَرِكتِهِ مهما كانت التركة كبيرة..

وجعل من حق المرأة أن تطلب النفقة أو الطلاق من القاضي لبخل الزوج، ويُلْزِمه القاضي بواحد من أمرين: إما أن ينفق عليها بالمعروف،

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦) ومسلم (٢٥٤٨).

أو يطلقها ويحسن إليها بالمال..

للذكر مثل حظ الأنثيين

**إيزابيلا:** - يا أبا حامد - قلت قولًا جميلًا وقدمت حججاً عقليةً وأرفقتها بأدلة دينيةٍ على أن دينكم كرَّم المرأة، وقد اتضح الأمر بالنسبة لي كامرأة وضوحاً كافياً، لكن الذي ينغص على هذا الذي تقول هو آية قرآنية صريحة في التفريق بين الرجل والمرأة.

حيث تقرر بأن للرجل سهمين من التركة و للمرأة سهم واحد، فهل تستطيع إنكار هذا التمييز المكشوف في نظام الإرث؟؟

**أبو حامد:** أريد أن أسألك مجموعة من الأسئلة لأبين لك هل في هذا النظام الإسلامي الوارد في الآية القرآنية التي تقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾، ظلم للمرأة أم هو العدل المطلق؟ وسوف أجيب أنا عن هذه الأسئلة لأني لا أريد أن أجعلها كجلسات تقريرية بوليسية، ومع هذا فإن خالف جوابي قناعتك فأعلني اعتراضك

فوراً و لاتتأخري.

- هل اللّه حين قال في القرآن: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: ١١] حدد للأنثى حقاً أم لم يجعل لها حقاً؟

الجواب بغير شك: حدد لها حقاً.

والسؤال الثاني: هل يملك أحد إلغاء هذا الحق الذي حدده اللّه للأنثى؟

الجواب: لا يملك ذلك أحد، ولا حتى الوارث نفسه لو أراد أن يحرمها، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يُشدِّد في هذا أعظم التشديد فيقول: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بِشَرِّ عمله فيدخل النار...»[1]، بل النبي محمد عليه الصلاة والسلام يلغي كل تمييز بين الورثة في

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٨)، وفيه شهر بن حوشب، وقد ضعفه غير واحد، قاله الأرناؤوط، وكذا ضعفه الألباني، وصحح إسناده أحمد شاكر في عمدة التفسير (١/ ٢١٧).

الوصية فيقول: «لا وصية لوارث» فالوصية لمن له إرث باطلة ولا تنفذ سواء بالزيادة أو النقصان، وفي مقابل هذا بودي أن أسأل: هل يملك الوارث عندكم - أيها الأوروبيون والأمريكان وغيركم - أن يحرم البنات من الإرث بوصية معينة أم لايملك؟

والجواب قطعاً يملك لأنكم تعتبرونه قد تصرف في ماله!

وهل يملك أن يحرم المورِّث البنات أو بعضهن بحكم أنهن متزوجات من غرباء مثلًا ومفارقات له بعيدات عنه - كما هي العادة - أو لأجل أنهن لا يدخلن مزاجه، وله أن يعطي حقهن إلى كلبه الخاص بحكم أنه مرافقه كما جرت العادة أم لا يملك ذلك ؟

الجواب: نعم، وقد حصل، كما يملك الوارث أن يعطي تركته كلها جمعيات خيرية أو من يشاء ويحرم ورثته.

والسؤال الذي بعده: هل الإسلام حين شرع هذا الحق للمرأة كان للمرأة يومذاك حق في الإرث؟

انقاذ المرأة من الحرمان

**الجواب**: كتب التاريخ تحكي لنا أن المرأة لم تكن محرومة من الإرث فحسب، بل تعتبر جزءاً من التركة والمال الموروث.

وقد ورد في ذلك أنه لما مات «أبو قيس بن الأسلت» قام ابنه «محصن» فورث نكاح امرأته، ولم يورثها شيئاً من المال، فلم تطق ذلك صبراً فذهبت إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وأخبرته بأمرها، فأنزل اللّه في شأنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩][1].

وما رُوي أيضاً: أن سعد بن الربيع رضي الله عنه، لما استشهد يوم بدر، وكان قد خلف بنتين وزوجة،

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣/ ٦٤٦)، وقد حسن الحافظ ابن حجر سند القصة، انظر فتح الباري (٨/ ٢٤٧).

فاستولى الأخ على ماله، فجاءت امرأته إلى النبي ﷺ وقالت: إن سعداً قد قتل معك وخلف ابنتين، وقد غلب عمهما على مالهما، ولا يُرْغَب في النساء إلا بمال، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: لم يُنزل اللّه تعالى في ذلك من شيء، ثم ظهر أثر الوحي عليه، فلما سُرِّي عنه قال: قفوا مال سعد، فقد أنزل اللّه تعالى في ذلك ما إنْ بينه لي بينته لكم، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فدعا رسول اللّه أخا سعد وأمره بأن يعطي البنتين الثلثين، والزوجة الثُّمنْ وله ما بقي[1].

وأرجو منك ومن كل واحد أن يتساءل - بينه

(١) انظر ما رواه أبو داود (٢٨٩١)، وحسنه الألباني.

وبين نفسه - أهذه نقلة نوعية للمرأة أم ليست نقلة نوعية؟ أفيه استرداد لحقها الشرعي وتثبيت له؟ وأي شيء أكبر من أن يكون الحاكم في موضوعها هو اللَّه؟

**الأستاذة إيزبيلا**: نعم، أنا أؤكد لك أنها نقلة نوعية والمرأة في مجتمعاتنا الأوروبية ربما كانت أسوأ حالًا من مجتمعاتكم العربية في القرون الوسطى حيث يقابل ظهور محمد أواسط القرون الوسطى تقريباً!

ولكن، ألا ترى معي أن هذا الذي فعله الإسلام من إعطاء المرأة نصف حق الرجل كان تنظيماً لظلم المرأة، إذ كان ظلم المرأة في تلك المجتمعات فوضى، نعم. . لو أنَّ الإسلام رفعها إلى مماثلة الرجل في الإرث لقلنا أن هذا هو العدل المطلق، أما تحديد إرث المرأة بالنصف من إرث الرجل فهذا يساوي أن للمرأة نصف قدر الرجل ونصف قيمته، وأي تميز أكبر من هذا؟

**أبو حامد**: أشكرك على هذا الاعتراض الذي سيجعلني أوضح أموراً ربما كنت سوف أهملها.

أيتها الأستاذة أنت وكل المعترضين تعتقدون أن تحديد الإسلام بأن للمرأة نصف إرث الرجل تخفيضاً لقدرها الإنساني لمنزلة النصف أليس كذلك؟

**والجواب**: نعم، وأنا أقول أنني أعتقد ما تعتقدون لو كان الأمر كما تقولون لكن ما رأيكم لو أتيت لكم بحالات ترث فيها المرأة مثل الرجل، فهل تعتقدون أن الإسلام جعل قيمة المرأة كقيمة الرجل؟ بل ما رأيكم لو أتيتكم بحالات جعل فيها الإسلام إرث المرأة ضعف الرجل، وحالات ترث فيها ثلاثة أضعاف الرجل، فهل تقولون - عندها - إن الإسلام فضل المرأة على الرجل؟ وما رأيكم لو جئتكم بحالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجل، فهل تقولون لا قيمة للرجل في الإسلام؟

فهل لو أتيت لكم بكل هذه الحقائق بالأرقام و بالأدلة من القرآن ومن حديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هل تقولون: إن الإسلام رفع قدر المرأة على الرجل بناءً على أن زيادة نصيب الإرث زيادة في القدر كما تعتقدون؟

إذن تأملوا! لو ترك الوارث أباً و أماً وابنتين فكم يعطي الإسلام كل واحدٍ من هؤلاء الذكور والإناث؟ إنه يعطي للأب السدس، وللأم السدس كذلك، وللبنتين الثلثين إذن فهنا ساوى بين ذكر وأنثى وهما: الأب و الأم، كما أعطى لكل واحدةٍ من البنتين ثلثاً بمعنى كل واحد أخذت ضعف الأب وهو ذكر، حتى لو كانتا رضيعتين فهل هذا يعني أن قَدْر الرضيعتين أكبر من قَدْر الوالدين؟

الجواب: لا، ولكن الإسلام في مثل هذه الحالات يراعي المستقبل الذي ينتظر الجيل الجديد وتبعاته وهو أكبر بغير شك مما تبقى من

المستقبل الذي ينتظر جَدَّيْهما مع عدم حرمانهما بالإضافة لكل ما عندهما من قبل، ذلك أن الإسلام يراعي بتوازن عجيب حاجيات الحياة المستقبلية البعيدة للأجيال القادمة.

وهناك مسألة أخرى وهي: لو ترك المورِّث ابناً وبنتاً وأخاً وعماً فإن الإرث كله للابن والبنت وليس للعم والأخ هذا وهما ذكران، ولو سألت عن السبب لقلنا لك إن السبب هو أن الإسلام يراعي القرب والبعد من الوارث، وهذه هي قاعدة أخرى من قواعد تقسيم التركة.

والأمثلة كثيرة ولكن من خلال استقراء توزيع الإرث في الإسلام بالنسبة لأنصبة الذكر والأنثى تبين الآتي:

إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.

هناك أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.

هناك عشر حالات أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

هناك حالات ترث المرأة فيها ولايرث نظيرها من الرجال.

أي أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال في مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل. فهل يجوز بعد هذا أن نصور أن الإرث في الإسلام قائم على الذكورة والأنوثة؟

ولا شك أنك ستعود الآن إلى السؤال من أين جاءت فكرة أن نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، هل من اختلاف الناس أم من القرآن نفسه؟

أليس في القرآن آية ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؟.

الجواب: لو نظرتم في هذهِ الآية نفسها قبل

هاتين الكلمتين بكلمتين فقط لعرفتم الحقيقة.

لقد قال اللَّه قبلها مباشرة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، إذن فهو خاص بأولادكم أي بالأبناء فقط، وهذا يعني أن الموضوع لا علاقة له بالذكورة والأنوثة كما صوره البعض فكلهم «أولادكم» سواءً كانوا ذكوراً أو إناثاً إنما هي حكمة أخرى يجب أن تبحثوا عنها لتعرفوا لماذا في هذا الموطن تحديداً جعل نصيب أولادنا ضعف نصيب بناتنا. إنها قسمة لا تحتاج إلى بُعْدِ نظر حتى نعرف الحكمة ولماذا جعل نصيب الولد ضعف نصيب أخته!

فلو أنك تصورت أن رجلًا مات وترك ولداً اسمه «أحمد» وبنتاً اسمها «ميري» مثلًا، وترك إرثاً فمن المكلَّف بالصرف على الآخر عند الحاجة؟

الإسلام يلزم الأخ «أحمد» بالصرف على أخته «ميري»، أما مال الأخت الموروث فهو مدخر

لها، وربما تُنمِّيه في تجارة ونحوها، بينما الأخ «أحمد» مكلف بالصرف على «ميري» حتى لو انتهى ماله الموروث فيلزمه أن ينفق من ماله الخاص عليها.

أحمد وميري

ثم إذا كبر «أحمد» و«ميري» وأراد «أحمد» الزواج فمن الذي سوف يتكفل بأعباء زواجه بنفسه؟ أليس هو من يتكفل بتزويج نفسه - وهو هنا «أحمد» - فهو متحملٌ تبعاته من ماله أو مما تبقى من تركته؟ أما «ميري» فيبقى مال إرثها لها، ويضاف له مال المهر الجديد الذي حصلت عليه كاملًا، و لا يحق لأحدٍ المساس به ولو كان أباها أو زوجها.

فاللَّه تعالى يخاطب الرجال في القرآن عن مهر النساء فيقول: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

إذن هنا أمر ملزم من اللَّه بإعطاء المرأة مهرها كاملًا دون نقصان، فإنْ تنازلتْ أو وهبتْ عن

طيب نفس فنعمْ وإلا فلا، كما هو نص الآية السابقة تماماً.

ثم لو أنجبت «ميري» وأصبحت أمّاً وأصبح «أحمد» أباً وأصبح لكل منهما أبناء، فمن الملزم بالصرف على أبناء «ميري» أليس هو زوجها؟ أليس «أحمد» هو من يتحمل الصرف على زوجته وعلى أبنائه؟

ولو افترضنا أن أبناء «أحمد» كبروا وأنه افتقر واحتاج وعجز عن الصرف حتى على زوجته الفقيرة كذلك وأصبحت نفقته على أولاده وأن الأولاد عجزوا عن الصرف على الأبوين إلا على واحدٍ منهما فمن يقدموا في الصرف؟ الجواب: إنهم يقدمون أمهم «ميري» بالصرف، ففي الحديث أن رجلًا جاء إلى رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فقال: «يا رسول اللَّه من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك.

قال: ثم من؟ قال: أبوك»[١].

إذن «فميري» مكفولة إلى آخر عمرها ويبقى ما أخذته خالصاً لها فهل أدركتَ حكمة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١].

أيتها الأستاذة: لو كان عندك سائقين في شركتك أحدهما مشاويره اليومية للشركة مائة كيلو متر ونظام شركتك يلزمك بتوفير وقود السيارة لهما والآخر مائتي كيلو متر فهل يجوز لك بحجة المساواة أن تصرف لكل واحد منهما تكاليف الوقود بشكل متساوٍ، أم أن العدل هو أن تجعل لكل واحد من المصروف حسب مشاويره وأتعابه؟

تصور لو عملنا بهذا المبدأ - بمبدأ المساواة بغض النظر عن التكاليف - في وقود الطائرات أو القطارات ذات الوقود أو ما إلى ذلك بحجة المساواة مع اختلاف المشاوير والتكاليف... ألا ندمر العالم؟

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦) ومسلم (٢٥٤٨).

أرأيت ما قلته لك من قَبْل أن الإسلام لا يخالف العقل في أي جزئية من تشريعاته؟

إن نظام الإرث في الإسلام أعجوبة بكل ما تعني الكلمة، وأنه نظام فريد بين كل الأنظمة منذ خلق اللَّه البشرية حتى هذه اللحظة وإلى يوم القيامة. . . إن المرء لا يملك وهو يطلع على نظام الإرث في الإسلام إلا أن يستجيب مهما كان عمقه في العلم ومعرفته في القانون ما دام عنده ذرة إنصاف.

فهذا أستاذ مصري للقانون يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية يقول: كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون الأمريكان، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟ قال: نعم، أكثر من ثمانية مجلدات. فقلت له: إذا جئتك بقانون للمواريث فيما لا يزيد على عشرة سطور هل

تصدق أن الإسلام دين صحيح؟ قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له. فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا الشمول الذي لا ينسى أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً، ثم أسلم هذا الرجل.

يا «دكتور جون لوي» لا تتصور أبداً أن آيات الإرث هذهِ التي ربما لا تتجاوز العشرة سطور تفوتها مسألة واحدة في ميراث الأسر البشرية كلها.

اذكر لي أي مسألة شئت الآن في الإرث من أي أسرة شرقية أو غربية بأي حجم من الأموال وأي حجم من الورثة والتداخلات، ولك أن تطالبني في كل مسألة بدليلها، وسوف أعطيك حلها ودليلها فوراً وحلُّها ليس من جيبي إنما هو من القرآن وسنة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -... وعندي أحد الأصدقاء اسمه (د. عواد الخلف) وهو

صاحب اختراعات عدة في مختلف المجالات، قد اكتشف نظاماً لتقسيم التركة على الهاتف وسماه حاسبة المواريث من خلال الأجهزة المحمولة رقم الاختراع (٦٠٩١٢٧١٨).

فبمجرد أن تضع فيه المعلومات المبدئية لأي تركة من التركات يعطيك النتيجة وفق النصوص الشرعية دون اختلاف في (سِنْتٍ) واحد فهل يمكن أن يضع هذا النظام الجامع المانع لكل الشبكة البشرية وبهذا الاختصار بَشَرٌ. كيف لا تختلف النتائج عن المقدمات في كل المسائل رغم كثرتها وتنوعها على اختلاف العصور.

**الجنرالة فيكتوريا**: جوابك يا أبا حامد فيما يخص التركة واضح جداً، وبودي أن أعود لما سبق مسألة الإرث وأفصح لك عن شيء لم تتصوره عندنا، نعم يبدو أنك لم تتصور إلى أين وصلت المطالب عندنا..!

لقد أصبحت المرأة اليوم تنادي عندنا بإعطائها

الحرية الكاملة لعمل ما تعتقده وما تؤمن به، بغض النظر عن صحة ذلك الشيء أو عدمه، أو موافقته لعادات المجتمع وعدمه، والمطالبة بالحماية على ذلك..؟!

فهي تقول: إنها بدل أن ترتبط بزوج واحد ترتبط برجال كُثر..! وبدل أن تتحمل مسؤولية الأبناء والأسرة كضريبة للمتعة تأخذ المتعة سالمة من كل ضريبة، ومن كل مكان، وفي كل وقت..!

أبو حامد: بودي أن أسأل هؤلاء - أيتها الجنرالة - أسئلة صريحة فلا تؤاخذيني عليها فإن مقصودي الإيضاح: هل ستكون الجنرالة موجودة - في الحياة الآن - لو عُمِل بمبدأ الحصول على متعة الجنس من غير ضريبة الزواج؟!

وهل يشرف أحداً لو أنه جاء إلى الحياة بغير طريق الزواج..؟!

والجواب الذي لا شك فيه قطعاً: لا.

إذن كيف ترضى هؤلاء النسوة لغيرهن من بنات المجتمع ما لا يرضينه لأنفسهن..؟!

ثم هل هذا الأسلوب ينشئ مجتمعاً قوياً قويماً..؟

**يا سيادة الجنرالة**: هل أنت مقتنعة أن هؤلاء يريدون استعادة حقوق المرأة من سلطان الرجل؟

إن مقصود إخراجها من بيتها إلى الشارع إنما يعني تخليصها من الرجل الشرعي وتسليمها للرجال غير الشرعيين..!

أليس المقصود واضحاً..؟!

فهل هذا في مصلحة المرأة..؟!

وهل المرأة التي تجد في الشارع من يتلقفها وهي شابة ستجد في شيخوختها من يهتم بها إذا ذهب شبابها..؟!

وهنا أعود لأسأل: هل هذا في مصلحة المرأة..؟!

وهل تحول المرأة من زوجة شرعية معها زوجها الذي يحمل عنها بعض مهمات التربية، إلى ما يسمى عندكم اليوم «الأمهات العزاب» وهن مَنْ يربين أبناءهن من الزنا، هل هذا يساوي هذا..؟!

وهل ذلك في مصلحة المرأة..؟!

ألا يكون تحقيق المرأة للمتعة بأرقى صورها وأعلى درجاتها وأطهر طرقها مع زوج اقتصر على زوجته خيراً لها من أن تصبح لا تَرُدُّ يد لامس.. أيهما في مصلحة المرأة..؟!

هل في مصلحة المرأة أن تبقى في كِبرها لا تجد صاحباً من البشر أبداً، اللَّهم إلا الكلاب أو القطط..؟!

أرجوك: في كل مرة تنزلين فيها إلى أسواقكم أو شوارعكم راقبي أنواع الماشين في الأسواق والشوارع! إنك ستجدين - كثيراً كثيراً - منظر الشيخ والعجوزة معاً، أو عجوزين معاً أو شيخين متصاحبين.

اذهبي إلى المستشفيات وانظري في أنواع المراجعين وستجدين المنظر نفسه، ألم يثر ذلك في أذهانكم سؤالًا محدداً وهو: أين أولادهما؟

لقد أصبح هذا المنظر ظاهرة! أصبح مصير هؤلاء الكبار هو الموت القادم الذي يخايل لهم في كل مكان!

أصبح المنغِّص لهم من كل فرح!

إنه العقوق يطرق الأبواب!

إنه الانقطاع والقطيعة وهو يرى أنه ما زال بعد على قيد الحياة!

وكما يجد الرجل سَلْوَتَهُ في العودة إلى بيته من عمله في آخر النهار... فإنه يتمنى أن يجد سلوته في أن تحوطه أسرته في آخر عمره.

أين كانت أسر خمسة عشر ألف عجوز فرنسي وهم يموتون من الحرِّ في صيف ٢٠٠٣ في دور العجزة، فلم تجد دور العَجَزَة لكثيرٍ من الأسر والأبناء من يرغب حتى في دفن جدِّهِ أو جدته

وتركوهم لهم ما بين المقبرة والمشرحة.

فهل في مصلحة المرأة أن تعيش غريبة يتلاعب بها من يشاء، ثم تموت وحيدة في دار عجزة، أو تعاني آلام الموت وحيدة حتى تخرج روحها شيئاً فشيئاً، فلا يكتشفون موتها إلا بعدما تظهر عفونة جيفتها إلى الجيران أو ساعي البريد..؟!

هل من مصلحة المرأة أن تخدع بالمتاع أو بالمادة أو بالعلم والتعليم وتمر عليها السنون وهي منشغلة بذلك عن دورها الأساس حتى تبلغ سن اليأس فتدرك الحقيقة، ثم تصيح - كما صاحت - صاحبة الخمس شهادات دكتوراه: خذوا شهاداتي جميعاً وامنحوني كلمة «ماما»؟![١]

---

(١) في المجلس السابع ثمة حوار مهم حول قضايا أسرية حساسة منها الطلاق، والضرب وما إلى ذلك.

## خاتمة المجلس

نعم اختلف الجُلّاس في - **هذه الليلة الجميلة** - حتى الجذور.. لكنهم قاموا كأن لم يختلفوا... فالقلوب صافية، وآفاق الأذهان واسعة والابتسامات صادقة.

والأهم من كل ذلك هو أن أحداً منهم لم يشعر بضيق بعد الجلسة، أو رغبة في الفرار... لأن مطلبهم الحق.. ولذا كان الاشتياق لجلسة حوارية عقلية قادمة كبيراً..

لكن، اعلم أيها القارئ: أن أكثر جلاس المجلس الأول لم يحضروا المجلس الثاني لانعقاده في مدينة «ليون» بدعوة خاصة... أما أنت فستحضر جميع الجلسات... بقراءة هذا الكتاب حتى آخر الجلسة الأخيرة..



## المجلس الثاني

### بوابة المجلس الثاني

إن ظهر الاختلاف بيني وبينك في كل ما نتحاور حوله، وضاق تحملنا لأفكار بعضنا فلتسعنا الصحبة فيما نعيش لأجله...

وإن تغذت خلافاتنا من خلافات الآباء، فسوف يوحدنا أبو الآباء، وأم الأمهات - آدم وحواء - ويوحدنا لبُّ البشرية، وسرّ كرامتها ومصدر إرادتها «العقل».. فبهذه النفسية والعقلية نعبر إلى بر الحقيقة..

جلسنا متحلقين متقاربين كأسرة واحدة.. في مجلس الدكتور «وافي» و لسان حاله من شدة فرحه بضيوفه يقول: «ساحة الصدور أرحب من ساحة الدور»..

ابتدأتُ بالتبريك لـ«شارل» بمناسبة عقد زواجه الجديد على زوجته الجديدة والوحيدة، فتدخل

الأستاذ (فيفا) على عادته في إثارة الحوار ثم إثرائه قائلًا: ألستم تمنعون الزوج من معرفة الزوجة حتى يدخل عليها وهو لا يعرفها...؟!

**أبو حامد**: لو كانت هذهِ الفكرة حقيقية لأقررتها، وبما أنها فكرة مفتراة علينا فسوف أبين لكم الفكرة الصحيحة، ولكم - أنتم - أن تحكموا بعقولكم إن كان ما عندنا صحيحاً أم خاطئاً.

لكن قبل أن أجيب على سؤالك أريدك بدون حرج أن تحكي لنا «**يا شارل**» **كيف كانت قصة زواجك** حتى هذهِ اللحظة، ولك أن تخفي من القصة ما تشاء.

**شارل**: الحقيقة أن علاقتي بها انطلقت قبل أن تنطلق عندي فكرة الزواج من امرأة، إذ كنا معاً في مدرسة واحدة منذ المرحلة الإعدادية، وشعرت نحوها بميل أكثر من سواها من الطالبات، وأحسَسْت أنها شعرت بنفس الميل

نحوي، وكانت محادثة، وكان لقاء، ولقاء، ثم لقاء متواصل لا يكاد يخلو منه يوم من الأيام، فتوثقتِ العلاقة بكثرة اللقاءات، ثم استحكمت، ثم التحمت، فلم يكن لي ولا لها بدٌّ من أن نتزوج زواجاً شرعياً.

أيوجد تعارف قبل الزواج

**بروفيسور فيڤا**: وللعلم فإن هذا الذي ذكره ولدي هو ما يحصل مع جميع أبناء المجتمع الفرنسي وبناته، ولعله ما حصل لي مع أمه، ولكن عليك - **يا أبا حامد** - **أن تعرف أن علاقة ولدي بخطيبته كانت على علم منا**... بينما الأمر عندكم هو أن الولد يخطب ويتزوج البنت سواءً وافقت أم لم توافق..

**أبو حامد**: الخطبة عندنا هي أن يتعرف شاب على شابة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فيطلب الشاب التعرف عليها أكثر، والنظر إليها بقصد الزواج منها، فيهيئ أهل البنت الجو المناسب ليلتقي هو بمخطوبته وبحضور أمها أو بعض

أهلها، ويجلس ما شاء، ثم يذهب ليفكر هو وتفكر هي في القرار الذي سوف يتخذانه . . . ولكن بما أن الزواج علاقة بين أسرتين وليس بين فردين فحسب - أسرة المرأة وأسرة الرجل - كان العقل والمنطق هو إشراك الأسرتين في قرار حاسم مثل هذا، فإذا تمت الموافقة أبلغ أهل البنت أهل الرجل قرار موافقتِهم بتزويج ابنتهم لابنهم.

شارل: لماذا كل هذا التعقيد والمسألة سهلة إنها علاقة بين فردين؟!

هما يتحابان، وهما يقرران، وهما مسؤولان عن قرارهما، فما دَخْل المجتمع كله في قضية مثل هذهِ؟

ثم لماذا كل هذا التطويل في قضية محسومة؟ فهل ترى في وسع الأسرتين أن يمنعا زواج متحابين؟ أم هل تراهما سوف يزوجان متباغضين؟ أم ماذا؟

أبو حامد: الحقيقة - يا شارل - حقيقةٌ مُرَّة وإن حاولتَ إخفاءها بإطار من الأنس والسعادة! إن الحقيقة - يا شارل - هي إسقاط الوالدين من المشاركة الفعلية في القرار! فبعدما ربياك، وتعبا عليك، وسهرا، ورجيا من وراء هذهِ التربية ما يرجو الزُّرَّاع من الثمر وأكثر، إذا بهما بعد كل هذا يُفاجآ بصاحبة الولد تدخل أسرتهما رغماً عنهما! وربما يُفاجآن بخروج الولد من بينهما! ليس لهما الحق في منعه من الخروج فضلًا عن منعه من الزواج بها!

فهل هذا من إنصاف الوالدين... هل العقل السليم يقول هذا؟ فليجبني بصراحة كاملة «والد شارل؟

أستاذ «فيفا والد شارل»: الحقيقة بكل وضوح أني معك في كل ما ذكرته، وهذا هو إحساسنا الداخلي كآباء بغض النظر عن كون صلاح زوجة (شارل) وطيبتها من عدمه.

نعم، أنا كأب لن أعارض، إذ لا يمكن أن أقف حجر عثرة أمام سعادة ولدي، لكني أري أن من تطييب خاطري أن أُستشار أنا وأمه، كيف والأمر آخر العهد به قبل انفصاله عنا؟

إن من سوء الوفاء، وسوء الذكرى أن يختم الولد حياته في بيتنا بقرار الانفراد أو قرار النكران.

لماذا رأي الوالدين؟

أبو حامد: أما قول (شارل): «إنه قراره الشخصي لأنه علاقة بين شخصين» فهذا نتاج طبيعي لمجتمع مقطع الأوصال، وكل أسرة جديدة قطعة مستقلة مُنْبَتّة عن أصلها.

**لعلك يا شارل تعرف أن من أغلى ساعات العمل ساعات مكاتب «الاستشارات القانونية، والعلمية»** فهل تجد في الدنيا مستشارين لك بهذا الخصوص مثل الأبوين، فالأبوان لا يريدان شيئاً باستشارتهما، إنما يريدان وضع خبرتهما لسعادة ولدهما وابنتهما، فهل من العقل أن تُلغى

استشارتهما المعروضة بين يدي ولديهما وهي مزيجٌ فريد ما بين الخبرة والمحبة.

كيف تتحمل الأسرتان تبعات اختلافات ولديهما إذا اختلفا مستقبلًا، ولا تشارك مشاركة مؤثرة في ابتداء الزواج..؟

كيف يَحْمل أولادهما نَسَبَ الأسرة ولا تستشار الأسرة...؟

أرأيت لو كانت شركة تجارية مشهورة أترضى أن تنسب لها بضاعة رغماً عنها؟ أو يستغل اسمها التجاري دون استشارة منها؟

**أستاذ فيفا**: هذا كلام واقعنا المحزن! لكن كيف يكون التعارف عندكم والبنت لا تخرج من بيتها في الأصل؟! ثم ما مصير الزواج الذي لم يُبْنَ على الحب العميق؟ أنا شخصياً لا أقول بهذا ولا بهذا ولكن أقول بالعلاقة الوسط؟

**أبو حامد**: يجب أن تعرف - يا أيها الصديق العزيز - أن إدخال الأسرتين في قرار تزويج

الفردين الجديدين يثمر تقوية لكل فردٍ على حدة قبل تقوية الأسرتين، وليس فيه عدوان على الفردين ففي هذا التدخل إشارة إلى أن الزوج الجديد ليس فرداً مقطوعاً من شجرة برِّيَّة، إنما ينتمي لمجموعة تسنده، فلا يمكن استغلاله واستغفاله، وهكذا الزوجة، وكلكم يعلم أن من السهولة استغلال صاحب العاطفة واستغفاله، وذروة عاطفة الاثنين في هذه المرحلة العمرية وذلك لاجتماع العاطفة والمراهقة معاً بُغية اتخاذ قرار عاجل مصيري، فَتدخُّل الأسرتين لا يشكل ضغطاً عليهما، بل هو قوة إسناد بين أيديهما، وزيادة في صواب قرارهما المصيري ودعماً لهما..

ثم ما مدى صواب قرار معتمد على العاطفة المجردة في مرحلة المراهقة؟

أليس من أهم واجباتِ البنّاء الماهر هو أن يحسن وضع اللبنات بعضها على بعض متسامتة؟!

لكن ماذا إذا لم يكن لهذا الرجل خبرة في البناء؟ ماذا إذا كانت أول تجاربه. . ؟!

أيستقيم الجدار، أم يطول عمره؟!

أليست هذه الأسرة الجديدة لبنة جديدة في المجتمع القادم. . ؟!

إذن كيف سيكون بناء مجتمع كل لبناته معوجّة. . ؟!

اعتبر هذه الأسرة الكبيرة سفينة كبيرة، وسط سفن كثيرة في البحر، أليس لهذه السفينة رُبّان. . ؟!

أليس من الاستهانة بالربان أن يصبح كل واحد من البحارة رباناً. . ؟!

أليس من واجب البحارة أن يستأذنوا الربان ما داموا أعضاءً في تلك السفينة. . ؟!

ثم ألا ينبغي له إذ أنشأ السفينة أن يربطها بالأسطول الكبير في البحر لتنتظم حياة الجميع

البحرية وفق الأنظمة المرعية، إضافة لما فيه من حماية وتقوية له، حيث تصبح قوة الأسطول قوة لكل سفينة..؟!

وإذا لم يعبأ بذلك فلا يعتب على السفن الأخرى إذا سمعت صريخهُ ورأت سفينته تغرق ثم لم تنقذها..!

يا أستاذ «فيفا»، أيكون الشخص أميراً ولا يستشار في إمارته؟ أفيكون حارساً لمكان ما ويَدْخل مَنْ يشاء موضع حراسته دون استئذانه؟

إذن كيف يكون والداً ولا يستشيره ولده؟! فهل مقام الحارس وغيره أعلى من مقام الوالدين..؟!

وأي قيمة تبقى إذا ذهبت قيمة الوالدين..؟!

ثم إن هذا الذي ذكره أستاذ «فيفا» من أن الأستاذ كان عارفاً بعلاقة ولده بمخطوبته تحصيل حاصل، إذ رأيُ الوالد وعدمه سواء... فأي رأي أبقى الولدُ لوالديه بعد كل هذه الخطوات والقرارات..؟!

وما قيمة اطلاع الوالد إذا لم يكن له رأي في الموضوع..؟!

بل ما أعظم حسرته إذا كان له رأي مخالف ويرى نفسه عاجزاً عن تغيير شيء..؟!

**يا أستاذ:** بقدر الاهتمام بالمجتمع يكون الاهتمام بالزواج الجديد و من يتصور أن الزواج مجرد علاقة بين شخصين فإنه يلغي مرجعية المجتمع.

تصوَّر كم من أسرة جديدة تنشأ في المجتمع الفرنسي في اليوم الواحد؟ عندها ستعلم أنَّ القضية ليست قضية شخصية ولا لبنة واحدة إنما هي لبنات كثيرة يفرزها المجتمع، بل قضية مجتمع جديد!

أي الأسر مبنية على الحب؟!

**شارل:** أيمكن أن أرى شابة جميلة خلوقة فيتعلق قلبي بها، وتأتي أسرتي وترفضها، ثم أقبل أنا بذلك.؟! وهل يمكن أن يتعلق قلب البنت بي أو بغيري ثم يأتي أهلها ويمنعونها؟!

إن الحب هو الأساس. .

ولذا تجد الأسرة عندنا قائمة على المحبة عند التأسيس، أما القضية عندكم فلا أحسبها بهذهِ المثالية التي صَوّرتها لنا، ثم إن الأسرة ربما ترفض. . . سواءً أسرة الولد أو أسرة البنت وبذلك يحرم المحبوبان من أمنيتيهما. ! فأيهما خير: أن يبتدئ المجتمع من أول لبناته على الحب أم أن يقوم على الإكراه؟

**أبو حامد:** بودي قبل أن أبدأ بالجواب على ما تفضل به شارل أن أبين أمرين مهمين، أما **الأول:** فأنا لا يهمني أن تسميها مثالية أو غير مثالية. . . فلربما يكون الأمر في مكان ما مثالياً ويكون في مكان آخر واقعياً جداً، ولربما يكون جيل من الأجيال واقعياً وتأتي بعد ذلك الأجيال وتعده مثالياً، لكن المصداقية في المقارنة بين المعلومة والعمل، أو بين المبدأ والتطبيق. .

**أما الأمر الثاني:** فإني أرجو أن نتذكر عهدنا

الأول وهو أن حديثنا من العقل إلى العقل والحكم فيه للعقل . . . فلا تُدْخِل الدين فيه يا «شارل» .

حتى ما نعرضه من نصوص مقدسة عندنا أو عندكم فينبغي أن نعرضها في قاعة الحوار أمام منصة القضاء العقلي النزيه، ليصدر فيها قاضي العقل السليم حُكْمه كما رأيت من قبل، وهذا لا يتبين بمجرد ذكر تعاليم دينكم في الزواج وذكر تعاليم ديننا . . . أليس هذا هو المنطق . . ؟!

علاقة بين أسرتين

يا «شارل» قد أخبرني والدكم الأستاذ «فيفا» أنك موظف في شركة إعلامية، وأحسب أنك لما أردت التوظف في هذهِ الشركة ما قدّمت أوراقك في الشارع، بل ذهبت إلى مقر تقديم الطلبات في الشركة وقدمت أوراقك أو قدمتها على موقع الشركة في الشبكة العنكبوتية، فتحول الطلب إلى اللجنة المتخصصة في التوظيف للنظر في طلبك، ثم رفعت رأيها لصاحب الشركة . . . ثم جاء

صاحب الشركة لينظر في طلبك وله الحق في أن يرفض طلبك أو يقبله؟

يا شارل أنتم أمة تحترمون النظام. . . فهل نظام الشركات المالية والصناعية والتجارية يُحترم عندكم، ونظام الأسرة لا يستحق الاحترام؟!

أليس هذا النظام هو المعمول به في حياة الناس كلها، فلو أنك أردت دخول بلد قدَّمت طلب الدخول لذلك البلد، فإن سُمِح لك وإلا كان من حقهم أن لا يدخلوك بلدهم، دون أن يُبْدوا لك الأسباب، حتى لو كان حبك لذلك البلد عظيماً؟

فكيف يكون لزاماً على رب الأسرة إدخالك الأسرة لمجرد أنك أحببت دخول تلك الأسرة من خلال تلك البنت؟

أود أن أعرض لك هذا السؤال الواقعي تاركاً لك بعده الحكم يا شارل:

ما تقول في رجل - من دولة تمنع تعاطي

المخدرات على أراضيها وفي أجوائها - أراد أن يسافر إلى بلاد أخرى ليتعاطى المخدرات في تلك البلاد، هل له أن يتعاطاها إذا وصل تلك البلاد. . ؟!

شارل: نعم لأنه دخل في نظامها.

أبو حامد: لكن ما تقول فيه لو اشتد اشتياقه لها، فتعاطاها قبل مجاوزة حدود بلده بناءً على أنه سوف يخرج من حدودها بعد ساعات أو كيلومترات. . ؟!

فهل من حقه الاحتجاج على حكومته إذا أقامت عليه العقوبة المقررة في القانون لانتهاكه نظام البلد بحجة أنه ينوي الخروج منها، أو أنه شرع في السفر وإن لم يتجاوز أراضيها. . ؟!

أستاذ فيفا: هكذا هو الأمر عندنا تماماً، إنه تحقق مجاوزة حدود الزوجية قبل تحقق الزوجية.

فالبنت ما زالت تتبع أسرة أخرى، وعقد الزواج الشرعي لم يحدث، والرجل لم يصبح

زوجاً ولم يُسَمّ زوجاً، والبنت لم تسم زوجة، ومع هذا يحدث بينهما ما يحدث بين الزوجين..!

فالمصيبة يا - أبا حامد - في النظام! النظام هو الذي يمنعك أن تعترض على ابنك وعلى ابنتك كأب أو كأم..!!

النظام هو من يحمي هذه الممارسات قبل الزواج، ما دام أصحاب العلاقة راضين!

والحقيقة أننا كآباء لا نرضى بهذا في داخل نفوسنا، ولكننا لا نستطيع الاعتراض على النظام، وخصوصاً وأننا يوم كنا أمثالهم فعلنا ذلك - بصراحة - محتمين بالنظام، ونحن نعلم أن والدينا لم يكونوا في قرارة أنفسهما راضيين..!

عقوبة مخالفة الأنظمة

**أبو حامد**: هل تعلم يا أستاذ أن النظام حين حمى المخطئين، واستسلم الناس له، واستغله الناس استغلالاً بشعاً... حَلّت بهم عقوبة أكبر من العقوبة التي وضعها النظام! وهذا أمر منطقي

فإذا اصطنع الناس أنظمة تخالف أنظمة الكون والحياة التي هي أكبر من أنظمتهم كان لا بد أن تحل بهم عقوبة أكبر من عقوبة نظامهم الأصغر الذي خالفوا به النظام الكلي الأكبر.

ولعلك تسألني هنا: ما العقوبة التي حلت بنا بناءً على مخالفة الأنظمة الحياتية الكبرى..؟!

**الجواب**: إن هذه العقوبة كانت هي عكس ما طلبتموه، إنه فشل الحياة الزوجية..!!

ذهاب السعادة الزوجية، وارتفاع معدلات الطلاق بين المعلنين زواجهم حديثاً..! ألا تكفي هذه العقوبة..؟

ثم عمّ ذلك العقاب المجتمع حتى أصبح متفككاً، متهلهلًا وبعبارة مختصرة: فاشلًا..

وتعاقب تلك الأسرة الجديدة - كذلك - بحرمانها من قوة المجتمع من حولها، لأنها اختارت الانفصال من أسرتيهما وما حولهما من أرحام تمتد من هاهنا ومن ها هنا..

فإذا ما وقعا في خلاف كان موقف المجتمع منهما موقف المتفرج..!

دعك من التشاغل بقوة دولكم التنفيذية أو العسكرية، فإن العاقل لا يتفاخر بالسيف ولا بالرشاش حتى يعرف اليد الشجاعة العاقلة التي تمسكه، والنية التي توجهه، لأنه ربما يكون سلاحاً من أحسن الأسلحة وأفتكها بينما صاحبه أول ضحاياه وربما يكون بيد مجرم..؟!

إنفاق مخزون الحب

إن للزواج حدوداً محترمة، وحرمة حدود الزواج أكبر من حرمة أرض البلاد الفلانية أو الفلانية من الناحية الاعتبارية، كما في مثل تعاطي المخدرات قبل تجاوز الحدود.

وفوق هذا، فإن الشابين إذا مارسا ما يمارسانه كزوجين ولما يتزوجا بعد، فإنما بذلك يعاقبان أنفسهما، إذ إنهما يستنفدان مخزون الحب المدخر في الفطرة لعش الزوجية قبل الزواج، فيأتيان لعش الزوجية بعد الخطوبة وقد أنفقا ما

اؤتمنا عليه! فإن بقيت حياتهما الزوجية قائمة بقيت بغير حب ولا روح، وإلا كان الطلاق مصيرهما كما هو مصير كثير من الأسر الحديثة العهد بالزواج، والتي تزوى بذرة الحب فيها حتى تأكلها الأيام أكلًا . . !

ولقد ظهرت عندكم حديثاً جمعية باسم (جمعية المحافظة على العفة) بعدما أدرك أصحابها خطورة المعاشرة قبل الزواج . .

لقد كانت النتيجة الطبيعية هي عزوف الشباب والشابات عن الزواج . . فما يتمناه الشاب كغريزة وجده بأسهل طريق، وألذ طريقة، وأوسع ما يكون، وبدون أية تكاليف، وأرجو أن تنظر في هذه الإحصائية الحديثة لترى فيها إشارة إلى عزوف الشباب عن الزواج من خلال النظر في إحصائية تأخر سن الزواج .

# متوسط السن عند الزواج

Median Age at First Marriage, 1890 - 2007

| السنة | الرجال | النساء |
|---|---|---|
| 1890 | 26.1 | 22.0 |
| 1900 | 25.9 | 21.9 |
| 1910 | 25.1 | 21.6 |
| 1920 | 24.6 | 21.2 |
| 1930 | 24.3 | 21.3 |
| 1940 | 24.3 | 21.5 |
| 1960 | 22.8 | 20.3 |
| 1970 | 23.2 | 20.8 |
| 1980 | 24.7 | 22.0 |
| 1990 | 26.1 | 23.9 |
| 1993 | 26.5 | 24.5 |
| 1994 | 26.7 | 24.5 |
| 1995 | 26.9 | 24.5 |
| 1996 | 27.1 | 25.8 |
| 1997 | 26.8 | 25.0 |
| 1998 | 26.7 | 25.0 |
| 2000 | 26.8 | 25.1 |

| السنة | الرجال | النساء |
|---|---|---|
| 2001 | 26.9 | 25.1 |
| 2002 | 26.9 | 25.3 |
| 2003 | 27.1 | 25.3 |
| 2005 | 27.0 | 25.5 |
| 2006 | 27.5 | 25.9 |
| 2007 | 27.7(١) | 26.0 |

وبودي أن أُذكِّر بما مرّ معنا في المجلس الأول برقمٍ واحدٍ لما يتم قبل الزواج، أن واحدة من كل أربعٍ فتيات انتهكت جنسياً قبل سن ١٨ سنة.

وأن ٦٠٪ من المولود الأول للمراهقات نتيجة إغواء أو اغتصاب... فأي جديد سيحمله الزواج لبنتٍ مثل هذهِ وشابٍّ مثل هذا إلا اصطدام الرأس بصخرة متطلبات الحياة!

ومع كل هذا فرغم أن النظام مخطئٌ يحمي المخطئين إلا أنه لا ينبغي لكم أن تتعللوا بالنظام لأنكم جعلتم النظام غطاءً لشهواتكم، ودرعاً

(١) The margin of error for 2007 is + /-0.2years.

Source U.S. Bureau of the Census; Web: WWW.census.gov

تترَّسون به احتماءً من سلطة الآباء في هذا الجانب . .

القانون هنا مثل الشرطي على نادي العراة، إن هذا الشرطي لا يلزمك بدخول النادي ولكن إن دخلت النادي دخلت في حمايته وإلا فإن كل الناس يمرون عليه ولا يدخله إلا قليل.

فالقانون لا يلزمكم بفعل تلك القبائح؟!

القانون يقول: إن فعلتم ذلك أحميكم، ولا يقول افعلوا ذلك، ولكنكم بمجرد أن وجدتم: «إن فعلتم ذلك» لُذتم بها وقلتم: بلى نفعل تلك القبائح!

نعم، هو باب فتحه القانون، لكن هل كل باب مفتوح تدخلونه . . ؟!

وهنا أعود لأؤكد على جريمة القانون في هذا الأمر، فإن القانون يعلم أن هذه شهوة، ودواعيها لا تقاوم في داخل الإنسان، فَسوّغ القانون فعلها في الواقع ابتداءً وانتهاءً.

لكن، لك أن تتصور لو كان القانون يجرم الفاحشة قبل الزواج عندكم . . كيف سيكون التزام

الناس بذلك القانون كعادتكم الصارمة في التزام النظام؟ إن المتوقع أن يصبح من يفعل ذلك شاذاً، لا أن يصبح فعلها طبيعياً وتركها شذوذاً!

إكرام الوالد أم إكرام الوالدين؟

أما الآن وبعدما تطاول عهد الناس وهم على هذا الانحراف فلو عرض هذا القانون - أعني تجريم الفاحشة - على البرلمان للتصويت، فإن المتوقع أن تخرج المظاهرات من الشباب والشابات والمحامين والنقابات في وجه هذا القانون..!

أرأيتم أين وصل الانحطاط..؟!

**ياشارل**: أما دعواك أن القانون يحميك ويحمي البنت من إكراه الوالدين، فإنك نظرت للإكراه من طرفك أنت، ولم تنظر للإكراه الأكبر وهو إكراه أسرتين على ما لا يريدانه...!

**يا «شارل»**: إن جسم الإنسان يرفض الجسم الغريب من الخلايا التي تزرع فيه طبياً، ومن الأجهزة المضافة إليه أو المركّبة فيه... ولذا يُعطى مجموعة من الأدوية التي تضعف المناعة عنده إلى درجة كبيرة حتى يقبل الجسم الجديد، لكن جسم

الإنسان إذا أصرّ على رفض الجسم الغريب لم يبق أمام الأطباء إلا واحد من خيارين: إما نزع هذا الجسم الغريب وإما الاستسلام للاضطرابات والمضاعفات السلبية حتى الموت..!

فهل ترفض أجسامنا الشيء الغريب ثمّ تريد أن ترغم الأسرة على قبول ما لا ترضاه؟ أليس هذا هو الإكراه الحقيقي..؟!

ثم أخبرني أي الإكراهين أكبر: أن ترد رأي فرد واحد، أو أن ترد رأي الأسرة بأكملها..؟!

وأي إكراه أكبر أن ترد فرداً لم يصبح بعد عضواً في الجسد من دخول الجسد، أو أن تنتزع عضواً رغماً عن الجسد كله..؟!

وأي الرأيين - عادة - أقرب للصواب: رأي المجموعة أم رأي الفرد..؟!

يا «شارل»: إن العقل يقول: إذا كانت تلك المخطوبة ابنة شارع فلتخطب من الشارع! وإذا كانت ابنةٌ لا يُعرف أبوها ولا أمها فلتخطب من أي أحدٍ!!



**شارل: قد ذكرتَ أن الأفضل هو الوسط في**

هذا الأمر، وأنا لا أرى أنك تركت أمراً وسطاً، بل اخترت أنت طرف الوالدين تماماً، وأهدرت حق الأبناء في الاختيار، فهل الموقف الوسط مجرد دعوى لا نصيب لها من الواقع أم ماذا..؟!

**دلنا على وسطكم..؟!**

أبو حامد: سأذكر لكم قصة واقعية أنا أعتقدها تمام الاعتقاد، **راجياً منكم أن تتذكروا أن تاريخ حدوثها عندنا مقارناً بتاريخ** حدوثها في أوروبا - إنها في المرحلة التي تسمى عندكم العصور الوسطى، أو عصر الظلمات، وتسمى عندنا فجر الإسلام - تقول القصة على ما روته زوج النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث قالت:

**«جاءت فتاة إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته[1]، قالت فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي.. ولكن أردت أن تعلم**

---

(١) خسيسته: ضعفه في القوم، وضعف مكانه.

النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء»[١] .

شارل: هو معنى كبير جداً، والأكبر منه أن يقال هذا المعنى في ذاك العصر المظلم الظالم المتخلف، ولا أريد أن أكدر عليك من حيث ثبوت القصة، فهي قصة تصح أو لا تصح، وإن كان معناها كبيراً. . !

أبو حامد: بودي أن تعرف يا شارل أن كل قصة أو حديث عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أذكره لك هنا هو ثابت الوقوع، ولديّ استعداد كامل أن أدافع عن ثبوت كل قصة من هذه القصص.

يا «شارل»: لماذا إذا بلغتْك قصة من القصص عن جدك فإنك تصدقها - عادة - حتى لو كانت

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤١/٤٩٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه قد اختلف فيه على كهمس بن الحسن، قال الوادعي: صحيح على شرط مسلم، انظر صحيح أسباب النزول ١٦٠ .

ولادتك بعد حدوثها؟!

شارل: لأن الذي سوف يرويها لي هو: أبي، وأنا أثق بأبي، وأعلم أنه لا يكذب، ويرويها أبي عن جدي، وجدي عند والدي ثقة كذلك، وبهذا أعرف أن القصة صحيحة.

أبو حامد: وإذا رويت لك قصة عن جدك العاشر، هل تصدقها..؟!

شارل: لا أصدقها - عادة - ولا أستشهد بها إلا في مجال التسالي والاستئناس، لأن التأكد من ثبوتها في العادة صعب.

أبو حامد: هذا ممتاز، ولكن ماذا إذا أمكنك التوثق من مصداقية كل واحد من آبائك الذين رووا القصة، حتى وصلتَ إلى جدك العاشر..؟!

شارل: أُصدِّقها وأفخر بها..

علم الجرح والتعديل

أبو حامد: هذا الذي تقوله هو ما نعمل به نحن مع كل حديث يرد عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فأنتم لا تعلمون أننا نتشدد

في قبول القصة أو الحديث عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أكثر من تشددنا في توثقك من القصة التي جاءتك عن جدك، أو توثقي - أنا - من القصة التي أرويها عن أبي أو عن جدي.

إن لدينا - يا شارل - علم خاص اسمه علم **(الجرح والتعديل)** يضع هذا العلم أشد الشروط في كل راوٍ يروي الحديث عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وتطبق عليه، والذي تطبق عليه القواعد ليس هو مَنْ سمع من النبي - عليه الصلاة والسلام - فحسب! لا، إنما مَنْ روى عن مَنْ سمع منه، ومَنْ بعده، ومَنْ بعده، وهكذا، حتى هذه اللحظة، أو حتى قُيِّدت تلك القصة في الكتاب، ثم ننظر في صحة نسبة ذلك الكتاب إلى مؤلفه..

فإذا تأكدنا من كل ذلك عرفنا أن القصة صحيحة أو ضعيفة، فهو ميزان حساس وأشد حساسية من ميزان الذهب، وهو تدقيق أشد من

تدقيق الصراف الماهر في زيف النقود. وأظن أن تفصيل هذا الموضوع سيأتي في مجالس أخرى، ولابد.

وبالعودة إلى موضوعنا السابق أقول:

لا إكراه للبنت ولا للولد

**يا شارل:** إنك الآن تحكم بهذا الحكم بحكم شبابك وما نشأت عليه... لكنك يوم تكون أباً سوف ترى حرية ابنتك المُطْلَقَة في الزواج - والتي تدافع عنها الآن - اغتصاباً لابنتك الحبيبة من بين يديك وبحماية القانون..! وأنك مكره على قبول خطيبها إكراهاً، وخصوصاً إذا أصرتْ - هي - كعادة البنات!

**يا «شارل»: لا تفهم مني أنني أؤيد الحكم المقابل لإعطاء الأسرة الحق في إكراه البنت!!** فلا إكراه من هذا الطرف ولا من ذاك، إنما أرى الاعتدال والوسط، وأساس الاعتدال والوسط هو إحسان الظن بالنظر إلى جميع الأطراف، وأول الأطراف وأحقهم بذلك هما الوالدان، فلو أسيء

الظن في حق كل أحدٍ لما حُقّ لأحدٍ أن يسيء الظن بالوالدين في حق أولادهما. . . حتى في عالم الحيوان نفسه، فكيف بالإنسان. . ؟!

ثم هل مَنْ تَعِبَ وسهر وكدح الليل والنهار لأجل الولد - وهو لا يريد مقابلًا مادياً - يكون موضع تهمة؟ وهل الأم التي أصبحت أعظم مكافأة عندها على ما قدمت هو سعادة ولدها وابنتها توضع موضع تهمة؟ وهل في الوجود - يا شارل - أحدٌ يود أن غيره من الناس أحسن منه، ويتفاخر بذلك إلا الوالدين بأولادهما. . ؟ إذن فهل يجوز أن يُجعلا موضع ريبة أو حسد. . ؟!

فهل مَنْ فعل كل ذلك لأجلك وتمنى كل ذلك لأجلك يلغى رأيه، ويُساء به الظن، ويُكره على قبول ما لا يقبله قلبه؟!

أليس من حقهما أن يفيدا من تجربتهما لأولادهما وبناتهما؟

إن الوالدين ربما أخفيا عن كل أحدٍ تجاربهما

الفاشلة في الحياة، أما عن أولادهما فلا . . .

إن العزاء عندهما أن يقولا بكل إخلاص يا ولدي: قد أخطأنا في هذا الطريق فإياك أن تمشي فيه!

ومع هذا أعود لأؤكد بأن الواجب هو «**الوسط**».

من صور التعارف

أما تحقيق هذا الوسط على أرض الواقع فله صور واقعية عديدة. . . أذكر واحدة منها: يتعرف شاب على شابة بطريق مباشر: كأن تدرس معه في نفس المكان، أو يلاقيها في أي مكان، أو يتعرف عليها بطريق غير مباشر مثل: أن يخبره عنها من يثق به من أهله أو من غير أهله، فيعرض على أهله الزواج من فلانة، أو يعرض على البنت أولًا، فإن اتفقا على ذلك ذهب من يمثل أسرته لخطبة تلك البنت من أهلها، فيأخذ أهلها الوقت الكافي للسؤال والمشورة وعادة ما يؤخر أهلها الموافقة لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام ليسألوا عن

الشاب المتقدم وعن أسرته، وليشاورا البنت، ثمّ يتركوها تقرر مصيرها، وبعد ذلك يعود أهل البنت بالجواب على أهل الزوج بالموافقة أو بالرفض، وللعلم فإن هذهِ الخطبة غير ملزمة إنما هي مجرد عرض رغبة في الزواج، وهذا معمول به في المعاملات المالية التجارية، فإن من أراد شراء شيء عن طريق بنكٍ قدَّم ما يسمى بـ: رغبة في الشراء وهي غير ملزمة.

فإن وافق أهل الزوجة التقى صاحبا الشأن - الزوج والزوجة - وجهاً لوجه، وأخذا وقتهما الكافي ليقررا المضي في هذا الطريق الجديد وإنشاء حياةٍ جديدةٍ، بطريقة تحفظ للأسرتين كرامتهما، وللولد وللبنت سمعتهما، فإذا تمت الموافقة حققت فعلياً ارتباط أسرتين بارتباط شخصين، كما أنها ارتباط أرحام الأسرتين معاً - بعضهما ببعض - وهكذا يكون هذان الشخصان سبباً في ارتباط كتلتين من المجتمع بعضهما

ببعض، وبهذا يصبح كل زواج جديد رباطاً جديداً لحزمة كبيرة من الأرحام، يشدها ويقويها ويحييها لتعيش عمراً مديداً، وتحفظ الأنساب القديمة وتتوثق أكثر بهذهِ الأسرة الجديدة. .

ثم يكون الزواج الفعلي بعد ذلك سبباً في توثيقها أكثر وأكثر، وذلك من خلال الزيارات والاتصالات، فيكون هذا الثقل الهائل ثقل في كفة الأسرة الجديدة، وحصن يمنع انهيارها إذا أوشكت على الانهيار. .

**شارل:** يا أبا حامد: لا تحاول إقناعنا في قضية قطعية الوقوع عندكم، إنها قضية سلب البنت حرية الاختيار، وسلبها حرية التعبير، وظلمها، وتقديم الذكور عليها منذ طفولتها حتى تموت. . !

فهل يعقل إذا جاء وقت زواجها تُعطى حق اختيار الزوج. . ؟!

نعم، ربما نكون قد تجاوزنا في مجتمعاتنا

حدود الحريات المعقول، لكنكم أنتم في الطرف المقابل ولستم في الوسط!

ولتعلم يا أبا حامد أن هذه ليست نظرة خاصة بي إنما هي نظرة جميع أفراد مجتمعنا لمجتمعكم ولدينكم..!

ربما يكون تطبيق الصورة الوسطية من اطلاع الخطيبين بعضهما على بعض صورة خاصة بأسرتكم الصغيرة بحكم ثقافتك الواسعة، أما أن تكون هي الصورة الواقعة في مجتمعاتكم الإسلامية أو هي المشروع في دينكم الإسلامي فلا وألف لا..!

وهذا كلام ما سمعته من قبل عن دينكم، ولذلك فإني أرجو أن لا تصطدم إذا وجدت أن هذه الفكرة هي المنتشرة في مجتمعاتنا الغربية عنكم وعن دينكم في تعاملكم مع المرأة.

فمن المسلّم به في مجتمعاتنا أن المرأة عند المسلمين مهضومة الحقوق، فإذا كانت صغيرة

فضّل عليها أخوها الكبير، وإذا كانت زوجة استلب منها زوجها حقوقها، وإذا كانت أمّاً قدِّم عليها الأب... وهي لا تملك من الحقوق شيئاً..!

**أبو حامد**: بكل حسم أقول لك: الصورة التي ذكرت لك هي صورة واحدة من الصور المتعددة المشروعة للخطبة في ديننا، وهذه الصورة مطبقة في أكثر مجتمعاتنا الإسلامية حتى اليوم، بل إن بعض الأسر تخالف تعاليم ديننا لأنها تتعامل بطريقة مغلقة جداً مع من يريد الزواج منها حتى لا تجيز له أن ينظر إلى البنت إلا بعد أن يعقد العقد، وعند بعض الأسر لا تستشار البنت، وهكذا.. وأغلب هذا في المناطق التي يكثر فيها الجهل بأمور الدين، وهذا كله قد نهى عنه النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وسوف أسوق لك أحاديث ثابتة في ذلك، ليس من جانب الاستدلال الديني على الموضوع إنما من جانب

إثبات أن هذا الرأي الذي هو حكْم العقل، والوسط هو ما جاء به الإسلام، وأن المخالفات الواقعة من بعض المسلمين ليست محسوبة على الإسلام، إنما هي محسوبة عليهم.

سيبدو لك الآن أنني سوف أخرج خارج الاتفاق بالرجوع إلى **العقل** حين أسرد لك بعض الأحاديث والقصص الثابتة الوقوع، ولكني مستعد لأن أبين لك موافقة العقل لكل ما أذكره لتكون فقط عندك فكرة موثقة وصحيحة عن ديننا، ثم ماذا يخسر الإنسان إذا عرف معلومة جديدة من مصدر من مصادرها. .؟!

مغيث العاشق وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام له

أيمكنك أن تتصور أن النبي محمداً يذهب بنفسه ليشفع لعاشق امرأة كي تتزوج عاشقها، علماً بأن هذا العاشق عبد، وقد اختارت هذه المرأة بنفسها فراقه، لقد كان هذا العاشق يسير في الطرقات هائماً وراء معشوقته، يطلب وساطة الناس كي يعيدوا زوجته له، وأخيراً ذهب للنبي

محمد - عليه الصلاة والسلام - فاستمِعْ إلى القصة كما روتها المصادر من غير زيادة حرف واحد عن ابن عمه عبد اللّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أن مغيثاً كان عبداً فقال: يا رسول اللّه! اشفع لي إليها، فقال رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام- : «يا بريرة! اتقي اللّه ؛ فإنه زوجك وأبو ولدك؛ فقالت: يا رسول اللّه! أتأمرني بذلك؟ قال: لا، إنما أنا شافع»، قالت: لا حاجة لي فيه. فكانت دموعه تسيل على خده، فقال رسول اللّه ﷺ للعباس: «ألا تعجب من حب مغيث بريرةَ، وبغضِها إياه؟»[1] فهل تراه لو لم يقدِّر مشاعر هذا العاشق لذهب وشفع له وهو النبي..؟!

ثم هذه المرأة تردّ شفاعة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو الحاكم وهو النبي في آن واحد وهو نفسه قبل ذلك يخبرها ولا يلزمها.

تصور أن بعض العرب قبل بعثة النبي محمد -

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٣١)، وصححه الألباني.

عليه الصلاة والسلام - كان يَقْتُلُ بناته الصغيرات خوف الفقر، وخوف العار، وصورة الوأد أن يأخذ الأب ابنته ويذهب بها بعيداً عن البيت، بعيداً عن أمها، ويحفر لها حفرة، ثم يلقيها فيها حية، ويضع عليها التراب والصخر ويَدْفِنَها ويرجع عنها..

وبإمكانك أن تتأكد يا «شارل» مما قلت لك وترجع إلى القرآن، إلى سورة اسمها «التكوير» وهي السورة رقم (٨١) ورقم الآية فيها (٨ - ٩) وفيها تهديد مخيف لمن يئد البنات، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ ومعناها أن الله سوف يحيي هذه الموءودة الصغيرة وسوف يسألها عن الذنب الذي اقترفته فاستحقت به القتل... ولا ذنب لها قطعاً، وذلك يوم القيامة يوم يبعث الله الناس أجمعين.

أتدري يا «شارل» ما قيمة المرأة في تلك السنوات، أرجوك ارجع لسنة ستمائة بعد الميلاد عندكم ستعرف! إنه لم تكن للمرأة عندنا قيمة إذا

كانت صغيرة، ولا رأي لها إذا كانت شابة، ولا قرار لها في زواجها ولا شؤونها، وإذا مات عنها زوجها فهي كالمال الذي يورَث، لم تكن في النساء العربيات قائدات، ولا عالمات، ولا متعلمات، وحين جاء الإسلام رفع من شأنهن حتى ساواهنّ في بعض الأمور بالرجال، وفي بعضها رفعهنّ على الرجال، وفي بعضها رفع الرجال عليهنّ، والأساس في ذلك خصائص كل جنس الخَلْقية، والفطرية، ثم مؤهلاتهن وما يقدمنه والله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ياشارل لو فتحنا ثقباً صغيراً في قناع الغرور الأسود الذي يخمر الوجوه بهذهِ الحضارة لانكشفت الحقيقة المرعبة.

المرأة أُلبست اليوم أحسن الملابس لكنها أُخرجت من سلطان البيت الظالم إلى سلطان الشارع السائب.

وإذا تخلصت من الوأد بالدفن في الأرض فإن شعوباً مازالت تَقْتل البنات إما بالإجهاض أو بالقتل عند الولادة، لكن هل تستطيع تصور عدد البنات المؤودات كل عام في هذا العصر وحسب مجلة علوم الطب البريطانية (The New England Journal of Medicine Research) فإن عدد الإناث اللاتي يتم وأدهنّ سنوياً على مستوى العالم حوالي ١٠٠ مليون فتاة حيث يقدر حوالي ٥٠ مليون فتاة يتم وأدها في الصين لوحدها، وتساءلت الصحيفة عن عواقب مثل هذه السياسة في العقود القادمة فقالت إنها ستفاقم مشكلة تهريب النساء، التي ستتضرر منها المجتمعات النامية أكثر من غيرها.

كما أشارت إلى أن فائض الذكور قد تنجم عنه قلاقل إقليمية قد تنتشر لتصبح مشكلة أمنية دولية.

ونقلت في هذا الإطار عن الكاتبتين «فاليري هودسون وأندريا دن بور» قولهما في كتابهما حول «الديمغرافيا والأمن الغصون المتشعبة» إن فائض الذكور في منطقة ما غالباً ما ينجم عنه تفشٍّ للعنف من خلال السطو أو الاحتجاج أو الانضمام للعسكر أو الجماعات المسلحة.

**شارل**: الحقيقة أنني لم أكن أتصور أبداً أن الإسلام بهذا الإنصاف للمرأة، كل الذي نتصوره عن المرأة المسلمة هي سوادها ظاهراً وباطناً، وليس تشكيكاً بأبي حامد ولكن لكل دعوى دليل فما يدرينا أن أبا حامد من باب الكسب المجرد لدينه والدفاع عنه لاعتقاده بأنه يُحْسِن لنا ولدينه حينما يفعل هذا الشيء قال هذا القول وأعود لأؤكد باختصار لا بد من بيّنةٍ.

**أبو حامد**: إليك وإليك بعض الأدلة وهي أحاديث في المرأة صغيرةً وزوجةً وكبيرةً كلها ثابتة عن النبي – عليه الصلاة والسلام –.

إن أشهر خطب النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وأجمعها «خطبة الوداع»، وقد كان من أعظم وصاياه في هذه الخطبة وصيته بالمرأة فقال: «... ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن...»(١).

بل الإسلام يخص الأنثى بمزيد عناية، ويربط ذلك بمزيد الثواب.. لعلمه بحاجتها لذلك، وخطورتها إن لم تحصل على ذلك، ففي الحديث عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «من كانت له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها ولم

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٧) وحسنه الألباني.

يؤثر عليها ولده - يعني الذكور - أدخله الله الجنة»[١].

عن أبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهما واتقى الله فيهن فله الجنة»[٢].

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «إن من يمن المرأة تَيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»[٣].

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «دخل علي رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وعندي

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٢٣) وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط والألباني، وحسنه أحمد شاكر.

(٢) رواه أحمد مسنده (٣/٤٢) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/٧٧) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٥).

جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي - عليه الصلاة والسلام -، فأقبل - عليه الصلاة والسلام - فقال: «دعهما»، فلما غفل غمزتهما فخرجتا».

عن أبي جحيفة وَهْب بن عبداللَّه السوائي ﵁ أنه قال: آخى النبي - عليه الصلاة والسلام - بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كُل فإني صائم. فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك

حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي - عليه الصلاة والسلام -، فذكر ذلك له، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «صدق سلمان»[(١)].

الإكـــراه والـكـــره

**شارل:** قد قلت لك من قبل ولم تجبني، قلت لك: إن قيام الأسرة على الإكراه إنما يعني قيامها على الكراهية، فماذا تنتظر من أسرة قامت في الأساس على إكراه الوالدين للبنت على الزواج بهذا الشاب أو ذاك، أو قامت على إكراه الشاب على الزواج بهذه البنت أو تلك..؟!

أرى أن إعادة السلطة للأبوين سوف يسبب صدامات ما بين الأولاد والآباء والبنات، فأي الآباء سيوافق على ابنة تعرفت عليها في الشارع أو في المقهى، أو الإنترنت، أو في المدرسة أيام الصبا؟!ومن يضمن أن يلتقي مزاجي بمزاج والدي..؟!

**أبو حامد:** أما قولك بأن قيام الأسرة على

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٧).

**المحبة خير من قيامها على الإكراه** ، فعن أي إكراه عندنا تتحدث، وعن أي محبة يا «شارل». . ؟ إذ ماذا تنتظر من حياة شخصين أنفقا كل ما في جعبتيهما من حب قبل الزواج حتى المباشرة؟!

ماذا تنتظر مِمن تزوج قبل الزواج. . . ؟

**ثم أي قيمة أبقى الخطيبان للزواج** إذا كانا قد فعلا كل ما يفعل الزوجان معاً أثناء فترة الخطوبة، بل تعاشرا، وأحياناً يأتيهما الأطفال في تلك الفترة؟!

فماذا أضافت ورقة عقد الزواج الرسمية، لزواج قد تم بكل شيء إلا هذه الورقة؟!

**إن الذي أضافه عقد الزواج هو الإسراع في الطلاق. . !**

والنِّسَبُ تشهد بهذا. . . ولذا فمن المضحك المبكي أن تجد الخطوبة قد تستمر سنتين أو أكثر ولكن بعد إعلان الزواج بشهرين تقع الكارثة. . إذ يقع الطلاق. . !

فيعود الرجل متحملًا كل التكاليف، وتعود

البنت يائسة من حياة زوجية جديدة إلى الأبد!

| إحصاءات معدلات الطلاق العالمية[١] |
| --- |
| نسبة مئوية مِنْ زيجاتٍ جديدةٍ التي تَنتهي بالطلاقِ، في البلدانِ المختارةِ (٢٠٠٢) |
| نسبة الطلاق<br>(of marriages ٪ as) Divorces |
| ٤٦٪ استراليا<br>٤٥,٨٪ الولايات المتّحدة<br>٤٢,٦٪ المملكة المتّحدة<br>٣٩,٤٪ ألمانيا<br>٤٣,٣٪ روسيا<br>٣٨,٣٪ فرنسا<br>المصدر: أمريكان لإصلاحِ الطلاقِ |

ثم كيف يمكن لزوج أن يثق بزوجةٍ خانت أهلها في أخص خصائصها معه من قبل..؟ كيف سيثق بها إذا خلت بأصحابه غداً بعد الزواج، أو غاب عنها أو غابت عنه..؟!

(١) http://www.divorcemag.com/statistics/statsWorld.shtml

وكيف ستثق هي به..؟!

كيف سيثق بأن هؤلاء الأولاد من صُلْبه، وأنه لا يربي أولاد غيره وهو لا يدري وخصوصاً إذا كانو يشبهونها؟!

أنت تتحدث عن الحب في جو فيه الثقة ضعيفة وربما معدومة..؟!

**أما قولك ياشارل: إن الأسرة ربما ترفض وبذلك يحرم المحبوبان أمنيتهما في هذهِ الحياة.**

فأنا أعترف لك باحتمال رفض الأسرة، وإلا فما قيمة الأسرة إن كان دورها دور مكتب لتوقيع معاملاتٍ مرّت على المسؤول الأكبر وبقي عليهم أن يوقعوها؟

لكن رفض الأسرة يجب أن يكون عن طريق ولي أمرها، وليس من حق أي فرد من أفرادها أن يعطل مشروعاً مثل هذا..؟!

وإذا كان طالب الزواج رجلًا مستقيماً وولي أمر البنت يرفضه من غير مبرر معقول، أو كان

أبوها غير مستقيم أو غير سوي، وقد رغبت فيه البنت، فيجوز للقاضي أن يزوجها دون رضا الأب، وفي هذا حماية من تعسف بعض الآباء في استخدام الحق الشخصي..!

**ثم لِمَ تفرض أنهما سيرفضان أصلًا..؟!**

فالوالدان لا يختاران لأنفسهما وإنما يختاران لك، ومادام الأمر كذلك فالأصل عندهما ما يسعدك وما تحب لا ما تكره..؟!

ثم هل تعتقد أن من يُقدِّر أحداً ويستشيره، تكون غاية ذاك المستشار هو خداعه وإفشال حياته أم تكون غايته تقدير طلبه ومشاركته بخالص النصح مع خالص المحبة..؟!

كيف وهما أحب الناس: الأب والأم..؟!

ثم إن هذا الموضوع مطبق عندنا ولم يحدث اصطداماً، والأمور تصب في حماية الزوجين وسعادتهما، وبقاء زواجهما، مع أن لكل قاعدة شواذ..

إن النِّسب التي تدل على التهور في هذا السن في جانب الأولاد والبنات لا في جانب الآباء والأمهات، والخطأ هو المرجح على الصواب، ومن ثم لزم أن يعاد الحكم إلى الأصل. . . إلى ملك الأسرة. إلى الأب. . . وغير ذلك يعد انشقاقاً على النظام الخاص وعلى النظام العام.

ولأجل هذا فسوف أذكر لك هذه الدراسة[1] لترى أين ترتكز المشاكل التهورية:

---

(١) http://www.infoplease.com/ipa/A0004898- html

Total Arrests by Age, 2006

## مجموع الموقوفين حسب العمر، ٢٠٠٦

| Age<br>الأعمار | Number of arrests<br>عدد الموقوفين | Percent distribution<br>النسبة المئوية |
|---|---|---|
| Total، all ages | ١٠,٤٧٢,٤٣٢ | ٪١٠٠,٠ |
| 18 | ٤٨٨,١١٩ | ٤,٧ |
| Total, under 18 | ١,٦٢٦,٥٢٣ | ١٥,٥ |
| 17 | ٤٣١,٨٧٦ | ٤,١ |
| 16 | ٣٩٥,٧٤١ | ٣,٨ |
| 15 | ٣٢٤,٣٥١ | ٣,١ |
| Total, under 15 | ٤٧٤,٥٥٥ | ٤,٥ |
| 13 - 14 | ٣٦٢,٩٦٨ | ٣,٥ |
| 10 - 12 | ٩٨,١٦٧ | ٠,٩ |
| Under 10 | ١٣,٤٢٠ | ٠,١ |

وكم تتسارع وتيرة الاختلافات وتتصاعد في

أسر المراهقين المتهورين المنشقين عن أسرهم، فلا تجد من يقف معها من أهل وأرحام، فيقع الطلاق بعد إنجاب ولد أو ولدين، وأحياناً كثيرة يقع الزواج دون عقد ويأتي الأولاد منهما ثم يقع الطلاق.

أظهرت دراسة محكمة لهذا النوع من البيوت والتي تسمى بيوت بلا أب مشاكل كبيرة، فأظهرت أن:

٦٣٪ من انتحار الشباب من هذه البيوت.

٩٠٪ من الهاربين إلى الشوارع من هذه البيوت.

٨٥٪ من سيئي السلوك من هذه البيوت.

٧١٪ من الذين لا يكملون دراستهم من هذه البيوت.

٨٥٪ من أحداث السجون من هذه البيوت[1].

---

(١) www. divorcemag.com

ومع هذا فعليك أن تعلم يا «شارل» أن وقوع الخطأ وارد في كل اجتهاداتنا وأعمالنا لكن المنهجية المتبعة في هذا النظام تمنع حدوث اختلاف، فإنْ وَقعَ اختلاف فلا بد من حله بالتراضي، فإن لم يمكن رُفع الأمر إلى الحاكم الأكبر أو من ينوب عنه وهو القاضي كما ذكرت لك، ومع هذا فاعلم أن قضاء القاضي مبني في الأساس على العدل والنزاهة، أما قضاء الوالد فعلى العدل والمحبة، وشتان بين القضاءين. . . فكما يقع القاضي في أخطاء يقع الأب في أخطاء، لكن أين خطأ القاضي الموظف من خطأ الأب المحب؟! وكما يشذ بعض القضاة فيظلمون، يشذ بعض الآباء فيظلمون. . . لكن أتغلق المحاكم، وينسف المنهج القضائي كله لأجل شذوذات بعض القضاة الظالمين، وهل تنسف حقوق جميع الآباء على الأبناء لشذوذات بعض الآباء الظالمين. ؟!

وأي خسارة أكبر من خسارة قوة اجتماعية

كـانـت بـيـن يـديـك فـي حيـاتـك الاجـتـمـاعـيـة القادمة..؟!

أي خسارة أكبر من خسارة الحصن الذي كنت تستطيع أن تفيء إليه لو وقعت في الخطر أو اشتدت بك الحاجة..؟!

أي خسارة أكبر من خسارة عقول راجحة محبة وهبت لك استخدامها من غير مقابل..؟!

أي خسارة أكبر من خسارة القلبين اللذين زرعا حبك فيهما منذ زُرِعت بذرتك في أحشائهما ولا يزال يكبر حبك بكبرك..؟!

**شارل:** اسمح لي يا أبا حامد أن أقول لك **بالغت كثيراً في حق الوالدين..!** نعم لهما حق الاحترام والتقدير إلى آخر العمر، أما أن يتعدى حق التقدير والاحترام إلى فرض الرأي فلا..!

أنا لا ألومك أبداً وأنت تتحدث عن الوالدين ووجوب الأخذ برأيهما في الزواج، لا ألومك لأن واقع سلب الديمقراطية هو حياتكم، فلا

غرابة في هذا الاستبداد الأسري الذي لو أقمنا حياتنا عليه اليوم لانفرط نظامنا الاجتماعي والسياسي وأصبحنا مثلكم..

**أبو حامد**: أنا أعجب - أيها الأولاد والبنات - كيف تبررون عقوقكم لوالديكم..؟! وكيف تدافعون عن عقوق أولادكم - مستقبلاً - لكم..؟! وكيف جعلتم عقوق الوالدين إرثاً تتواصون به..؟

الوالدين أم صنمين

إن مختصر كلامكم أنكم تريدون من الوالدين أن يكونا مثل صنمين في البيت عند عبدة الأصنام... فكأنهما تُحفتان وضعتا للتبرك بهما، أو كالأختام التي يختم بها!

**يا شارل**: إنك الآن لا تتمنى لأحدٍ في هذا الوجود أن يكون مثلك، لكنك ستتمنى ذلك لواحد فقط من بين الناس جميعاً: إنه ولدك إذا جاء... بل تتمنى أن يكون أحسن منك وأنت في غاية الفخر والاعتزاز!

ستدرك - **يا شارل** - يوم تكون أباً لولد بالغ، مقدار الأنانية وانعدام الإحساس الذي كنت تنتهجه مع والديك!

ستدرك - يا شارل - مقدار الحرقة والعذاب الذي كان يعيشه والداك حين يريان انعدام الوفاء من فلذة كبديهما..!

يا شارل لو عُمِلَتْ انتخابات ديموقراطية في هذه الأرض حول أي الرجال أكثر لك حباً فستكون النتيجة القاطعة هو «أبوك» من غير منافس يذكر.. ولو عملت نفس العملية حول أكثر امرأة حباً لك فستكون هي «أمك» من غير منافس كذلك..!

وهي نفس النتيجة لو عُمِلتْ مع جميع الناس.

الحل

**يا شارل**: لو أن ملكاً قام بانقلابٍ على آخر لكان ذلك أمراً محزناً بالنسبة للملك الأول، أما أن يعمل هذا الانقلاب في كل لحظة في بيوتكم ثم لا تشعرون به فهذا نكران.. ثم إن الذي يقوم

بهذا الانقلاب هو الولد والبنت على أبويهما وهذا أصعب. . !

ثم إن الذي يعمله اليوم يعلم أنه سيُعمل له غداً وهذا أصعب وأصعب. . وإذا كان المجتمع قائماً على هذا، فأنى للجيل الجديد أن يأتي مدافعاً عنه قبل أن يذوق مرارته؟!

إنها أنانية ليس مثلها أنانية. .

لقد كان متوقعاً أن نتردى نحن مثلكم لولا حفظ الإسلام للوالدين حقهما كاملًا حتى إنه رفع منزلة برهما لدرجة العبادة وجعل هذا النوع من العبادة بعد عبادة اللّه مرتبة.

**أستاذ فيفا**: يا أبا حامد، لقد ضربت على الوتر الحساس في حياتنا. . !

لقد أَثَرْتَ الأوجاع التي نحاول أن نتناساها وهي تلذعنا في كل وقت. . وأنا لا أشك بأن رجلًا مثلك يعلم مقدار فقداننا لهذا البر، ومقدار حاجتنا إليه ولذلك طَرَقْته.

لكن طَرْقك باب العاطفة ونحن نتحدث في موْضوع فكري تَعدٌّ على العقل، ثم إنك ربما تجد كثيرا من الأسر غير المسلمة في مجتمعات هذه الأرض عندها برّ الوالدين مثل المسلمين وأكثر، فبأي شيء تفاخر أنت، فأنا أبرُّ أمي وهي تشهد بهذا..؟!



أبو حامد: بودي أن تعلم أن كون غير المسلمين من بعض المجتمعات هنا وهناك في هذه الأرض مثلنا لا ينقصنا بشيء، بل هو يزيدنا تمسكاً بديننا، لأن أحسن ما عند الناس عندنا مثله وأحسن منه، فنحن نجمع جميع محاسن المجتمعات وزيادة.

فالمرأة عندنا تَبَرُّ زوجها وتوجد في الأرض نساء يبررن أزواجهن، وهذه مفخرة لنا.

والولد الأصغر عندنا يحترم الولد الأكبر، وهذا كذلك مفخرة لنا إنْ كان هذا منهجاً عند آخرين.

والخادم عندنا يُعامَل معاملة النفس، وهذا

مفخرة لنا كذلك، وهكذا وهكذا.

منزلة الوالدين

ومع هذا فنحن نتميز عن هؤلاء وغيرهم، ففي بر الوالدين مثلًا نتميز عنهم بأننا نجعل بِرَّ الوالدين عبادة للَّه وحده، بمعنى أننا نؤديها بأقصى درجات الاتقان، وأنها غير خاضعة لاختلاف وجهات نظر أو تابعه، لإحسان من الوالدين، ولا نجعلها ردة فعل أو إساءة ولا أي طارئ من الطوارئ، ولكي أثبت لك أن منزلة بر الوالدين منزلة ليست فوقها منزلة بعد عبادة اللَّه وحده، وأن هذا الذي أذكره لك ليس من كيسي إنما هو أمانة دين لا دخل لي فيها، سوف أذكر لك هذا النص وأرجوك أن تفكر فيه، فاقرأه بأي روح شئت، فإن قرأته بروح الوالدين ستجده شافياً كافياً، وإن قرأته بروح الولد فهو كذلك.

ففي سورة لقمان يقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ

ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[لقمان: ١٢ - ١٥].

وأريد أن أوضح نقاطاً محددة حول هذه الآية:

**أولًا**: الآية جعلت منزلة بر الوالدين تالية لمنزلة توحيد اللَّه في العبادة، وليس عندنا فوق منزلة التوحيد من منزلة..؟ وهذا يعني أن السر في حفاظ المجتمعات الإسلامية على بر الوالدين إنما هو منزلتهما التي جعلهما فيها الإسلام..ثم حوّل برهما من قضية معتقد في الصدور إلى ممارسة عملية لنا فيها أجر العبادة العملية وزيادة.

ولكن لما بقيتْ مشاعركم من غير دين يُظهر مكانتها ويُنظم أولوياتها، انفرط عِقْدُها في

مجتمعاتكم، وأصبحتَ ترى جيل أبيك مازال يحتفظ بصور كثيرة لبر الوالدين، بينما أصبح هذا الجيل مع الوالدين في عقوق كبير، والمتوقع أن يزداد الانحدار في جيل أبنائكم معكم.

**ثانياً**: ذكرتْ الآية أعظم صورة من صور عدوانِ الوالدين على الأولاد وهي أن يكون الوالدان غير مسلمين! وليس هذا فحسب، بل يأمران ولدهما بترك الإسلام والإشراك باللَّه..! وليس هذا فحسب بل يجاهدانه على ذلك..! ومع هذا ما أمر اللَّه بمقابلة عدوان الوالدين عليه هو - سبحانه كما في الآية - بالعدوان عليهما، إنما بمصاحبتهما في الدنيا معروفاً مع عدم طاعتهما في هذا الأمر الشنيع، فاستمع ثانية للآية: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

إذن فالآية واقعية تماماً حين تذكر أن الخلاف بين الأولاد والآباء يمكن أن يقع، ويقع على

أعلى مستوى وفي أكبر قضية، ويُصعِّده الوالدان إلى أعلى درجة، ومع كل هذا فيجب عدم الإساءة لهما.

فكيف بما دون هذا الاختلاف من أمور..؟!

فانظر لهذا النص بأي العيون شئت.

فإذا نظرت لهذا النص بعيون الأبناء فهذا هو أنت اليوم.. وإذا نظرت له بعيون الآباء فهو أنت في الغد.

وإذا نظرت له بعين الناصح أو المخطط للواقع والمُسْتَقْبَلِ فسوف تنظر بعين الإنصاف والموازنة.

إنك يوم أن تستغني عن هذا المبدأ إنما تقرر الاستغناء عن النظام الوحيد للسعادة الأسرية الأبدية لك ولأجيال أسرتك.

وإذا أردت أبعد من هذا فانظر لآية أخرى في القرآن في سورة الإسراء تذكر المستوى المطلوب من البر:-

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

هذا هو المستوى المطلوب من بر الوالدين.

فهنا الوالدان قد بلغا الكِبر، والكبر عبء وعناء، وأحياناً خرفٌ وإساءة ونجاسة، وأحياناً عدوان على أولادك وأزواجهم وأولادهم، وأحياناً وأحياناً.. وصور ذلك معروفة ولا تنتهي، وفي مقابل كل هذا يقول اللّه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

يقول بعض مفسري القرآن الكريم: (لو كان في اللغة كلمة أقل إساءة من كلمة «أف» لذكرها القرآن..!)[1].

لا... ليس المطلوب أن تقف موقفاً سلبياً تجاه إساءتهما بل المسألة أعلى من ذلك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

(١) انظر القرطبي (١٠/ ٢٠٧).

فعليك أن تخفض لهما جناح البر! . لا ، ليس هذا! إنما المراد جناح الذل من الرحمة ، تأمل هذا التعبير ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ فإذا كان الذل في أصله مخفوض فالمطلوب أن تخفضه أكثر وأكثر ، ثم إن هذا الجناح «من الرحمة» وليس من التكلف والمجاهدة فحسب .

وأخيراً تَذْكر الآية مقاماً عالياً لا يكاد يبلغه عامة الناس ، ذلك هو ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ فكأن هذا الإنسان البارّ مع كل ما صنع عاجز عن بلوغ برهما ، لذلك فهو يدعو اللّه أن يعينه على برهما ، وليتوجه بالدعاء فيقول : ﴿ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ .

فما الفارق بين إحسان الوالد إليك صغيراً وبين إحسانك إليه كبيراً إن أحسنت إليه . . ؟

لقد ذكر الفارق أحد العلماء حينما سأله رجل عن أمه التي كبرت عنده فكان يغسلها كما كانت تغسله صغيراً ، وأصبح يصنع معها وهي كبيرة ما

كانت تصنع معه صغيراً فقال: هل كافأتها..؟!

فقال العالم: لا.

قال: ولم؟

قال: لأنك فعلت ذلك وأنت ترجو الراحة منها ولو بالموت، لترتاح هي من هذا العناء، بينما هي فعلت معك ذلك وهي ترجو لك الراحة وطول العمر، ولو من عمرها...!

وأخيراً بودي أن أبين لك أن القضية ليست قضية مشاعر مجردة نحو الوالدين، بل هي ممارسة عملية واجبة مطلقاً إلا في معصية اللَّه، بمعنى أنك تطيعهما في كل أمر إلا إذا أمراك بما حرم اللَّه، أو تعدَّ على البشر.

مشاعر وممارسة

صدقني - يا شارل - أنني عشت حياتي كلها مرافقاً لأبي إلا فترة رحلاته للصيد، فهذا كان مصدر رزقه، وقد كنت وقتها صغيراً وكذا فترة دراستي العلمية في الخارج، وكنت لا أخالف أمره في شيء وهكذا كل إخواني، ومات وهو عنا راض

تمام الرضا. . وما كنت أستطيع أن أنام ليلة واحدة مع زوجي وأبنائي وأنا أشعر أن في نفس أبي أيَّ ضيق نحوي، حتى أذهب إليه في الليل وأجلس معه وأقبل قدمه ويده ورأسه وأشعر أنه راضٍ عني تمام الرضا، ثم أعود لأنام وأنا في غاية الراحة، وهكذا يصنع كل إخواني، واللَّه مازلت أشعر بندم كبير في نفسي إذ كنت أقدر على أكبر من هذا البر ولم أصنع، وقد ألفت كتاباً يحكي سرّ برّ الوالدين وسر عقوقهما وربما يكون اسمه «**هكذا رحل أبي**» وسوف أطبعه قريباً ولكن لا أظنني مترجمهُ إلى لغاتكم. وما كنا نصنعه مع أبينا فإنا نصنعه مع أمنا وزيادة، وها أنت ترى أن اسمي توفيق مع أنك تناديني أبا حامد إشارة ظاهرة لتبادل البر، فكما يحمل هو اسمي وينسب لي فأنا أحمل اسمه.

والآن أجد سلوك أبنائي معي ومع أمهم مماثلًا لسلوكنا وقد تجاوزنا الخمسين من عمرنا، لأنهم دخلوا هذه المدرسة التربوية العلمية العملية، ونحن كما نرجو الأجر من اللَّه فإننا نعتقد تماماً أن البر والعقوق إرث، فقد علَّمنا النبي محمد -

عليه الصلاة والسلام - ووجدنا ما علّمنا حقيقة واقعية أمام أعيننا وهو تعجيل عقوبة العاق فيقول: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل اللَّه تعالى لصاحبة العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم**»(١).

سأتركك تفكر في هذه الأحاديث، كل حديث منها باسم مَنْ رواه عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - حتى تعرف السر في بقاء بر الوالدين في مجتمعاتنا الإسلامية... كما تعرف أننا غير راضين تماماً عن هذا المستوى من البر الذي وصلنا إليه، فنحن نطمع بالمزيد والمزيد.

١) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: أي العمل أحب إلى اللَّه عز وجل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل اللَّه»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٢) وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٥٠٤).

٢) عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول! من أبرّ؟ قال: «أمك» قلت: ثم من؟ قال: «أمك» قال: قلت ثم من؟ قال: «أمك» قال: قلت ثم من؟ قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب»(١).

٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلًا هاجر إلى رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - من اليمن فقال: يا رسول اللَّه، إني هاجرت؟ فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «قد هجرت الشرك، ولكنه الجهاد؟ هل لك أحد باليمن»؟ قال: أبواي، قال: «أذنا لك»؟ قال: لا، قال: «ارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك، فجاهد، وإلا فبرهما»(٢).

٤) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى رجل رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فقال: إني أشتهي

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٧)، وحسنه الألباني.
(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٠) وصححه الألباني.

الجهاد ولا أقدر عليه، قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: «قابل اللَّه في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا رَضِيَتْ عنْكَ فاتق وبرها»[١].

٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا أتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال: «هل لك من أم؟» قال: لا، قال: «فهل لك من خالة؟» قال: نعم، قال: «فبرها»[٢].

٦) عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في الجبل، فانْحَطَّتْ على فَمِ غارهم صخرةٌ من

---

(١) رواه أبو يعلى (٢٧٦٠)، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٢٧٠)، والهيتمي في الزواجر (٢/ ٧٤)، وضعفه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (١٩٠٤) وصححه الألباني.

الجبل، فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة للَّه، فادعوا اللَّه تعالى بها، لعل اللَّه يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللَّهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم(١) فحلبت، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بَنيّ، وإنه نأىَ بَي ذات يوم الشجرُ(٢) فلم آتِ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون(٣) عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج اللَّه منها فرجة،

---

(١) أرحت عليهم: أي إذا رددت الماشية من المرعى إليهم، إلى موضع مبيتها.
(٢) نأى بي ذات يوم الشجر: ومعناه بعد، والنأي البعد.
(٣) أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

فرأوا منها السماء، وقال الثاني: اللَّهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما وقعتُ بين رجليها، قالت: يا عبد اللَّه، اتق اللَّه ولا (تفتح) الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، اللَّهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم فرجة، وقال الآخر اللَّهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أُرُزٍ[١] فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها، فجاءني فقال: اتق اللَّه ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها[٢] فخذها. فقال: اتق اللَّه ولا

---

(١) بفرق: بفتح الراء وإسكانها، لغتان: الفتح أجود وأشهر، وهو إناء يسع ثلاثة آصع جمع صاع، ومقداره خمسة أرطال وثلث على رأي الشافعي.

(٢) الرعاء بكسر الراء وضمها، جمع راع وهو من يقوم بمهنة الرعي.

تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا ما بقي، ففرج اللّه ما بقي[١].

٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه – عليه الصلاة والسلام –: «لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[٢].

تسع نسوة

شارل: دعني أعيد الكَرَّة على كرامة المرأة التي تزعم أن الإسلام جاء بها، إذ إنني أراها تصدم مباشرة بأعمال محمد نفسه، فبحكم اطلاعي على التاريخ فإني قرأت في حياة النبي محمد أنه تزوج تسع نسوة، هل هذا صحيح..؟!

وهل هذه كرامة للمرأة..؟!

أليست هذه شهوانية غريبة..؟!

ثم لماذا يباح للمسلم منكم أربع نسوة..

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٩) ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.
(٢) رواه مسلم (١٥١٠).

ويباح له وحْده تسع نسوة..؟!

بإمكانك أن تقول أي شيء لكن أن تنفي أن مَنْ يفعل ذلك إنما يفعله لأجل الشهوة، فهذا ما لا يصدقه أحد..!

أبو حامد: سوف أجيبك جواباً عقلياً لا شرعياً، وأترك لك القرار بعدها، فما رأيك..؟!

نعم، صحيح أن النبي محمدا - عليه الصلاة والسلام - كان عنده تسع نسوة في بيت واحد، لكنك لو تفكرت في الأمر جيداً لوجدت أن في هذا أعظم تكريم للمرأة، وليس في ذلك شهوانية.

أتدري لماذا؟!

أظنك يا شارل توافقني على أن جميع بنات العرب كنَّ يتمنين أن يتزوجن بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -... وتوافقني على أن الأسر والقبائل التي يتزوج محمد ببناتها تزداد شرفاً بين القبائل الأخرى، أليس كذلك؟!

إذن، لِمَ لَمْ يتزوج إلا تسع نسوة لو كان شهوانياً وبين يديه جميع بنات العرب؟

لِمَ تزوج زوجته الأولى وعمرها أربعون سنة وعمره خمس وعشرون لو كان شهوانياً؟

فلا المرأة في هذا العمر مِمَّنْ تُشْتهى من قِبَلِ شابٍّ في هذا العمر، ولا الشاب الشهواني يضيع عمر التدفق والقوة والفتوة مع امرأة بهذا العمر..؟!

لم لم يتزوج زوجه ثانية إلا بعدما جاوز عمره الثلاثة والخمسين سنة...؟

ثم هل الشهوة بعد الخمسين في العادة تزداد أم تتناقص حتى نقول إنه تزوج لأجل الشهوة..؟!

وهل الرجل الشهواني يضيع عمره بزواج نساء ثيبات، وبعضهن معيلات وهو يقدر على زواج الأبكار بدليل أنه تزوج ببكر واحدة فقط وهي عائشة بعدما تجاوز الثالثة والخمسين من عمره..؟!

ستجد الجواب الأكبر أنه ما تزوجهن إلا إنقاذاً لهنَّ ورحمة بهنَّ من الضياع، وتشجيعاً لأصحابه أن لا يقطعوا المطلقات والأرامل من المجتمع، وحماية للذريات من الضياع، فإنك لو رجعت اليوم إلى سجون الأحداث لوجدت أن النسبة الأعلى في المساجين لأبناء الأرامل والمطلقات، وقد مرّ معنا ذلك في إحصائية «بيوت بلا أب»!

ثم إن محمداً كان في فترة ابتلاء وجهاد مع أعدائه، فكان في زواجه هذا تشجيع لكفالة أبناء الشهداء، فهل يتزوج صاحبات المشاكل والأبناء من يشتهي ويتشهى النساء؟!

كما تزوج من بنات بعض أعدائه فكان تقريباً لأهلها له، وفيه إسقاط لبعض الحواجز النفسية مع قومها، فقد تزوج «**رملة**» ابنة رأس أعدائه من العرب «**أبي سفيان بن حرب**» قبل أن يدخل في الإسلام، وتزوج ابنة رأس أعدائه من اليهود واسمها «**صفية بنت حيي بن أخطب**» ، وما من

واحدة منهن إلا تجد حكمة عظيمة لزواجه منها، وبهذا أصبح أهل كل واحدة من هؤلاء أخوال قومه، ولم يكن الجمال أو المال أو الحسب أو نحو ذلك يشكل أدنى نسبة في الاختيار، كما أنه ما تزوجها مصلحة، ولذا فلم يغدر بها أو بأهلها.

ثم هن تسعة نسوة فقط، نعم أقول فقط، لماذا..؟!

كم تزوج الأنبياء قبله

لأنكم أول من يعلم كم تزوج الأنبياء قبله، فأنتم تعلمون أن «جدعون» وهو أحد أنبياء بني إسرائيل تزوج نساء كثيرات كما في سِفْرِ القضاة: «كان لجدعون سبعون ولداً خارجون من صلبه، لأنه كان له نساء كثيرات» (سفر القضاة: ٣٠٢٨).

وأما داود فقد أُبيحت له النساء بلا حصر كما في التوراة: «هكذا قال الرب إله إسرائيل، ونساء سيدك في حضنك..» (سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٧-٨).

أما سليمان فقد جاء في التوراة: «كانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من

السراري. .» (سفر الملوك ١٦: ١-٤).

فلم كانت هذه التسع نسوة عيبة في حق محمد وهي بل أكثر منهن سُنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام جميعاً -. .؟!

وأقول كذلك: **تسع نسوة فقط**، لأن أي مسلم يتزوج أربع نسوة من حقه إذا طلق أن يتزوج غيرهن مهما بلغ العدد وبشرط ألا يزيد العدد عن أربع، لكن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هو الوحيد الذي حرم اللَّه عليه أن يزيد عن التسع، حتى لو طلقهن جميعاً، وفي القرآن آية تدل على ذلك في سورة الأحزاب، والآية رقم (٥٢) يقول اللَّه تعالى فيها: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

حتى أنت يا شارل تستطيع أن تعدد بواحدة ثم أخرى كما تشاء كزوجات لا كخليلات، لا يمنعك

من ذلك القانون. . بل أنتم في مجتمعاتكم تعددون طوال حياتكم أقبح تعدد. . . فما يكاد يوجد واحد إلا عَاشَرَ عشرات الخليلات. . !

فأي الفعلين فعل المُتَشَهِّين. . ؟!

**وهل بلغكم أن النبي** - عليه الصلاة والسلام - اتخذ في السر خليلة واحدة. . ؟!

يا شارل إنك: إذا نظرت في حياة الأسرة المسلمة اليوم وجدت أن أعظم الأسباب في حفظها هو زواج النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بهؤلاء النسوة. . فكل واحدة منهن كانت ملزمة أن تُبلِّغ إلى خارج البيت الأقوال والأفعال التي تراها من النبي - عليه الصلاة والسلام - في البيت، وهذا الأمر موجود في القرآن نفسه، يقول اللَّه تعالى في سورة الأحزاب آية ٣٤ مخاطباً النساء: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

ومعنى «آيات اللَّه»: القرآن، ومعنى الحكمة: هي «سنة النبي محمد ﷺ».

إذن فكل واحدة من زوجاته كانت مرجعاً علمياً، ولذلك شاع العلم في نساء هذه الأمة بفضل هؤلاء النسوة وأمثالهنّ، فهل لو كانت عنده زوجة واحدة كانت ستقوم بهذا الدور الكبير الواسع..؟ وماذا إذا نسيت الواحدة، أو لم تحضر بعض المواقف المهمة؟

ولو درستَ حياة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لوجدت أن زوجاته نَقَلْنَ عنه العلم والعمل بكل أمانة ورفعة في التعبير ودون إسفاف.

**ثم أين الإهانة لهن** وقدْ رُفِعْن في زواجهن هذا إلى منزلة الأمهات في القرآن فأصبح لقبهن «أمهات المؤمنين»؟ فهل من منزلة أعلى من منزلة «الأم»؟ ورفعن علمياً حتى أصبحن معلمات المؤمنات، وقدواتهن.. فهل في منزلة «المعلمة» إهانة..؟!

وللعلم فإن حياتهن لم تكن حياة نظرية مثالية، لا، بل كان فيها كل شيء من: مثالية، ومشاكل، وشهوة، وحياة عامة، ومنام، واستيقاظ، وما إلى ذلك، حتى لم تبق زاوية خافية من حياته - عليه الصلاة والسلام -.

وبهن اكتملت إمكانية الاقتداء به في حياته الأسرية كما في حياته الاقتصادية، كما في حياته السياسية، وهكذا في جميع جوانب حياته.

**وأنت إذا قسمت حياة الرجل** على الساعات وأخرجت نسبة بقائهُ في بيته عدا نسبة بقائه في خارج بيته فسوف تجد أن بقائه في بيته لا يقل عن ربع يومه أي بنسبة ست ساعات فإذا كان مَنْ يروي حياة النبي محمد ﷺ خارج بيته ألوف مِنْ أصحابه وهذا يمثل ثلاثة أرباع يومه أي ثماني عشرة ساعة فكم ينبغي أن يكون عنده من الرواة في ساعاته المتبقية؟

**ثم إذا كان أصحابه الذين رأوه** زادوا عن المائة

ألف، رجالاً ونساءً، وكانوا ينقلون عنه كل شيء، أيناسب أن تنقل عنه في البيت واحدة؟ أي ظلم للنساء بعد ذلك، وأي جفاء علمي ستواجهه المرأة من بعده..؟!

ولا يذهب بك التفكير أن زوجات محمد كنساء القصور! لا، بل هن القدوات علماً وعملاً وَعِشْنَ على أشدّ ما تكون العيشة في البيت، وما كن مكرهات في العيش معه، وحين رغبن في مزيد من التوسعة عليهن في العيش، نزل تخييرهن من اللَّه بين البقاء معه على هذا العيش أو فراقه..! وذلك في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: ٢٨ - ٢٩].

ومن أجل بيان حقيقة العيش في ذلك البيت، وبيان عظيم المحبة، مع بيانها سبب نزول الآية

السالفة الذكر إليك هذه القصة التي حدثت في بيته:

عن جابر بن عبدالله قال: أقبل أبو بكر يستأذن رسول الله، والناس ببابه جلوس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا، والنبي - عليه الصلاة والسلام - جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأُكلمنَّ النبي - عليه الصلاة والسلام - لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت بنت زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك رسول الله حتى بدا ناجذه وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألن رسول الله ما ليس عنده!! فنهاهما رسول الله، فقلن: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة فقال: إني أريد أن أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو؟

قال: فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

قالت عائشة: أفبك أستأمر أبوي؟ بل أختار اللّه ورسوله، وأسألك لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال: إن اللّه عز وجل لم يبعثني معنفاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها»[١].

ودعك يا شارل من جوابي هذا كله إن شئت، وخذ بجواب عالمة إيطالية لا يشك أحد في علمها ونزاهتها، وهي غير مسلمة... إنها **«لورا فيشيا فاغليري» تقول في كتابها**: «لقد أصر أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصاً شهوانياً.... محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية

(١) رواه مسلم (١٤٧٨) وغيره.

ضعيفة غير متناغمة مع رسالته، إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة، وهي: أنه طوال سني الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كان الزواج فيه باعتباره مؤسسة اجتماعية مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلًا إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا امرأة واحدة ليس غير هي خديجة... ولم يتزوج ثانية... إلا بعد أن توفيت، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زيجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك أنه قصد إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر أو القبائل الأخرى ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام. وباستثناء عائشة... تزوج محمد من نسوة لم يكنَّ عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلًا لا إلهاً، وقد تكون

الرغبة في الولد هي التي دفعته إلى الزواج من جديد... ولكنه التزم دائماً سبيل المساواة الكاملة نحوهنّ جميعاً، لقد تصرف متأسياً بسنة الأنبياء القدامى... مثل موسى وغيره الذين يبدو ألا أحد من الناس يعترض على زواجهم المتعدد»[١].

لعلنا نكون قد كدّرنا على شارل بهجة فرحه، لكني أعلمُ أني أخاطب أشخاصاً على قدر عالٍ من الفهم.

* * *

---

(١) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، للدكتور لخضر شايب ص٢٠٥، والمستشرقة هي إيطالية متخصصة في العربية وآدابها من مؤلفاتها «الإسلام» و«الدفاع عن الإسلام»... المستشرقون ١ / ٤٦٦.

## ختام المجلسين الأول والثاني[1]

ربما تجاوز القارئ والقارئة الفكرة تلو الفكرة، وهو يمر بها في هذا الكتاب، وذلك لعدم ظهور النتيجة عياناً بين عينيه..!

لكن أن يتجاوز مصير حياته الليلة وهو يراه وكأنه شريط يمر بين عينيه، فإنه لا ولن يستطيع تجاوز ذلك..!

إذ كيف يتجاوز المرء ليله ونهاره وهما يلفانه لفاً، أو يتجاوز بيته وشارعه، ويتجاوز زوجه، وولده، ووالدايه..؟!

فإذا تمكن الحافي من المشي على الجمر، فأنى له أن يصبر إذا أصبح صدرهُ موقد الجمر؟

---

(١) لعل نبرة ختام المجالس تمثل رأي المؤلف الصريح منفرداً دون أي محاورين معه، فمن الأمانة هنا أن يقول رأيه صريحاً، ومع هذا فقد أخفيت - كمؤلف - أموراً وقعت، خشية الطعن في الحياد أو اتهام بالميل، مع أنها حقيقية.

هنا لا بد من حلّ عملي: لا مجاملة، لا تأجيل! هنا لا بد لعقلي أن يتخذ قراري، قراري الذي به يطفئ جمر صدري، ويطفئ النار الموقدة في أسرتي، ويحمي مستقبلي من قرار دماري.

فإذا لم يتمكن قاضي العقل من اتخاذ قراره حتى اللحظة، فليرجع ثانية إلى الحوار الذي دار فإن فيه من الأدلة والوثائق ما يكفي عشر معشاره لاتخاذ القرار.

وإلا فإن الحكم قد أصدره على نفسه.. وإن شعر أنه يعيش في راحة!

والشنق بحبل غليظ كالشنق بحبل الحرير، فقاسمهما المشترك زهوق الروح.

لكن، لو شنق المرء نفسه، فذهبت روحه فداءً لتعصبه الأعمى.. لربما قيل: هي روحه يصنع بها ما يشاء..! أما أن يشنق الرجل ولده وابنته

وزوجه ومجتمعه وأجياله القادمة فهذا من الوأد الذي قضى عليه الإسلام. . !

ولا غرابة في كل هذه المتاعب لأن الموءود الأول بقرار الإصرار كان هو العقل.

* * *

# المجلس الثالث

## الإنجيل كلام مَنْ...؟!

### بوابة المجلس الثالث

أول ما لفت انتباهي حين دخلت بيت الأستاذ «فيفا» هو رؤيتي كتاباً ضخماً قديماً مفتوحاً على منضدة خاصة، فقلت له: ما هذا الكتاب؟

قال: هذه التوراة، ثم أشار إلى منضدة بجواره وقال: وهذا الإنجيل - ثم استدرك موجهاً كلامه - للحضور قائلًا: وهذا القرآن الذي أهدانيه أبو حامد حين جئته دبي.

وفي أجواء ذلك البيت الخادر، الْتَأَمَ الشملُ باجتماع عقول علمية في تخصصات متنوعة، تشعر أن كل عقل من هذه العقول فيه من العلم ما يملأ مكتبات تخصصية.

يكفي دليلًا على مستوى الحضور والمواضيع أن مَنْ كان يتولى الترجمة بيننا وبين هذه الجموع

هو الأستاذ الدكتور وافي نور الدين، العالم في جراحة القلب وصاحب الاكتشاف العلمي في الصمامات، وقد كان يشارك في النقاش أحياناً، أما الموضوع الذي فرض نفسه هذه الأمسية فقد كان هو الكتب الثلاثة الموجودة في داخل الصالة.

قالوا عن التوراة ما قالوا، ثم قالوا عن الإنجيل، ثم قال الأستاذ فيفا: إنني جد مسرور بهدية أخي أبي حامد، لقد أهداني حين زرته في دبي نسخة من القرآن الكريم، وأنا وإن كانت لي نظرة على القرآن فإن للهدية قيمة كبيرة في النفس، ولذا فسوف أفي بعهدي له حين قلت له: سوف أقرؤه كله، وبتأمل..!

هدية البابا

ثم أخرج الأستاذ فيفا من جيبه مثل المفكرة الصغيرة المطبوعة، وقال: هذه أهداها لي البابا بولس السادس عشر حين زار سوريا وعُرضتْ عليّ حالته الصحية هناك.

وهذه المفكرة تحوي مجموعة من الكلمات في الآداب والأخلاق استخرجها البابا من الإنجيل لنفسه، ولا أخفيكم أنني أحب ذلك الرجل كثيراً لأنه رجل مؤمن.

أبو حامد: أنا أعرف جيداً طريقة الأستاذ فيفا في افتتاح مواضيع تأخذ الجلاس بالحديث ويمر عليهم الوقت، فلا يستنقذونه إلا في آخر الوقت ليلاً كان أم نهاراً، وقد عرفت من خلال افتتاحيته هذه أنه يود لو تحدثنا حول موضوع الإنجيل، وهي في الحقيقة رغبتي، لكنني وددت لو أن أحد قساوسة فرنسا كان معنا في هذه السهرة الجميلة.

أستاذ فيفا: لا تقلق فقد دعوت الأستاذ المقابل لك تماماً في المقعد البرفسور «بوب»... وهو أحد كبار متخصصي الدراسات الإنجيلية في البرتغال وهو يجيد الأسبانية والفرنسية والإنجليزية، وبودي لو قرأت لكم بعض الجمل من هذه المفكرة التي أهداها البابا بولس السادس لي.

**أبو حامد**: هذه الحِكَم التي قرأها علينا البرفسور فيفا من الإنجيل، حكم جميلة لا يخالف على ذلك أي عاقل من العقلاء، وأغلب ظني أنها من الإنجيل الذي أنزل على عيسى - عليه الصلاة والسلام - وليَ عليها ملاحظات قليلة، ولكن سؤالي للأستاذ فيفا: هل كل **الإنجيل بهذا المستوى الراقي من الخطاب؟**

**بمعنى: هل تستطيع أن تقرأ من الإنجيل وأنت في غاية الطمأنينة من عدم المرور على عبارات تضاد العقل، أو تناقضات يصعب التوفيق بينها؟**

**أستاذ فيفا**: نعم تقرأ وأنت مطمئن للمستوى الراقي الذي يتحدث به الإنجيل، لكن هذه العبارات التي قرأت عليكم من العبارات التي تلامس عادة مشاعر الناس، متناغمة مع حياتهم، أليس الإنجيل كلام اللَّه، وهل يستحيي الإنسان من كلام اللَّه..؟!

**أبو حامد**: أيها البرفسور لَيْتَكم تسيرون في

البحث الديني على منهج البحث العلمي التجريبي الذي أوصلكم إلى هذا المستوى الراقي في العلم بين الأمم.

لا أخفيكم إحساسي الداخلي... فإنني بمقدار إعجابي بالمستوى العلمي الذي بلغتموه في العلوم التجريبية كأوروبيين، وأخص الفرنسيين في مجال الطب.. فبنفس المقدار تنتابني الخيبة والاستغراب من طريقة قراءتكم للإنجيل، وطريقة بحثكم فيه، وتعاملكم معه، فإنكم لو تعاملتم مع الإنجيل بنفس طريقة بحثكم في التحقيق، مفتحي العينين، عارضين كل شيء للنقد، مغربلين ما فيه من عقائد وأخبار وأحكام وتواريخ... متجاوزين حدود الخوف الذي كثيراً ما يجعلنا نتساءل: لماذا الإحجام عن التحقيق هنا يا ترى:

أهذا الخوف راجع لذكرى حرق الكنيسة للعلماء الأولين المعارضين الآتين بالجديد من الاكتشافات؟!

أم راجع لخوف مواجهة التيار العام..؟!

أم راجع لـلخـواء الـروحـي، وعـدم وجـدان البديل؟!

أم راجع لأنكم تتلقونه على أن الدين لا يزيد عن كونه تحفة أثرية لا علاقة لها بالحياة، والحياة ماضية به أو بغيره؟!

أم راجع لأنـكـم تـشـعـرون أنـه قَـدَرُكـم فـي مواجهتكم مع المسلمين واليهود..!؟

أيها البروفسور الكبير: الحقيقة كحقيقة أكبر من أن يحدها بلد، أو تنتمي للون، أو لغة، أو جنس، أو قارة.

«الحقيقة» مطلب كل شخص، كل نفس، كل من يحب الحق، وأنت ما وصلت إلى الحقائق في مجال الجهاز العصبي، وأصبحت أحد رموزه الكبار في العالم إلا حين تجردت وكنت في غاية الجدية في البحث عن الحقيقة، وأتمنى أن يكون هذا منهجنا هنا وفي كل شيء.

ولأجل الحقيقة يجب أن نكون صريحين وجريئين في مناقشة هذا الموضوع لنعطي العقل فرصته كما يقول جرهام سكروجي في كتابه: «هل

الكتاب المقدس كلام اللّه» : «لنكن صرحاء حين نناقش موضوع صحة وأصالة الكتاب المقدس ولنستمع إلى ما يقوله هذا الكتاب عن نفسه» .

إذا لاحظت نفسك تجد أنك قلت الآن : «كتاب سماوي» إذاً فأنت تعتقد بأن الذي أنزل من السماء كتاب سماوي واحد على عيسى - عليه الصلاة والسلام - ليس إلا ، فكيف يوجد في الكنيسة وفي الأسواق أربعة أناجيل؟

لماذا الأربعة؟

أيُّ هذه الأناجيل الأربعة نزل من السماء . . ؟!

إن المسألة لا تحتاج إلى تفكير ، فإن هذه الأناجيل ليست هي الإنجيل المنزّل من السماء وكفى . . . ! ولك أن تسأل من تشاء لتعلم أن هذا ليس كلامي وحدي إنما هو معتقد قساوستكم!

يا أستاذ فيفا إن القصة صعبة جداً ، ومحزنة جداً .

القصة - يا أستاذ فيفا - أن الإنجيل الذي أنزله اللّه على عيسى - عليه الصلاة والسلام - قد اختفى منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ، وإن شئت قلت : أُخفي . . !

فيفا: لم لا تقول: إنه لا وجود له أصلًا؟ وهل من المعقول أن يوجد لدينا إنجيل باسم يسوع ثم نذهب نخفيه؟ وما مصلحتنا في هذا العمل؟ هل من مصلحتنا أن نمحو صلتنا بيسوع؟ إذاً فلنمح صلتنا بالمسيحية كلها..؟!

وإذا كنت تتصور أن من مصلحتنا إخفاء الإنجيل فلربما يكون من مصلحتكم إخفاء القرآن، أو إخفاء بعض القرآن..؟!

لا يمكنني أن أتصور في لحظة من اللحظات أن صاحب الحق يمكن أن يخفي أوراقه الثبوتية..؟!

أبو حامد: أنت ذكرت الجواب بنفسك، فإن الذي أنزله اللّه إنجيلًا واحداً، كما أنزل توراة واحدة وزبوراً واحداً، وقرآناً واحداً... فكيف بقيتْ الكتبُ كلها واحدةً إلا الإنجيل أصبح أربعة أناجيل... ألا يستحق هذا الأمر التساؤل والتنقيب؟!

إن هذا الأمر لا يحتمل البحث الكبير.. إنما

النظرة السريعة للاسم تكفيك: فهذا إنجيل مَنْ؟!
والجواب: هذا «**إنجيل متى**»، وذاك «**إنجيل مرقص**»، وثالث «**إنجيل يوحنا**»، ورابع «**إنجيل لوقا**»... أليس هؤلاء الأربعة هم أربعة أشخاص مختلفين؟

إنهم - بغير اختلاف - عند جميع النصارى بشر، وهم - بغير اختلاف - كاتبو الأناجيل، إذاً فهذه أربعة أناجيل منسوبة لأربعة من البشر..!

فالقضية واضحة لا تحتاج إلى أكثر من تأمل العنوان، قبل الغوص في أعماق التاريخ لندرك الحقيقة، ونعود للتساؤل الأول: لم بقيت الكتب السماوية كلها واحدة وتَحوَّل إنجيلنا إلى أربعة أناجيل؟!

**يا أستاذ فيفا** سل من تشاء من علماء الكنيسة، أين إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام -..؟!

خذ وقتك، وفتش عن جواب.... ولكن إياك أن تلغي عقلك مستسلماً لكل جواب.

وقد أصبت كبد الحقيقة بسؤالك: أرأيت رجلًا يخفي أوراقه الثبوتية؟

أقول: نعم يخفي أوراقه الثبوتية التي تثبت أن الحق عليه، وأن ما عنده مُزوّر في أغلبه كما سنثبت ذلك إن طال بنا المجلس وسوف نثبت ما الذي زُوِّر تحديداً.

أستاذ الدراسات الإنجيلية «بوب»: أرجوك لا تضخم المسألة كثيراً... فإن الحقيقة التي يجب أن تعرفها جيداً تحل لك كل إشكال وتجيب عن جميع أسئلتك، وهي: أن هذه الأناجيل هي الأناجيل المعتبرة عندنا كمسيحيين... أما ما يسمى بإنجيل يسوع فهو من أوهام المسلمين الذين أرادوا بذكره التلبيس والتشكيك... وإذا كان عندك أي إثبات تاريخي، أو شهادة على وجوده فأظهرها للأخوة وللناس... لتُكسب كلامك قوة، و إلا فإن الدعوى من غير دليل دعوى باطلة كما تعلم!

واعلم أن كل هذه الأناجيل يصح تسميتها إنجيل يسوع، باعتبار أن مصدرها يسوع، أما أن نقول إن إنجيلًا محدداً أُنزل على يسوع وأن غيره من الأناجيل ليس له اعتبار.. فهذا من توهمات المسلمين التي سعوا أن يلقوها ليشككوا النصارى في أعظم مصادرهم على الإطلاق.

**أبو حامد**: أيمكن أن يصل بنا العناد أن ننكر مجيء عيسى - عليه الصلاة والسلام -بالإنجيل؟ أليست هذه الحقيقة مُسلَّمة بين جميع الأديان؟!

ماذا يقول الأستاذ وكل الذين يعتقدون بأن إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - غير موجود في هذه الشهادة من إنجيل مرقص في الإصحاح الأول منه: [**وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت اللَّه، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت اللَّه فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل**].

فأي إنجيل يقصد عيسى - عليه الصلاة

والسلام - من الأناجيل الأربعة الموجودة الآن، في حين لم يكتب منها آنذاك أي إنجيل؟ أم أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - يدعو للإيمان بأناجيل أتباعه التي لم تكتب بعد؟!

وشهادة أخرى في رسالة بولس إلى أهل رومية في الإصحاح الأول منها: [**أولًا أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم، أن إيمانكم ينادى به في كل العالم، فإن اللَّه الذي أعبده في الإنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم**].

أين إنجيل عيسى؟

إن المسيح نفسه قال إن الإنجيل أوحي إليه من عند اللَّه، وخاطبه به جبريل الأمين، فقال المسيح: «أنا أتكلم بما رأيت عند أبي» ويوحنا ٨: ٣٨ : «ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي...» يوحنا ٨: ٢٨ «الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني...» (يوحنا ١٤: ٢٤).

ثم جاء في رسالة بولس الثانية إلى ثيموثاوس

٣ : ١٦ «كل الكلام هو موحىً به من عند اللَّه» على أن المسيح قد أشار إلى أنه أخذ الإنجيل من اللَّه تعالى، وليس هو رسالة أعدها من عند نفسه، حين قال: «الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم». . يوحنا ١٧ : ٧ .

كل هذه الأدلة لا يمكنكم ردّها لأنها تصرح بأن الإنجيل عند من كان عيسى يخاطبهم، وحاشا عيسى أن يخاطبهم بمجهول، ثم هو يذكر من غير إضافة إلى يوحنا أو غيره لأنه إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - الوحيد. . . والسبب سهل وهو أن الأناجيل لم يكن لها ذكر، ولم يكن لطلابه أناجيل، وهل من **المعقول** أن يعظ عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأناجيل طلابه وأقوالهم؟

**ثم ما قيمة** الإنجيل أصلًا لو لم يكن نازلًا على عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟!

وهل يطيب لكم أن تنزعوا من عيسى - عليه الصلاة والسلام - الكتاب الذي أُنزل عليه، لتبرروا لباطلكم، ولتفسحوا المجال للأناجيل المحرفة؟

ثم هل يساوى بين نبيٍّ أُنزل عليه كتاب ونبي لم ينزل عليه كتاب. . . فلم تحطون من قدر عيسى - عليه الصلاة والسلام - حين تسلبونه كتابه؟

أليست هذه هي نفس منهجية اليهود الذين ظلموا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه، وقتلوا من قتلوا منهم، ثمّ أخفوا إنجيله إلى الأبد؟

«وباختصار فإنَّ إنجيل عيسى ذكر في الإنجيل أكثر من خمسة عشر موضعاً، منها سبعة مواضع عُبر فيها عنه بالإنجيل[١] وأربعة عبر فيها عنه بإنجيل اللَّه[٢]، وثلاثة عبر فيها عنه بإنجيل المسيح[٣] وفي موضع عبر فيه بإنجيل ابن اللَّه[٤]. . .»[٥].

---

(١) في: مرقس ١/ ١٥، و٨/ ٣٥، و١٠/ ٢٩، و١٤/ ٩، و١٦/ ١٥، وفي ت - تسالونيكي ٢/ ٤، و١ - تيموثاوس ١/ ١٠.
(٢) في رومية ١/ ١ و١ - تسالونيكي ٢/ ٢، و٢/ ٨، و٢/ ٩.
(٣) في: رومية ١/ ١٦، وغلاطية ١/ ٧، ووا - تسالونيكي ٣/ ٢.
(٤) في: رومية ١ / ٩.
(٥) المرجع: كتاب مصادر النصرانية (١/ ٥٣٣).

متى كتب أول إنجيل؟

أرجو أن تتوقف - يا أستاذ بوب - عند كل معلومة كما تتوقف أمام الصورة الحائطية الثمينة التي أعجبتك متحسراً: لِمَ لَمْ تدقق فيها من قبل؟ وكيف فاتتك هذه الملاحظة الجوهرية. . ؟! وتتساءل، ثم تتساءل، ثم تتساءل مستغرباً. . . كيف مرّ هذا العمر كله ولم أدقق في هذه الصورة جيداً؟ لم بقيتْ هذه الصورة في أذهاننا لأناجيلنا، ولعقائدنا، ولعيسى ولمريم - عليهما السلام -، ولعقولنا كذلك ونحن ننظر إليها، ونمر عليها ولا نشعر بها؟!

هل سنصرُّ على الاستمرار وبذلك نضيف لأيام الغفلة يوماً، أم سنتوقف عند هذا الحد من الاستسلام وإلغاء العقول نتساءل ابتداءً من هذا اليوم؟

يا أيها الأستاذ الكبير هل تعلم أن الأناجيل لم تكتب في عهد عيسى - عليه الصلاة والسلام - بل كتبت بعد رَفْعِه إلى السماء في فترات مختلفة ما بين ثلاثين سنة إلى ثمان وتسعين سنة وهو تاريخ كتابة إنجيل يوحنا مع اختلاف يسير بين المؤرخين!

أيـن أصـول الإنجيل؟

وهل تعلم أن أصول الأناجيل التي كتبت بعد عهد عيسى - عليه الصلاة والسلام - مفقودة؟!

سل من تشاء عن إنجيل واحد بخط مؤلفه الأول؟

سل من تشاء عن «إنجيل متى» الموجود الآن، ما هي اللغة الأولى التي كتب بها وهل هي نفس اللغة التي وصل بها إلينا؟!

يقول «ول ديورانت»: (وتقول الرواية المأخوذ بها أن إنجيل «متى» أقدم الأناجيل كلها، ويعتقد أيرنيوس أنه كتب في الأصل باللغة العبرية - أي الآرامية - ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية.. وإن كان النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع «متى» وليس من أقوال العشار نفسه.. وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥-٩٠ ميلادية[١] وإذا كان الغرض الذي يبتغيه «متى» هو هداية اليهود فإنه يعتمد أكثر من غيره من

(١) إن الاختلاف في سني كتابة هذا الإنجيل بين الكتاب المسيحيين يدعو إلى الشك في نسبة الإنجيل إلى متى.

المبشرين - الإنجيليين - على المعجزات التي تعزى إلى المسيح، ويحرص حرصاً يدعو إلى الريبة على أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يدي المسيح[1]»[2].

ألم يكتب باللغة الآرامية... فهل توجد نسخة واحدة في الدنيا منه بهذه اللغة؟!

وهل مترجم النسخة من الآرامية إلى اليونانية معروف لدى أحد من المؤرخين، أم أنه مجهول؟

فكيف - إذاً - يمكن أن أقبل عقيدتي وديني وتاريخي عن شخص مجهول؟

وليت الأمر بقى على هذا الحال! فكما ضاع إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - فقد ضاعت النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة... فالحقيقة إذاً أنه كما ضاعت تلك الأناجيل فقد ضاع أصل «إنجيل

---

(١) قصة الحضارة ج٣ م ٣ ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دراسة جوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية. د. صابر طعيمة. ص٢٥٦-٢٥٧ .

متّى» الذي كتب بالآرامية وما ظهر منه إلا ترجمة له باليونانية!

وهل تعلم أن الأناجيل التي كتبت بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام - كانت تزيد على مائة إنجيل؟!

فأبيد الكثير، وبقيت كتب العهد الجديد المعترف بها الآن عدا (٧) كتب، ثم اعترف بها بعد ذلك، حيث إنهم في سنة (٣٢٥م) كانوا قد أقروا (٢٠) كتاباً مع اختلافهم في (٧) كتب أقرت فيما بعد الأربعة، وكان ذلك في مجمع نيقيه أهم المجامع المسيحية، والذي عقد بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير في سنة ٣٥٢م.

فَلِم أُعدِم أكثرُ من ستة وتسعين إنجيلًا، وأُبقي على هذه الأربعة على وجه الخصوص؟

الأستاذ فيشا: أرجو أن تتوقف هنا قليلًا لتظهر لنا معنى اتهامك بأن في الأناجيل الأخرى التي أعدمت كما زعمت إثباتاً علينا، ومخالفة لما في هذه الأناجيل. كيف ذلك؟ وأين المخالفة تحديداً؟

آريوس ودعوته التوحيد في النصرانية

أبو حامد: الجواب الذي لا جواب غيره هو أن الأناجيل الأربعة لما فيها من قاسم مشترك هو التثليث، والقول بألوهية عيسى - عليه الصلاة والسلام -... والمؤرخون يعرفون جيداً أن ثمة دعوة للتوحيد قوية جداً آنذاك، مخالفة للتوجيهات السياسية الدينية التي يقودها قسطنطين الأكبر... وكان من أشهر قادة المناداة بالتوحيد والقول ببشرية عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو «آريوس».

يكفيك أن تعلم أن وقت كتابة الأناجيل الأربعة كان وقت اضطهاد المسيحيين وقتل تابعي المسيح وأتباعهم، ووقت تَخَفِّيهم ونفاق من نافق منهم!

يكفيك أن تعلم أن من الحقائق التاريخية التي لا خلاف فيها أن الاضطهاد اشتد على المسيحيين من نهاية عيسى - عليه الصلاة والسلام -، واستمر ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة من غير انقطاع إلا يسيرا، وهي ذات الفترة التي كُتِبَت فيها هذه الأناجيل!

واعذروني إذا مررت مروراً خاطفاً على تلك الفترة المفجعة من حياة المسيحية، لعل من نسي شيئاً منها يسترجعه، ويستطيع بعده أن يبني نتائج صحيحة، ولا أحسب أننا سوف نختلف على هذه النقاط لأنها تاريخ، وهو منقول عن مؤرخيكم، وليس عن مؤرخي المسلمين، ومع هذا فإن من خالفني فيما أذكر فليذكر مخالفته.

أول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان في عهد المسيح، وانتهى بنهاية عيسى - عليه الصلاة والسلام -. . . ولقد نزلت بعده الشدائد بالمسيحيين بما يتفق مع هذا الابتداء. . فلقد جاء قيصران بعد طيباروس الذي عاصر المسيح، كانا شديدين على تلاميذه، وقتلا منهم قتلا ذريعاً، وفي زمن ثانيهما دوّن متى إنجيله بالعبرية، وتَرْجمه «يوحنا» صاحب الإنجيل إلى اليونانية، ولم يكن الاضطهاد في عهد هذين القيصرين من الرومان فقط، بل كان من اليهود أيضاً، وأذاهم أنكل، وتنقيبهم عن العقيدة أدخل، لأنهم من

الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم، فهم بداخلهم أعرف.

وأشد ما نزل من أذى كان في عهد نيرون (سنة ٦٤م) وتراجان سنة ١٠٦م وديسيون (٢٤٩ - ٢٥١م) ودقلديانوس (سنة ٢٨٠م)، فنيرون أهاج الشر عليهم، وأنزل العذاب والبلاء بهم، واتهمهم بأنهم الذين أحرقوا روما، فأخذهم بجريرتها.

وكانت السنوات الأربع الأخيرة عذاباً أليماً لهم، فقد تفنن هو وأشياعه في هذا العذاب، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم، وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها، وكان هو نفسه يسير في ضوء تلك المشاعل الإنسانية.

وفي عهد نيرون هذا دُوّن «**إنجيل مرقص**» - كما هو مقرر عند بعض مؤرخي النصارى أنفسهم - وكان بمصر وقد كتبه عنه بطرس وهو بروما،

وكتب أيضاً «**لوقا**» إنجيله في عهد هذا القيصر، وفي ابتداء هذا الإنجيل ينص على أنه يراسل به «تاوفليس»، وفي عصر هذا القيصر أو بعده بقليل دوّن «**يوحنا إنجيله**».

وفي عهد تراجان نزلت بهم آلام، لأنهم قد جَرَت بهم عادتهم بالصلاة في الخفاء هرباً من الاضطهاد، وقد أمر تراجان بمنع الاجتماعات السرية، فأنزل بهم الذل والعذاب لذلك، ولأنهم مسيحيون لا يدينون بدين القيصر.

ولنترك القلم لبطريرك الإسكندر، يصف بعض ما عانى من ديسيوس بعد أن ذاق بعض الرحمة من سابقه، فهو يقول: «لم نكد نتنفس الصعداء، حتى حلق بنا الخوف وحفّنا الخطر، عندما بدل ذلك الملك الذي كان أرقَّ جانباً، وأقلَّ شراً من غيره، وجاء مكانه ملك آخر، ربما لا يجلس على كرسي المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا، وقد تحقق حَدْسُنا، عندما

أصدر أمراً شديد الوطأة، فعم الخوف الجميع، وفر بعضهم، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة، مهما يكن ذكاؤه، وكل مسيحي يرشد عنه يُؤتى به على عَجَل ويقدم إلى هيكل الأوثان، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة، بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب».

دقلديانوس الأظلم

[ولم يكن البلاء مقصوراً على مصر، بل كان يتتبع المسيحيين في الدولة الرومانية حيثما ثقفوا، وأينما كانوا، ولي بعد ديسيوس من أوقع البلاء وأنزله بالمسيحيين، ولكن كان أشد هؤلاء وأبلغهم أذى، وأنكاهم بطشاً «دقلديانوس»، الذي جاء إليهم بعد أن خف العذاب عنهم قليلًا، وقد رجوا فيه خيراً، وَأَمِلُوا منه أن يكون عوناً، لأن مدير خاصته مسيحي، ولكنه كان أشد من غيره على المسيحيين، وخصوصاً المصريين، وذلك لأن المصريين رأوا أُمماً تحللت من حكم

الرومان، وفكوا أغلاله، فاقتدوا بهم، ونزعوا إلى السير في طريق الحرية والاستقلال، وساروا فيه، وعقدوا الإمرة لواحد منهم، فجاء «دقلد يانوس» إلى مصر، وأنزل بهم البلاء، وأزال استقلالها، وأعاد فتحها، وكانت كثرتها في ذلك الإبان مسيحية، وقد أمر بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وأصدر أمراً بالقبض على الأساقفة والرعاة، وزَجَّهُمْ في غيابات السجون، وقهر المسيحيين، وحملهم على إنكار دينهم، وقد قتل في هذا الوقت عدد كبير من الأقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة ألف، وعدهم بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف، ولكثرة ما استشهد من شهداء وما نزل من بلاء كانت ولاية دقلديانوس حادثاً ذا خطر في شأن مصر فجعلوه مبدأ تقويمهم، وذلك في سنة ٢٨٤ ميلادية.

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرةِ الروم حتى جاء عهد قسطنطين فكان يُمناً وبركة على

المسيحيين، لا على المسيحية][1].

تاريخ الاضطهاد المسيحي

لقد كان ما نزل بالمسيح وأصحابه أشد وأفتك. . . . ولم يبق لمبادئ المسيح ولا لديانته ولا لإنجيله ولا لرموز ديانته أية حماية. . . بل أصبحوا مطلوبين من الدرجة الأولى!

فهل يجوز أن نقول إن هؤلاء الذين قَتلُوا علماء المسيحية وجعلوا أهلها طعاماً للوحوش، وزيوتاً لإنارة الطرق. . . جاؤوا لحماية المسيحية أو لحماية الإنجيل. . ؟!

إذا جاز ذلك فلنقل إذاً: إن حماة عيسى والإنجيل هم الذين صاحوا بالحاكم اليوناني: اقتله ودمه في أعناقنا وأعناق أبنائنا. . !

**أستاذ الدراسات الإنجيلية:** كل ما أتيت به من أدلة على تحريف الأناجيل الأربعة إنما هي مجرد توهمات وأقوى ما يمكن أن نسميها توقعات ولا

---

(١) محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص ٣٣-٣٤.

يوجد منها دليل يقيني واحد على التحريف، ثم إذا انتهت هذه المرحلة التي ذكرت وحتى عهد قسطنطين الذي مَكَّنَ للمسيحيين أي حتى وصلت المسيحية إلى برّ الأمان.

ولكنك ختمت المقولة بعبارة ذكية أو تشكيكية وهي قولك عن قسطنطين: «وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين، فكان يمناً وبركة على المسيحية لا على المسيحيين». فما هذا التفريق الفاضح يا أبا حامد بين المسيحية والمسيحيين؟

**أبو حامد:** أشكرك على هذا التساؤل فإنني سكتُّ عما صنعه قسطنطين بالمسيحية ولم أوضحه لظني أنه معروف لديكم، ومع هذا فأنا أعتقد أنه معروف لديك - أنت يا أستاذ - على الأقل فهذا ليس ببعيد عن تخصصك.

قسطنطين الأخطرا

فمن المعلوم أن قسطنطين عاش ما بين (٣٠٥-٣٣٧م) وقد جاء بسياسة مختلفة تماماً عن

سابقيه، فبدلًا من مواصلة الحرب على النصرانية.. سعى إلى مزجها بالوثنيات أيام عصره وتوحيدها في دين واحد تتبناه الدولة.. توحيداً للدولة وتثبيتاً لها كما يذكر المؤرخون.

وكان للإمبراطورية حاكم واحد أو إمبراطور واحد حتى عهد والد قسطنطين حيث قسمها عام ٢٨٥ م إلى شرقية وغربية، وجعل لكل قسم إمبراطوراً ونائبه، واستقل النائبان في كِلا القسمين فأصبح الكل أباطرة.. وأصبحت بذلك الإمبراطورية الرومانية للمرة الأولى بتاريخها تحت حكم أربعة أباطرة.. كل منهم على جزء مستقل.. وجاء قسطنطين إلى الحكم عام ٣٠٥ م ليجد أمامه ثلاثة أباطرة آخرين، هم فاليريوس ليسنيوس Valarius Licinius، وماكسيمن دانا Dana Maximin في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وماكسنتيوس بجانبه في الجزء الغربي من الإمبراطورية.

اتفق قسطنطين مع ليسنيوس Licinius الذي

صاهره وزوجه أخته قسطنطيه Constantia، وارتبط معه بحلف في ميلانو عام ٣١٣ م، قبل معركة الأخير مع خصمه ومنافسه بالشرق ماكسيمن دانا Maximin Dana، فقضى قسطنطين على ماكسنتيوس الذي ينازعه حكم الجزء الغربي في معركة جسر ميلفيان (Milvian Bridge)، عام ٣١٢م ثم ساعد ليسنيوس (Licinius) في التخلص من خصمه ماكسيمن دانا في السنة التالية، ثم تواجه مع ليسنيوس نفسه بعد ذلك في حروب من عام ٣١٣ حتى غلبه وقتله عام ٣٢٣ م، فقضى بذلك على ثلاثة أباطرة.

وكان قسطنطين وثنيّاً يؤمن بعبادة الشمس Sol Invictus، وأنها الإله الأوحد، وملأ بشعار ديانته الوثنية هذه كل شعارات الدولة وأعلامها وعُمْلَتِهَا، ونصب لها التماثيل في كل ناحية، وتصرف طيلة عمره كله كرئيس كهنة ديانة عبادة الشمس، وسمي عهده بعصر إمبراطورية الشمس (Sun emperorship) وقد تأثر مع ذلك بالنصرانية

خلال حياته، إلا أن الثابت أنه لم يُعمَّد كمسيحي إلا عند احتضاره عام ٣٣٧ ربما استغلالًا لضعف مقاومته حين موته كما يرى بعض الباحثين.

وقد سعى قسطنطين بمكر خبيث إلى خلط الأديان وتقريبها، وتوحيدها لتكون للدولة ديانة واحدة متجانسة ومتعايشة، ويذكر هنا مؤلفو كتاب:

«The Holy Blood and the Holy Grail» في ص ٣٨٨ من طبعة ١٩٩٦م:

إن قضية الإيمان لدى قسطنطين هي باختصار قضية سياسية، وأي إيمان سيدعم هدف الوحدة فسيعامل بتلطف، وإذ يبني قسطنطين كنيسة في ناحية من المدينة، ينصب صنمًا لمعبوده من «الأم سيبيل»، وآخر «للشمس المعبودة» في نواحي أخرى من المدينة، كما صنع بالقسطنطينية عند افتتاحها عام ٣٣٠ م، (أي بعد مجمع نيقية بسنوات).

وحتى تكسب وُدَّه الكنيسة النصرانية التابعة لمدرسة بولس فقد جارته فيما يريد، فاتخذت يوم الشمس (sun -day) أو الأحد بالعربية، اتخذته يوماً للراحة الأسبوعية بدلًا من السبت الذي كان النصارى بخلفية دينهم اليهودية مازالوا يعظمونه، وكان كل يوم من أيام الأسبوع ينسب لكوكب، فالسبت Satur-day هو يوم زحل Saturn، والأحد Sun-day هو يوم الشمس Sun، والإثنين Mon-day هو يوم القمر Moon.

وكان قسطنطين عام ٣٢١ م قد أصدر أمراً بإغلاق المحاكم في يوم الشمس (يوم الأحد) (Sunday)، واعتبره يوم الراحة الأسبوعية، وتبعته في ذلك الكنيسة النصرانية، وقامت الكنيسة فاتخذت من يوم ولادة الشمس (يوم التحول عن الشتاء بالجزء الشمالي من الكرة الأرضية، أو بدء تطاول النهار بعد بلوغ تقاصره منتهاه) وهو يوم ٢٥ ديسمبر اتخذته يوماً وعيداً لميلاد المسيح،

وقد كان عيداً للوثنيات التي أَلَّهتِ الشمسَ وعبدتها بفارس والروم كما هو ثابت ومعلوم، وجرياً على الخطى التي وضعها بولس في نفاق أهل الأديان الأخرى، والاستعداد لتبديل الدين حتى يرضيهم، وإمعاناً في نفاق الكنيسة وقسطنطين فقد أقرت الكنيسة له أنه المسيح (المسيا) المنتظر.. والمخّلص بآخر الزمان، بل وصل الأمر ببابا روما «ايسوبيوس Eusebius» إلى تأليه قسطنطين وأن الخالق قد تجسد فيه.. وينقل مؤلفو كتاب: The Messianic Legacy

عبارة ايسوبيوس في هذا:

ويفسر ذلك Kee كما ينقل عنه المؤلفون أعلاه «بأنه منذ بدء الخلق هو فقط قسطنطين وحده الذي أُعطي القدرة على الخلاص (والإنقاذ)، ونَحَّى بذلك المسيح جانباً، بل رسمياً تنكر له، وأصبح المخلص الوحيد للعالم هو قسطنطين.. أرأيت يا أستاذ بوب كيف كان قسطنطين عدواً

للمسيحيين كيف تجاهل عيسى، وكيف مزج المسيحية بِغَيْرِها.

وكانت أشد نقاط التغيير بالمسيحية، هي دعوة قسطنطين لمجمع نيقية Nicaea عام ٣٢٥م، وقد اجتمع عدد كبير من علماء المسيحية ذكر بعض المؤرخين أنه تجاوز الألفين، ولكن قسطنطين تبنى رأي أقلية (٣١٨ قسيساً) قائلة بتأليه المسيح، وتدخل مباشرة - على وثنيته - في صياغة النص العقدي الذي تبناه مجمع نيقية، وفرضه على كل المسيحيين بالإمبراطورية واعتبر أن كل ما يخالف ذلك هرطقة ورِدّة وليس مجرد رأي مخالف.. وللدلالة على فظاعة صنيع قسطنطين بالمسيحية كديانة من خلال كتابته الشخصية لنص العقيدة المسيحية أثناء مجمع نيقية، أنقلُ هنا ما اقتبسته مؤلفة كتاب الجانب المظلم من تاريخ المسيحية عما كتبه والترنيج، Walter Nnigg في كتابه الهراطقة The Heretics: «قسطنطين الذي تعامل

مع القضية الدينية فقط من زاوية سياسية قد ضمن الحصول على الإجماع عن طريق طرد كل القساوسة الذين توقع عدم توقيعهم على الإعلان الإيماني الجديد، وتم له بهذه الطريقة الحصول على الوحدة التي أراد.

إنه تماماً شيء لم يسمع به أن عقيدة شاملة تُحدد بناء على سلطان الإمبراطور، الذي كان ما يزال مبتدئاً في تلقي تعاليم العقيدة، ولم يكن قد قُبِل بعد ضمن طبقة القربان المقدس، كما لم يكن مؤهلًا أبداً ليحكم في قضايا الإيمان الخفية، لم يَتَفَوَّه ولا قسيس واحد ولا بكلمة واحدة ضد هذا العمل الفظيع.

وإذا علم القارئ أن هذا النص العقدي الذي كتبه قسطنطين بنفسه للمجتمعين بمجمع نيقية ما زال هو أساس عقيدة الطوائف المسيحية ومرجعها، يدرك مدى التحريف الذي أحدثه قسطنطين بالمسيحية.. وقسطنطين على الأصح

ما زال وثنياً حتى تلك الفترة. . وفي أحسن الأحوال فهو ما زال مبتدئاً كما ترى الكاتبة أعلاه، ويرى المؤرخون أنه كان من الصعب أن تقبل المسيحية قائلة بعقيدة عيسى - عليه الصلاة والسلام - بشراً رسولًا ضمن المزيج الديني الذي يرعاه قسطنطين، وأن عقيدة عيسى إلهاً متجسداً تتناغم تماماً مع عقائد الأمم الوثنية السائدة حينها بما فيها عقيدة عبادة الشمس Sol Invictus التي يرعاها قسطنطين والتي استوعبت الديانات الأخرى بما فيها المسيحية التي ارتضى لها رجالها أن «تترعرع تحت مظلة عبادة الشمس» وتتعايش مع وثنيتها بل وتقتبس منها الكثير مما جعلها دينًا جديداً ينتسب في الواقع إلى قسطنطين أكثر مما ينتسب إلى رجاله الأولين. . وكان من أخطر ما أقدم عليه إصداره مرسوماً في العام التالي لمجمع نيقيه بمصادرة وتدمير كل أعمال وكتابات المناهضين لقرارات نيقية، ثم إصداره عام ٣٣١م أمراً بإصدار نسخٍ جديدة من الكتاب المقدس مما

اعتبره مؤلفو المرجع أعلاه «واحداً من أهم القرارات الأحادية التي أثرت على كل التاريخ المسيحي، وأعطت للمسيحيين الأرثوذكس (أصحاب قرارات نيقيه) المتلقبين بالمتمسكين بالكتاب فرصة لا تضاهى.

ويذكر هنا أن الإمبراطور «ديوكليتيان» كان قد أحرق كل ما أمكن الحصول عليه من الكتب المسيحية، ويرى المؤلفون للمرجع أعلاه أن هذا قد أخلى المجال لأصحاب نيقيه للحذف والزيادة في الكتب بما يرونه متفقاً مع عقيدتهم. وحتى لا يقلل القارئ من خطورة هذه الخطوة يذكر المؤلفون أعلاه «أنه من بين الخمسة آلاف نسخة قديمة موجودة للعهد الجديد (الإنجيل والرسائل المسيحية) لا توجد نسخة واحدة سابقة للقرن الرابع الميلادي، وأن العهد الجديد في الواقع بصورته الحالية ما هو إلا من منتجات كَتَبَة القرن الرابع الميلادي من خدمة الفكر الأرثوذكسي (أصحاب نيقيه) ممن لهم أهداف خاصة لحمايتها

وتحقيقها عند كتابتهم للعهد الجديد. «هذا وقد زاد قسطنطين على ذلك بأن أنشأ نظام البابوية الحالي بروما، وفرض للكنيسة دخلًا ثابتاً ومركزاً قائماً بقصر لاتران بروما.. وفي هذا يذكر مؤلفو كتاب The messianic Legacy ومنه اقتبست كذلك الكثير من الحقائق الواردة أعلاه يقولون: «إن من العدل القول بأن المسيحية التي نعرفها اليوم لم تنبثق من أيام عيسى بل من مجمع نيقيه، ولأن مجمع نيقيه كان جلّه من صنع يدي قسطنطين، فإن المسيحية (أي مسيحية اليوم) مدينة له بالفضل».

ويشير كذلك إلى مدى التغيير بالعقيدة المسيحية من بعد قسطنطين ما كتبه Burton L Mack. مؤلف كتاب The Lost Gospel إذ كتب: «من بعد قسطنطين، صور المسيح كمالك للموت، وحاكم للكون»، وكان المؤلف قد ذكر أن صورة المسيح - عليه الصلاة والسلام - قبل ذلك، كانت كمنقذ للشعب وللأمة وكهادٍ لها إلى

الدار الآخرة.

وخلاصة الحديث عن مدى التغيير الذي أحدثه قسطنطين بالمسيحية آخر الأديان السماوية في زمانه هو ما قاله مؤلفو الكتاب السابق (بأن المسيحية التي نعرفها اليوم، هي في الواقع من وجوه كثيرة أقرب إلى النظم الوثنية العقائدية منها إلى منبعها اليهودي..)[١] اهـ.

أيها الأساتذة الكبار: أي شك أخطر وأكبر من أن لا يوجد بأيدي النصارى جميعاً نسخة واحدة قبل القرن الرابع من الميلاد؟ أي انقطاع مخيف هذا؟ ومن يستطيع أن يملأ هذا الفراغ الزمني المخيف أو يوصل طرفاه؟

هل عرفتم من أكّد تغييرات بولس بقرارات سياسية؟

---

(١) من كتاب: «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد - عليه الصلاة والسلام -» د. نصرالله عبدالرحمن أبو طالب ص (٦١-٦٥).

**أيها الأساتذة الكبار**: إن الفاجعة الكبرى الأخرى بالإضافة لعدم كتابة هذه الأناجيل على عهد عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن هؤلاء الأربعة من كَتَبَةِ الأناجيل ليسوا جميعاً من حواريِّ عيسى - عليه الصلاة والسلام -! «فمتَّى» هو تلميذ عيسى الوحيد بغير خلاف، أما «لوقا» فليس تلميذه، وأما «مرقص» فهو تلميذ الحواري «بطرس»، بل إن «يوحنا» صاحب الإنجيل ليس هو يوحنا الحواري صاحب عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما يثبت ذلك المحققون المسيحيون أنفسهم!

هل تتصورون ذلك؟!

ثم هل يستطيع أحدٌ في العالم كله أن يخرج لنا النسخة الأصلية التي كتبت بها إنجيل متى؟ أليس أكثر المؤرخين يرجحون كتابته من قبل طلابه؟

**وفوق كل هذا فإن أصول هذه الأناجيل غير موجودة!**

**فيفا**: حتى لو كانت كل علامات الاستفهام التي ذكرت حول الأناجيل موجودة وضِعْفها لكن مجرد الشك لا يعني البطلان، ومجرد الشك لا ينفي الحقيقة التي نراها متجلية في تعاليم المسيح في الأناجيل... فلربما يدفن كتاب معين ولكن بعد فترة يظهر ذلك الكتاب وتتجلى الحقيقة المدفونة.

**أبو حامد: وماذا إذا مرت تلك الفترة ولم تظهر الحقيقة المدفونة؟**

وماذا إذا مرت هذهِ القرون كلها ولم تزد الشكوك إلا شكوكاً!

وما ذنب هذهِ الجموع التي تعيش وترحل منذ تغيير الأناجيل حتى اليوم، وهي تموت ولا تعرف الحقيقة، بل تموت وهي مخدوعة في أكبر قضية؟!

ثم هل يجوز أن نغمض أعيننا عن كل هذهِ الأسئلة المهمة والأدلة القاطعة على التحريف بناءً

على أن الشك لا يقتضي البطلان..؟! ولم لا تقول إن الحقائق لا تبنى على الشك، وإن الحقوق لا تمنح بالريبة، فهل تراني خالفت العقل في أمر واحد؟

يا أستاذ فيفا: ثمة أمر يُعمل فيه عند المسلمين ليس في رواية القرآن ولكن في رواية أحاديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وهو أنهم لا يقبلون شيئاً مما يروى عن النبي محمد إلا بالإسناد الصحيح، فلا بد أن يعرفوا سند هذا الحديث الذي أمامهم مَنْ سمعه مِنْ مَنْ، عن مَنْ، من مَنْ... وهكذا إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، بحيث يُعرف كل واحد من هؤلاء الرواة، وفق علم خاص اسمه علم «الجرح والتعديل»، وقد تحدثنا عنه باختصار في مجلسنا الثاني، فإذا ترددوا في رجل أو لم يعرفوا صِدْقه من كذبه أو دَاخَلَهُ شكٌّ أو جهالةٌ رُدَّ هذا الحديث مهما كانت قيمته العلمية، وهذا ما يسمى بالإسناد.

فأين الإسناد الصحيح المتصل من الرجال الذين حفظوا الأناجيل غيباً، ورووها عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلى الحواريين، إلى أن بلغ عصرنا؟

أين الإسناد من الرجال الصادقين المعروفين الذين رووا الأناجيل من مصدرها إلى أن كتبت؟!

يا أستاذ فيفا: من المُسلَّمات في علم رواية الشيء المراد تحقيقه شرطين: الأول: ثقة كل راوٍ، والثاني: اتصال السند، فإذا كان الرواة ثقات لكن الإسناد بين بعض رجاله مقطوع بمعنى أنهما لم يتلاقيا ولم يتعاصرا فهذا يسقط الحديث، وإذا كان أحد الرواة غير ثقة مع حصول التلاقي فإن الحديث يسقط كذلك.

فماذا ترى حظ الأناجيل إذا طبقت عليها هذهِ القواعد، فلا النَّقَلَة من الثقات، ولا الإسناد متصل ما بين عيسى - عليه الصلاة والسلام - ومن بعده؟!

أين النسخ الأربع؟

وإذا تخلينا عن كل هذه الشروط العلمية الميسرة في التحقيق وأردنا تطبيق قواعد إثبات الصحة لنسبة أي كتاب قديم لمؤلفه فلان، فإن السبيل هو وجود نسخة واحدة على الأقل بخط المؤلف، أو وجود خطه على نسخة كتبت على عهده كإقراره لها وموافقته على ما فيها، فهل توجد نسخة واحدة من الأناجيل الأربعة بخط مؤلفها؟

والجواب: هو عدم وجود أي نسخة أصلية أو حتى صورة عنها!

فهل نغمض أعيننا عن القواعد العلمية في النقل لتمر هذهِ السرقة العظيمة القديمة...؟ ومتى أصبح التقادم سبباً لإقرار الباطل؟

أيها البروفيسور لو اغْتُصِبت ملكيات أسرتكم من قبل أسرة سارقة محترفة في سرقة ملكيات الأسر، واكتشف الجيل الثاني السرقة... فهل ينبغي له أن يطالب بها حتى لا تثبت السرقة أم

يستسلم لنظام التقادم؟!

إن القضية هنا أكبر، إذ هي سرقة عقول، وسرقة قلوب... إن سرقة كتاب اللّه وتغييره أعظم الأشياء جرماً، أعظم من سرقة عقار أو أرض ونحوه.

هل الأناجيل من الوحي؟

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «بوب»**: المعلومات التاريخية التي ذكرها أبو حامد لا أكاد أخالف في شيء واحد منها، لكن لديّ نقطة واحدة هي كفيلة بأن تنسف كل ما ذكره، تلك هي أن هذه الأناجيل موصى بها من اللّه لهؤلاء الأربعة، وعندنا أدلة كثيرة على ذلك... فهل لو أوصى أبوك - يا أبا حامد - بوصية تنفِّذ وصيته أم تتركها؟!

أبو حامد: ما رأيك يا دكتور لو قطعت لك المسألة من أولها وأتيتك باعتراف صاحب الإنجيل بأنه من عند نفسه، ونتيجة فكره، وليس موصى به أو موحى به إليه... فهل ستعلن قناعتك..؟

افتح إنجيل لوقا على أول صفحة وستجد هذه العبارة: [إذا كان الكثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول، بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز «ثاوفيليس» لتعرف صحة الكلام الذي علمت به] لوقا ١/١-٤.

وهل أبقى لوقا - بعد ذلك - لأحد مجالًا للتأويل؟ وهل أبقى مجالًا للدفاع أو التبرير؟ وهل بعد هذا الاعتراف اعتراف؟ وماذا ترى المبرِّر سيقول إذا قال واضع الإنجيل إنه لا علاقة له بالوحي؟

إنه يسميه بصريح العبارة «تأليف قصة»! كما يشير إلى من سبقه بأنهم «ألفوا قصة».

إنه يحدد مصدره وهو: «من سبقوه» وليس اللّه!

إنه يحدد جهده البشري فيقول: «تتبعت كل شيء بتدقيق» فلا علاقة له بالوحي!

إنه يكتب الإنجيل إلى «ثاوفيس» فهل يرسل اللَّه كتاباً لشخص واحد!

ألا يكفي هذا لنقض فكرة الوحي على لوقا وغيره...؟!

**وإليك أدلة أخرى قاطعة**، فاسمع ما جاء في سفر أرميا ( ٢٣/٣٦ ) «أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، **إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا**».

وللعلم فإنني لم أذكر العهد القديم إلا نادراً لبيان تحريفها وذلك لأن أمرها مفضوح يراه الأعمى ويحسه.

وثمة اعتراف واضح بالتحريف ففي دائرة المعارف الأمريكية: [**لم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصيل** لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال

عديدة من الكَتَبَة والنُّسَّاخ، ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيس هو كتابتها أو نقلها][١]. فلا نريد أن نشعب الحديث في أسفار يعترف أهلها بأن أربعة عشر سفراً كتبهم مجهولون.

تقول إيلين ج. وايت[٢] معترفة بوجود التحريف والتغيير والتناقض في الإنجيل، فتقول: «إن الكتاب المقدس الذي نقرؤه اليوم نتاج عمل نُسَّاخ عديدين، استطاعوا في معظم الأحيان أن ينجزوا عملهم في التدوين بإتقان مدهش، ومع

---

(١) الدائرة الأمريكية ٣/ ٦١٧، وكاتب المقالة هو: آرثور جيفري، أستاذ اللغات السامية بجامعة كولومبيا في نيويورك.

(٢) هي قسيسة متنبئة من طائفة الأدفنتست السبتيين، وهم من طوائف البروتستانت، يقولون بعبادة المسيح ثانية، ويقدسون يوم السبت لا الأحد، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص١٠٠ و deedat.Ahmed (op.cit) p .23

هذا فإنهم لم يكونوا معصومين من الخطأ، وإن اللَّه - في هذا - لم ير ضرورة تحصينهم أو حفظهم من الخطأ».

ويقول البروفيسور شارل جنيبير: «وَتَصَفُّحِ الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك: اتبع كلٌّ هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مُؤلَّفِه»(١).

وفي الكتاب الكبير «أسطورة الإله المتجسد» الذي قام بتأليفه سبعة من أساتذة اللاهوت النصراني في الجامعات البريطانية(٢) حيث قالوا: «وقبلت

---

(١) شارل جنيبير (م. ن) ص٢٨.
(٢) وهم: جون هك وهو أستاذ اللاهوت بجامعة =

(المسيحية الغربية) أن الأناجيل كتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفى على كلماتها عصمة الأمر الإلهي»[١].

ومن ذلك قول الأب بينوا: «... إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث، لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة في الأصل، وقد يدهش بعض قُرّاء هذا العمل[٢] أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك

---

= برمنجهام، وجون كوبيت: عميد كلية عمانوئيل، جامعة كامبردج، وميكائيل غولدر، محاضر في اللاهوت بجامعة برمنجهام، ولسلي هولدن، محاضر في دراسة الأناجيل، جامعة لندن، ودنيس ناينهام: مدير كلية كيبل بإكسفورد، وموريسوايلز، أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح بإكسفورد وفرنسيس يونغ، محاضرة في دراسة الأناجيل بجامعة برمنجهام.

(١) أسطورة الإله المتجسد، تعريب: الدكتور نبيل صبحي ص٢٣ - توطئة-.

(٢) يشير إلى العمل المشترك له وللأب بومار في نظرية مصادر الأناجيل.

التصريح بمصيره، كلها لم تُقَل مثلما نقرأ اليوم، وأن هؤلاء الذين نقلوها إلينا قد كَيَّفوها وعدَّلوها»[١].

أستاذ الدراسات الإنجيلية «ب»: دعك من كل نقدٍ ذكرته عن الإنجيل وأوجه لك سؤالًا عملياً: هو هل قرأت في الإنجيل؟

إنك لو قرأته لرأيت الربانية كيف تطفح من عباراته.

مثال التناقض

أبوحامد: الجواب باختصار: نعم، قرأت في الأناجيل وبتدقيق، وهنا أود أن أسألك سؤالًا: أليس الوحي واحداً، والذي أوحى بالأناجيل واحداً... فكيف يختلف هذا الإنجيل عن هذا والمُوحي بها جميعاً واحد؟!

سوف أعطيك عبارة من الإنجيل ولك أن تتخيل كم تناقضاً حرفياً في هذه القصة القصيرة

---

(١) نقلًا عن: Bucaille.maurice (op.cit) p 74

التي حدثت قبل الفِصْحِ بيومين عن امرأة سكبت الطِّيب على عيسى - عليه الصلاة والسلام - واعترض التلاميذ على تبذيرها (رواها متى ٢٦/ ١- ١٣ ورواها يوحنا ١٢/ ١- ٨).

ورواها (لوقا) وهاك نص القصة كما رواها لوقا: ٧: ٣٦ - ٤٠

(وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه، فدخل بيت الفريسي واتكأ، وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيبٍ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بالدموع، وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطِّيبِ، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلًا: لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي: إنها خاطئة...)[1].

أما نص إنجيل يوحنا فهو كما يلي:

---

(١) لوقا ٧: ٣٦-٤٠- .

(ثم قبل الفِصْحِ بستة أيام، أتى يسوع إلى بيت عنيا، حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات. فصنعوا له هناك عشاء، وكانت مرثا تخدم، وأُمّاً لعازر، فكان أحد المتَّكئين معه، فأخذت مريم مَناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قدمي يسوع بشعرها، فامتلأ البيت من رائحة الطِّيْبِ...)[١].

فكم اختلاف تتوقعون في قصة قصيرة مثل هذه بين هذه الأناجيل..؟!

**أولًا: اختلاف الزمان:** «متى» قال: إن القصة حدثت قبل الفصح بيومين (٢٦/ ١) ولكن» يوحنا» قال قبل الفِصْحِ بستة أيام (١٢/ ١).

**ثانياً: اختلاف المكان:** «متى» قال إن القصة حدثت في بيت سمعان الأبرصي (٢٦/ ٢) ولكن «يوحنا» قال في بيت إليعازر (١٢/ ١).

**ثالثاً: اختلاف في اسم المرأة:** فاسمها مجهول

---

(١) يوحنا: ١٢ : ١-٤- نفس المرجع.

في «متى»، ولكن «يوحنا» قال إن اسمها «مريم».

رابعاً: اختلاف في الجزء المدهون: «متى» قال: سكبت الطِّيب على رأس عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ولكن «يوحنا» قال إنها دهنت قدمي عيسى - عليه الصلاة والسلام - ومسحت قدميه بشعرها (٢١/٣).

خامساً: اختلاف في الشخص المعترض: «متى» قال: احتج تلاميذ عيسى - عليه الصلاة والسلام - على تبذيرها واغتاظوا، ولم يحدد اسم المحتج، «يوحنا» قال إن المحتج كان يهوذا الإسخريوطي[(١)]. أليست هذه القصة وحي من اللَّه كما هو المفترض؛ وبالتالي فمصدرهما واحد؟

أفلا ينبغي أن نطبق قاعدة التناقض عند المختبرين عن مصدر واحد وهو أن نقول لهما: «أحدكما كاذب»؟ وإذا طبقنا هذه القاعدة: فمن الكاذب؟

(١) مقارنة بين الأناجيل الأربعة للدكتور محمد على الخولي ص ٦٤-٦٥.

هات أي خبر من أي صفحة وقارن بينها في الأناجيل الأربعة، فإنه من المستحيل - أقول من المستحيل - أن تسلم من الاختلاف والتناقض. . !

كيف يكون الوحي واحداً والرب واحداً ويوجد كل هذا الاختلاف بل هذا التناقض والتضاد بينها؟

هكذا الاختلاف بين الأناجيل في رواية كل شيء، نعم كل شيء!

سوف أعطيك يا أستاذ الدراسات الإنجيلية فترة مفتوحة من الوقت وانظر في كل قصة ورد ذكرها في الأناجيل الأربعة ثم طابق بين كلماتها، وطابق بين أرقامها، وطابق بين تواريخها وطابق بين الأسماء الواردة فيها. . . وستعرف بنفسك إن كان مصدر الأناجيل واحداً أو أنها موحى بها من اللَّه تعالى وبين أن تكون بتصرفات البشر مكتوبة.

لا بل لن يسلم عيسى بن مريم من الخلاف

حتى في نَسَبه، الخلاف في مكانته، في قصصه، في بدايته، وفي نهايته، وأعود لك ثانية لأعطيك ما تشاء من الوقت.. لكن لا بد أن تصل إلى الحقيقة قبل أن ترحل.

فيفا: لماذا لا تعتذر للإنجيل كما تعتذر للقرآن؟!

لماذا لا تحسن الظن..؟!

لماذا التكذيب مباشرة..؟!

ألا يمكن أن يجمع بين مختلف الروايات في رواية واحدة، وتكون قد روت الحدث الواحد بصيغة واحدة، كل كتاب رواه صاحبه بطريقة تختلف عن الآخر؟

أبو حامد: أنا يكفيني أن تجيب بهذا الجواب... ولا تحسب أنك بإجابتك هذهِ انفردت ووقعت! بل هي إجابة كل البابوات القساوسة والمفسرين وعامة المسيحيين، فهذا الجواب المتفق عليه بينكم لا يحتمل إلا واحداً

من احتمالين ونحن نرضى بهما جميعاً لكم كما نرضى بأحدهما، أما الاحتمال الأول فهو أن كل كاتب من كَتَبَةِ الإنجيل روى ما سمع أو ما رأى وهذا اعتراف بأنها ليست من عند اللَّه! إنما من مصادر متفرقة، وهكذا تبطل نسبة الإنجيل إلى اللَّه.

وأما الاحتمال الثاني فأن تقول إنها مكذوبة على اللَّه وتنتهي مسألة كونها من عند اللَّه..!

أليس اللَّه بقادر على حفظ الإنجيل كما حفظ القرآن

فيفا: لكن ما الذي جعلها تصل إلى هذا المستوى من الشكوك رغم أنك تقرُّ معنا أنها في أصلها كلام اللَّه... أليس اللَّه قادر على حفظها؟

أبوحامد: أرأيت لو أن رجلًا ألّف كتاباً، فأخذه منه مجموعة من طلابه، ثم غيروا وبدلوا وحذفوا وزادوا، وضادوا الأستاذ فيما قال، وافتروا عليه ونسبوه إليه... فماذا ترى سيصنع الأستاذ؟

والجواب: أنه سوف يتبرأ من هذا الكتاب، ويظهر بطلان ما أضافوه.

وهذا ما فعله اللَّه عز وجل، إذ إنهم لما كذبوا على اللَّه تعالى في كتبه، فضحهم اللَّه تعالى بأن جعل كذبهم ظاهراً لكل أحد، وجعل تناقضهم في الموضوع الواحد ظاهراً لكل أحد، وجعل أعلم الناس أمثالكم أضعف الناس في الدفاع عن هذا الباطل، وجعل أصغر أصحاب الحق عمراً يغلب مَنْ عَمَّر منكم على هذا الباطل عمراً طويلًا. . . ليس لضعف فيه، ولكن لأنه يدافع عن قضية باطلة خاسرة.

هذا أولًا، أما ثانياً: هل توجد عندكم آية واحدة يتكفل اللَّه فيها بحفظ الإنجيل أو يتحدى فيها بحفظه؟

والجواب قطعاً لا. . فالنتيجة الطبيعية أن يضيع هذا الكتاب ويتغير لعدم وجود هذه الكفالة.

أرأيت لو أن لك قافلة بضائع مكشوفة، ولم تؤمنها في شركة تأمين، وأردت إيصالها لبلدك،

لكنها ستمر بأحياء لصوصية، ومناطق وحشية، وعصابات سرقة... فهل تعتقد أن هذه القافلة سوف تَسْلَم؟

والجواب: لن تسلم.

وذلك لأنها مكشوفة... وكذلك الإنجيل إنه مكشوف من حماية اللَّه ليس عليه أي حماية إلهية وليس بمؤمَّن...!

وهذا الذي ذكرته مع القافلة هو ما حصل مع الإنجيل وقد صنع به السُّرَّاق ما صنعوا كما مرّ معنا آنفاً.

ثم إن مراحل الضعف التي مرَّ بها حُماة الإنجيل والحواريون مراحل لم يتمكنوا فيها من الدفاع عن أنفسهم ولا حماية إنجيلهم بل ولا حماية عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه.

فيا أستاذ: أتظن أن أصحاب القافلة إذا لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم يستطيعون الدفاع عن بضائعهم؟

إنهم سوف يتركون كل شيء ويلوذون بالأشجار والمغارات حفاظاً على أرواحهم... أليس هذا هو المنطق العقلي المعروف؟

فهل يخفى على أحد من الجالسين أي ظلم حصل لأصحاب عيسى - عليه الصلاة والسلام - وحوارييه وأتباعهم؟ إنه اضطهاد ابتدأ منذ صلب شبيه عيسى - عليه الصلاة والسلام - فأحدث تغيراً حقيقياً وانقلاباً رأسياً إذ لم تستمر هذه الحِقْبة يوماً ولا يومين، إنما استمرت طويلًا، وبعدما انتهت فترة الاضطهاد جاء دور قسطنطين كما مر معنا في التحريف، وهذه الفترة في حقيقتها لا تزال إلى اليوم، لكنها تحولت اليوم إلى صورة إرهاب فكري، إذ إن من غير المقبول إطلاقاً أن يطرح أحد فكرة أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - بشر!! وأنه دعا للتوحيد! وأنه جاء بإنجيل غير هذا الذي نعرفه!!. إن ذلك غير مقبول إطلاقاً، بل قد لا ينجو من العقاب إن طالته السلطة الكنسية بنفسها أو بخدامها السياسيين!

الاحتجاج على صحة الإنجيل بالقرآن!

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «بوب»**: نعم، هذا غير مقبول إطلاقاً، حتى إن قرآنكم يشهد بأن التوراة و الإنجيل لم يحرفا..؟!

وثمة آيتان في قرآنكم يثبتان ذلك، والآيتان لا أحفظهما، لكن فيهما دلالة واضحة على أمر اللّه أهل الإنجيل في عهد محمد أن يحكموا بالإنجيل، وهذا دليل على أنه محفوظ حتى ذلك الوقت، وإلا كيف يأمرهم بالتحاكم لكتاب محرف..؟! ثم إن عندكم أن الأمر التشريعي في حياة محمد أنه أمرٌ لكل من بعده إلى يوم القيامة.. أليس كذلك..؟! وهذا يعني أنه محفوظ إلى يوم القيامة، وهذه الشهادة وحدها كافية.

**أبو حامد**: أنا أعرف أنك تريد بالآيتين هما الواردتان في سورة المائدة في قول اللّه تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧].

ومع أن استدلالك الآن بالقرآن، إلا أنني لن أخرج عن التزامي بأن أناقشك نقاشاً عقلياً، أما استدلالك هذا على أن التوراة والإنجيل غير محرفين فله أحد احتمالين: إما أن تكون مؤمناً بالقرآن وهذا ما تنفيه قطعاً، وإما أن يكون من باب: «مِنْ فَمِكَ أُدِينُك»!

فعلى هذا ينبغي لك أن تستدل بالآيات الأخرى ما دمت تتحدث في نفس الموضوع، فإن لم تعرفها فسوف أذكرها لك، وعليه يسقط احتجاجك من نفس المصدر الذي استدللت منه، فإن القرآن نفسه يثبت تحريف هذهِ الكتب كما جاء في نفس السورة، سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ

ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آيه: ٤٢].

**هذا أولًا، أما ثانياً** فيا أيها الأستاذ، تأمل الآية جيداً في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

هل قالت الآية: بما حرف اليهود والنصارى منه، أم بما غيروا وأدخلوا فيه، أم قالت: «**بما أنزل اللَّه فيه**»؟

**ثالثاً**: أن الآية قالت: «**وليحكم أهل الإنجيل**» وهل مَنْ حرَّف الإنجيل يكون من أهل الإنجيل أم من أعداء الإنجيل؟

تنبه ياصديقي فإني أتحدث معك في نفس ألفاظ الآية التي احتججت بها.

رابعاً: أن اللَّه تعالى قال: «بما أنزل اللَّه فيه» إذاً فاللَّه وحده هو الذي أنزل، ولفظ أنزل يدل على أنه أنزله من عليائه على من هو في الأسفل، والمطرد في هذا الشأن أن ينزل اللَّه على عبدٍ من عباده ليرفعه لدرجة النبوة، والإنجيل نفسه يعترف بعبودية عيسى - عليه الصلاة والسلام - مراراً وتكراراً حين يسميه «ابن الإنسان»، كما يعترف بنبوة عيسى - عليه الصلاة والسلام - ورسالته.

كما جاء في إنجيل «متى» : (ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: **هذا يسوع النبي** الذي من الناصرة الجليل)، فهذه هي شهادة الشهود الذين عاينوه ورأوا معجزاته ولم يقل واحد منهم: إنه إله أو ابن اللَّه[١].

وكذلك نجد في إنجيل «لوقا» : (وفي اليوم

---

(١) متى ٢١: ١٠ - ١١ .

التالي ذهب إلى مدينة تدعى «**نايين**» وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول - ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير - من المدينة، فلما رآها الربّ تحنن عليها وقال لها: لا تبكي، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون.

فقال: أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع الخوف ومجدوا اللَّه قائلين: **قد قام فينا نبي عظيم وافتقد اللَّه شعبه**)[1].

أليس هذا دليلًا كافياً على بشرية عيسى - عليه الصلاة والسلام - بنصوص إنجيلية؟

فكلمة **أنزل** تفيد إثبات الطريق الذي أنزله اللَّه به على عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما أنزل من قبله على الأنبياء وأنزل من بعده على محمد

(١) لوقا ٧: ١١ - ١٦ .

- عليهم الصلاة والسلام - نفسه. . .ذلك أنه روح القدس كما جاء إثبات ذلك.

فاستشهادكم بهذة الآية إلزام لكم بالقول بعبودية عيسى وأنه رسول من رسل اللّه وليس إلهاً، فهل تقولون بهذا؟

خامساً: هل تعرف أن القصة التي كانت سبباً في نزول الآية تدل على ثبوت حكم واحدٍ من أحكام التوراة؟ بالإضافة إلى دلالتها على إخفاء علماء قومهم وسادتهم لها، فلقد ثبت في حادثة رجل من اليهود زنى بامرأة فنزلت الآية، وسأروي لك القصة كما جاءت بالأسانيد الصحيحة:

فقد أخرج العديد من أصحاب كتب الحديث، منهم صاحب كتاب السنن لأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «زنى رجل من اليهود بامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي؛ فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند اللّه. قلنا:

نبي من أنبيائك. قالوا: فأتوا النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى في رجل وامرأة - منهم - زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم. فقام على الباب فقال: «أنشدكم باللّه الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟» قالوا: نحمّمه ونجبيه[1] ونجلده، والتجبية: أن يحمل الزانيان على حمار ويقابل أَقْفِيَتُهُمَا وَيُطَافُ بهما.

قال: وسكت شاب منهم. فلما رآه النبي - عليه الصلاة والسلام - ساكتاً ألظ به النشدة، فقال: اللَّهم إذ نشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم. فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -:

---

(١) قال الخطابي: التحميم، تسويد الوجه بالحمم، والتجبية: مفسر في الحديث، ويشبه أن يكون أصلح الهمز، وهو جبأ من التجبئة، وهو الردع والزجر والتجبية أيضاً أن تنكس رأسه، وأصل الجبه إصابة الجبهة.

«فما أول ما ارتخصتم أمر اللّه؟» قال: زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخّر عنه الرَّجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم. فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «فإنِّي أحكم بما في التوراة» فأمر بهما فرجما»[1].

وقد حدثت قصة أخرى واضحة كذلك تظهر إخفاء القوم وتلاعبهم بالتوراة والإنجيل حسب الحاجة:

فعن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول اللَّه: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبداللَّه بن سلام:

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٥٢) وسكت عنه، فهو صالح في نظره، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٤٥٠).

كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبداللّه بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول اللّه فرجما.. قال عبداللّه: فرأيت الرجل يحنأ(١) على المرأة يقيها الحجارة(٢).

فأنزل اللّه هذهِ الآيات التي في القرآن الكريم:
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ

(١) أي: يحني ظهره عليها.
(٢) رواه البخاري (٦٤٥٠) ومسلم (٤٥٣٣).

وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٦].

فإذا تأملت رواية الحديث تجد أن جميع علماء التوراة الحاضرين أخفوا تحريفهم لها وهم يعلمون حتى نطق ذلك الشاب الوحيد.

سادساً: إن قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يقتضي وجوب اتباع التوراة أيام موسى - عليه الصلاة والسلام - وما بعدها، ثم لما جاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأنزل اللَّه عليه الإنجيل وجب اتباع ما نزل في التوراة وفي الإنجيل معاً، لأن وصف: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾، يصدق عليهما فإذا اختلفنا في حكم اللَّه اتبعنا المتأخر، ولم نضرب كلام اللَّه بعضه ببعض، وهكذا لما بعث اللَّه

محمداً، أصبح واجباً على الناس اتباع جميع ما ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في التوراة والإنجيل والقرآن، فإذا اختلف الحكم كان المرجع هو آخر ما أنزل اللّه تعالى، أليس هذا حكم العقل والعدل؟ وهو الحكم الموافق لتفسير الآية ولنصها، ولا يعني ذلك اضطراب ما أنزل اللّه أولًا عن آخر ما أنزل اللّه... لا... ولكن كما قال اللّه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨].

الأمر السابع: واقرأ الآية القرآنية وتأمل قوله تعالى جيداً ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ إن الآية تثبتُ على وجهٍ لا يقبل الشك أبداً أن لعيسى - عليه الصلاة والسلام - إنجيل أنزله اللّه عليه.. فأين هو ذلك الإنجيل..؟!

الأمر الثامن: هل يكفي مجرد وضع اسم الإنجيل على الأحكام لِتُصْبِحَ أحكام الإنجيل الذي أنزله اللّه فعلًا؟!

لو كانت هذه النسبة وحدها تكفي لنسب من

يشاء ما يشاء.. وتكلم من يشاء باسم ما يشاء، وعلى الآخرين تصديقه..!

ولَأصْدر من يشاء ما يشاء من الأحكام وعلى الآخرين أن يسمعوا ويطيعوا..!

ولو أن مجرد وضع الاسم كافٍ لصدَّق النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أحبار علماء بني إسرائيل لما سألهم: كيف تجدون حكم اللَّه في هذا وكان قد زنا بعد إحصان.. وخصوصاً وأن اسمهم أحبار اليهود..؟! ولأنهم يتكلمون باسم التوراة، ولَمَا صدّق ذاك الشاب قليل الخبرة..!

فالعبرة ليست بالكثرة ولا بالأسماء، إنما العبرة بما «أنزل اللَّه فيه» على وجه الحقيقة..!

نعم نحن نقول «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل اللَّه فيه» ولا أظنكم تخالفوننا في هذا، فهل توافقوننا على كل ما أنزل اللَّه في الإنجيل؟

لاشك أن جوابكم سيكون بالإيجاب.

إذاً ماذا تقولون إذ أريتكم الأمر باتباع النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في أكثر من موضع من الإنجيل؟!

أترك الأمر لكم لتفكروا فيه جيداً، فهل يمكنكم بعد كل هذا أن تقولوا إن القرآن يشهد للإنجيل بأنه غير محرف؟!

أستاذ الدراسات الإنجيلية: أرى أن نسبة التحريف إلى القرآن عقلاً أعظم من نسبته للإنجيل، ذلك أن الإنجيل مكتوب بأكثر من سبعين لغة من لغات العالم، بينما القرآن مكتوب بلغة واحدة فحسب وهي اللغة العربية..!

إذ ما يكتب من القرآن باللغات الأخرى - غير اللغة العربية - لا يُقدم للناس كقرآن إنما على أنه معاني القرآن... فإمكانية تحريف القرآن أسهل بأكثر من سبعين مرة عن إمكانية تحريف الإنجيل... أليس هذا صحيحاً عقلاً ونحن قد اتفقنا على قبول حكم العقل؟

أبو حامد: العكس هو الصحيح عقلًا فطباعة الإنجيل بسبعين لغة مختلفة يجعله أكثر عرضة للتحريف من القرآن المكتوب بلغة واحدة، وذلك للأدلة العقلية التالية:

أولًا: إن القرآن نزل باللغة العربية وبقي باللغة العربية وسيبقى كذلك، بينما الإنجيل نزل بالعبرية ثم تعددت لغاته، فما كان له أصل ثابت أولى بالبقاء مما ذهب أصله، إن الفارق بين الاثنين كالفارق ما بين شجرتين متماثلتين، إحداهما بقيت في مكانها والأخرى قلعت من مكانها ولم يبق منها شيء إلا بذرها، فأُخذ بذرها ثم زرع، ثم بذر، ثم زرع، ولا يزال يزرع بذرها من البذر إلى سبعين مرَّةً فهو كلما زرع وبذر ابتعد عن الأصل أكثر وأكثر.. فمن يقول إن هذه كهذه؟

ثانياً: إن مصدر الإنجيل ذهب واندثر حين ترجم من العبرية إلى غيرها، بينما القرآن بقي على أصله فاحتفظ بالمصدر، فمهما ترجم فإن المصدر موجود ثابت، علماً بأن المترجم بالنسبة

للقرآن إنما هو المعاني كما ذكرت يا أستاذ الدراسات الإنجيلية، فلا تؤخذ على أنها قرآن وقارئها لا يعد قارئاً للقرآن.

لذلك لو حفظ رجل الإنجيل بأية لغة أخرى لعد حافظاً للإنجيل... بينما لو حفظ رجل القرآن بغير العربية لم يعد حافظاً للقرآن... لأن الحفظ حفظ الأصل... كذلك لو صلى رجل بالإنجيل بلغته التي ترجم الإنجيل لها لصحت صلاته عندكم، لكن لو صلى رجل بمعاني القرآن المترجمة لم يُعدّ مصلياً بالقرآن ولم تصح صلاته!

**ثالثاً**: إن إمكانية التغيير فيما زادت لغاته على السبعين لغة أعظم سبعين مرة من إمكانية التغيير بما بقي على لغته التي نزل بها أول ما نزل.

بل إن إمكانية معرفة التغيير فيما تعددت لغاته، مع تعدد طباعته إلى سبعين لغة يعد مستحيلًا... فمن يستطيع أن يقارن ما بين المتغير في هذه الثانية عن الثالثة اللغة عن هذه إلى سبعين لغة.. من؟!

ومن يستطيع أن يقارن طبعة الإنجيل في لغةِ

كذا مع السبعين لغة الأخرى؟ إن الحسبة الرياضية تقول إن إمكانية المقارنة مع فرض أن الإنجيل - كما تقولون - طُبع بأكثر من سبعين لغة - ولنفرض أنها إحدى وسبعين لغة فقط، أي بعد السبعين بلغة واحدة - فإذا ما أردنا التيقن من عدم تغيير الإنجيل في لغاته كلها وتماثله بل تطابقه تكون بعمل الحسبة التالية: تضرب الواحد في اثنين ثم تضربه في ثلاثة ثم في أربعة وهكذا حتى الرقم سبعين ثم نعمل نفس الحسبة بضرب الاثنين بجميع الأرقام ابتداءً بالاثنين فالثلاثة حتى نصل إلى السبعين، ثم نعود ونضرب الثلاثة في جميع الأرقام حتى السبعين، وهكذا، وهكذا حتى نصل لضرب جميع الأرقام بجميع الأرقام.

فهل تتصور الرقم النهائي لهذه الحسبة؟

وهل من أحد عمل هذه الحسبة؟ وهل يمكن لأحد أن يعمل هذه المقارنة؟

إذاً فإدراك مقدار وكمية تحريف الإنجيل بأية لغة من اللغات أمر مستحيل..!!

كل هذه المعادلة لا تحتاجها في القرآن. . . فهي نسبة الصفر، إنها لغة واحدة لم تتغير ولم تنقرض، ولم يترجم القرآن لغيرها. . . فلو غُيِّر حرف واحد لعرفه العدو قبل الصديق. . . دعك من أنها قضية عقدية أو عقلية وتعال وانظر لها بعقلك نظرة قضائية.

«فلو افترضنا أن عقداً تجارياً تنظره محكمة في قضية، وكان هذا العقد مكتوباً بإحدى اللغات التي لا يجيدها القاضي، وطلب القاضي ترجمة العقد إلى لغته ليعرف محتواه، فهل يحق للقاضي أن يعتمد الترجمة دون إرفاقه أصل العقد؟ الجواب قطعاً لا، لأن الخطأ في الترجمة يؤدي إلى الخطأ في الحكم»(١).

إذاً يستحيل على أحدٍ أن يمنع التغيير في

---

(١) الفقرة الأخيرة فقط منقولة من ص٣٧ «مناظرتان في استكهولم» بين الداعية أحمد ديدات وكبير القساوسة استانلي شوبيرج، نقله إلى العربية: على الجوهر، طباعة دار الفضيلة.

الإنجيل على كثرته، بخلاف القرآن فإنه يزداد ثباتاً بازدياد طبعاته، لأن لغته واحدة، وكل طبعة جديدة ترسخ ما قبلها، وآخر طبعة بالآلات الحديثة كأول نسخة موجودة، وكل طبعة لا تطبع إلا بعد تدقيق جديد.

**رابعاً**[١]: أن الإنجيل لما ترجم من العبرية إلى غيرها وقع في الترجمة تغيير جميع الألفاظ وتغير المعاني بغير شك، بينما القرآن لم تترجم ألفاظه إطلاقاً.

فأصبحت كل لغة جديدة ترجم لها الإنجيل أصل في حد ذاتها، أما القرآن فالأصل الذي نزل فيه هو الأصل الباقي الذي لم يتغير ولا يجوز أن يتغير.

**خامساً**: إن كتابة الأناجيل بأكثر من سبعين لغة جاءت بعد ما كتبت الأناجيل الأربعة، فإذا كان قد وقع في الأناجيل الأربعة تغييرٌ، فقد أُثبت ذلك التغيير في جميع تلك اللغات التي زادت

---

(١) عن شيخ الإسلام بتصرف.

على السبعين، ونشر التحريف أكثر وأكثر في تلك اللغات، إذ إن زاوية الانحراف تتوسع أكثر وأكثر كلما بعدت عن المركز أكثر.

وأظنك وجميع الأساتذة الحضور وصلتم إلى يقين ولا أقول شكوك بأن ما من جهات الكتاب المقدس إلا مشكوك فيها ولم يبقَ منه شيء مستيقن إلا الاسم، يقول الدكتور إدور يونج: «إذا لم يكن الكتاب المقدس كتاباً معصوماً فلن يبقى أمامنا شيء على الإطلاق»[١].

أما القرآن فلم يتعرض إلى ترجمة، فالتحريف مستحيل.

وأحسب أن هذهِ الفوارق في غاية الوضوح ولأجل تثبيت ما ذكرنا ولئلا يضيع في زحمة النقاش فسوف أجعله في جدول وأرجو أن تطلعوا عليه:

---

(١) أصالة الكتاب المقدس للدكتور إدور يونج الأستاذ بكلية ونسمستر بفلادلينيا (ص٧).

| القرآن | الإنجيل |
| --- | --- |
| - يقر المسلمون أجمعون أنه كلام اللَّه | - يقر النصارى أنه كلام كاتبيه . |
| - أول نسخة كتبت بالمصحف موجودة، لم يسمح النبي بكتابة أي قول من أقواله حتى ميز كتابة القرآن من غيره . . : نقل القرآن برجال فوق الحصر منذ أيام النبي - عليه الصلاة والسلام - . | - لا توجد النسخة الأولى من أي إنجيل، ولا يوجد إسناد للإنجيل إطلاقاً، ولم يكتب الإنجيل في عهد عيسى أصلًا ولا توجد نسخة من الإنجيل قبل القرن الرابع للميلاد إطلاقاً . |
| -شارك في كتابته أربعون صحابياً من أصحابه . | -كتبه أربعة ليس بينهم واحد من الحواريين . |
| - ابتدأت كتابته وانتهت في حياة محمد - عليه الصلاة والسلام - . | - ابتدأت كتابته بعد نهاية عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأكثر من ثلاثين سنة . |

| | |
|---|---|
| - كتب بالعربية وبقي بالعربية. | -كتب بالعبرية وكتب إلى لغات كثيرة وذهبت كتابته بلغتِهِ الأساسية. |
| - لم تترجم ألفاظه ولا تجوز ترجمته. | - ترجمت ألفاظه إلى عدة لغات. |
| - بقيت معانيه لم تتغير لأن ألفاظه لم تتغير | - تغيرت المعاني لتغير الألفاظ. |
| - تكلم محمد - عليه الصلاة والسلام - بالعربية والقرآن باللغة العربية. | - تكلم عيسى وموسى عليهما السلام اللغة العبرية والأناجيل باليونانية. |
| - عاش المسلمون في تمكين منذ قيام الدولة الإسلامية وإكمال كتابة القرآن، واتسعت دولتهم واستمر ذلك إلى أكثر من ألف سنة. | - اشتدّ الأذى والعذاب بالمسيحيين من بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلى نحو ثلاثمائة عشر سنة، وفي هذه الفترة كتبت الأناجيل. |
| - نُقل عن اللّه تعالى عن محمد - عليه الصلاة والسلام - ونسب للّه | - لم ينسب للّه كله. |

| | |
|---|---|
| - نقل عن محمد - عليه الصلاة والسلام - إلى الآلاف من أصحابه | - لم ينقله عن عيسى عليه السلام إلا اثنان ممن رأوه، ولا أحد منهم من الحواريين. |
| - نقله الآلاف من أصحابه إلى مَنْ بعدهم فنقله ما لا يحصى عنهم إلى أكثر منهم نقلوه عن النبي - عليه الصلاة والسلام - من فمه إلى الأوراق. | - كتبوه هم، ولم ينقلوه عنه ابتدأت كتابته بعد مضي أكثر من ثلاثين عاماً من نهاية عيسى - عليه الصلاة والسلام -. |
| - وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يدعو كتبة الوحي إذا نزل عليه شيء من القرآن، فيكتبونه تلقياً من فمه في لحظتها. | - يكتبه كاتبه من عند نفسه ومن ذاكرته أو نقلًا عن غيره. |
| - فيه تحدٍّ بحفظه. | - ليس فيه تحدٍّ بالحفظ. |
| - يَحفظ القرآن عن ظهر قلب ما لا يحصى من الأطفال العرب وغير العرب لكنهم يحفظونه بلغة العرب. | - لا يُحفظ عن ظهر قلب، بل لا يوجد قس واحد يحفظ الأناجيل بحروفها وألفاظها. |

شبهة حول جمع القرآن!

**أستاذ الدراسات الإنجيلية:** إذا نظرت في طريقة جمع القرآن أول مرة، عرفت أن الشك داخله من كل جانب، **فأول ذلك:** أن محمداً لم يكن قادراً على التحقق من صحة ما يُكتب لأنه - باعترافكم - كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

**ثم إنكم تعترفون** بأن القتل اشتد في قُرَّاء القرآن وحَفَظَته بعد موت النبي محمد حينما ارتد من ارتد من العرب وحدثت حروب الردة.. وبعد حروب الردة جمع القرآن.

**ثم إنكم تعترفون** بأن القرآن جمع مرة أخرى في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان.. والقرآن الموجود الآن هو ما كان مجموعاً في عهد عثمان.

فما يدرينا أن عثمان جمع القرآن الذي نزل في عهد محمد..؟!

بل إنكم تسمونه كذلك بمصحف عثمان إلى اليوم.

أبو حامد: أيها الأستاذ، الحقيقة أنك كلما حاولت أن تطعن الحقيقة من جهة تجلت لك هذه الحقيقة أكثر وأكثر... فالحقيقة تدافع عن نفسها بنفسها، وتتجلى أكثر وأكثر كلما حاول أحد الاقتراب منها.

أنت الآن تقر بأن القرآن الموجود هو القرآن المكتوب في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، إذاً فأنت تعترف بأن القرآن الموجود ما زال منذ نحو ألف وأربعمائة سنة لم يتغير منه شيء، وأن الفترة الأولى التي تطعن في الحفظ فيها هي ما بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - وحتى خلافة عثمان أي أنها فترة لا تتجاوز أربع عشرة سنة فقط.. أليس كذلك؟

أليست هذه شهادة كافية على حفظ القرآن؟ أليس الكتاب الذي حفظ طوال فترة ألف وأربعمائة سنة باعترافكم، أجدر أن يحفظ في نحو أربع عشرة سنة..؟!

وللعلم فإن الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يقم بجمع

القرآن من جديد، وإنما أمر باستنساخه من الأصل الذي جمع فيه أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حيث أخذه من زوج النبي - عليه الصلاة والسلام - حفصة رضي الله عنها وسلمه للكتبة ليستنسخوه من النسخ التي بعث بها إلى الأمصار، وذلك ليوفر لكل جهة نسخة وليس هذا جمعاً جديداً للقرآن.

ثم هل يطعن في حفظ القرآن في فترة عزِّ أهله وتمكنهم، وحكمهم به، وكثرة حفظته..؟!

أفيسلم الكتاب من الطعن في آخر العهود ويطعن فيه في أول عهده..؟!

إنك تقر الآن بأن القرآن كتب في عهد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وأكملت كتابته وهو حي، وكثر حفظته وهو حي وجمع كل ما كتب مرة ثانية في عهد أول خلفائه، وما زادوا عليه حرفاً واحداً.

فهل الجمع الثاني يزيده توثيقاً أو يزيده شكّاً..؟! ثم لما جاء الخليفة الثاني وكان الأقوى

كما يشهد بذلك كل المؤرخين، وعليه فقد كان القرآن أعظم حفظاً.

ثم لما توفي الخليفة الثاني وتولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان جمع القرآن مرة ثالثة.

فهل خالف هذا الجمع الجمع الأول ولو بكلمة واحدة..!

هل قال أحد قبلك بوجود اختلاف ما بين الجَمْعة الأولى والثانية والثالثة من المنصفين..؟!

هذا بالإضافة إلى أن الذين كتبوه ثالث مرة هم الذين كتبوه ثاني مرة، وهم الذين كتبوه أول مرة، باستثناء من قُتِل منهم في حروب الرِّدةِ.. لكنهم في المرة الثالثة استنسخوه استنساخاً مما كتب في المرة الأولى في عهد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -.

فالذي عمله في الجمع الأخير هو أن الخليفة جمع كل الحفظة في مكان واحد في وقت واحد.

فهل في هذا العمل أيُّ شك أم أنه يزيد اليقين يقيناً . . ؟!

هذا أمر والأمر الآخر : أن ميزة هؤلاء الحفظة أنهم كتبوا كل آية تنزل أيام النبي - عليه الصلاة والسلام - فور فراغ الوحي من إلقاء الآية أو مجموع الآيات عليه ، فهم كتبوه من فم النبي - عليه الصلاة والسلام - فوراً فهل هذا يزيده يقيناً أم لا . . ؟!

وفوق هذا فقد كانت المراجعات مستمرة للذين يحفظون القرآن كاملاً أو جزئياً من عهد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في صدورهم ، ومقارنة محفوظاتهم بعضها ببعض ، ومقارنتها بالمكتوب . . ثم كتب كله بناءً على هذه المقارنات وما وجدوا الاختلاف في حرف واحد .

ثم هل سمعتم أن أحداً من الأمة كان عنده نسخة أخرى من المصحف - قرآن غير هذا القرآن - حتى ينازع في الأمر . . ؟!

بل هل سمعتم أن أحداً عنده سورة واحدة

مختلفة عن الموجود في القرآن هذا..؟

إذاً كيف يكون في الحق ولا مطالب أصلًا..؟

وكيف يكون شك ولا توجد شبهة أصلًا.؟

وهل ترفع قضية في محكمة على مُلْكٍ لشخص معين لم يَدَّع أحدٌ ملكيته معه أصلًا..!

**أما كون النبي** - عليه الصلاة والسلام - لا يكتب فلا أثر له إذ كان محفوفاً بعشرات الكتبة من أصحابه الذين يتسابقون إلى قراءة المكتوب وعرضه عليه ليتعبدوا بتلاوة ألفاظه والعمل بمضمونه بل هذا يجعله أبعد ما يكون عن أن يكتب هو بعض ما نزل عليه بفهمه لا بنصه، فهو يسلمه للكتبة كما هو دون تدخل، من الوحي في القرآن.

وهل كان الأصل عند المسلمين في القرآن هو حفظه في الصدور أم كتابته وحفظه في السطور؟!

نعم كانت الكتابة مهمة خصوصاً الكتابة الأولى.. لكن لما كان الحفظ عند العرب هو الأصل فإن التحريف مستحيل، ذلك أن من

استطاع أن يحرف نسخة مكتوبة ونسختين أو أكثر موجودتين في أماكن معروفة فكيف يستطيع تغيير محفوظات ما لا يحصى من الناس، قد حَفَّظوه لأضعافهم من الناس وهؤلاء قد حَفَّظوه لأضعافهم، وهكذا، ثم انتشروا في الأرض كلها. . ! ثم هؤلاء الحفظة لا يزالون يقرأونه بالناس في صلواتهم كل يوم، وجموع الناس تسمعه منهم، فلو كان ثمة أي اختلاف أو اختلاط أو نسيان من أي قارئ مهما كان حِفْظه قوياً لردّ عليه الناس خطأه، هكذا الأمر منذ نزول القرآن، وعلى طول الأرض وعرضها، ويستمر إلى يوم القيامة.

أمرٌ آخر هو أن القرآن نزل على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - مُجَزَّأً أجزاءً متفرقة ولم ينزل دفعة واحدة - كما سيمر معنا - وهذا أسهل للحفظ بغير شك، ثم أنه لم ينزل في أول عهده أو أوسطه أو أواخره وإنما استمر في النزول من أول بعثته الى آخرها طوال ثلاثة وعشرين عاماً،

وهذه الفترة كافية جدّاً لحفظ القرآن، فنحن نشاهد اليوم كثيراً من الأطفال يحفظون القرآن كاملًا في سنتين حفظاً متقناً، ويكفيكم أن تزوروا مراكز حفظ القرآن ليس في البلاد العربية فحسب وإنما في قرى باكستان والهند وبنغلادش وتشاد ونيجيريا وغيرها من الدول التي لا تتحدث العربية كما تجدونها في دول أمريكا وأوربا وسترون كيف يحفظ الصغار القرآن ويتنافسون في ذلك، ثم إن استمرارية النزول حسب الأحداث التي تقع في الأرض - كما سنعرف لاحقاً - يعطي المحفوظ تثبيتاً أكثر.

وفوق هذا فإن الطريقة المجزأة في نزول جبريل بالقرآن عليه تجعل المراجعة والمقارنة مستمرة ما بينه وبين جبريل وبينه وبين أصحابه وثمة نقطة دقيقة وهي أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - كان دائم الصلاة بأصحابه يقرأ بهم القرآن فلو حدث أيُّ اختلافٍ ما بين ما سمعوه أول مرة والمرة الأخيرة لسبَّبَ ذلك شكاً كبيراً

لهم، وهو أن القرآن بعد ما كتب مرتباً وحفظ وتم وانتهى نزول جبريل وعرض عليه النبي- عليه الصلاة والسلام - القرآن كاملًا في آخر رمضان مرتين.

ولعل من حقك أن تعترض وتقول استدلالك بهذا الدليل مخالف للعقل!

وأرجوك كما سمعت الاعتراض فاستمع الإجابه وستعرف أولًا أن هذا ليس من كيس أبي حامد إنما هو من المرويات الصحيحة المسندة إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام- وليس في هذا أي مخالفة للعقل لأننا وإياكم بالأساس أصحاب الكتاب ونحن نؤمن بأنه أنزل علينا وعليكم كتاب، أما كونه محرفاً أو غير محرف فهذا شيء آخر فنحن نتحدث عن أصل الملة والديانة فلذا فإنْ كان جبريل نزل بهذا الكتاب أول مرة فماذا يمنع عقلًا أن يكون نزل مرات كثيرة بأجزاء متفرقة من الكتاب؟ ثم ما الذي يمنع أن

يكون نزل مرة أخيرة ليؤكد ما سبق وليجمع كل ما نزل به طوال الثلاث وعشرين سنة؟.

**فهل سمعت بمراقبة مثل هذه؟ أم سمعت بتنقيح مثل هذا؟**

وإذا أمكن أن يتوافق كتابة نسخة مزورة فرضاً مع نسخة مزورة وهكذا، فكيف يمكن أن يتوافق حفظ واحد هنا مع حفظ آخر هناك مع عشرات مثله مع آلاف هنا وآلاف هناك.. مع ملايين هنا وأمثالهم هناك دون اختلاف في آية واحدة..!

كيف يمكن أن يتطابق حفظ العربي للقرآن مع حفظ الأعجمي دون اختلاف في أي آية من آيات القرآن الـ ٦٢٣٦؟ وكيف يمكن أن يتطابق حفظ العربي الذي يفهم القرآن مع حفظ الهندي الذي لا يفهم كلمة من القرآن الذي يحفظه كاملًا..؟!

ولقد حدثت محاولات فعلية لتزوير القرآن الكريم، لكنها كانت جميعاً تكتشف من قِبَل الحفظة الذين يحفظونه غيباً وهم لا يعدون ولا يحصون.

**أستاذ الدراسات الإنجيلية** سؤال أخير أرجو أن تجيبني عليه بصراحتك التي اعتدناها فأنا مستغرب منك يا أبا حامد كيف لم تستشهد مرة واحدة بإنجيل برنابا مع أن المسلمين اعتادوا الاحتجاج به والاستشهاد بما ورد فيه؟

ترى هل تعتقد كما نعتقد من أنه إنجيل مكذوب على برنابا أم تعتقد كما يعتقد كثير من المسلمين أنه إنجيل صحيح؟

**أبو حامد:** الحقيقة أنني لم أرغب في أن أستشهد بشيء مختلف فيه، مع خشيتي من أن ينسف صاحب هوى أدلة هذه المجالس لأجل استشهادٍ بإنجيل برنابا، حتى وإن كنت أعتقد أن إنجيل برنابا هو أقرب الأناجيل إلى الصحة، إلا أنه كما أن فيه من الحق الكثير ففيه من الجهالات والخرافات الكثير، علماً بأنني أستطيع أن أحرر كل ذلك إلا أنني آثرت عدم الإطالة، والاحتجاج بما تعتقدون صحته، وهذا المبدأ هو الموافق

لمنطق العقل، إذ ما أسهل أن يقول لي أحدكم: كيف تحتج عليَّ بما أنا غير مؤمن به؟! لكنه لا يستطيع أن يقول مثل هذا القول إذا كان الاحتجاج بما لا يخالف في صحته من التوراة أو الأناجيل الأربعة أو رسائل بولس.

* * *

## خاتمة المجلس الثالث

انفضَّ المجلس الثالث، وخرج الجالسون من بيت الأستاذ «فيفا»، والبعض مسرور باستخدام عقله في قضية ما تعوّد فيها إلا التسليم، هذا من جهة.. وحزين من جهة أخرى إذ لسان حاله يقول: تُرى كيف تساقطت أوراق الإنجيل الليلة بما فيها من عقائد وأحكام وقصص حين عُرِضت على العقل كما تساقطت أوراق الشجر بهبوب عواصف الخريف؟!

سؤال كبير انطبع في ذهن كل حاضر هذه الليلة!

لكن يبقى أمل كل نصراني في شيء واحد هو أن تتساقط الثقة بالقرآن في المجلس القادم كما تساقطت أوراق الإنجيل، وإذا كانت حوارات الليلة قد أخذت صفة الهجوم والدفاع، والدفاع والهجوم، فإنها لم تخرج عن حدود آداب

الأصحاب.. فإغلاظ الصاحب إغلاظ قلب محب ولسان مشفق، حتى وإن علا الصوت أو قست العبارة أحياناً ورقّة العدو رقّة قلبٍ مبغض، بلسانٍ شامت، وصوتٍ ناعم... وشتان ما بين الاثنين شتان.



# المجلس الرابع
# القرآن والعقل

## بوابة المجلس الرابع

قبيل غروب شمس السبت، الْتَمَّ شمل الأصحاب ثانيةً في بيت أستاذة علم التاريخ والأديان الإيطالية. فقد كان شعورنا عند دخولنا بوابة مجلسها أننا دخلنا بوابة كهف توصل إلى أحياء أثرية بأذواق عصرية، وكأن المجلس الأثري التاريخي ينطق بتخصص صاحبته.

وما إن أخذ كل واحدٍ مقعده حتى بدأت المشروبات والمأكولات الإيطالية الطيبة بالتتابع.

هل القرآن من كلام محمد؟

**أستاذة علم التاريخ موجهة كلامها لأبي حامد:** الغريب حقاً أنكم تقولون: إن هذا القرآن كلام اللَّه تعالى كالتوراة والزبور والإنجيل.. والحقيقة التي تقولونها عن محمد تنقض هذا..!

فأنتم تقولون: «إن محمداً كان أفصح الناس

لساناً وتقولون إن القرآن أفصح ما يكون لغة» فناسب أن يكون هذا القرآن كلام محمد.

ولقد كانت فصاحة محمد ناتجاً طبيعياً لمجتمع أعظم مميزاته الفصاحة اللغوية، فالعرب هم أهل الشعر والنثر وهم أهل الخطب.. ولذا فقد جاءهم محمد بالقرآن على أنه ليس من كلامه إنما مِن كلام اللَّه.. وقد وضعه بطريقة تبعد الشبهة عن نفسه، وتجعل مركز دعوته هذا القرآن.

إن القضية بالنسبة لي واضحة غاية الوضوح، إنه قرآن محمد وليس قرآن اللَّه.

حقاً، لم يكن محمد شخصاً عادياً يمكن أن يستسلم من أول مرة، أو أول اعتراض... لقد تفطن محمد لمجتمعه فجعل مفتاح دينه في جملتين فقط: «لا إله إلا اللَّه. محمد رسول اللَّه» والفقرة الأولى منها تعني: أن لا معبود بحق إلا اللَّه، والفقرة الثانية: أن اللَّه أرسله رسولَا.

فحاربه قومه، فلم يزل يدعوهم إلى دينه، فكان طبيعياً أن يقف القوم في وجهه ويؤذوه،

ويعذبوا أصحابه حتى مات بعضهم تحت العذاب، وبعد ثلاث عشرة سنة قرر الهجرة، وترك مكة - مسقط رأسه - إلى المدينة متخفياً في الطريق هو وصاحبه، وهناك استقبله أهلها، وأقام فيها دولة، وَوَقَّعَ معاهداتٍ داخلية تنظم العلاقات بينه وبين اليهود، وبينه وبين النصارى الموجودين في المدينة، فانتشر دينه هناك أكثر، وحارب أعداءه، وكانت أول حروبه في السنة الثانية بعد هجرته، واسمها «غزوة بدر» فانتصر فيها ثم أعقبتها بسنتين «غزوة أحد» وقد انهزم فيها ثم «غزوة الخندق» وانتصر واستكمل غزواته منتصراً حتى النهاية، وأرسل ما بين هذه الغزوات إلى أعدائه عدة سرايا، وكان يزداد تمكناً بمرور الأيام، ويزداد دينه انتشاراً بين الناس، بطريقة لا نظير لها، وفي السنة التاسعة بعد هجرته جاءته وفود من جميع قبائل الجزيرة العربية تعلن دخولها في دينه، وهنا بدأ يرسل رسائل إلى الملوك والرؤساء من مختلف البلاد والأديان، وفي السنة

العاشرة لهجرته وهي سنة٦٣١م مات محمد بين أصحابه، وطوال هذه الفترة، أي الفترة التي قبل وفاة الرسول سواءً في مكة أو في المدينة كان يأتي بالقرآن، فما كان من القرآن في مكة يسمى مكياً، وما كان بعد ذلك يسمى مدنياً.

والنتيجة التي أردت الوصول إليها: لو أن هذا القرآن معجزة حقيقية كمعجزات الأنبياء، فلم لم يؤمن به قومه..؟!

لِمَ واجهوه - وهو ابنهم وأعلى الناس نسباً فيهم -؟! لم طردوه وقاتلوه، وقتل منهم من قتل؟ ولِمَ لَمْ يؤمنوا بِأَنَّ هذا القرآن معجزةٌ من اللَّه... لِمَ..؟!

لِمَ لَمْ يأتِ المشركون بقرآن مثله؟

**أبو حامد**: لقد قَدَّمتِ بعَرْضك هذا الموضوع الصادق دليلًا فاصلًا على أن هذا القرآن ليس من عند محمد إنما هو من عند اللَّه.. وقدَّمتِ دليلًا عقلياً قاطعاً على أن قومه عجزوا عن التحدي الذي تحداهم محمد به وهو الإتيان بمثل هذا القرآن.

ألا تعتقدين أنه لا يوجد أحد أحرص على إبطال قول محمد، بأن هذا القرآن من عند اللَّه من أعدائه الأُوَلِ الذين واجههم بهذا التحدي؟

ثم ألا تعتقدين أن أعداءه يعلمون أنهم إذا قبلوا هذا التحدي وجاءوا بمثل هذا القرآن أو بعضه فإن ذلك سيحقق لهم النصر سريعاً، وأن دعوة محمد سُتهزَم لأن سرها سوف يكشف ويهدر؟

إذاً فلِم لَم يستجيبوا لهذا التحدي! ودخلوا معه في حروب، وَقَتل من سادتهم الكثير، وهزمهم في جميع المعارك إلا معركة واحدة اسمها «معركة أحد»، ومع هذا فهو لا يزال يتحداهم بالقرآن ويكرر عليهم التحدي، فلم يقدروا على الاستجابة لهذا التحدي طوال تلك المرحلة..!

ترى لماذا..؟!

لماذا لا يأتون بقرآن أو بعض قرآن ويُنهون المعركة من أولها، ويحفظون دماءهم، ويوقفون خسارة قيادتهم للعرب التي يشهدون أفولها شيئاً

فشيئاً.. لماذا..؟!

أين أشعار محمد عليه الصلاة والسلام؟

ثم من يُصدِّق أن أولئك العرب الفصحاء، أصحاب الشعرِ والخطب البليغة، والبحور الكبيرة في لغتهم، الذين جعلوا لهم أسواقاً خاصة يجتمعون فيها كل عام في الحج فيتنافسون في إلقاء أحسن ما عندهم من القصائد والخطب، ليسجلها التاريخ بعد ذلك، تُروى عنهم في قبائل العرب، ومع هذا فلم يُعرف عن محمد - عليه الصلاة والسلام - قصيدة واحدة، كما لم يعرف عنه خطبة واحدة قبل مجيئه بالقرآن..!

أعطنا - إن شئتِ - ديواناً لقصائد محمد - عليه الصلاة والسلام -، أو ديواناً لخطبه قبل سن الأربعين - سن النبوة - أو بعدها!

لقد كان للعرب أفصح سبع مُعَلَّقات علقوها داخل الكعبة تعظيماً لها وللغتهم، فهل كان لمحمد قصيدة واحدة من هذه القصائد..؟!

الجواب: لا، لم يكن لمحمد قصيدة صغيرة

واحدة يرويها عنه أي واحد قبل النبوة ولا بعدها.

ولنعد لنسأل السؤال: ماداموا هم فرسان الميدان وعمالقة اللغة، فلِم لم يقدروا على إنشاء قول مثل القرآن الذين تدَّعون أنه تأليف محمد أو تأليف أي واحد من البشر..؟! من يصدِّق هذا والقرآن عربي بنفس لغتهم..؟!

ثم تذكري أيتها الأستاذة الكبيرة أن القرآن لم يتحداهم كلًا على حدة فحسب... لا، بل تحداهم مجتمعين.

فلو قبلوا التحدي، وعُقد اجتماع لكل أعداء محمد من الشعراء والبلغاء، وجاؤوا بقرآن مثله أو بعض قرآن لحازوا الشرف كله وحسموا المعركة وانفض أصحابه عنه في لحظة إن أثبتوا أن هذا القرآن كلام بشر، وأن تحدي محمد مردود عليه؟!

فَكِّري معي كما تشائين وسترجعين إلى النتيجة العقلية الواحدة التي لا نتيجة غيرها، تلك هي: أنهم عاجزون عن هذا التحدي لأن هذا

القرآن من عند اللَّه.

أما قولك لو أن هذا القرآن حق ما عارضه قومه فأنا أسأل: هل وجدت نبياً أو مُجدِّداً على مدى التاريخ كله لم يعارضه قومه أول ما جاء..؟!

إن هذا الاعتراض أدعى لأن يوصلك إلى الحق الجديد الذي جاء به النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وخصوصاً وأنك تعرفين يقيناً أن ما كان عليه العرب آنذاك هو مثل ما عليه الناس عندكم آنذاك، إذ ظلمات القرون الوسطى كانت تظلل أجواء الجزيرة العربية كما هي عندكم..! ثم إذا كان قومه حاربوه أول مرة فكيف آمنوا به بعد ذلك؟ ومن أصحابه هؤلاء؟ أليسوا هم قومه؟ ومن حمل رسالته من بعده إلى الدنيا؟

**أستاذة علم التاريخ**: أثبت لي أن محمداً تحداهم أن يقولوا مثل هذا القرآن... لأعرف أساساً أن ثمة تحدياً حقيقياً مكتوباً، أما أن تفرض فرضية - ربما لم تكن موجودة في الأصل - ثم تبني عليها بعد رحيل صاحبها ما تبني، فهذا قد

حدث كثيراً، وفيه تحميل للأمر ما لا يحتمل..!

إن القضية بالنسبة لنا أشبه ما تكون بأسطورة صيغت في شكل قصص مثيرة ليُصنع منها أكبر انتصار، وحقيقتها أنها وهمٌ في وهمٍ.

فقبل أن ترينا نتيجة التحدي أَظْهر لنا التحدي أولًا، أليس هذا هو المنطق العقلي الذي اتفقنا على قبول حُكْمه..؟!

التحدي الأكبر

**أبو حامد:** ما ذَكَرتْ أستاذة التاريخ والأديان هو الإنصاف العقلي بعينه، وأنا ما تَركْتُ ذكر النتيجة إلا قصداً، لظني أنكم على علم بالتحدي.. فالمعذرة.

أما التحدي فهو في القرآن الذي أنزل على محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه، وفي أكثر من موضع فيه، وبناءً على طلبكم سوف أذكر لكم هذه المواضع برقم الآية والسورة وعليكم أن تنظروا إلى لغة التحدي ومستواه.

فآية التحدي الكبرى جاءت في سورة اسمها

سورة الإسراء كما تسمى سورة «بني إسرائيل» ورقمها بين سور القرآن (١٧) والآية برقم (٨٨) يقول اللّه تعالى فيها: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

أيتها الأستاذة: هل سمعتِ تحدياً مثل هذا التحدي؟ فهو أولاً: ليس تحدياً لقوم محمد – عليه الصلاة والسلام – وحدهم وإنما تحدياً لكل الناس، وهو ثانياً. ليس تحديًا للناس وحدهم بل للجن معهم، وهو ثالثاً تحدٍّ للناس والجن مجتمعين متفقين.. والرابع أنه تحدٍّ ببقاء القرآن إلى قيام الساعة، فهل يمكن أن يطلق هذا التحدي إلا واحدٌ قادرٌ على التحدي، بلغتْ به الثقة والقدرة منتهاها..؟!

وذلك لأن هذا التحدي يعني المجازفة الكبرى، المجازفة بكل شيء! حيث إن القرآن كان لمحمد – عليه الصلاة والسلام – كل شيء، إذ هو المصدر الوحيد، فكيف يجازف هذه المجازفة..؟!

والأعجب من كل هذا أن صياغة هذا التحدي المذكور في الآية ليس من محمد - عليه الصلاة والسلام - وإنما من الذي أنزل الكتاب على محمد، فما محمد - عليه الصلاة والسلام - إلا مُبَلِّغٌ لهذا التحدي.

يا أستاذة التاريخ: أنا لا أريد أن أستعرض عليكم القرآن، ولكن أريد أن نستعرض عقولنا وهي التي تحكم، فإن أخطأتُ فلا بد أن ترديني بكل صراحة، وتقولي لي: كلامك مخالف للعقل.

يا أستاذة: لم يكن هذا هو التحدي الوحيد لأعداء محمد في القرآن، بل نزل في مستوى التحدي إلى درجة أخف بكثير من التحدي الأول، إذ تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقط من سور القرآن الكبيرة أو الصغيرة، فقال لهم في أكبر سورة في القرآن واسمها سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

فإذا تأملتِ هذا التحدي وجدتِ فيه ما لم تجدي في آية الإسراء السابقة فقد تنازل عن التحدي «بمثل هذا القرآن» إلى التحدي «بسورة» واحدة، أي سورةٍ يختارونها! ونصّ هنا على أن المتحدي ليس محمداً، إنما المتحدي هو اللّه تعالى.

والأعجب في هذا التحدي أنه استثارهم في التحدي إلى أقصى درجة، فجعل مصداقيتهم على المحك، وجعلهم بين خيارين؟ فإما أن يقبلوا ويأتوا بسورة وإلا فهم كاذبون...!

وليس هذا فحسب بل تحداهم أن يأتوا بحديث مثله.. فليكن كيفما يكون الحديث... المهم أن يأتوا بحديث مثله، وهذا التحدي موجود في سورة الطور وهي السورة الثانية والخمسون في ترتيب القرآن، ورد التحدي في

الآيتين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ - ٣٤].

**يا أستاذة علم التاريخ**: أظن أن الآية واضحة لا تحتاج إلى شرح، إنها بلغت الغاية في التحدي كذلك، وهنا يأتي السؤال تلو السؤال يكشف الحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها.

فهل ترين هؤلاء الأعداء - لو كانوا يملكون الرد على هذا التحدي- يبقون محجمين..؟!

وهل ترين - لو كان مصدر هذا القرآن البشر- سيعجزون عن الإتيان بمثله؟

ليس هذا فحسب بل إن القرآن حين تحداهم جزم مسبقاً بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله أبداً..!

تناقض المقدمتين والنتيجة واحدة!

وهل ترين محمداً - عليه الصلاة والسلام لو لم يكن متأكداً أنهُ سوف ينتصر في هذا الميدان - يجزم بعدم قدرتهم وهزيمتهم مسبقاً، فتقول

الآيــــة: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

ومنذ تلك العصور وحتى لحظة كتابة هذه الكلمات.. لم يأت أحد من أعدائه بمثل هذا القرآن ولا بسورة ولا بآية ولا بحديث.. ولم يسمع الناس برجع صدى يجيب هذا التحدي..! فما التفسير لهذه الحقيقة المستقرة؟

إذا طَبَّقْنا نظريةَ الاحتمال فلن تجدي أمامك إلا أحد أربع احتمالات، فهنا عندنا حدثان: القدرة والفعل، فَلَزِمَ أن يكون هناك أربع احتمالات، ولو أن بعضها قد يكون غير منطقي:

- كانوا قادرين وفعلوا، وهذا لم يحصل.

- كانوا قادرين ولم يفعلوا، وهذا ممتنع.

- لم يكونوا قادرين وفعلوا، وهذا لم يحصل فلم يبق إلا الاحتمال الرابع.

- لم يكونوا قادرين ولم يفعلوا.

إذن فهم في كل الاحتمالات لم يفعلوا، لأنهم لو فعلوا لروي لنا كما رويت أشعارهم... لرواها أصحابهم من أعداء القرآن، ورواها من بقي على شِرْكه... أو رواها اليهود والنصارى العرب... فما الذي منعهم من الشروع في هذا التحدي؟

فإن كانوا غير قادرين وهم فرسان هذا الميدان، أو قادرين ولم يأتوا بمثله، فليس ثمة جواب إلا أنهم عاجزون!! فالنتيجة واحدة لكلا الاحتمالين.. فإنك إن قلت: إنهم قادرون كما لو أنك قلت هم عاجزون..!

وأستاذة التاريخ تعرف جيداً أن التحدي نزل على المشركين في حال غلبتهم لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وإيذائهم له، وتعذيبهم أصحابه لدرجة موت بعضهم تحت التعذيب، ومع هذا عجز أعداؤه، بل لم يحاولوا أصلًا..!

حتى اشتعلت الحروب بينهم وانتصر عليهم

محمد - عليه الصلاة والسلام - وهزمهم في الحرب، وما لجأوا إلى ميدان تحدي القرآن، بل لم يحاولوا الإتيان بمثل هذا القرآن ولا بسورة ولا بحديث أصلًا. . ؟

فماذا يعني كون العجز صفتهم المشتركة في كلتا الحالتين: في حال غلبتهم، وفي حال غلبة المسلمين لهم، حال سِلْمهم وحال حربهم. . . ماذا يعني ذلك إلا الإعجاز في هذا القرآن؟

من هنا نعرف السر في كونهم اختاروا تحدي الحرب والقتال والقتل على تحدي الإتيان بمثل هذا القرآن!

ليست ثمة إلا جواب واحد وهو أن هزيمتهم في الحرب ليست مضمونة، بينما هزيمتهم في تحدي القرآن مقطوع بها، ففروا من الهزيمة المقطوع بها إلى حرب السجال - يوم لك ويوم عليك - إذاً ما كانت القضية قضية نظرية، فآية التحدي الكبرى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ

أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

تحدٍ معروض على كل الأجيال

**أيها الحضور الكرام**: إذا تأملتم آيات التحدي ستجدون عدم خصوصية هذا التحدي بذلك الزمن الذي نزل فيه القرآن.. فكل الأزمان مشمولة بهذا التحدي ومعنية به؟، فأنتم أيها الجالسون معنيون به، وكذلك من يمثلكم.. فهل تتصورون ذلك؟

هذا وأنتِ يا - أستاذة - ترين ضعف حال المسلمين اليوم وتسلط الأمم الأخرى عليهم، فلم لا تجتمع جهود الجميع على المجيء بقرآن مثله، لم... بالله عليك..؟!

لم لا يجمعون الأحرف العربية وكلمات المعاجم اللغوية، وأبلغ الأشعار والخطب العربية... ويجمعون كل التقنية العلمية، ويحشون أجهزة الحاسوب بما يشاءون من تعليمات، مع استثارة كل قواهم العقلية، ومقدرتهم الأدبية لينتجوا لنا قرآناً مثله أو يأتوا

بسورة واحدة مثله بل بحديث مثله!!

أيمكن للعقل أن يتوصل لنتيجة غير أن هذا الكتاب فوق طاقة البشر وفوق طاقات جميع المخلوقات، وأن وراء هذا الكتاب قوة لا تدانيها قوة المخلوقات وهي قدرة الله سبحانه وتعالى، وهو صاحب التحدي؟!

أهذا كلام دين فحسب، أم أنه منطق العقل، وعقل المنطق.

أستاذة التاريخ: لماذا تحاولون تضخيم المسألة كثيراً والمبالغة بهذا التحدي..؟! أليس القرآن بلغة العرب؟!

ألم ينزل على العرب وحدهم..؟!

إذاً فإعجاز القرآن مقتصر على العرب وحدهم، لأنه إعجاز لغوي، وبالتالي فنحن النصارى واليهود خارج هذا التحدي... أليس هذا هو المنطق..؟!

[illegible]: يا أستاذة علم التاريخ، حين تقولين

إن إعجاز القرآن إعجازٌ لغوي فإن هذا يفرحني ولا يزعجني... إذ إنكِ أقررت بقولٍ لم يقرَّ به أكثر قومك... مع هذا فإنك تدركين يا أستاذة أن اللغة التي نزل بها القرآن ليست مجرد أحرف مركبة، أنتجت تلك الأحرف كلمات، والكلمات أصبحت جملًا، وانتهى الأمر عند هذا القدر! لا، فإن تلك الجمل القرآنية كانت تمثل مواضيع وعلوماً مختلفة.. ولذلك إن قيل لكِ: إن الكتاب الفلاني جيد، فإنك تسألين القائل مباشرة: في أي موضوع يتحدث؟ أو في أي علم يتكلم هذا الكتاب...؟

فإذا علمت أن القرآن الكريم تكلم في جميع المواضيع، علمت أن التحدي بالقرآن شامل لجميع العلوم التي تحدث فيها، ولجميع أصحاب تلك العلوم والمواضيع.

وهم مدعوون في أي عصر من العصورِ أن يُخرجوا تناقضاً أو اختلافاً أو اضطراباً واحداً -في

علومهم تلك- من هذا القرآن الذي بين أيديهم..!

**يا أستاذة:** أنت تقولين إن التحدي هذا للعرب لأن القرآن عربي وليس لنا نحن اليهود والنصارى ونسيت أن في العرب يهود ونصارى كثيراً.

**يا أستاذة:** أرجوكِ والحاضرين أن لا تأخذوا الأمر مجرد بحث ترف ذهني... خذوه على أنه تحدٍّ ليس مثله تحدٍّ لكل عقل يعارضه.

تستطيعون أن تدخلوا في التحدي العلمي في المعلومات التي ذكرها القرآن قبل وقت اكتشافها في العصر الحديث.. فأثبتوا أن القرآن قال مرة واحدة، معلومة واحدة أظهر العلم خطأها..!

الميزة الكبرى السلامة من الاختلاف

**يا أستاذة:** إنّ صُوَرَ التحدي في القرآن غير محدودة، فهل تستطيعون أن تخرجوا اضطراباً بين آيتين من آياته؟ فإنكم إن لم تستطيعوا الدخول في التحدي اللغوي فبمقدوركم أن تعينوا مَنْ عَزَم على التحدي ثم تستطيعوا الدخول في كل

المجالات الأخرى .

**يا أستاذة التاريخ**: إن طال بكِ البحث وطال فسترجعين إلى الحقيقة التي ذكرها القرآن في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [الآية: ٨٢].

إذاً فهو من عند اللَّه وحده. . . وكفى.

**يا أستاذة علم التاريخ**: حاولي أن تستخرجي أعداد من قرأ القرآن منذ أنزل اللَّه القرآن حتى اليوم، أي منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وهكذا أعداد من كتبه وأعداد من سمعه. . !

ثم تذكَّري بأن كل هؤلاء قرؤوه ويقرؤونه ولم يستخرجوا اضطراباً واحداً منه؟!

بل أضيفي لهؤلاء كل من وقف ضد القرآن من معارضيه طوال هذا التاريخ حتى اليوم، ولن تجدي من أمسك باضطراب واحد، وكل من ادعى وجود الاضطراب فإن بطلان قوله من نفس

ما احتج به!

**يا أستاذة:** انظري في كل علم من العلوم الغيبية أو الأدبية أو التقنية، كم تطورت تلك العلوم؟ لقد كان هذا التحدي موجهاً لكل أحد وما زال، وما أدرك أحد تناقضاً واحداً، وهنا نعود ثالثة لسؤالنا: أترين لو أن ذلك كلام واحد من هؤلاء الناس فَلِمَ لَمْ يعثر كل الناس مجتمعين فيه على تناقض..؟

كيف لا ونحن نرى كل عصر ينقض من علوم من سبق ما ينقض، فلو كان فيه إضافة واحدة من العبارات البشرية أو العلوم البشرية أفلا يكتشفها الإنسان؟ أترين لو كان فيه تناقض أو اضطراب لفات كل هؤلاء العلماء في كل عصر من العصور..؟!

أي إهانة للبشرية وعقولها وعلومها مثل أن تتهم العقول والعلوم بهذه الغفلة وهذه الجهالة..؟!

إن الكتاب الذي يتحدى أعداءه - وهم أكثر سكان الأرض - أن يجدوا فيه اختلافاً أو اضطراباً، ويتحداهم أن يغيروا منه شيئاً - وهو منتشر بينهم - ثم هم لا يستطيعون طمسه ولا تحريفه ولا الإتيان بمثله، لهو كتاب في منتهى الإعجاز..!

وإن الكتاب الذي يدعو أصحابه إلى قراءته دائماً، ويخبرهم بأنهم يؤجرون على ذلك أعظم الأجر كلما قرؤوه وكرروه، واستمعوا له وتفكروا فيه، ثم لا يخاف أن يقعوا على خطأ واحد فيتذبذب إيمانهم به، لهو كتاب في الثقة فوق المستوى البشري، وإنه من الإحكام بدرجة الإعجاز العظمى.

كيف وقد جعل النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - على كل مسلم أن يقرأ القرآن كاملًا في كل شهر مرة على الأقل، كما في حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي - عليه الصلاة

والسلام - قال له: «اقرأ القرآن في شهر» قال: إني أجد قوة، قال: «اقرأ في عشرين» قال: إني أجد قوة، قال: «اقرأ في عشر»، قال: إني أجد قوة، قال: « اقرأ في سبع ولا تزيدن على ذلك»[1].

ثم هل تعلمين أن من أفضل العبادات عند المسلمين ومن أعظم أمنيات الآباء والأمهات المسلمات هو أن يحفظ أولادهم القرآن كاملًا. . ؟!

وهل تعلمين أن من يحفظه كاملًا كل عام يصل إلى مئات الآلاف من الأطفال في البلاد العربية وغير العربية. . ؟! أما من يحفظه الآن كاملًا فيعدون في المسلمين بالملايين.

يا أستاذة التاريخ: أرجوكِ ابحثي من جديد - حتى وإن كنت قد بحثت من قبل - وسوف ترين الحقيقة المذهلة التالية: أن القرآن هو الكتاب

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٨٨) وقال عنه الألباني: صحيح.

الوحيد الذي لا تختلف فيه آية عن آية على الإطلاق، منذ أول كتابته بخط اليد على الجلود وجريد النخيل، حتى آخر طبعاته اليوم، لا اختلاف ما بين الطبعات التي طبعت في الدول العربية كالمدينة وبين الطبعات التي طبعت بأوروبا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية وأي مكان في العالم.

يا أستاذة: إنكِ لن تجدي على هذا إلا جواباً واحداً قاطعاً يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والحقيقة التي ستذهلك أكثر وتجعلك تبحثين عن السر هي: أن هذا القرآن هو أكثر الكتب طباعة في التاريخ، وأكثر كتاب كتب بخط اليد من قَبْل نسبة إلى أعداد قومه الذين آمنوا به ومع هذا فلا تجدين فيه اختلافاً إطلاقاً... كما لن تجدي فيه تغييراً إطلاقاً!

خذي مثلًا على مركز واحد لطباعة القرآن في

المملكة العربية السعودية، حيث أنشئ هذا المركز سنة ١٩٨٤م وحتى تاريخ ٢٠٠٥ فقد طبع من القرآن كاملًا (١١٦٣٠٩٠٣٣) نسخة، وطبع كأجزاء متفرقة (٤٣٥٠٠٤١٢) نسخة، وطبع مترجماً (٢٦٤٦٠٨٨٧) نسخة، هذا مركز واحد فقط لطباعة القرآن.

والحقيقة الأخرى هي أن القرآن أكثر كتاب تزداد طباعته في كل عام عن العام الذي قبله، ومع ازدياد الطبعات فالدقة والإتقان في الذروة، بينما جميع الكتب تتناقص طباعتها بعدما تصل إلى الذروة بعد بضعة أعوام من بدايتها حتى تبقى للحفظ.. ثم إنها كلما ازدادت طباعتها ابتعدت عن النسخة الأولى واتسع الاختلاف بينها.

هنا لا يكون أمامك إلا أن تجيبيني بجواب مقنع، أو أن تأخذي بجوابي عن هذه الأسئلة:

**لماذا** يبقى هذا الكتاب هو الوحيد المحفوظ بين كل ما كتب سواءً ما كتب منه بخط اليد أو

طبعته المطابع..؟!

**لِمَ لمْ يتغير..؟!**

**ولم لا يقدر أحد على تغييره..؟!**

**ولم لا يوجد فيه اضطراب أو اختلاف..؟!**

**ولم تفشل كل محاولات التغيير والتحريف؟!**

**ولم يزداد انتشاراً مع مرور الأيام..؟!**

**ولم يطبعه أعداؤه وينشرونه..؟!**

خذي وقتك في التفكير والتحقيق، وابحثي ما شئت عن إجابة.. سترجعين في النهاية إلى إجابتي، **وهو أنه من عند الله وأن الله تحدى بحفظه، فالتحدي ليس بالإتيان بمثله فحسب وإنما التحدي ببقائه كما أنزل أول مرة، دونما تحريف أو تغيير.**

ففي سورة الحجر ينص الله على حفظه فيقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

إن أحسن قاعدة يمكن أن تطبق على كل المؤلفات في التاريخ كله، هي التي قال اللَّه فيها عن القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨].

نعم كل الكتب بما فيها الكتب السماوية، فإنها لما كثر فيها الاختلاف علم أنها في وضعها الحالي ليست من عند اللَّه.

أما كتب المؤلفين فما من أحد كتب كتاباً إلا استدرك على نفسه، وما تكررت طبعة كتاب إلا زيد فيها، أو أنقص منها، هذا كله يقع بين السنة والسنتين، إلا هذا الكتاب..!

يا أستاذة علم التاريخ انظري في رسائل الدكتوراة والماجستير، كم يراجعها الطالب، ويراجعها له أستاذه، ويراجعها صاحبها مع زملائه الطلاب، ومع أساتذة آخرين حتى يطمئن تماماً ويظن أنه لم يُبْقِ فيها خطأ أو مدخلًا، فإذا جاء وقت نقاش الرسالة ظهرت فيها الأخطاء مما لم

يكن يحسب له حساباً، والبشرية كلها اليوم مدعوة لأن تكون لجنة تحقيق وتدقيق ومناقشة لهذا القرآن، كما كانت مدعوة من قبل بكل فصائلها وعلمائها وأعصرها، ومن ورائها الجن. . !

إن ذلك يسعدنا نحن كمسلمين، أتدرين لماذا. . ؟!

هل تصلح اللغة للمعجزة؟

لأننا موقنون بأنهم سوف يتوصلون إلى الحقيقة الوحيدة وهي قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

نعم لا بد أن تَصَلِي لهذه النتيجة، وإلا فإن البحث العلمي الذي لا ينتهي إلى نتيجة ولا يهيئ لنتيجة لهو بحث عقيم.

إذاً فالعقل يقول: إنك تستطيع أن تقول وأنت

موقن: إنك إذا قرأت القرآن فإنما يكلمك اللَّه يقيناً.

أستاذة علم الأديان: ثمة عوائق كبيرة ما بينك - يا أبا حامد - وبين أن تستكمل إظهار أن القرآن من عند اللَّه..!

فإني أراك كلما حاولت الخروج من حفرة بعد جهد جهيد سقطت في حفرة أكبر..!

فإننا لو سلمنا أن القرآن من عند اللَّه فرضاً.. فكيف يمكن أن نسلم أن الكلام أصلًا يصلح أن يكون معجزة..؟!

كيف يمكن أن نسلم أن لغةً ما بأحرفها تلك تصلح أن تكون معجزة..؟!

إذا سلمنا بهذا - فرضاً - فكيف يمكن أن نسلم بأنها تصلح أن تكون معجزة باقية..؟!

وإذا سلمنا بهذا - فرضاً - فكيف يمكن أن نسلم بأن معجزة الكلام واللغة أعظم من معجزات الأنبياء الحقيقية..؟!

أيمكن أن يقتنع ذو عقل رشيد بأن معجزة الكلام أعظم من معجزة تُحَوُّل العصا إلى ثعبان، أو أعظم من معجزات يسوع التي تُقرِّون بها أنفسكم..؟!

أين هذه من تلك..؟!

أرجوك حتى لو أثبت أن القرآن معجزة فأين هذه المعجزة من تلك المعجزات العظيمة، إنها إن كانت معجزة فهي أضعف المعجزات جميعاً..؟!

فإذا كانت أضعف المعجزات فكيف تكون أبقى المعجزات والأخرى فانية.. كيف..؟!

**أبو حامد**[1]: لي رجاء حار أود أن نجعل منه التزاماً نفسياً بحكم أنني هنا المسؤول وأنتم

---

(١) اعتذار للقارئ على طول إجابة «أبي حامد» وتواصلها، وذلك لقوة السؤال، والحاجة إلى إيضاح جوابه، ولأنه جواب لم يبحث من قبل – على الأقل – بهذا الطريق العقلي والتعليل العلمي.

السائلون، فبحكم تداخل المواضيع والأسئلة أرجو إذا ما أجبت عن أي سؤال من الأسئلة أن لا نغادره حتى نقتنع بإجابته أولًا، فإذا اقتنعنا بإجابته وغادرنا السؤال والإجابة، فلا ينبغي أَن نعود متعلقين بالأسئلة التي انتهينا منها.. فنخلط المسائل بعضها ببعض..! وإذا لم نقتنع فلا نغادر حتى نقتنع تماماً أو أعترف بالعجز عن الإقناع.

فلنتخذ هذا منهجاً في حوارنا، فإنه منهج موافق للعقل، وموصل إلى القرار.

وعليه فإني أحسب كون القرآن هو الكتاب الوحيد المحفوظ رغم كل ما ذكرنا أصبح أمراً واضحاً، وأن مزيد مرور الأيام أصبح دليلًا على حفظه إذ لم يُغيّر منه شيءٌ.

ومع تعظيمنا للأنبياء جميعاً ولمعجزاتهم، فلقد أصبح من أسهل ما يكون **الإثبات عقلياً** أن القرآن أعظم في الإعجاز من معجزات الأنبياء جميعاً.. وأن من أسرار تلك العظمة كونه

كلاماً، وسوف أذكر مجموعة من التعليلات العقلية المهمة التي تظهر أن القرآن معجزة، وأن العقل بنفسه يحكم بأنه أعظم المعجزات على الإطلاق، لكن الحكم بأن القرآن أعظم لا يعني إطلاقاً أي مساس بمعجزات الأنبياء الآخرين.

تصوري تصوراً عقلياً لو أن لجنة من أعلم الناس من جميع دول العالم، وفي مختلف التخصصات اجتمعت وقررت أن تكتب كتاباً في علوم مختلفة وفي أخبار غيبية قادمة، وفي أخبار ماضية، وقد كان اجتماع تلك اللجنة قبل ألف وأربعمائة سنة أي بعد الميلاد بنحو ستمائة وعشرين سنة... فماذا ترانا سوف نقول عن علوم تلك اللجنة المذكورة ومقرراتها؟

لا شك أن الأجيال اللاحقة من بعدهم سوف تكتشف في كتابهم من التناقضات العلمية والتخريفات العقلية الشيء الكثير، وستكشف الأيام من التخلف في العقلية البشرية آنذاك شيئاً مخجلاً!

هل تصورت معي استحالة أن يكون هذا القرآن من عند بشر؟

فكيف ومحمد - عليه الصلاة والسلام - صاحب القرآن لا يعرف القراءة والكتابة؟

هل للعقل من جواب إلا جواباً واحداً، وهو أن القرآن من عند اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه وخاتم النبيين - عليه الصلاة والسلام -؟

أرجوكم إن كان للعقل أي جواب غير ما أذكر أو لديه معارضة فاذكروها.

إذاً فالقرآن معجزة في العلوم كلها. . . وأصحاب جميع العلوم في كل العصور مدعوون للنظر في القرآن مراراً وتكراراً. . . . ليجيبوا عن سؤالين فقط:

هل ما تحدث عنه القرآن حق أم ليس بحق. . .؟ وهل في الحقائق العلمية القطعية ما يناقض القرآن أقل مناقضة؟! فهو كما كان دعوة لكل من مضى من العلماء فإنه دعوة لكل

الموجودين... وهو دعوة كذلك لأصحاب العلوم الأخرى مهما تطورت إلى قيام الساعة!!

تعليلات عقلية تدلّ على أن القرآن أعظم

**والآن حكِّم عقلك**: أي المعجزات أعظم من حيث السعة: معجزة موجهة لأصحاب تخصص واحد كالسحرة الذين عاشوا في أيام موسى - عليه الصلاة والسلام -، أو للأطباء الذين عاشوا أيام عيسى - عليه الصلاة والسلام -، أم معجزة موجهة لاصحاب جميع التخصصات في جميع العصور؟

**أستاذة علم التاريخ**: إذن فأنت الآن اعترفتَ بأنه ليس لمحمد إلا هذا النوع من المعجزة، بينما تنوعت معجزات الأنبياء.. وعليه فيجب أن نجعل القرآن على فرض أنه معجزة كما تقول في حجمه وحدِّه، ولا نتعامل معه وكأنه مجموعة من المعجزات..؟!

**أبو حامد**: وفي أول الإجابة على اعتراضك بكون القرآن معجزة محمد الوحيدة يجب أن تعلمي أولًا أن القرآن ليس معجزة محمد - عليه

الصلاة والسلام - الوحيدة، فمعجزاته شملت كل جانب من الجوانب تقريباً، ولا تكاد تجد معجزة لأي نبي من الأنبياء إلا وتجد مثلها لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وزيادة عليها، وثمة كتب مرجعية محققة لحصر معجزات محمد تعد بالمئات مع تنوعها، ولولا خشيتي أن ندخل في هذا العلم فيضيع موضوعنا الأساسي لدخلت، كما أنه موضوع يغلب عليه السرد التاريخي، ومع هذا ففي أي وقت ترغبون فيه بالحديث عن معجزات محمد - عليه الصلاة والسلام- الأخرى فأنا على استعداد، ومن أراد الرجوع إلى الكتب المتخصصة في معجزات محمد الأخرى فسوف يجدها في كتب اسمها «دلائل النبوة» أو «خصائص النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -».

وأعود مؤكداً أن ليس في ذلك أي انتقاص لأي نبي من الأنبياء، فإن الذي ينظر للنبوة على أنها شركة وللأنبياء على أنهم شركاء لم ينظر إلى أفراد الشركة والعاملين فيها إنما ينظر للشركة

نفسها، فالأفراد يأتون ويروحون ويبقى اسم الشركة، فكيف وهم فوق هذا إخوة كما قال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه في أكثر من حديث، منها الحديث الذي يرويه عنه صاحبه «أبو هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال: «الأنبياء إخوة لعلات، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، وإنه نازل فأعرفه، فإنه رجل ينزع إلى الحمرة والبياض، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلة، وإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال، ويضع الجزية، وإن الله يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله المسيح الضال الأعور الكذاب، ويلقي الله الأمنة حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات، لا يضر بعضهم بعضاً»[١].

---

(١) رواه ابن حبان (٦٨١٤) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأنتِ لا تستطيعين أن تنكري معجزات محمد - عليه الصلاة والسلام - إلا إذا أنكرت معجزات الأنبياء جميعاً، لأنك في الأساس لا تستطيعين أن تثبتي أي معجزة من معجزات الأنبياء بالحس إنما تثبتينها بالأخبار، والأخبار بمعجزات الأنبياء كلها مشكوك فيها إلا من خلال القرآن وما ورد عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فكيف تُثبتُ تلك ولا تَثْبُتُ معجزات محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه؟!

وكيف تثبتين ما ليس فيها إسناد غير هذا الإسناد إلى أصحابها ولا تثبتين ما فيه إسناد ثابت. . . ؟

هذا هو **التعليل العقلي الأول**.

**أما التعليل العقلي الثاني**: أليست اللغة هي وسيلة الاتصال بين الأفراد وبين الأمم كذلك؟

اللغة وسيلة الاتصال الدائمة

والجواب: بلى. . . فانظروا بعقولكم لشمول هذه المعجزة حين جُعِلت في الكلام!

فبمقدار استخدام البشر للكلام وشيوعه شاعت هذه المعجزة وزيادة. . . حتى وإن اختلفت لغة القرآن عن اللغات الأخرى فإن قواسمها المشتركة كثيرة. . . فمادتها واحدة وهى الحروف وآلتها واحدة وهى اللسان والشفتان وما إلى ذلك، والجنس واحد وهو الكلام.

وما الفرق بين لغة ولغة إلا فهم الإنسان للأحرف التي تقال، وهذه بحد ذاتها آية من آيات اللّه تعالى كما في القرآن نفسه في سورة الروم قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [آيه: ٢٢].

وبالتالي فالقرآن إعجازٌ موجهُ لجميع مَنْ يتكلم بأية لغة، لأنه إن لم يؤمن بالقرآن كمعجزة لغوية عربية فليأت بأي كتاب معجز باللغة العربية إن كان عربياً، أو بلغته أياً كانت إن كان هذا المتحدي من غير العرب. . . وهذا غير موجود في اللغات أصلًا! وهو من جهة أخرى شرف

لكل [illegible] يتكلم بكلام . . [illegible] أصبح منها القابس [illegible] للمكوك الفضائي [illegible] على جميع [illegible] الأخرى. . . فكذلك حين يجعل اللّه آخر المعجزات في لغة من لغات الإنسان. . .إنها فخر لكل اللغات. . . بل إنك تستطيعين أن تقولي بمقدار حاجة الناس إلى اللغة للتخاطب تكون حاجة الناس لهذه المعجزة!!

[illegible] الثالث: إن كون المعجزة بالكلام لا يكلف الراغب في دخول ميدان التحدي شيئاً، سواء أكان هذا الإنسان صغيراً أم كبيراً، قوياً أم ضعيفاً، رجلًا أم امرأة. . .إنها لا تكلف الإنسان تعباً يذكر ولا طاقة تهدر. . فسهولة هذه المعجزة من أسرار عظمة إعجازها.

وكأنه يقول للناس: - الكلام الذي يتكلمه أو يسمعه كل أحد فيه إظهار لإعجاز القرآن عند كل

أحد، إذ كل أحد عاجز عن الكلام بمثل القرآن وإن لم يكن عاجزاً عن الكلام بغير القرآن. . . إذ ربما لو كان التحدي بمادة معينة من المواد لأصبح البعض معذوراً بانعدامها، أو ندرتها، أو غلائها، أو ضعفه عن تحصيلها أو تحصيل نوعيتها أو نحو ذلك. . . ! أما الكلام فبأي شيء يحتج العاجز عن الإتيان به أو بمثله؟! لا عذر إلا أن يؤمن أنه من عند اللّه، ولعلكِ - يا أستاذة - قد قرأتِ في أوائل بعض السور القرآنية حروفاً مقطعة، مثل سورة البقرة التي في أولها:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أو سورة مريم والتي يقول فيها اللّه: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وفي بعض السور تبتدئ بـ﴿الٓر﴾، وبعضها يبدأ بـ ﴿حمٓ﴾.

فإذا قرأتِ ذلك فاعلمي أن ذلك من مظاهر أوجه التحدي بهذا القرآن بمعنى أن مادة هذا القرآن هي من هذه الحروف. . . وهذه الحروف

موجودة عندكم. . . فلم لا تأتون بمثل هذا القرآن، إذا لم يكن من عند اللَّه؟

اكتمال العقل

التعليل العقلي الرابع: هل العقل البشري متحجر عن الاتساع والتطور. . ؟!

هل كان العقل بعد آدم - عليه الصلاة والسلام - مباشرة مثل العقل أيام موسى - عليه الصلاة والسلام -.

مثله أيام عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

هل هو مثله اليوم؟

ما من أحد يقول إن العقل لم يتطور! أو أنه لم يستفد من التجارب! ولم يزدد معرفة؟ نعم، الإنسان هو الإنسان. . . لكن العقل البشري الكبير ينمو كما ينمو الطفل، ويضيف اللاحق من الأجيال على السابق.

فإذا تأملت معجزات الأنبياء وجدتها توافق في خطابها ما يمكن أن يفهمه العقل البشري كل حسب وقته، ووجدت أن القاسم المشترك بين

المعجزات السابقة أنها معجزات مادية، مرئية، محسوسة، مشاهدة، ملموسة، حسية، فكان في كل معجزة من تلك المعجزات ما يكفي لأن يقيم على أهلها الحجة بأن صاحب هذه المعجزة نبي جاء بها من عند اللَّه. . . لأن مقصود المعجزة هو الدلالة بما يستوعبه **العقل** وتقوم عليه الحجة.

ولأنها أريد لها أن تكون - كرسالات الرسل الذين أيدوا بها - محددة في الزمان والمكان والأقوام كما ذكر ذلك في القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وحين اكتمل نمو العقل من خلال تراكم التجارب البشرية، وتراكم المعارف الإنسانية، وأصبح البشر يدركون المعاني كما يدركون المحسوسات والمباني.. جاءتهم المعجزة الرئيسة تحمل الحقائق والمعاني في مظروف الأحرف والكلمات... إنها اللغة التي تحمل المعاني في مظروف الحروف... هذا أمر، وأمرٌ آخر. أنه مهما تطورت المعارف الإنسانية فإن تطورها إنما

يكون في الماديات، ولن يكون تطورها في اللغات، ولا في الكلام، ولا في أحرف الكلام... نعم تستحدث مصطلحات جديدة لكن تلك المصطلحات مصنوعة من تلك الحروف، فأصبح الإعجاز في مادة العلوم نفسها لا في المواد الخام... وفرق كبير بين الاثنين... فرق ما بين مركز التحكم والقيادة وما بين الآلات ونحوها.

ولإيضاح هذا الأمر أكثر فإني أسأل: بم يمتاز الإنسان عن الحيوان؟

ولماذا يسمى الفلاسفة الإنسان حيواناً ناطقاً؟

الجواب: لأنه الكائن الحي العاقل...!!

لكن لماذا يوصف بأنه «ناطق»؟!

لأنه **يعقل**، ويحسن التعبير عما **يعقل**.

لأنه يجرب ويحسن حفظ تجربته في كلام منظوم أو منثور، ملفوظ أو مكتوب، فيأتي مَنْ بعده ويبني على ذلك المكتوب أو المنطوق علماً

جديداً متطوراً أكثر.. وربما حضارة جديدة، وعلى هذا الأساس بنيت الحضارات... فكون معجزة القرآن كلاماً منطوقاً مقروءاً دليل على أنها قد وجهت لمركز التعلم الداخلي للإنسان وهو العقل.. ومادتها مادة ذلك المركز وهو النطق، ومن ثم كانت هذه المعجزة هي الذروة لأنها موجهة لذروة المخلوقات وهو الإنسان، وهي بعد ذلك لذروة الإنسان وهو عقله، ومادتها هي ذروة كل مادة وهي المعاني المختزنة في لغته.

ورغم أنها في الذروة إلا أن الخطاب فيها لجميع الأمم بمختلف المستويات، لأن المخاطب فيها كل صاحب عقل، كل حيوان ناطق، لا يُستثنى من ذلك أحد، سواء من كانوا في عصر نزولها، أو من بعدهم، أو من في عصرنا، أو من بعدنا، أو من نزلت بلغتهم، أو بلغة من بعدهم إلى جميع اللغات البشرية، فهل مثل هذه المعجزة معجزة؟

نوعية التحدي جديدة

**التعليل العقلي الخامس:** ماذا لو لم يكن لمحمد - عليه الصلاة والسلام- إلا معجزة واحدة، وكانت معجزته تلك على غرار معجزات الأنبياء - أي مادية - في الطين أو في العصا أو في النبات أو في الحيوان. . .؟

ماذا سيضيف محمد - عليه الصلاة والسلام - من الأدلة الجديدة على قدرة من أرسله. . .؟ نعم ستكون إضافة. . . لكنها لن تكون إضافة نوعية إنما إضافة رقمية عددية. . !

أما حين جاء بهذا النوع من المعجزة فقد حقق بها أموراً عظيمة، مما يعنينا منها هنا هو: أنها لن تذهب بذهاب صاحبها كما ذهبت معجزات من قبله، فهي باقية ما بقيت حاجة الإنسان للكلام، إذ جاءت ومعها ضمان الحفظ من اللَّه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

كما أنها معجزة لا مزيد عليها مهما امتد عمر الإنسان، ومهما تطور الإنسان - كما ذكرنا -

فتطوره في المادة الخام لا في مادة الكلام.

ومن المهم أيضاً أن نعلم أن معجزات الأنبياء لم يكن يحفظ بعضها بعضاً، بينما هذه المعجزة قد حفظت جميع معجزات الأنبياء، وذلك بتسجيلها في نفس معجزة محمد وهو القرآن هذا السجل المحفوظ الذي لا يقدر أحد على تغييره.

فإذا جمعتَ كل ما ذكرنا من قبل فسوف يوصلك عقلك إلى ضرورة عقلية ونتيجة حتمية، وهي أن هذا القرآن هو المعجزة الخاتمة التي ختمت بها كل المعجزات.



**التعليل العقلي السادس**: كانت المعجزات هي النور الساطع الذي منحه اللَّه لكل نبي لدلالة قومه على اللَّه. . . وكان مصير هذا النور مرتبطاً بالنبي، وبما أن معجزة كل نبي مقيدة بحياته، فكان طبيعياً أن ينطفئ النور بذهاب ذلك النبي، ولا يبقى منه إلا الروايات التي يرويها أصحابه، فالذين رأوا معجزة العصا تتحول إلى حية، أو

رأوا الميت يقوم حياً، والطين يتحول طيراً يطير في السماء، ورأوا ما رأوا.. رووها إلى من رأوا كما رواها من بعدهم إلى أتباعهم، وهكذا يتناقلها الناس بزيادة أو نقصان على عادة البشر في النقل... أما المعجزة نفسها فقد رحلت برحيل صاحبها، والنور انطفأ بانطفاء حياة ذلك الرسول.. وبما أن جميع المرسلين قد ذهبوا، وأن الرسالات قد ختمت، وجميع الأنوار قد انطفأت، فليس من المعقول أن يترك اللّه البشرية إلى قيام الساعة من غير نور تستنير به على معجزات الأنبياء التي ما بقى منها إلا روايات البشر المشوهة..؟!

لذا كان من الضروري أن تكون المعجزة الأخيرة باقية حتى لو رحل صاحبها، ومن هنا فقد رحل محمد - عليه الصلاة والسلام - ولم ترحل معجزته.. بقيت على أحسن وجه وأتمه... وهذا هو الموافق عقلياً لكون معجزة

رسالة محمد في الكلام الباقي، وأنها المعجزة الخاتمة لخاتم الأنبياء.. إذ كيف يقيم اللَّه الحجة على الأجيال المتتابعة إلى آخر الدنيا ولا يوجد نبي ولا توجد معجزة؟

فكان بقاء المعجزة وحده كافياً **عقلًا** للشهادة على أن هذا هو النبي الأخير، وهذه معجزته الأخيرة، وبقي القرآن هو النور الذي لم ينطفئ بانطفاء حياة النبي، ولم يُعلَّق وجوده بوجود النبي - عليه الصلاة والسلام -، وبقي القرآن هو الباب المفتوح ما بين الناس وبين الأنبياء، وهو الباب المفتوح ما بين الخلق وبين اللَّه فلمْ يغلق برحيل النبي، ولن يغلق حتى تقوم الساعة.

فائدة كونه مجزءاً

**التعليل العقلي السابع**: إن كون القرآن كلامٌ أمكن تنزيله أجزاءً مفرقة صغيرة وكبيرة، ولو كان معجزة كسائر معجزات الأنبياء لكان التحدي بها منوطاً باكتمال أجزائها، وسواءً كانت طيناً أم خشباً أم حديداً، أم أي مادة من المواد، وسواءً

كانت منفردة أو مركبة.

لكنه لما كان كلاماً أمكن التحدي بكل جزء من أجزائه، كما أمكن الانتفاع بكل جزء من أجزائه، ولذا فأي إنسان يحفظ سورة من أصغر سور القرآن يمكنه أن يتحدى بها الدنيا كلها على الإتيان بمثلها، ولن يستطيعوا، كما يمكنه أن يقرأها ويعتبر حاملًا للقرآن، ومأجوراً بقراءة كل حرف من حروفها، ويمكنه التعبد للّه بقراءتها.

ومزية أخرى لنزول القرآن منجماً هي أن جعل حفظه سهلًا على كل أحدٍ وخصوصاً على الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن.. ولكي تتضح أهمية هذا الأمر لكِ أن تتصوري أن أولئك الأوائل الذين دخلوا في الإسلام حديثاً وجدوا أمامهم كتاباً بحجم القرآن، وطولبوا بحفظه، والعمل بكل ما فيه من أحكام دفعة واحدة.

فماذا سيكون مصير حفظ القرآن.. وما ردة فعلهم..؟!

لم تكن آيات التحدي التي ذكرنا - آنفاً - هي آخر ما نزل من القرآن. . . كي لا يقول قائل: إن التحدي لا يكون إلا بالقرآن كاملًا، بل كان أقوى آيات التحدي من أوائل ما نزل من الآيات. . لأن المواجهة مع القوم كانت أشد ما تكون في أول الإسلام.

السؤال الثامن: إذا كان اللَّه عرّف الناس بنفسه، وعرفهم بما افترض عليهم وما نهاهم عنه، وبين لهم ما يتعلق بحياتهم، من خلال النبي الذي يرسله إليهم، والكتاب الذي ينزله على ذلك النبي، فماذا بعدما انتهت النبوات وذهبت الكتب، واستمر الناس على ضلالهم ولم ينتهوا؟ هل من طريقة يفيدنا بها العقل تحفظ تعريف اللَّه عباده بنفسه، وتحفظ أحكام اللَّه على عباده، ومراد اللَّه من عباده، ومكافأة اللَّه للمحسنين، وعقابه للمسيئين، وما إلى ذلك. . . ؟

هل من طريقة تحفظ ذلك كله إلى يوم القيامة حفظاً لا يتغير عما أنزله اللّه إلا الكتابة؟

ولذلك ناسب أن تكون هذه المعجزة كلاماً حافظاً لتلك المعلومات الضرورية، ويكون كلاماً مكتوباً لا يتغير مهما طال الزمن أو تغير، فكان القرآن هو الوعاء الحافظ لكل ما ذكرنا وزيادة لكل زمانٍ ومكان.

أستاذة علم الأ[illegible] لديّ مداخلة وهي: إذا كانت ميزة المعجزة اللغوية عن المعجزة الحسية هي ما ذكرت من أدلة عقلية، فإني أعترض عليك اعتراضاً يصعب عليك الفكاك منه، ذلك أن محمداً لم يكن صاحب الكتاب الوحيد، وأنتم -كمسلمين- تؤمنون بالكتاب الذي أنزله اللّه على موسى، وتؤمنون بالإنجيل الذي أنزله اللّه على عيسى، وهكذا تؤمنون بجميع الكتب.

فإذا كانت القضية قضية لغة فاللغة العربية خاصة بالعرب، كما أن [illegible] هي لغة

التوراة والإنجيل.

ثم إذا كانت التوراة والإنجيل كالقرآن جميعها من عند اللَّه كما تقولون، فلم يحفظ اللَّه القرآن ويترك تلك الكتب وجميعها كلامه، لم هذا التفريق؟

أيعقل أن يكون هذا التفريق من اللَّه أم أنه افتعال المسلمين ليضيفوا كعادتهم تسويقاً جديداً لدينهم؟!

أبو حامد: يا أستاذة، فارق بين أن نقول إن اللَّه أنزل على النبي عيسى أو موسى أو غيرهما كتاباً فيه هدى ورحمة وبين أن نقول إن اللَّه أنزل على محمد كتاباً فيه هدى ورحمة وجعل كتابه معجزته.

هاتي لي نبياً واحداً من الأنبياء قال: أنا معجزتي هي كتابي؟

فإذا لم يقل هذا القول أي نبي عن كتابه فكيف نقوله نحن عن كتبهم؟

وهاتي لي آية واحدة في أي كتاب سماوي غير

القرآن يتكفل فيها اللّه بحفظ ذلك الكتاب..؟!

أنا أقطع لك بأنك لن تجدي تلك الآية إلا في القرآن فقط.. تلك الآية هي ما ذكرت لك من قبل وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

**أستاذة علم التاريخ والأديان**: المعذرة على أني قاطعتك وأرجو أن تكمل الإجابات العقلية على صلاحية اللغة للمعجزة وأن القرآن أعظم المعجزات - كما ذكرت -، وأحسب أنك انتهيت من التعليل العقلي الثامن.

السر في عدم حفظ المعجزات السابقة

**التعليل العقلي التاسع**: وهنا نعرف بعض السر المنطقي في كون اللّه لم يحفظ كتب تلك الرسالات السابقة، وقد كان قادراً بدون شك على حفظها كما حفظ القرآن، غير أنه حَفِظ القدر المشترك الذي يحتاجه الإنسان من تلك الرسالات، ألا وهو الإيمان بها، أما تفاصيل التشريعات المتعلقة بحياة الناس فهذه لم تحفظ،

فحياة الناس فيما بعد قد تغيرت كثيراً. . . فلأجل أي شيء تحفظ المعلومة إذا تغير تطبيقها أساساً أو تغير أهلها؟

فمن المعروف لدى علماء القلب أن الصمام الميكانيكي Mechanical valve كان هو البديل الوحيد لصمام القلب الطبيعي إذا تقرر استبداله، حتى اكتشف الصمام الطبيعي Biological valve والذي هو أحسن منه من الجهات وأرخص منه، واعْتُمد الصمام الجديد عالمياً.

فهل تبقى حاجة لإقرار العمل بالصمام القديم الحديدي في المستشفيات بعدما أُقرَّ الصمام الطبيعي الجديد وزالت الحاجة إلى الصمام الأول لأكثر الحالات. . .؟ أما من رُكِّب لهم الصمام الأول - من قبل - فقد عاشوا حياتهم كما كُتب لهم، وكانوا - في العادة - أحسن حالًا من حالتهم المَرَضية، كما كانوا أحسن حالًا ممن عاش قبلهم ممن لم يكن عندهم الصمام الحديدي هكذا هو

الأمر في كل الصناعات التطورية في كل المجالات الحياتية. . . لكن يبقى أن يحفظ للأول حقه، يحفظ له اسمه، ويحفظ له سبقه.

وبهذا المنطق **العقلي** المعمول به في كل المجالات يعرف بعض السر في كون اللَّه قد أَوْكَلَ حفظ تلك الكتب وتعليمات المرسلين السابقين للناس، أما القرآن فتكفل هو سبحانه بحفظه.

وإذا تأملت القرآن وجدته يأمر بالإيمان بتلك الكتب، ويذكر ما كان فيها من نور ورحمة، لكنه لم يذكر أنها حفظت، أو أن العمل بها واجب أو نحو ذلك إلا بقدر ما يوافق منهما الكتاب السماوي الجديد وهو القرآن، فيقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟

بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ثم يقول بعد هذه الآية في الآية ٤٨ : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة].

فهل ترين من الحكمة أن يترك الناس استخدام المكتشف الطبي الجديد الذي يناسب حياتهم الجديدة، والذي يوفر لهم العافية، ويوفر عليهم الوقت والجهد والمال، ويأخذوا بالقديم الذي كان يناسب تمام المناسبة حياة أهل عصره..؟!

وهل من المناسب أن يستأجر صاحب البضائع السفن الشراعية الأولى ليوصل بها بضاعته عابراً

المحيطات، ويترك السفن الجديدة المأمونة السريعة الكبيرة..؟

أم يكون من المناسب أن يستخدم صاحب الأراضي الزراعية الكبيرة المسحاة اليدوية ليحرث بها أراضيه، ويستخدم المنجل ليحصد به زرعه، تاركاً الآلات الحديثة في الزرع والحصاد..؟!

نعم لو كانت هذه الآلات الحديثة في تلك الأوقات القديمة ورآها الإنسان لتوقف أمامها حيران لا يعرف كيف يحركها، بل يحاول أن يرميها بعيداً عن أرضه، كما يحدث الآن لو عرضت هذه الآلات على بعض من عاش في الغابات ولم يعرف الثورة العلمية الحديثة، ولذا كان الأنسب لهم هو المسْحاة والمنجل، والأيدي البشرية الحارثة والحاصدة، ومع هذا فحِفْظ تلك الآلات القديمة أمر مستحسن - اليوم - لبيان قيمتها في وقتها ولدراسة التدرج العملي وللمعرفة المجردة.. وهذا ما يسمى في العقيدة بالإيمان

بها، أي التصديق بالمرسلين السابقين وليس نسف دينهم أو إنكار رسالتهم، ولذا عُدَّ الإيمان بالمرسلين السابقين ركناً من أركان الدين الإسلامي، ومن كفر بهم فهو كافر بالإسلام نفسه، ففي سورة النساء، وفي الآيات رقم ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ يقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

ولم يقتصر القرآن على المعرفة المجردة للأحكام الواردة في الكتب السابقة، بل أوضح الكثير من تلك الأحكام العملية، وذكر قبل ذلك الوحدة العقدية لدعوات الأنبياء، ولم يقتصر ذكر

الأنبياء في القرآن على الاسم المجرد، أو على وجوب الإيمان فحسب، بل ذكر القرآن قصص الكثير منهم صافية مفصلة من غير تحريف ولا تبديل، بأبلغ عبارة، وأعمق إشارة، وأسهل أسلوب للفهم.

فيها زيادة رحمة وزيادة إيمان

**أما الجواب العقلي العاشر**: تصوروا لو أن عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - بقيت إلى اليوم تعمل كآية على نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - كما كانت تعمل... ألا يزيد ذلك في إيمان المؤمنين بموسى - عليه الصلاة والسلام - وتكون عَلَماً ظاهراً للهداية على نبوته ما دامت تلك العصا موجودة، وتكون رحمة لمن لم يرها بعد ذهاب موسى - عليه الصلاة السلام -؟

وتصوروا لو أن آيات عيسى - عليه الصلاة والسلام - موجودة تعمل كما كانت تعمل عند عيسى - عليه الصلاة والسلام -... ألا تكون سبباً لزيادة اليقين لمن لم يروا عيسى - عليه

الصلاة والسلام -، وحجة بالغة لهم على الآخرين؟

الجواب في كلتا الحالتين: بلى إنها كذلك.

كيف وما من نبي إلا كانت له معجزة...؟!

وها نحن نرى أن كل المعجزات ذهبت ولم يبق إلا خبرها، وأكثرها لا نعرف عنها شيئاً، مع أنها كانت معجزات عظيمة بغير شك، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه اللّه إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة»[1].

وكانت الرسالات تجدد تعاليمها وتُنَقَّى من الانحراف ببعث أنبياء جدد، فإذا أريد لها أن تُنْسخ أُرسل رسولٌ آخر بشريعة جديدة[2] وهكذا تتابع الرسل حتى جاء دور الرسالة الشاملة الخاتمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٦) ومسلم (١٥٢).

(٢) النسخ يكون في الأحكام العملية، إذ العقائد لا تنسخ.

فحق لها أن تستمر معجزتها وأن تحفظ من التبديل والتحريف.

وبهذا بقي النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هو الحالة الوحيدة التي بقيت فيها المعجزة مع أن صاحبها قد ذهب... ولذلك كان رجاؤه أن يكون أكثرهم تبعاً لاستمرار المعجزة.. وفي هذا أعظم رحمة للناس الذين جاؤوا من بعده... فإن من جاء بعد أي نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يكن له من معجزة نبيه إلا السماع، بينما من جاء بعد محمد - عليه الصلاة والسلام - رأى معجزته كما رآها من رآه... فكان من عاش بعده - من حيث رؤيته المعجزة - كمن عاش في عهده... وفي هذا أعظم رحمة لأتباعه بمزيد التأييد لهم، ولذا تجدنا اليوم نقول لكم - وبكل يقين -: اقرؤوا هذا القرآن الذي هو معجزة محمد الباقية!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أقول:

هل من المعقول أن يترك اللّه البشر بعد عيسى

- عليه الصلاة والسلام - إلى يومنا هذا إلى يوم القيامة بغير رسل ثم يحاسبهم بعد ذلك...؟

الجواب: قطعاً لا.

إذاً فأين الرسول أو الرسل بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام -..؟! وأين معجزاتهم الباقية لهؤلاء البشر الباقين المتكاثرين من بعده؟!

فكان بقاء القرآن أكبر دليل عقلي على بقاء رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - من هذه الجهة.

إنَّها معجزة لا تفنى ولا تموت وإن مات صاحبها.

شاهد لعموم الرسالة

**الجواب العقلي الحادي عشر**: بقاء القرآن خير شاهد لعموم الرسالة... كلكم يعلم أن كل الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والسلام - جاؤوا إلى مواقع جغرافية مخصوصة وإلى أقوام مخصوصين، ولا يوجد نص عن أحد منهم أنه قال: «إن رسالتي عامة للناس جميعاً أو هي لآخر الدنيا».

فرسالة موسى - عليه الصلاة والسلام - خاصة لقومه كما في القرآن: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

ورسالة عيسى - عليه الصلاة والسلام - كذلك خاصة إلى بني إسرائيل قال عنه الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ(١) أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

---

(١) أرسل إلى خراف إسرائيل الضالة كما سيأتي نص الإنجيل.

وغيرهما من الرسالات من باب أولى. . . .
فالنتيجة الحتمية هي ذهاب معجزات الأنبياء وذهاب كتبهم مع ذهابهم، في مقابل بقاء القرآن المعجزة الوحيدة لكل أصحاب الديانات التي سبقته، ولكل الناس إلى يوم القيامة. . . !

فما معنى بقاء المعجزة إلى يوم القيامة نشاهدها جميعاً دون المعجزات الأخرى إلا أنها معجزة للناس جميعاً إلى يوم القيامة. . . ومَنْ أَبَى عقلُه قبول هذا فليخرج لنا معجزة واحدة باقية، لغير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟

وأعيد وأكرر أنه ليس في هذا أي تنقيص لمقدار معجزات الأنبياء أو لرسالاتهم - عليهم الصلاة والسلام - أبداً. . فلقد كانت كل واحدة منها الأنسب والأكمل في ظروفها والأنبياء كلهم إخوة ومشروعهم مشروع واحد.

أبناء الملك

ولو أنك تصورت أن ملكاً عادلًا، قد عمّر طويلًا. . . وقد كان في مملكته قرى كثيرة،

فأرسل أحد أبنائه لقرية في مملكته برسالة يبين لهم قانونه، وبعد خمس سنين أرسل رسالة لقرية أخرى مع ابنه الثاني يبين لهم قانونه لهذه القرية الثانية، ثم أرسل ابنه الثالث لقرية ثالثة، وهكذا الرابع والخامس والسادس... فهل يلزم أصحاب القرية الثانية النظام الذي أرسله للأولى وهما منفصلتان في كل شيء...؟ وهل يجري على أي قرية ما أجراه على القرية الأخرى....؟ والجواب قطعاً لا.

فكيف إذا كان أبناؤه جميعاً الذين أرسلهم للقرى الستة قد ماتوا، وكُتُبُ تعيينهم قد تغيرت لدرجة أن أختام أبيهم عليها قد طُمِست ومحيت...؟!

لكن جميع أبناء تلك القرى يُقرّون للملك الأكبر بحاكميته ويدينون بفضله، وينتظرون أمره.

وبعد مضي سنين طويلة أرسل الملك نفسه ابنه السابع الى قرية من تلك القرى معلناً توحيد جميع

تلك القرى في منظومة واحدة، وتعيين ولده السابع والأخير ملكاً على مملكته كلها. . . .
فجاء الولد السابع وهو من أبناء القرية، معروفٌ بحسن خلقه وأمانته وسلامة نسبه، معترفاً بحق جميع إخوانه الملوك السابقين ومكانتهم، قائلًا لهم: ما أنا إلا واحد من أبناء هذا الملك، وأنا أخٌ لهؤلاء الكرام. . . . ومعي كتاب بذلك من أبي، يرد العدوان عن إخواني الذين سبقوني، ويكشف التزوير عن كتبهم. . هو دليلي وأنا لن أغيره، والأعداء لا يستطيعون تغييره، لو أغرقوه فلن يغرق، لو أحرقوه فلن يحترق، ولن يتلف، ومَنْ أَبَى فليفعل ما يشاء، ومات الولد الأخير. . . فحاول الأعداء الاعتداء على ذلك الكتاب، لكنهم لم يستطيعوا حتى الاقتراب منه، وبقي النظام لم يتغير ولم يتبدل عما جاء به الولد. . . بل لا يزال الأعداء أنفسهم يحمونه ويحفظونه ويكبرون صورته، وأصبح يزداد بمرور

الأيام حفظاً وانتشاراً أكثر فأكثر.

فهل تأملتم انطباق هذا المثل على موضوعنا؟!



**الجواب العقلي الثاني عشر**: يا أستاذة علم الأديان: إن من أعظم أسباب صلاحية القرآن لأن يكون رسالة عامة للجميع، وباقية إلى الأبد.... هو تميز القرآن بثوابت واضحة كذلك، كما أن العقائد واضحة وثابتة ولا تقبل التغيير أبداً... فأي تغيير يمكن أن يدخل على وحدانية اللَّه أو على الإيمان بالملائكة أو الإيمان بالرسل أو الكتب أو اليوم الآخر أو الجنة والنار...؟!

وأي تغيير يمكن أن يدخل على القصص الماضية المذكورة في القرآن ونحو ذلك...؟!

ولكن ثمة متغيرات أخرى، يصبح القطع فيها من التضييق على العقول البشرية، والتضييق على الاحتياجات البشرية، وعلى الاكتشافات العلمية، ولذلك فإن القرآن يترك فيها الرأي للناس، ويترك

المجال للعقول رحباً، ومن ثم تجدين الرحابة الفكرية في القرآن كما لم تجدينها في أي مكان آخر. . . أنت تتصورين الآن أن القرآن أغلق باب التشريع على البشر بإحكام تام، وهذا من أعظم الخطأ وهو من إلغاء العقول، بل الإسلام جعل من التشريع فتح باب التشريع لمن عنده القدرة وجعله مجالًا رحباً فقال القرآن: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فلهؤلاء الحق أن يجتهدوا في الشرع فهم من بعد الرسول كما رأيتِ في الآية، والحديث في هذا كبير وكبير جداً، ومع هذا فللمجتهدين ضوابط لأن الإسلام لو فتح المجال مطلقاً لربما صنعوا كما صنع البابوات عندكم. . . أليس هذا هو العقل الصحيح؟

ولا تجدين الدعوة إلى التفكر في مخلوقات اللّه مثلما تجدينها في القرآن، يقول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ

قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]. حتى قال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بعدما قرأ هذه الآية: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر»[(١)].

ويقول اللّه في سورة ص: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آية: ٢٩].

ويأمر اللّه الناس بالرجوع إلى أهل العلم كلٌّ في علمه وتخصصه فيقول في سورة النحل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ٤٣].

بل إن القرآن قد رفع شأن المتفكرين أكثر من شأن العابدين، وجعل العلماء أعلى منزلة من العُبَّاد، وقد ورد ذكر العلم والعلماء كثيراً في القرآن. . . وتعليل رفعة منزلة التفكر والمتفكرين ومنزلة المتعلمين والعلماء واضح، وهو أن

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

النتيجة الحتمية للعلم الصحيح والتفكر الصحيح هي زيادة معرفة اللَّه وزيادة الإيمان بالقرآن فقال تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

قال في سورة فاطر الآية ٢٧- ٢٨: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

إن من لم يتعامل مع القرآن مثلكم ربما يصعب عليه فَهْم هذا الأمر، فإن استوعبه فذلك لظنه أنه أمرٌ نظريٌّ لا ينبني عليه قرار ولا عمل... سوف أضرب لكم مثلًا واضحاً.

برغم أن الاعتقاد بأن عمر الأرض هو ٤,٥٤ مليار سنة - حسب التقديرات العلمية - إلا أنها مازالت تعطي كل جيل من الأمم ما يناسبه من

الأرزاق والمنافع والمدخرات بإذن اللَّه، فالأجيال الأولى من البشر ظنوا أن خير الأرض كله في الأعشاب التي أخرجها اللَّه من الأرض كي تأكل البهائم منها فينتفعون هم من البهائم، فإذا ذهبت الأعشاب فلا شيء آخر! وأناس بعدهم ظنوا أن خيرها فيما أخرجته لهم من معادن سطحية أو حجرية، فإذا ذهبت المعادن والأعشاب فلا شيء فيها. . ! وأناس بعدهم ظنوا خيرها في البترول المدخر فيها. . . وهكذا، ولا تزال الأرض هي الأرض ولا أحد يدري ماذا بقي فيها من خيرات وكل ذلك في قول اللَّه تعالى عن الأرض: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩-١٠].

وبناءً على هذا أتساءل: هل يستطيع أحد أن يقول إن الأرض قديمة، **أو أنها** استنفدت

أغراضها، أو إن الشمس قد استنفدت أغراضها، أو إن البشر يمكن أن يستغنوا عن الشمس؟!

وكيف يمكنهم أن يقولوا ذلك ولا يزال البشر يسعون لاستخراج الطاقات منها، وهي لا يخبو ضوؤها ولا يقل نفعها...! وما الشمس والأرض إلا مخلوقتان من المخلوقات، أما القرآن فهو كلام اللَّه المعجز ليس بمخلوق، وصلاحيته أعظم من صلاحية الشمس والأرض، وقد تحدى اللَّه به الخلائق كلها.

تهيئة العالم

فما كان لهذه الكتب أن تحرف لو تكفل اللَّه بحفظها، لكنها لما حرفت علمنا أن للَّه مراداً عظيماً، وهو أن اللَّه يهيئ العالم لما هو أعظم منها، وأن طريق الأنبياء واحد... وأن هذه الكتب ككتاب واحد مرتب على أجزاء كل جزء كتب في فترة زمنية، وأن هؤلاء الرسل كأعضاء في شركة واحدة، بل هم كرسول واحد، لأنهم جاؤوا من مصدر واحد، ولا حجة لهؤلاء على

هؤلاء، ولا لهؤلاء على هؤلاء.. إذ مصدر هذا الكتاب وذاك ليس هو الرسول الذي من قومي أو قومك، بل من رب العالمين.

فلا اضطراب بين عدم حفظ التوراة والإنجيل مع ثبوت حفظ القرآن الكريم.

نحن لا نقول هذا لنكسب إلى صفنا هذا أو ذاك، لا بل هذا الذي نقوله هو دين الإسلام، ولو لم نعتقد هذا خرجنا من دين الإسلام كلياً، أوما قرأت ختام أطول سورة من سور القرآن، سورة البقرة إذ يقول الله في آخر آيتين منها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ

وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

وقـال تـعـالـى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

إنني أذكر لك هذه الآيات لأثبت أن ما أقوله هو أصل في ديننا وليس وليد اللحظة.

ثم إننا حين نعتقده ونقوله لكم، إنما نقوله إظهاراً للحقيقة وليس تمثيلًا، ولأننا نعتقد أننا جميعاً نحن وإياكم أمة واحدة ولسنا أمماً متفرقة، وربنا واحد، ورسالتنا واحدة، والأنبياء جميعهم إخوة، ورسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - لكم كما هي لنا وهو رسولكم كما هو رسولنا فالقضية إذاً أكبر من منافسات أو وصوليات.. ولذا فإنكِ إذا عرفتِ هذا الأمر يقيناً فسوف تشعرين أنه لك وليس لي وحدي،

ويكون أكبر عتاب عليّ منك هو لِم لَم تخبرني بهذا من قبل..؟!

وتكون أكبر حسرة عليك: كيف مات والداك ولم يعرفا القرآن..؟!

ويكون أكبر فرحة أن تقولي: الحمد للَّه الذي هداني لهذا وأنا في هذا العمر قبل أن أموت.. فلا داعي إذن كي يظن أحد أننا نريد بكلامنا هذا غير قول الحق.

بل إن حفظ القرآن الكريم في حقيقته دليل على حفظ التوراة والإنجيل من النكران.

فمن المعلوم أن الشهادة إذا داخلها شك سقطت، ولم يستدل بها على حكم من الأحكام، ولا على قضاء من الأقضية، والقاعدة تقول: «الدليل إذا ورد عليه الاحتمال سقط به الاستدلال».

وقد ذكرنا من قبل كمًّا من الأدلة اليقينية القطعية التي تدل على تحريف التوراة والإنجيل

والزبور، ابتداءً من كون عيسى - عليه الصلاة والسلام - [illegible] [illegible] في حياته، ووصولًا إلى انعدام النسخ الأصلية إلى اليوم، وانقطاع السند في عدة مواضع، وتدخل الحاكمين السياسيين، مع إحراق الكثير من الأناجيل واختيار هذه الأربعة، مع الاضطرابات الكثيرة في الأناجيل[1] التي تقطع بأنها على وضعها الحالي ليست من عند اللَّه لأن اللَّه لا يضطرب ولا يتناقض، كل هذا وغير هذا جعل من المستحيل الحكم بأن هذه التوراة أو الإنجيل أوالزبور بقيت لم تمسها أيدي البشر بالتحريف، أو أنها بقيت كما نزلت من عند اللَّه، بل جعل من المستحيل إثبات الشهادة بأن اللَّه أنزل توراة أو إنجيلًا أو زبوراً. . . بطريقة يقينية من غير إثبات ذلك في القرآن. . !

---

(١) وغيرها، حيث عدد العهد الجديد (٢٧) كتاباً بما في ذلك الأناجيل.

إذ من أين تأتي بالدليل اليقيني على ذلك، وكل الأدلة داخلها الشك القوي؟!

أستاذة علم التاريخ مقاطعة: أكل هذه الجموع البشرية التي تسير على التوراة والإنجيل والزبور لا تكفي لإثبات أن اللّه أنزل توراة وإنجيلًا وزبوراً؟!

أبو حامد: أنت كشخصية أكاديمية، ومحللة تاريخية تعلمين جيداً أن ما توارثناه من الأخبار شيء وما هو صادق منها وحقيقي شيء آخر! فإن ملايين من العابدين اليوم متبعين لأنبياء - كما يزعمون -، وهم لا يستطيعون أن يثبتوا أن من يتبعونه كان موجوداً حقيقة فضلًا أن يثبتوا أنه نبي! وعندنا نحن العرب قصص بطولية مشهورة مثل قصة عنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي، وعندكم قصص بطولية مشهورة مثل قصص هيركليز (Hercules) وروبن هود (Robin Hood)! لكن شهرتها لا تعني وجودها على أرض الواقع

يوماً من الأيام.

فأَبَى اللَّه لهذه الكتب السماوية: التوراة والإنجيل والزبور أن تكون كتلك القصص البشرية، وأَبَى أن يبقيها محتملة الثبوت، ومن ثمَّ جاء الشاهد الذي لا يكذب، ولا يَقْدر على رد شهادته أو تحريفها أحد، جاء القرآن ليكون الشاهد اليقيني على أن اللَّه تعالى أنزل كتباً اسمها التوراة والإنجيل والزبور.

نوعية العلاقة بين الكتب

يا أيتها الأستاذة الموقرة: يجب أن نفهم أن العلاقة ما بين التوراة والإنجيل والقرآن ليست كالعلاقة فيما بيننا.

يجب أن لا نُحجّم كُتُب اللَّه بإقليمياتنا، وأزماننا، ولا نصبغها بقومياتنا وخلفياتنا، وتخلفنا، ونفسياتنا،... يجب أن نتعدى هذا الحاجز الجاهلي الضيق البغيض، والذي هو أكبر صورة للتفريق بين هذه الكتب.

إن العلاقة بينها هي أن مصدرها واحد وهو

اللَّه، فإذا أنزل اللَّه على قوم كتاباً ثم قال لهم: سوف أرفع هذا الكتاب، لم يكن من حقهم أن يعترضوا..؟!

ولو قال لهم سوف أنسخ بعض آياته، لم يكن من حقهم أن يعترضوا وكأنهم امتلكوه، أو كأنهم يشترطون على ربهم، أو كأنهم يريدون به تنفيذ أغراض شخصية، أو تنافسية مع الأمم الأخرى..!

إن هذا يجري وفق نظام اللَّه تعالى، ووفق إرادته وحكمته.

بل إن القرآن نفسه فيه آيات منسوخة لكنها مقروءة محفوظة في القرآن حتى اليوم، وهي معجزة، وكونها منسوخة ومحفوظة معاً لم يغير من الحقيقة شيئاً، وهو أن اللَّه يثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء، وكل ذلك لحكمة، والحكمة واضحة في كل آية نسخت، وإذا أردتم تفصيل ذلك فلا مانع لدي، فقد قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿مَا نَنسَخْ

مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وحين يحفظ اللَّه تعالى تلك الكتب بالقرآن إنما يحفظ كتبه السابقة بكتابه الباقي، وما ذلك إلا رحمة بعباده، وبناءً على ذلك فقد كان من المستحيل عقلاً أن يعتري القرآن أي تغيير، لأنه إذا تغير القرآن وهو الكتاب الأخير [illegible] الشاهد الأخير لتلك الكتب جميعاً [illegible]

وإذا ماتت جميع الرسل وحرقت جميع الكتب، وذهب كل الشهود، فمن يشهد للَّه بالألوهية، وأي صك موثق يبقي إثباتاً على المنكرين..؟ أو يبقى أصلًا بين اللَّه وبين خلقه..؟!

ومن ثَمَّ [illegible] في بقاء القرآن محفوظاً، حفظاً لأَعظم شهادة، وحفظاً لجميع الكتب ولجميع الرسل، وحماية للعباد من أن يتلاعب بهم

المحرفون للكتب (وعلى رأسهم أئمة اليهود).

**هذا أولًا أما ثانياً**: أودّ بعدما ينتهي مجلسنا الطيب هذا أن **تذهبي** إلى عشرين كنيسة متفرقة في البلاد **وتسألي** كل صاحب كنيسة هذا السؤال:

**هل تعتقد أن كل ما في الإنجيل هو كلام اللَّه؟**

سيكون جواب الجميع: لا، ففي الإنجيل ما ليس بكلام اللَّه بكل تأكيد.

ثم وأنت **تمشين** في طريقك من كنيسة إلى كنيسة **قفي واسألي** مَنْ شئت من النصارى نفس السؤال؟ وستجدينهم متفقين في الجواب كذلك! فماذا نقول نحن إذ كنتم أنتم متفقون فعلياً على أن الإنجيل ليس كله كلام اللَّه؟!

وبعدما **تنتهين** من جولتك هذه **اذهبي** إلى المساجد المنتشرة في بلدك جميعها **وسلي** كل واحدٍ من أئمتها أو المصلين فيها نفس السؤال عن القرآن، **وستجدين** الجواب موحداً وهو: نعم، كل ما في القرآن كلام اللَّه.

**اخرجي** إلى الشوارع **وابحثي** عن أي مسلم فيها، **واسألي** أي فرد - بغض النظر عن وظيفته - نفس السؤال.

هل كل ما في القرآن كلام اللَّه؟ سيكون الجواب قطعاً: نعم؟

**دعي** الناس **وخذي** قرآناً واحداً **وطوفي** الأرض كلها به **واسألي** من شئت من المسلمين: هل تختلفون على أن هذا كلام اللَّه؟ هل في هذا القرآن شيء غير كلام اللَّه.؟! فلن يختلف اثنان أبداً على أنه كله كلام اللَّه.

**وافعلي** نفس الفعل مع الإنجيل **وسترين** استحالة الاتفاق ما بين طبعةٍ للإنجيل وطبعةٍ أخرى.

فيا أستاذة علم التاريخ والأديان عن أي جموع تتكلمين؟

فإذا كانت الأناجيل لا تتفق من لغة إلى أخرى في نفس العصر فيا ترى ماذا صنعت العصور في

هذه الأناجيل..؟!

**أستاذة الأديان:** كيف يمكن أن أستوعب اتهام القرآن لهذه الكتب بالتحريف مع أمره بالإيمان بأنها كتب اللَّه تعالى..؟!

فالنتيجة أن نقول: إن قرآنكم أمرنا بالإيمان بكتب محرفة؟ وأن نقول: إن قرآنكم أثبت تفوق قدرة البشر على قدرة اللَّه، وسيطرة البشر على كتاب اللَّه حيث تمكنوا من تغيير كلام اللَّه.. وفي هذا أعظم قدح في قرآنكم وفي اللَّه..!

أليس كذلك..؟!

كيف نجمع بين الاتهام لها والإيمان بها؟

**أبو حامد:** يا أيتها الأستاذة الكبيرة، هل كان المطلوب أن يأمر القرآن بالكفر بالكتب السماوية السابقة له من أساسها بحجة أنها محرفة..؟! أم كان المطلوب أن يأمر بالأخذ بكل ما فيها، وأهلُها يعلمون – قبل غيرهم – أنها محرفة..؟!

ولذا فقد كان غاية العدل والإنصاف أن يأمر بالإيمان بها ككتب من عند اللَّه، مع نهيه عن

الأخذ بكل ما فيها لدخول التحريف عليها قلّ أو كثر.

**يا أستاذة الأديان:** لم يكن عدم حفظ تلك الكتب نقصاً في تلك الكتب وإنما كان لحكمة... ومن هذه الحكم إسقاط دعوى عدم أخذ أصحابها بالكتاب الأخير... إذ العقل يقول: لو أن كتبهم بقيت محفوظة كما أنزلت ثم جاء القرآن لقال من قال: عندنا كتابنا وعندكم كتابكم، لكم دينكم ولنا ديننا!

ولكن مجرد إقرار الجميع بوجود التحريف في تلك الكتب بغض النظر عن حجمه - قليلًا كان أم كثيراً - يسقط صلاحية الاحتجاج بتلك الكتب، ولا يسقط وجوب الإيمان بها، وإن مجرد إجماع الجميع على أن هذا القرآن لم تمسه يد التحريف إطلاقاً، بحيث يعجز كل أحد أن يثبت التحريف ولو بكلمة واحدة يجعله المصدر الوحيد ليس للعرب فحسب، وإنما لجميع

أصحاب الكتب السماوية التي سبقته، لأن اللَّه رب العالمين وليس رب العرب وحدهم، والقرآن للعالمين وإن كان بلغة العرب، ورسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - للعالمين وإن كان مَسْقط رأسه بلاد العرب، وهذا ما سنتحدث عنه إن تيسرت لنا مجالس جديدة في هذه البلاد الجميلة فرنسا. . . فليس في هذه الخصائص الجغرافية واللغوية تبعية لأحد وإنما التبعية والعبودية للَّه وحده، ومحمد مثل عيسى - عليهما الصلاة والسلام - ومثل موسى - عليهم الصلاة والسلام - جميعهم رسل اللَّه وليسوا بآلهة، ولم نتحدث نحن يوماً من الأيام أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - كان شامياً، وأن موسى - عليه الصلاة والسلام - كان مصرياً، وأن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان عراقياً، وأن الأنبياء الآخرين كانت أصولهم كذا وكذا. . . بل العبرة أنهم جميعاً يبلغون عن اللَّه، لأن اللَّه اختارهم

من بين الناس، وليست قضية أقاليم وإلا لقلنا إن عيسى وموسى وأبا الأنبياء إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - شرقيون مثل محمد - عليه الصلاة والسلام -، كما هو تقسيمكم للبلاد اليوم!

إن من المصائب العظيمة أنكم تدركون أن الكتب التي أنزلت عليكم محرفة، وأن مَنْ حرَّفها هم أعدى الناس للأنبياء، ثم تدافعون عنها وعن مَنْ حرفها!

أيستحق المعتدي على كتب اللَّه وعلى أنبياء اللَّه الدفاع عنه...؟

أيتها الأستاذة: أمن العقل أن تُجمعَ الجموع دفاعاً عن التحريف، بينما تتهمون القرآن العظيم مع أنه أعظم المدافعين على الإطلاق عن الكتب السابقة، الذابِّين عنها... وهو يَلْعن مَنْ حَرّفها؟!

ومن ذلك ما ورد في سورة المائدة رقم ١٣:
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الآية.

بيع السيارة الثمينة

يا أستاذة علم الأديان: لو أردتِ أن تبيعي سيارتك الثمينة التي جئت بها الليلة بمائتي ألف يورو، فأتاك رجل بحزمة من الأوراق النقدية وقال لك: هذا هو ثمنها، إنها مائتي ألف يورو وزيادة، لكن بعض الأوراق النقدية في هذه الحزمة مزورة، فهل تقبلينها منه..؟ أم تتركينها!!! سيكون جوابك: لا أقبلها حتى أفرز المزور عن غيره، فإن استحال عليك الفرز لعدم وجود آلة الفرز والتدقيق وكان عنده حزمة أخرى غير مزورة، فإنك سوف تأخذين الثانية من غير تردد.

فلم لا يسري نفس المنطق على الكتب السماوية؟.

ومع هذا فإنك لا تستطيعين أن تنكري أن هذه الحزمة التي شابها التزوير حزمة لها قيمة، وهذا المنهج الذي اتبعتيه مع حزمة النقود التي بداخلها بعض الأوراق المزورة هو المنهج الذي شرعه اللَّه في التعامل مع الكتب السماوية السابقة، إذ يقول النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا باللَّه وكتبه ورسله، فإن كان باطلًا لم تصدقوه، وإن كان حقاً لم تكذبوه**»(١) وهذا ما يُسمى «بالتوقف»، أي إذا حدثوكم عن كتبهم أو أخبار أنبيائهم فتوقفوا حتى تتبينوا، لأنكم ربما كذبتموهم فتكذبون خبراً ثابتاً عن اللَّه أو عن رسوله - عليه الصلاة والسلام -، وربما تصدقونهم فيكون الخبر من الأخبار المحرفة، أو الكاذبة ولا علاقة للَّه ورسوله به.. ولذا عليكم ألا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٤٦٠) وحسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط، ورواه أبو داود (٣٦٤٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠) .

تحكموا حتى تتأكدوا وهذا هو منهج التحقيق العلمي.

الجواب عن استشكال القراءات العشر

**أستاذة علم الأديان**: عندي مأخذ عليكم لا يمكنكم أن تردوه مهما كان اعتذاركم، فَلَقَدْ أخذْتَ يا أبا حامد بمحاولة إسقاط اعتراضاتنا واحداً واحداً، بل أخذت تثير الاعتراضات واحداً واحداً على أن التوراة والإنجيل قد حُرِّفا، وأن القرآن لم يحرف، وأنه سالم من الاختلاف!

بينما نراكم تقرون وبكل وضوح أن الاختلاف في القرآن أمرٌ مقرٌّ ومقنن ومعترف به!

ألا ترى معي إلى ما تسمونه أنتم: اختلاف القراءات للقرآن؟

أليس للقرآن عشر قراءات، وكل قراءة تختلف عن غيرها، فبأي القراءات نأخذ؟!

فإذا أخذت علينا أربعة أناجيل فنحن نطالبك بالجواب عن القراءات العشر، حتى لو أقررنا لك بأن الإنجيل النازل من السماء واحد ثم أصبحت

الأناجيل أربعة، فإن القرآن النازل من السماء واحد والقراءات عشر.

فأنت الآن بين أمرين: إما أن تثبت سلامة القرآن ولا تعترف بالقراءات؟! وإما أن تعترف بالقراءات العشر وتتنازل عن الاعتراف بسلامة القرآن، وأنا أؤكد لك أني لن أقبل إجابة إلا من العقل؟!

القراءات العشر أكبر الشواهد على سلامة القرآن

أبوحامد: سيتأكد لك عند كل اعتراض جديد على أن الحق يزداد وضوحاً وبراءة كلما ازدادت الشُبَه الباطلة، وسوف ترين أن القراءات علامة إيجابية عظيمة على حفظ هذا القرآن، من خلال نقاط عقلية محددة أقتصر في الإجابة بها على اعتراضاتكم ولا أريد الاسترسال في أمور القراءات.

القراءات نازلة مع القرآن

الجواب العقلي الأول: القراءات ليست تحريفاً للقرآن كما هو الشأن في الإنجيل والتوراة، إنما القراءات نازلة مع القرآن من السماء... وهذا

الجواب وحده كافٍ في الرد على اعتراضك من أساسه، **ولكي أثبت لك أن القراءات نازلة مع القرآن وأنها ليست من وضع البشر** فإني أروي لك رواية واحدة فقط عن محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه تُثْبت نزول القراءات عليه مع القرآن، وأنها لم تُلغَ بعد موته كتغيير طرأ على القرآن، بل هو الذي طلبها، ولا يزال يستزيدها طلباً للتيسير على أمته... فالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه يقول: «أقرأني جبريل - عليه الصلاة والسلام - على حرف، ولم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، قال ابن شهاب: «بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام»[(١)(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٧).

(٢) وسواء كان تفسير بعض العلماء لهذه السبعة أحرف بالقراءات أم بشيء آخر، فإن هذا التنوع نازل من السماء.

ولك أن تسمعي هذه القصة التي ظهر فيها الخلاف على القراءات بين بعض أصحاب النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، ثم تستنتجي بعدها ما تشائين، فقد حَدَثَت مع الرجل الثاني من خلفاء النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - واسمه عمر بن الخطاب قبل أن يكون خليفة يقول عمر نفسه: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلَّم، ثم لببْته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -. قلت له: كذبت، فواللَّه إن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول اللَّه، فقلت: يا رسول اللَّه، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم

تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: هكذا أنزلت، ثم قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: هكذا أنزلت، ثم قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منها»[١].

إذا دققتِ في هذا الحديث فسوف تجدين أنهم كانوا يسمونها القراءات وليست الكلمات جديدة، ثم إذا نظرت في القصة وجدت شدة الحساسية عند الصحابة من أي تغيير في القرآن ولو كان في كيفية التلفظ.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٨٧) ورواه مسلم (١٩٣٦).

ثم تجدين أن مرجعهم عند كل اختلاف هو مَنْ أُنزِل عليه القرآن وهو النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وأنهم لم يجتهدوا في هذا الأمر إطلاقاً لأنه منزل.. ومع أنهم كما سمعوه منه أول مرة فإنهم يتأكدون منه عند كل اختلاف في كل مرة. وتجدين كذلك أن حفظهم للقرآن كان غيباً فلولا ذلك ما أنكر عمر على هشام هذا الإنكار.

وأخيراً فإن جواب النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - للاثنين كان بكلمتين هما: «هكذا أُنزلت».



**الجواب العقلي الثاني:** إذا تأملتِ اعتراضك فسوف تجدين أنك أبطلتيه بنفسك وأن حجتك قائمة عليك من نفس السؤال. وهكذا هو الحق يعلو في كل أحواله. أعيدي اعتراضك وسوف تجدي أنك قلت: إذا كانت لدينا أربعة أناجيل فلديكم عشر قراءات!

فأنت اعترفت هنا بأنها قراءات وليس

قرآنات[١]، فكل القراءات لقرآنٍ واحد، بينما اعترفت بأن ما لديكم هو «أناجيل أربعة» فكل إنجيل غير الإنجيل الآخر كما لو قلت أربعة قرآنات.

ثم إنك لو جئت لنفس أصحاب القراءات وسألت كل واحدٍ منهم: من أين لك هذه القراءة؟ لقال لك: هذهِ قراءتي التي رويتها عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - للقرآن، وهكذا لو جئت لصاحب قراءة أخرى وسألتيه من أين لك هذه القراءة؟ لقال لك: هذه قراءتي التي رويتها عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - للقرآن، وهكذا لو سألت كل واحدٍ منهم عن هذه القراءة؟ لقال لك: هذهِ قراءتي التي رويتها عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - للقرآن وهكذا يجيبك كل واحدٍ منهم، بينما لو جئت لأي واحدٍ من أصحاب الأناجيل الأربع وسألتيه لقال لك: هذا إنجيلي الذي أوحي إلي به أو الذي كتبته

---

(١) بل ليس لكلمة قرآن جمع في لغة العرب، وما ذكرناها إلا تفهيماً.

بنفسي ولا علاقة للآخرين به كما قال لوقا في مقدمة إنجيله: «إِذْ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصةٍ في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء مُعاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عُلمت به»[1].

فالأناجيل كأنها أربعة كتب سماوية كل واحدٍ منها منفصل عن الآخر.

معرفة القراءات مزية

**الجواب العقلي الثالث**: فلنخرج أنا وأنت من الحكم على هؤلاء وهؤلاء، ولندع كل واحدٍ منهم يحكم بنفسه على نفسه ولنسأل من عنده قراءة معينة عن قراءة أخرى: هل تعتقد أن تلك القراءة صحيحة؟ لكان جوابه: نعم بكل تأكيد. هل تعتقد أنها قرآن لقال لك لا ولكنها قراءة للقرآن نفسه، وهكذا لو سألت الآخر الذي في مقابله، وإذا أعدتِ السؤال على كل صاحب قراءة لقال لك نفس الجواب!

(١) لوقا: ١ - ١ .

إذاً فهذهِ شهادتهم جميعاً.

بل أكثر من هذا هو أن كل واحدٍ منهم يتمنى أن يعرف أكثر من قراءة من هذه القراءات العشر، وكثير منهم مَنْ يعرف أكثر من قراءة، وعندهم أن يعرف القراءات العشر هو أفضل علمياً ممن يعرف أقل وهكذا، وهذا وحده دليل كافٍ إذ إن الجمع بين القراءات لا يُعدُّ جمعاً بين المتناقضات، بينما الجمع بين الأناجيل جمع بين المتناقضات، ولم يقل أحد أبداً أن من جمع بين القراءات جمع أكثر من قرآن، بينما مَنْ جمع بين الأناجيل يعد جامعاً بين أكثر من إنجيل.

كل مسلم يقرأ بقراءة

**الجواب العقلي الرابع**: لو سألتك الآن سؤالًا محدداً وهو: كم هم الذين يعرفون القرآن بالقراءات؟ لكان الجواب: جميع المسلمين الذين يقرؤون القرآن يقرأونه بقراءة معينة محددة من تلك القراءات العشر، ومن المسلمين من يقرأه باثنتين ومنهم بثلاث قراءات ومنهم بعشر فما من مسلم إلا وهو يقرأ بقراءة من القراءات، إما بالتوارث أو بالتعلم، فالقراءات علم مخصوص وكل مسلم يقرأ

بقراءة سواءً كان متخصصاً أم غير متخصص في القراءات لكن الأداء الصحيح على قراءة معينة هو القاسم المشترك بين عامة من يقرأ القرآن . . . اذهب إلى المغرب العربي واستمع لعامة المسلمين هناك، يقرؤون تعالَ إلى المشرق واستمع لعامة المسلمين كذلك، سوف تجد أن هؤلاء يقرؤون بقراءة، وهؤلاء يقرؤون بقراءة، ولربما لو سألت كل واحدٍ منهم عن تحليل قراءته وعِلْمها لم يعرف الإجابة لكنه من حيث الأداء مجيد لها إجادة تامة .

إذاً فالقراءات محفوظة لدى جميع المسلمين، ولو سألتك على أي شيء يدلُّ حفظ القراءات المخصوص لكان جوابك وجواب كل منصف هو أنها : حُفِظت لأنها من القرآن الذي توعد اللَّه بحفظه .

لا يسمح لمحمد عليه الصلاة والسلام بتغييره

الدليل العقلي الخامس : أن اللَّه سبحانه أنزل أكثر من آية صريحة واضحة على أنه لا يحق للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أن يضيف أو ينقص أو يغير أو يبدل في القرآن أي شيء فاقرأ

قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٥].

واقرأ في سورة الحاقة قول الله تعالى مبرأً نبيه من أن يمس القرآن أي مساس فيقول: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الآيات: ٤٤ - ٤٦].

فإذا كان من أُنزل عليه القرآن لا يملك الحق في تغيير شيء فمن يملك من بعده؟

وإذا كان افتراض مساس النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بالقرآن أدنى مساس يعاقب عليه فوراً من اللّه بالقطع والهلاك العاجل وهو افتراض مستحيل فماذا ترى اللّه سيصنع بمن يجرؤ على ذلك فعلياً ؟ فكيف من يضع قراءة للقرآن؟! لقد حفظت القراءات كما حفظ القرآن.

والعلة في ذلك هو أن القراءات من القرآن، فحفظها من حفظه سواء بسواء، فأصبح تغيير القراءات كتغيير القرآن سواء بسواء، وتعهد اللَّه بحفظ القرآن تعهدٌ بحفظ القراءات سواء بسواء كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

حرص الصحابة

**الدليل العقلي السادس**: كان حرص الصحابة على القراءات كحرصهم على القرآن سواء بسواء، بل لا أحد يفرق ما بين حرصهم على القراءات والقرآن إذ هو شيء واحد.

ولذلك فإن عثمان بن عفان حين جمع القرآن - كما مرّ معنا - لم يجمعه على قراءة واحدة بل جمعه على القراءات العشر الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ ثم أرسل لكل بلدٍ نسخة من القرآن، ولو سألت: هل عمل عثمان من القرآن عشر نسخ؟ فالجواب: بل نسخة واحدة وأرسل مع كل نسخة عالماً بالقرآن والقراءات حافظاً لكتاب اللَّه غيباً حفظاً كاملًا يقرئهم القرآن على تلك القراءة،

وكان يساعده في ذلك أن الأحرف العربية ما كانت لها نقط ولا حركات إنما هي مجرد أحرف تقرأ على أكثر من وجه، فاحتاج الأمر أن يكون مع كل نسخة حافظ من حُفّاظ القرآن فقد أمر عثمانُ زيدَ بنَ ثابت أن يقرئ أهل المدينة، وبعث عبد الله ابن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة... فكان كل واحدٍ من هؤلاء يمثل المجلس الذي تشكل في المدينة لنسخ القرآن الكريم، وكان كل واحدٍ من هؤلاء ضامناً لنقل القراءة الصحيحة على الوجه المتواتر الذي نقلوه عن رسول اللَّه محمد - عليه الصلاة والسلام - علماً بأن العرب كانت تقرأ الكتب المكتوبة والأشعار على الوجه الصحيح دون الحاجة لمن يقرأها عليهم لكن لما كان الصحابة ﷺ من الحرص على القرآن بمنتهى الإحكام جعلوا مع كل مصحف قارئاً يقرئهم النسخة لقطع احتمال الخطأ أو الالتباس قطعاً كاملًا.

لقد كان الصحابة يعلمون أن الكلمات العربية من غير تنقيط تحتمل أن تقرأ على أكثر من وجهٍ أحياناً، ويعلمون أن الأصل في القرآن هو التلقي مشافهة وليس كتابة ومع هذا فقد كان حرصهم على الأجيال القادمة خشية أن يدخل أحدٌ بكلمة محتملة فيقرأها بطريقة معينة، فقطعوا الطريق أمام أدنى احتمال، وجمعوا ما بين التلقي مشافهة وكتابة، فأصبحت الكلمة التي تحتمل قراءة والتي لا تحتمل سواء إذ لابد مع القراءة من كتاب عن طريق معلم مختص بالقراءة، لكن لا يشترط للتلقي من القُرّاء مُشافهةً أن يقرأ من كتاب وهذا أمرٌ مهم.

الدليل العقلي السابع: من الأدلة على أن تنوع القراءات زاد حفظ القرآن حفظاً على حفظه هو أن الناظر في القراءات يجدها أنواعاً، منها القراءات العشر وهي متواترة أي نقلها عن النبي محمد ﷺ جمع كبير ليس واحداً ولا اثنين ونقلها عن هذا

الجمع الكبير جمع أكبر منه لا يحصون وهكذا وهكذا إلى قيام الساعة، بينما بقيت قراءات أخرى تحتملها الكتابة لكن لم تنقل عن طريق الرواية الصحيحة فاعتبرت شاذة ورُدَّت ولا يحل اعتبارها قرآناً ولا تصح الصلاة بها وثمة أنواع بين هذين النوعين.

إذن فوجود القراءة الشاذة التي تحتملها الكلمات وَرَدُّ العلماء لها من أقوى الأدلة على أن حفظ القراءات من حفظ القرآن، وعلى أن العبرة ليس بالكتابة واجتهاد الناس حتى نعتبر هذِهِ تحتمل وتلك لا تحتمل، هذِهِ تقبل وتلك لا تقبل! بل الأصل هو ما روي بطريق متواتر أو طريق صحيح مشتهر وأجمع عليه أهل القراءات فهم أهل هذا الفن والعبرة بهذا فحسب.

الجواب العقلي الثامن: للعرب - كما تعرفين - عدة قبائل ولكل قبيلة من هذه القبائل طرقٌ في تلفظ بعض الكلمات. . . فهؤلاء يلفظون هذه الكلمة بهذه الطريقة، والقبيلة الأخرى تلفظ

بطريقة أخرى، وهكذا تتحد الكلمة وتتنوع طريقة التلفظ بها، ويتحد معناها ويتغير بعض شكلها أحياناً... فأي عيب في هذا؟ وأين التحريف؟!

ثم إذا كانت أجيال القبيلة الفلانية توارثوا عن آبائهم وأجدادهم الحركة اللسانية لبعض الأحرف بطريقة معينة ونزل القرآن في هذه اللفظة بطريقة تَلَفُّظِهم... فما الضير في هذا؟ وأين التحريف في ذلك؟

ألا ترين معي أن ذلك دليل على تيسير القرآن للناس.

**الجواب العقلي التاسع**: ألا ترين أنه دليل تكريم لِلُغَاتِ العربِ الأخرى، وعدم إهمالها، وأن فيه تشريفاً ورفعة، كما أن فيه حفظاً لها من الانقراض... فكم من اللغات وُلدت ثم ذهبت فكيف باللَّهجات؟

فهل ترين أمة مثل أمة العرب أصيبت بما أصيبت به من عهد محمد - عليه الصلاة

والسلام - إلى هذا اليوم ثم لا تذهب لغتها ولا تتغير، وفوق ذلك تحفظ لهجتها بالقرآن؟ فترجعُ متسائلًا عن السبب العجيب فلا تجدين إلا سبباً واحداً هو القرآن، وهو القراءات لهذا القرآن العظيم المحفوظ...!

**الجواب العقلي العاشر**: أي دليل على حفظ القرآن أعظم من حفظ القراءات؟

فبينما ضاعت أصول التوراة والإنجيل فقد بقي القرآن محفوظاً حتى في لهجات كلماته المعلومة المحدودة التى لا تقبل الزيادة ولا النقصان....!

فإن مما لا شك فيه أن من حَفِظ طريقة أداء الكلمة كان أحرى أن يحفظ الكلمة نفسها وأحرى أن يحفظ الكتاب، فإن طريقة الأداء ربما تعلقت باللفظ لا بالخط، فمن حفظ طريقة الأداء سماعاً ورواها الجمع من الحُفَّاظ عن الجمع من الحفاظ عن الجمع من الحفاظ، وهكذا حتى وصلتنا دون أدنى خلاف بين من سبق عمن لحق كان حريّاً أن

يحفظ الكتابة قبل طريقة النطق، إذ الكلمة هي الكلمة، والأحرف هي الأحرف، لكن طريقة نطقها باللسان هي التي تختلف ومع هذا حُفِظتْ كيفية النطق، وأحرى من ذلك أن يحفظ هذا القرآن، كيف وقد جمع ما بين الرواية الشفهية والكتابة الخطية.

الجواب العقلي الحادي عشر. إن في حفظ القراءات مزيد تقوية لحفظ القرآن، فالسقف الذي له أربعة أعمدة أقوى من السقف الذي له عمود واحد، والأسرة التى لها عشرة أبناء متفقون أكبر من الأسرة التى لها ولد واحد، وأقوى -في العادة-، وأنت إذا نظرت في القراءات وجدت أن كل قراءة من القراءات لها طرقها الخاصة في رواية قُرّائها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فلكل قراءة سند جديد للقرآن كله، وليس سندها مقتصراً على أحرفها فقط.

فإذا جئت للقراءة الأولى وجدت أن لها

أسانيدها التي تُثْبت تلقي القرآن بها كاملًا عن النبي - عليه الصلاة والسلام - وإذا جئت للقراءة الثانية وجدت أن لها أسانيدها التي تثبت تلقي القرآن بها كاملًا عن النبي - عليه الصلاة والسلام -.. وهكذا فجميع القراءات مروية بأسانيدها الصحيحة التي لا تقبل الاختلاف إطلاقاً، كما أن قراء كل قراءة لا يختلف بعضهم عن بعض إطلاقاً.. ثم إن أي قارئ من القُرَّاء لا يطعن في القراءات العشر الأخرى أبداً.

فمقتضى ذلك أن كل قراءة من القراءات تثبت القرآن كاملًا وهكذا في جميع القراءات العشر دون أدنى تضاد، مع إظهارها ما اختصت به من كيفية تلفظ بعض الكلمات ونحو ذلك، فهل هذا تقوية أم تضعيف؟!

الإعجاز العلمي في القرآن

**الأستاذ فيفا**: أريد أن أعود للحديث عن شيء قلته عن القرآن أنت يا أباحامد، فقد أشرت إلى أن القرآن يحوي معجزات علمية طبية وغير طبية،

وأنه كتاب معجز حتى من الناحية العلمية، وبصراحة - يا أبا حامد - هذا آخر ما يمكن قبوله منك.. فأنت تعرف متى نزل القرآن، كما تعرف متى بدأت النهضة العلمية؟! إن بينهما ما يقارب ستمائة وخمسين عاماً..!

ثم إن الاكتشافات العلمية ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، وهي في تطور دائم فعن أي الفترات يتحدث القرآن، وعن أي الاكتشافات يتكلم..؟!

وإذا أمكننا قبول هذا، فلم لا نقبل أن التوراة والإنجيل والزبور التي سبقت القرآن بنحو سبعمائة عام معجزة حتى من الناحية الطبية...؟!

لعلك تحسب - يا أبا حامد - أنك بمجرد ذكر كلام عام وَرَد في القرآن في موضوع ما يمكن أن نقبله على أنه موضوع علمي!!

ولعلك تأتي وتقول: انظروا قد تحدث القرآن عن هذا الموضوع الذي اكتشفه العلماء اليوم.

كيف يذهب جهد هؤلاء الباحثين في المختبرات وقاعات البحث سُدىً بهذه السهولة، وبعموميات مذكورة في القرآن الذي نزل قبل نحو ألف وأربعمائة سنة..؟!

نعم، ربما توجد بعض كلمات التنبؤات قد أثبت الزمن تحققها كما هو الشأن في كتب المتنبئين المشهورة ككتاب «**أمستراموس**».

ولكن في مقابل ذلك توجد من الخرافات ما لا يعد ولا يحصى، فلعلك لو فتحت للتحدي كل باب إلا هذا الباب لكان خيراً لك.. لأن العِلْم لا يقبل المجاملة، ولغة الأرقام أكبر من العبارات الأدبية المحتملة، فإنك مهما حاولت تطوير القديم فستبقى مسحة القديم ظاهرة عليه، تكشفه وتفضحه..!

**أبو حامد:** يا أستاذ فيفا ما منعنا من الاحتجاج بالكتب السماوية السابقة إلا الحماية لها وليس إهمالًا لها، فلو أننا علمنا يقيناً ما أنزله اللَّه في

هذه الكتب مما دخله التحريف لكان ذلك حجة في العلوم التقنية وغيرها من العلوم، لكن لما اختلط المحرف بالمنزل تحاشينا الاحتجاج بتلك الكتب كلها، فلربما احتججنا بالمحرف، فناقضه العلم فكان ذلك سبباً في تكذيب التوراة أو الإنجيل وسبَّب الكفر باللَّه بسبب تحريف الإنسان وتعديه. . . ! أما القرآن فإن بإمكانك أن تنظر فيه مراراً وتكراراً ولن تجد فيه موضعاً واحداً يناقض العلم في أي موضع من المواضع ولهذا السبب فإن عقلك يقطع بأن التحريف البشري لم يتطرق إلى هذا الكتاب.

لأن اللَّه لا يمكن أن يتناقض في التعبير، كما لا يمكن أن يخفى عليه شيء من شؤون خلقه، ولذلك فإن من المستحيل أن تجد في القرآن تناقضاً مع الحقائق العلمية.

ومع هذا فلا تحسبن أن القرآن هو كتاب علومٍ تقنيةٍ من طب أو فلك أو كيمياء أو فيزياء أو

جغرافية أو أي علم من العلوم الأخرى، إنما فيه قواعد عامة أولًا، أو إشارات كبيرة وكثيرة، وفيه بعض المسائل العلمية التفصيلية المذكورة كذلك، مما يكون إعانة للمتردد على الإيمان، وحجة على المتحدي، وإعجازاً له، وزيادة لإيمان المؤمن، ولذا فإن أعلى الناس إيماناً هم أكثر الناس علماً، وثمة آية في القرآن تقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾

[فاطر: ٢٧ - ٢٨].

وفي سورة الحج كما في غيرها آيات تتحدث عن الحقائق العلمية في هذا الوجود فتأملها ﴿أَلَمْ

تَـرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ

يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج: ٦٣ - ٧٢].

شهادة من عالم فرنسي

**أستاذ فيفا**: اعذرنا فهذا كلام مقنع لكنه لا يزال كلاماً عاماً في قضية العلوم التطبيقية، ونحن رجال علم تقني تَرَبَّيْنَا في المختبرات، والتزمنا في حياتنا بلغة البحث المخبري والمَجَاهِرِ والأرقام.

**أبو حامد**: معذرة، هذا ليس كلاماً عاماً، ولا هو من فضول الكلام إنما هو كلام علمي دقيق، ولذا فسوف أنقل لك كلام مَنْ لا تشك في مكانته العلمية - عالم من فرنسا - اسمه «**موريس بوكاي**» يقول: «لقد تناولت القرآن منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية، ولقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر.

لقد أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها، والتي لم يكن

ممكناً لأي إنسان في عصر محمد - عليه الصلاة والسلام - أن يُكوّن عنها أدنى فكرة.

إن أول ما يثير الدهشة في رُوح مَنْ يواجه مثل هذا النص أول مرة، هو ثراء الموضوعات المعالجة.

فهناك الخلق.

وعلم الفلك.

وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض.

وعالم الحيوان.

وعالم النبات.

والتناسل الإنساني.

وفي حين نجد أن في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ.

وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنساناً، فكيف استطاع في القرن السابع من

العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق مع المعارف العلمية الحديثة؟

ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم، هو فعلًا النص الأول نفسه.

فما التعليل الذي يمكن أن نعطيه لتلك الملاحظة»[١] اهـ.

أستاذ فيفا: مع احترامي الكبير للعالم الكبير «موريس بوكاي» إلا أنني ما زلت أريد أمثلة علمية محددة من القرآن؟

أبوحامد: سوف أذكر لك العديد من الأمثلة مع حرصي على التنويع لكن لا أريد الإطالة عليكم، وعليك أن تعرف أن ما لم يكتشفه العلماء في القرآن في مختلف العلوم لا يمكن إحصاؤه وهو في كل عصر يفيض بالجديد.

سوف أذكر لكم شخصية علمية لا ينازع فيها

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم د. موريس بوكاي ص١٥١ . طبعة مكتبة مدبولي.

أحد، يعرفه جيداً أصحاب ميدانه العلمي وهو الدكتور زغلول النجار، أستاذ الجيولوجيا في عدد من الجامعات الغربية والعربية، ومدير معهد «ماركفيلد» للدراسات العليا في المملكة المتحدة[1].

---

(١) الملف العلمي - في هذا البحث - على وجه الخصوص عرضته كاملًا على البرفسور الدكتور عبد اللّه العلي بحكم تخصصه العلمي ومنهجيته في التحقيق والتدقيق، كما أنه أقدر على اكتشاف نقاط الخلل والتوثق لصحة المعلومة من مصادرها، وخصوصاً بعدما وجدت أن أكثر كتب الإعجاز العلمي فيها من التجاوز العلمي ومخالفة منهج التحقيق، والتساهل في إثبات المعلومة، وإعادة المعلومة من مصادرها، وندرة النسبة إلى المصادر الأجنبية، ولهذه النسبة من الأهمية الكثير عند الأجانب إذ كيف تحتج على أناس من مصادر لا يسلمون بها؟
ولم ننقل من المراجع العربية اللهم إلا نادراً كالدكتور زغلول النجار وذلك لشهرته عند الغربيين، وقيام معلوماته على قواعد علمية لا ينازع فيها أحد منهم، ومع هذا لم ننقل عنه إلا القليل مما يوافق القواعد العلمية والتوثيقية التي ذكرنا آنفاً ويناسب الموضوع.

ابتداء الكون في القرآن

**يقول الدكتور زغلول النجار**[1]: [وحينما رأى الفلكيون في الثلث الأول من القرن العشرين ضوء النجوم ينحاز إلى الطيف الآخر!

تساءلوا: هل هذا يعني أن النجوم تتباعد عنا؟ وإذا كانت تتباعد أين دور الجاذبية؟ ودار جدل طويل خلال النصف الأول من القرن العشرين حتى ثبت للعلماء أن الكون الذي نحيا فيه كون دائم الاتساع، وذكروا بأن من صفاته الحالية أنه كون مستمر في الاتساع، ولذلك تتباعد المجرات عنا وعن بعضها البعض بسرعات تقترب أحياناً من سرعة الضوء (ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية تقريباً).

ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يحيط بأطراف هذا الجزء المدرك من الكون أبداً لأنه كلما طور أجهزته، اتسع الكون فيحتاج إلى تطوير أجهزته

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الجزء الأول للدكتور زغلول النجار ص٨٤، تقديم أحمد فراج.

مرة ثانية وهكذا، بينما القرآن قد وصف هذه الحقيقة بدقة بالغة، وذلك في الآية الكريمة التي يقول فيها رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وانظر إلى الصياغة المصدرية الراقية باسم الفاعل ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ التي تشير إلى اتساع الكون منذ نشأته وإلى استمرارية هذا الاتساع إلى وقتنا الراهن، وإلى أن يشاء اللَّه تعالى.

هذا الاتساع دفع العلماء إلى القول الصحيح بأننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلابد وأن تلتقي مادة الكون المنظور في جرم واحد.

فالكون يتسع الآن، وإذا أردنا أن نعرف البداية فلنرجع بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن إلى نقطة البداية حيث ينتهي بنا الأمر إلى الجرم الأول وبه كثافة عالية تجعله في حالة حرجة - ينفجر هذا الجرم ويتحول إلى غلالة من الدخان - وهذا الدخان يخلق منه دوامات تجمع كمًّا من المادة

والطاقة حول مراكز الجاذبية، ويظل هذا الكم من المادة والطاقة في التكدس على ذاته حتى يتشكل بقدرة اللَّه على هيئة أجرام السماء المختلفة.

هذه أكثر النظريات قبولًا الآن عن نشأة الكون، وتسمى «نظرية الانفجار العظيم The - Big Bang Theory» ومما يدعمها اتساع الكون الآن، ومما يدعمها كذلك درجة الحرارة الثابتة على أطراف الجزء المدرك من الكون، والتوزيع الحالي للعناصر المختلفة في صفحة الجزء المدرك من الكون، وتصير الدخان الكوني على أطراف هذا الجزء المدرك.

والقرآن يصف هذه الحقيقة، بقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والرتق في اللغة عكس الفتق، فالرتق هو الجمع والضم والتكديس، وهو وصف دقيق

للحالة التي كان عليها الكون في الجرم الابتدائي الذي سبق عملية الانفجار العظيم، أو هو عملية الرجوع بالاتساع إلى الوراء مع الزمن (مرحلة الرتق).

والفتق هو الانفجار والانتشار والانفصال (مرحلة الفتق وما يتبعها من توسع للكون).

هذه النظرية (نظرية الانفجار الكوني العظيم) التي لا يستطيع العلم التجريبي أن يصعد بها إلى مقام الحقيقة، تبقى عند الحد النظري، ولكن ورود إشارة لها في كتاب اللَّه قبل ألف وأربعمائة سنة يعطي هذا السبق للقرآن الكريم، ويعطي هذه النظرية من الدعم ما يرتقي بها إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب اللَّه، وعلى ذلك فإن كوننا قد بدأ بجرم أولي واحد (مرحلة الرتق) انفجر هذا الجرم (مرحلة الفتق) وتحول إلى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان) والعلماء التجريبيون يقولون: تشكيل من التراب، والقرآن يقول: ﴿ثُمَّ

ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]] اهـ.

وهنا نعود لنتساءل: هل يمكن لرجل من بادية العرب أن يصل إلى هذا الاكتشاف العلمي الهائل قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، ويتحدث بدقة متناهية عن نقطة بداية الكون من عند نفسه؟

المناظير الفلكية في عهد محمد عليه الصلاة والسلام

أريد أن أتساءل: أي المناظير الفلكية كان يملكها محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو في تلك البادية قبل أربعة عشر قرناً من الزمان..؟!

إذن من الذي أخبره عن بداية الكون بهذه الدقة المتناهية والعالم كله لا يعرف عن ذلك شيئاً قبل عام ١٩٢٧، حيث هذه النظرية للعالم البلجيكي «جورج ليماتري» وسماها نظرية تقهقر السدم.

ومن بعده الأمريكي «آدوين هيثل» عام ١٩٢٩ بعده بسنتين، حيث أثبت هذه النظرية، نظرية الانفجار الكوني.

وهل يمكن بعد هذا أن نقول: إن هذا القرآن هو كلام بشر؟

ليس هذا فحسب إنما انظروا إلى الجزء المتبقي من هذا الموضوع وإن شئتم قلتم الجزء المتبقي في هذه الحياة.

كيفية نهاية الكون

**يقول الدكتور زغلول النجار**(١): [والعلماء التجريبيون يقولون إن عملية اتساع الكون هذه إلى الخارج لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية، لأنها محصلة الانفجار الأول، ولما كان معدل اتساع الكون اليوم أبطأ من المعدل الذي بدأ به، فسوف يأتي على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان: القوة الدافعة إلى الخارج بالانفجار، والقوة اللامة إلى الداخل بالجاذبية، ثم مع ضعف القوة الدافعة إلى الخارج تبدأ قوى الجاذبية في تجميع الكون مرة أخرى في جرم واحد مشابه تماماً للجرم الابتدائي الأول الذي ابتدأ منه الخلق - ويسمي

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الجزء الأول للدكتور زغلول النجار ص٤٤، تقديم أحمد فراج.

العلماء المعاصرون هذه النظرية باسم «نظرية الانسحاق الشديد - The Big Crunch Theory».

والقرآن يسبق العلم بألف وأربعمائة سنة، في الإشارة إلى تلك النبوءة العلمية وذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وانظروا إلى روعة التعبير القرآني: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يعني أن عملية خلق الكون ستعيد نفسها تماماً بأمر اللّه تعالى، فسوف يعود الكون في المستقبل الذي لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى إلى جرم عالي الكثافة ثم ينفجر، يتحول إلى غلالة من الدخان، يُخلق من هذا الدخان أرض غير الأرض وسموات غير السموات.

والقرآن الكريم يقرر ذلك بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

تُرى مَنْ كان يجرؤ في ذلك الوقت أن يحدد طريقة خلق الكون..؟!

ثم ماذا عن هذه الدقة في إفناء العالم التي ما عرفها العلم إلا حديثاً..؟

فماذا يمكن أن نسمي مَنْ يُمجِّد هذه الحقيقة العلمية..!] اهـ.

أخفض موقع في الأرض

* ولنرجع الآن إلى سؤال آخر وهو: ما هي أخفض منطقة في الكرة الأرضية على الإطلاق؟

الجواب حسب ما ذكر المسح الجغرافي أن أخفض منطقة هي منطقة فلسطين والبحر الميت.

والسؤال هو: كيف توصل العلماء إلى أن هذه هي أخفض منطقة في الأرض؟

والجواب هو: بعدما عمل العلماء مسحاً وجدوا أن أخفض نقطة في القطب وانخفاضها

(٢٥٥٥) قدم عن سطح البحر لكنها مليئة بالثلج ولذلك لم تحسب، أما أخفض نقطة على وجه الحقيقة فهي نقطة البحر الميت هناك في فلسطين، حيث يصل انخفاضها إلى (٤١٨ متراً) تحت سطح البحر.

وبذلك أثبت العلم أن هذه المنطقة المذكورة في القرآن هي أخفض منطقة على وجه الكرة الأرضية[١].

ويبقى السؤال الأخير: من عمل مسحاً للأرض وأخبر محمداً - عليه الصلاة والسلام - أن فلسطين هي أخفض منطقة في الأرض، فقد جاء في الآية رقم (١ - ٥) من سورة الروم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ

---

(١) المرجع: - Http://en.wikipediaorg/wiki/extretremes - on - eatth.

يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

أحب أن أذكر لكم قصة نزول هذه الآية ذلك أن حرباً كبيرة اشتعلت ما بين أكبر قوتين في العالم آنذاك وهما دولة الفرس ودولة الروم وما كان للمسلمين قوة في وقتها، إنما كانوا ضعافاً، في بداية شأنهم، فهزمت جيوشُ الإمبراطورية الفارسية جيوشَ الأمبراطورية الرومانية سنة ٦١٣ للميلاد، فحزن المسلمون حزناً شديداً لأنهم كانوا يحبون انتصار النصارى بحكم أنهم أهل كتاب مثلهم، والفرس عَبدَةُ نار، بل احتلت الجيوش الفارسية القدس ودمشق ثم مصر بعد سنة ٦١٤، ولا تزال القوات الفارسية في توسع، ثم انقلبت الموازين عليها كما هو الوعد الحق في الآية الكريمة ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

ونعود لنتوقف جيداً: ما قيمة هذه الإشارة العلمية في وسط هذا الحدث العظيم، علماً بأنه

لم يكن عند أولئك أي دليل على أنها أخفض مكان تحت سطح البحر.

إنه جواب واحد، إنه كلام اللّه المعجز لكل العصور وكل العلوم ولا تنقضي عجائبه، بل هذه الومضة وسط هذه الآية تجعل القارئ للقرآن يقظاً وهو يقرأ القرآن علّه يظفر بكلمة مثل هذه تكشف حقائق علمية غائبة ومدخرة لوقتها.

ربما ينكر الرجل **حقيقة علمية وحقيقتين** لكن أن ينكر كل هذه الحقائق، ويحسب أنها أوهام، فهذا يحتاج إلى تغيير كل المقاييس العقلية.

ليس إلا حقيقة واحدة، وهي أن القرآن من عند اللّه، وأن خالق السماوات والأرض هو منزل القرآن.

سبق القرآن الجديد في علم الجبال

* وهاك حقيقة علمية قرآنية أخرى: فبإمكانك أن تسأل الآن عن معتقد العلماء وليس عوام الناس عن الجبال قبل مائة سنة فقط لوجدت أن تعريف الجبال أنها نتوءات فوق سطح الأرض.

أليس كذلك؟

وهنا أقول: استمع لهذه الحقيقة العلمية التي ذكرت في القرآن ثم قرر ما تشاء:

**يقول الدكتور زغلول النجار**[١]: [الوتد: هو كتلة من الخشب أو الحديد أو غيرهما مدببة الطرف تثبت بها أركان الخيمة إلى الأرض سواء كان ذلك تراباً أم صخراً، أغلبها يكون مدفوناً في الأرض وأقلها يكون ظاهراً فوق السطح ووظيفتها التثبيت، وحينما درس العلماء الجبال وجدوا أن امتداداتها أكبر في داخل الأرض من ارتفاعاتها فوق مستوى سطح البحر، ولا نجد وصفاً لذلك أبلغ من لفظة «وتد» التي تصف كلًّا من الشكل الظاهري والامتداد الداخلي والوظيفة، فسبحان اللّه الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة من السنين قوله الحق: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الجزء الأول للدكتور زغلول النجار ص٨٤، تقديم أحمد فراج.

فالجبل وتد حقيقي أقله ظاهر فوق سطح الأرض، وأغلبه مدفون في باطن الأرض، ووظيفته التثبيت، وكون القرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة يصف الجبال بأنها أوتاد فهذا سَبْقٌ علمي مبهر لم يصل إليه العلماء إلا في القرن العشرين، ولا يزال العديد من الناس يجهلونه إلى يومنا هذا.

ففي عام ١٩٩٢م كتبتُ عن الجبال كتاباً نشر في أمريكا، وفي مقدمة الكتاب جمعت التعاريف اللغوية والعلمية المعطاة للجبال في عدد من قواميس اللغة وقواميس العلم ومراجعه باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، فوجدتها كلها تُجْمِعُ على أن الجبال مجرد نتوءات فوق سطح الأرض، يزيد ارتفاعها على ٣١٠ متراً فوق سطح البحر أو فوق ٦١٠ أمتار فوق هذا المنسوب، وكأنه تعبير نسبي يختلف باختلاف تضاريس الأرض، والقرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف

وأربعمائة سنة يقول فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ وهو وصف في غاية البلاغة وفي غاية الاعجاز، لأنه بلفظة واحدة وصف كلًا من الشكل الخارجي والامتداد الداخلي والوظيفة.

ويأتي العلم التجريبي ليؤكد على أن كل ارتفاع فوق سطح اليابسة له امتداد في داخل القشرة يزيد بأضعاف عديدة تتراوح بين (١٠ - ١٥) ضعفاً على هذا الارتفاع فوق سطح الأرض تبعاً لكثافة صخوره، وكثافة الصخور والصهارة المنغرس فيهما، وليست فقط الجبال هي التي تطفو هذا الطفو في نطاق الضعف الأرضي، بل إن القارات أيضاً غائصة في هذه الصهارة كنوع من أنواع التثبيت، والجبال وسيلة رائعة لتثبيت كتل القارات وجعلها صالحة للعمران، كما أنها وسيلة رائعة لتثبيت الأرض في دورانها حول محورها أمام الشمس، وهي تترنح في حركات عديدة أهمها حركة الميسان (النودان أو التذبذب).

والقرآن الكريم يتحدث في أكثر من عشر آيات عن إرساء الأرض بالجبال يقول تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢-٣٣].

ويقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرعد: ٣].

ويقول: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

ويقول عزَّ من قائل: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [لقمان: ١٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

ويقول تبارك اسمه: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٧]] اهـ.

القرآن وجلد الإنسان

* منذ فترة قريبة أظهر التشريح الدقيق لجسم الإنسان أن هناك مستقبِلات عصبية متخصصة، بعضها للألم وبعضها للضغط وبعضها للمس، وهذه المستقبلات دقيقة جداً ولا تُرى بالعين المجردة بل تحتاج لصبغات خاصة تحت الميكروسكوب، وفي القرن العشرين علمنا بأن مستقبلات الحرارة موجودة في الجلد فقط، ولا وجود لها في العضلات أو العظام، فالحروق ليست مؤلمة إذا تجاوزت طبقة الجلد، وهذا ما

نصت عليه سورة النساء في الآية رقم ٥٦ صراحةً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ .

صراحة النص الواضحة أن الجلد إذا نضج لم يعد صالحاً للقيام بوظيفته ومنها الإحساس بألم الحروق فيبدل اللّه له الجلد ليذوق العذاب.

وأسلوب التشخيص اليوم يعتمد على أن الإحساس بألم وخزة دبوس يعني بقاء هذا الجزء من الجلد المحترق سليماً ولم ينته بعد لأن الجلد المحترق تماماً لا إحساس بالألم فيه، فأين الفحوصات المخبرية التي أجريت في ذلك الزمان على جلد الإنسان؟

هل ثمة من احتمال غير أن هذا القرآن من عند اللّه وأن منزل القرآن هو خالق الإنسان؟!

القرآن والغلاف الجوي

* وإعجاز آخر ففي أواخر القرن التاسع عشر وبعد اختراع البالون والمنطاد للطيران في الهواء

علمنا بأن الضغط ينخفض كلما ارتفعنا في الجو وهذا بدوره يؤثر سلباً على دخول الهواء للرئتين، فإذا ما زاد الارتفاع نقص الهواء الداخل للرئتين نتيجة انخفاض الضغط حتى يصل الارتفاع إلى مستوى حرج عند ٣٠ ألف قدم يشعر معه المرء بالاختناق، لذلك تم تصنيع الطائرات المعزولة بشكل محكم للحفاظ على الضغط بداخلها لسلامة الركاب وأمكن الارتفاع إلى أربعين وخمسين ألف قدم ثم الطيران في الفضاء الخارجي. هذا المعنى أشارت له بوضوح الآية (١٢٥) من سورة الأنعام في قوله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

ترى هل أحد من أهل بادية العرب صعد إلى السماء وقاس الضغط الجوي..؟!

أعطوني أي احتمال غير أن منزل هذا القرآن هو اللَّه.

ثم هل ترون محمداً - عليه الصلاة والسلام - قادراً على إبداع مثل هذه الاستكشافات العلمية والحقائق الرهيبة وهو الأمي الذي لم يمسك قلماً في حياته..؟!

فسروا لي باللَّه عليكم..؟

ألا ترون أن اللَّه حين أنزل القرآن جعل فيه من العلم الجديد كالشهود لأهل ذاك الزمان، كما جعل فيه جديداً لزماننا، وهكذا جعله للأزمنة القادمة... شهوداً من نوع يناسب حياة كل مرحلة من غير أن يخالف الحقيقة التي لا ينسفها الزمن، فهذا ما جاء نصه في القرآن لكل قارئ وكل عصرٍ إلى يوم القيامة، ففي سورة فصلت في آية رقم ٥٣ في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

القرآن وعلم العنكبوت

**وآية أُخرى في الإعجاز** تذهل لها العقول تلك هي الآية الواردة في بيوت العنكبوت.

فقد جاء في مجلة العلوم الأمريكية «أما خيط العنكبوت المشدود، فإنه ينهار عادة بسبب صدع مما يتسبب في شقه بسرعة متزايدة وعمق مطرد داخل مادته، وتعد كل شائبة مهما صغرت أمراً في غاية الخطورة على نسيجه لأنه في حالة توتر، وما أسهل أن يتمزق خيط العنكبوت تماماً مثل شريط القماش أو المطاط بعد تعرضه للحز والثلم»[1].

والغريب أن هذا الضعف في بيت العنكبوت المذكور في القرآن ليس مقتصراً على ضعف هَيْكَلَةِ بُنيانِ البيت العنكبوتي، إنما يسري إلى النظام الأسري في بيت العنكبوت، فلقد نشرت نفس المجلة بأن ليلة عرس العنكبوت وتكوين الأسرة هي ليلة من الإجرام الفظيع، حيث تتقاتل

---

(١) العلوم الأمريكية مارس/أبريل ١٩٩٣م فريتز فوللرات أستاذ علم الحيوان في بازل وأكسفورد وبنما (بحث: شباك العناكب وحريرها).

مجامع الذكور على تلقيح الأنثى وبعدما يقتل جميع الذكور الموجودين في تلك الساحة يخرج المنتصر فيلقح الأنثى، فيستغرق في تلقيحها ساعة بأكملها، وبعدما ينتهي رب الأسرة من هذا المتاع تقوم الأنثى فتعلوه وتغرس يديها السامَّتين في بدنه، وتضغط عليه ولا تتركه إلا إذا فارق الحياة. . !

هذه الحقائق عن بناء بيوت العنكبوت التي تبدو من خارجها محكمة ولكنها في حقيقتها أَوْهَى ما تكون، من الذي درسها آنذاك؟ ومن أخبر محمداً - عليه الصلاة والسلام - بهذا؟

وإذا كان أحدٌ أخبر محمداً - عليه الصلاة والسلام - بهذا أو أنه توقع ذلك توقعاً فمن دَرسَ الحياة الأسرية للعنكبوت وعرف أنها أَوْهى ما يكون فيها النظام الأسري؟

هل من تفسيرٍ غير أن الذي خلقها هو الذي وصفها لمحمد - عليه الصلاة والسلام -؟

وهل من تفسير غير أن هذا القرآن من عند اللَّه وأن هـذا الـرسـول رسـول الـلَّه - عـليـه الـصـلاة والسلام -؟

أستاذ فيفا : لن أقول لك ذلك ولكني سوف أقول أعطني النص الصحيح الصريح الذي لا لبس فيه مما يثبت أن القرآن ذكر هذه الحقيقة عن العناكب قبل أن تنشره مجلة العلوم الأمريكية سنة ١٩٩٣م.

أبوحامد. تلك الآية في سورة اسمها سورة العنكبوت، والآية رقم ٤١ : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

أرجوك أعد قراءة الآية متأملًا واذكر ما فيها مع المعلومات السابقة عن العنكبوت.

أستاذ فيفا : فلِمَ مرَّ كل هذا الوقت علينا وعلى الناس من قَبْلنا ولم يكتشف هذا العلم إلا بعد اكتشافها مخبرياً..؟!

أبو حامد: هذا السؤال أدعى لأن تبني عليه الإيمان بوحدانية اللّه وأن هذا القرآن من عند اللّه قطعاً. . (أليس من الإعجاز البليغ أن يرسل لك رجلٌ رسالة ويقول لك هي سهلة في غاية السهولة فاقرأها فإنك كلما قرأتها سوف تستفيد منها الجديد. . . فتقرؤها أنت فتستفيد في كل مرة، ويقرؤها أهل بيتك ومُحِبُّوك، وكل أحدٍ يستفيدون، ومن أصيب بمصيبة فقرأها استفاد، ومن جاءته نعمة فقرأها استفاد، ومن واجه خطراً وقرأها استفاد وهكذا، ما من أحد إلا يستفيد منها مهما كان ظَرْفه، ولم تزل هذه الرسالة تفيض عليه بالمعاني والأخبار، حتى يموت الجيل الأول من الأسرة وتبقى الرسالة إرثاً لذرياتهم ينظرون فيها ويتعجبون ويقولون: ياللّه ما أوسع علم هذا المرسل لأسرتي! كم نفع أجيال أهلنا السابقين، وكم نفعنا، وكم بقي فيه من نفع للأجيال القادمة؟!

هذه رسالة واحدة لأسرة واحدة، فكيف بقرآن كامل عدد سوره مائة وأربع عشرة سورة، وعدد آياته ٦٢٣٦ ، وعدد كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون.

لا يزال الملايين من الأفراد، والأسر، والمجتمعات، والأمم منذ ألف وأربعمائة سنة يقرأونه ولا يزالون، لم يجدوا ولن يجدوا فيه خللًا واحداً).

وليس هذا فحسب، إنما العجب العجاب هو أنهم يقرؤونه، ويمرون على تلك الكنوز العلمية ملايين المرات ولا يكتشفونها ولا يرونها.. حتى يأتي عالم أو عالمة من العلماء فيعثر على هذه الفائدة في قاعات البحث والمختبرات، ويظن هذا العالم أو هذهِ العالمة أنه أول من اكتشفها، وفجأة يلتفت أحد القراء إلى القرآن فيرى ذلك الاكتشاف الذي أبهر ذاك العالِم والعالَم معه قد ذكره القرآن الكريم في سورة كذا في الآية كذا... بكل دقة

في عبارة واحدة. . . فيقول: يا اللَّه كم قرأنا هذه الآية؟ أين كانت عيوننا؟ أين كانت كل العيون التى قرأتها من قبل؟!

ويتكرر هذا الاكتشاف مع الناس مراراً وتكراراً.

بل الأعجب من هذا هو أننا ما زلنا نمر الآن على مثل هذه الاكتشافات العلمية ونقرؤها ليلًا ونهاراً، لكننا لا ندركها على حقيقتها، نعم إننا نفهم آياتها فهماً مستقيماً، لكن الفهم الخاص لأهل الاختصاص شيء آخر. . !

هذا ما يحصل معنا، وهو ما حصل مع الذين من قبلنا.

أليس هذا إعجازاً. .؟!

أليس في هذا دعوة للعلماء والباحثين أن يقرءوا القرآن قراءة خاصة، فلسان العقل يهتف بهم بإلحاح: أيعقل أن يقضي الباحث حياته في البحث وراء اكتشاف علمي واحد ينفع به نفسه

والناس، ثم يجد كنز الاكتشافات العلمية فيتركه إلى صحراء المجهول، وربما يموت ولا يدرك شيئاً، ويموت وقد أضاع نفسه حين أضاع فرصته الكبرى..؟!

لا تحسب أن هذه مجرد استنتاجات ألصقت في الآيات... لا! بل هو وعد قد وعد اللّه به في القرآن، وها هم العلماء يرونه يتحقق بين فترة وأخرى كما مرّ معنا هذا الوعد ففي سورة فصلت، في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٥٣].

أستاذ علم الفلك: أخي أعترف لك، أن المنطق الذي تحدثنا به يجمع ما بين الإقناع والتجديد، ولكن أقول لك وبكل صراحة، إننا ما ودّعنا التخلف الذي عاشه آباؤنا في العصور الوسطى إلا بترك التمسك بالتوراة والإنجيل، وهل كانت الثورة العلمية في حقيقتها إلا ثورة

على استعباد الكنيسة المتمثل في رجال الدين الداعين إلى الاستمساك بالتوراة والإنجيل، والحكام الإقطاعيين؟ والاثنان قد جمعا طرفي الاستعباد، هؤلاء استعبدوا عقول الناس، وأولئك استعبدوا أبدان الناس!

والحقيقة أننا وإن كنا لا نستطيع مخالفتك في كثير مما تقول، فإن ذكر تعاليم القساوسة والرهبان المقتبسة من التوراة والإنجيل تجعلنا ننفر من أي حسٍّ ديني، ومن أي لغة دينية، ومن أي شعور ديني بغضِّ النظر عن هذا الدين أو ذاك.

إن عودة اللغة الدينية اليوم يعني تطليق هذه الحضارة العلمية الحديثة التي قامت ثورتها أول ما قامت في بلادنا «فرنسا»، فكيف نقبل العودة إليها بعد أن أنقذنا أنفسنا منها، وقد كان شعار الثورة آنذاك - كما تعلم -: (اشنقوا آخر قسيس بأمعاء آخر ملك)..!

أبو حامد: يا أستاذ أنا أُقدِّر سبب الحُرْقة التي

بقيت في قلوب أجيال الحضارة الحديثة مما فعله الملوك والإقطاعيون بموجب فتاوى البابوات والقساوسة بآبائهم الأولين.

ولكن بودي أن أعيد النقاش إلى محوره الأساس، أعيده من تحويله حواراً دينياً إلى المحور الذي اتفقنا عليه أولًا، ألا وهو: «العقل».

ولذلك فرجائي أن تجيب على سؤالي -عقليًا- وبكل صراحة: أليس من الظلم أن يساوى بين مَنْ كان سبباً في النهضة العلمية الحديثة، وبين عدو تلك النهضة الظالم الجاهل المستبد..؟!

أوليس من الظلم أيضاً أن تساوي بين مَنْ يعينك على عدوك، وبين عدوك الذي ظلمك..؟!

ولعلك تقول لي: هل أعاننا المسلمون على أعدائنا - أعداء العلم -؟

لو رجعت بعدل العالم الأمين - الذي عرفْتكَ به - ودرست تلك الفترة التي ولدتْ فيها

الثورة الأوروبية أول ما ولدت وما قبل ولادتها بخمسين سنة، وتساءلت: أي حضارة علمية تجريبية كانت على وجه الأرض أكبر من الحضارة الإسلامية، لوجدت أن الجواب الذي لا جواب غيره: لا توجد إلا الحضارة الإسلامية، والجهل والظلم معاً يلفان دول العالم لفاً. . . .نعم ربما يوجد أفراد من العلماء هنا وأفراد هناك، أو مدارس هنا وهناك، ولكن لم يكن ثمة وجودٌ لحضارة تنشئ حضارات أخرى كما تنشئ أفراداً، إلا الحضارة الإسلامية!

وزير فرنسي منصف

**يقول الكونت دوزي العالم وأحد وزراء فرنسا السابقين**: «بينما نحن أهل أوروبا تائهون في بيداء الجهالة لا نرى الضوء إلا من سَمِّ الخِيَاطِ، إذ سطع نور قوي مما جاءت به الأمة الإسلامية، تراث فيه علوم وآداب وفلسفة وصناعات وأعمال يدوية، وذلك في الوقت الذي كانت فيه مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر

وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف العامة، ومنها ينتشر النور فيما حولها وما بَعُدَ عنها من أمم، وكان يغترف منه أهلنا أهل أوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون عدة مما أقاموا عليه أساس حضارتنا التي أصلها اقتباس من شرائع الإسلام وحضارة المسلمين»[١].

أما ما نَهَلَهُ ونقله الأوربيون في الحروب الصليبية عن العالم الإسلامي والعربي فذلك كثير وهذا قليل من ذلك الكثير، يقول فيه أحد المؤرخين:

«ذلك أنه عن طريق الحروب الصليبية حصل اتصال مباشر بين المسلمين وبين الصليبيين الأوروبيين، لحَظَ الأوروبيون خلال هذا الاتصال حضارة راقية لا عهد لهم بمثلها، ولاحظوا أيضاً

---

(١) «القرآن يتكلم والإنجيل يثبت ما يقوله دين الحق» . . .

مظاهر هذه الحضارة في شتى مجالات الحياة، ومن ضمنها الإنجازات العلمية، فقاموا بنقل وترجمة وتقليد ما رأوه، فمن ذلك أن فريدريك (١١٩٤- ١٢٥٠ م) ملك صقلية قد أخذ فكرة المدارس النظامية، والتي شاهد المدارس الكثيرة المتفرعة عنها في لبنان، وأسس بمدينة نابولي أول جامعة للدولة، وذلك الذي تجول كثيراً في المشرق الإسلامي خلال الحروب الصليبية «أديلارد الباشي» والذي يقول في الحث على اتباع **العقل** ونبذ سلطة فلاسفة اليونان والتي كانت سائدة لدى الأوروبيين في جيله: «هل من أحد غيري تعلّم على يد المعلمين العرب سلوك درب **العقل**، فعليك من جهتك أن لا تعميك عماية السلطة، إذ لو فعلت فكأنك قد رُبطت بِرَسن» ويقول في موضع آخر: «**تعلمت من أستاذي العربي أن أَزِنَ الأشياء بميزان العقل... فإذا أردتَ أن تناقشني فناقشني بالعقل وحده**».

ومن ضمن الكتب التي ترجمت خلال هذا الاحتكاك الذي حصل بين المسلمين والأوروبيين في الحروب الصليبية، كتاب «كامل الصناعة» لعلي بن عباس حيث قام بترجمته إسطفان البيزي عام ١١٢٧م وكذلك ترجم أكسيويوس عام ١٢٠٠م كتاب جالينوس في قوى الأطعمة عن النسخة العربية التي كان قد ترجمها حبيش ابن أخت حنين بن إسحق.

وأخيراً نشير إلى تأثر حضاري كبير قد انتقل من المسلمين إلى الأوروبيين عن طريق الحروب الصليبية وهو «المستشفيات»، وذلك أن الأوروبيين قد اطلعوا خلال تجوالهم في بلاد الإسلام، على الرعاية الطبية للمرضى وعلى المستشفيات ونظمها ونقلوا بالتالي فكرتها إلى أوروبا»[١].

---

(١) الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية ص٢٧١ للدكتور يوسف محمود. جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا.

وماذا يحفظ التاريخ للأجيال عن مركز العلم والنور في أوروبا الذي اسمه «قرطبة» في وقت كان يعم أوروبا الظلم والظلام. . . ؟

وما شهادة التاريخ العلمية التي حملتها مدينة صقلية، والتي من خلالها شاع العلم في أوروبا بخافيةٍ على أحد.

كما يعلم الجميع أن مركز الإشعاع العلمي هو الشرق، بحكم وجود الحضارة الإسلامية فيه، فقد كانت البعوث الرسمية وغير الرسمية تأتي بلاد الشرق لتنهل من العلوم مجاناً من غير أي تكاليف، ولذا كان الكثير من هؤلاء يسمون: «المستشرقين»، لكن قِبْلَة العلم الأكبر بالنسبة لكم كانت في «الأندلس» التي تسمونها الآن «أسبانيا»، و أسبانيا هذه أصبحت مركزاً للإشعاع الحضاري، وباعثة للعلم من الموات في ظلام الجهل والظلم الذي عمَّ أوروبا، ويعدُّ هذا المركز ذا تأثير فعال وعميق في نقل وترجمة العلوم العربية الإسلامية

دور أسبانيا

إلى اللاتينية يفوق تأثير سائر المراكز، ويعود ذلك إلى أسباب عديدة أهمها:

١- أن الأندلس ثرية بالتراث العلمي العربي الإسلامي، فهي تحوي الكنوز العلمية للحضارة الإسلامية في المغرب.

٢- أن فترة اتصال الأوروبيين بالمسلمين عن طريق الأندلس دامت أكثر من فترات الاتصال عبر المراكز الأخرى.

٣- التسامح الذي كان يتحلى به الخلفاء الأمويون وسائر حكام الأندلس تجاه العلماء من شتى الأجناس والأديان، الأمر الذي شجع قدوم طالبي العلم من شتى أنحاء أوروبا إلى الأندلس، ومن هؤلاء كان جربرت (٩٣٠ -١٠٠٣م) والذي تقلد البابوية باسم سيلفيستر الثاني، والذي قام برحلة إلى الأندلس بين عامي ٩٦٠م و٩٦٧م، وكان تأثره بالعلوم العربية الإسلامية التي وجدها هناك عميقاً وخاصة في الرياضيات، وقد قام

البابا سيلفيستر

جربرت بإنشاء مدرستين: في إشبيلية وفي نيس الفرنسية، حيث اهتم بتدريس الطب واللغة العربية، ويرجع إلى جربرت فضل نشر الأرقام العربية باستثناء الصفر في أوروبا، وكذلك فقد غادر جيرارد الكريموني (١١١٤- ١١٨٧م) بلده إيطاليا عام ١١٦٧م إلى طليطلة وبقي فيها حتى وفاته، وكان دافعهُ للسفر الاطلاع على كتاب «المجسطي» لبطليموس (باللغة العربية لعدم توفر الأصل الإغريقي)، إلا أنه عندما لحظ ثراء المكتبة العلمية في طليطلة تعلم اللغة العربية وبقي يعمل في الترجمة طيلة عمره، ومن أشهر الكتب التي ترجمها: «المجسطي» لبطليموس، و«الجبر» للخوارزمي، وكتاب «ميزان الذهب» لثابت ابن قرة، وكتاب «المنصوري للرازي» وكتاب «الأسس» لإقليدس، وعدة كتب لأرسطو وأرخميدس وأبولونيوس والكندي والفرغاني وبني موسى والزهراوي وغيرهم، ويعد جيرارد أشهر

جيرارد.. أعظم المترجمين

المترجمين في أوروبا آنذاك، حتى لقد قيل بأنه ترجم من اللغة العربية إلى اللاتينية أكثر مما ترجم مَنْ سواه مِنَ العلماء مجتمعين.

أما أفلاطون التيفولي فقد عاش في برشلونه حوالي اثني عشر عاماً من ١١٣٤م وحتى ١١٤٥م حيث ترجم «كتاباً فلكياً للبتاني» وعدة كتب رياضية أخرى، وقد استمرت طليطلة مركزاً حتى بعد سقوطها من المسلمين وبلغت ذروة نشاطها في الترجمة في زمن ألفولس الحكيم الذي امتدت فترة حكمه من ١٢٥٢م وحتى ١٢٨٤م، ومن المترجمين الذين نقلوا كتباً علمية إلى اللغة اللاتينية: يوحنا الإشبيلي وروبرت الشستري ودانيال المورلي[١].

**يا أستاذ علم الفلك**: يكفيك أن تذهب إلى

---

(١) الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية ص٢٧٢ للدكتور يوسف محمود. جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا قد اعتمدنا هذا الكتاب لأنه مرجع علمي محكّم ومعتمد من قبل جامعة متخصصة معترف بها دولياً.

باريس وترى شموخ ابن سينا والرازي في كلية الطب هناك في شارع القديس، حيث يمر أمام تمثاله جميع طلبة كلية الطب كما يقول موريس بوكاي.

لكن لو رجعت وسألت نفسك سؤالًا محدداً: لماذا أصبحت أسبانيا تحديداً من دون دول الغرب كلها، مركز إشعاع على الغرب كله..؟!

ولو سألت نفسك سؤالًا ثانياً محدداً لماذا كان العرب مركزاً علمياً حضارياً اتسع علمه بعد مجيء الإسلام ولم يكونوا كذلك من قبل..لم يكن أمامك إلا جواباً واحداً محدداً وهو أن الأندلس الوحيدة التي كانت تتمتع بالحكم الإسلامي.

لقد كان التحول الكبير الذي حققه المسلمون في صقلية الغربية هو التحول في طرائق البحث.. حتى فكرة الجامعات فقد كانت فكرة عربية إسلامية انتقلت إلى الأوربيين:

يقول المؤرخ «لعل أَخْذ الأوربيين للطريقة

العلمية في البحث هو أهم التأثيرات العلمية للحضارة الإسلامية على الأوروبيين، ولرؤية مدى تأثير المسلمين في هذا الأمر من الضروري أن نعلم أن الكنيسة في أوروبا قد تبنت الفلسفة اليونانية، في القرن الرابع للميلاد، وضمتها لتعاليمها الدينية وذلك على يد «أوجستين»، ونظراً للسلطة التي كانت تتمتع بها الكنيسة، فإن فلسفة اليونان - وما تعنيه من البعد عن التجريب - أصبحت هي السائدة بين فلاسفة أوروبا «وعلمائها» حتى وقت اتصال الأوروبيين بالمسلمين، فعلى سبيل المثال فبينما نجد أن الفيلسوف أريجينا، المولود في أيرلندا في القرن التاسع للميلاد، والذي يعتبر من أعظم فلاسفة أوروبا في تلك الفترة كان يعتقد أن العقل هو الحقيقة الوحيدة النهائية وأن الإحساسات الجسمانية ليست إلا مجرد أوهام. ونجد «بيرنجر» (٩٩٨ - ١٠٨٨) و«أنسلم» (١٠٣٣ -

١١٠١) يبالغان في أهمية العقل دون ذكر للحواس والتجريب نجد دانيال المورلي يغادر مدينة باريس ضائقاً بالجدل المنطقي، عام ١١٨٠م تقريباً يذهب إلى مدينة توليدو ليستمع إلى فلاسفة العالم الأكثر حكمة، وقد سمع دانيال المحاضرات التي كان يلقيها جيرارد الكريموني ورجع إلى إنجلترا ومعه ترجمة الكثير من كتب المسلمين، بالإضافة إلى ذلك نجد روجر بيكون (١٢١٤ -١٢١٩) والذي درس مؤلفات ابن الهيثم، يركز على أهمية الجانب التجريبي في العلم، ويزدري لب الشهرة والجوائز التي قد تعوقه من مواصلة بحوثه التجريبية العظيمة، وتجد أيضاً أن ليونادرو دافنشي في القرن الخامس عشر الميلادي يعتقد اعتقاداً تاماً في الطرق التجريبية، بينما يضيق بالجو العقلي في بيئته التي كانت تقدس العلوم اليونانية واللاتينية، والمعتقدات المسيحية المقترنة بالفلسفة الأفلاطونية،

ليونادرو دافنشي

وبخصوص ذلك يقول: «لا أفهم كيف أستشهد كما يفعلون بأقوال العلماء، وأفضل كثيراً الاعتماد على التجربة، إذ هي مُعلِّم المعلمين».

وبخصوص رفض السلطة العقلية لفلاسفة اليونان سبق وذكرنا اقتباساً من أديلارد الباثي وحثه على ترك السلطة واتباع العقل، ورأينا تقريره في أنه تعلم ذلك من أستاذه العربي، وكذلك فقد هاجم جون بكهام (١٢٣٠- ١٢٩٢) كثيراً من آراء توماس الأكويني، وألف رسالة في المناظر وقرر أن مصادره الأساسية كانت كتب ابن الهيثم، وسأذكر قولًا لروجر بيكون يبين أهمية العلوم العربية الإسلامية آنذاك حيث يقرر: (إني لأعجب ممن يريد أن يبحث في المعرفة وهو لا يعرف العربية).

روجر بيكون

ولذلك لا غرابة أن يقرر لويس برنار قائلًا: «بأن أوروبا تعلمت من العرب طريقة جديدة للبحث وضعت العقل فوق السلطة ونادت

بوجوب البحث المستقل والتجربة»، وكذلك لا نستغرب قول بريفولت: (فإن تأثير المسلمين أخطر وأوضح في الروح العلمية وفي الدراسات التي تحتاج إلى التجارب لإثباتها... والدراسات العلمية انبثقت عن مدنية المسلمين بلا شك..)(١).

أستاذ علم الفلك: هذا الذي تتحدث عنه أنا أعرفه وأعرف الكثير غيره بحكم تخصصي، ولكن تعليل هذا يسمى «ثورة داخل الثورة» فهذه الثورة العلمية داخل الحضارة الإسلامية هي المولود غير الشرعي لأبوين شرعيين، فلا شك أن الحضارة الإسلامية كانت حضارة عملاقة لا ينافسها في تلك الفترة أي حضارة أخرى على هذه الأرض، وأنها ابتلعت حضارات كثيرة، وضمتها تحت دفء جناحيها، كالحضارة الفارسية

---

(١) الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية للدكتور يوسف محمد ص٢٧٥ .

والحضارة الهندية والرومانية وغيرها، وبقيت تتغذى منها، وتغذيها أفراخها حتى نشأ من علم تلك الحضارات ما نشأ من ثورة علمية داخل الحضارة الإسلامية على غير رغبة من الحضارة الإسلامية نفسها، فجئتم أنتم اليوم وأخذتم تنسبون هذا النتاج غير الشرعي للحضارة الإسلامية، بل للإسلام نفسه.

**أبو حامد**: اعذرني إذا قلت لك بكل واقعية أني لن أُعير هذا الهجوم أي اهتمام، لا لعجز عن الإجابة ولكن لأنه صادر عن معاناة سلبية راسخة الجذور وكانت هذه المعاناة ناتجة من أعماق العصور الوسطى المظلمة الظالمة في أعماق بعض النفوس حتى هذا العصر.. فأنا لا أريد أن أنكأ جراحك!

ولكن بما أنك أثرته فلا بد من إيضاح خشية أن يبقى الأمر في نفسك على ما هو عليه وأنت لا تدري. بودي أن أذكر بأن الجهل الذي عمّ

الجزيرة العربية قبل بعثة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - كان جهلًا أعمق من جهل أوروبا من حيث البعد عن العلوم النظرية والعلمية، وإن لم يصحب ذلك الجهل ظلم كظلم أوروبا، لكن ثمة استعباد للجزيرة العربية نفسها من قِبَل الدول والممالك المجاورة لها، فَقِسْمٌ منها واقعٌ تحت حكم أو تحكم الفرس المجوس، وقسم منها واقع تحت حكم أو تحكم الروم النصارى، أما قيمة العقل البشري في واقع الجزيرة العربية فلك أن تتصور قيمته حين ترى أحد عمالقة الإسلام والصاحب الثاني للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - واسمه عمر بن الخطاب بعدما أصبح خليفة للمسلمين وبينما هو جالس مع خاصته يضحك ثم يبكي! فسأله بعضهم عن سبب ذلك فقال: «تذكرت يوم كنا في الجاهلية... كنا نصنع إلهنا من التمر - الحلوى - فإذا جاع أحدنا أكله، فذلك الذي أضحكني وأبكاني».

ويكفيك أن تعرف اسم تلك الفترة ووصْفها في القرآن وفي كلام النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، إن اسمها: (الجاهلية)! فهل يعرف الأخوة الحضور معنى الجاهلية...؟ إنها مأخوذة في اللغة من مادة: «الجهل» وهو عكس «العلم»..!

فهل من وصفٍ يستقبحه الإسلام أكثر من وصفٍ يجعله المقابل للإسلام مقابلةَ النقيض للنقيض؟!

ولذا كان المنطق يقول: إنّكَ إذا قلت: «الجاهلية» قابلتها بـ: «العلمية» وإذا قلت الإسلام قابلته بالكفر والشرك، لكن الذي أصبح يقابل الجاهلية هو الإسلام، فكأن الإسلام والعلم شيء واحد، وكأن الشرك والجاهلية شيء واحد، أَوَ ليس من أسماء اللَّه تعالى التي عرّفنا الإسلام بها أنه «العليم، والعلام، والخبير»، وهكذا فإن للَّه تسعة وتسعين اسماً ليس فيها اسم واحد يدل على الجهل.

- يا أيها الأستاذ المحترم - لك أن تعلم أن أول كلمة نزلت على النبي -عليه الصلاة والسلام- في الغار كانت «**اقرأ باسم ربك الذي خلق**»، فإذا أعدت النظر إلى اسم تلك السورة وجدته مركز الاكتشافات العلمية الحديثة، ومحورها، وأهمها على الإطلاق، إنه «**العلق**»! في وقت لا يعرف العالم كله هذا الاسم، ولا يعرف معناه العلمي، ولا الطبي، فضلًا أن يعرف مغزاه.

فمركز هذا الكون هو الإنسان، وأول ما يجب أن يعرفه الإنسان هو نفسه، ومن المعلوم أن هذه المرحلة - مرحلة العلق - هي المرحلة الأولى لتكوين الإنسان، باجتماع الحيوان المنوي للرجل ببويضة المرأة وامتزاجهما وتحولهما إلى شيء آخر يعلق في جدار الرحم، ولذا سمي «**العلق**»، فما قبل هذه المرحلة لم يكن شيئاً، بل كانت مرحلة «**النطفة**» وما بعد هذه المرحلة كان تبعاً لها. . . هذه هي القاعدة العامة، ليس في عالم الإنسان فحسب، إنما في عالم الأجنة كلها، وكل

الاكتشافات العلمية في عالم الإنسان أو في العوالم الأخرى على حدٍّ سواء، فمرحلة «العلق» هي بذرة المعرفة الصحيحة للانطلاقة الصحيحة نحو العلم في رحلة أعظم مخلوق حي بين المخلوقات جميعاً، فعنوان البشر كبشر يبدأ من هنا، من «العلق»، وهو عنوان هذه السورة، أول سورة نزلت في القرآن، إنها سورة «العلق».. !

فهل كثير على مثل هذه الحضارة التي كانت هذه انطلاقتها أن تخرج من رحمها هذه الثورة العلمية؟

**وهل كانت هذه الثورة العلمية مولوداً غير شرعي - كما تقول - لحضارة لا تعنى بالعلم؟!**

وإذا كان عند الحضارات الأخرى علوم تغذت عليها الحضارة الإسلامية - كما ذكرت - فإن عند تلك الحضارات من الخرافات والجاهليات، والأساطير أضعاف أضعاف ما عندها من العلوم، فلم أخذت الحضارةُ الإسلامية العلوم وتركت الجاهليات والأساطير؟!

ولم منحت الحضارةُ الإسلامية تلك الشعوب

العلومَ وعلمتها كيف تستخدم عقولها. . . . لو أنها لم تكن حضارة علمية في الأساس؟

وهنا أريد أن أعود لنفس السورة سورة العلق، ولا أريد أن أُطيل في أول كلمة فهذا أمر يطول كثيراً، لكن يكفيك أن تحسن الاستماع جيداً للآيات الخمس الأولى من هذه السورة - سورة العلق - ثم تحكم بنفسك: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

كلمات أول القرآن

يكفيك أن تعلم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، ولهذا حكمة عظيمة ليس هذا أوان بيانها، يكفي أن تعرف منها أن تكون نسبة القرآن مقطوع بها لا ينتابها شك أبداً!.

يكفيك أن تعلم غربة هذه الكلمة على ذاك المجتمع، وغربة من يعرف القراءة والكتابة في ذلك المجتمع، وغربة الكتاب والكُتاب وآلات الكتابة آنذاك.

يكفيك أن تعيد النظر في هذه الآيات الخمس متأملًا تأملًا بعد تأمل، لترى منزلة العلم في هذه الآية، واسمح لي أن أَمُرَّ معك - يا أستاذ الفلك - مروراً سريعاً على كلمات الآية.

الكلمة الأولى: انظر في الكلمة الأولى إنها ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ولا حاجة لي أن أفصل فيها الآن أكثر من قراءتها، فالقراءة أساس العلم، تعلماً وتعليماً.

الكلمة الثانية: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[1]، واسم الشيء هو أول ما يتعلمه كل متعلم في كل علم من العلوم، وأحق ما يُعرف من الأسماء اسم اللَّه سبحانه ولا شيء يقدم عليه... ومن لم يعرف ربه فلم يعرف شيئاً!

وهذا الضابط في العلم ضروري إذ به يتوجه العلم من العلم المختلط إلى العلم النافع.

الكلمة الثالثة: ﴿رَبِّكَ﴾ والرب من التربية،

---

(١) العرب تطلق أحياناً على الكلمة والكلمتين والجملة: «كلمة» كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ وأشهر تفسير لها هو «لا إله إلا اللَّه».

والعلم بغير تربية علم مدمر، وهذا القيد هو من مميزات الحضارة الإسلامية.

الكلمة الرابعة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ والاعتراف بهذه الحقيقة العلمية كان الضربة القاضية على أعظم جاهلية ظهرت على هذه الأرض إنها جاهلية الإلحاد الشيوعي، كما أن فيها إبطال معتقد كل رفع درجة أي مخلوق إلى الخالق هو هبوط بدرجة الخالق بالمخلوق.

الكلمة الخامسة: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ وقد تحدثت عنها.

الكلمة السادسة: ﴿ٱقْرَأْ﴾ تكرارٌ للتأكيد، وهذا يدل على عظمة هذا الأمر خاصة من بين الأوامر الأخرى.

الكلمة السابعة: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ هذا الأمر مرتبط بما قبله و ما قبله هو القراءة، فكأنه النتيجة للاستجابة للأمر السابق فإذا قرأت فسوف ترى كرم ربك، فربك الأكرم.

الكلمة الثامنة: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ لفظ العلم يكفي

ولكن في هذه الكلمة إعادة العلوم بجميع أنواعها إلى مصدرها وهو اللّٰه سبحانه.

الكلمة التاسعة: ﴿بِٱلْقَلَمِ﴾: هذه أعظم وسيلة للعلم منذ فَجْرِ التاريخ، وإن تعددت أشكاله وتغيرت، وستبقى كذلك أيضاً.

[illegible] ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وفي هذا حض عظيم للإنسان على طلب ما لم يعلم.

وحض له على تفجير المعارف والعلوم الجديدة، فالذي علّمه أول مرة يعلمه مرة ثانية وثالثة وهكذا إلى ما لا نهاية.

فإذا كانت هذه الآيات الخمس قد ذكرت العلم، ومصدره، وأمرت بطلبه وكررت الأمر تأكيداً، وحضت على اكتشاف الجديد منه، فماذا بقي..؟!

[illegible] أيكون غريباً على [illegible] إذا كان هذا

وهل كانت هذه النهضة العلمية مولوداً غير شرعي لحضارة شرعية كما ذكر أستاذ علم الفلك؟

وآخر مثل أجيب به على ذلك، ذلك هو أن أول معركة خاضها النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - مع أعدائه تسمى معركة بدر، وبعدما انتصر النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وأسر سبعين أسيراً من أعدائه، وقد كان أسراه من نُخَبِ الجزيرة العربية، جعل فكاك كل أسير من الأسرى بأمر من اثنين، إما الفدية، وإما تعليمُ الأسيرِ الذي يعرف القراءة والكتابة رجلًا من أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - القراءة والكتابة.

فهل سمعت بأحدٍ سبق محمداً - عليه الصلاة والسلام - إلى هذا النوع من الفدية، وقد كان أشد ما يكون حاجة للمال؟

وإن شئت قلت: هل سمعت أحداً قدّم العلم على المال في فكاك الأسرى؟

وفي هذا النوع من الفداء سر عجيب في تحفيز مشترك يثمر ثماراً عجيبة تتحقق في أعظم صورة وفي أقصر وقت، إذ تتوافق الإرادتان: إرادة الأسير المعلِّم على سرعة العطاء، وإرادة المتعلم على سرعة التلقي، وتبلغان غاية الجدية، فالمسلم المتعلم في غاية الجدية ليقرأ، والأسير في غاية الجدية في التعليم ليعجّل في إطلاق سراحه، ولذا كانت النتيجة في غاية الإيجابية وغاية السرعة، وكانت إيجابيتها عامة على الأجيال كلها.

وهنا أعود لأسأل: أيمكن لحضارة تستثمر الحروب استثماراً علمياً يجمع ما بين فكاك الأسير وبين التعليم، وإن شئت قلت ما بين «العلم والرحمة» أو ما بين «العلم والحرية» إلا أن تنتج للبشرية أنفع العلوم البشرية؟

اسم معجزته

ثم لماذا تذهب بعيداً؟ انظر في معجزات الأنبياء العظماء عليهم السلام... حقاً إنها عظيمة

بغير شك، لكن ما رأيك في اسم معجزة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - إنها «القرآن»؟! أما فكرت في هذهِ؟ إنها وحدها كافية.

إن معجزته القراءة... هي مادة العلم العظمى.

وإن من يُعلّم القراءة بإطلاق لا يمكن أن يحصر القراءة على قراءة كتابه هو، بل هي كل قراءة نافعة أو التي تؤدي إلى العلم النافع.

فهل يمكن لحضارة أصبحت معجزتها - القراءة - «مادة العلم العظمى» إلا أن يكون من مواليدها الشرعيين الثورة العلمية العظمى وذلك في تاريخ البشرية كلها منذ أن خلق اللَّه الأرض إلى يوم القيامة وهي ثمرة من ثمراتها؟

وهل يمكن - في حكم العقل - لكتاب مثل هذا وهو يطلب من أصحابه المزيد من قراءته، ويجعل لهم المزيد من الأجر والثواب على ذلك، ويؤكد لهم على نوع خاصٍّ من القراءة وهي

القراءة الواعية المتفكرة، التي لا يستحضر فيها أرواحهم وأنفسهم فحسب، إنما يستحضر فيها كامل عقولهم، لأنهم سوف يزدادون بقراءته علماً، وكلما ازدادوا علماً ازدادوا اقتناعاً عقلياً به، ومِنْ ثَمَّ يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب كما جاء في سورة «ص» قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٢٩].

ومع هذا فإنه ما أمرهم بهذا النوع من القراءة إلا لأن في هذا الكتاب من الأسرار ما يُعجز العالمين عن الإحاطة بها مهما قرؤوه.

كما جاء في آية عظيمة وصف ما في هذا الكتاب من علوم في مَثَلٍ منقطع النظير، ذلك المثل هو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

يا أستاذ: أنا أقول لك لن نصل إلى الحقيقة ما لم نخلص عقولنا من كل الرواسب السابقة،

ونخلع نظارة السواد التي لبسناها من قبل، فإن تصدير الأحكام المسبق هو من أكبر العوائق دون الوصول إلى الحقيقة، وإذا عُذِر عامة الناس بتأثير المجتمع عليهم أو تحكم الرواسب بعقولهم، فكيف يعذر قادة المجتمع العلميون أمثالكم ومن حذا حذوكم من الطلاب والطالبات؟!

**يا أستاذ:** نحن واللَّه لا نخاف من العلم، ولا نخاف من العقل بل العلم والعقل هما من أعظم الأدلة لنا على أن ديننا هو الحق، كما شاهدتم في هذه المجالس، ولذلك نحن لا نخاف الملحدين ومنكري وجود اللَّه و لا نخاف أدلتهم، ولا من شبهاتهم، أما أنتم فلا أدري ماذا تصنعون مع الملحدين لو طلبوا أدلة إثبات أن عيسى موجود؟ وقالوا لكم أين هو؟كيف إذا قالوا لكم -جدلًا-: هاتوا أدلة أن عيسى إله؟

كيف ستصنعون إذا كانت مصادركم كلها محرفة، وأدلتكم كلها مناقضة للعقل؟

إن عقيدتكم المحرفة لا تناسب مستوياتكم العقلية الكبيرة لأنها عقيدة لا تصمد أمام عقول أصغر أصحابها إذا فكروا، فأي انتباهة للعقل تُسقطِ سقف هذهِ العقيدة، فكيف يمكن أن تواجه الشبهات الإلحادية وغيرها؟

أما بالنسبة لنا فقد رأيت بنفسك كيف أن ديننا يعلو أكثر أمام كل شبهة جديدة كما يعلو القائد حين يتكرر انتصاره في كل معركة جديدة... أرجوك لا تفهم هذا تزكية لنا فإن انتصارنا مُشْتَرَكٌ على الباطل، وإن أكبر فرحة لي هي انتصاركم أنتم كذلك إذ ما فائدة الصاحب إذا انتصر هو وهزم صحبهُ؟



أستاذ علم الفلك: حدثني بعض طلاب الجامعة المسلمون أن أستاذ مادة الفلسفة كان ملحد لا يؤمن بوجود اللّه وأنه طرح عليهم شبهه حيّرتهم، ولعلها سوف تسبب لك شيئاً من الحيرة إن لم توقفك مع أنني لا أتمنى عجزك عن

الإجابة على شبهات الملحدين.

هذهِ الشبهة تقول: إن قرآنكم يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾، فمادام على كل شيء يقدر، فهل يقدر ربك أن يربع الدائرة؟ وهل يستطيع أن يصنع حجراً لا يقدر هو على حمله؟

فإن قلت: لا، فقد اعترفتم بعجزه عن تربيع الدائرة وحمل الحجر، وإن قلتم: نعم فقد اعترفتم بعجزه حمل الحجر فماذا تقول أبا حامد؟

أبو حامد: هذا سؤال قديم قد أجاب عليه علماؤنا من قبل، كما أجابوا على أسئلة أكبر من ذلك بكثيرٍ فعلماؤنا قد قالوا منذ زمان بعيد: إن قدرة اللّه - تعالى - لا تتعلق بالمستحيلات، ولم يقولوا إنه لا يقدر على فعل المستحيلات، لأن اللّه - تعالى- قادر على فعل كل شيء، والمستحيل ليس بشيء.

هَبْ أن زيداً من الناس اتهم بحادث سرقة، فجيء بعمرو أمام القاضي ليشهد، فجرى بينه

وبين القاضي الحوار الآتي: -

- ما اسمك؟

- ليس لي من اسم لكن اسمي بطرس.

- هل رأيت هذا الرجل من قبل؟

- نعم رأيته.

- منذ متى؟

- منذ الغد.

- هل رأيته يسرق؟

- رأيته لكني لم أره البتة.

ماذا يفهم القاضي من هذه الأجوبة البطرسية؟ لا شيء. هل عدم فهم القاضي راجع إلى نقصٍ في عقله بحيث إذا جئنا بقاض آخر أذكى منه يستطيع أن يفهم ما لم يفهم هو؟ كلا؛ لماذا؟ لأن عَمْراً لم يقل شيئاً. والفهم إنما يكون لمعنى يدرك، فإذا كان الكلام لا معنى له يدرك فلا يفهم منه شيء. ولذلك كان من الإنصاف لمن لا يفهم

من الكلام المتناقض شيئاً ألَّا تقول إنه لم يفهم؛ لأن هذا قد يوحي بأن هنالك شيئاً يمكن أن يفهم لكنه عَجَزَ عن فهمه، والواقع أنه ليس هنالك ما يفهم. لذلك اختار علماؤنا ذلك التعبير الدقيق فقالوا إن قدرة اللَّه لا تتعلِق بالمحالات العقلية، ولم يقولوا إنه لا يقدر عليها.

والآن انظر في كل الأمثلة التي يُستدل بها على أن مفهوم القدرة على كل شيء مفهوم متناقض. إذا كان المقصود بتربيع الدائرة هو أن تجعل الخطوط التي تكونت منها الدائرة على شكل مربع، فهذا أمر يقدر عليه البشر العاديون، وأما إذا كان المقصود به هو أن تجعل الشيء دائرياً ومربعاً في الوقت نفسه فهذا كلام متناقض، لأن الشيء إذا كان مربعاً فيلزم ألا يكون دائرياً، وإذا كان دائرياً فيلزم ألا يكون مربعاً، فقول القائل: هل يستطيع تربيع الدائرة هو كقوله هل يستطيع أن يوجد مربعاً ولا يوجده؟ وهو كما ترى كلام متناقض.

وهكذا حين نقول إن اللَّه - تعالى - قادر على كل شيء، فيقول لنا هذا المُنكِر لوجوده - تعالى - : هل يستطيع ربكم أن يخلق حجراً لا يستطيع تحريكه؟ وهو يظن أن سؤاله هذا يضطرنا إلى القول بأن اللَّه ليس قادراً على كل شيء، لأنه يظن أننا مضطرون أن نجيب إما بنعم أو بلا، وفي كلا الحالين يتحقق له ما يريد، فإن قلنا نعم يستطيع، قال إذن هنالك شيء لا يستطيعه، فهو ليس قادراً على كل شيء، لكننا لن نجيب بهذا ولا بذاك، بل نقول له إن سؤالك ينطوي على تناقض، فهو أمر مستحيل عقلًا، والمستحيل عقلًا ليس هو في حقيقة الأمر بشيء حتى يقال إنه يقدر عليه أو لا يقدر عليه ؛ لماذا؟ لأن السؤال معناه هل يستطيع القادر على كل شيء أن لا يقدر على بعض الأشياء؟ أو هل يستطيع القادر على كل شيء أن يقدر على أن يحد مع قدرته على كل شيء؟ وكل هذا كما ترى كلام متناقض.

أين احترام العقل في هذه؟

**أستاذ علم الفلك**: أودّ أن أرجع قليلًا فأذكرك بأننا قد ارتضينا العقل حكماً في كل شيء بيننا، فهل يمكن لعقلٍ أن يستوعب هذا المثل المضروب في الآية التي ذكرت قبل قليل؟

إذ كيف يمكن أن تجتمع كل العقول ولا تبلغ ما في القرآن من علوم فضلًا عن هذا المثل الذي ذكر في الآية؟

أين احترام **العقل** في أن يقول للناس: لو أصبحت أشجار الأرض أقلاماً وأصبحت بحار الدنيا حبراً، وكتبت تلك الأقلام بذلك الحبر حتى نفدت البحار كلها ومثلها سبعة أبحر لما نفد علم اللَّه وكلماته؟!

أليس في هذا تعجيز للعقول، وسلب للتفكير منها، إذ ما فائدة النفكير إذا كان الوصول إلى النتيجة محالًا..؟!

**أبو حامد**: **أولًا** أظنك تريد قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ

مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧].

لو أني قلت لك ادخل هذا البيت، ففي هذا البيت مخزن كبير جداً جداً، وفيه أنواع من الكنوز والمجوهرات وكلها مباحة لك فخذ منها ما شئت، فإنك مهما أخذت فذلك لك، ولا تفكر في كمية ما تأخذ، فإن الموجود من الكثرة بمكان بحيث لا ينقص منه شيء، واعلم أن الوقت محدود!

فهل هذا العرض يغريك لمزيد الأخذ دون خوف أو تردد، أم أنه يمنعك من الأخذ؟... والجواب لا شك بأن هذا العرض هو أعظم حافز للأخذ بأقصى ما تستطيع.

فاعلم أن العلم أغلى الكنوز، واعلم أن اللَّه تعالى حين يعرض القرآن بهذهِ الطريقة إنما يستثير العقول لأن تطلق لنفسها كل قواها العقلية مستخرجة ما تشاء منه، وكيف تشاء... فالأمر

أكبر من طاقة عقل واحد! ثمَّ لو فكرتَ في كلمات الآية لما وجدت فيها استنقاصاً للعقل ولا للعلم، فهي بالإضافة لِمَا ذكرت فإنها ذكرت أيضاً أعظم آلات العلم وهي «القلم، والمداد، والكتابة»، فهل في هذا تكريم لهذهِ الوسائل وتشريف لأصحابها، أم فيه تحريم لها ونهي عنها، وذم لها؟ أليس في تكريم الوسائل تكريم للغايات؟

أما ثانياً: فإنك تعلم أنه منذ نزول القرآن حتى يومنا هذا ما نزل كتاب من السماء غير هذا الكتاب، فهذا الكتاب هو الكتاب الأخير الخاتم لكل الكتب، فلا بد أن يكون فيه من العلم ما يستوعب كل الحضارات العلمية القائمة في وقته من بعده وزيادة، ولو لم يكن كذلك لما صلح أن يكون كتاب اللَّه الأخير.

باللَّه عليكِ أهذا موافق للعقل أم مخالف له؟ أم أنك ترضى أن يُنْزِلَ اللَّهُ كتاباً يكون مثالًا

للتخلف، ومضحكة للعلماء!

ومع هذا أودّ أن أؤكد لك بأن موضوع القرآن ليس موضوعاً علمياً فحسب، بل هو تزكية حقيقية للنفس، وليس مجرد مشاعر جياشة، فضلًا أن يكون توهمات نفسية، فإن الذي يقرأ القرآن يجد شيئاً آخر لا يمكن وصفه، شيئاً يداخل روحه.

الراحة عند قراءة الكتب!

أستاذ فيفا: أحسب أن كل الذي تفضلت به - من الراحة النفسية عند قراءة القرآن - هو قاسم مشترك مع التوراة والإنجيل، فإنني كثيراً ما أرجع إلى التوراة والإنجيل إذا أُصبتُ باكتئاب وعندها يذهب عني ما أجد، وأشعر بالراحة التي تشعرون بها عند قراءتكم القرآن - كما ذكرت آنفاً - وهذه شهادة الروح للتوراة والإنجيل التي لا يمكن رد شهادتها.

ولست أنا الوحيد الذي أجد هذه الراحة، إنما يجدها كل النصارى، فما منا من أحد إلا وتجد في بيته إنجيلًا، وهو يقرأ الإنجيل بين الفترة والأخرى.

وأنت ترى بنفسك كيف يهرع بعض رؤسائنا إلى الكنائس أثناء اشتداد الأزمات.

فماذا يطلبون إلا الراحة..؟!

وإنكم لا يمكن أن تنسوا أبداً بأن الإسرائيليين قد جعلوا مع كل رتل يهودي في حرب ١٩٦٧ حَبْراً من أَحْبارِهِمْ، وجعلوا على كل دبابة توراة.. لماذا ذلك؟لولا الراحة..؟!

أبو حامد: ربما يكون سبب هذا الذي تفضلت فيه من حصول الراحة عند قراءتك للتوراة و الإنجيل هو بقاء بعض كلام اللّه فيهما من غير تحريف، كما يعود للخواء الروحي الذي يعيشه الفرد في مجتمعاتكم، حتى أصبح كل من يتكلم في الجانب الديني يلقى قبولًا ولو من بعض الناس، وليس ذلك إلا لأن حاجة الروح للإيمان حاجة فطرية، وجَوْعة الروح جوعة أصلية لا بد أن تُشبع، فإذا أُتي الجائع بما يشبه الطعام هجم عليه ولو لم يكن طعاماً للإنسان، وهذا هو

الحاصل معكم ومع التوراة والإنجيل، لكنكم لو جربتم القرآن - واللّه - فستجدون شيئاً لم تجدوه في حياتكم، وتتذوقون طعماً لم تتذوقوه في حياتكم، ما دمتم تقرؤونه بإنصاف ومن غير نظرة عداء مسبَق، حتى لو لم تكونوا مسلمين.

ربما تظنون أن لغة القرآن هي نفس لغة التوراة والإنجيل. . . لا، هذا الذي أقوله شيء آخر، وحتى في هذهِ النقطة لن أتجاوز العقل إلى حديثٍ إيماني، بل ما من نقطة أذكرها إلا ذكرت تعليلها تعليلًا عقلياً محضاً كي لا أَخرج عما اتفقنا عليه تحت أي ظرف من الظروف، وإليك هذهِ المميزات مع وجود مميزات أخرى لا تعد ولا تحصى، ولكن أذكر هذهِ كإشارة فحسب، بينما الفارق الذي يجده قارئ القرآن ولا يجده قارئ التوراة والإنجيل فارقٌ عظيمٌ ومزايا عظيمة لا تعد ولا تحصى.

مزايا راحة القرآن وأسبابها

وسوف أذكر بعض تلك المزايا مع تعليل كل ميزة تعليلًا عقلياً:

خصائص الراحة عند قراءة القرآن عن غيره

فالميزة الأولى لقراءة القرآن[١]: الثقة مع الراحة: فالراحة التي تشعر بها وأنت تقرأ كتاباً تعلم أنه الكتاب الوحيد - في هذهِ الدنيا - من كلام اللَّه تعالى راحة لا تجدها في غيره.

وقد اتفقتْ كلمة المستشرقين، وعلماء الغرب المحققين، على أن القرآن الكريم محفوظ في السطور والصدور، وأنه لم تحذف منه كلمة، ولم تزد عليه، كما قال «شاخت» عن القرآن وهو المعروف بتحامله على الإسلام: «إنه ليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ» وقوله بعد ذلك: «على الرغم من إمكانية سعي الشيطان لتخليطه»[٢].

---

(١) لم أقطع تواصل المزايا بذكر مداخلات وقعت أثناء الحوار لقصرها، ولأن أكثرها كان مؤيدًا أو مستوضحا.. فجمعته في المزايا دون تقطع خدمة للقارئ والمعاني.

(٢) نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب صفحة٢٨٠- . عن دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، مادة أصول، جوزيف شاخت: صفحة ٢٦٦ .

ومن هؤلاء (السير وليم ميور) في كتابه: «حياة محمد»، وقد عُرف (وليم) هذا بتحامله على الإسلام كذلك، وعلى النبي - عليه الصلاة والسلام -، قال: «لم يمض على وفاة محمد ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة، وقامت طوائف، وقد ذهب عثمان ضحية هذه الفتن، ولا تزال هذه الخلافات قائمة، ولكن القرآن ظل كتاب هذه الطوائف الوحيد، إذ إن اعتماد هذه الطوائف جميعاً على هذا الكتاب تلاوةً، برهانٌ ساطع على أن الكتاب الذي بين أيدينا اليوم، هو الصفحة التي أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها، فلعله هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف ومائتي سنة».

ومنهم [illegible] في تفسير للقرآن قال: «إن القرآن أبعد الصحف القديمة بإطلاق عن الخلط والإلحاق، وأكثرها صحةً وأصالةً».

ومنهم (يامر) مترجم القرآن المعروف إلى اللغة الإنجليزية، جاء في كتابه: «لم يزل نص القرآن كما رتبه عثمان على الصحيفة المتلقاة بالقبول، المعتمد عليها عند المسلمين».

ومنهم (بن جونز) الذي يقول: «إن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شكٌّ إلى أصالته، إنَّ كل حرف نقرؤه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً»(١).

أليس هذا تعليلًا عقلياً واقعياً؟ ومن ثم فإن هذهِ الراحة ليست راحة تمثيلية أو اصطناعية كما يحاول قارئ التوراة والإنجيل استحضارها أو اصطناعها وتكلفها، إنما تنبع هذه الراحة من داخل الروح والعقل، إذ الروح تعرف جيداً كلام ربها، ومن ثم تتناغم الروح مع الأحرف الربانية تناغماً لا نظير له، والعقل يقطع بأن هذا كلام اللّه وحدهُ.

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية. . . . صفحة ٢٣٥، ٢٣٦.

ولعل من أعظم أسرار هذهِ الراحة هو الشعور الحقيقي لقارئ القرآن بالمخاطبة العلوية إليه خاصة، هذا الشعور لا يمكن لقارئ القرآن إنكاره، حتى لكأنه موسى - عليه الصلاة والسلام - حين لاقى ربه في الوادي المقدس.

بُعد الأثر

الميزة الثانية: ربما تتأثر في قراءتك للتوراة والإنجيل الموجودين الآن، لكن هذا التأثّر لا يتعدى مداه لحظة القراءة، أما قراءة القرآن فإنها سرّ صناعة الحياة كلها.

انظر إلى أنصار عيسى - عليه الصلاة والسلام - مثلًا، لم يكونوا أكثر من اثني عشر حوارياً وجماعة ممن حولهم، وانظر إلى أصحاب موسى - عليه الصلاة والسلام - وكيف تخَلْوا عنه عند دخول الأرض المقدسة، ثم انظر إلى أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام -. وسوف تجد العجب، كثرةً ونوعيةً، ولكنك ستجد أن سر صناعة أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - هو هذا القرآن.

والعقل يقول: إن الكتاب الذي صنع هذا الأثر في خير أمة وأكبر أمة... لَقَادِرٌ أن يصنع ذلك في نفس كل فرد من الأفراد من باب أولى، وما صنعه في المرة الأولى من نجاح، قادر على أن يكرره في كل مرة يأخذ فرصته، ومن ثم فإنك بقراءتك القرآن تشعر أن أثره الإيجابي يتعدى حدود قراءته، ويتعدى حدود الأهل والأصحاب، إنه يتعدى الحياة بمفهومها الشامل: حياة الدنيا إلى حياة الآخرة.

الإيمان عملي

الميزة الثالثة: لن تجد في التوراة والإنجيل الإيمان إلا بمجموعةٍ من النظريات، مُصاغة في كلمات نظرية لا أثر لها في الواقع، بينما تجد في القرآن الكريم الإيمان عملياً والعمل إيمانياً، اقرأ مثلًا أول سورة الأنفال وانظر للربط ما بين الإيمان والعمل، أو ما بين قراءة القرآن وأثره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

ومن السر العظيم لهذه الميزة للقرآن عن التوراة والإنجيل والزبور هي أن تلك الكتب أنزلت على المرسلين - عليهم الصلاة والسلام - دفعة واحدة مكتوبة في ألواح إلا القرآن، فإنه أنزل على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - مقسطاً آيات إثر آيات، مفصولة بعضها عن بعض، نزلت حسب الحاجة وحسب المناسبات، فكثيراً ما ينزل منه آيات بسبب مشكلة حصلت، أو سؤال للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، أو حادثة في المجتمع، أو في المنزل، أو مع الأعداء، أو مع المنافقين، أو نحو ذلك. . . فهي آيات نزلت على واقع وتصلح لكل واقع. . . نزلت وأنشأت حياةً واقعية فهي تُنشئ الحياة من جديد، إنها لم تنزل دفعة واحدة، وما كتبها كاتب في المكتبات.

وكثيرٌ من تلك الآيات نزلت بسبب معين

وحادثة معينة وهي ما تسمى بأسباب نزول الآيات وهي كثيرة جداً وعظيمة جداً لا أود أن أطيل عليكم بذكرها.

العمق والعذوبة معـاً

الميزة الرابعة: «العمق والعذوبة معاً» إنك حين تقرأ التوراة والإنجيل تحضرك مجموعة هائلة من التساؤلات بمجرد أن تحفز عقلك وتنحّي عاطفتك قليلًا، وتزداد جرأتك على السؤال الاستفساري الاعتراضي، ثم السؤال الاستنكاري... بينما ميزة القرآن أنك كلما قرأته كلما تحفز عقلك وازداد يقينك وقناعتك، ولذلك فقد طلب القرآنُ من أصحابه كثرةَ قراءتِه!

فقد قال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠) وصححه الألباني.

تقول المستشرقة النصرانية لورا فاغلير: «إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن، الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل لمحاكاته، إن كلًا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب. . . . أما أسلوبه فأصيل فريد، وليس ثمة نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي. . . والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتم من غير عون عرضي أو إضافي. . . كموضوع الوصايا والنواهي. . . إنه يكرر قصص الأنبياء وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات اللَّه. . . ولكنه يكررها بنحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً»[1].

---

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٢٧٦، من كتاب دفاع عن الإسلام لورا فاغلير صفحة ٥٦، ٥٧ .

ازدياد العلم

الميزة الخامسة: أنك لن تزداد علماً إذا قرأت التوراة والإنجيل بل ستجد ما يضاد علمك وعقلك، بينما تجد من مميزات القرآن الكريم الكبرى هي التركيز على الناحية العلمية كما هو التركيز على الناحية العاطفية فتجد نفسك تصل للذروة وزيادة في كل ناحية من نواحيها، كما قال تعالى في سورة الإسراء آية٨٢: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

إنه دائم الاستشارة للعقل، بل يستثير عقل الذين لا يؤمنون بالقرآن فيقول: ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٤ - ١٨٥].

أجمع الحجج والنظر

الميزة السادسة: بلاغة الحجة: كثيراً ما تمر بك

وأنت تقرأ القرآن حوارات في أعظم القضايا، وتجد أن القرآن يعرض الأدلة المقابلة كما يعرض الأدلة القرآنية، لكنك إذا قرأت الأدلة القرآنية فإنك تجدها حججاً لا يمكن الوقوف في وجهها، فهي تأخذ بمجامع العقل ومجامع النفس، حتى لكأنها تنبع من داخل نفسك وعقلك وليس من كتاب يلقى عليك، فإذا جمعت الحجج الموجودة في القرآن اجتمعت عندك أقوى الحجج الحاسمة في أعظم المواضيع المطروحة، فتأمل بنفسك جيداً ما جاء في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ

ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الآية: ٨٩ - ٩٦].

ويقول في سورة الطور من الآية ٢٩ إلى الآية ٤٦ : ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ

كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

ويحاور القرآن اليهود والنصارى الذين ادعوا أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان على دينهم حواراً عقلياً فقال في سورة آل عمران:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

(٦٩) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ (٧٠) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

وهذه مجرد عينات قليلة من حوارات وحجج عقلية كثيرة مذكورة في مواضع شتى في القرآن.

ويبقى أن نسأل: هل في الأناجيل من حجج عقلية بهذه الكثرة؟

إن الاضطرابات العقلية الموجودة في الأناجيل أكثر من أن يحصرها حاصر.

الواقعية

الميزة السابعة لقراءة القرآن على قراءة الإنجيل والتوراة: ليس ثمة في القرآن شيء ليس بواقعي، أو خيالات وأوهام، وأساطير لا تعقلها الأفهام، إنه واقعي حين يحدثك عن نفسك، عن أسرتك، عن علاقاتك، عن قصص الأنبياء، بل واقعي حتى حين يحدثك عن محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي أنزل عليه القرآن نفسه.

انظر ماذا يقول اللّه في سورة النمل عن النبي

محمد ﷺ ومدعويه من بني إسرائيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

ومن الواقعية وتمام المصداقية أن يعاتب النبي - عليه الصلاة والسلام - عتاباً لطيفاً فيقول له في القرآن: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

ويقول في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [آية: ١١٠].

فأين هذا المنطق الواقعي من منطق تأليه

عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهو بشر . . . واستعباد عقول البشر للبشر، وعدم اعتراض البشر على البشر؟!

لا تجد نفرة

الميزة الثامنة لقراءة القرآن على قراءة الإنجيل والتوراة: أنك تشعر وأنت تقرأ التوراة والإنجيل بنفرة شديدة من بعض المعاني والأخبار المطروحة فيها، كما تشعر بالغموض كثيراً، وليس لك أمام كل ذلك إلا التسليم للمجهول وغير المعقول، وما ذلك إلا لوجود التحريف فيها! بينما تشعر بالمطابقة ما بين القرآن والنفس، وتعليل هذا عقلي هو أن مُنْزِل القرآن هو خالق الإنسان، فمصدر القرآن والإنسان واحد وهو اللّه، والواحد لايتناقض مع نفسه إطلاقاً، ومن المثير حقاً أنني قرأت لطبيب مصري في جريدة البيان الإماراتية عمل دراسة مخبرية على تأثير القرآن حين جعل خمسة شباب في عالم اللاشعور، ورصد تأثراتهم العصبية سلباً وإيجاباً

أثناء قراءة القرآن مرتلًا موصولًا إلى مشاعرهم دون أي تدخل آخر، فكان التجاوب الإيجابي للجهاز العصبي في الذروة.

ثم جعل بدلًا من صوت القرآن كلاماً عربياً مرتلًا بطريقة ترتيل القرآن الكريم، فكان التجاوب العصبي الذي أشار له الجهاز عادياً.

ثم رفع هذا الجهاز وأوصله على خمسة أشخاص فلبينيين لا يعرفون كلمة عربية واحدة، وأوصل أجهزة إدراك التجاوب العصبي فيهم حين شغل الموسيقى فكان الأثر متذبذباً، ثم عاد وأوصل صوت القرآن عن طريق نفس الأجهزة فارتفع التجاوب العصبي الإيجابي إلى الذروة الأعلى.

وهنا لعل المرء يتساءل - ومن حقه-: لماذا هذا التأثر مع القرآن خاصة وهؤلاء لا يعرفون كلمة عربية واحدة؟ والجواب بكل سهولة هو أن خالق الانسان هو منزل القرآن، وخالق أعصاب

الإنسان هو منزل كلمات القرآن، وخالق روح الإنسان هو منزل آيات القرآن، وهذا القرآن الموجود عندنا الآن هو القرآن الذي أنزله أول مرة، فكان من الطبيعي أن تتطابق هذهِ الأعصاب مع هذهِ الكلمات، بل إنَّ تطابقها في حال اللاشعور أصدق ما يكون، لأنها أبعد ما تكون عن المؤثرات النفسية أو الاجتماعية أو العصبية، وهكذا الإنسان إذا أُخلي ما بين القرآن وبين نفسه متخلصاً من التأثرات العصبية الجاهلية أو الاجتماعية التعصبية.

ولكم أعجبتني كلمة قالها إنجليزي في لقاء له مع تلفزيون الإمارات العربية المتحدة على قناة الشارقة وهو يصف نفسيته فيقول حين قرأت القرآن أول مرة: «شعرت حين قرأت القرآن أول مرة.. أن القرآن هو الذي يقرأني».

الميزة التاسعة: أنك لا تستطيع أن تجعل أحداً يدخل النصرانية من خلال قراءته الإنجيل، بل إن

من يقرأون الإنجيل لا يفهمون الكثير من معانيه، حتى الذين يقرأونه كثيراً، ولذلك فأنت حين تقرأه يجب أن تَركِن عقلك بعيداً، بينما القرآن يجمع بين الصفتين التيسير والإحكام، ولذا يفهمه أقل الناس وأعلم الناس، ومن ثمّ تجد الداخلين في الإسلام من جميع التخصصات العلمية، كما يدخله عامة الناس، بل وأقلهم فهماً أو مستوى اجتماعياً واقتصادياً.

بينما تجد الصفة المشتركة بين الداخلين إلى النصرانية من المسلمين هو: «الحاجة لمتطلباتهم»، فيأتيهم المنصّرون مستغلين ظروف الأمراض الفتاكة، والمجاعات المهلكة، والجفاف أو الفيضانات أو الحروب أو نحو ذلك فيظهرون لهم الإنجيل ويعرضون عليهم النصرانية، وتكثر بعض دولكم من تجنيس المسلمين المهاجرين طمعاً ليس في في تغيير دين الجيل الأول إنما في الجيل الثالث.

لقد قرأ جاري ميلر أستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو الكندية أول آيات في سورة البقرة وهي أول القرآن فأعلن دخوله الإسلام مباشرة تلك الآية هي: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ وحين سُئل عن سبب دخوله الإسلام، فقال متعجباً: (هذه أول مرة في حياتي أقرأ فيها كتاباً من الكتب وأرى أن كاتبه يتحدى منذ أول كلماته أن يجد أحدٌ فيه أي خطأ، علماً بأن العادة أن يعتذر كل المؤلفين للقراء عن وجود أخطاء في كتبهم!) ونشر جاري ميلر كتابه «القرآن المذهل».

ومن قرأ القرآن رأى هذه الثقة، والقطع في الخطاب، والعلو في كل سوره وآياته وكلماته!

أحسب أننا عند هذه النقطة تحديداً أصبحنا بحاجة إلى الانصراف إلى منازلنا لنأخذ قسطاً من الراحة لعمل الغد الطويل مع أنني أُؤكِّدُ لكم أنني لا أتعب.

أبو حامد: لماذا لا تتعب؟

أستاذ فيقا: لأن نابليون ما كان يتعب.

* ضحك الجميع.

أبو حامد: أحسب أن راحة الروح الحقيقية أن يقرأ كل واحد منكم شيئاً من معاني القرآن الذي عندكم ولو من باب التجربة والاطلاع.. فأنتم شعوب تعشق الاستطلاع والاستكشاف، وعند قراءتكم القرآن لن تكتشفوا شيئاً جديداً فحسب، بل ستكتشفوا أنفسكم لأول مرة.

دع شيئاً واحداً في هذا العالم يقرؤك لأول مرة.

* * *

## ختام المجلس

آياتٌ تراها أحرفاً وكلمات، لكنها حوت الماضي والحاضر والمستقبل، في صيغة آيات.

آيات طوت في طياتها كمّاً علمياً لا يحصى من الاكتشافات، توزعه بِقَدَر - كما يتوزع المطر - فتعطي كل جيل ما يكفيه ويعينه، وما يستوعبه ويهديه بل يفيض عن حاجته.

فيها تاريخ ما قبل التاريخ، وما بعد التاريخ، وما بين ذلك مما لم يرصده قلم التاريخ، كقصة يونس في بطن الحوت، أو قصة أصحاب الكهف في جوف الكهف، أو قصة ما بعد قيام الساعة وانصراف الناس من الحساب، وقصة الخلود، كما وقعت وكما ستقع كأنها وقعت سواءً بسواء.

فإن ظهر العجب على حقيقته فيما مر في هذا المجلس، فاعلم أن الأعجب من ذلك كله هو أن

فيـهـا إحـيـاء الأحـيـاء، وكـأنـهـم الأمـوات قـامـت قيامتهم فأقامهم من قبورهم للحياة من جديد. .
وشاهد هذا ولادة أمة بحجمها، وغلبت الأمم بأخلاقها في فترة قصيرة، وهي تعلن والكل يعلم أنها لم تكن من قبل إلا في عداد الموتى، وأن باعث الحياة الوحيد في كيانها هو هذه الكلمات القرآنية.

خزائنها لا تنفد، وتحديها جاءك بغير حد، ومعانيها تقطع كل مداد مهما امتد، واحذر أن تتخلى عن عقلك لحظة.

قلِّب البصر فيها، أعد قراءتها، واحفظها. . . حاول ثم حاول، ثم حاول الإتيان بمثلها فإذا ظهر لك عجزك وسيظهر كما ظهر عند جميع الخلق غيرك، فأعلن استسلامك فوراً، وإلا فاعلم أنك إنما تخاصم عقلك بغير عقل، وتنحر إنصافك بغير عدل.

* * *

# المجلس الخامس

## عيسى - عليه الصلاة والسلام - بين الألوهية والعبودية...؟!

### بوابة المجلس الخامس

من يحترم عيسى عليه السلام

صليب من الذهب قد عُلِّق في صدر الكنيسة.. وصليب منحوت في جُدرها... وصلبان على صدور الحضور تتلألأ... إلا صدر أبي حامد وصدر الدكتور وافي وصدر صاحبيَّ السَّفَر «أبي همام وأخي عبدالسلام».. وصدر الأستاذ الدكتور فيفا، فليس من عادته أن يعلق الصليب..!

لم يكن للصلبان أي تأثير أو إثارة إلا في نفوسنا كضيوف مسلمين، أما البقية فالأمر لا يعني عندهم أكثر من كونه زياً من الأزياء.

ولكن كان التِمَاعُ الأسنان على الوجوه المبتسمة أروع من التِمَاعِ الصلبان على الصدور المتزينة!

هجوم القس سبارتو

القسيس الكبير «سبارتو»: الملاحظة على المسلمين عموماً - مع الاعتذار للشيخ أبي حامد - هي أنهم لا يحترمون يسوع، فهم ينقصونه وينزلونه عن مقامه.

أبو حامد: لعل القسيس الكبير «سبارتو» لم يحضر اتفاقنا الأول، وهو أننا اتفقنا أن نحكم العقل حتى على النصوص الدينية، وأن لا نجعل بيننا خطوطاً حمراء لا يصل إليها الحوار، وأخيراً يجب أن نناقش كل شيء ولا يبقى في قلوبنا - على بعضنا - شيء.

وإني أرجو أن لا تحاول من خلال ذلك أن تفرض عليّ موقفاً دفاعياً بهجومك المفاجئ، أو تطبع عليّ طابع المهزوم بحكم الحضور المحترمين، أو تستفيد من جو الكنيسة، أو تستغل غربتي في بلد الحريات، أو تندفع في الحوار بأية اعتبارات أخرى... فلنكن في غاية الهدوء، مع إحكام الدفاع عما نعتقد، مع غاية الاستسلام لحكم العقل الصحيح والرضا بالنتيجة.

فرصة ربما لا تتكرر

صدقوني إنها فرصة، ربما لا تتكرر، فلنتخلص ولو لهذهِ السُّويعات من كل عصبية، متجردين لاتباع حكم العقل النهائي، ولنجعل ساعاتنا كساحات الحرية في بعض البلاد التي مَنْ دخلها كان عليه أن يحتمل سماع ما يعجبه وما لا يعجبه، ومن أراد أن يتكلم فليقل ما يشاء، ولا تثريب على أحد... إننا لا نريد هذهِ الساعات نسخة مكررة من حياتنا، نريدها ساعات جديدة نافعة بحق.

هل نتفق على هذا يا أيها الحضور...؟

فأشار القساوسة أن نعم، ورحب الأساتذة أيما ترحيب.

أبو حامد: أنا لا أريد أن أطيل في ردِّ هجومك - أيها القس - بأن المسلمين لا يحترمون عيسى، لكني أريد أن أبين لك بعض المبادئ في الإسلام ولك أن تقيس عليها التفاصيل، فالتفاصيل لا يمكن حصرها، وتستطيع عندها أن تقرر إن كان

المسلمون يحترمون عيسى أو لا يحترمونه. .؟

**فهل تعلم** أن من لا يؤمن بعيسى - عليه الصلاة والسلام - في الإسلام فهو ليس بمسلم، وإذا كان مسلماً وكفر بعيسى فإنه يخرج من الإسلام في تلك اللحظة، وأن من اتهم مريم أم عيسى بتهمة الخيانة فقد خرج من الإسلام، فهل تعلم ذلك؟

**وهل تعلم** - أيها القس الكبير- بأن اسم عيسى - عليه الصلاة والسلام - مذكور في القرآن خمساً وعشرين مرة بينما لم يذكر اسم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - إلا أربع مرات فحسب؟

**وهل تعلم** أن مريم قد ذكرت باسمها في القرآن أربعاً وثلاثين مرة بينما لم يذكر أي اسم لأي زوجة من زوجات النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

**وهل تعلم** أن سورة في القرآن تعداد آياتها ثمان وتسعون آية سميت باسم «مريم أم عيسى عليها الصلاة والسلام» بينما لا يوجد سورة واحدة

في القرآن الكريم باسم زوجة من زوجات النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أو أي امرأة أخرىٰ من النساء المسلمات؟!

من اسماء أولادي

ومن هذا الباب فليس لدينا أي غضاضة أن نسمي باسم عيسى أو مريم بل نعتز بذلك، فأنا شخصياً ولديَّ الأوسط اسمه «عيسى»، وعندي ابنتان، الصغرى «فاطمة» أما الكبرى فسميتها «مريم».

أنا أريد فقط أن نكون منصفين وعليه فإني أُعيد السؤال عليك: مَنْ لا يُقدّر مَنْ؟

هل أغلب النصارى اليوم لا يقدِّرون محمداً أم المسلمون لا يقدرون عيسى - عليهما الصلاة والسلام -؟

أعود إلى **العقل** وأقول: الحمد للَّه الذي رزقنا وإياكم **العقول** السليمة، فلا أحد يستطيع إكراه أحد على ما لا يعتقد، فلننظر بمَ يحكم **العقل** في كل قضية؟

وأظن من يعرفني من الأساتذة لا يكذبني في كل ما أقول وأعمل، ولم يجرب عليّ تورية واحدة فضلًا عن الكذبة، ومع هذا فأنا أضيف لهذا وأحلف لك باللّه العظيم-يمين المسلمين- لولا أنني على يقين مما أعتقد ما ناقشت فيه، ولولا أنني أحب لكم الخير كله، من خالص قلبي كله، ما حاولت ولم أحاول إقناعكم به، ثم إنني من جرّاء هذا لا أقبض من أحدٍ يورو ولا دولاراً، كما أنني لم أُرسَل موظفاً مَنْ قِبَلِ أحد، إنما هو حب الخير الخالص لهذِهِ الوجوه التي أتمنى لها من الخير ما أتمنى لنفسي.

القس الأكبر: الحقيقة أن هذِهِ الروح الصادقة التي نستشعرها من كلماتك لهي خير ما نبتدئ به حوارنا، وهي ما نتمنى أن تستمر مِنْ قِبَلِ الجميع حتى وإن اختلفنا، ولكن اعلم - يا أبا حامد - أن النصارى تقدر يسوع أكثر من تقديركم له.

التفتَ أبو حامد إلى د.[يالمار] قائلًا: أرى شارة صغيرة على سترتك الجميلة. . . !كأنها علم العراق؟!

د.يالمار: نعم لقد وضعتها بعد شنق صدام حسين، وأنا كفرنسي شديد الإعجاب وشديد الحب لهذا القائد. . !

أبو حامد: أنا أحترم جداً إعجابك وحبك، ولذا فبودي أن أهديك تحفة شمعية جميلة تمثل الرئيس صدام حسين، والحبل في عنقه وهو مدلى من المشنقة، تضعها على مكتبك لكي لا تغيب عنك شخصيته؟!

نَفَر الأستاذ - يالمار - نفرة شديدة، وقال بصوتٍ مرتفع ووجه محمر: NO. . . ! كيف أعلق هذا وأنا أقول لك إني معجب به وأحبه، كيف وقد رفعت له في بيتي أجمل صورتين إحداهما بالبزه العسكرية والأخرى باللباس العربي. . .؟!

كيف أعلقها وأنا إلى هذهِ اللحظة لم أقوَ على النظر لمنظر شنقه مع أنها مصورة ومحفوظة حتى في الهواتف النقالة..؟!

أبو حامد التفتَ إلى القسيس الكبير (سبارتو) وقال له: هذا هو منطق المحبين، أليس كذلك؟

**القسيس الكبير (سبارتو):** بلى.

**أبو حامد:** إذن، كيف تعلقون صورة عيسى - عليه الصلاة والسلام - مصلوباً على صدوركم... كيف؟

وكيف تعلقونه مصلوباً محنيّ الرأس في صدور كنائسكم وقبلتكم؟

هل هو أَمَرَكم بهذا قبل صلبه، أم أنه أمركم به بعد صلبه؟ أم هو تعبير عن حبه؟!

أليس الصلب مما يفتخر به أعداؤه؟

أليس منظر صلب الحبيب؛ ولداً كان أم والداً أم صديقاً... مما لا يليق التباهي به و إظهاره؟

كيف إذن تظهرونه بهذهِ الطريقة؟

كيف إذا كانت قصة الصلب نفسها مُزرِيَة فوق أنها مكذوبة؟

إن الرجل يحتفظ بسيفه إذا قتل به عدوَّه، ويحتفظ بحبله إذا شنق به عدوَّه. . تفاخراً وتباهياً بهذا النصر. . . فما ترى سِرَّ احتفائكم بالصليب؟

هل ترى عيسى - عليه الصلاة والسلام - لو قتل محروقاً بالنار لعبدتم النار وعظمتموها، أو لو أن الذئب أكله لعبدتم الذئب. . ؟!

معنى الصليب

**القسيس الكبير (سبارتو)**: قد يظن بعض الحاضرين للوهلة الأولى أن كلامك مقنع، وقد يقتنع به، لكنك لو فهمت المعنى الحقيقي من وراء تعليق الصليب لربما علقت بنفسك الصليب، إنه تعبير عن إنكار الذات، نحن نقول: معنى الصلب بالضبط هو: «**موت النفس عن الأنانية وحب الذات**». . هي تلك الإرادة المتمردة التي ينبغي أن نخضعها ونستأسرها لطاعة المسيح

فيقول كل واحد: ليس ما أريد أنا، بل ما تريد أنت يا رب، وبهذا أصبح من أوجب واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه مختاراً طائعاً[١].

عبادة الأصنام

أبو حامد: بودي أن أسأل حضرة القسيس الكبير سبارتو: هل تؤيد عبادة الأصنام؟

هل تعرف كيف عُبدت الأصنام أول ما عُبدت في الدنيا؟

القسيس الكبير «سبارتو»: لا شك أنك تعلم أننا لا نؤيد عبادتها لأننا وإياكم أصحاب ديانات سماوية فهذا لا نختلف عليه إطلاقاً[٢].

أما كيف ابتدأت فقد كان في الناس أنبياء ورجال صالحون، وكان الناس يحبونهم حباً شديداً فلما ماتوا صوروا لهم صوراً لئلا ينسوهم،

---

(١) من كتاب «محاضرات في النصرانية» صفحه ١٠٤ .
(٢) لعل القس سبارتو كان يعتقد أن الإسلام دين سماوي وإلا فكثير من النصارى لا يقرون الإسلام ديناً سماوياً.

ثم صنعوا لهم تماثيل.

أبو حامد: فهل كان الاحتفاظ بذكرى الصالحين مبرراً مقبولًا لصناعة التماثيل؟ ثم إلى أي شيء تطور تصوير الصالحين؟ لقد تحول من صناعة للتماثيل إلى عبادة لها وهكذا تحول الصليب من رمز لإنكار الذات - كما تقولون - إلى رمز للإله الذي يعبد مع اللَّه...؟!

فما الفرق بين عبادة الأوثان وعبادة الصلبان؟!

نعم إنكار الذات مطلوب، لكن: أيكون إنكار الذات بإهانة المسيح - عليه الصلاة والسلام -؟

أيها القس، لو أن صديقاً لي طُعِن بسكين من أجلي، أكان تعليق صورة سكينِ قاتله أمامي في السيارة دليلًا على إنكاري لذاتي...؟!

أم سيكون ذلك شرفاً لي أمام عياله وأهله؟!

أي تباهٍ لي في تعليقها إذا علقتها، بينما قاتله يفاخر بتعليقها؟

وبناءً على هذا فأنا أسألك وأرجوك أن تجيبني إجابة عقلية لا علاقة لها بالعصبية الدينية: أليس من علق الصليب وعبده إنما عبد آلة المجرمين الذين قتلوا بها أفضل الناس، ومن عبد الأصنام إنما عبد صورة الأنبياء والصالحين؟

نعم كلا العبادتين إشراك بالله، ولكن: أصل أي العبادتين أشرف؟ هل آلة المجرمين أم الأَنبياء والصالحون؟

أنا لا ألزمك بإظهار جوابك، ويكفيني حكم نفسك الداخلي.

**الأستاذ «غارو»**: مع أنني أرى أن من أكبر الإيجابيات أن المستويات الحاضرة في الجلسة هي مستويات النخبة سواءً كانوا في الأديان أم في الطب أم في التاريخ، إلا أنني أرجو أن يكون حوارنا عميقاً... فإنني حين أنظر في القضية لا أرى أي قاسم مشترك بيننا، فنحن نقول: إن عيسى إلهٌ! وأنتم تقولون إنه بشر! فكيف يمكن أن

نلتقي، كيف يمكن أن نتفق؟

أبو حامد: ليس بالضرورة أن نتفق، فما دام القاسم المشترك بيننا **العقل** فلا بد أن نقتنع، ومع هذا فما دمنا منصفين راضين بحكم **العقل** فلا بد أن نتفق أخيراً... وبمقدار ما يستخدم الرجل عقله قائلًا ومستمعاً بمقدار ما يقتنع، وبمقدار إنصافه بمقدار ما يتنازل عن خطئه ويتبع الحق أيّاً كان الحق، حتى لو صادم الحق موروثاته وأهواءه ومجتمعه.. وأنا إذ أقولها فأنا أول الملتزمين بها، لأني أعلم أنها فرصة ربما لن تتكرر... ومتى حِدْتُ عنها أرجوكم ذكروني بها.

تحدَّ ولو بكلمة

**أما كون عيسى - عليه الصلاة والسلام -** إلهاً... فإني أسائلكم: من أين جاءت هذهِ الألوهية؟

ما مصدر هذهِ الفكرة؟ ما الإسناد الذي نقلت عنه فكرة أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - «ابن اللّه»؟

وهل حين جاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - للناس دعاهم إلى عبادة نفسه، هل قال عيسى - عليه الصلاة والسلام - مرة للناس: «أنا إلهكم فاعبدوني»؟

ألم يكرر عليهم في الإنجيل كثيراً «أنه عَبْد اللَّه، وأدعو إلى اللَّه، وأن اللَّه ربي وربكم»؟.

أعطوني مرة واحدة أنه قال للناس في الإنجيل نفسه: اعبدوني، وسوف أعطيكم أضعاف ذلك من المرات أنه قال للناس: اعبدوا اللَّه!

أعطوني مرة واحدة أنه قال للناس: أنا الإله مع اللَّه، وسوف أعطيكم مرات كثيرة أنه قال للناس: اللَّه ربي وربكم.

أعطوني مرة واحدة قال فيها: أنه ليس برسول من عند اللَّه وسوف أعطيكم مرات كثيرة يقول فيها أن اللَّه أرسله رسولاً.

أيها القس الكبير «سبارتو»: هل عيسى - عليه الصلاة والسلام - يعترف بوجود أنبياء قبله وأن

اللَّه أرسلهم للناس ليخلصوهم من عبودية غير اللَّه؟

القس الكبير «سبارتو»: في مرحلة من المراحل: نعم بغير شك، والمرسلون كثيرون.

أبو حامد: فإلى أي شيء كان أولئك الأنبياء يدعون الناس؟

هل كان الأنبياء السابقون يدعون الناس إلى عبادة عيسى - عليه الصلاة والسلام - مع اللَّه؟

أكانوا مقصرين في ذلك، أم كان الإله عدماً، أم كان مجهولًا، أم لم يستلم بعد مرتبة الألوهية، أم تراهم أرادوا تخليص الناس من الشرك باللَّه بعبادة الآلهة الأخرى، ليوقعهم عيسى - عليه الصلاة والسلام - في عبادة نفسه مع اللَّه؟! أتراهم جاؤوا يخلصونهم من عبادة الشجر والحجر والبشر كفرعون وغيره، وجاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - ليعيدهم لعبادة البشر ولكن بصورة عيسى - عليه الصلاة والسلام -..؟!

يا أستاذ: أنا أعفيك عن الجواب ولكن دع العقل يحكم..!

ألم يكن عيسى - عليه الصلاة والسلام - يؤمن بمن سبق من الأنبياء، وكان يوثّق دعوة الأنبياء السابقين كما ورد في القرآن والتوراة والزبور..؟

أيعقل أن يختار اللّه أكثر الناس صدقاً وأمانة ثم يرسلهم للناس ليبلغوهم وجوب عبادة اللّه وحده، وما إن يذهبوا إلى قومهم حتى يخونوا ربهم ويجعلوا أنفسهم بدلًا عن اللّه، ويطالبوهم بتحويل العبادة من عبادة الأشياء الأخرى إلى عبادة الأنبياء أنفسهم؟

أيمكن أن يقول هذا عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

هنا لابد من واحدٍ من احتمالين: إما أن يكون مَنْ نقل عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - كذبوا عليه وخانوه، وإما أن يكون هو كذب على

اللَّه وخان الأمانة؟

وحاشا أن نقول بالاحتمال الثاني، بل الكذب صفة لمن كذب على عيسى - عليه الصلاة والسلام -.

فإذا لم يكن ثمة سندٌ متصلٌ من فلان إلى فلان إلى فلان إلى عيسى - عليه الصلاة والسلام - يقول فيه عيسى - عليه الصلاة والسلام - إنه إله أو يقول للناس اعبدوني - بل لا يوجد سند متصل للإنجيل نفسه كما عرفنا في المجلس الثالث، ورأينا كيف أن سند الإنجيل منقطع في عدة مواضع، وفيه مجاهيل لا يُعْرفون، مع تغير اللغات المطبوع بها عن اللغات الأصلية مع اضطرابات كثيرة - فإذا كان الأمر كذلك، فهل من كتاب صحيح غير محرف، ولو كان غير الإنجيل من عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه يثبت ذلك...؟

**الجواب**: لا يوجد، ولا حتى الإنجيل، لأن

كتابة الأناجيل بدأت بعد نهاية عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأكثر من خمسة وثلاثين عاماً.

فإذا كان السند منقطعاً، و الكتاب غير موجود، لم يبق إلا أن نبحث عن شاهد خارجي يشهد لربوبية عيسى - عليه الصلاة والسلام - ولن نجد أمامنا شاهداً أحسن من التوراة والتي تسمونها العهد القديم؟

فهذه التوراة فلننظر فيها لعل فيها كلمة واحدة تدل على ألوهية عيسى - عليه الصلاة والسلام -، أو توصي به..؟!

الجواب: لا توجد كلمة واحدة... بل عكس ذلك تماماً، ففي التوراة يوجد في مواضع شتى منها: «من ذبح لآلهةٍ غير الرب وحده يهلك» انظر سِفْرَ الخروج ٢٢: ٢٠ .

وثمة نص آخر في موضع آخر من الأسفار يذكر عقاب من يعبد غير اللَّه، فيقول: «إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب

إلـهـك رجل أو امرأة يفعل شراً في عيني الرب إلهك بتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها، أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء، الشيء الذي لم أوص به وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس في إسرائيل، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت» سِفْرُ التثنية ١٧/ ٢- ٥ .

فمن الذي ينبغي أن تقام عليه هذه العقوبة. . . أهو عيسى - عليه الصلاة والسلام - الذي لم يدَّع الألوهية ولم يطلب عبادة نفسه؟ أم الذي أمر الناس بعبادة عيسى زوراً وبهتاناً عليه؟

فليحكم قاضي العقل بما يشاء.

ثم لننظر في الزبور، هل من كلمة واحدة تدل على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إله؟

الجواب: لا توجد كلمة واحدة.

فهل في القرآن كلمة واحدة تدل على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إله؟

**الجواب**: لا توجد كلمة واحدة بل في القرآن التصريح بكفر من اتخذ عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلهاً من دون اللَّه تعالى، وفيه نصوص على لسان عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه، لكن موضع الشاهد هو أن شهادة القرآن كشهادة التوراة في النهي عن عبودية غير اللَّه، والنص في القرآن أوضح دلالة على ذلك، إذ قال اللَّه تعالى في سورة المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وكيف يجرؤ من يجرؤ على تشريع الشرك باسم اللَّه أو باسم عيسى - عليه الصلاة والسلام - دون دليل من عقل أو نقل. . .؟

أيها القس الكبير: دعني أضرب لك هذا المثال في حقوق الملكية: لو كان بينك وبين جارك في المنزل ثلاثة أمتار فضاء، وأردت أن تضمها لبيتك، فإنك لن تَمكّن من هذا إلا بملكيةٍ تثبت أن هذهِ الأمتار لك، أو بشهود يشهدون بأنها لك. . . فإن ضممتها متجاوزاً هذا النظام كنت مغتصباً بحكم القانون. . . فهل يسوغ أن نعمل بهذا النظام في أمتار أرض فارغة بينما نتجاوز كل الأنظمة في القضية التي ليس فوقها قضية - قضية الألوهية - ونعطي لعبد من عباد اللّه ما هو حق للّه؟

ثم هل مِنْ حكمٍ إذا شككنا في صحة ملكيتنا لهذهِ الأمتار إلا أن نردها لأصحابها؟

وإذا رضينا بملكيتنا نحن لأرضِ غيرنا بهذهِ الطريقة مثلًا، فهل نرضى بملكية غيرنا لأرضنا بهذهِ الطريقة. . .؟

قبول التحدي

**القس الأكبر**: أرى أنك تحديتنا بالإتيان بعبارة من قول يسوع أنه رب، أو عبارة يقول فيها يسوع

للناس: «اعبدوني»، وفي مقابل ذلك سوف تأتي أنت بأضعافها مما ينقضها!... واعذرني أن أقول لك لو أنك مررت على الإنجيل سريعاً لوجدت شهادة يسوع لنفسه بالألوهية كثيرة... لكنني أرجوك مقدماً أن لا تُردد أن الإنجيل محرَّف، فهذه قضية قد وعدناك بالرجوع إليها في المجلس الثالث والرابع، أما الأدلة فهاكها واضحة ظاهرة: ففي «إنجيل متى» أن يسوع سأل تلاميذه: [من يقول أني ابن للإنسان؟

فقالوا: قوم يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون إرميا، أو واحد من الأنبياء.

قال لهم: وأنتم ما تقولون عني أنا؟

فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت المسيح ابن اللّه الحي، فأجاب يسوع: طوبى لك يا سمعان» متى ١٦: ١٣-٢٠.

وفي رسالة بولس لكورنشس يقول: [ما لنا إله

واحد، الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن منه، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به] كورنثوس الرسالة الأولى: ٨: ٦ .

- يا أبا حامد - إنك لو قرأت جواب عيسى على من طلبوا رؤية اللّه منه لعرفت مَن عيسى؟ ومَن اللّه؟ ولم تطلق هذا التحدي الذي ينبني عن قلة علم في كتبنا.

لقد قال عيسى في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا جواباً لمن طلب رؤية الرب: «الذي رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب؟ ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيّ».

وفي إنجيل يوحنا من الإصحاح العاشر قول عيسى: (أنا والأب واحد).

ألا يكفيك هذا للإيمان بالاتحاد..؟!

ألا تكفي هذه الأدلة للرد على تحديك يا - أبا حامد -..؟!

أبو حامد: ليس فيما ذكرت نص واحد يقول

فيه عيسى - عليه الصلاة والسلام - أنه: «إله» أو أنه «اللَّه»، وليس فيها نص يقول فيه: «يجب عليكم أن تعبدوني مع اللَّه أو من دون اللَّه».

ومع أني ما زلت على مطلبي. إلا أن بودي معرفة ماذا يقول عقل القس الأكبر لو أنني تركت إجابتك من القرآن أو من قناعاتي الإسلامية. . . واحتكمت أنا وإياك للإنجيل نفسه أترضى بحكمِهِ. . . هل أكون قد أنصفت؟!

يا ولدي

**القس الأكبر**: نعم بغير شك، ولكن بم تستدل على نفي ألوهيته والمسيح نفسه وهو يقول لك: إنني ابن اللَّه، كما يقول: إن اللَّه أبي، ويقول: «ورب واحد يسوع المسيح» وما إلى ذلك. . ؟!

**أبو حامد**: قبل أن أدخل مباشرة في نقاش ما ذكرت، أستأذنك في سؤال عن شيء شخصي يخصك ويخص نظام الجلسة الحوارية هذه: أنت الآن تُعدُّ القس الأكبر بين هؤلاء القساوسة المحترمين سواء في السن أو في المكانة الدينية

والعلمية، إلا أن مشكلتي أنني أنسى اسمك وكلما نسيت اسمك هممت أن أناديك «يا ابن الكنيسة» فأتردد.. خوفاً من أن تظن أن ذلك تنقيص في مقدارك. فأي شيء تفضل؟

**القس الأكبر**: أنا اسمي «ريتشارد»، لكن يشرفني أن تناديني «ابن الكنيسة»، ولا شك أنه يشرف كل قس أن تصفه بهذه الصفة، وأحسب أنك أنت نفسك يشرفك كذلك أن أناديك يا «ابن المسجد أو يا ابن القرآن». أليس كذلك؟

**أبو حامد**: إذن فهذه شهادتك وشهادة جميع القساوسة وشهادتي وشهادة جميع الأساتذة الحضور على أن ذلك تشريف لنا مع أن الكنيسة لم تلدك ولم تلد القساوسة الآخرين، وأن المسجد لم يلدني كذلك، فالكنيسة ليست لكم بأم ولا أب من النسب ومع هذا تقول: يشرفني بأن يقال «ابن الكنيسة»... فَلِمَ لا يشرف عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يقال: «ابن اللَّه» مع أن

اللّه لم يلده ولم يلد غيره كما أن الكنيسة لم تلدك والمسجد لم يلدني؟!

ألست معي إذن بأن هذه النسبة للرفعة والتشريف..؟ أليس هذا هو منطق العقل الذي يفهمه العامي والعالم في آن واحد، وهو منطق متعارف عليه في كل مكان، فالأستاذ يخاطب بعض تلاميذه: يا ولدي أو يا بُني تماماً كما خاطب بولس أهل كورنثوس في رسالته فقال لهم: «أرسلت إليكم بتيموثاوس الذي هو ابني الحبيب» كورنثوس الأول ٤/ ١٧ .

وهكذا يخاطب بها الرجل الكبير الطفل الصغير إذا لم يعرفه بقوله: يا ولدي، ويقول الصغير للكبير: يا أبتي، أو يا والدي... فهل تحول هؤلاء المخاطبون إلى أولاد لذاك المخاطب أو العكس..؟ إن هذا ما لا يقوله عاقل إطلاقاً!

أما استدلالك بما ورد في الإنجيل مِنْ أن مَنْ

رأى عيسى فكأنه رأى اللَّه، وقوله: «ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيّ».

فأنا أطلب تحكيم عقولنا، وأطلب أن تنظروا في كيفية استخدامنا لهذه الكلمات، وأطلب تحكيم كل الأديان السماوية، وسترى أيها القسيس أن الفهم الخاطئ لهذه الكلمة هو الذي أوقعكم في الاتحاد والتجسيم.

أيها القسيس: ألم تسمع أباً يقول لولده: «أنت في قلبي»، أم لم تسمع محبوباً يقول لمحبوبه: «أنت روحي، وأنت في عيني» ونحو ذلك من عبارات.. فيجيبه الآخر: كما أنني في قلبك وروحك فأنت في قلبي، أو أنت في عيني، ونحوها من العبارات المتبادلة.

فهل كان مراد أحد من الخلق بهذهِ الكلمة أن هذا المخاطب تحول من مكانه وتحلل شيئاً فشيئاً، حتى دخل في قلب حبيبه أو دخل في روحه، أو دخل في عينيه، أيفهم هذا الفهمَ عاقلٌ..؟!

فإذا استقر هذا الفهم عند المتحابين وكلهم بشر، أفلا تعتقد أن محبة عيسى لربه أعظم من محبة هؤلاء، وأن محبة الرب لعيسى أعظم من ذلك، فلم لا تستحق هذه المحبة مثل هذه التعابير..؟!

وما تقوله في محبة عيسى لربه ومحبة الرب لعيسى تقوله في الأنبياء جميعاً عليهم السلام.

ومثل هذه التعابير شائع عند البشر، ومستخدم بكثرة في الخطب والكتب والأشعار.

فالشاعر العربي يعبر عن هذا فيقول:

**ومن عجبٍ أني أحن إليهم**
**وأسأل عنهم من أرى وهم معي**
**وتطلبهم عيني وهم في سوادها**
**ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي**

فهل من عبارة في الاتحاد أصرح من هذه، لكن هل قصد هذا الشاعر اتحاد الجسم في الجسم..؟!

هل قصد أن حبيبه تحلل واتحد فيه وسكن سواد عينه، أو أنه تحلل وسكن في صدره بين أضلعه..؟!

وبالنظر في عُجالة إلى الكتب السماوية فسنجد أنكم صنعتم ما لم تصنعه ملة من الملل، فإن العبارات المشابهة لهذه العبارات موجودة في الكتب السماوية الأخرى فداود - عليه الصلاة والسلام - يناجي ربه سبحانه فيقول: «**وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتَحِلَّ فيهم ويفتخرون**» المزمور الخامس.

فهل سمعتم أن أحداً من اليهود يزعم أن مقصود نبيهم داود - عليه الصلاة والسلام - أن اللّه قد حلّ فيه أو في **المتوكلين** عليه..؟!

وعندنا نحن المسلمون حديث عظيم في هذا الشأن أذكره لك، يقول فيه النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**إن اللّه قال: مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي**

بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وَرِجْله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1].

فهل فَهِمَ أحد من المسلمين من هذا الحديث أن اللَّه يحل في العبد، ويصبح اللَّه في داخل سمعه وداخل بصره، ويتحلل في أعضائه..؟!

وفي حديث آخر يقول فيه النبي - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

تطعمني، قال يا رب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم: استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي!»[1].

ألم يكن بإمكان المسلمين أن يحملوا هذا الحديث على الاتحاد والحلول كما فهم الغلاة من النصارى..؟!

الجواب: قطعاً لا، لأن العقل لا يحتمل ذلك، ولا العُرف، ولا الفهم السليم، لأن اللّه لو أراد الحلول والاتحاد لقال: «ولو عُدْته لوجدتني فيه» لكنه قال: «ولو عُدْته لوجدتني عنده».

ولو أراد الاتحاد لقال: «ولو أطعمته لأطعمتني»، لكنه قال: «ولو أطعمته لوجدت

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩).

ذلك عندي» وشتان بين الاثنين شتان.

وهكذا قال: «لو سقيته وجدت ذلك عندي».. وما قال: «لو سقيته لسقيتني».

أما استدلالك بقول المسيح: «أنا والأب واحد» فعلى فرض ثبوته فلا أدري هل إذا قلت مزكياً ولدك أو شريكك: أنا وولدي أو شريكي واحد، أصبحتما شخصاً واحداً.

ونحن، وكل العقلاء، لا نفهم من قول اللَّه لعيسى أو قول عيسى للَّه إلا عِظَم المحبة التي بين اللَّه وبين عيسى، وأنها أعظم من محبة جميع المحبين من عامة البشر، وهكذا محبة بقية الأنبياء لربهم سبحانه، وبهذا يصبح مَنْ أرضى المسيح أرضى اللَّه، ومن أسخط المسيح أسخط اللَّه والعكس.. فلا فرق في هذا إطلاقاً، فالأمر في هذا واحد، ومثل هذا ما قال اللَّه تعالى في القرآن في سورة النساء: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

وهكذا يقولون إن بين فلان وفلان اتحاد، فهل يفهم أحدٌ أن الشخصين ذابا في بعضهما، أم يفهم العقلاء: أصبح بينهما اتفاق وتعاون وموالاة، وما إلى ذلك.

لو أردتم تطبيق هذا القول في الحياة للزمكم أعاجيب لا تقع في عالم الخيال ولا الرسوم المتحركة، فيلزمكم أن تجعلوا الرجل إذا أحب الكلب وقال هذا الكلب في قلبي أن أصبح هو والكلب واحد، وإذا اتفق المشجعون لفريق رياضي على حب فريق، وأصبحوا من شدة حبهم له يقولون: هذا الفريق حياتنا وروحنا، وفي قلوبنا... لزم أن تصبح هذه الجماهير مع لاعبي الفريق بدناً واحداً.

ألا يَضْحَك من مقتضى هذا العقلاءُ..؟!

فكيف تنفرون من هذا الفهم في قضايا عامة ولا تريدون أن نضحك من عقيدة كبيرة تبنى على هذا..؟!

وهذا المطلب هو الذي أوقعكم في قصة فيها إهانة للعقل البشري اسمها «العشاء الرباني». . !

العشاء الرباني

القس الأكبر ريتشارد: وما بال «العشاء الرباني» - يا أبا حامد -، أنت رجل تحترم ما جاء في ديننا من نصوص وتحترم ما جاء في دينكم أكثر، وقد جاء في ديننا نصوص عن المسيح بعمل العشاء الرباني الذي يمثل أقوى رباط ما بين المسيح والمسيحي. . !

فإن قلتم إنه نبي أو قلنا إنه إله، فتوثيق الرباط أمرٌ عظيم. . ثم إنه أمر اتفقت عليه جميع الأناجيل، كما أن الرواية فيه عن عيسى نفسه، فلقد ورد في إنجيل متى: «إن المسيح كان يوم العيد بمحلٍّ وبيده قطعة خبز وقدح خمر، فقال: هذه قطعة من لحمي، والخمر دمي» إنجيل متى الإصحاح ٢٦ .

يا أبا حامد يجب أن ترتقوا للتسليم ببركة العشاء

الرباني، ولا بد أن تجربوه، وستشعرون ببركته.

وفي إنجيل يوحنا (٦/ ٥١ : ٥٣ - ٦٠): «قال المسيح في مخاطبة اليهود: «أنا خبز الحياة إن أكل أحد من هذا الخبز يحيى إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي»، فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم المسيح: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ولم تشربوا دمه فليس لكم حياة، فيكم من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب، فمن يأكلني فهو يحيى بي» فقال كثيرون من تلاميذه: إن هذا الكلام مَنْ يقدر أن يسمعه؟ فرجع كثير منهم عن صحبته».

والعجيب أنكم أنتم كمسلمين تتبركون بآثار

نبيكم محمد، وتشربون الماء الذي توضأ به وما إلى ذلك، فلِم تنكرون علينا العشاء الرباني، أو العشاء المبارك..؟!

**أبو حامد:** صدقني أيها القس الأكبر، إنني لو أردت أن أرد على هذه الشعيرة عندكم في نقاط مفصلة لزادت النقاط على المائة نقطة.. ولكني أخشى أن تنظروا في قِصَر اعتراضكم وطول إجاباتي، وتقولوا قد أخذتَ أكثر من وقتك.

**القس الأكبر ريتشارد:** اطمئن لن نقول هذا.. فإن من الإنصاف أن نقول بأن لازماً من لوازم الإجابة المعتاد أن تكون أطول من السؤال، هكذا الأمر حتى في أسئلة الاختبارات لطلاب المدارس في المراحل الأولى، ثم إن طبيعة أسئلتنا اعتراضات أو إشكالات أو شبهات.. وهل يُعاتب الإنسان إذا دافع عن نفسه، ومع هذا فأرجو أن لا تطيل في الإجابة على العشاء الرباني لأن الأصل فيه عقديٌّ وليس عقليّاً.

الفارق بين التبرك والتنبرك

أبو حامد: أشكرك على هذا التفهم لسبب الإطالة، ولكن ثمة سبب آخر للإطالة وهو أن الدين لا قيمة له في حياتكم، ولا ارتباط له بعقولكم، إنما هو ترديد عبارات قد سبقكم إليها سلفكم.. فأنتم لا تُعْمِلُون فيه عقولكم ولو أعملتم فيه عقولكم لما بقي منه شيء يذكر، لأن العقل سيرفضه، أما الدين عندنا فهو الحياة كلها، الحياة بامتدادها الدنيوي والأخروي، وكل نقطة فيه لا تخالف العقل أبداً ويمكن أن تظهر موافقتها للعقل من كل جهة، فلك أن تتصور كم يمكن أن نطيل، واحتراماً لطلبك فسوف أبالغ في الاختصار في بيان الجواب على العشاء الرباني وأجعلها في نقاط محددة..؟!

**النقطة الأولى**: أما بالنسبة لتبركنا نحن بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فهل ترى وجه شبه ما بين تبركنا نحن بآثار محمد - عليه الصلاة والسلام - بالعشاء الرباني؟ هل سمعت أن أحداً من المسلمين قال إن دم النبي - عليه الصلاة

والسلام - أو لحمه يسري في دمه إن شرب ماءً أو خمراً، أو أكل شيئاً أو لبس أو قام أو صنع ما صنع مما له صلة بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -؟

أين ترى هذا الذي تصنعونه عن عيسى من قول النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - حين جاءه رجل يقول له: ما شاء اللَّه وشئت، فقال له النبي محمد: «أجعلتني للَّه نداً - وفي رواية: عدلًا -، بل قل ما شاء اللَّه وحده»[1].

أين هذا من قول النبي - عليه الصلاة والسلام - وقد قال له رجل: «استسق اللَّه لنا، فإنا نستشفع بك على اللَّه، ونستشفع باللَّه عليك» فقال له النبي ﷺ: «شأن اللَّه أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما اللَّه؟»[2].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٨٣) قال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.
(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وحسنه ابن تيمية انظر تلبيس الجهمية (٣/ ٢٥٣) وابن القيم في مختصر =

**النقطة الثانية**: أيها القس، تعالَ فلنحكِّم عقولنا التي ارتضيناها حكماً في كل شيء علينا وعليكم، تعال فلنحكم عقولنا في العشاء الرباني قليلًا!

فهل من صورة أسوأ تقدمونها لعيسى - عليه الصلاة والسلام - أعظم من أن تجعلوا بيده قدح الخمر يوم العيد وهو يحث الناس على شربها، مع تحفيز ليس مثله تحفيز، إن الخمر يتحول إلى دم الإله..! دم عيسى...! فمن لا يحب أن يجري فيه دم الإله..؟!

ثم هو لا يشرب فحسب، بل يأمر بشرب الخمر، يأمر جميع أتباعه بذلك إلى يوم القيامة، هل تتصورون أن ذلك يمكن أن يكون وصية لعيسى.. وصية لشرب الخمر لك ولأولادك..؟!

ثم ماذا إذا شرب أولادك الخمر، واعترضتَ عليهم بأن الخمر مضر للقلب وللدم وللكبد، وما

---

= الصواعق ٤٣٤، والحافظ ابن حجر في مقدمة هداية الرواة، وضعفه الألباني.

إلى ذلك، فقالوا لك نحن نشربها في هذا اليوم لأجل وصية الرب..؟!

وماذا إذا تَعَوَّد عليه ولدك بعد ذلك وأدمن..؟!

ثم أي إهانة لعيسى حين تجعل الصلة ما بينه وبين أتباعه صلة مسكرٍ نجس[1]..؟!

اللذة التي فيه أنه يذهب العقل وهو أكرم ما في الإنسان ورمز إنسانيته..!

النقطة الثالثة: أيها القسيس، إني أود أن أسأل: مَن الذي يستحيل في مَنْ: هل الخبز يتحول إلى عيسى، أم عيسى يتحول إلى خبز، أم أن عيسى يستحيل في يد القسيس الذي يقدم العشاء الرباني إلى خبز فإذا أكله استحال ذلك الخبز إلى عيسى بشحمه ودمه وعظمه داخل مَنْ شرب الخمرة وأكل الخبز؟!

---

(١) لا خلاف أنه نجس إما حسياً ومعنوياً أو معنوياً فحسب.

وهل يستحيل بعد ذلك الخبز والخمر بعدما تحول إلى بدن المتعشي إلى عيسى ثم يستحيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلى ما يخرج من الإنسان عند قضاء الحاجة - حاشا عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يكون كذلك -.

إنكم في كل مرة تقعون في الاتحاد بألفاظ محتملة، فكما وقعتم في الاتحاد بناءً على ألفاظ «إن اللَّه فيّ وإني في اللَّه» ووقعتم في الاتحاد بحمل لفظ الابن والأب على المعنى الظاهري، ووقعتم في الاتحاد في قضية أن عيسى كلام اللَّه فهو جزء من اللَّه، ووقعتم في الاتحاد في حمل لفظ: «روح القدس» على المعنى الظاهري أنه روح اللَّه، ووقعتم ووقعتم، وأثبتُّ لكم خطأ هذا الأمر من شرعكم، ومن عقولكم، جئتم الآن تقولون إن عيسى نفسه يسري فينا..!

**النقطة الرابعة:** باللَّه عليكم، أليس عيسى جسدٌ باعترافكم..؟!

ألستم أعداداً لا تعد ولا تحصى، فكيف يعقل أن يسري جسد واحد في كل الأجساد سرياناً حقيقياً لا معنوياً. . . فقد كان بإمكانكم أن تقولوا إنه سريان المحبة والوفاء والبركة وما إلى ذلك، لكن النصوص الإنجيلية صريحة بأن الخبز يستحيل في دم كل واحد وعظمه وجلده إلى عيسى ابن مريم.

أتريد أن أذكرك بالنصوص أم أكتفي بما مرّ. . ؟!

ألم يقل النص المزعوم: أن الخبز يستحيل. . ! فإذا استحال الخبز مسيحاً كاملًا بيد القسيس حين يكسر هذا القسيس ذاك الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغيرة فإمّا أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء، أو يستحيل كل كسرة وجزء مسيحاً كاملًا أيضاً، فعلى الأول لا يكون المتناول متناولًا مسيحاً كاملًا، وعلى الثاني: من أين جاءت هذه

الأعداد من المسيح؟ والقس ما قدّم بعباراته عند التقديم إلا مسيحاً واحداً.

لو تأملتم قليلًا في النصوص الواردة عندكم وحكّمتم عقولكم فيها لم تحملوها على ظاهرها، إذ إن ظاهرها ظاهر البطلان.

**النقطة الخامسة**: «لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صلبه بيسير هو نفس عيسى الذبيح حين قتل على الصليب - كما تزعمون - لزم أن يكون كافياً لخلاص العالم، فلا حاجة إلى أن يصلب على الخشبة بأيدي اليهود مرة أخرى، لأن المسيح ما جاء إلى العالم في زعمهم إلا ليخلص الناس بذبحه مرة واحدة، وما أتى لكي يتألم مراراً كما يدل عليه عبارة آخر الباب التاسع من الرسالة العبرانية»[1].

---

(١) ففي الرسالة العبرانية (٩/٢٥- ٢٦) «٢٥- ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر، ٢٦- فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطيئة بذبيحة نفسه».

**النقطة السادسة**: أيليق - عقلًا - أن تأكل مَنْ تعبد أو تشعر أنك تأكل لحمه وتشرب دمه وتكسر عظمه لأجل أن تحل بركته فيك، حتى لو كانت هذه مجرد مشاعر فإنك لا يليق بك أن تفعل هذا مع ربك؟ أيليق أن تفعل مثل هذا مع أبيك الراحل تبركاً به أو محبة له، فمن المعلوم أن من أقبح الصفات البشرية أن يوصف إنسان بأنه آكل للحوم البشر أو مصاص للدماء!

لقد أتقن بولس هذا العشاء الحاقد وسرى في عقائد المسيحيين كما سرى الشراب والطعام في بطونهم.

يقول بولس مبتدع العشاء الرباني في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح ١٠/١٦: «كأس البركة التي نباركها: أليس هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟».

**القس الأكبر «ريتشارد»**: أرجوك - يا أبا حامد -

أن لا تخرج من نقاشنا الشرعي إلى المنطق العقلي والعامي، وتحكم المنطق أو **العقل** علينا... فنحن كعلماء في النصرانية أدرى بمقاصد الخطاب... وأمرٌ آخر هو في غاية الأهمية، ذلك هو أنه كما ورد الخطاب بـ«يا بني» مقصود به غير الولد فإنه ورد وأُريدَ به الولد.. بل إن الأصل في كلمة «يا بني» أو «يا والدي» هو الأب الحقيقي والولد الحقيقي، ومن المعروف أنه لا يجوز أن تصرف من المعنى الحقيقي إلى المعنى الآخر إلا بصارف... وعلى هذا المعنى الحقيقي نقرأ الإنجيل، وعلى هذا المعنى نفهمه، ثم إنك أنت طلبت بنفسك أن تقيم الإنجيل حكماً وهذا حكم الإنجيل؟!

**أبو حامد**: أرجوك يا حضرة القس الأكبر لا تحاول أن تُحيّد **العقل** إذا ضاقت عليك الأمور، وتقول لي: «لا تخرج من نقاشنا الشرعي إلى منطق **العقل**» كما أرجوك ألا تستنيب عقلك عن

عقول الحاضرين، فالإنجيل مثل التوراة مثل القرآن من حيث إنه لم يُوجَّه إلى فئة خاصة ذات عقول خاصة. . . واللغة التي تكلم بها الإنجيل والقرآن والتوراة والزبور هي لغة يفهمها عامة الناس، فهي ليست لغة جديدة، وليست لغة القساوسة وحدهم، ثم إني أتساءل: أيعقل أنه لم تمر على حضرتكم الشواهد الكثيرة في الإنجيل التى تدل على أن المقصود بخطاب اللّه لعيسى - عليه الصلاة والسلام -: «بولدي أو بني» تشريفه لا نسبة الألوهية إليه؟!

لا، ثم لا. . . لا يعقل!: فأنا أنزه عقولكم عن عدم معرفة ذلك، ولكني أظن أن سبب قولكم هذا مع رؤيتكم الأدلة أمامكم هو أنكم تلقيتم العبارة أول الأمر وتلقيتم فهمها معاً، فرسخ الفهم كما رسخت الألفاظ، فأنتم لا تستطيعون الحيدة عن الفهم الذي تلقيتموه أول مرة. . . فتأسس هذا الفهم جيلًا بعد جيل عند

الناس. . ! وإلا فإني سوف آتيكم بنصوص قاطعة واضحة من العهد القديم «من التوراة» ومن العهد الجديد «الإنجيل» تنص بكل وضوح على أن المقصود بخطاب اللَّه لعيسى - عليه الصلاة والسلام - «بالابن» ليست البنوة الحقيقية. . . وأرجوك إن كان لك من تعقيب فلا تمهلني لحظة واحدة، ومع هذا فأنا أريد أن أقررك عند كل سؤال، وتكفيني الإقرارات السكوتية! أما بالنسبة لي فسوف أعلن قراري صريحاً دون حرج إذا ما اقتنعت في أية نقطة حوارٍ برأيكم.

معاشر القساوسة، هل تقولون إن داود - عليه الصلاة والسلام - ابن اللَّه؟

**القسيس الأكبر**«ريتشارد»: لا قطعاً، لكنه أب ليسوع من حيث نسب أمه.

الابن الأكبر!

**أبو حامد**: فما دمتم لا تقولون إن داود ابن اللَّه، فماذا تقولون في هذه العبارة الصريحة الواضحة، حيث خاطب اللَّه داود فقال: «أنت

ابني، أنا اليوم ولدتك» (العهد القديم ص ٨٣٤).

وفي التوراة يقول الرب لموسى - عليه الصلاة والسلام -: «**فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر**» سِفْرُ الخروج الإصحاح ٤ : ٢٢- ومثل هذا في العهد القديم كثير.. فإذا كان إسرائيل ابن اللَّه وبِكْرَهُ ألا يكون إسرائيل أولى بالوالد من بقية ولده الآخرين؟[1]

وفي التوراة أيضاً: «**وقال لي: إن سليمان ابنك هو يبني بيتي ودياري، لأني اخترته لي ابناً وأنا أكون له أباً**» سفر أخبار الأيام الأول ٢٧/ ٦ .

وبودي قبل أن يعود القس الأكبر لاحتجاجه بأنكم ملزمون بما في الإنجيل: أن ينظر ويتأمل ماذا يقول الإنجيل على لسان عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه وهو يخاطب أصحابه فيقول: «**إن أباكم الذي في السماوات**». فهو

---

(١) هذهِ مستفادة من كتاب البخيل للجعفري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ليس أباً لعيسى - عليه الصلاة والسلام - وحده. . . إنما هو أبٌ لكل هؤلاء، فهل أصبح كلُّ هؤلاء الطلاب الذين خاطبهم عيسى - عليه الصلاة والسلام - آلهةً؟ أم أصبحوا أبناء حقيقيين للَّه تعالى. . ؟

بل إن عيسي - عليه الصلاة والسلام - جمع نفسه مع أصحابه وساواهم أمام اللَّه في هذه البنوة، فقد قال يوحنا عن عيسى - عليه الصلاة والسلام -: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» متى إصحاح ٢٠/١٨ .

ففي هذه العبارة قَطَع عيسى - عليه الصلاة والسلام - كل احتمال في تفسير الأُبوّة وأقام الحجة أبلغ قيام على مَنْ أراد تحريف معناها، فقد جمع نفسه وإياكم في البنوة بأصرح عبارة فقال: «أبي وأبيكم». وقطع بأن اللَّه وحده إلهه وإلههم فقال: «إلهي وإلهكم»، ومقتضاها أنه

ساوى نفسه وإياهم في شيئين فيلزم من قال بأحدهما أن يقول بالآخر ولا يفرق، فمن قال إن عيسى ابن اللَّه فيلزمه أن يقول إن هؤلاء أيضاً أبناء اللَّه وهكذا في الألوهية وفي العبودية... ألا يكفي هذا؟

ونظرة واحدة إلى أول وصايا «إنجيل مرقص» (١٢ : ٢٨ - ٣٠) تعطيك التفسير، إذ يروي عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقص هكذا: (فجاء واحد من الكَتَبةِ وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله: أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد: وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى) اهـ.

ويسمح لي الحضور الأكارم أن أبين تحديد

التوحيد في عبارة عيسى - عليه الصلاة والسلام - هذه أولًا بقوله: «**الرب إلهنا**»: فعيسى - عليه الصلاة والسلام - واحد من أولئك الحضور المخاطبين بأن يعبدوا إلهاً واحداً هو اللَّه إلههم جميعاً... وهل يقول هذهِ الكلمة مَنْ هو رب؟!

**ثانياً**: «**رب واحد**»... فأين الثلاثة؟

**ثالثاً**: «**بالحق قلت**»: فتأليه غير اللَّه الواحد يعني: باطل.

**رابعاً**: قوله: «**لأنه اللَّه**»: لم يترك العبارة محتملة، إنما حدد الرب فقال: «إنه اللَّه».

**خامساً**: لأنه اللَّه واحد: كرر لفظ التوحيد مرة ثانية للتأكيد.

سادساً: «وليس آخرٌ سواه» فهذهِ من أقوى صيغ الحصر والقصر، إذ أثبتت الوحدانية للَّه وكان ذلك كافياً خصوصاً مع تكرارها وتأكيدها، لكن العبارة هنا جاءت نافية للألوهية عن غير اللَّه الواحد.

وهكذا يأتي إثبات الوحدانية في إنجيل يوحنا كذلك، إذ يروي عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - قوله: «والمجد الذي من الإله الواحد لستم تقبلونه» يوحنا ٥/ ٤٤ .

منزلة عيسى عليه الصلاة والسلام ومهمته

وفوق هذا أيها القس الكبير: فإن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يترك الأمر محتملًا حول ماهيته؟ بل حدد عيسى - عليه الصلاة والسلام - بنفسه منزلته بين الناس. . ففي معرض رد عيسى - عليه الصلاة والسلام - على اليهود الذين اعترضوا على قطف تلاميذ عيسى - عليه الصلاة والسلام - للسنابل ليأكلوها في يوم السبت خاطبهم بنفسه قائلًا: «إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً، فهو ابن الإنسان وليس ابن اللَّه».

بل قد ورد نَسَبُهُ مفصلًا، فقد جاء في إنجيل متى ١/١: «هذا كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. . .» إذن فأين أبوة اللَّه النسبية لعيسى - عليه الصلاة والسلام - في هذا النص الصريح؟! وإن ذكرتم أبوة هؤلاء لعيسى وختمتم

النسب باللَّه فإن هذا يعني أبوة اللَّه لكل هؤلاء الأبناء وليس لعيسى منفرداً!

ولم تكن منزلة عيسى مبهمة بين الناس كما لم تكن صورة الإنسان منه ظاهرية فحسب، إنما هو رسول قد خلت من قبله الرسل، رسول أرسله اللَّه ليعرف الناس باللَّه الذي أرسله.

ففي إنجيل متى: «هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل» إصحاح ٢ فقرة ١١- إذن فهو نبي عظيم من أنبياء اللَّه.

ويروي يوحنا: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» (١٤ : ٦، ٤٠ : ٧).

وفي «يوحنا» كذلك: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من اللَّه».

هل من ريبة تبقى بعد كل هذه النصوص على أن عيسى إنما هو رسول من المرسلين. هذه منزلته وهذه وظيفته.

القس الكبير سبارتو: يا أبا حامد أنا لا أنكر

تلك النصوص التي ذكرتها، ولكن عليك أن تعلم أن كل بنوة غير بنوة يسوع فهي محمولة على التشريف، أما بنوة يسوع فهي محمولة على الحقيقة. . . وإلا أعطني رجلًا بشخصه قد سماه اللَّه في الإنجيل ابناً له غير يسوع.

أبو حامد: قد أتيتك من قبل بنص في التوراة صريح عن داوود يسميه «ابن اللَّه»، لكنني لاحظت من عبارتك هذه استسلامك بكل ما ورد، أما وإنك تريد الآن نصاً من الإنجيل يقطع بهذا. . . . فبودي إذا آتيتك النص تستسلم تماماً وتوحِّد اللَّه، وهاكها: فإن الأناجيل نفسها تسمي آدم ابن اللَّه كقول لوقا: «شيت ابن آدم ابن اللَّه» لوقا ٣/ ٣٨ .

فكيف يمكن أن نفك هذا الاضطراب. . . ؟ أليس تأليه عيسى - عليه الصلاة والسلام - مبنياً على أنه ابن اللَّه سبحانه؟! إذن لِمَ لَمْ يكن آدم إلهاً بناءً على أنه «ابن اللَّه» كما في هذا النص،

وبذا يكون كلاهما ابن اللَّه كما تقولون؟

ثم كيف تقولون إنه ابنه الوحيد ثم يظهر له ابن ثان وهو آدم؟

أليس «آدم» باعتراف الإنجيل أباً لعيسى - عليه الصلاة والسلام -؟! فكيف يكون عيسى - عليه الصلاة والسلام - رباً لآدم، علماً بأن آدم وُصف في الإنجيل بأنه «ابن اللَّه»؟

هل يا ترى يكون اللَّه جَدّاً لعيسى إذ إن آدم أب لعيسى بحكم الإنجيل. . ؟!

أم هما أَخَوان. . ؟!

أم اللَّه تبرأ من آدم. . ؟!

ثم كيف يكون أحق بالربوبية من آدم، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - جَمَع صفةً واحدة وهي أنه «ابن اللَّه» وآدم جمع صفتين أنه أب لعيسى - عليه الصلاة والسلام -، وأنه «ابن اللَّه» كما في الإنجيل؟!

ثم لِمَ لَمْ تزعم البشرية كلها بأن أباها ونبيها «آدم» كان ابناً للَّه تكريماً للبشرية كلها، وانفرد المسيحيون وحدهم بهذا الزعم العجيب؟!

وكيف يكون هو ابن اللَّه ولم يكن في ذريته أي نبي بينما آدم أبو الأنبياء - وفق قياساتكم؟ وكيف يكون ابناً للَّه وبينه وبين آدم وبين اللَّه سلسلة طويلة من الآباء كما تثبتون في كتبكم بينما ليس بين آدم وبين اللَّه شيء؟ كل ذلك وفق قياساتكم؟

وكيف وكيف... وكيف... فهل يقوى العقل على الوقوف أمام هذهِ الأعاصير المتضاربة؟ أم يقوى على فك هذهِ الألغاز؟

وليس آدم وحده هو الابن المنافس لعيسى - عليه الصلاة والسلام - كما في الإنجيل، بل ثمة أبناء كثيرون، وذلك مما يرويه الإنجيل عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه فهو يقول: «طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون اللَّه، طوبى لصانعي

السلام، لأنهم أبناء اللَّه يدعون» متى ٥/٨ .

وفي إنجيل يوحنا: «وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد اللَّه.. أي المؤمنون باسمه..» يوحنا ١/١٢ .

ويقول: «انظروا أية نصيحة أعطانا الأب حتى نُدْعىٰ أولاد اللَّه» يوحنا في الرسالة الأولى ٣/١ .

إذن فهذه الصفة تشريف لكل المؤمنين، لكل الطائعين للَّه... فما الذي يحرم كل من يستحقها من البشر - وهي موجهة للجميع -، وما الذي يقصرها على عيسى - عليه الصلاة والسلام - أو على آدم أو على الأنبياء، خصوصاً وأن التصريح بها هنا واضح جداً وخبرها عام جداً، نعم إن الناس درجات لكنهم جميعاً عباد للَّه وحده.

ثم ما الدليل على التفريق ما بين عيسى - عليه الصلاة والسلام - وغيره في معنى الابن، والوصف واحد على الجميع؟

وإذا ميّز النّصارى عيسى - عليه الصلاة

والسلام - بهذا التفسير، فما الذي يمنع أن يُحمِّل آخرون لفظ الابن نفس المحمل، ويقولون: إن صاحبهم مخصوص بالبنوة؟

الأمانة وما أدراك ما الأمانة

القس «بول»: نحن نقول لك: نحن موحدون، نحن نعبد رباً واحداً، وأنت تقول: أنتم تعبدون ثلاثة، هل تعلّمنا ديننا؟ أم أنك أفقه منا ونحن قد قضينا أعمارنا في هذا الدين العظيم.

باللّه عليك: هل قرأت ما نسميه نحن: «الأمانة» مرة في حياتك، هل تعرف قيمتها؟!

أنا موقن أنك ما قرأتها وهي عندنا في المقام الأعلى، ولو أنك قرأتها لما قلت أننا مشركون!! وما وقفت منا هذا الموقف العدائي والمتهجم..!

أرجوك اسمع مني وأنا أتلو عليك الأمانة:

«أُؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض - كل ما يرى وما لا يرى -، وبرب واحد يسوع المسيح ابن اللّه الوحيد

المولود من أب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي - من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا - نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنّس وصُلِب وتألّم وقُبِر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وأيضاً سيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو الأب والابن المسجود له، وممجد ناطق في الأنبياء، كنيسة واحدة جامعة رسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وابنٌ جاء لقيامة الموتى، وحياة الدهر العتيد، كونه أميناً»[1].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور علي بن حسن بن ناصر (٣/ ٢٢٨).

وأحسب من الإنصاف أن أوجه الدعوة إليك لإعادة النظر في المسيحية، ومن لا يعرف المسيحية فليجرب، ليجرب، وسيرى كيف سيصنع يسوع المسيح له من الخيرات..!

كيف ستختلف حياتك إلى أحسن ما يكون..؟!

كيف ستتوفر لك حاجياتك..؟!

كيف ستزول كل العوائق أمامك؟ كيف ستعيش في العالم بسلام؟ ويعيش معك العالم بسلام؟

جرب يسوع وستراه نعم الإله..!

**أبو حامد**: إن هذا العرض الذي تعرضه بقولك: «جرب يسوع..» هو ذات العرض الذي يكرره جميع القساوسة والمبشرين مع عامة الناس، وخصوصاً مع من لا يستخدم عقله، وما ذلك إلا لأن الرجل لا يمكن أن يقتنع بما تقولونه ما لم يُغيّب عقله، ولأن هذه العقائد لا يمكن أن

تدخل **العقل** ما دام الحارس مستيقظاً وهو **العقل**، ولذا فلا بد أن ينوّم مغناطيسياً ليسير بعدها كيفما يشاء مُنَوِّمه.

لم لا تُقْنع عقلي وسوف تراني أَنْجَرُّ نحوك جراً، وأسير وراءك وأنا في غاية المودة والسرور؟

**لم لا تجمع عقلي وقلبي بين يديك..؟**

لِمَ تريد أن تَفْصل عقلي عن قلبي..؟!

إن مَثَلَك ومثل مَنْ تطلب منه هذا الطلب مثل رجل يزعم أنه مُخْلص لك وناصح، وفجأة تكتشف أنه يريد أن يضربك على رأسك بقوة، فتمسك يديه، فيتحول فجأة إلى ناصح، ويحدثك عن السلام والمحبة فإذا هدأت قال لك: أغمض عينيك ولا تسألني إلى أين أذهب بك..!

إن أول سؤال يُوجه لهذا الغادر هو: **لو كنت تريد السلام حقاً فخذني وأنا مفتح العينين..!**

أما عن معرفتي بدينكم فليكن في علمك أنني أعرفه جيد المعرفة، ولولا أني أعرفه ما تجرأت

أن أتكلم في دين أصله سماوي، ولكن ما أحببت أن أُخرِج حوارنا عن الحكم العقلي.

أما الأمانة التي فاخرت بأنها أكبر دليل على التوحيد في دينكم، فإني أريد أن أتساءل عن نفس الأمانة:

يقول اللَّه كما في الأمانة: «وبرب واحد يسوع المسيح ابن اللَّه الوحيد المولود... مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء».

فهل يمكن أن يكون للكون إلٰهان اثنان ويكونا متساويين في كل شيء..؟!

أيمكن أن يكون كلا الاثنين قادرين على كل شيء..؟

فكما أن من المستحيل أن يكون في الوجود إلٰهان اثنان، فكذلك يستحيل عقلًا أن يكونا قادرين على كل شيء في آن واحد! وإلا ماذا ترى لو أن أحدهما أراد الحياة لميت، أيقدر أن يحييه أم لا يقدر؟ والجواب المنطقي: يقدر على

إحيائه، والسبب أنه على كل شيء قدير.

فماذا ترى: لو أن الآخر أراد ضد إرادة الأول، أي أنه أراد إبقاءه ميتاً إلى الأبد، فهل يقدر أم لا..؟!

إن قلت: يقدر وهو على كل شيء قدير، سقط الأول لأنه ليس على كل شيء قدير... وإن قلت: لا يقدر على إبقائه ميتاً سقط هو، لأنه لم يقدر على شيء من الأشياء، فهو ليس على كل شيء قدير.

هذا مثال واحد في قضية واحدة، فما بالك وحالات الإحياء والإماتة والعطاء والمنع، والخفض والرفع، والرحمة والعذاب، والتوسيع والتقدير، والإعزاز و الإذلال، والجمع والتفريق وما إلى ذلك من الحالات التي لا تعد ولا تحصى في اللحظة الواحدة.

لا تَقُلْ إنهما يتفقان، فإن قولك يعني وجوب التنسيق بينهما؟ لكن ماذا إذا لم يكن التنسيق؟

ماذا إذا كان تنسيق ثم فشل وحصل تضاد؟ فالسؤال لا يتعلق بالفعل ولا بتنظيمه، وإنما يتعلق بأصل القدرة. . . فأنت قلت إن ما لهذا لذاك سواء بسواء، وأن كليهما على كل شيء قدير. . .. فيأتي السؤال هنا وهو:

هل هو قدير على ضد ما يقدر عليه الآخر إذا أراد أم لا؟

وقل مثله في النصرة، وهل هو ينصر من يشاء؟ وفي عالم الغيب، فهل هو عالم بكل شيء ولا يخفى عليه شيء وما إذا أراد الآخر إخفاء شيء. . ؟

وستصل إلى النتيجة الحتمية: بأن واحداً هو الذي يجمع تلك الصفات ولا يشرك معه أحداً أبداً في ذلك وهو اللّه رب العالمين، وهذا ما جاء ذكره في القرآن في سورة النحل فتأمله جيداً فإنه يخص موضوعنا

وقال في سورة الأنبياء: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ

ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الآيات: ٢١ - ٢٦].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

[النحل: ٥١ - ٥٥].

الحقيقة التي ينبغي أن نعترف بها جميعاً هي أن مقصدنا جميعاً هو التوحيد، ولكن من منا

الموحد معتقداً وفعلًا، ومن المشرك معتقداً وفعلًا؟

أنا لا أدري ما الذي غرَّك حتى تحتج بما تسمونه «الأمانة» كدليل على التوحيد.

أَلِأنها ذكرت لفظ الواحد وكررته مرتين مرات..؟!

حقاً إنها لوحة من العبارات، المليئة بالتناقضات، فهي كما يقال في المثل: «تَكْسِرُ وَتَجْبِرُ، وتجبر وتكسر»!.

نعم جاء فيها: لفظ «الواحد» مرتين بدل المرة الواحدة، لكن لو سأل سائل: كم إلهاً أمرت الأمانةُ بالإيمان به؟ سيكون الجواب الذي لا جواب غيره: ثلاثة آلهة..!

«آمِن بإله واحد أب ضابط للكل، و آمن برب واحد يسوع المسيح ابن اللَّه.. وآمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب.. فكلمة الواحد جاءت لتؤكد الفاصل ما بين الثلاثة!

أيها القسيس «بول» سل أي ولد في السنة الابتدائية الأولى عن هذه المسألة الحسابية وقل له: كم أعداد الموجودين في هذه الفقرة؟ أو قل له؟ واحد، وواحد، وواحد فكم يساوي..؟

هات أكبر العلماء كذلك واسأله ذات السؤال: إن النتيجة الواحدة هي ثلاثة!

دعك من كل هذا، وانظر: هل المذكور في الأمانة هنا اسم واحد أم ثلاثة أسماء...؟

إنها ثلاثة أسماء مختلفة، اسم الأول: «**الأب**»، واسم الثاني: «**الابن**»، واسم الثالث: «**روح القدس**»، فكيف أصبحت الأسماء الثلاثة اسماً واحداً؟!

تميزهم الأمانة أكثر فتقول في وصف الأول أنه: «**أب**» وفي وصف الثاني أنه «**ابن**»، وفي وصف الثالث أنه «**روح القدس**»، فكيف تكون هذه الأوصاف الثلاثة لهذه الأسماء الثلاثة وصفاً واحداً؟!

ماذا لو أمسكت بيدك اليمنى ثمرة وباليسرى ثمرة أخرى وقلت: هذه الثمرة التي في اليسرى من بذرة هذه الثمرة التي في اليمنى فكم ثمرة عندنا؟ إنهما ثمرتان، ولا يقول عاقل إنها ثمرة واحدة.

تقولون في الأمانة: «إله حق من إله حق» فكم إله هنا..؟!

تقولون: **«من جوهر أبيه مولود غير مخلوق»، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء**، والسؤال: جوهره من جوهر أبيه، فكم جوهر أصبح عندنا..؟!

وهكذا.

فكل كلمة في هذه الأمانة تدل دلالة قطعية على نقيض التوحيد وتقرر تعدد الآلهة.

وأخيراً يقول «وبروح القدس» أي: آمن بإله ثالث وهو: «روح القدس»، ثم يعرّفه ليقرر بتعريفه إلهاً ثالثاً، ويفرزه لوحده فيقول: **«المنبثق من الأب»**.

**أيها القس بول**: حتى الحرف المذكور في الأمانة وهو حرف الإضافة «الواو» يدل على التعدد وعلى المغايرة، أي أن هذا غير هذا، ومثاله أنك لو قلت: دخل المدرس والمدرس والمدرس، هل يعني هذا أنه مدرسٌ واحد دخل أم ثلاثة مدرسين..؟!

**والجواب** أنهم ثلاثة مدرسين بناءً على أن حرف الواو يقتضي المغايرة.

إنهم ثلاثة مدرسين مع أن الاسم والوصف واحد ومتحد.

فكيف وقد جاء التغاير هنا في الاسم والوصف والفعل والابتداء، ولذا فكلما أنعمتِ «الأمانة» في الوصف أكدت التغاير..!

أرجوك - أيها القسيس - إذا كان كلامي خطأً فأوقفني وقل لي أخطأت والدليل كذا، وإلا فأنا أعتبر السكوت إقراراً! واسمحوا لي - أيها الأساتذة - فأنا أعتبر القضية لا تحتمل التأجيل،

القضية ينبغي أن تحسم، وبعد الحسم يختار كلٌّ ما يشاء من غير إكراه.

وجسوم سقوط مثل اتحاد الملح بالماء

**القسيس «فرانك»**: أرى من كلامك هذا أن الصورة عندك مشوشة، ولعلك لن تجد مثلًا يقرب لك حقيقة الثلاثة والواحد أكثر من التركيز في مثال اتحاد الملح في الماء، فإنك بعد اتحادهما لا تستطيع إلا أن تقول: إنه «ماء مالح»، وأي وصف غير هذا الوصف يعتبر وصفاً غير صحيح على هذا المركَّب، فمع أنه مركَّب إلا أنه شيء واحد.

فكِّر في نفسك - يا أبا حامد وسوف تقتنع- : ألا تُسمىٰ أنت كما أسمى أنا «إنسان»؟!

ألم تصبح إنساناً باتحاد الروح والبدن كذلك، فكذلك اتحاد اللَّه في عيسى..!

أبو حامد: لعلك تذكر أيها القسيس - فرانك - جيداً ما مر معنا من أن اللَّه تعالى رفع عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأجلسه عن يمينه.

كما في إنجيل مرقص [١٦ : ١٩]: «وجلس عن يمينه».

فهذا يعني أنه لم يكن اتحاد الذات في الذات إنما هو الجلوس عن يمينه، وبهذا يتبين أن كل أمثلة الامتزاج والاندماج والتحلل ونحوها من الأمثلة الكثيرة ساقطة لأنها مصادمة للإنجيل وكما هي القاعدة عندكم وعندنا معاً «لا قياس مع النص» ألا يكفي هذا..؟

ومع هذا فإن هذا التبرير ساقط من كل الوجوه العقلية، من ذلك:

**الوجه الأول**: أنه ساقط لأنه لا يعتمد على دليل شرعي صحيح ليس في الإنجيل وحدهُ وإنما تعارضه كذلك التوراة و الزبور والقرآن، ألا يكفي هذا؟!

**الوجه الثاني**: أنه ساقط لأن العقل يقول: إن كل اتحاد مزجي كالماء مع اللبن والملح مع الماء يقتضي تداخل جزئيات هذا في جزئيات هذا...

فكيف تداخلت جزئيات الابن بالأب بروح القدس.. كيف..؟!

نعم إننا لا نريد أن نضرب المثل، وَنَسْخَر منه، لكن من يضرب المثل عليه أن يحتمل الاعتراض ويحسن الإجابة التي تقنع **العقول**، أما أن يقول هذه عقيدة، فإذا جاء من يسأله ضَرَبَ له المثل ليقنعه! فإذا نوقش بالمثل ورأى أنه مثل باطل، هرب إلى التخويف بأنها العقيدة..! فهذا ما لا يقبله أي عاقل من **العقلاء**.. وزمن إلغاء **العقول** هذا ولّى إلى غير رجعة!

**الوجه الثالث**: إن اتحاد اللبن بالماء أو الملح بالماء يقتضي ذهاب بعض خصائص هذا في ذاك وذاك في هذا قطعاً، و إلا كيف أصبح اللبن أخف مع أنه بقي لبناً، وكيف أصبح الماء مالحاً مع أنه ليس بمالح، فإذا زدت الماء ملحاً ازدادت ملوحته لازدياد جزئيات الملح فيه، وقل مثل هذا في كل مختلط.

وهنا يكون السؤال الذي يعجز أصحاب المثل من الإجابة عليه: ما الخصائص التي ذهبت من اللَّه في عيسى - عليه الصلاة والسلام - وفي روح القدس والعكس؟

ثم إذا كان الابن كاملًا - كما تقولون - فماذا يعني ذهاب بعض خصائصه..؟!

ليس أمامكم إلا واحد من جوابين: إما أن تقولوا إن الأب كامل أو ناقص..؟!

فإن قلتم إنه ناقص واكتمل بالاتحاد فهذا كفر عندكم كذلك.

وإن قلتم إنه كامل ونَقَصَ فهذا كذلك كفر عندكم كذلك.

إن اتحاد قوة الاثنين تعني تغير كلا القوتين عند امتزاجهما حيث تذهب نقاط الضعف من هذا وتذهب من ذاك، فتتكامل القوتان في قوة واحدة متكاملة..!

فمثال هذا الاتحاد أن يتحد الماء الحار مع

الماء البارد فتنكسر قوة الحار قليلًا وتنكسر قوة البارد قليلًا فيتولد منهما ماء معتدل فهل هذا ينطبق على اتحاد الأب والابن وروح القدس..؟!

الحقيقة أن اتحادكم ليس له صورة واحدة في الوجود لأن مقتضاه أن اللَّه أصبح غير إله وعيسى لم يصبح إنساناً.

الوجه الرابع: منبع فكرة الاتحاد هو: النقص البشري! إنها فكرة طلب الكمال، أو طلب التكامل! وهي نابعة من الحاجة للوصول إلى مستوى التحدي بالاتحاد! كما تتّحد الشركات وتتحد الإمارات، والدول، لتضيف باتحادها مزيد قوة ومنعة ويكونوا على مستوى التحدي، وهكذا يتحد أهل الشر لمواجهة أهل الخير و يتحد أهل الخير لمواجهة أهل الشر، ونحو ذلك، فالسر في فكرة اتحاد الآلهة عند النصارى ومن سبقهم هو الاتحاد ضد قوة الشر كما يتوهمون!، هكذا

تعرض المسألة العظمى على العقول عندكم كما تعرض على الأطفال في اتحاد الرسوم المتحركة.

إنها صَبْغُ المعتقد الإلهي بالقصور البشري!

وإلا فهل يعقل أن يقول أحدهم إن اللَّه قَبْل الاتحاد كان مثله بعد الاتحاد..؟! أو أن قوة عيسى - عليه الصلاة والسلام - قبل الاتحاد مثلها بعده؟

وقل مثل هذا في روح القدس!

فهل كان اللَّه محتاجاً إلى اتحاد مع أي أحد وهو رب كل أحد، ومرجع كل أحد وحاجة كل أحد إليه..؟!

ولذا فقد جاء في سورة قرآنية اسمها سورة الإخلاص تقرير هذه الحقيقة، حقيقة الوحدانية أجمل تقرير وأكمله حيث يخاطب اللَّه نبيه ويقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

**الوجه الخامس**: هل مر عليكم أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - قد رآه الناس في وقتٍ ما بأعينهم، هل رأوا جسده، رأوا يديه وعينيه ورأسه ورجليه، رأوا مشيته، رأوا جلسته، هل ختنوه ورأوا ما رأوا؟ في إنجيل لوقا ٢- ٢١: «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع»؟!

لكن السؤال الثاني هو: هل رأى الناس اللَّه.. هل رأوا ذاته؟

والجواب: قطعاً لا.

والسؤال الآخر هو: هل رأى الناس عيسى - عليه الصلاة والسلام - في وقته - نائماً، ورأوه آكلًا وشارباً ورأوه طالباً للطعام، ورأوه جزعاً، ورأوه باكيًا يذرف دموعه، ورأوه مصلوباً حتى موته، ورأوا دفنه في القبر كما تزعمون..؟!

والجواب: نعم.

وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح الأول، الآية

١٨ عن عيسى نفسه: «إن اللَّه لم يره أحد قط» وفي التوراة في سِفْرِ الخروج في الإصحاح ٣٣ آية ٢٠ «قال: لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش».

قصة الثلاثة الذين تنصروا

**الوجه السادس**: نُقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص، وعلّمهم بعض القساوسة العقائد الضرورية، لا سيما عقيدة التثليث، وكانوا في خدمته، فجاء محب من أحباء هذا القسيس، وسأله عمن تنصر، فقال: ثلاثة أشخاص، فسأل هذا المحب: هل تعلّموا شيئاً من العقائد الضرورية؟ فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليُري مُحِبَّه، فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة: أحدهم، الذي هو في السماء، والثاني: تولد من بطن مريم العذراء، والثالث: الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم، وسأله، فقال:

إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة، وصلب واحد منهم وبقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث - وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد - فسأله، فقال: يا مولاي، حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملًا بفضل الرب المسيح، أن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات، فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد[1].

أيها القسيس «فرانك»: أليس هذا هو منطق كل عاقل في قضية الاتحاد..؟!

أليس من حق العقل - بناءً على مثال اتحاد الأب والابن وروح القدس بالماء - أن يقول: هل تبخر بعض الماء حين صلب المسيح..؟!

---

(١) «إظهار الحق» تأليف الشيخ العلامة رحمت اللّه ابن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي.... الجزء٣ صفحة ٧٣١-٧٣٢.

**فالوجه السابع**: أنتم تشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن.

وأنتم تقولون إن عيسى روح وبدن، فلولا الروح لم يكن له فضيلة لأنه بغير الروح جسد لا إحساس فيه، إذ الروح هي التي تعطي الإنسان خاصية الإحساس والمشاعر وتُفرِّقه عن الأموات وما إلى ذلك.

إذن فقد كان اتحاد اللَّه بعيسى كروح وجسد - كما تزعمون - وبناءً على هذا نسأل: أي إهانة للَّه يوم أن صُلب عيسى وكان اللَّه فيه..؟! فكان بكاء عيسى من الألم بكاء اللَّه الذي اتحد فيه وتألم..!

فإن لم تقولوا بهذا فليس أمامكم إلا أن تقولوا إن اللَّه تخلى عن عيسى في ابتلائه ذاك وخذله، وهل يبقى عيسى إلهاً في اللحظة التي خرج اللَّه منه وتخلى عنه؟[١].

---

(١) الجواب الصحيح لشيخ الإسلام (٣/ ٣٣).

ثم أيهما كان يمثل الروح وأيهما يمثل الجسد؟

وإن شئت قلت: أيهما بغير صاحبه لا قيمة له؟ وإن أبيت ذلك فليس أمامك إلا أن تتساءل قائلًا: أيهما بغير صاحبه نَقَص؟

**الوجه الثامن:** أيها القس «فرانك»: إذا كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما تقولون خالق السماوات وخالق الأرض وأنه الذي يدبرهما ويحفظهما وما إلى ذلك، فمن الذي تولّد في بطن مريم؟ ومن الذي عاش في أحشائها؟ ومن الذي خرج مولوداً من بطنها إلى الخارج؟ ومن الذي مُهّد في الخِرَق؟ ومن الذي احتاج إلى الرضاعة؟ ومن الذي أكل الطعام؟ ومن الذي بال وتغوط كلازمٍ من لوازم الأكل والشرب؟ من؟

أيمكن لعاقل أن يجيب على هذهِ الأسئلة بقوله:

إنه اللّه؟! - تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً.

**الوجه التاسع:** تقولون إن عيسى - عليه

الصلاة والسلام - قد دفن بعد صلبه ثلاثة أيام ثمّ قام من المقبرة!

فمن الذي غسل الإله وكفنه ومن الذي حمله ودفنه في قبره؟

ومن الذي أدار الكون الأيام الثلاثة التي مات فيها عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقبر.. كما تعترفون بذلك؟!

فإن قلتم اللّه تعالى هو الذي أدارها، قلنا لكم: إذا كان اللّه حفظ الكون قبل ولادة عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهو الذي حفظه بعد موته ودفنه - كما تزعمون - فما قيمة عيسى - عليه الصلاة والسلام - في إدارة الكون، وفي حفظه إذ كان وجوده وعدمه سواءً..؟!

ولِمَ يجعل اللّه له شريكاً وهو المتفرد في كل شيء..؟!

وهل يصبح متفرداً في كل شيء إذا جعل له آخر مساوياً له..؟!

**الوجه العاشر**: وإذا كان - اللَّه - قد رفع عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلى هذا المقام بعد مرور كذا وكذا على خلق آدم فما المانع من أن يتخذ بعد فترة من الزمن رابعاً غير عيسى - عليه الصلاة والسلام - وخامساً وسادساً و سابعاً. . ؟!

ما المانع أن يجعل اللَّه من حوله أحد عشر حوارياً كحواريي عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ليُكفّر في كل مرة عن خطايا بني آدم المتجددة. . ؟!

أم أن صلب عيسى - عليه الصلاة والسلام - كَفّر عن الخطايا الأولى دون الآخرة التي جاءت بعده. . وأن من جاؤوا بعده لا كفّارة لهم علماً بأنهم أكثر خطايا وأكثر عدداً. . ؟!

أم أن توبتهم أصبحت كافية من بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما تقولون فإذا كانت توبة المتأخرين تكفي. . . فما مزية من تاب عمن لم يتب في الأَوَّلِين؟ وأي قيمة للصلب عند المتأخرين غير التائبين. . ؟!

الوجه الحادي عشر: كيف يصلب المسيح - وهو الولد البار - ليكفر به الأب عن خطايا الآخرين؟!

وهل من العدل أن يعاقب الأب ولده البار لأجل بقية الأولاد العاقين أو خلقه العاصين؟!

وهل من العدل أن يصلب الإله لأجل المجرمين والسارقين..؟!

أليس قتل عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه جريمة جديدة تحتاج تطهيراً جديداً..؟!

ومن يتحمل تطهير قتلة عيسى - عليه الصلاة والسلام - أنفسهم، أم أن هؤلاء القتلة مأجورون لأنهم ضحوا بأعظم قربان..؟!

ومن يتحمل آثام القتلة من بعده؟

وأي قربان يكفر آثام الأسلحة الذَّرية في ذُريَّة آدم؟

ليكن في علمكم أن ليس لعيسى - عليه الصلاة والسلام - دخل في هذا العمل ولا هو قاله من

قريب ولا بعيد، إنما هي من بنات أفكار بولس الذي قال في رسالته إلى أهل رومية ص٥/ ١٢ : «من أجل ذلك كأنما إنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع» .

أي عقلٍ يقبل هذا التبرير؟!

**الوجه الثاني عشر**: سؤال محدد نوجهه لكم: هل توجد حسب عقيدتكم دار أخرى للحساب غير الدار الدنيا هذه. .؟! والجواب: نعم هي الدار الآخرة؟ كما هو النص في الإنجيل:

«إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وقائل لأهل الميسرة إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تؤوني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المُعدَّة لكم من قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذهِ الأشياء فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا» إنجيل متي ٢٥/ ٢١- ٤٦ .

فما معنى النار إذا كفّر عيسى عن الجميع ذنوبهم؟

وكيف لم يتحمل عنهم خطاياهم؟ أم ترى دمه ذهب هدراً؟

ألسنا نحن من الناس فلم لا ندخل نحن في هذا التكفير فيصبح المسلمون واليهود والمشركون مثلهم؟

**الوجه الثالث عشر**: إن في الاتحاد أكبر تزكية للذين كفروا بعيسى، والذين قتلوه، وهذا لم يقل به أحدٌ من الخلق إطلاقاً..!

فمن يكلِّمه عيسى إنما يكلِّمه اللّه، ومن يرى عيسى فقد رأى اللّه، ومن أكل مع عيسى فقد أكل مع اللّه! ومن نام مع عيسى فقد نام مع اللّه! ومن تحدث مع عيسى فقد تحدث مع اللّه! ومن طلب من عيسى فقد طلب من اللّه[1]..!

(١) أصل الفكرة من شيخ الإسلام (٣/ ٣٣١).

ومن هذا الباب فإن من صلب عيسى فقد غلب اللَّه! لأنه أقوى منه.

ثـم هـل يـعـقـل أن ولـداً يُصْـلب أمـام مـرأى ومسمع من أبيه، وأبوه لا يتدخل..؟! هذا والولد يتوجع ويبكي ويستغيث بأبيه، وأبوه لا يجيبه، يقول بولس في ص٨/ ٣٢ في رسالته إلى أهلِ رومية عن اللَّه: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا».

وهل الأب الذي لا يتدخل لإنقاذ ولده وهو في أشد موقف يمكن أن ينقذ غير ولده لو استغاث به..؟!

أليس في هذا نسفاً لموضوع دعاء الرب والاستغاثة به وعبادته.. (لأن في تصرفه هذا مع ولده - كما تزعمون - أمرٌ لا يغتفر، ولا يمكن أن يتصوره أي أب من الآباء..؟!)

وتُصوِّر الأناجيلُ عيسى وكيف صاح وناح وبكى وهتف بأبيه ولم يجبه الأب:

«وعندما انتقل عيسى إلى مكان آخر، وهو بستان كبير، أمر تلاميذه بالمراقبة، فيقول «متّى» ص٢٦/ ٣٦، ٣٧، ٣٨ (قال «عيسى» للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك. ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي) ويقول مرقص عن عيسى ص١٤/ ٣٣-٣٦: (وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا، ثم تقدم قليلًا وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال: يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذا الشيء».

ويقول لوقا في إنجيله ص ٢٢/ ٤٤: (وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض).

إذن فقد كان عيسى حريصاً كل الحرص على حياته، وكان يصيح بتلاميذه كلما أخذهم النوم

من شدة الخوف، ففي إنجيل متى ص٢٦/ ٤٠ يقول عيسى لتلاميذه: (لماذا لا ترقبون معي لساعة واحدة ٩- ويقول مرقص في إنجيله ص١٤/ ٣٧ فقال «عيسى» لبطرس: يا سمعان أنت نائم، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة)(١).

تصوروا هذا الوصف المرعب للرب الذي يصفه عيسى نفسه بأنه رحيم حيث يقول في إنجيل لوقا ص٦، ٣٦: «كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم».

ثم كيف يمكن أن نقبل تبرير هذا القربان ومن القواعد المقررة في جميع الأديان أن كل مجرم يتحمل جريرة إجرامه، ففي سفر التثنية ص٣٤/ ١٦: «لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل».

وفي حزقيال ص٢٨/ ٢٠: «النفس التي تخطئ

---

(١) من كتاب مسيحيون أو بولسيون. د. محمد نادر عفيفي.

هي التي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون».

نعم، ربما يفضِّل الأب لو كان الولد عاقاً وعاصياً ومجرماً أن يعاقبه هو... أما أن يسلمه لأعدائه وينظر إليه وهو يصلب، وتكسر أضلاعه، وتوضع النجاسة والشوك على رأسه، وما إلى ذلك فهذا ما لا يعقل،ولعل البعض الآن لا يتصور ما تقوله الأناجيل عن صلب عيسى.

وبناءً على ما تذكرون فإن العقل يقول: ليس أمامك إلا واحداً من جوابين: إما أن اللَّه ليس له بأبٍ، وهو ليس له بولد، وإما أَنَّ أباه غير قادر على إنقاذ ولده؟!

فهل لديك من جواب؟!

**القس «فرانك»**: أنا أطالبك أنت بجواب بحكم دينك وأمانتك.

**أبو حامد**: الجواب أنه ليس له بولد وليس اللَّه

له أباً، ثم إن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يصلب أساساً، وانتهت القصة من أساسها. . !

وفي القرآن آيات واضحة تنفي هذا الصلب نفياً قاطعاً سوف أذكرها وستجد إنها موافقة حكم العقل، ولأنك طلبت مني ذلك، كما أن فيها دفاعاً حقيقياً عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - وفيها إخراجٌ لكم من هذا المأزق. . . . فقد ذكر اللّه بعض جرائم اليهود ومن ضمنها ما حاولوا فعله بعيسى - عليه الصلاة والسلام - فقال:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩].

**القس «راوس»**: يا أبا حامد، ليس المثال بالحديد والنار، أو بالماء واللبن، أو بالماء والملح هي الأمثلة الوحيدة للاتحاد . . . فإن الشيء كلما ازدادت عظمته زاد ضرب الأمثلة له، إن مثل اتحاد يسوع كإله مع اللَّه مثل الشمس والشعاع.

ألا ترى كيف يتولد الشعاع من الشمس في كل لحظة، فكذلك يسوع.

فالشمس لم تخلق الشعاع وكذلك يسوع، فقد تولد من اللَّه لكنه غير مخلوق، (إنه كلمة اللَّه، إنه نطق اللَّه. .) فليست النار وحرها وضوءها ثلاثة نيران، وليست الشمس وضوءها وشعاعها ثلاثة شموس. . !

كما أن الإنسان وروحه ونطقه إنسان واحد! ليس ثلاثة أناس. . !

محاولة الفرار

أبو حامد: محاولة الفرار من مثال إلى مثال لا تنتهي ولا تفيد بل إنها تضر بصاحبها، فهي تفضح صاحبها في كل مرة أكثر من المرة التي سبقت، وهكذا إلى درجة الإفلاس، ويصبح إعلان الإفلاس واجباً، علماً بأن الحق يُدْرك من أول مرة، وبيان إبطال ما تقوله في أمور عدة منها[1].

الأول: لنبدأ من آخر حججكم، وهو أن الإنسان وروحه ونطقه ليس ثلاثة أناس، والنار وحرها وضوءها ليست ثلاثة نيران، إنما الإنسان إنسان واحد، وكذا النار نار واحدة ففي هذا نكران كامل لأصل معتقدكم المتمثل فيما تسمونه: «الأمانة» التي مرّ ذكرها من قبل والتي تقولون فيها: «نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، وبرب واحد يسوع المسيح ابن اللّه الوحيد المولود من

---

(١) منقول بعض ما سيأتي من شيخ الإسلام ص٤٨٤ بتصرف كبير وزيادات عديدة.

الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مساوي الأب في الجوهر» وقلتم في روح القدس: «إنه رب ممجد مسجود له».

وهنا أعود إليك يا أيها القس «راوس» لأسألك: هل يقول عاقل إنّ حرّ النار وضوءها القائم بها نارٌ من نار، أي: هل «الضوء، والحر» يساوي النار أو يسمى ناراً، أو يساوي شعلة من النار..؟!

الجواب: قطعاً لا، إذن كيف تقول: إن هذا الضوء نار من نار..؟!

وهل نستطيع أن نقول عن ضوء الشمس: إنه شمس من شمس..؟!

أو نقول عن حر النار: إنه نار من نار، أو عن نور النار: إنه نار من نار..؟!

**القس «راوس»**: قبل أن تغادر هذه النقطة، فإن مقتضى كلامك هو أن الشمس مكونة من الضوء

والحرارة والشعاع، وهذا هو ما نقوله نحن تماماً: الأب و الابن وروح القدس، إله واحد ورب واحد أليس كذلك..؟!

**أبو حامد**: إذا كنت تقر بهذا فأرجو أن تستمر عليه لتعرف الحقيقة... فالنتيجة أن هذه الثلاثة تُكوِّن أجزاء الشمس، فالشمس مكونة - كما **تصورت** - من جزئين أو ثلاثة: النار والنور والحرارة، فهل أنت تقول: إن الإله مكون من ثلاثة أجزاء، وأن كل واحد لوحده جزء من اللَّه، وكل جزء منه إنما يمثل ثلث الإله، لأن كل واحد منه على حدة لا يكوّن إلهاً! كما أن كل جزء من أجزاء الشمس لا يسمى شمساً! فهل توافق على هذا بناء على أنكم تقولون في الأمانة أن كل إله مستقل كامل، وتقولون إنهم واحد من ثلاثة..؟!

**الثاني**: هل شعاع الشمس هو الشمس أم أنه مجرد شعاع؟

وهل شعاع الشمس المتولد من الشمس تتولد

منه شمس بناء على أنه شمس؟ وهل رأى الناس مرة أن شمساً تولدت من شعاع؟

وهل شعاع الكهرباء الصادر من كشافات الإضاءة التي في الملاعب أو في الطرقات، هو الكشافات نفسها؟! وهل يمكن أن تولد هذه الأشعة كشافات حقيقية بناءً على قولكم: «إله حق تولد من إله حق»..؟!

**الثالث**: هل ما نزل عليه شعاع الشمس يتحول إلى شمس؟ فمثلًا لو نزل عليك الشعاع تحولت أنت إلى شمس، وإذا نزل الشعاع على الجدار تحول الجدار إلى شمس..؟!

ألوهية روح القدس

**القس «روبن»: دعنا من كل نكرانك لألوهية المسيح وتعال نتفق على ألوهية روح اللّه، وروح القدس الذي نفخ روح اللّه في يسوع.**

فإنك إذا خالفتنا في كون يسوع إلهاً، فلا ينبغي أن تخالفنا في كون يسوع نفخة من نفخات اللّه وأن الذي نفخه هو روح القدس؟

فهل ترى أن أحداً يمكن أن يخلق إلا الخالق..؟!

أبو حامد: بودي أن أسألك سؤالًا في علم الرياضيات: لو أقمت سقف غرفة على شكل مثلث متساوي الأضلاع ثم كسر ضلع من الثلاثة، ألا يحدث انهيار في السقف..؟!

الجواب المقطوع به: نعم لا بد من أن ينهار السقف حسب التصاميم المعتادة.

إذن فأنت الآن اعترفت بسقوط ركن من الأركان الثلاثة لمعتقدكم وهو ألوهية عيسى، وسقوط الركن الذي بعده أسهل، فأرجوكم لا تتعلّقوا بأركان منهارة، وتعلّقوا بركن الأركان، باللَّه وحده الذي تتعلق به كل الأركان.

لنسأل الآن أولًا: هل روح القدس مُرسل برسالة من اللَّه سبحانه وتعالى أم أنه هو المُرسِل وهو الرسول..؟!

أهو خالق الروح التي حملها ونفخها في مريم -

عليها السلام -، أم أنه المؤتمن على الروح التي أُرسل بها إلى مريم - عليهما الصلاة السلام - . . ؟!

إذا كان هو في الأصل مخلوقاً، أو متولداً - كما تقولون -، فهذا يقطع بأن له بداية، سواءً حدد تاريخها أم لم يحدد، سواء سميناه متخلقاً أم متولداً، فإنه مرسَل وليس مرسِلًا، وكان نافخاً وليس خالقاً، فبأي حق نجعله إلهاً ونشركه مع الإله الواحد الأحد الذي خلقه، والذي أرسله، والذي خلق الروح التي نفخها، والذي أعطاه القوة على حملها وإيصالها إلى مريم . . ؟!

أليس من العجائب أن يُعَيِّن البشر الآلهة كما يُعيَّن المسؤولون في الدوائر، فأي فرق بين هؤلاء وبين من يصنعون الأصنام ويجمعونها في معبدهم الكبير ويعبدون منها ما يشاءون!

باللّه عليك يا أيها القس «روبن»: أخبرني ما الذي حوّل روح القدس من مخلوق إلى خالق، من عابد إلى معبود، من شيء له بداية إلى إله لا

نهاية له ولا بداية أبداً، أرجوك أقنعني. . ! اذكر لي الأدلة. . ! لا أريد الأدلة لأقتنع، فهذه مسألة لا يقبلها عقل إطلاقاً. لكنني أريد الأدلة لعلي ألتمس لكم بعض العذر. . !

القس «راوس»: هل تعتقد أن أمة بهذه الكثرة تلغي عقولها لتعبد روح القدس من غير دليل؟

ومع هذا سوف أوفر عليك وأعطيك الدليل يا أبا حامد:

ألم يرد في التوراة على لسان موسى خطاب بني إسرائيل: «وروح اللَّه يرى على وجه الماء». أليس معنى هذا: أن روح القدس هو روح اللَّه حقيقة.

وجاء على لسان داود النبي في المزامير: «روحك القدس لا تنزع مني». الإصحاح الحادي والخمسين ص٨٦٨ .

وجاء: «بكلمة اللَّه تشددت السماوات والأرض، وبروح فاه جميع قواتهن». المزامير

الإصحاح الثالث والثلاثين/ ٦ .

وقال السيد المسيح في إنجيل متى المقدس للتلاميذ الأطهار: «**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**». الإصحاح الثامن والعشرين/ ١٩ .

بل إن في قرآنكم ذكر روح القدس، وأن اللَّه تعالى أيد المسيح به .

ألا تكفي كل هذه الأدلة على ألوهية روح القدس من التوراة ومن الإنجيل ومن القرآن. . ؟!

**أبو حامد**: أنا أشكر لك حسن إنصاتك كما أشكر ذلك للجميع رغم الاختلاف في وجهات النظر، وهنا أريد أن تستمع كما كنت حتى نهاية الجواب: **أولًا**: على فرض صحة الأدلة التي ذكرتم من التوراة والإنجيل التي أنزلها اللَّه أول مرة، فإن الدليل الأول الذي احتججتم به من

التوراة وهو قول اللّه: «فكانت روحه ترف على الماء» يجعلنا نتساءل سؤالًا محدداً: ما تفسيركم «لروح اللّه» التي كانت ترف على الماء، أهو جبريل أم هو حياة اللّه، أم ماذا. . . ؟!

**القس «روبن»**: بل هي حياة اللّه، فروح القدس هو حياة اللّه ولعلك لم تقرأ في سفر الخروج قول الرب: «ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك، ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، احترز منه واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، لأن اسمي فيه» سفر الخروج (٢٠-٢٣).

**أبو حامد**: باللّه عليكم لم لا تناقشون أدلتكم قبل أن تذكروها، وخصوصاً وأنتم في مجلس حوار، إذن كيف تتلقون عقائدكم فيما بينكم وبين أنفسكم أو في كنائسكم. . . ؟!

إن السبب هو المصادر التي تتلقون منها عقائدكم فهي مصادر مختلطة اختلاطاً يصعب فرز

الصحيح من المزوّر منها.

ثم وضعت على هذه المصادر المزورة هالة من القدسية التي تخيف كل متسائل من الاقتراب منها، كما أعطي رجالها هالة من القدسية والعصمة بحيث يأخذ ما يشاء من المكاسب دون مُسَاءَلَة واعتراض.

باللّه عليكم ماذا سيبقى منها لوعرضتموها للمسائلة والتحقيق العلمي على المشرحة كما تعرضون شرائح الأبحاث في المختبرات؟ انظر الآن أيها القس الكبير روبن: إذا كان روح القدس حياة اللّه، فاللّه بمفارقته روح القدس يصبح بلا روح، وعلى أحسن الأحوال بروح ناقصة!

وعليه فكلما أرسل اللّه روح القدس إلى الأنبياء بقي اللّه بدون الروح حتى تعود إليه.

أما ما استدللت به من «سِفْرِ الخُرُوج» على أن روح القدس حياة اللّه فأرجوك تساءل معي: أليست حياة كل حي من الأحياء صفة من صفاته

لا تفارقه إلا بالموت؟!

أليست صفة الحياة في اللَّه صفة قائمة به لا تفارقه سبحانه لا فوق الماء ولا غيره..؟!

إذن أيعقل أن ترفرف روح اللَّه على الماء؟

إن هذا الذي يرف على الماء هو شيء آخر منفصل عن اللَّه، إنها الريح وهذا ما جاء تفسيره في «سِفْرِ التَّكْوينِ» نفسه إذ يحكي قصة بداية الخليقة فيقول: «إن اللَّه خلق السماوات والأرض، وإن الأرض كانت مغمورة بالماء، وإن روح اللَّه كانت ترف على الماء» فروح اللَّه هي الريح التي كانت فوق الماء، وهذا ما جاء موافقاً لما في ديننا وهو قول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لا تسبوا الريح فإنها من روح اللَّه تأتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا اللَّه من خيرها، وتعوذوا باللَّه من شرها»[1].

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٢٧) وصححه الألباني.

ثانياً: إن العظمة تكون أظهر حين يجعل اللَّه عز وجل القدرة على الحياة والإحياء في بعض خلقه عن المباشرة منه بنفسه سبحانه.

كما حصل مع إبراهيم والطير، وكما حصل مع موسى - عليه الصلاة والسلام - والبقرة، وكما حصل مع عيسى - عليه الصلاة والسلام - والطير وغير ذلك.

لأن النتيجة المحتمة التي سوف يتوصل لها كل مشاهد وسامع هي إذا كان هذا صنع من وضع اللَّه فيه القدرة على الإحياء - وهو مخلوق - فكيف بقدرة اللَّه وهو المحيي المميت سبحانه؟

كما أن فيه تكريماً للعبد الذي أجرى اللَّه على يديه الإحياء، وتمييزاً له من دون المخلوقات الأخرى.

وأظن أن هذا النص الذي استدل به القس روبن من سفر الخروج هو من أعظم الأدلة على أن روح القدس مخلوق ليس بخالق، وعابد

وليس بمعبود، وأنه ليس مختصاً بعيسى - عليه الصلاة والسلام - وحده، بل هو مُرْسَل من اللَّه بمقام السفير الذي يخوِّله الرئيس الفلاني تمثيله في البلد الفلاني ليس إلا، فهو يحمل اسم الرئيس كما هو النص هنا بقوله: «ها أنا أرسل ملاكاً أمام وجهك». فالتصريح في هذا النص بأنه مرسل، وأنه ملاك، وهذان الأمران كافيان.

وإذا كان القس روبن يقر بأن روح القدس كان ينزل رسولاً على مَنْ سبق من الأنبياء فكيف تحول عند عيسى - عليه الصلاة والسلام - تحديداً إلى إله ولم يتحول من قبل..؟!

وهل يمكن أن يرفع الرئيس سفيره ليصبح رئيساً مثله أو معه..؟!

وهل يمكن أن يذهب الملاك عند إرساله ملاكاً ويعود إلهاً؟

وإلى هنا أظنُّ المسألة أصبحت واضحة جداً.

القس «روبن»: نعم واضحة، لكن ما تقول في

الدليل الثاني وهو من التوراة، وهو قول داود: «روحك القدس لا تنزع مني»..؟

فروح القدس جزء لا تنزع من اللَّه، وهذا نص صريح لا ريب فيه.

أبو حامد: **أرجوك أيها القس «روبن»: حَكّم عقلك فيما تذكر من أدلة، أنا أقدر أن هذا الدليل من الأدلة المعتمدة عندكم جميعاً على تأليه روح القدس، لكن أما فكرتم بأن هذا الخطاب ليس من عيسى ابن مريم- عليهما الصلاة والسلام - إنما هو عن داود** - عليه السلام -، فهل تقولون إن داود كان إلهاً، وذلك لأنه قال بنص صريح: «روحك القدس لا تنزع مني»..؟!

وإلا فما معنى أن يصبح عيسى ابن مريم إلهاً لأن روح القدس التي هي حياة اللَّه حلت فيه - كما تتوهم - ولا يصبح داود إلهاً مع أن روح القدس حلت فيه ولا تنزع منه كما هو النص؟

ثم إن خطاب داود - عليه الصلاة والسلام -

لربه إنما كان مثالًا للعبودية والتذلل إذ كان دعاءً، فيقول في دعائه: «قَلْباً نَقِيًا اخْلُقْ فِيَّ - يَا أللّهُ - وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي» مزمور١٠-١١ .

ثم إنكم تقولون إن روح القدس التي هي حلت في عيسى - عليه الصلاة والسلام -... فكيف كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - قبل أن تحل فيه روح القدس؟!

أيها القس «روبن»: إنَّ هذه الروح المنفوخة مخلوقة، والنفخة مخلوقة، والهواء الذي دفعها وحملها مخلوق والذي يحمل الروح للمخلوقات مخلوق، وهذا أمر معروف في الملل، ولذا فإنهم لم يبنوا عليه ألوهية أحد، وهو ما ورد كذلك في الزبور: «ترسل روحك فيخلقون» العهد القديم المزمور ١٠٤ .

بل ورد حتى في الإنجيل نفسه ذلك، ففي إنجيل لوقا: «رجل يقال له سمعان ينتظر عزاء

إسرائيل كانت روح القدس تحل فيه» إنجيل لوقا ٢/ ٢٥ .

وورد كذلك «إن يوحنا المعمدان امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه» إنجيل لوقا ١/ ٤١ .

باللّه عليكم: أليست هذهِ آيات في الإنجيل؟

فلم لم تقولوا إن يوحنا المعمدان وسمعان أصبحا إلهين بحكم أن روح القدس حلت فيهما؟

ولم أصبح عيسى إلهاً لنفس السبب كما تكررون؟

وهكذا ورد عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في كيفية خلق الطفل في بطن أمه، فقال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح . . .**»[١].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

أما النص الثالث الذي استدللتم به وهو قول المسيح لتلاميذه: **«اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به»**.

فاعلم أيها القس «روبن» أنَّ كلمة «روح القدس» ليست كلمة خاصة بالنصارى، وأن الأديان الأخرى تستخدمها، فهي واردة في التوراة والزبور والقرآن كما هي واردة في الإنجيل، أو ليس كذلك..؟!

القس روبن: بلى.

أبو حامد: فإذا اختلفنا نحن وأنتم في تفسيرها فما رأيك لو أخذنا بالتفسير الموحد لهذه الكلمة في الكتب السماوية حتى في الإنجيل، إلا ما يتأوله بعضكم عن الإنجيل تأويلًا متكلفاً.

ففي التوراة أن اللَّه قال لأرميا: «فكانت كلمة الرب لي قائلًا: قَبْلَما صورتك في البطن عرفتك،

**وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب»** العهد القديم (أرميا ١ : ٤).

فما معنى أن اللَّه قدس؟ هل معناها جعله إلهاً؟ فإذا كان كذلك فكيف قال له: جعلتك نبياً للشعوب؟

وفي التوراة في حق يوسف الصديق «يقول الملك: هل رأيتم مثل هذا الفتى الذي رُوح اللَّه حالٌ فيه» سفر التكوين ٤١/٣٨ .

فهل قال أحد إن يوسف إله بناءً على أن روح اللَّه حلت فيه؟

بل في التوراة ما هو أكبر من هذا «**اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك فيحملوا عنك ثقل الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبئوا لساعتهم**» سفر العدد ١١/ ١٦ - ٢٥ .

وأما في الإنجيل فقد ورد أن اللَّه أيد الحواريين بروح القدس، ومع هذا فلم يقل أحد

إن الحواريين أصبحوا آلهة..!

قال عيسى - عليه الصلاة والسلام -: «**لكنكم ستنالون قوة مني حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض**» أعمال الرسل ١ : ٨ .

إن مسألة روح القدس مسألة عادية وليست خاصة بعيسى، ولا تخرج أحداً من العبودية إلى الألوهية، ففي إنجيل لوقا: «قال يسوع لتلاميذه: إن أباكم السماوي يعطي روح القدس للذين يسألونه» إنجيل لوقا ١١/ ١٣ .

أما ما أشرت للاحتجاج به فإنه في القرآن، وهو في سورة المائدة، إذ خاطب اللّه عيسى - عليه الصلاة والسلام - بقول: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى

فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

فإذا تأملت الآية التي أردت الاحتجاج بها على أن روح القدس إله وجدت فيها كفاية لإبطال كل دليل استدللت على ذلك، وذلك من عدة وجوه:

**الأول**: أن الخطاب - في الآية القرآنية - من اللَّه لعيسى ابن مريم كعبد من عبيد اللَّه.

**الثاني**: أنه نُسِبَ إلى أمه وسماه ابناً لها، فقال: «**ابن مريم**».

**الثالث**: وصف مريم بأنها والدته فقال: «**والدتك**»: وفيها إشارة إلى الولادة فعيسى محمولٌ به مولودٌ.

**الرابع**: أن اللَّه أمره، والأمر من اللَّه دليل على أن المأمور عبده فقال له: «**اذكر**».

**الخامس**: ذكّره نعمه عليه وأمره بذكرها،

ونسب النعم إلى نفسه سبحانه فقال: «اذكر نعمتي» فعيسى منعَم عليه، ولو كان ربّاً لما أنعم عليه أحد!

السادس: عيسى مؤيد بروح القدس، ولو كان ربّاً ما احتاج إلى تأييد لأنه من صفة الرب الغني عن الغير والتأييد.. ثم إنها دليل على افتقار عيسى للتأييد، والافتقارُ ليس من صفات الرب.

السابع: أن روح القدس مأمور بالتأييد فهو عبدٌ كذلك كما أن عيسى عبدٌ.

وقد ثبت أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال للشاعر حسان بن ثابت وهو يواجه المشركين بِشِعْرِهِ: «اهْجُ المشركين فإن روح القدس معك»[1].

ولم يقل أحد من المسلمين أن روح القدس

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٩٨) قال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والحديث في الصحيحين بلفظ مقارب.

ذاك هو اللَّه، ولم يقل أحد أن حسان بن ثابت أصبح إلهاً.

ولو أراد المسلمون استقصاء هذه المواضع لوجدوا الكثير من النصوص التي يستطيعون أن يبنوا عليها تأليه محمد - عليه الصلاة والسلام -، لكنني أؤكد لكم أنهم لم يفكروا بها مجرد تفكير عابر أبداً.

ففي سورة الطور قال اللَّه تعالى لرسوله محمد اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

وكونه في عينه أقرب من كونه عن يمينه كما قال النصارى عن عيسى - عليه الصلاة والسلام -. ولو أردنا أن نسير على قواعدكم لقلنا إن للمسلمين مساغاً من التأويل أقرب لهذا الباطل من تأويلاتكم! ولكن المسلمين يعلمون أنه الشرك فتركوه.

فبأي شيء إذن اتخذتم عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلهاً من دون اللَّه..؟

ألم يسم عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه بشراً: «إنساناً» و«ابن إنسان» و«ابن إنسانة»..؟!

ألم تحمل به مريم عليها السلام حملًا طبيعياً في أحشائها..؟!

ألم يصف نفسه بأنه أصبح «صبياً» و «غلاماً» و «فتياً»...؟!

ألم تتمثل فيه «الحاجة» الجسمانية في أكبر صورها..؟!

ألم يأكل هو وأمه الطعام..؟!

ألم يذهب لقضاء الحاجة بعد ذلك..؟!

ألم ينم ويستيقظ..؟!

أيفعل هذا اللّه تعالى...؟؟!

هل كانت أمه «الإله» أو «أم الآلهة»؟!

ألم يكن عيسى عند ولادته صغيراً، أم كان عند ولادته على هيئته لما كان شاباً متكاملًا.

أليس ذلك يعني أنه آنذاك كان «غير عالم» بل

أمه «غير عالمة» ألم تفاجأ بالحمل، ألم تخف اليهود حين جاءها المخاض؟ هل يتصف الرب بغير العلم كما جاء في القرآن عن البشر: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ألم تكن له بداية معلومة متيقنة، وبداية موهومة ليس عليها دليل..؟!

فَلِمَ نأخذ بالبداية الموهومة ونترك المعلومة..؟!

لِمَ نجري وراء الأوهام..؟!

وحتى لو تنازلنا إلى ما تقولونه، وقلنا: إنه ولد ولادة في القدم، فهل في هذه الدعوى أن له بداية أم ليس فيها..؟

قولوا إن ولادته قبل مليون سنة، بل مليار، بل ألف مليار سنة... زيدوا ما شئتم، ستنتهون إلى بداية ولد فيها! أليس كذلك؟!

وهنا تظهر لكم النتيجة: فما دام لعيسى - عليه الصلاة والسلام - بداية، إذن فهو مخلوق..!

ويبقى السؤال الذي إليه منتهى كل سؤال: فمن خالق عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟!

من الخالق المتفرد الذي خلق هذا المولود وخلق الروح وخلق من نفخ فيه الروح؟ ومن المتفرد الذي انتهى إليه عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما انتهت إليه كل المخلوقات؟

حتى لو فرضتَ تعدد الآلهة فإنا نعود لنفس النتيجة! فلو أنك فرضت وجود ألف إله متتابع فسوف تتساقطِ هذه الآلهة جميعاً بهذهِ الحجة واحدة واحدة، إلى أن تصل إلى الإله الأول، ومرجع هذه الآلهة الألف، ولو تصورت ألف خالق للناس لتساقطت الآلهة التسعمائة والتسعة والتسعون واحداً بعد الآخر أن هذا خلق هذا وهكذا يجري التسلسل إلى أن تصل إلى الخالق الأخير لجميع الآلهة المزعومة وتتهاوى حسب

تاريخ بدايتها ونهايتها... ستنتهي كل الآلهة إلى أنها مخلوقة... نعم لابد أن تنتهي إلى واحد يتميز بصفات عظيمة من أعظمها: أنه الخالق الذي لم يلد ولم يولد، ومن المحال عقلًا أن يجتمع في واحد أنه خالقُ شيءٍ من العدم وأنه كان عدماً... ومن المحال أن يجتمع في واحد أنه مخلوق وأنه خالق.

كما أن من المحال أن يخلق العدم شيئاً، أو أن يوجِد أي شيء.

فلا بد أن ينتهي كل شيء إلى الواحد الأحد.

أرجوكم أيها الأساتذة، يا من أعملتم عقولكم أحسن الإعمال في تخصصاتكم الحياتية، ويا معاشر القساوسة الذين أخشى أن تتحملوا أوزار كل هذه الأمة الكبيرة بإصراركم على ما يخالف العقول السليمة، ويخالف الحق.. أرجوكم أَعْمِلُوا عقولكم فلا خير في عقيدةٍ مبنيةٍ على إلغاء العقل.

فإذا حضر العقل من بابٍ خرجتْ عقيدتكم من

الباب الآخر، ثم لماذا القاعدة الأساس في عقيدتكم هي: عجز قدرة الناس العقلية على فهم العقيدة..؟!

ولِمَ لا يكون هو سلامة عقول الناس وعدم إمكانية العقول السليمة استساغة عقيدتكم المعقدة..؟!

لِمَ تفرون إذا حوصرتم إلى زاوية إلغاء العقل باعتباره عائقاً..؟!

أيها العقلاء: أي عقل هذا الذي يقبل أن يقول إن عيسى إله، وأنه لم يعلم بما سيحدث له من نكبات ومصائب، وصُلِبَ من غير علم مسبق منه - كما تقولون -..؟!

إذ كيف يكون إلهاً وهو لا يعلم..؟!

القس الأكبر ريتشارد: من قال لك إن عيسى لم يكن يعلم بما سيحدث له..؟!!

إن عيسى كان على علم بما سيحدث له وهو ما جاء إلى هذا العالم إلا لتخليصه من الذنوب

والخطايا عن طريق الصلب.. لكنه لم يُظْهر للناس أنه يعلم لعدم قدرة أحد على فهم ذلك وعيسى بينهم قبل عروجه.. فإخبارهم به داع لتكذيب الإله، وهذه مصيبة أعظم.

والسبب الثاني في عدم إخبارهم هو: خوف اليهود، فكون عيسى يخفي أنه إله فذلك لعلمه بخطر اليهود وإجرامهم، وعليه فقد كان من الحكمة ألا يظهر أنه إله في صورة بشر.

وبهذا الجواب أجاب القس الكبير «فندر» في كتاب أسماه «مفاتيح الأسرار»، وغير «فندر» من مراجعنا العلمية.

فكيف يخفى عليك هذا الجواب؟ وهل يناقض هذا الجواب العقل؟

**أبو حامد**: ما من ورطة عقلية تقعون فيها إلا وتتضاعف عند محاولة الخروج منها.. أما الحقيقة الحقة فإنها تتجلى كلما كثر الهجوم عليها.. فهذا القس الكبير «فندر» الذي ذكرت،

يذكر أن سبب عدم ظهور عيسى للناس على أنه إله هو تخوفه من عدم تصديقه، وهنا نسأل: أليس المتخوف من حصول شيء وعدمه جاهل بالغيب، ولذلك تراه يحتاط للفشل بأخذ أسباب النجاة والنجاح..؟!

ثم تذكر السبب الثاني وهو: خوفه من اليهود..؟!

وبهذين المبررين تكون قد وصفت عيسى بأقبح صفتين: الجهل، والجبن..!

أيها القس الأكبر: ألا تنفر أشد النفرة إذا وصفك أي شخص بالجبن والجهل..؟!

فكيف ترضى أن تصف عيسى ابن مريم بالجبن والجهل..؟!

أهذا ما يستحقه من تتخذونه رباً..؟!

إن الأبطال من الناس يواجهون أقوامهم بالحقيقة مهما كانت عظيمة، ومهما كانت المخاطر شديدة، ومهما كانت التضحيات كبيرة،

فما بال عيسى ابن مريم يخاف أن يعلن أعظم حقيقة خوفاً من اليهود..؟!

إن الرجل الشجاع بحق لا يخاف الشجعان، فكيف يخاف أجبن الناس..؟!

أليس في أصحاب عيسى وأتباعه، ومن نصارى اليوم من لا يخاف من اليهود.. فما بال بعض الأفراد أفضل من عيسى وأشجع..؟!

أيها القسيس الأكبر: إذا كان من تعدونه إلهاً يخاف فإلى من تلجؤون - أنتم - إذا خفتم شيئاً من الأشياء..؟!

أيها القسيس الأكبر: إذا كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - قد جاء بكل هذه المعجزات، فهل يعجز أن يأتي بآيات تفهمهم الحقيقة..؟! أليست هذه تهمة جديدة بالعجز عن الإفهام؟

ألا ترى أيها القسيس الأكبر أنك تقول إن عيسى لم يُظْهر لهم أنه إله وذلك لعدم قدرة أحد من العالم على فهم ذلك..؟!

**والسؤال:** إذا لم يتمكن عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يفهمهم الحقيقة، فمن لديه القدرة أكثر من عيسى على ذلك؟! كيف فهم العالم من بعده أنه الرب..؟!

أليس ذلك مجال خصب للافتراء والدعاوى والخرافات..؟!

إن ذلك يدعونا إلى نسف جميع الأدلة التي تحتجون بها على لسان عيسى - عليه الصلاة والسلام - على أنه قال بنفسه أنه إله..؟!

و أنّ كل من قال إن عيسى إله افترى على عيسى الكذب، لأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه لم يقل هذا بنفسه، ولم يُفْهِمه أحداً من العالم؟

ثم ألا يدعونا هذا إلى تساؤلٍ واضح ومحدد وهو: إذا لم تكن رسالة عيسى لتفهيم الناس أنه إله كما تقولون، فإلى أي شيء كانت رسالة عيسى..؟!

لن يبقى أمامكم إلا أن تقولوا: إن عيسى رسول اللَّه الذي أرسله للناس كما أرسل مِنْ قَبْله من الرسل..؟!

**وسؤال آخر**: هو إذا كنتَ تزعم أيها القس الأكبر أن عيسى كان يعلم بنهايته، إذن فلم كان يبكي حين وضع على الصليب - كما تزعمون -..؟!

أتراه خاف الموت..؟!

أم تراه غير مطمئن لمصيره به..؟!

أم ترى علمه قد أخطأ في هذا الموقف..؟!

أم تراه ندم على هذه النهاية..؟!

وبناءً على هذا: فهل ترى من يقع منه هذا يستحق أن يكون ربّاً..؟!

أتريد الخلاصة أيها القسيس الأكبر: إن أعظم تعظيم لعيسى إنما يكون حينما تعتقد بأن عيسى عبداللَّه ورسوله، وإن أعظم إيذاء وإهانة لعيسى حينما تعتقد بأن عيسى إله مع اللَّه..!

طبق هذه القاعدة وانظر، سترى أولى الثمار هي الوضوح في عقلك، في قلبك، في فهمك، في عملك، في سعادتك..!

القس الأكبر«ريتشارد»: كأنك عكست المسألة على يسوع يا أبا حامد، حيث إنك بهذا الذي ذكرت جعلت من العار على عيسى نفسه أن يقول: إنه «ابن اللَّه» أو يقول: «إن اللَّه أبي»...! وجعلت من الخزي أن يزعم أحد من أتباع يسوع أن يسوع إله.

إن القضية أصبحت بهذه الطريقة مُحيّرة... فلا يملك العقل إلا التوقف...!

أنا أعرف سر هذا التوقف.. إنك إذا ما مشيت على مبدأ العقيدة الذي عماده الاستسلام وعدم تشغيل العقل لم تضطرب، أما عند بحث قضايا العقيدة عقلياً سوف تضطرب. ثم أمرٌ آخر سأذكره لك بكل صراحة: فلو افترضنا اليوم أن ما قلته صحيح، فهل تعتقد أن منطقك يُقبل بهذه السهولة في هذه القضية في مجتمعنا..؟!

هل تعتقد أن عقيدةً نَبَتَتْ في قلوبنا قريباً من ألفي عام يمكن أن تتخلى عنها الأجيال في كلمات. . ؟! أو بهذه السهولة؟!

إن تغيير الخارطة الجغرافية وإدخال سلسلة جبال على بلادٍ أهون بكثير من تغيير عقيدة رسوخها أكبر من رسوخ الجبال!

أبو حامد: لو أنك عرفت العقيدة الصحيحة ما قلت إن الراحة في أن لا تشغل عقلك في قضايا العقيدة فإن العقيدة الباطلة لا تريح صاحبها إلا بمقدار جرعة الأفيون بكثير، والخلاص منها أسهل من الخلاص من الأفيون، وزوالها أسهل من زوال الزَّبَد على وجه الماء إذا هَبّت على وجه البحر ريح عاصف!

الراحة في استخدام العقل في العقيدة

إن من يفعل ذلك إنما يخشى نور الحقيقة أن يوقظ عقله السادر[1] الخادر[2] في ظلمته!

(١) السادر: المتحير، هو أيضاً الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع «مختار الصحاح».
(٢) الخادر: القابع.

إن هذا النوع من العقول يخشى الخروج من بياته الأبدي! إنه يخشى الخروج خارج الجُحْرِ بخطوة، خوفاً على عقيدته أن تتبخر إذا سطعت عليها العقيدة الصحيحة بنورها وحرارتها!

هذه هي المسحة العامة لكل أصحاب معتقدكم في عيسى -عليه الصلاة والسلام-، وإلا: هل يمكن أن يتصور أحدٌ من رجلٍ يحبُّ عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يعتقد بالكفر الذي حذر منه عيسى - عليه الصلاة والسلام - لأجل أن ترتاح نفسه لذلك الكفر؟

أهذا منطقَ المحب أم أن المحب هو من يفدي محبوبه ومبادئه بحياته وراحته..؟

إذن أي خطيئة بحق عيسى - عليه الصلاة والسلام - أكبر من هذه؟

تأكدوا أننا لا نريد إلا أن تعمل عقولكم في معتقداتكم وسوف تكون الراحة مضاعفة راحة العقل وراحة الروح، ولا بد أن تكتشف الحقيقة

وسترى أن الحقيقة الدينية لا تخالف الحقيقة العلمية العصرية لأن كليهما (حقيقة) والحقيقة لا يغيرها الزمن.

كما قال المستشرق السويسري روجيه دو با سكويه في كتابه «إظهار الإسلام»:

«فالقارئ مدعو لاكتشاف عالم مازال محكوماً بما أنزل اللّه، مختلف أساسياً من حيث المبدأ مع الحضارة العصرية... **إظهار الإسلام يعني إثبات الدليل على إمكان العيش في ظلال الحقيقة**»(١).

هذهِ هي العظمة... بل هو التفرد في العظمة... فأنت لا تعتبر ربك مخلوقاً مثلك مهما كان ذلك المخلوق عظيماً؛ لأن ذلك المخلوق متوجه بالعبادة مثلك لخالقه الذي هو خالقك، ولذا كانت عظمة الأنبياء الكبرى أنهم

---

(١) نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب صفحة ٢٠٩.

يحررون عقول الناس من عبادة المخلوقين أياً كانوا إلى عبودية اللَّه العظيم سبحانه.

وهذهِ عظمة عيسى - عليه الصلاة والسلام - أنه عرف ربه العظيم -حقّاً كما عرفه الأنبياء- وعظّمه، وعبده كما عرفه... عاش على ذلك غريباً، وانتهى من هذه الأرض على ذلك بل كانت ولادته على ذلك! والعظمة لك أنت كذلك إذا سلكت طريق هؤلاء العظماء وكفاك بهم أنساً في الطريق ومشرفاً في الصحبة.

وهذهِ تدل - في مقابل ذلك - على عظمة الجريمة التي ارتكبها الناس في حق عيسى - عليه الصلاة والسلام - حين قال من منهم: إن عيسى - عليه الصلاة والسلام - دعا الناس لعبادة نفسه!

أي إساءة لعيسى - عليه الصلاة والسلام - أعظم من هذهِ الإساءة؟!

إنها الإساءة إليه باتهامه بالكذب، والتزوير،

والخيانة العظمى. . . إذ عظم الخيانة عائد لعظم الأمانة. . . وأي أمانة أعظم من أمانة رسالة اللَّه تعالى؟!

إنهم الزاعمون أن اللَّه اصطفاه وأرسله، فصرف وجوه الناس إليه لا إلى اللَّه، كما أخبر الناس أنه ابن اللَّه كيف يرسل اللَّه جميع المرسلين برسالته، يدعون إلى توحيده وعبوديته، وتشهد كل الأمم لهم بهذا. . . إلا عيسى - عليه الصلاة والسلام - إذ يقول أصحابه: أمر بعبادة نفسه ولم يأمرنا بعبادة اللَّه؟

فهو يقول بكل صراحة كما في إنجيل متى - وقد مر علينا-: **لا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات. ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح.**

وفي إنجيل يوحنا ١٤/ ٢٥: «الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني» الرابعة.

**القس روبن:** أريد أن أرجع إلى شطر السؤال الثاني للقس الأكبر ريتشارد بعد أن أؤكد أن الحقيقة التي أجد صداها داخل نفسي هي أن كثيراً مما تقول - يا أبا حامد- مقنع للعقول - على الأقل - لكن هل تتوقع أننا - بناءً على ما تذكر - نترك هذا الدين وتاريخنا فيه ونتبع ما تقول؟

بل هل تتوقع أن الأشخاص الذين أمامك يمكن أن يتحملوا خطيئة من أخطأ على فرض أنهم أخطؤوا ولعلمك فإنهم لم يخطئوا..؟!

وهل تتوقع أن أمة بهذه المكانة، وهذا الحجم يمكن أن تتغير إذا تغيرت قناعات القس «**روبن**» أو القس فلان، أو الأستاذ فلان، وغيرهم..؟!

يا أبا حامد: أنا الآن من يطالبك بأن تكون منطقياً وعقلانياً، لا أن تأخذنا بعاطفة جياشة، وكأننا مَنْ غيّب عقول الناس أو من يتحمل خطايا الناس..؟!

أكبر الواجبات نحو عيسى عليه الصلاة والسلام

**أبوحامد:** هذا الكلام يحمل في مضامينه روحاً

بالاقتراب من استخدام العقل لولا مهابة الجموع، وضخامة التاريخ، وخسائر المستقبل المتوقعة، ولكن هل هذا يرفع عنكم الواجب..؟!

هل هذا من الأمانة أم من الشجاعة..؟!

أليس أولُ واجبٍ عليكم تَحْريرُ عُقولِكُمْ من هذه القيود، ثم إنقاذ أنفسكم، هذه هي الخطوة التي ينبغي أن لا تتأخر لحظة واحدة عنها.. فهل إذا تأخر الناس جميعاً تأخرنا معهم..؟!

لقد قال اللّه في القرآن لأسلافكم الذين تأخروا عن الاستجابة للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وهذا يعني أنه يجب على كل واحد بنفسه أن يتفكر بنفسه ولوحده ويتخذ قرار نجاته ولا يعلقه بالجموع وإلا فليتفكر مع آخر ويقررا النجاة.

وهل الترتيب الصحيح للمجتمعات أن تكونوا

كعلماء وقساوسة في المؤخرة؟ متى أصبحت العَرَبَة هي التي تجر الحصان..؟ متى أصبح الراعي يتبع القطيع..؟ متى أصبح المنطق الصحيح أنْ يقول التاجر: مادام أصحابي خسروا أموالهم فأنا لا بد أن أخسر مالي كذلك..؟!

متى أصبحت الخسارة والهلاك حافزاً للخسارة والهلاك..؟!

تصور أن ميتاً دفن قبل ساعات فأصبح التراب فوق رأسه مترين ثم تبين أنه كان في غيبوبة فاستيقظ من غيبوبته فتحرك من تحت الأرض وتحرك وحاول أن يرفع رأسه، وحاول أن يرفع الرُّكام الكبير عن نفسه ليخرج ويعود لأهله وللدنيا فأحس مَنْ فوقه بحركةٍ داخل هذا القبر وعلم أن فيه إنساناً حيّاً، فهل تؤيد أن يُداس على القبر حتى تخمد حركته، ويموت كمداً إلى الأبد أم تؤيد أن يرفع عنه هذا الرُّكام؟

تصور ما تشاء.. لكن تصور نفسك أنك ذاك

الرجل الذي في القبر، ثمَّ قرر ما تشاء!

هذه هي حقيقة عقيدتك التي دُفنت تحت ركام السنين، ولكن هذا هو موقف من رفض أن يستجيب لهذا النداء الحي.

**إن أكبر الواجبات اليوم على عقلاء النصارى** - بعد أن يخلّصوا أنفسهم - هو أن يخلّصوا الناس من هذا الاضطراب العقلي الذي يعيشونه، من إلغاء العقول، والتصادم في داخل العقل، والتمزق في الداخل والخارج، وذهب النصارى مثلًا في الاختلاف في العقيدة الدينية حتى قيل: «لو اجتمع عشرة نصارى، ليجتمعوا على قولٍ واحد لافترقوا على أحد عشر قولًا»[(١)].

**وإن أعظم الوفاء** الذي تقدمونه لهذا الدين العظيم دين عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو تنقيته من الطَّوامِّ الشِّرَكية التي حطت به فجعلته دون منزلة المشركين أنفسهم... فغدا بين الأديان

---

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٢٦٦).

كالغراب. . . مضحكة بين الطيور في مِشْيَتِه، مستهجن في صوته، مضرب المثل على تضليله وقباحته.

**إن أمتكم التي جددتْ للدنيا في مجال العلوم التقنية لمُؤهَّلةٌ أن تنقذ عقلها وتصحح دينها، فتجمع ما بين الدين الصحيح والعقل الصريح.**

إن إعادة هذهِ الأمة العظيمة نحو مبادئ عيسى - عليه الصلاة والسلام - قبل تغييرات بولس تحتاج إلى همةٍ كهمة بولس ولكن في هداية أمتكم وأكثر، فلنرفع ركاماً ضخماً مضى عليه أكثر من ألفي عام!

فمن يحتمل حمل أثقال كل هذهِ السنين؟

إن من عرف الحق واقتنع به، لكنه صد عنه خوفاً من زوجته، أو خوفاً من أمه وأسرته، أو خوفاً من صحبه وخسارة وظيفته. . . فليمت معهم كما ماتت سلالات طويلة من الأسر التي عاشت في ضلال، وماتت على ضلال، ولتنتظر

براءة عيسى - عليه الصلاة والسلام - أمام اللَّه يوم القيامة، بل براءة أهله منه كما جاء في سورة البقرة من القرآن ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآيتان: ١٦٦-١٦٧].

فليختر كل عاقل، أي الخِزْيين يريد؟ خزي لحظات أمام الأهل هنا، أم خزي أمام الأهل وأمام الجموع وأمام عيسى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمام رب العالمين سبحانه، وعذاب لا ينقطع أبد الآبدين... فلا أهل يحمونك حيث إنهم جميعاً مشركون، ولا دنيا ترجع إليها إذ الدنيا انتهت مرحلتها، ونسفت أرضها، وذهبت سماؤها... وفي القرآن في سورة الأنبياء: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ

إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

[الآيات: ١٠٤ - ١١٢].

لا . . . لا تقل تاريخنا، وتاريخكم . . !

التاريخ كله سينسف، البلاد كلها ستذهب، الأرض بمن فيها بمن عليها سوف تذهب وتبدل . . ويقف الإنسان أمام اللّه للحساب، ليبقى تاريخك حجة لك أو حجة عليك . . فَلِمَ الإصرار؟!

إن هذا الأمر يجعل المرء يرجع إلى نفسه، ويجلس معها جلسة مصارحة ومناصحة، مهما كنتَ في أعين الناس عظيماً، فنفسك هي نفسك، وهي مرآتك الصافية الملاصقة التي لا ينبغي أن تقبل عليها الغبار وإن قَلَّ أَثَرُهُ، ولا التشويش وإن انخفض صوته.

حتى وإنْ كنت كبيراً دينيّاً أو ماليّاً أو اجتماعيّاً فليس في الوجود اليوم أكبر من هذهِ المهمة، وإن كنت تريد أن تكون كبيراً فليس هناك مهمة أكبر من هذهِ المهمة!

«قال رجل لرجل: لي عندك حُويجة، قال: سل بها رُجيلًا». يريد إذا كانت لديك حاجه كبيرة اعرضها عليَّ أما الصغيرة فاعرضها على صغير مثلها.

**أيها القس الأكبر:** قف على أبواب المقابر يوماً واحداً وراقب الداخلين...

أيها القس الأكبر، أتريد أن تعرف أعداد الراحلين كل عام بل كل ثانية من هذه الدار إلى

تلك الدار فإن عدد الوفيات في السنة (٥٥٢٠٥٧٨٢) وفي الشهر (٤٦٠٠٤٨١,٨) وفي اليوم (١٥٠٨٣٥) وفي الساعة (٦٢٨٥) وفي الدقيقة (١٠٥) وفي الثانية (١,٧) فلا سلامة من الموت في كل ثانية.

وستقول لك نفسك بصدق: «ستطويني الأيام كما تطوي كل هؤلاء... !يومٌ قادمٌ لا محالة، ولكن: إلى أين بعدها؟».

نعم ستطويك الأيام لتدخلك أطول رحلة، الرحلة التي لا نهاية لها، ولكن هل ترضى أن ترحل كما ترحل كل هذهِ الجموع؟

توقف! وقلها من خالص قلبك: لا ثم لا... !

لابد أن أحمل هَمَّ الإنقاذ... وإن كان كبيراً... وإن كان الغرقى كثيرين.

لا بأس... ألا يكفيني عزاءً أنّ عملي موافق لعقلي...؟ وأني أوقدت نوراً داخل عقلي يمنعني من التخبط العقدي في مشيتي الحياتية؟

لا بأس... ألا يكفيني عزاءً أنني على الحق وأن اللّه معي.

**القس روبن:** هذا الذي تقوله خروج عن العقل لأنه موعظة وتهييج للعاطفة.

**أبو حامد:** وهل العاطفة سلب محض، وهل بين العقل والعاطفة تناقض؟ إن العاطفة ألطف حرارة لتحريك جمود العقل؟

ثم هل العقل الذي يسعى في تدمير صاحبه نافع؟ إن العقل هو الذي ينجي صاحبه في الدنيا والآخرة كما قال القرآن عن اعتراف أهل النار بأنه لا عقول لهم فقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨ - ١٠].

إشارة المعزة

**أيها القس الأكبر** راقب السيل ينحدر من على السفح يحمل معه الأحجار والأخشاب، ويشتد كلما ازداد انحداراً... فإذا بك ترى قرب نهايته

على السفح عوداً أجرد إنه بقية الشجرة، وإذا بالسيل يتلاعب بها، يغمرها حتى لا تكاد تراها! ثم تظهر! ثم يغمرها! ثم تظهر! وهكذا وهكذا. . . !!

فتمر على هذا المنظر موقناً أن هذا العود ذاهب كما ذهبت الأشجار والأحجار والأخشاب الأخرى محمولة مع الزَّبدِ الذي على سطح السيل. . . فتعود بعد فترة إلى نفس المكان فتنظر في أعلى السيل فترى السيل كما هو، وتنظر في أسفل المنحدر فإذا بك ترى تلك المفاجأة! إنها تلك الشجرة وقد أصبحت مركزاً للسيل كله، شامخة وسط السيل، و السيل من حولها يطوف ذاعناً لها، كأنها تقطف ثمار الصبر على مخالفة الجموع الهادرة حين تحولت الى الاتجاه المضاد، فجاءتها الجموع المنحدرة اليوم معتذرة عما سلف منها، مقدمة الولاء والسمع والطاعة لتلك الشجرة التي ازدادت اليوم رسوخاً وشموخاً، وتحكماً في مصائر هذهِ الملايين التي لا تحصى من ذرات الماء وما يتعلق بها من الأشياء الطائفة

حولها... ليس هذا الغصن إلا إشارة عزة من جماد للأحياء!!

لكن كم بين النبات وبين البشر من بَوْنٍ شاسع؟

كم بين العزة والعزة من فارق....؟!

**أيها الأستاذ: إنْ وَرَّثَكَ غيرُك هذهِ الخرافات وهو يعلم أو لا يعلم... فكيف ترضى أن تورث ورثتك هذهِ الخرافات وأنت تعلم...؟!**

أي المخادعين أعظم: من يورث مالًا مزوراً أم من يورث دِيْناً مزوراً؟

اليد والأصابع دليل التوحيد

**القسيس «سيلاس»**: يا أبا حامد: لا تظن أننا استسلمنا لمجرد أن أجبت عن بعض أسئلتنا، ولا تظن أن أمثلتنا نفدت لأنك أجبت عن الأمثلة الأولى، لا..!

إنه صراع فكري وصراع عقدي، ولن نستسلم إلا حينما يستسلم المحارب، لكننا هنا متحابون لا متحاربون.. «انظر إلى يدي هذه»: أليست يدي هذه هي أوضح مثال على إمكانية التثليث،

والتوحيد معاً . . ؟! كم أصبعاً بهذه اليد . . ؟! إنها خمسة أصابع لكنها في النهاية يد واحدة . . !

إن هذا يثبت لك بما لا يدع مجالًا للشك إمكانية أن يكون الشيء واحداً ويكون متعدداً .

أبو حامد : وأنا أقول كلما أشكل عليك الأمر فانظر إلى كلتا يديك كذلك ، وستعرف أن اليد دليل على التوحيد الحقيقي لا على التثليث أو التخميس أو ما لا نهاية له من الأعداد .

أيها القسيس «سيلاس» : أيمكن لعاقل أن يقول : «إن هذه الأصابع الخمسة هي أصبع واحدة؟

أم يمكن لعاقل أن يقول : أن هاتين اليدين يدٌ واحدة . . ؟!

إنك حين تتحدث عن اليد فعليك أن تثبت لي أن هاتين اليدين يدٌ واحدة ، وحين تستدل بالأصابع المتعددة على التوحيد عليك أن تثبت أن هذه الأصابع الخمسة أصبع واحدة فاليد شيء والأصابع شيء آخر .

ثم إنك إذا تحدثت عن اليد الواحدة التي أراها أمامي فأثبت لي أن ما أراه ثلاثة أيادٍ وليست يداً واحدة، وأن كل يد واحدة منها مستقلة تماماً عن الأخرى، وأنها قائمة بنفسها، وأنها متساوية في الصفات والخصائص والقدرات!

كل هذا وأنا أراها يداً واحدة، أيمكن ذلك..؟!

ولننتقل إلى الأصابع: أرني أصبعاً واحدة وأَثْبِتْ لي أنها خمس أصابع!

وهل يمكن لعاقل أن يقول هذه الأصابع الخمس هي أصبع واحدة؟

وأخيراً: أيها القسيس «سيلاس»، إن التحول بهذه الطريقة من مثال إلى مثال لا يوصل إلى نتيجة، إنك إن كنت جادّاً في التوصل إلى التوحيد الحقيقي فإن عقلك سوف يوصلك إلى هذه النتيجة بأي الطرق سلكت، وأن أبيت فسوف تتشعب بك الأمور وتموت في أرض التيه ولن تصل إلى شيء..!

فهذه اليد التي ضربتَ بها المثال لو أردت التشعب حولها ووافقْتك على مجاراتك فسوف تتحول من شيء إلى شيء آخر! وكلما جاريتك في شيء وألزمتك التوحيد فسوف تتوسع أكثر ملتجئاً إلى تشعب آخر، لكنك في النهاية إن كنت جاداً في طلب الحق فسوف تصل إلى أصل الابن وأصل روح القدس أي إلى خالقهم... وسيكون الجواب هو اللّه الواحد الأحد.

أيها القس، إن نظام التوحيد الذي أُحدِّثك عنه هو النظام الذي يشهد له نظام الوجود كله، وهو النظام الذي نقيم عليه حياتنا كلها، وهو النظام الذي صلح به الوجود.

ألا ترى معي إلى نظام الأسرة التي يحكمها اثنان لا بد أن تفسد، وتتفرق، وتتشتت، ويصبح أمر كل واحد منهم بيده، فتعود أمور كل واحد منهم إلى نفسه لوحده؟!

ألا ترى أن غاية الانتخابات الكبرى في كل بلاد الدنيا هي انتخاب رجل واحد فحسب يسمى

رئيساً، ولا يتصور إطلاقاً انتخاب أكثر من رئيس لبلد واحد، وإلا فسد البلد؟

ألا ترى السفينة... وأنه لا بد لها من رُبَّان واحد وإلا غرقت السفينة..؟!

هكذا هو الأمر في خلايا النحل لا بد من ملكة واحدة، وكذلك بيت النمل، وبيت الحمام، وفي الغابة وفي كل شيء فإنَّ تَعَدُّدَ الحاكم مُؤْذِنٌ بفساد وخراب محتم، وهذا موافق للعقل وللواقع، وموافق لنظام الكتب السماوية السابقة، ويشهد لهذا ما جاء في القرآن الكريم الذي جاء في سورة الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فهل ترى اللَّه يقيم نظام ملكه على التوحيد الخالص، ويقيم حياتنا على التوحيد الخالص، ثم هو يأمرنا باعتقاد ثلاثة آلهة؟ ويقول لنا: «**ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة**»؟!

أيها القس سيلاس: أتراني لو تكلفت، وقهرت نفسي، واستجبت لك وتوجهت إلى جهة

واحدة وهي السماء، أتراني يمكن أن أوجه قلبي نحو رب واحد في السماء أم نحو ثلاثة أرباب في السماء، وأنا أعرف أنهم ثلاثة؟

سوف يتوجة عقلي إلى السماء إلى ثلاثة وذلك لأن بين عينيّ ثلاث صور مختلفة لكل واحد من الثلاثة... فللأب عندكم صورة الرجل الكبير ذو اللحية البيضاء... والابن يحمل صورة عيسى - عليه الصلاة والسلام - مصلوباً أو صغيراً في حِجْرِ أمه..! وروح القدس مصورٌ بصورة الفتى الأبيض ذو الشعر الأسود...!

أليست هذه صوراً ثلاثاً صورتموها لثلاثة أشخاص، وكل واحد منها يحمل صورة غير صورة الآخر، ولكل صورة انطباع في الذاكرة، فإلى أي الصور الثلاث يتوجه ذهني..؟![١].

هل من اضطراب أكبر من هذا..؟!

أم أن المطلوب هو أن أعزل العقل، وأغلق

(١) هذا المثال مأخوذ من الشيخ ديدات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

العينين، ثم أرفع اليد داعياً مستسلماً. . . المهم أن أدعو ثلاثة في واحد، وواحداً في ثلاثة. . ؟

فاليد إلى جهة، والقلب إلى جهة، والذهن إلى جهة أخرى. . !

انظر لنفسك لو أنك دخلت على إيوان الملك، ورأيت ثلاثة ملوك عليهم التيجان يجلسون على كرسي واحد كبير، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة له شكل مختلف عن الآخرين، وقيل لك: قَدِّمْ طلبك: ألا يكون أول سؤالٍ تسأله في داخلك هو: لأي من هؤلاء الثلاثة أقدم طلبي؟ ثم تقول: من أقوى هؤلاء الثلاثة حتى أتوجه إليه. . ؟! كي لا أهمله وأقدم عليه غيره فيغضب عليّ. . ؟!

إن توجه قلبك الأساس هنا ونظر عينيك لن يكون للأطراف إنما سيكون للوسط، والوسط فحسب.

لأن الوسط هو الأصل، ولأن الاثنين اللذين

على الأطراف إذا احتاجا سيرجعان - مثلك - للوسط، فالنتيجة هي أن تقول: إن من يتوجه إليه هذان الاثنان هو من يجب أن أتوجه إليه أنا.

وإنه لَربٌّ قادر إذ يشكو إليه هذان الاثنان عجزهما، وحاجتهم، وفقرهم، وضعفهم، وما إلى ذلك!

وإنه لرب عزيز إذ ذلّ له هذان الاثنان ومن سواهما من الخلائق.

وإنه لرب حفيظ حكيم إذ رفع هذان الاثنان ومن سواهما إليه حاجاتِهم، وهكذا وهكذا حتى تأتي على جميع نقائص الخلْقِ وحاجاتهم، ومن ثم تأتي على جميع ما تعرف من الكمالات التي جاءت في أسماء اللّه وصفاته الكاملة.

أليس هذا هو منطق **العقل** الصحيح؟

وثمة حديث عظيم عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، حكّم فيه النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - **العقل** فيمن يستحق العبادة عند

تعدد الآلهة، فهذا صاحب من أصحابه يروى قصة لأبيه حدثت له مع النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وقد كان أبوه أعرابياً من مشركي الأعراب واسم صاحبه عمران بن حصين فيقول: قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لأبي: «**يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟ قال أبي: سبعة؛ ستة في الأرض وواحداً في السماء قال: فأيهم تُعِدُّ لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء قال: يا حصين! أما إنك لو أسلمت عَلَّمْتُك كلمتين تنفعانك قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله! علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال: قل: اللهم أَلْهمني رشدي وأعذني من شر نفسي**»(١).

وهنا أرجوك حضرة القس أن تنتبه للترابط ما بين الدليل العقلي الذي استخدمه النبي محمد -

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وصححه ابن القيم في الوابل الصيب ص١٩٩، وكذا ابن حجر جوَّد إسناده في تهذيب التهذيب، وضعفه الألباني.

عليه الصلاة والسلام - وبين كلمات دعائه للرجل، وستجد أنها لم تكن مجرد دعاء أو مُعجزة.. لا فقد عَلَّمَهُ كلمتين: الأولى: تتعلق بالعقل وهو ثمرة التفكير الصحيح إذ الرشد هو القرار الصحيح، والثانية: الوقاية من شر النفس إذ كثيراً ما تكون النفس عائقاً رغم اقتناع العقل، وعليه فإذا تحقق هذان الأمران وصل الإنسان إلى القرار الصحيح كما وصل حصين والد عمران إليه.

إحياء الموتى

**القسيس الكبير «سبارتو»**: إن الدلالة على ألوهية يسوع موجودة حتى في قرآنكم...! ألم يأت يسوع بمعجزات لم يأت بها نبي ولا بشر؟!

فماذا نقول فيمن يصنع ما لا يصنعه البشر؟!

إن نوعية معجزات يسوع هي أظهر دليل على ألوهيته، إذ إنها معجزات لم يفعلها بشر لا في نوعيتها ولا في كثرتها...فهل هذهِ المعجزات غير صحيحة، وقرآنكم نفسه يشهد على أن يسوع

إله إذ إن إحياء الموتى خاص بالرب، ويسوع قد أحيى الموتى. . . أليس هذا دليلًا كافياً؟

إن التلاعب في أذهان الحضور لا ينبغي ولا يثمر إقناعاً لهم، لأن من يفعل ذلك لا ينتصر ولا يُقْنِعُ، حتى لو أقنع في بعض الجزئيات من الحوار.

ولذا أرجو في هذهِ المرة ألا تفرّ من هذا الدليل القاطع على ألوهية يسوع.

**أبوحامد: بداية** أنا أشكرك على هذا الإقرار من جهة، لكني آسف لفرارك من جهة أخرى، إذ هو إقرار بالجواب الذي ذكرتُ لك دون أدنى اعتراض، وفرار إلى دليلكم السابق الذي أبطلناه وهو الاستدلال على ألوهية عيسى بدليل إحيائه الموتى مع كثرة الخوارق التي ظهرت على يديه استدلالًا بالقرآن.

لقد استدللت بآية «**سورة آل عمران**» وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ

مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ٤٩] في هذا عدة أمور:

أولًا: إن استدلالك بالقرآن يسعدني حيث يظهر أنك تدرك في قرارة نفسك جيداً أنه المصدر الوحيد الذي لم تمسه أيدي التحريف، ولكن بودي أن تقرأ الآيات التي قبل هذه الآية والآيات التي بعدها لتعرف ماذا يقول القرآن، مع رجائي أن تتأمل اسم السورة، فاسمها سورة «آل عمران» ، وتتأمل أكثر وأكثر في كلمات القرآن لتعرف إن كانت تدل على ألوهية عيسى - عليه الصلاة والسلام - أم عبوديته: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا

كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا

صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآيات: ٤٢- ٥٥].

ثانياً: هل القول في هذه الآيات عن هذه المعجزات منسوب لعيسى - عليه الصلاة والسلام - أم منسوب للَّه؟

أليس هو قول اللَّه صاحب المعجزة الحقيقية وواهبها لعيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

أتركك تتأمل الآية مرة ومرة لتعرف أنك احتججت بأعظم حجة على كل من يقول بأن معجزات عيسى - عليه الصلاة والسلام -

دليل ألوهيته!

ثالثاً: لا شك أن معجزات عيسى - عليه الصلاة والسلام - عظيمة... ولكن فلنرجع إلى العقل لنناقش الخوارق بالخوارق ونجعل المقياس الحاكم هو العقل... إن الخوارق أمور خارقة للعقل، ولذا فنحن لا نناقش إمكانية الخوارق عقلًا.. لا، إنما نناقش لماذا خوارق عيسى - عليه الصلاة والسلام - أصبحت أدلة على ألوهية عيسى - عليه الصلاة والسلام - عندكم بينما لم تصبح خوارق الآخرين أدلة على ألوهيتهم؟

لماذا لم يَدّع اليهود ألوهية حزقيال النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو الذي أحيى ألوفاً، بينما تزعمون أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلهٌ لأنه أحيى ثلاثة موتى فقط؟ فأيهما أولى بادِّعاء الإلهية من نفس المنطق الذي تنطقون به ومن خلال حجتكم؟

لماذا زعمتم أن عيسى - عليه الصلاة

والسلام - إلهٌ بناءً على أنه أحيى الموتى من البشر، بينما موسى - عليه الصلاة والسلام - خلق اللَّه على يديه من العصا حية... فأيهما أصعب - في حكم العقل -: أن يَخْرُجَ من البشر الميت أمامك بشرٌ حي بمجرد النفخ فيه، أم أن خْلُقَ من الخشبة كائناً حياً فيه الروح والحياة، ويغلب الأحياء كما حصل لثعبان موسى - عليه الصلاة والسلام - مع ثعابين السحرة؟

إن إحْياء ميت يعني أن الجسد جسد بشر حقيقي لا ينقصه إلا إعادة الروح، أما العصا فإنها تحتاج إلى تحول طبيعة الخشب إلى خلايا حية وإلى روح، فأي المعجزتين أصعب؟

أي المعجزتين أصعب في حكم العقل: معجزة عيسى - عليه الصلاة والسلام - الذي أحيا من مات كاملًا بين يديه بنفخة... أم معجزة موسى - عليه الصلاة والسلام - في إحياء ميت بضربه قطعةَ لحمِ ميتة في ميت فخرج حيّاً؟

أيهما أصعب في حكم العقل: إحياء ثلاثة موتى كاملي الهيئات كما هي معجزة عيسى - عليه الصلاة والسلام - أم ذبح مجموعة من الطيور ثم تقطيعها قطعاً صغيرة وخلطها مع ريشها وعظمها حتى تصبح كلها قطعة واحدة في صرة ثم تقسيمها أقساماً متعددة، ثم الذهاب بها أجزاء متفرقة فوق رؤوس الجبال، ثم نداؤها بأسمائها فتنبعث حية وتأتي طائرة مستجيبة للنداء، كل واحد على حدة كما هي معجزة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فأيهما أصعب؟

أيها القس الكبير: فلنعرض الأمر على العقل ولننظر في حكمه.

متى أصبحت الخوارق تظهر على أيدي البشر دليلًا على ألوهية هؤلاء البشر..؟!

وإذا كانت كذلك فبأي حق تمنعون الأقوام الآخرين الذين ادعوا ويدعون الألوهية لعظمائهم وأنبيائهم بناءً على ما رأوا من خوارق على أيديهم، وتحصرونها على عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟!

وإذا كانت الخوارق يقدمها النبي لقومه دليلًا على ألوهيته، **فلم لا تصبح الكرامات التي تجري للرجل الصالح دليلًا على نبوته وهذا أسهل وأقرب، لأنها تنقله من مرتبة بشر إلى بشر أعلى، بينما تلك تنقله من البشرية إلى الألوهية؟!**

ثم أليس من الخوارق ما يفعله الشيطان، فهل يعبد الشيطان بحق إذا ادعى الألوهية بناءً على تلك الخوارق..؟!

أتعرفون منهج مَنْ هذا الذي تطرحونه...؟

إنه تفكير عدو عيسى - عليه الصلاة والسلام - الأول... تفكير من إذا رجع عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخر الدنيا فإنما يرجع ليقتله... إنه تفكير المسيح الدجال! فهل تعرفون من المسيح الدّجال الذي يخرج في آخر الزمان أم لا..؟!

لقد أخبر النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - عنه وعن خطره حتى قال: «إن اللَّه عز وجل لم

يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة»(١).

وقال عنه: إنه يطوف الأرض: «... كالغيث استدبرته الريح»(٢).

«ما خلق اللّٰه فتنة منذ أن خلق الدنيا أعظم من فتنة الدجال»(٣).

فإذا جرينا على قواعدكم في الاستدلال فسيكون المسيح الدجال هو المرشح قبل عيسى للألوهية..؟!

دليل الوهيته انه من نفخة!

أيها القس «سبارتو»: هل تراني خرجت عن حكم **العقل** وأنا أناقش الخوارق، أم أن عندكم حججاً أخرى غير هذه..؟!

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).
(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٧٥) وصححه الألباني.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وضعفه الألباني في ابن ماجة، وصححه في قصة المسيح الدجال (ص٤١).

القس «جم»: دعك من هذا الذي تقول وتعال إلى الأدلة التي ينبغي أن تقدم على ألوهية المسيح وكونه «ابناً للَّه»، وهي أن ولادته كانت من غير أبٍ، وأن ولادته كانت من نفخة في رحم امرأة هي مريم، وهذهِ النفخة - كما هو عندكم في القرآن - نفخة من اللَّه. . . فأي شيء أعظم من أن يكون المسيح نفخة من اللَّه في رحم امرأة، ثم حمل وولادة. . . ماذا يعني هذا إلا أنه ابن اللَّه؟

أبو حامد: أولًا: بناءً على هذا أود أن أسألك سؤالًا محدداً: هل تعتقد حسب ما ورد في العهد القديم والعهد الجديد أن شخصاً آخر نُفِخَ فيه من روح اللَّه غير عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

القس جم: نعم إنه آدم.

أبو حامد: صدقت، وأنا أذكر لك ذلك في القرآن حيث قال اللَّه عن آدم - عليه الصلاة والسلام -: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فماذا تجيب من ادعى أن آدم إله مع اللَّه، أو أنه ابنُ اللَّه؟

أليست علّة الألوهية واحدة، بل هي في آدم أَوْلَى وأحرى من عيسى - عليهما الصلاة والسلام -؟

أليس هو أقرب إلى اللَّه من عيسى - عليهما الصلاة والسلام - من حيث ابتداء الخليقة؟ أليس هو الأب الأول لعيسى - عليهما الصلاة والسلام-، وأب عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأب البشرية جميعاً؟ أليست النفخة في آدم لم تمتزج بأي أجزاء بشرية وأرحام نسائية حتى يتهم بأنه «**ابن الإنسان**» كما جاء عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - في وصف نفسه في الأناجيل نفسها؟

أليس هو الوحيد الذي سجدت له ملائكة اللَّه في السماوات حين نفخت فيه الروح وقام؟ فهل تسجد الملائكة إلا لربها سبحانه على مقاييسكم؟

أليس هو الرجل الوحيد الذي سكن الجنة مع ملائكة اللَّه؟

فلمْ يقتصر الأمر في آدم - عليه الصلاة والسلام - على نفخ الروح وحده، إنما هي خصائص كثيرة. فأي الاثنين أكثر مؤهلات لهذا الأمر على حسب قياساتكم؟

هل عندك جواب عقلي على هذا؟

«وإذا كان علة استحقاق عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يصبح إلهاً هو أنه ولد من غير أب فإن العالم حادث بأسره من غير أب ولا أم ولا سبب! ثم إن جميع المخلوقات ابتدأ خلقها بغير أبٍ ولا أم!»(١) وهنا أريد أن أسأل سؤالًا محدداً: هل البداية على خلاف الطبيعة المعتادة أدعى لتعظيم الخالق أم لتعظيم المخلوق الذي لا يملك من أمره شيئاً؟(٢)

يا أصحابنا: هل خَلْقُ عيسى - عليه الصلاة والسلام - بهذِهِ الطريقة أدعى لتوحيد اللَّه الذي

---

(١) «إظهار الحق» للهنيدي رحمه الله.
(٢) «الأجوبة الفاخرة» ص ١٠٢ .

خلقه وصوّره، وأدعى لإفراد اللَّه بالعبادة، ومزيد شكره، أم مزيد إشراك به، ورفع ذاك المخلوق الذي خُلِق بغير اختياره إلى درجة الذي خلقه وأظهر فيه عجائب قدرته؟ وهل جَعَله اللَّه آية للمخلوقات الأخرى ليعبدوه من دون اللَّه، أم ليستدلوا به على عظمته سبحانه... كما مرّ معنا في الآية القرآنية السابقة في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

**ثانياً**: لو أنك أَلّفت كتاباً وأشكل على قارئ لفظٌ من ألفاظه... فلمن يلجأ هذا القارئ كي يعرف مرادك من ذلك اللفظ؟ أليس لك؟ أم أنك ترضى أن يفسر كلامك من غير كتابك على غير مرادك؟

إن الجواب بغير شك هو: لا.

وبناءً على هذهِ القاعدة المنطقية، فإن عند المسلمين قاعدة تقول: «أَوْلَى ما فسر به القرآن هو القرآن نفسه».

فلنطبق على المسلمين هذهِ القاعدة العقلية التي ارتضوها هم وارتضتها كل الخلائق... فهنا قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

حل إشكال لفظ: ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾

والإشكال حسب توهمكم هو لفظ «روحنا» أي نسبة الروح إلى اللّه سبحانه... فمن هذا النفخ أصبح عيسى - عليه الصلاة والسلام - ابناً للّه...! وهذا ناتج عن تصور بهيمي، إذ إن حقيقة الفكرة أن هؤلاء أقاموا هذهِ النفخة مقام الحركة الجنسية البهيمية... وفي هذا من الإساءة للّه رب العالمين أعظم من إساءة اليهود لمريم العفيفة الطاهرة فيما افتروه عليها وحاشاها! فأين من يتهم اللّه ممن يتهم بشراً؟!

ولنعد للفظ «روحنا»، فمع أنه مرّ علينا إبطال هذهِ المسألة من قبل خلال العقل والكتب السابقة، إلا إنها ليس فيها أي إشكال إطلاقاً في القرآن،

فلقد وردت القصة كاملة في سورة مريم، فلنقرأها كاملة ولننظر هل سيبقى إشكال بعد قراءتها:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ

هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

[الآيات: ١٦ - ٣٨].

فهل الذي نفخ هو اللّه، أم الذي نفخ هو من سماه اللّه «روحنا» وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام -؟

إن الآية صريحة على أن الذي نفخ هو

جبريل... وأن اللَّه لم ينفخ - سبحانه - في رحم مريم أصلًا؟

ومما يصرح بأن هذه الروح نعمة من نِعَمِ اللَّه ما جاء في إنجيل متى (١/ ١٨ -٢٤) وفي إنجيل لوقا (١/ ٢٦ - ٣٨) قال لوقا: «فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من عند اللَّه، وها أنت ستحبلين...»، فهل يوصف الإله بِأَنَّهُ نِعْمَةٌ أم أنه المُنْعِمُ؟

ثم كيف ينتج الذي له بداية من لا بداية له؟ وكيف يمكن أن لا تكون له نهاية؟

وبناءً على هذا الذي تقولونه فإن جميع الناس سيصبح من حقهم ادعاء الألوهية، أتدري لماذا؟

لأنهم سوف يتحولون جميعاً إلى آلهة بنفخة الملك النافخ في الصور عند قيام الساعة وهذه النفخة ثابتة عندكم أيضاً.

**وإذا كان الخلق من غير أب سبباً كافياً لنعبد هذا المخلوق فإننا يجب أن نعبد النعجة «دولي» التي أُنتجت بطريق الاستنساخ ولم تعش طويلًا.**

وعلماء الاستنساخ اليوم يستطيعون أن يأخذوا من الأم ويضعونها في بويضة في الأم نفسها فتخرج أنثى مشابهة للأم تماماً كما هو الشأن في النعجة «دولي».

فهل هؤلاء البشر يستحقون العبادة بحجة أنهم خلقوا من غير أب؟

وهم حين يخرجون - يوم القيامة بالنفخة - لا يخرجون من بطون أمهاتهم وإنما يخرجون من الأرض كما خرج عيسى من الأرض بعد دفنه كما تزعمون وصعد إلى السماء. . فالمسألة سواءً بسواء.

فلم يتحول عيسى إلى إله وهؤلاء لا يتحولون وكلاهما قام بنفخة من الأرض؟

أما الناس فقد مروا بمرحلة النطفة التي لحقتها مرحلة نفخ الروح، وبذا يكون ابتداء حياة الناس في الأرحام بنفخ الروح، وخروجهم من الأرض بنفخ الروح كذلك.

فهل هذان الحدثان كافيان لأن يتحول الناس إلى آلهة..؟!

أيها القسم «جم»: إذا علم أن ابتداء البشر عموماً بالنطفة، وأن ابتداء **عيسى - عليه الصلاة والسلام** - بالنفخة، فقد عرف القاسم المشترك بين الاثنين، وهو أن لكلا الاثنين بداية، وكلاهما مخلوق، وكل ما يقال من أنه قبل أن يكون في رحم مريم كان كذا وكذا فإنه محض وهم وتخرص لا دليل عليه إطلاقاً، فأنى لمن كانت له بداية أن يكون إلهاً؟

**إن خاصية عيسى - عليه الصلاة والسلام - أنه تخطى مرحلة النطفة البشرية** وحلت به الروح من غير حيوان منوي.

وإذا كان كل ما نُسِبَ إلى شيء أصبح جزءاً منه، أو صفة له، فقد نُسِبَ إلى اللّٰه تعالى عدة أشياء في القرآن وفي غيره، فهل يستطيع القسيس أن يطبق نفس قاعدته هذه على الناقة التي قال اللّٰه فيها: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا﴾ كما في سورة الشمس آية ١٣؟!

وهل الناقة بهذه النسبة أصبحت بنت اللَّه، أم أنها أصبحت مركوباً للّه؟!

ثم هل يمكن أن نجعل البيت العتيق «الكعبة» مولود اللَّه، أم أن اللَّه يسكنه، وهل يمكن أن يقال مثل هذا في المساجد التي اسمها «**بيوت اللَّه**»؟!

أحد كبار العلماء اسمه الطيبي في شرحه لكتاب «مشكاة المصابيح» يقول:

«إنَّ مسلماً كان يتلو القرآن فسمع قسيسٌ هذا القول: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

فقال: (إن هذا القول يصدّق ديننا ويخالف ملة الإسلام؛ لأن فيه اعترافاً بأنّ عيسى - عليه الصلاة والسلام - روح. هو بعض من اللَّه).

فكان علي بن حسين بن الواقد مصنف كتاب (النظير) حاضراً هناك، فأجاب بأن اللَّه قال مثل هذا القول في حق المخلوقات كلّها ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

فلو كان معنى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ روح بعض منه، أو جزء منه، فيكون معنى ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أيضاً على قولك مثله، فيلزم أن تكون جميع المخلوقات آلهة، فأنصف القسيس وآمن».

بمعنى أن حرف «منه» لا يعني جزءاً منه، فلو كان يعني ذلك لكان معنى الآية ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: جميع المخلوقات جزء منه، وهذا لم يقل به أحدٌ من أهل الأديان أبداً!

**القس الكبير «سبارتو»**: إذا استطعت الخروج من هذا السؤال، فماذا تراك ستقول في تسمية القرآن لعيسى ابن مريم بأنه «**كلمة اللّه**»..؟!

كلمة الله

أليست كلمة اللّه من اللّه..؟! ألم توصف كلمات اللّه بأنها تامات ولا تنتهي لأن اللّه لا ينتهي، فكيف ينتهي عيسى..؟!

**أبو حامد**: قطعاً نعم: كلمات اللّه من صفات اللّه، ولو سألتني أي الصفات تكون كلمة اللّه،

لكان الجواب الذي لا جواب غيره هو: أن كلمات اللَّه هي حياة اللَّه، وذلك لأن كلمات اللَّه هي التي بها ظهر عيسى وبها يُحيي عيسى الأموات والطين، فلقد جاء في قرآنكم عن عيسى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾، وكما ورد في قرآنكم فقد ورد في إنجيل متى الإصحاح ٢٤ الآية ٢٥ «**السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول**».

**أبو حامد**: أنا أشكرك لإظهارك كل ما عندكم من اعتراضات على العقيدة الصحيحة، لأن هذه الاعتراضات تجلي العقيدة جيداً كما تقول الحكمة: «وبضدها تتميز الأشياء»، كما أن هذه الاعتراضات تذكِّرني بما يفوتني التنبيه على بطلانه، أو ربما لم آبه له، فلمْ أذكره.. فإذا ذكرته أنت عرفت أهميته عندكم فأجبت عنه، وسوف أجيب على هذا الاستدلال بأجوبة عدة:

**الجواب الأول**: بودي أن أستفتح الإجابة معك بسؤال محدد يقول: ألم يخلقك أنت اللَّه بأمره؟!

والجواب قطعاً: بلى.

ألم يخلق اللَّه عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأمره؟ والجواب قطعاً: بَلَى.

إذن فما الفارق ما بينك وبين عيسى - عليه الصلاة والسلام - من حيث سببُ الخلق..؟!

**والجواب**: لا فرق.

وهكذا خلق الناس كلهم بأمر اللَّه، كما خلقت جميع المخلوقات بأمر اللَّه.

وعليه فلا إشكال.

لكنني لو جئت أسألك بأي كلمة من كلمات اللَّه خلقت أنت أو خلق عيسى؟ لقلت: لا أدري تحديداً، وهذا هو جواب جميع النصارى، لكنني وبكل سهولة سأقول لك بأي كلمة من كلمات اللَّه خلقت، فلا تحسب أن الجواب تخمين من عندي، بل هو من اللَّه الذي قال الكلمة كما في سورة يس آية ٨٢: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وفي القرآن آية أخرى صريحة تخص عيسى في سورة آل عمران إذ يقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٨].

بهذه السهولة وبهذا الوضوح، ومن دون أدنى تعقيد، وليس في القرآن وحده بل في التوراة كذلك، ففي سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال اللَّه: **لتكن** أنوار في جلد السماء، لتفصل بين الليل والنهار، **وتكون** الآيات، وأوقات، وأيام، وسنين، **وتكون** أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض» ١٥ - ١٦ إذاً فكل ما ذكر هنا من الزمان والمكان كله بكلمة اللَّه كن.

فكيف يكون عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو صفة من صفات اللَّه وما هو إلا أثر كلمة واحدة..؟!

والاختلاف إنما هو في الطريقة: فالطريقة في عيسى هو نفخ جبريل في رحم مريم وبه كان

الحمل، أما الطريقة بالنسبة للناس فهي نفخ المَلَكِ المخصص للروح بعد مضي مائة وعشرين يوماً في الحمل كما مر معنا وسيمر في المجلس القادم إن شاء اللَّه.

**الجواب الثاني: حدِّدوا الجواب تحديداً**: هل كلام اللَّه أصبح عيسى، أم عيسى أصبح إلهاً بكلام اللَّه..؟! بمعنى هل عيسى هو الكلام نفسه، أم هو موجود بالكلام..؟!

فإذا كان عيسى موجود بالكلام فهو أثر من آثاره لا يختلف عن غيره من هذه الحيثية!

وإن كان عيسى هو الكلام نفسه فقد وقعتَ في عدة أمور **أولها**: إذا قلتم إن اللَّه خلق في عيسى الكلام فهذا يعني أن اللَّه كما خلق الكلام في غير عيسى فقد خلقه في عيسى، وأما إن قلتم لا، بل هو كلام اللَّه نفسه بمعنى أن هذا الكلام انتقل من اللَّه لعيسى فقد بقي اللَّه بغير كلام، أي بقي اللَّه أخرسَ حين سُلِب منه الكلام أو حين تنازل عن الكلام،

والفرق بين الاثنين أنه حين خلق الكلام في عيسى لم تذهب صفته إليه، بل حاله في ذلك حال جميع خلقه، وهذا كما يخلق القوة في بعض خلقه أو السمع والبصر ونحو ذلك، أما حين كان عيسى صفة الكلام فقد انتقلت صفته منه إلى عيسى.

**أما ثانياً**: إذا أردتم أن تقولوا إن عيسى أصبح بالكلام إلهاً، فيلزمكم أن تقولوا: إن الطير الذي قال له عيسى: كن، فكان طيراً، أصبح إلهاً، لأن الطير كان بكلام عيسى الإله، كما كان عيسى بكلام اللَّه..! وهكذا فحين قال عيسى للميت قم فقام حيّاً، فقد أصبح ذلك الميت إلهاً كذلك..؟!

**الجواب الثالث**: هذه الآية التي استدللتم بها من إنجيل متى على أن عيسى أصبح إلهاً بهذه الكلمة لا تدل على ما تقولون وبأنه ليس له أول ولا آخر، بل الآية وَصَفَتْه بعدم الزوال، كما في العهد القديم في الإصحاح التاسع والثلاثين، آية ٨ «يبس العشب، وذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فباقية إلى

الأبد»، فهنا ذكر عدم الزوال فحسب، ولم يذكر عدم البداية. . . وهذا يصدق على عيسى وعلى إبراهيم وعلى محمد - عليهم الصلاة والسلام - وعلى غيرهم حيث إن ذكرهم باق ولا يزول وإن زالت السماوات والأرض.

الجواب الرابع: هل يمكن أن يتصور عاقل أن اللَّه الخالق يصبح جزءاً من مخلوق. . ؟!

إذا كنتم تقرون بأنفسكم بأن مريم مخلوقة، وتقرون بأن ناسوت عيسى مخلوق، فكيف يركب العقل خالقاً من مخلوق ومخلوق. . ؟!

أو بمعنى آخر: ماذا يكون عيسى بغير كلمة اللَّه التي تزعمون أنها حلّت فيه. . ؟!

أليس هو بغيرها مخلوقاً باعترافكم، وبناءً على ذلك أليس له بداية. . وفيه صفات المخلوق التي ذكرتم، فكيف يكون مخلوقاً خالقاً.

باللَّه عليكم: كيف تكون له بداية ولا تكون له نهاية. . كيف. . ؟!

بل كيف تقرون أن له بداية، ثم تقولون إنه ليس له بداية، كيف..؟!

كيف يكون بعضه له بداية وبعضه ليس له بداية، كيف..؟!

كيف يكون بعضه مخلوقاً وبعضه خالقاً.. كيف..؟!

كيف يكون مخلوقاً من جهة ويكون خالقاً لأمه؟

أيُّ حيرة تصيب العقل من العقيدة التي من المفروض فيها أن تحل العقد..؟!

**الجواب الخامس**: الكلامُ، كالنظر، كالقوة، وكالعلم، ككل الصفات الأخرى، فهل إذا نظر اللَّه لشيء انتقلت صفة النظر من اللَّه لذلك الشيء..؟!

أيقول بهذا عاقل..؟!

وهل إذا علّم اللَّه مخلوقاً علماً انتقل ذلك العلم الإلهي لذلك العبد، وأصبح العبد إلهاً..؟!

وهل إذا وهب اللَّه خلقه قوة انتقلت القوة الإلهية إليهم وأصبحوا آلهة، أيجوز عقلًا هذا..؟!

إن قلتم لا يجوز وهو خاص بعيسى، قلنا لكم: ما الذي يمنعه عن غير عيسى، وقد كانوا جميعاً بشراً وأنبياء بكلمة اللَّه، وهو الذي وهبهم: العلم، والقوة، والحكمة، والشجاعة وما إلى ذلك.

وإن قلتم يجوز قلنا لكم: إذن فكل الخليقة آلهة، وفسد تخصيص عيسى بالألوهية.. وليس هذا فحسب بل لن تبقى صفة من صفات اللَّه، لأن لجميع صفات اللَّه تعلقاً بالبشر، وآثاراً عليهم مثل السمع، والبصر، والقوة، والعلم، والرحمة، والغنى.

الجواب السادس[1]: لن تجد عاقلًا في هذه الدنيا يعد الكلام بغير المتكلم شيئاً.

---

(١) أصل هذه النقطة من كتاب «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أسمعت عاقلًا في التاريخ ينادي كلام اللَّه، أو حياة اللَّه، أو قوة اللَّه أو سمع اللَّه أو بصر اللَّه.

الجواب: لا، وذلك لسبب سهل هو أن الصفة ليست هي الموصوف، فالكلام ليس هو اللَّه، والقوة ليست هي اللَّه، والعلم ليس هو اللَّه، إنما هذه وغيرها من صفات الكمال صفات للَّه.

ومن قال غير هذا منكم قلنا له: ما دمت تقول: إن الإنجيل كلام اللَّه، إذن فإن الإنجيل هو اللَّه، وهل يقول عاقل: إن الإنجيل أو التوراة أو القرآن هو اللَّه؟!

وماذا إذا ثبت تغيير الإنجيل والتوراة والزبور - وقد ثبت - فهل أصاب اللَّه التغيير أم ماذا..؟!

أترضى أن أصف كلامك المكتوب على ورق أو المسموع بأشرطة بأنه أنت فلان.

الجواب السابع: بناءً على قواعدكم فإن نقول: ظهور اللَّه في مَلَكٍ من الملائكة أَوْلَى لأن الملائكة ليست بكثيفة، فَلِمَ يظهر في عيسى

اللحم والدم وتوابعهما ولا يظهر في الملائكة..؟

ثم: ألستَ أنت إنساناً يتمثل فيه حلول اللطائف في الكثائف وهي الروح في جسدك، فكنت بهذه الروح إنساناً كريماً كاملًا.. فهل عيسى كان كذلك أم لا..؟!

والجواب: قطعاً نعم.

فظهور اللّه في عيسى الكامل الروح والجسد كما تزعمون محال حسب هذه والقاعدة.

القس «جم»: لا أزال أنتظر جوابك على سؤال القس «راوس» في وسط الجلسة، وأنت حتى اللحظة لم تقترب من الإجابة على سؤاله.. ونحن نعذرك إن لم يكن لديك جواب، أو حتى إن كنت تريد وقتاً تبحث وتراجع، لأنني لا أشك أبداً أنه سؤال في غاية الإحراج لك، لأن مبناه على مثل حقيقي لا يمكن أحداً إلا الاستسلام له.

يا أبا حامد، إنك لو ركزت عقلك مع المثل

الذي ضربه لك القس «راوس» قليلًا لعرفت أن عقيدتنا مقنعة، إن تولد الابن من الأب إنما هو تولد النطق والعلم من اللَّه وهو كولادة النطق من العقل، وكولادة العلم من العالِم. . . أليس هذا الذي أقوله لك قضية منطقية يقبلها العقل الإنساني مع الإنسان، فكيف لا يعقلها العقل الإنساني في قضية هي أصعب وأبعد! إنها قضية الاعتقاد؟! ثم إن هذا المعنى الذي نقوله هو ما جاء منصوصاً عليه في قرآنكم حيث أخبر أن عيسى كلمة اللَّه، في سورة النساء في آية رقم ١٧١ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ إذاً فهو كلمته.

إنكم كمسلمين تطلبون من الإنسان أن يعتقد بأمور أصعب استيعاباً من هذهِ على العقل. . . فكيف تطلبون من أصحابكم التسليم ولا ترضون منا أن نسلم؟!

إن يسوع يا أبا حامد صفة من صفات اللَّه إنه النطق، وصفة العلم.

أبو حامد: أولًا كوننا مسلمين وأننا نطلب من الناس أن يسلموا لأشياء أصعب من هذهِ على العقل فأنا بانتظار أن تذكر لي أية قضية إسلامية تخالف **العقل**.

**إن القاعدة عندنا هي: «أن الدين الصحيح لا يخالف العقل الصريح»، وأن «التقليد في الاعتقاد باطل».**

أما بالنسبة لهذهِ القضية فما رأيك لو أثبت لك أنك أنت نفسك غير مقتنع بها... فضلًا عن الإخوة الحاضرين الذين لا أعتقد أنهم يهزون رؤوسهم تأييداً لك إلا من باب التوقير لك، ولعلهم وجدوا ملاذاً **عقلياً** لِما حسبوا أنْ ليس له أي رصيد من **العقل**، فهذا الاستدلال لا ينم عن اقتناع بقدر ما ينم عن قشة ألقيت لنملة قد سقطت من السفينة في المحيط... فركبتها النملة تظن أن

هذهِ القشة ظهر سفينة أخرى، وأنها منقذتها من أمواج هذا المحيط... مع احترامي لكل الجالسين... لكن الحوار العقلي يقتضي هذا المثل وسوف أثبت ما أقول بالعقل الصريح بأدلة متتابعة تأتيك تترى كالآتي:

الجواب الأول: هل تعرف يا أيها القسيس «جم» أنك بهذا المنطق والدليل الذي قلدت فيه مَنْ سبقك قد أسأت أعظم إساءة للثلاثة الذين اتخذتهم آلهة: للأب والابن وروح القدس؟

القسيس «جم»: أنا أعترف أنني قد قلدت من سبقني ولا عيب في هذا، لكن: أين الإساءة إذا وافق العقل من سبقني...؟ أين الإساءة وأنا مُعظِّم للأب وللابن ولروح القدس؟

أبو حامد: لا بأس بالإنسان أن يقلد من كان على حق، لا بأس أن يقلد في أمرٍ يوافق العقل... أما أن يقلد من لا يعقل فهذا ما لا يقبل!

وسوف أبين لك أين الإساءة للَّه ولعيسى - عليه الصلاة والسلام - وروح القدس - كما تزعمون - فإن اقتنع بها الحضور وإلا رجعتُ عنها.

**إذا كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو النطق الذي تولد من اللَّه كتولد النطق من العقل فإن هذا يعني نقصاً في حق اللَّه لأن اللَّه لم يكن ناطقاً قبل أن يتولد منه النطق وهو ما تسمونه «الكلمة»**، فكما يتولد النطق في الطفل شيئاً فشيئاً فيصبح ناطقاً بعد أن لم يكن ناطقاً فكذلك تولد النطق باللَّه سبحانه، فكان هذا النطق هو ولده عيسى - عليه الصلاة والسلام - فكيف كان اللَّه قبل هذا الولد؟!

فهل ترضى أنت أن يكون اللَّه عاجزاً عن النطق في فترة ما قبل تولد عيسى - عليه الصلاة والسلام - منه... هل ترضاها؟

وهل ترضى أن يكون اللَّه جاهلًا قبل أن يتولد

عيسى - عليه الصلاة والسلام - منه، إذ إن عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما تزعمون هو العلم الذي تَوَلَّدَ في اللَّه؟

وهل ترضى أن يكون اللَّه عاجزاً قبل عيسى - عليه الصلاة والسلام -، لأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو القدرة كما يزعم بعضكم؟

**هذا في حق اللَّه ولا أحسبك ترضى أن تعبد ربّاً أخرس، ولا ربّاً جاهلًا، ولا ربّاً عاجزاً في فترة من الفترات.**

ثم إنك لا ترضاها في حق عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه، رغم قولك إنه الابن! إذ إنك جمعت لعيسى - عليه الصلاة والسلام - صفتين فحسب: صفة النطق وصفة العلمْ فأين الصفات الأخرى لعيسى الرب- كما تزعمون -؟!

أيمكن أن تعبد نطقاً وعلماً..؟! أم يمكن أن تعبد شريطاً أو صوتاً..؟

أترضى أن تعبد عيسى الرب الناطق العالم -

كما قلت- الفاقد لكل الصفات الأخرى، فهو العاجز، الأصم، الأبكم، الضعيف، المهزوم إلى آخر الصفات السلبية؟!

عيسى - عليه الصلاة والسلام - كالنطق والحياة

قل لنفسك أترضى أن ترزق بولد بهاتين الصفتين الإيجابيتين فقط مع سلْب الصفات الأخرى منه؟

الجواب قطعاً: لا، إذاً كيف تجعلون للَّه ربكم ما تكرهون لأنفسكم ولأولادكم؟

وكيف يرزقكم اللَّه هؤلاء الأولاد بهذهِ الصفات ويختار لنفسه أسوأ الصفات؟

أهذه قسمة عادلة؟

وعجباً لكم - كذلك - أيها القس - حين تقولون: إن الولد صفة من صفات أبيه!؟

وأنا أسأل - أيها البرفسور - هل ولدك صفة من صفاتك؟

**نعم**، ربما يكون يشبهك في كثير من الصفات، وربما لا يشبهك في أكثر الصفات،

وربما يكون على الضد منك، أما أن يكون هو صفة من صفاتك فلا، فصفاتك جزء منك خُلِقتْ معك!

كما إن صفاته جزء منه وخلقت معه... فإذا كان العقل لا يقبل هذا المنطق ما بين مخلوق ومخلوق وهما متشابهان في الصفات البشرية، فكيف يقبله ما بين المخلوق والخالق؟

أيها العقلاء كيف يكون عيسى - عليه الصلاة والسلام - صفة اللَّه، سواءً كان صفة العلم أو القدرة أو غيرهما إذ ماذا صنع اللَّه يوم مات عيسى - عليه الصلاة والسلام - ثلاثة أيام؟ هل بقي اللَّه ثلاثة أيام بغير علم ولا نطق أخرس أو بغير قدرة وعاجز أشل، وجاهل بغير علم؟ تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

أين كان علم اللَّه حين كان المتآمرون يدبرون صَلْبَه؟ وهل تعطلت صفة علم اللَّه أو صفة قدرته؟

وأين كانت صفة علم اللَّه وقدرته يوم بقي عيسى - عليه الصلاة والسلام - في أحشاء أمه طوال فترة حمله؟

أرجوك هات كل أحوال عيسى - عليه الصلاة والسلام - التي وردت في إنجيلكم الذي بين أيديكم، وسل نفس السؤال . . .ثم اختمها بهذا السؤال: أهذا يليق باللَّه؟

**وأسأل نفس السؤال حتى في أعلى حالات عيسى - عليه الصلاة والسلام - عندكم**، وذلك حين رفعه اللَّه وأجلسه عن يمينه، إذ لو كان صفة اللَّه، فكيف تكون صفته بجنبه ولا تكون فيه . . .أيمكن أن تكون صفتك وتجلس بجوارك . . .؟!

ليست القضية استهزاءً بالمسيح - عليه الصلاة والسلام - كلا واللَّه، إنما هو استهزاء **بالعقل** المعطل لمن يستهزئ بالمسيح!

ثمّ هل لكم من دليل على تولد هاتين الصفتين

أو الثلاث من اللَّه أم أنه تلطيخ الدعاوى في حائط اللا معقول؟

وماذا يمكن أن تجيبوا لو أن رجالًا استخرجوا ملة جديدة تقول: إن صفات اللَّه الأخرى تولدت من اللَّه كذلك، وكل صفة تتولد من اللَّه تكون ابناً للَّه، فكما أصبح النطق ابناً أصبحت القدرة ابناً، وأصبحت صفه العلو ابنا، وأصبحت صفة السمع ابناً، وأصبحت صفة البصر ابناً، وهكذا فإذا كانت صفات اللَّه لا متناهية فإن أبناءه غير متناهين!

فما الذي يمنع ما صدق هذا على عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يصدق على غيره؟

وأخيراً إذا كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو صفة العلم، فهل الصفة المجردة تفعل شيئاً إذا كانت منفردة؟

هل صفة الحياة تخلق أم ترزق أم تدفع أم تنصر. . . فهل لعاقل أن يحترم قوله لو قال إن

صفة الحياة هي خالقة السماوات والأرض؟!

التوحيد ضرورة للنظام الحياة

أرجوكم دعونا من المسُلَّمات العقدية، وهاتوا لنا المسلمات العقلية، فإن المسلمات العقدية الصحيحة لا تنسف المسلمات العقلية الصحيحة.

إن ما بنيتم عليه معتقدكم بأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إله مع اللَّه لا يصطدم مع الأناجيل نفسها، ولا مع الكتب السماوية، ولا مع اللغة والعقل فحسب، بل يصطدم حتى مع فطرة الإنسان الداخلية، وحياة الأمم العملية، أرجوك يا أيها القسيس الأكبر أجبني بصراحة: هل تريد أن يتقدم أحدٌ معك على الناس للصلاة أم لا بد من إمام واحد...؟

القس الأكبر: لابد من إمام واحد.

أبو حامد: وماذا إذا عينتم إمامين لنفس المصلين ونفس الصلاة الواحدة؟

القس الأكبر: لابد أن يحصل إرباك للمصلين.

أبو حامد: وماذا إذا كانوا ثلاثة أئمة؟

**القس الأكبر**: لابد أن يحصل اضطراب أكثر وأكثر. . .بل لا يمكن أن تصح الصلاة. . .إذ مَنْ يَتْبع الناسُ في صلاتهم؟

ويا أستاذ العلوم السياسية «جيمي»: لماذا الانتخابات الرئاسية في كل البلاد؟ أليس لانتخاب رئيس واحد للبلد؟

**وأنت يا أستاذ فيفا**: هل ترضى بوجود رئيس لقسم العمود الفقري في نفس القسم في المستشفى غيرك وفي ذات قسمك؟

**الأستاذ فيفا**: قطعاً لا.

**أبو حامد**: وعلى هذا تقوم حياة أهل البحر، فالسفينة لا تقبل أكثر من قبطان، ورفقة السفر لابد أن يؤمروا عليهم أحدهم.

هذا النظام يجري حتى على البهائم والحشرات والنحل والنمل وكل ما خلق اللّه.

هكذا هي الحياة كلها، فكيف يشرع اللّه للناس معتقداً يناقض تمام المناقضة ما وضعه

لحياتهم، ويناقض عقولهم ويناقض طبائعهم، ويناقض فطرتهم، ويناقض كتبهم ودساتيرهم؟!

وإذا كانت صلاة القسيس الأكبر تفسد لوجود ثلاثة أئمة وهم في مكان يفترض أن يكونوا أبعد ما يكون فيه الاختلاف، وفي موضوع أبعد ما يكون عن الحسد، فكيف بهذا الكون المجهول الحدود، ومجهول الأعداد، ومجهول الأبعاد..؟

أيمكن أن يقبل فيه نظام المشاركة في نهاية مقاماته...؟

مع أن هذِه القضية من غير أساس، إلا أنها لا تقبل في أصغر الأشياء، فكيف تقبل أكبرها؟

لا تقبل فيما بين المخلوقات... فكيف يقبل فيما بين الخالق وخلقه؟!.

وإذا كان لأي واحد من الإخوة القسيسين أو الأساتذة الحضور أي اعتراض فليتفضل، فإني على استعداد لحسن الاستماع والاقتناع لما يمكن أن يقنع.

**الأستاذ فيفا**: بل نحن على استعداد لحسن الانصراف، وحسن النوم، ولكن لا أحسب حديثك يا أبا حامد يجعلنا ننام الليلة كما كنا ننام كل ليلة!

ضحك الحضور وقاموا كأن لم يختلفوا في أخطر القضايا، وأكثرها حساسية بروح المتلهف لتصفية نقاط الخلاف الكبرى.

* * *

## خاتمة المجلس

ما إن يحرك المرءُ عقله أقل تحريكة متفكراً في عقيدة التثليث حتى يتهاوى بنيانها!

فأي قيمة لمبدءٍ يقول: إما أنا و إما العقل؟!

فيا ترى لم لا تحرِّك هذه الأمة النصرانية الكبيرة فكرها في جانب العلوم الدينية كما حركته في جانب العلوم الطبيعية؟

إن مبدأً يخاف المرء عليه من حركة عقله لا يصلح لحركة حياته ولا لحياة العقلاء المتحركة.

وإن مبدأً لا يصمد أمام أسئلة العقلاء ولا يجيب على اعتراضات الخصماء، ولا يشفي تساؤلات الأطفال، حريٌّ به أن يدفن بغير كفن لأنه بغير عقل..!

* * *

# المجلس السادس
# خاتم النبيين «محمد»
# - عليه الصلاة والسلام -

## بوابة المجلس السادس

الجو أكثر من رائع، درجة الحرارة في هذه اللحظة سبع عشرة درجة مئوية، والساعة تشير إلى الحادية عشرة صبيحة الإجازة الأسبوعية.... الشمس ساطعة.... قِطَعٌ من الغيوم البيضاء تزين لوحة السماء الزرقاء، بينما ستائر مجلسنا مفتحة على مزرعة الزهور الفواحة، وأجمل ما في الأجواء هو وجوه هذا المجلس المنعقد على التعارف والأنس، بين علماء أفذاذ في التاريخ، ودراسة اللاهوت في بلدة «مونبيليه» على البحر المتوسط، هنا في بيت الأستاذ «فيفا».

كان الحديث الذي فرض نفسه من غير إعداد هو حديث المسابقة التي وضعتها صحيفة

دانماركية لأسوأ صورة للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وتجاوبت معها صحيفة «ليبرسو» الفرنسية أولًا، ثم تتابعت بعض الصحف وراءها، حتى وصل الموضوع إلى البرلمان الفرنسي فناقش هذا الموضوع.

من كان مضطرباً؟!

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»**: من المعروف أن محمداً كان رجلًا مضطرباً.. كان رجلًا لا يستقر على رأي، ولا يؤخذ منه قرار، فربما قال شيئاً في الليل ونفاه في النهار..!

وهذا وحده كافٍ لنسف كل تعاليمه، وقد ذَكَر عنه هذه الصفة أكثر من واحد.

**أبو حامد**: أنا لا يهمني إن كنتَ مقتنعاً بما تقول أم لست بمقتنع، لكن بودي أن أسألك، هل قرأت بنفسك شيئاً عن حياة محمد - عليه الصلاة والسلام -؟ أم أن ما تقوله وتخاصم عليه ليس رأيك أنت، إنما رأي غيرك..؟!

هل قرأت عن طفولة محمد أو عن شبابه أو

عن كبره، أم قرأت عن أخلاقه مع أهله في بيته ومع صحبه ومع أعدائه..؟

فإذا لم تكن قرأت من قبل إطلاقاً، ألا يكون من حقّي أن أوقف النقاش حتى تقرأ بنفسك عن محمد - عليه الصلاة والسلام - أو تحضر أمامي من قرأ لأناقشه..؟!

أليس هذا هو حكم العقل الصحيح..؟!

أريد أن أترك حكم عقلي - أنا -، وأريدك أن تترك حكم عقلك أنت أو حكم عقل مَنْ قَلَّدْتَ، لنستمع لمن قال في محمد - عليه الصلاة والسلام - ما قال، وما اتُّهم يوماً من الأيام بأنه من أصحاب محمد بل ولا من المؤمنين به.

متأملين إن كان محمد مضطرباً أم ليس بمضطرب..!

سر روح العظمة

**يقول «ماسينيون» عن محمد - عليه الصلاة والسلام -**: «ويبقى الكثير من سر هذه الروح خافياً عنا.. لذا نأخذ بما كشفت ودلت عليه

حياته العامة من إرادة بينة قادرة على السيطرة على الذات، والاعتدال والرقة والحلم والصبر وبُعد النظر وكافة الصفات المطلوبة في القائد الحربي ورجل الدولة، تهذبها العقيدة والإيمان العميق»(١).

ويقول **«ولت ديونارت»**: «لمْ يتعاطَ الخمر التي حرمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء وبشوشاً في وجه الضعفاء، عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين... متسامحاً مع أعوانهم، يشترك في تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأُبَّهة السلطان، وكان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من

---

(١) ماسينيون، جان موريون ص٦٨ (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٤].

القيام به بنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال... وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر.. وكان محارباً صارماً لا يرحم عدواً، وقاضياً عادلًا في وسعه أن يقسو ويعذر، لكن أعماله الرحيمة أكثر من أن تعد»[١].

ويقول: «وعاش محمد في أيام عزه حياة بسيطة عادية لا تَكَلُّف فيها ولا تظاهر، وكان طوال حياته شديد الزهد في المادة، فيسكن بيتاً من الطوب، وكثيراً ما يشاهده الناس يرفو ثيابه البالية ويرقعها بنفسه، وكان يشاطر الناس حياتهم العامة، ولا يرد أحداً عن مجلسه صغيراً كان أم كبيراً»[٢].

---

(١) قصة الحضارة: ول ديورانت: (١١/٤٥) (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٥).

(٢) العرب (تاريخ موجز) ص٤٣-٤٤، وانظر LE / PROBLEME DE MAHOMET - BLACHERE - P 101 (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٥].

ويقول وات: «وكان يعرف كيف يقسم وقته بين مشاغله الكثيرة، وكان يظهر في علاقاته مع أقرانه كثيراً من اللباقة، وكان يستطيع أن يكون قاسياً في بعض الأحيان ولكنه كان على العموم لطيفاً، وكان ضحكه في معظم الأحيان ابتسامة، ونجد كثيراً من القصص التي تدل على دماثته وحساسيته، وحتى لو كان بعض هذه القصص غير صحيحة فإنها في مجموعها ترسم صورة صحيحة.. ويبدو أن محمداً كان يشعر بحنان خاص نحو الأطفال، وكانوا دائماً يحبونه، وربما كان ذلك تعبيراً عن أسف رجل مات كل أطفاله في سن مبكرة.. وكانت طيبته تشمل الحيوانات، وهذا شيء رائع في العصر الذي كان يعيش فيه في هذا الجزء من العالم»[١].

---

(١) محمد في المدينة ص٣٨٩- ٣٩٠- ٣٩٣ (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٦).

**ويقول «وات»**: (وكان محمد رجل دولة مملوءاً حكمة، فإن بِنْيَة المفاهيم التي نجدها في القرآن لم تكن إلا هيكلًا، وكان لزاماً على هذا الهيكل أن يحمل مؤسسات واقعية، وحكمته في هذه المسائل - يقصد السياسية والاجتماعية - تتأكد بالتوسع السريع الذي جعل من دولته الصغيرة إمبراطورية عالمية..)[1].

خرافات

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»**: أكبر رد عليك - يا أبا حامد - أن هؤلاء الذين ذكرتهم، رغم تزكيتك لهم إلا أن واحداً منهم لم يدخل في الإسلام ولم يتبع محمداً الذي امتدحته... ثم إنه كما امتدحه أحدهم في موضع فقد ذمَّه في مواضع أخرى.

**أبو حامد**: سأقول لك قولًا، وسأبرهن عليه

---

(١) Mahomet prophete et H. de Etat J p ٢٠٧ (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٧].

عقلًا لئلا تحسب أني متعصب تعصباً أعمى:

أولًا: إن من يشهد من هؤلاء لمحمد - عليه الصلاة والسلام - بأنه على حق فإنما يشهد لنفسه أنه وصل إلى الحقيقة، ومن عرف محمداً - عليه الصلاة والسلام - ولم يشهد له شهد على نفسه بالزُّور.

ذلك أنَّ هؤلاء المنصفين جاؤوا بعد عصور مظلمة من الظلم، والكذب، والتزوير على محمد - عليه الصلاة والسلام -، حيث وقع أسلافهم الأولون ضحية من وثقوا بهم من كُتَّابٍ ومُؤرِّخِينَ، ولم يراجعوا معلوماتهم التي قالوها عن محمد - عليه الصلاة والسلام -، ومن هؤلاء المؤرخ البندكتي الفرنسي «جيبار النوقي»: (١٠٥٣-١١٣٠) Guibert de Nogent الذي رغم اعترافه بنقص مصادره، وكونها جميعاً شفاهية ومسيحية، حيث إنه قال: إن الخنزير هو المسؤول عن نهاية محمد، حيث ادعى وقال: «والْتهمه قطيع من الخنازير في نوبة من نوبات صرعه»!

وقد استخدم «جيبار» هذه الخرافة في تفسير تحريم المسلمين للخنازير، وقد أضاف في موقع آخر من كتاباته أن سر تحريم الخمر عند المسلمين يرجع إلى أن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان في حالة سُكْرٍ عندما أكلته هذه الخنازير!

أما بالنسبة لأسقف (تور) هيدلبير - ت١١٣٣م - فإن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان - عنده - نبياً محتالاً استطاع خداع قومه بمعجزات أظهرها لهم، وتتمثل في ثور مخيف استطاع ترويضه على الركوع أمامه كلما أمره بذلك»[1]!

ويكرر إيلوج الكورديو ELoge de cordoue كذبه وافتراءه الذي اشتهر بكونه الأكثر علماً من بين قساوسة بلاده، والذي لم تخرج كتاباته عن

---

(١) Von Geunbaum p-Iislam MEDIEVAL ٥٨ نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب ص٥٠ .

إطار الكذب المحض على النبوة والسيرة والتشريع الإسلامي، فقد تنبأ محمد - عليه الصلاة والسلام - فيما يقول: «عندما أحس بقرب موته... بأن الملائكة سوف تأتي لتبعثه في اليوم الثالث بعد موته، وبعد نزول روحه إلى جهنم فإن أصحابه قد قاموا ليحرسوا جسده، ولما جاء اليوم الثالث ولم تأت الملائكة انصرفوا لاعتقادهم بأنها لن تقترب في حضورهم، وفوراً، وعوضاً عن الملائكة قَدِمت الكلاب لتنهش جسد النبي، وما بقي منه دفنه المسلمون، ولينتقموا من الكلاب فإنهم أمروا بأن يقتل عدد عظيم منها في كل سنة، فهذه هي معجزات نبي الإسلام»[1].!

هل يمكن أن تتصور - أيها الأستاذ - وأنت في موقعك هذا أن العقول - آنذاك - كانت تقبل هذا؟!

---

(١) Von Geunbaum p-Iislam MEDIEVAL ٥٧ نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب ص٤٤ .

نعم لقد قبلت عقول أسلافكم هذا البهتان، وحققت هذه الأكاذيب آنذاك ثمرتها المرجوة وهي تشويه صورة الإسلام والمسلمين ونبي الإسلام، و إثراء الأحقاد بينهم وبين المسلمين، واستثمار تلك الأحقاد وتجييش الجيوش لحرب بلاد المسلمين!

ولذلك فإن الشهادات الصادقة - التي ذكرناها لأولئك العلماء آنفاً عن محمد - عليه الصلاة والسلام - وإن لم تكن كاملة، وإن جاءت وكأنها شهادة على استحياء لمن أدرك أضعافها. . . إلا أنها بالنسبة لما قبلها تعتبر نوراً وإن كان صغيراً وسط ظلمة عظيمة. . . فكل شهادة منها هي شعلة نور وسط ظلمة سحيقة.

ثانياً: إذا تأملت يا صديقي ذم هؤلاء المذكورين لدين الإسلام أو لنبيه فإنك لا تجد ذلك مروياً بطريقة صريحة قطعاً، إنما هو تفسير خاطئ أو ربط خاطئ، أو نقل ناقص، أو لا أصل

له ولا أساس إطلاقاً.

**ثالثاً**: إن عدم إسلام من لم يسلم من هؤلاء الذين شهدوا بالحقيقة لا ينبغي أن يحسب لهم بل هو أعظم حجة عليهم! وهو ما ذمه النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فقال: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**»[1].

لكن هذا النور الصغير الذي ذكره هؤلاء كافٍ وكفيل بأن يقود كل قارئ منصف ليوصله وسط هذه الظلمات إلى الإسلام.

تأثير التعصب الأعمى في رواية التاريخ

**رابعاً**: ليست الحجة أن تقول إن عدم إسلام هؤلاء حجة على أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - لم يكن على حق... فإن الإجابة على هذا هو أن إسلام من أسلم من المستشرقين الآخرين أكبر حجة على هؤلاء، وكثير من هؤلاء

---

(١) رواه الطبراني (١٦٨١)، وحسنه الألباني.

أناس مفكرون لهم باع طويل في العلم قبل أن يصبحوا مسلمين، ولم يسلم الكثير منهم إلا بعد بحث طويل وتنقل بين الأديان والمعتقدات ومن هؤلاء «نصر الدين دينيه» ولد الرسام العالمي ألفونس إيتيان دينيه في باريس عام ١٨٦١ م وقد ولد هذا المستشرق لأبوين كاثوليكيين تلقى عنهما عقيدة الصلب والفداء والتثليث، وبمرور الأيام أخذ يظهر عليه شعور عدم الاطمئنان والحيرة الدينية، وبعد بحث عميق في أصول وفروع اعتقاده اقتنع بالإسلام، فأعلن رسمياً إسلامه سنة ١٩٢٧م بالجامع الجديد في مدينة الجزائر، وتَسمى بنصر الدين، وأوصى أن يدفن بمدينة (بوسعادة) بالجزائر، وقد نقل جثمانه من باريس، حيث توفي في ديسمبر ١٩٢٩م[1].

---

(١) من كتاب «نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر . . . للدكتور لخضر شايب» وانظر ترجمته في «الاستشراق والمستشرقون، نجيب العقيقي: ١/٢٢٨.

وأما «محمد أسد» فإنه «**ليبولدفايس**» وتعتبر قصته أنموذجاً فريداً لتغلغل العقيدة الإسلامية في قلوب بعض الغربيين بشكل غير مقصود بمجرد معايشتهم للمسلمين، يقول محمد أسد في كتابه «الطريق إلى مكة»: إن القصة التي أرويها في هذا الكتاب ليست سيرة رجل متميز بالدور الذي قام به في المجالات السياسية، وهو ليس قصصاً لمغامرات... وليس هذا الكتاب أيضاً قصة بحث مقصود عن العقيدة، لأن هذا الإيمان أتى عبر السنوات بدون بذل أي مجهود[١].

«وعبد الواحد يحيى غينون»: ولد الفيلسوف الروحاني رينيه **غينون** في فرنسا، وهناك نشأ على الكاثوليكية، وظل يدين بها حتى انتقل إلى القاهرة سنة ١٩٣٠ م حيث أعلن إسلامه، وتزوج فيها، وأنجب أبناءه الثلاثة، أحمد وعبد الواحد وخديجة، ولم يغادرها إلى أن وافته

(١) نفس المصدر السابق ص١٦٦ .

المنية ١٩٥١م[1].

ومنهم «رجاء غارودي»... ومنهم «مراد هوفمان» المستشرق الألماني المسلم، الذي ولد في عام ١٩٣١م لأسرة كاثولوكية، وبدأ دراسته الجامعية بنيويورك في عام ١٩٥٠م، وحصل على الماجستير في القانون الأمريكي من هارفارد عام ١٩٦٠م، وقد عمل في الإدارة الخارجية الألمانية من عام ١٩٦١م إلى ١٩٩٤م، تولى خلالها إدارة استعلامات حلف الناتو، وعين بعدها سفيراً في الجزائر سنة ١٩٨٧م، وانتقل منها إلى المغرب سنة ١٩٩٠م حيث تولى المنصب نفسه إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٩٤م، وهو الآن يعيش في تركيا، وقد أخرج منذ إعلان إسلامه سنة ١٩٨٥م - مجموعة من الكتب، بدأها بـ(يوميات

(١) نفس المصدر السابق ص١٧٠، انظر الملحق الخاص بحياة يحيى في الملف الذي أعده حول فكرة مجموعة من الباحثين الأوروبيين، I rs dossiers H .

ألماني مسلم) الصادر سنة ١٩٨٥م، و (الإسلام كبديل) الذي نشر في ألمانيا سنة ١٩٨٢ م، و(الإسلام عام ٢٠٠٠)[1].

**خامساً**: وإن كنت لا أعذر أحداً بترك الدخول في الإسلام فإن لكل واحد ظروفه في عدم دخوله في الإسلام، فمنهم من خاف فراق أسرته، ومنهم من خاف خسارة بعض أمواله، ومنهم من خاف قطيعة من مجتمعه، ومنهم من رأى الاقتناع العقلي كافياً ومنهم، ومنهم... ومع هذا أؤكد بأنه لا عذر لأحدٍ من هؤلاء.. فأي عذر يُقبل بعدم اتباع الحق بعد العلم به..؟!

استثمار الأكاذيب القصصية

**سادساً**: لو جمعتم المواضع المتفرقة التي امتدح بها المستشرقون محمداً - عليه الصلاة والسلام -، والمواضع التي دافعوا فيها عنه،

---

(١) نفس المصدر السابق انظر / تعريف دار الشروق بمراد هوفمان في صفحة الغلاف لطبعتها لكتاب (الإسلام كبديل).

فسوف تأتلف عندكم شهادة كاملة لمجموعة متكاملة، لجميع المواضيع . . . تُظهر شخصية محمد - عليه الصلاة والسلام - المتكاملة. . . وترد على كل من ينتقص محمداً - عليه الصلاة والسلام - في أي جانب من الجوانب، أليس هذا حكماً عقليّاً كافياً أن محمداً على الحق؟!

**سابعاً**: ثم إن المستشرقين أنفسهم يعرفون جيداً أن أبا طالب عم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - دافع عن محمد - عليه الصلاة والسلام - أعظم الدفاع وحماه بكل وسيلة من قومه، ومع هذا لم يسلم! فهل كان أبو طالب حجة على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، أم كان محمد - عليه الصلاة والسلام - حجة على أبي طالب نفسه؟ وَلَقد كان عدم إسلامه موضع استغراب الناس، بحيث أصبح كل واحد يقول: كيف حُرم أبو طالب من الهداية وهو أعرف الناس بمحمد - عليه الصلاة والسلام -؟! كيف انتفع البعداء بينما أقرب الأقرباء لا ينتفع؟!

وهكذا نقول هنا: كيف ينتفع العامة، ولا ينتفع العلماء أمثال هؤلاء المستشرقين المنصفين؟

قصة النجاشي

كما أن دخول ملك نصراني مثل «النجاشي» دين محمد - عليه الصلاة والسلام - فيه حجة بالغة على أبي طالب وعلى هؤلاء المستشرقين وعلى كل كبير من كبراء الدنيا يمنعه منصبه عن اتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - فما الذي يُلزمه دخول الإسلام وهو ملك الحبشة البلد الأقوى من بلد محمد - عليه الصلاة والسلام -، وهؤلاء المهاجرون طالبون للأمان في أرضه ليس إلا؟

إن دخوله في الإسلام أبعد ما يكون عن طلب المصلحة، فكم في قصة إسلامه من عبرة..!

**بروفيسور فيفا**: من باب حب الاستطلاع فقط، بودي لو حكيت لنا - كما تقول - قصة إسلام النجاشي. فإني ما سمعت بها قبل اليوم، وأحسب أن الكثير من الإخوة الأكارم لم يسمعوا بها.

**أبو حامد**: سوف أقرأها لكم من الكمبيوتر من كتاب يُعدّ من أكبر المراجع التاريخية عندنا كمسلمين، كتاب اسمه «البداية والنهاية» وهذه القصة ثابتة صحيحة الإسناد كما ذكرت لكم، وأن مَنْ يرويها هو مَنْ عاشها، وَمَنْ عاشها هنا هي إحدى المهاجرات إلى الحبشة اسمها «أم سلمة» لتعلموا قيمة المرأة في أول الإسلام، ولتعلموا أن المسلمين يأخذون العلم عن المرأة كما يأخذونه عن الرجل منذ فجر الإسلام، ولتعلموا أسباب تزوج النبي - عليه الصلاة والسلام - بها وبغيرها من النساء. . . . . وأنه تزوجها بعد وفاة زوجها في معركة أحد. . . ! هاكم هذه القصة مفصلة كما رويت عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) أَمِنا على ديننا، وعبدنا اللَّه، لا نُؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين، وأن يُهدُوا للنجاشي هدايا

مما يُستطرَف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بَطْرِيْقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد اللَّه بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بَطْرِيْقٍ هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدِّموا إلى النجاشي هداياه، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بَطْرِيْقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بَطْرِيقٍ منهم: إنه قد صبأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا

يكلمهم، فإن قومهم أعلا بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قرّبا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: (أيها الملك، إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنت، وقد بَعَثَنَا فيهم أشرافُ قومِهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلا بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد اللّه ابن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشيُّ كلاَمَنَا.

فقالت البطارقة حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا واللّه ايم اللّه إذن لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوماً جاوروني

ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول واللَّه - ما علمنا وما أمرنا به نبينا - عليه الصلاة والسلام - كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته ومعهم مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟!

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد

الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث اللّٰه إلينا رسولًا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى اللّٰه لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد اللّٰه لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة، والصيام، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا اللّٰه وحده، فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة اللّٰه، وأن نستحل ما

كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له (أي لجعفر) النجاشي: هل معك مما جاء به عن اللّه من شيء؟

قالت: فقال له: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ

مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا

﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ

مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ١ - ٣٩].

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فبكى - والله - النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تَلى عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى - عليه الصلاة والسلام - لَيخرج من مشكاة واحدة، ثم قال لعبد اللّه بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص: انطلقا، فواللّه لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: واللّه لآتينه غداً أعيبهم عنده، ثم أستأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد اللّه بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا -: لا تفعل فإن لهم أرحاماً

وإن كانوا قد خالفونا، قال: واللّه، لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيماً، فأرسلْ إليهم فاسألْهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسأل عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول - واللّه - فيه ما قاله اللّه وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما

قال، فقال: وإن نخرتم واللَّه، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، والسيوم: الآمنون. مَنْ سبَّكمْ غَرِمَ. ثم مَنْ سبَّكمْ غَرِمَ. ثم مَنْ سبَّكم غَرِمَ، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وأني آذيت رجلًا منكم - والدبر بلسان الحبشة: الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فواللَّه ما أخذ اللَّه مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

هل الوحي خرافة؟!

دكتور «بريغل»: إن الحديث عن الوحي كالحديث عن كائنات غريبة تسكن الكواكب الأخرى، أو هو كأفلام الخيال العلمي..!

فهل يليق بنا ونحن في هذا العصر المتحضر أن نتحدث عن الوحي، وكأن الوحي مُسلّم من المسلمات العقلية؟ أو كأن العقل يؤيد وجود

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٧٢).

شيء اسمه «**الوحي**»؟ نريد أن نتوقف قليلًا لنعيد النظر مرة ومرة.. ! لأن جُلَّ ما ذكرته كان مبنياً على أمرٍ مختلف فيه **عقلًا**.. فإذا لم نؤيد الوحي أساساً، فكيف يمكن أن نؤيد الوحي إلى محمد..؟ إنه أمر يحتاج إلى جهد **عقلي** مضاعف.. !

هل نوحي لمحمد عليه الصلاة والسلام؟

**أبو حامد**: لا أحسب أن أحداً من الأخوة الكرام سوف يضطرنا إلى ذكر الأدلة على وجود اللَّه، ذلك أنها مسألة قد فرغ منها عند جميع البشر ومختلف الطوائف والعقول، والأدلة على وجود اللَّه هي الأدلة على الوحي، وهي الأدلة على أن اللَّه أرسل الوحي لأناس اصطفاهم، وهي الأدلة على إرسال اللَّه الوحي لإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام -، فما الذي أجاز عقلًا أن يرسل اللَّه لهم ويمنع أن يرسل اللَّه لغيرهم مثل محمد - عليه الصلاة والسلام -..؟

أما كون الوحي ممكناً **عقلًا** فإن: «من

الموجودات التي لا تراها الأبصار تلك الأنواع الكبيرة من الأشعة غير المرئية، كأشعة (إكس) التي تخترق الجسد الآدمي أثناء تصويره، لتساعد الطبيب على تشخيص مرضه، وتستعمل في علاج حالات مرضية أيضاً، والإنسان يولدها على الرغم من عدم رؤيتها بالعين، ثم الأشعّة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء، كما أن التيار الكهربائي نفسه لا يُرى في السلك الناقل، إنما تُرى آثاره من برودة في الثلاجة وحرارة في المكواة ونور في المصباح. . .» إلخ.

ثم إن الأمواج «الكهرومغناطيسية» الموجودة في الفضاء، تحمل الأصوات من بلد لآخر فتلتقطها أجهزة المذياع (الراديو) وأجهزة اللاسلكي، كما تحمل الأصوات والصور فتلتقطها أجهزة الرائي (التلفزيون)، إن هذه الموجودات (الأشعة غير المرئية بأنواعها والأمواج الكهرومغناطيسية) قد تعرَّف عليها الإنسان في

العصر الحديث من آثارها، فهل كانت معدومة قبل أن يعرفها الإنسان؟ وهل يكون الإنسان القديم مصيباً لو أنكر وجودها لأنه لم يبصرها بأم عينه، على الرغم من توفرها في أرجاء الكون من غابر الأزمان؟

وهل يسوغ للإنسان المعاصر أن يجحد وجود كل ما لم ير؟ أو أن يجحد كل ما لم يتعرف عليه بآثاره..؟ وهل وصل العلم ذروته وأحاط أَهْلوه بكل موجود علماً؟ ألم يبلغك أن العلم توصل إلى معرفة اليسير من شؤون الكون وعجز عن إدراك الكثير.. هذا ما قرره رجاله المختصون..»[1].

فإذا تقرر هذا وأردنا أن نثبت إنْ كان محمد - عليه الصلاة والسلام - أوحي إليه أم لم يوح إليه، فإن أول خطوة أن نثبت إن كان محمدٌ -

---

(١) نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في القرآن ص ١٦٦- ١٦٧ تأليف الدكتور حسن ضياء الدين عتر.

عليه الصلاة والسلام - صادقاً في نفسه أو غير صادق، وليس ثمة شهادة أبلغ من شهادة أعدائه في عهده، وشهادة من درس حياته ليتصيد عليه من بعده... أليس كذلك..؟!

يقول المستشرق الكبير «مونتغري وات» رغم تحامله وسوء تفسيره: «وبالنسبة للمسلمين فإن القرآن هو كلام اللَّه، ومحمد نفسه قد فهمه على هذا الاعتبار، ومن المؤكد أنه كان صادقاً تماماً في اعتقاده، وكان متأكداً أنه يستطيع التمييز بين أفكاره الخاصة وبين ما يأتيه من خارج نفسه، وإن مواصلة عمله في ظروف الاضطهاد والعداء التي عاشها كان سيصبح مستحيلًا لو لم يكن مقتنعاً تماماً بأن اللَّه قد أرسله... ولو كان قد أحس بأن هذا الوحي كان من بنات أفكاره لكانت حركته الدينية معدومة الأساس»[١]. ولكنه رجع إلى رأي جمهور المستشرقين، فنفى النبوة

---

(١) Mahomet prophete et H. de Etat J p16.

الحقيقية عن النبي بوساطة التفسير النفسي لظاهرة الوحي النبوي، قال: «إن القول بأن محمداً كان صادقاً لا يعني بأن اعتقاداته كانت صحيحة، فإن الرجل قد يكون صادقاً ولكنه مخطئ، وليس من الصعب الإبانة لرجل غربي معاصر كيف أخطأ محمد، ذلك أن ما يبدو بالنسبة للإنسان آتياً من الخارج قد يكون نتيجة للاشعور»[١].

وقال: «وأقصى ما يصل إليه هذا الرأي القول بأن محمداً لم يكن يؤمن بما يوحى إليه، وأنه لم يتلق الوحي من مصدر خارجي عنه، بل إنه ألف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس، ومثل هذه النظرة للأمور غير معقولة، وذلك لأنها لا تفسر لنا بصورة مرضية لماذا كان محمد في الفترة المكية مستعداً لتحمل جميع صنوف الحرمان، ولماذا فاز باحترام رجال شديدي الذكاء وذوي أخلاق مستقيمة، كما أن ذلك لا يجعلنا نفهم

(١) المرجع السابق ص١٧ .

كيف نجح محمد في تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالًا قداستهم واضحة للعيان»[١].

ونحن هنا نسأل «مونتغري وات» وَمَنِ اقتنع برأيه: ها أنت تقر باستحالة كذب محمد - عليه الصلاة والسلام - وتقطع بصدقه في نفسه، فلِم تتوقف عند هذه النقطة!

لم لا تقر بصدقه في إخباره بالنبوة..؟!

وهل عندك من دليل على عدم صدقه في إخباره بالنبوة..؟!

وهل يجوز أن تنسف النبوة بمجرد أوهام ليس لها أي رصيد من الأدلة..؟!

هل بلغكم يوماً من الأيام أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - كذب مرة واحدة في أمر صغير على طفل صغير يوم أن كان صغيراً؟!

---

(١) محمد في المدينة ص٤٩٥ (من كتاب نُبوَّةِ محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب ص ٤٦٤).

فكيف لا يكذب على الطفل يوم كان طفلًا ويكذب على ربه، وعلى الأمم كلها..؟!

كيف لا يكذب وهو طفل صغير ويكذب وهو رجل كبير..؟!

لماذا لا تؤدي جميع المقدمات - التي تقولون - إلى النتيجة الطبيعية في صدق نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام -، بينما تؤدي عند غيره إلى تلك النتيجة..؟!

إذ يمكن أن يقال نفس القول في حق عيسى وموسى وإبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - بناءً على نفس الاحتمالات، وحاشا المسلمين أن يقولوا ذلك..!

هل كان يصرع؟!

يا دكتور بريغل: هل بلغكم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - جاء مرة واحدة بشيء قال إنه «وحي» وكان العقل الإنساني يزدري ما جاء به كما يزدري كلام المجانين وغيرهم..؟!

لقد تخبط كثير ممن كتب عن حياة النبي

محمد - عليه الصلاة والسلام - من الغربيين وهذا دليل الحيرة مع الجهل عند بعضهم، والتعصب مع التحامل عند آخرين... وهذه تُنْبئ عن عظمة الشخصية الثابتة التي تضطرب حولها كثير من الظنون وهي ثابتة راسخة شامخة.

ليس الأمر بجديد، وليس اتهامات هؤلاء بجديدة فقد اتهمه المشركون باتهامات متناقضة مضطربة لكن كما ذهب أولئك المشركون العرب المتهمون الأولون فقد لحق بهم هؤلاء الأوربيون المتهمون، وبقي محمد ﷺ يدافع عنه الفكر الصحيح والحق الواضح حتى وإن ضعفتْ أمَّتُه عن الدفاع عنه، وقد تحدى القرآن مَنْ يتهمه بالزمن، أي أن الزمن كفيل بالرد عليهم فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟

صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٠ - ٣٤].

نعم، لقد حاول بعضهم وصف الوحي الذي ينزل عليه والحالة التي كانت تظهر عليه بأنها صرع... ومع هذا فإن أحد المستشرقين المتحاملين عليه يشهد بأن هذا ليس بصرع فيقول «ديورانت»: «وكثيراً ما كان يحدث أثناء هذه الرؤى أن يسقط على الأرض ويرتجف أو يغشى عليه، ويتصبب العرق من جبينه... وقد يكون ارتجافه ناتجاً عن نوبات صرع... ولكننا لا نسمع بأنه عض في خلالها لسانه، أو حدث ارتخاء في عضلاته كما يحدث عادة في نوبات الصرع، وليس في تاريخ محمد ما يدل على انحطاط قوة **العقل** التي يؤدي إليها الصرع عادة، بل نراه على العكس يزداد ذهنه صفاء، ويزداد قدرة على التفكير، وثقة بالنفس وقوة في الجسم والروح والزعامة كلما تقدمت به السن، وقصارى القول أنا لا نجد دليلًا قاطعاً على أن ما كان

يحدث للنبي كان من قبيل الصرع»[١].

ويقول «مونتغري وات»: «إن محمداً قد مَيَّز ما بين ما يوحى إليه وبين أفكاره الخاصة، ولقد أكد أعداء الإسلام غالباً أن محمداً كان مصاباً بالصرع، وأن تجاربه الدينية لهذا لا قيمة لها، ولكن الأعراض الموصوفة لا تشبه أعراض الصرع، لأن هذا النقص يؤدي إلى تخاذل جسدي وعقلي بينما ظل محمد إلى آخر حياته مالكاً لقواه العقلية، وحتى لو أمكن ادِّعاء ذلك فإن الحجة تظل مناقضة لكل رأي سليم، إذ لم تقم إلا على الجهل والوهم، لأن المظاهر الجسدية الملازمة لا تثبت ولا تنفي قط بنفسها التجربةَ الدينيةَ»[٢].

فإذا كنتم لا تصدقون بالوحي الأول في الغار

---

(١) قصة الحضارة: (١١/٢٥، ٢٦) (من كتاب نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر).

(٢) محمد في مكة ص ١٠١ - (من كتاب نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في الفكر الإسلامي المعاصر للدكتور لخضر شايب).

فماذا تقولون في الوحي الذي يأتيه دائماً في بيته، وبين جماعات من أصحابه وعلى مرأى منهم..؟!

كتب سنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام

**أستاذ فيفا**: أنا نظرت في قسم كتب السنة والسيرة في مكتبتكم المنزلية وقد رأيت قسم الكتب التي تروي كل ما جاء عن نبيكم محمد من أقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، ويقظته، ومنامه، وسكوته، وصفاته الخِلْقية والخُلُقية وحياته الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية... إنها لتصف كل شيء حتى لحظة موته!

فتساءلت وقتها في نفسي متعجباً بل مستغرباً:

هل من المعقول أن يُحْفظ كل هذا الكم الكبير من المجلدات عن رجل واحد؟

وهل من المعقول أن يكون كل هذا الكم الهائل صحيحاً لم يدخله التشويه؟

أبو حامد: أنا لا أستغرب هذا التساؤل منك بحكم أنك طبيب لست متفرغاً لدراسة كتب

الأديان فضلًا عن الكتب الإسلامية.... لكن المرء يستغرب أشد الاستغراب من باحثين متخصصين يعرفون الحقيقة ثم لا ينقلونها كما هي في كتبهم! والمشكلة الكبرى أن كتبهم أصبحت هي المراجع التي ينقل منها الكُتَّابُ ويقرؤها العامة مستسلمين لما فيها!

ومن أمثال هؤلاء المستشرق اليهودي الكبير «إينياس جولد زيهر» الذي اتهم السُنَّة بأن الأهواء والعوامل السياسية وما إلى ذلك تدخل في رواياتها.

ولو أنه أراد الحقيقة **وصَدق** قومه في نقل الحقيقة، وتفسيرها لقال: إن المنهجية العلمية في التدقيق التي يتعرض لها كل حديث مروي عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لم يتعرض لها أي مكتوب في التاريخ على الإطلاق إلا القرآن... وإن الكتب السماوية السابقة لو عرضناها لهذا المنهج النقدي لما بقي منها شيء!

أرجو من كل واحد من الحاضرين أن يتجاوز حاجز الأسماء الكبيرة أو الصغيرة مهما كان الناقل لك أو المحلل أو المفكر كبيراً، **فإياك أن تكون الضحية لأحد... فالضحية ضحية، سواء كان جزّارُها كبيراً أم صغيراً... فإن من أسلم عقله كان أشد ممن أسلم عنقه!**

فالدابة إذا ذُبحت للأكل فهذا قَدَرها ولهذا خلقت، أما **العاقل** فما لهذا خُلِقَ، ولذا فهو يأنف أشد الأنفة أن يُسْلم عقله لعقل غيره، وخصوصاً في قضية كبيرة قد ذهبتْ ضحيةَ التزويرِ فيها **العقولُ**.

إن علم المرويات عن محمد - عليه الصلاة والسلام - من أعظم الأدلة على رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام -، وعلى أنها الرسالة الخاتمة التي حفظ اللّه لأجلها هدي محمد - عليه الصلاة والسلام - إلى الأبد.

ماذا عن علم الجرح والتعديل؟

**وقد سبق لنا في جلستين** أن أشرنا إلى شيء من أصول هذا العلم، وبما أن المقام مناسب

لتفصيل فيه أكثر، بحكم وجود وجوه جديدة، وبحكم تعلق الموضوع بهذا، فلا بأس من التوسع بذكر أصوله وأسسه كي تتضح الصورة، وينكشف شيء من الزيف الخطير الذي لفَّ مرويات السُّنَّة، إن اسم العلم الذي تمر عن طريقه مرويات السنة للتحقيق والتدقيق هو علم **(الجرح والتعديل)، فهو العلم الذي يتلقى أساساً كل ما رُوي عن النبي - عليه الصلاة والسلام - لا لتثبيته وإنما لرده، فالأصل** في كل مروي أن يعرض للنقد والرد. **وللعلم فإن الناقدين لكل حديث من الأحاديث ليسوا من قومية واحدة، أو بلد واحد**، فمنهم الفارسي، ومنهم العراقي، ومنهم المدني، ومنهم الخراساني، ومنهم ومنهم.

**ثم إن هؤلاء الناقدين ليسوا في عصر واحد ولذلك فإنك تجد الجرح والتعديل لكل من روى حديثاً مستمراً إلى هذا اليوم**... بمعنى أن كل

حديث مروي منذ ذلك اليوم حتى هذا اليوم وهو لا يزال يدخل في عمليات النقد، والنخل، والتصفية... ولو عرفت تشدُّد العلماء عند رواية أي راوٍ للحديث لازداد توثقك واحترامك لهؤلاء العلماء، حتى لو لم تؤمن بما رَوَوا... فلا بد للحديث أن يرويه - غالباً - أكثر من واحد عن أكثر من واحد، وهكذا حتى يصلنا إلى وقتنا أو إلى وقت العالم الذي يقيده في كتابه، فإذا ما مرّ الحديث في بعض مراحله ورواه واحد فقط سماه العلماء حديثاً «غريباً»، واشتد استيثاقهم من روايته أكثر.

ثم إن العلماء قد وضعوا قواعد واضحة ومنضبطة يمكن تطبيقها للوصول إلى الحكم بسهولة، ولذا فإن من النادر أن تجد حديثاً واحداً قد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً على رده أو قبوله، بل قد اتفقت هذه الجموع من المختصين على مختلف بلادهم ولغاتهم، وعلى مختلف

أزمانهم على صحة الصحيح، وألَّفوا في ذلك مؤلفات، كما ألفوا مؤلفات متخصصة في غير الصحيح، ثم إن علماء الحديث لم يتلفوا الأحاديث التي حكموا عليها بأنها غير صحيحة كما فعل النصارى في الأناجيل التي لا توافق آراءهم وآراء قسطنطين، فأتلفوا بناءً على ذلك أناجيل كثيرة جداً لأنها تخالف آراءهم، بل أبقى علماء الحديث تلك الأحاديث الضعيفة تاركين للناس الحكم على الأحاديث مرة بعد مرة وعصراً بعد عصر، لئلا يفرضوا على عقول الناس حكم عقولهم هم، ومن ثم تركوا الأحاديث الضعيفة في كتب موجودة بجوار الكتب الصحيحة سواء بسواء، وذكروا أسباب ضعف هذه الأحاديث كما ذكروا أسباب صحة تلك الأحاديث... وتركوا الأمر مفتوحاً لكل الناس ولكل المحققين... لكن من أراد أن يقول قولًا في هذه الأحاديث أو تلك فليكن قوله مبنياً على الدليل، وإلا فقيمة قوله مهدورة.

فهل بعد هذا من إنصاف. . . هل بعد هذا من حرية في النقد. . . هل بعد هذا من انفتاح؟

**شارل:** نحن نعرف أن من أصعب الاكتشافات اكتشاف محاولة تزوير تقع في أوراق أو شهادات وأحياناً في عملات تجارية. فهل يعقل من خلال كتب وضعت قبل قرون يمكننا اكتشاف التزوير الذي يمكن أن يدخل على أقوال أو قصص تاريخية مهما كانت تلك الكتب دقيقة؟

**أبو حامد:** أنت تعرف أن تدوين هذهِ الكتب التي سمَّت الرجال الذين رووا الأحاديث كان بعدما وضعَ أهلُ العلمِ بالأحاديثِ كُتُبَ الحديثِ، إذن فكتب تدوين الحديث قد وضعت وانتُهى منها تماماً منذ زمن طويل فلا يمكن أن يأتي أحد اليوم ويقول: أنا اكتشفت حديثاً عن محمد - عليه الصلاة والسلام - لم يكشفه أحدٌ قبلي.

إذ يقال له مباشرة: من أين أتيت به؟ من رواه لك عن محمد - عليه الصلاة والسلام-؟ فإذا

ذكر مصدر حديثه رجعنا للمصدر القديم وتحققنا من كل راوٍ من رواة ذلك المصدر القديم، راوٍ راوٍ، لكل حديث من الأحاديث في تلك الكتب المتخصصة فسوف نجد فيها القول الفصل في كل الرواة الذين رووا كل حديث من تلك الأحاديث في ذلك المصدر.

ولو قال رجل: أنا اكتشفت مخطوطة قديمة في الأحاديث، سنقول له هذا جيد لأنه تراث ودين، فننظر في صحة المخطوطة تلك، وصحة نسبتها إلى مؤلفها، ثم صحة نسبة كل حديث من أحاديثها إلى محمد - عليه الصلاة والسلام -، وبالتالي نرجع لنفس المنهجية الأولى وهي لابد أن نرجع لتلك المصادر التي ذكرت، ولكل راوٍ من رواتها من نفس المصادر الأُولى التي تحمل السيرة الذاتية لكل الرواة، وبهذا نعلم أن الكتب مهما تعددت والمخطوطات مهما تجددت فإن رجال الحديث محصورون ومحددون ولكل واحد

تقييمه الدقيق وبهذا فالتزوير مستحيل، فإن وقع فاكتشافه محقق بمجرد عرضه على قواعد علم الجرح والتعديل.

اكتشاف محاولة التزوير

وسوف أذكر لك هذه القصة على اكتشاف محاولة التزوير والكذب على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فلقد سعى سكان منطقة خيبر حديثاً أحسنوا صياغته وروايته، وإسناده، لكن علماء الحديث حين طبقوا عليه القواعد الحديثية ظهر زيفه من كل وجه، ذلك أنه: كان قد فرض النبي - عليه الصلاة والسلام - على اليهود الجزية في مقابل أن يستصلحوا أراضي خيبر ويقيموا فيها آمنين مطمئنين في حماية الدولة، لكن اليهود وضعوا حديثاً على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أنه قد رفع عنهم هذه الجزية، بكتاب وشهود، فقد كان في الكتاب الآتي: «إن رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام - أسقط عن يهود خيبر الكلف والسخر والجزية، بشهادة سعد بن معاذ،

ومعاوية ابن أبي سفيان»[1] وقد بيّن العلماء كذب الكتاب المزعوم من عشرة أوجه، منها: أن أحداً من علماء النقل والسير والمغازي لم يذكر أن ذلك وقع البتة مع عنايتهم بضبط ما هو دون ذلك بكثير بمعنى أن هذا الحديث ليس له مصدر.

الثاني: أن الجزية إنما نزلت بعد فتح خيبر، فحين صالح أهل خيبر لم تكن الجزية معروفة ولا مشروعة حتى يضعها عنهم.

الثالث: أن معاوية بن أبي سفيان لم يكن أسلم بعد، فإنما أسلم عام الفتح بعد خيبر.

الرابع: أن سعد بن معاذ توفي عام الخندق قبل الفتح، وخيبر كانت قبل الفتح.

الخامس: أنه لم يكن في زمن رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام - على أهل خيبر كُلف ولا

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٢٨٠) وطبقات الحفاظ للسيوطي (١/٨٨) وطبقات الشافعية للسبكي (٤/٣٥) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٢٢٤).

سخر حتى توضع عنهم.

السادس: أنه لم يكن لأهل خيبر من الحرمة ورعاية حقوق المسلمين ما يقتضي وضع الجزية عنهم، وقد كانوا من أشد الناس عداوة لرسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه، فأي خير حصل منهم للمسلمين حتى توضع عنهم الجزية دون غيرهم؟!

السابع: أن الكتاب الذي أظهروه ادعوا أنه بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا كذب قطعاً، وعداوة علي بن أبي طالب لليهود معروفة، وهو الذي قتل «مرحباً» اليهودي، وقد كان الفتح على يديه.

الثامن: أن هذا لا يعرف إلا من رواية اليهود، وهم القوم البُهت، أكذبُ الخلقِ على اللَّه وأنبيائه ورسله، فكيف يصدقون على رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فيما يخالف كتاب اللَّه تعالى..؟!

**التاسع**: أن هذا الكتاب لو كان صحيحاً لأظهروه في أيام الخلفاء الراشدين وفي أيام عمر ابن عبدالعزيز، وفي أيام المنصور والرشيد، وكان أئمة الإسلام يستثنونهم مع مَنْ تُوضَع عنهم الجزية، أو لَذَكر ذلك فقيه واحد من فقهاء المسلمين، ولا يجوز على الأمة أن تُجْمِعَ على مخالفة سنة نبيها، وكيف يكون بأيدي علماء أعداء اللَّه كتاب من رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - ولا يحتجون به كل وقت على من يأخذ الجزية منهم، ولا يذكره عالم واحد من علماء السلف..؟!

**العاشر**: أن أئمة الحديث والنقل يشهدون ببطلان هذا الكتاب، وأنه زور مفتعل، وكذب مختلق، ولما أظهره اليهود بعد الأربع مائة على عهد الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي، أرسل إليه الوزير ابن المسلمة فأوقفه عليه، قال الحافظ: هذا الكتاب زور، فقال له الوزير: من أين هذا؟ فقال: فيه شهادة سعد بن معاذ،

ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد مات يوم الخندق قبل خيبر، ومعاوية أسلم يوم الفتح سنة ٨، وخيبر كانت سنة سبع، فأعجب ذلك الوزير»[١].

وإذا أردتُ أن أقرب لك المسألة أكثر فإني أقول لك: إن لكل رجل روى عن النبي - عليه الصلاة والسلام - حديثاً واحداً ملف سيرة ذاتية مفصلًا تفصيلًا أكثر من الملف الذي يقدمه الراغب في العمل لأي مؤسسة أو شركة يريد العمل فيها، بل ربما يكون أكبر من ملف المطلوب أمنياً..!

إن كتب «**علم الجرح والتعديل**» تضع كل واحد من هؤلاء الرواة على مشرحة المصداقية، تضع حياته كلها، بحيث لو رُوِيَ عنه مرة ما يخل بمصداقيته كأن يكذب مرة في عمره، أو على طفل أو في مزاح... فإن حديثه لا يُقْبل بعد

---

(١) أحكام أهل الذمة تأليف العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية (١/ ٩١).

ذلك أبداً حتى لو كان أكثر الناس عبادة، فإن عبادته له، أما روايته فهي للناس جميعاً.

البخاري

ومن أشهر وأقوى رواة الحديث رجل اسمه «**محمد بن إسماعيل البخاري**».

**شارل**: نعم، سمعت به، إنه «البخاري»! ولكن رغم شهرة هذا العَلَم الكبير فإني أعود لاسأل: كيف نعرف أن هذا الحديث قاله النبي محمد، وهذا الحديث لم يقله وبينه وبين النبي محمد أكثر من مائتي عام؟

وما يضمن لي أن كل واحدٍ من هؤلاء العلماء وضع في كتابه كل ما قالوا إنه حديث عن النبي محمد، لذا أصبحت مروياتهم عن النبي محمد بالآلاف؟

**أبو حامد**: أنا أُقدر شدةَ استغرابكم من هذا العلم، وذلك لأنه ليس موجوداً عندكم إطلاقاً، وأرجو أن لا ينطبق عليه مقولة: «الناس أعداء ما جهلوا» ولكي يتضح الأمر أكثر لابد أن نضرب

مثالًا فإن الأشهَر بين كتب الحديث التي جمعت المرويات عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هو رجل اسمه محمد بن إسماعيل البخاري ولد البخاري سنة (١٩٤هـ) وتوفي سنة (٢٥٦هـ)، أي أنه ولد بعد وفاة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بـ (١٨٣) سنة تقريباً وعاش تقريباً ثلاثاً وستين سنة.

وقد ألف كتابه المشهور باسم «الصحيح الجامع»، وقد وضع شروطه الخاصة به في الرواية بالإضافة للشروط العامة المعروفة، فقد كان البخاري لا يقبل رواية راوٍ ويضع حديثه في كتابه حتى يتوثق منه غاية التوثق وهذا الشرط يتمثل في اشتراطه رؤية الراوي للراوي الذي روى عنه ومقابلته، ولا يقبل توثيق الناس مهما كانوا ثقاةً لهذا الراوي أو ذاك.

فقد سمع البخاري من بعض المهتمين مرة أن رجلًا انتهى إليه حديث عن النبي - عليه الصلاة والسلام - في الشام. . . فرحل إليه مسافراً، -

وأنت تعرف مشقة السفر آنذاك -، وحين وصل إليه وجده ممسكاً بيده إناءً وهو يدعو حصانه حتى يمسكه، فجاءه الحصان فأمسكه، فَسلّم البخاري عليه ثم نظر في ذلك الإناء فوجده فارغاً ليس فيه شيء، فتركه البخاري وترك حديثه، وعاد إلى بلده لم يكتب الحديث عنه... قائلًا: مَنْ كذب على الحصان ربما كذب في روايته في حديث النبي - عليه الصلاة والسلام -.

السر في تشديد شروط الرواية

نعم، ربما تقول: هذا تشدد كبير... فأقول لك: حقاً لكنه تشدد كبير في موضوع كبير يروى لأمم كبيرة، فالمسؤولية كبيرة، لأن ما سوف يبنى على الحديث كبير...!

ولذا تستطيع أن تأخذ الحديث والقصة من البخاري وأنت في غاية الطمأنينة، إن البخاري حينما يفعل ذلك فإنه يعلم أن القضية قضية منهج ومبدأ، فمن تخلى عن مبدئه مع حيوان مرة ليمسكه، ربما تخلى عن مبدئه مع الناس..!

وثمة رواة آخرون يمشون على نفس منهج البخاري، لا تستغرب حدوث مثل هذا من هؤلاء، وعليك لأجل أن يذهب استغرابك أن تقيس كل فعل من أفعالهم على مبادئهم، وسوف يزول استغرابك من سبب فعلهم..!

إنك تسمع أحياناً عن بعض أفعال وأخلاق سكان الغابات أو سكان الأقطاب، فيتملكك الاستغراب من أعمالهم، وربما التكذيب للمخبر، لكن بمجرد أن ترى المنظر بنفسك وتعرف السبب يزول عندها استغرابك، وبناءً على هذا فإن المبدأ الذي ينطلق منه العلماء المسلمون في التوثيق الشديد في روايتهم لحديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هو أنهم يعتبرون الرواية عن النبي - عليه الصلاة والسلام - ديناً، والكذب فيه كذب في الدين، وهذا أعظم الكذب عندهم، ومع هذا فإن كل نقدٍ لأحد من الرواة لا بد أن يكون معللًا.

ثم إنهم يَعدُّون الكذب على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - كالكذب على اللَّه والسبب في ذلك هو أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - ينقل عن اللَّه، وإن لم يعدّوا محمداً - عليه الصلاة والسلام - ابناً للَّه أو يرفعوه لدرجة الألوهية!

ولم يكن اعتباطاً أن تجد كثيراً من أصحاب كتب الحديث يجعلون في صدر كتبهم حديثاً متواتراً عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ذلك الحديث هو قوله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١] بمعنى: ليضمن مكانه في النار.. فأي تخويف أكبر من هذا..؟

وبما أن القضية قضية دين فليس من حق أحد أن يتنازل عن شروط الرواية، لأنه ليس حقّاً شخصياً.

وليس هذا فحسب، إنما أصبح الواجب عند

---

(١) رواه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣).

كل أحد أن يحتاط هو لدينه بنفسه، فلا يعتمد توثيق راوٍ لراوٍ آخر حتى يتأكد هو بطريقته، وسر ذلك هو أن كل واحد يقول: إذا احتاط فلان لدينه فأنا ينبغي أن أحتاط أيضاً لديني.. فيضيف كل راوٍ احتياطات جديدة، وكل من يأتي بعدهم يفعل نفس التدقيق احتياطاً لدينه، فلا تزال المرويات عن النبي - عليه الصلاة والسلام - تزداد توثقاً مع مرور الأيام.

ولذلك كان منطقياً أن تجد هؤلاء العلماء يردون من مروياتهم عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أضعاف أضعاف ما يروونه في كتبهم، وهنا يتساءل العقل: لو أنهم كانوا يريدون الإكثار من الرواية كيفما كانت، فلِمَ أصبح ما ردوه من الأحاديث أضعاف أضعاف ما قبلوه...؟

فهل تعلم أن أعداد أحاديث البخاري التي رواها في كتابه الصحيح هي (٢٦٠٢) حديثاً بلا تكرار، لكنه انتقاها من (٦٠٠) ألف حديث..!

وهل تعلم أن أول كتاب أُلِّفَ في علم الحديث اسمه (الموطأ) للإمام مالك بن أنس، وجملة ما فيه من الآثار عن النبي - عليه الصلاة والسلام - وعن الصحابة والتابعين هي (١٧٢٠).. لكنه انتقاها من مجموعة أحاديث بلغت تسعة آلاف..!

كل هذه الأحاديث التي ردّها الإمام مالك لم يرها أهلًا لأن تُحسب عليه، ويتحمل أمانة روايتها عنه.

وهل تعلم أن الكتاب الثاني بعد البخاري في الصحة اسمه (المسند الصحيح) لمؤلف آخر اسمه «مسلم النيسابوري»، وأن عدد الأحاديث في هذا الكتاب هي (أربعة آلاف حديث) ولكنه اختارها من ثلاثمائة ألف حديث.

وهل تعلم أن من الكتب المشهورة في رواية الحديث كتاباً اسمه «سنن أبي داود السجستاني»، وأن عدد الأحاديث التي رواها في سننه (٤٨٠٠) حديث انتخبها من (٥٠٠ ألف حديث).

وهل تعلم أن مسند الإمام «أحمد ابن حنبل» فيه حوالي (٣٠ ألف حديث) انتخبها من نحو (٧٥٠ ألف حديث)؟!

وهل تعلم أن مجموع مَنْ وثَّقهم العلماء من رواة الأحاديث يقارب ٨١٨٣ .

وأن عدد من رد العلماء أحاديثهم هو ١٦٠٩ .

**إذاً فليس كل حديثٍ قيل إن رسول اللَّه قاله قبلوه**، وليس كل من روى عن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - وثقوه، بل إن من الرجال الذين لم تؤخذ روايتهم رجالٌ في الذروة من العبادة والصلاح والأمانة والخلق وما إلى ذلك، لكنهم لم يستوفوا شرط الرواية فتجدهم متساهلين في الرواية، أو يكونوا سيئي الحفظ أو خرفوا في آخر حياتهم، أو ضعف حفظهم فلم يعرف ما رووه قبل خرفهم أو اختلاطهم عما بعده. ولو كنت عندي في مكتبتي المنزلية لأريتك بعض الكتب المتخصصة التي تتحدث عن شخصية كل

راوٍ من رواة الحديث ولرأيت العجب العجاب! العجب في قواعدها الصارمة، والعجب في ضخامتها وكثرتها.. وهي التي سميتها لك من قبل: «**كتب الجرح والتعديل، ويسمى علمها علم الجرح والتعديل، أو علم الرجال**».

دقة وسعة كتب الجرح والتعديل

وإذا زرتني فسوف أريكها، وأعرّفك طريقة البحث فيها، واعْتبر هذه دعوة مني لزيارتي في منزلي في دبي. وسوف أسمي لك بعض تلك الكتب:

١) تهذيب الكمال للمزي، في (٣٧) مجلد.

٢) تاريخ الإسلام، في (٥٤) مجلد.

٣) الجرح والتعديل للذهبي ٩ مجلدات.

٤) لسان الميزان للذهبي ٨ مجلدات.

٥) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ١٢ مجلد.

٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٨ مجلد.

٧) سير أعلام النبلاء ٢٥ مجلد.

٨) التاريخ الكبير للبخاري ٨ مجلدات.

هذه بعض كتب الجرح والتعديل الموجودة في كل مكتبة ولك أن تحسب عدد صفحات كل مجلد تصل إلى (٤٠٠) صفحة بل أكثر، فيكون مجموع الصفحات (٦٨,٤٠٠) صفحة تقريباً.

ولعلَّهُ قد أصبح واضحاً أن أقول لك: إن الأحاديث التي رواها الرواة عن النبي - عليه الصلاة والسلام - وردّها هؤلاء العلماء لعدم القطع في صحة نسبتها، أو للشك في صحة نسبتها هي أضعاف أضعاف ما قبلوه ورووه في كتبهم.. وهذا يعني أن القصد من هذا العلم لم يكن جمعَ أيِّ كمية من الأحاديث والأحداث التي رُويت عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وإنما المقصود هو غربلة هذه المرويات واستخلاص الصحيح منها فحسب، ثم إن هذه التي دونت الأحاديث نفسها عرض العلماء كل أحاديثها على القواعد الحديثية ونخلوها نخلاً.

وبعد كل هذا فثمة قاعدة واضحة في هذا العلم، تلك هي استحالة وجود تعارض ما بين حديث صحيح مع حديث آخر صحيح.

واستحالة أن يتعارض حديث صحيح مع أي آية قرآنية أخرى، واستحالة أن يتعارض حديث صحيح مع **العقل** الصحيح.

فهل من دليل أقوى من هذا الدليل على أن مصدر القرآن، ومصدر الحديث، ومصدر **العقل**، واحد وهو اللّه سبحانه، بدليل أنه لا يتناقض أبداً؟

ربما لا يتصور البعض قوة هذا الدليل على أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - خاتم الأنبياء، وأن هذه الأحاديث من أعظم الأدلة على نبوته، وأن عدم وجود أي تناقض دليل على ذلك، لذا أرجو ممن لم يتصور ذلك أن يتصور كثرة الأحاديث التي رويت عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وكثرة الأفعال، والأقوال، والتقريرات، والمواقف،، والغزوات التي رويت

عنه وإلى غير ذلك وفي مواقف مختلفة، مع تصور كثرة الآيات القرآنية وكثرة معانيها.. وتصور أنواع **العقول** الإنسانية وتعدد البشر.

ومع كل هذا لا يوجد تعارض واحد بين كل هذا الكم الهائل على مدى سنين من عمره، وعلى مدى قرون من بعده من الغربلة والتصفية!

ربما تقول: هذه دعوى..!

أقول: قل ما تشاء، ولكن هات أنت أو من تختار من العلماء ليظهروا تعارضاً واحداً معتبراً، فالاعتراض غير المعتبر إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضيق تفكير المعترض، وقصر نظره، وربما تقليده غيره بغير علم، ولذا فإنك تجد ثمة اعتراضات ولكنك سوف تجد عدة كتب متخصصة لفك معلومتين يظهر منهما التعارض عند الوهلة الأولى.

إن عدم وجود تعارض دليلٌ كافٍ لمن طلب الحقيقة.

ومِنْ طَلبِ الحقيقة أن يتساءل المرءُ: أيمكن أن يحفظ هديُ واحدٍ من البشر كما حفظ هدي محمد - عليه الصلاة والسلام - بهذه الكثافة وهذا التنوع، بينما تتغير كل المرويات عن جميع البشر؟!

أكل ذلك بجهد البشر.. أم كل ذلك بفضل البشر؟!

أيمكن أن يتعرض الإسلام والمسلمون لكل الهجمات الثقافية والعسكرية التي اجتاحتهم طوال التاريخ، ثم تبقى هذه السُنّة كما هي لم تتغير..؟!

**إن بحث مسألة حفظ المرويات بمعزل عن القدرة الإلهية ليس إلا من باب الإلحاد.... وإن بحثها بمعزل عن القواعد العلمية ليس إلا من الجحود العلمي.**

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»**: أيعقل أن كل هؤلاء من علمائنا الكبار مخطئون...؟ أتريد

منا أن نحقق وراء علماء من أمثال المستشرق الفرنسي الكبير «لويس غارديه» والمستشرق الفرنسي الآخر «لويس ماسينيون»، والمستشرق الفرنسي «ريجيس بلا شير» ونترك المستشرق الإنجليزي ثم الأمريكي «هاملتون جيب»؟ أم تريد أن نتشكك في بحوث العالم القس الأمريكي «مونتغمري وات» أم العلامة الألماني «كارل بروكمان» ونأخذ بأقوال أنصار محمد. . . .؟

أين ستكون الحقيقة إذا لم تكن عند هؤلاء الباحثين؟ وهل تريد أن نتتبع أخطاء محققينا؟

أبو حامد: دعني أجيبك إجابة عامة وأردفها بإجابة خاصة، وأنا لا أريد إلا حكم عقول الحاضرين. . . أنا لا أخالفك بأن هؤلاء مفكرون كبار، ولكن لا أظنك تقول عن واحد من هؤلاء المفكرين أنه معصوم من الخطأ، أو أنه مُلْهَمٌ من اللّه، أو أنه يوحى إليه فضلًا عن أن تقول إنه لم يخطئ في حياته؟

ولا أظنك ترضى لغيرك فضلًا عن نفسك أن تقلد أحداً من هؤلاء في خطئه... أليس كذلك؟

**يا أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»**: اعتبرني متخاصماً مع شخص آخر في قضية ما، ولتكن قضية مالية، وارتضيناك حكماً، فهل من العدل أن تستمع لطرف واحد؟ وهل يمكن أن تصل للحقيقة إذا اقتصرت على السماع من طرف واحد بناءً على أنه ثقة عندك أو شخص مشهور أو أنه لا يكذب تاركاً وراء ظهرك الشخص المغمور وهو يصيح: أرجوك استمع لي؟

هل يُعدّ باحثاً عن الحقيقة مَنْ لم يرض أن يستمع للشهادةِ من أصحابها، ويسمع لها من الطرف الثاني؟

هل هذا منهج علمي صحيح، أم منهج قضائي عادل؟

أترى موضع نقاشنا قضية مالية، أم شخصية، أم فردية؟

كيف والخطأ فيها قد يودي بأجيال في الضلالة؟

**إن ذلك هو الرق العقلي الكبير... حين تُسلِّم عقلك لعقل فلان بحجة أنه صاحب عقل كبير...**

**إياكِ أن تجود بعقلك إذ تبخل ببدنك أو مالك.**

ها أنذا أطالبك - من غير تحرّج - بأن تذكر لي كل شبهة عندك حول النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - مع أني موقن برسالته يقين الشهادة العينية، لكن ذكرك الشبهات لا يؤثر في يقيني ما دمت موقناً بحق لأنه سوف يزيل الشبهة من عندك ويزيد اليقين عندي هكذا هي المعادلة عندي مسبقاً.

إذاً فما يضيرك إذا سمعت وجهة نظري كما تسمع وجهة نظر من ذكرت من هؤلاء المستشرقين والمفكرين الكبار؟ لماذا لا تعدها فرصة عمر ربما لا تتكرر تسمع من خلالها وجهة النظر الأخرى فإن أعجبتك وإلا أكملت حياتك

كما هي ولم تضرك شيئاً؟

إن المصيبة العظيمة أنك تَتْبَع حكم فلان في حكمه على الآخرين!!

المصيبة أنك لم تقرأ للمسلمين أنفسهم وأنت قادر، لكنك تقبل الحكم عليهم من خلال المفكرين أو الإعلاميين أو غيرهم ولا تعطيهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم أو لبيان الحقيقة!

ما رأيك لو أتيتك باعتراف أحد كبار هؤلاء الذين ذكرت من الساعين لتشويه الإسلام ولسيرة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بعدم نزاهة الكثير من مفكري الغرب حول ما ينقلونه ويحللونه عن الإسلام... إنه المستشرق الأمريكي الكبير «مونتغمري وات» فيقول: «وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغَرْبِيِّينَ غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر

التاريخية الدقيقة»[١].

أما الإجابة التفصيلية فإن «إيناس جولد زيهر» رجل يهودي يكذب على عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما يكذب على محمد - عليه الصلاة والسلام -. . . !

ولا أدري إذا كنتم رضيتم أن يكون سياسيوكم تبعاً لليهود في سياستكم، ورضي اقتصاديوكم بالتبعية لهم في اقتصادهم، فكيف ترضون أن تكونوا تبعاً لهم في عقولكم وأفكاركم وأنتم تعلمون أنهم لا يؤمنون بعيسى - عليه الصلاة والسلام - ولا بطهارة مريم عليها السلام، ولا بأي شيء تؤمنون به؟!

وأنا على استعداد الآن أن أبين لكم حقد «جولد زيهر» في كل كتاباته عن الإسلام، وأن ذلك الخطأ ليس في التفسير، إنما في عدم دقة

---

(١) محمد في مكة (ص٦).

النقل المتعمدة عن المراجع الإسلامية، إن القاعدة عنده هي إساءة الظن في كل ما ينقل عن الإسلام حتى في مبادئ الرحمة والتسامح وما إلى ذلك، وهو يذكرنا بشهادة الحبر اليهودي الأكبر عبد اللَّه بن سلام، حين لقي النبي - عليه الصلاة والسلام - أول ما لاقاه وأخبره أن اليهود قوم بُهْتٌ؟!

أما استشهادك بالمستشرق الفرنسي الكبير «ماسينيون»، فيكفي طعناً في شهادته أنه كان ينطلق فيها من منطلق ديني مُعَاد للإسلام، وقد كان ذا علاقة كبيرة ووثيقة جداً بالأب شارل دوفوكو، حيث اعترف بنفسه أنه حين عمل في «المغرب» من قِبَلِ حكومة بلاده عمل دراسة خاصة وأرسلها للبابا يحضه فيها على غزو المغرب فقال: «حتى أنا، وقد كنت في ذلك العهد استعمارياً فإنني كاتبته - أي دو فوكو - حول آمالي في غزو قريب للمغرب بالسلاح، وقد

رد عليّ مؤيداً[1].

ويقول عنه «جان موريون»: «من الخطأ، ومن العبث أن نحاول التمييز في أعماقه بين المسيحي وبين العالِم، فالاثنان يشكلان وحدة في الشخصية».

شهادة لا يمكن ردها

أستاذ الدراسات الإنجيلية: صدقني يا أبا حامد إنني سوف أجاملك لو قلت لك إن كلامك مقبول خارج هذا المجلس عند شخص غربي آخر حتى وإن اقتنع به بعض الحاضرين والسبب سهل للغاية وهو أنك تريد أن تحل نفسك محل هؤلاء العلماء الغربيين وبالتالي فان أي أحد سوف يتساءل: مَنْ «أبو حامد»؟ لكنهم لن يتساءلوا أبداً: مَنْ «مونتغمري واتٍ، أو جولد زيهر أو لويس غارديه» وأمثالهم، حتى وإن كانت لك مؤلفات باللغة العربية وفي غيرها كما أعرف، فإنك غير

---

(١) انظر «يولس ما سينيون»، «جان مورين» وكتاب الاستشراق في أفق انسداده. د. سالم حميش.

معروف عندنا، لذا سوف تبقى كتبك غير معروفة عندنا وشخصك مجهولًا.

أبو حامد: ليس مُهِمّاً أن أُعْرَفَ اليوم عند هؤلاء أو هؤلاء، المهم أن أقول الحقَّ، والحقُّ بذاته سوف ينتشر، وليس مُهِمّاً أن ينسب لي هذا الحق أو ينسب لغيري فالنتيجة: أن الحق بطبيعته غلاب لا محالة. كما أن طبيعة الباطل زاهقة مهزومة حتى في نفوس أصحابها، وآية في القرآن في سورة الإسراء (برقم ٨١) تقرر هذه الحقيقة: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

يا أستاذ أرجوك لا تفكر الآن بغيرك من الناس، فكِّر بنفسك أنت، فكر بصراع الحق والباطل داخلك، هل هذه الحجج مقنعة أم غير مقنعة لك في داخلك، مقنعة لعقلك، لا لعاطفتك؟ فإن كانت مقنعة لعقلك فتأكد إنها مقنعة لأكثر العقول البشرية الأخرى فاحمل همّ

نفسك ودعك من غيرك قبل كل شيء.

وأمر آخر هو أن من حاول معرفة الحق بمعرفة الرجال لم يصل إلى الحق، فإن الرجال تُعْرفُ بالحق، أما جوابي لكل من في هذا المجلس أو من غاب عنه هو أن ينظر في أسماء هؤلاء المعاندين وينظر في أسماء من ردّوا عليهم - سواء من المسلمين - أو من الذين انتهى بهم المطاف ولم يتبعوا دين محمد، الذين درسوا الإسلام جيداً وتأثروا به، ثم ماتوا ولم يعلنوا دخولهم الإسلام!

رأي الأعلام في محمد عليه الصلاة والسلام

لقد جاء الكثير من المستشرقين بوجه أسود نحو الإسلام ونية سيئة، لكنهم عادوا بنتيجة عكسية.. عادوا بالشهادة لهذا النبي، فمن هؤلاء المستشرقين «كارلايل» إذ يقول: «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وَهْمِ القائلين بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق.. قد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالمسألة التي دعا

إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبةَ كاذب، أو خديعةَ مخادع؟! ولو أن الكذب والتضليل يَرُوجَانِ عند الخلق هذا الرواج لأصبحت الحياة سُخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها أن لا توجد.. هل رأيتم رجلًا كاذباً، يستطيع أن يخلق ديناً، ويتعهد بالنشر بهذه الصور؟! إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟!».

ثم يقول: «وعلى ذلك، فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلًا كاذباً متصنعاً، متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق.. وما كلمته إلا صوت حق

صادق، وشهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله»(١).

ويقول «بوسوورث سميث» في كتابه (محمد والإسلام) الصادر في لندن سنة ١٨٧٤م مؤكداً ما ذهب إليه «كارلايل» وغيره: «**إنه من المستحيل لأي شخص درس حياة وشخصية الرسول العربي العظيم وعرف كيف عاش وكيف تعلم، غير أن ينحني احتراماً لهذا الرسول المبجل (الموقر) القوي الذي هو واحد من أعظم رسل الله، ومهما أقول لكم فإني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع، ولكن حينما أعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب**»(٢).

---

(١) محمد رسول الله، نصر الدين دينيه، مقدمة د. عبد الحليم محمود: ص١٩، ٢٠ (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب ص ٩٥.

(٢) علماء الغرب يدخلون الإسلام، محمد حلمي: ص٣٢ (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب ص٩٦).

انظر ماذا يقول صاحب كتاب[١]: «أعظم المائة الأوائل الأكثر تأثيراً في التاريخ» للكاتب مايكل هارت: «إن اختياري محمداً على قمة الأشخاص الأكثر تأثيراً قد يفاجئ بعض القُرَّاء ويثير تساؤلات البعض، ولكنه كان الوحيد على مدى التاريخ الذي حقق نجاحات هائلة على المستويين الديني والدنيوي».

**وتقول الموسوعة البريطانية**: «محمد هو الأكثر نجاحاً من بين جميع الأنبياء ورجالات الدين».

**ويقول على آخر**[٢]: «الذي أوجد عشرين إمبراطورية دنيوية وروحية، إنه محمد بحسب جميع مقاييس العظمة الإنسانية، يجب أن نسأل،

---

(١) THE: 100 A RANKING OF THE MOST INFLUENTIAL PERSONS IN HISTORY. By: (Michael H. Hart ).

(٢) Lamartine, Historie de la Turquie, Paris 1854, Vol. 11 pp, 276-277.

هل هناك أعظم من هذا الرجل».

تعدد التهم وحيرة المتهمين له

ويصاب الإنسان بالذهول حينما يرى بعض المستشرقين وهو يرمي النبي - عليه الصلاة والسلام - بالجنون أو نحو ذلك، بينما يرى أمام عينيه أقواله المعجزة وتصرفاته التي امتلأت حكمة، فيتساءل المرء: كم بين الحكمة والجنون؟!

ويرميه بعضهم كما أعداؤه من المشركين الأوائل حين رموه مرة فقالوا إنه ساحر! وردُّ هذا من أسهل الأبواب، وهو أنه لو كان ساحراً فلم سحر الذين آمنوا به ولم يسحركم؟

اضطراب أعدائه في وصفه

إن عدم إيمانكم به لهو أكبر رد على بطلان اتهامكم له بالسحر، فالتُّهم ليست جديدة على النبي - عليه الصلاة والسلام - واضطراب أعدائه في تحديد وصفٍ باطلٍ وتهمة محددة له لمن أعظم الأدلة على صدقه.

وسأروي لكم هذهِ القصة كما رُويت في كتب التاريخ[١]: يرويها أحد مشاهير الرواة عنه من أصحابه وهو جابر بن عبد اللَّه. قال: اجتمعت قريش يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد اللَّه - يريد أباه (أبا النبي)؟ فسكت رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام- فقال: أنت خير أم عبد المطلب - يريد جده (جدَّ النبي)؟ فسكت رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك؟ إنا واللَّه

---

(١) رواها أبو يعلى (١٨٨٨) وعبد بن حميد (١١٢٣)، وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني (ص١٥٩).

ما رأينا سخلة(١) قط أشأم على قومه منك، فرَّقتَ جماعتنا، وشتت أمرنا، وَعِبْت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهنًا، واللَّه ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلَىٰ، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانىٰ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلًا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: فَرَغْتَ؟ قال: نعم، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: فاسمع مني، فقرأ عليه من سورة فصلت:

---

(١) في كتاب النهاية: السخل: المولود المحبب إلى أبويه وهكذا في مسند عبد بن حميد (١/٣٣٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ

تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١ - ١٣].

فرجع عتبة ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: واللَّه يا معشر قريش ما نرى عتبة الا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فَأَتَوْهُ، فقال أبو جهل: واللَّه يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم باللَّه لا يكلم محمداً أَبداً، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا، ولكني أتيته وقص عليهم القصة فأجابني بشيء واللَّه ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ فَأَمْسَكْتُ بِفيهِ وناشدته الرحم أن يكفَّ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال

شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب[١]. اهـ.

**أيها الأستاذ** هل ترى عاقلًا يردُّ العرض عليه بالتملك لو أنه كان يريد الملك والتقدم على الناس وخصوصاً أن هؤلاء سادة القوم؟

أم تراه يرد المال وقد جاءه عن غير طلب منه؟! أم تراه يرد النساء وقد جاءه هذا العرض لو كانت غايته النساء؟!

لِمَ لَم يوفِّر على نفسه كل هذا الجهد والعناء... لِمَ لا يوفر الوقت والمال... لِمَ لا يوفر العذاب لأصحابه وأحبابه... لِمَ لا يستثمر جهد قومه وقوتهم... لِمَ يجازف بهم... بل لم يجازف بروحه... لم لو لم يكن رسولًا من عند اللَّه؟

هل من جواب عقلي آخر...؟

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٣/ ٦٢)، أورده من طريق ابن حميد عن ابن أبي شعيب.

هل من **العقل** بعد كل هذا أن نقول: إن محمداً كان مخادعاً، فضلًا أن نقول إنه كان كاذباً. . .؟

لو علم القائل بعاقبة كلمته لما قالها!

مستحيل

يقول **أنيي بيسانت**: «من غير الممكن لشخص درس حياة وطبائع محمد العربي العظيم كيف عاش وكيف ترعرع أن يشعر بشيء تجاهه. . غير أنه أعظم رسول من العلي الأعلى بالرغم مما كُتِبَ عنه أو قيل في المقالات وهي أشياء قد تكون مألوفة للكثيرين ربما، ولكن كلما قرأت وأعدت قراءتها أجد فيها لمسة جديدة من الإعجاب والتبجيل للمعلِّم العربي العظيم «محمد» »[1].

الأدلة العقلية تحكم في صدق محمد عليه الصلاة والسلام

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»**: تذكر يا أبا حامد أن اتفاقنا الأساس كان هو الاحتكام للعقل، أنا الآن أقول لك إن محمداً كاذب فهل عندك ما

---

(١) Annie Besant, THE LIFE AND TEACHINGS OF MUHAMMAD, Madras, 1932, p 4.

يمنع أن يكون محمدٌ كاذباً أو مخادعاً؟

دعك من الأدلة الدينية والتاريخية وتعالَ للأدلة العقلية ثم أثبت لي بالعقل أن محمداً ليس بكاذب.

**أبو حامد**: سوف أُجيبك على هذا بعدة أجوبة وعليك أن تتأمل وجوهها وكلها أجوبة عقلية.

قصة إمام مسلم وإمام يهودي

**الجواب الأول**: هو هذه القصة التي وقعت بين أحد أئمة الإسلام الكبار واسمه ابن القيم مع أحد كبار علماء اليهود، حيث وقعت بينهم هذه المحاورة **العقلية**، يقول ابن القيم: «وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر مَنْ يشير إليه اليهود بالعلم والرِّياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً - عليه الصلاة والسلام - قد شتمتم اللَّه أعظم شتيمة! فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟! فقلت له: اسمع الآن تقريره: إذا قلتم إن محمداً ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند اللَّه، وقد

أقام ثلاثاً وعشرين سنة يَدَّعي أنه رسول اللّه أرسله إلى الخلق كافة، ويقول أمرني اللّه بكذا ونهاني عن كذا وأوحي إلي كذا.. ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم... فلا يخلو إما أن تقولوا أن اللَّه سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه أو تقولوا إنه خفي عنه ولم يعلم به، فإن قلتم: لمْ يعلمْ به، نسبتموه الى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه! وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أوْ لا، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزّه وينصره ويؤيّده ويعليه ويُعلي كلمته

ويجيب دعاءه ويمكّنُه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له. . . . فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى أحد العقلاء فضلًا عن رب الأرض والسماء! فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته، وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟! فلما سمع ذلك قال: معاذ اللَّه أن يفعل اللَّه هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق، مَنِ اتبعه أفلح وسعد، قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟ قال: إنما بُعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له: غُلبتَ كل الغلب فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول اللَّه إلى جميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقَاتَلَ اليهود والنصارى وهم أهل ملة كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل

ما أخبر به، **فأمسك ولم يحر جواباً!**»[١].

لم يتهمه أعداؤه بالكذب

**الجواب الثاني**: يا أستاذ الدراسات الإنجيلية «جاري»: إذا لم يتهمه أحد مِنْ أعدائه الذين حاربوه وجهاً لوجه بالكذب أو الخداع أبداً، فكيف يمكن تصديق من لا يعرفه ولم يعايشه لحظة إذا اتهمه بالكذب...!

بل يروي المستشرقون هذه الحادثة الموجودة في كل كتب التاريخ عن بداية شأن محمد معهم.

فقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي - عليه الصلاة والسلام - على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر! يا بني عدي!» لبطون قريش حتى اجتمعوا.

فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا ينظر ما هو، فجاء أبولهب وقريش. فقال:

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن القيم الجوزية.

«أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم مصدقيّ»؟

قالوا: «نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً».

قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

قال أبو لهب: «تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟»

فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1].

ألم يكن لقبه في قومه قبل أن يصبح نبياً «الصادق الأمين»..؟!

ضخامة تراثه العلمي مع سلامته من الكذب والخطأ

**الجواب العقلي الثالث:** أنت تقر معي بأن التراث العلمي الذي تركه محمد - عليه الصلاة والسلام - من الضخامة بحيث لم يَتْرك مثلَه أحدٌ، وقد حدّث الناس بأحاديث حجمها أضعاف حجم القرآن مرات ومرات ولم يجد كل القارئين

(١) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٢٠٨).

أحاديثه مَنْ عَرفَهُ منهم ومن لم يعرفه، صديقه أو عدوه على حدٍّ سواء، لم يجدوا عليه كذبة واحدة، فهل من العقل أن تقول: إنه كاذب؟

فالسؤال العقلي هنا هو: لِمَ ترك محمد كل هذا التراث ولمن؟ هل لو كان نبي بعده لاحتاج أن يترك كل التراث، أو يحل أكبر القضايا إشكالاً أو يقعِّد للعالم القواعد؟

ثم أليس من الإنصاف أن نعرض بين يديك كل تراث محمد ونطالبك بأن تخرج منه كذبة واحدة، فماذا إذا لم تستطع أن تخرجها؟

**الجواب العقلي الرابع:**

هل كان متناقضاً

من لوازم الكذب الوقوع في التناقض، وهذا أمر معروف فلو أن الكاذب حكى قصة واحدة مرتين لوقع في التناقض وفي الاختلاف، فكيف إذا كثرت حكاياته أيمكن أن يفلت من التناقض، فكيف إذا جاء بمثل حجم القرآن ستمائة وأربع صفحات من الورق الوسط ثم لم يجد قارئوه -

كما مّر معنا - تناقضاً واحداً، أيمكن أن يكون من جاء به كاذباً!؟

وكيف إذا كان تراثه العلمي الذي تركه من الضخامة أضعاف القرآن؟

ومن قال غير هذا فليأتنا بتناقض واحد وقد تحدثنا في هذا في مجلس القرآن والعقل.

**الجواب العقلي الخامس:**

أشهر شخصية صادقة

أظنك أيها الأستاذ وجميع الحاضرين والغائبين لا نختلف على أن أشهر شخصية ذاع صيتها في التاريخ هي شخصية محمد - عليه الصلاة والسلام -، سواء كنت مؤمناً به أم غير مؤمن، وإن من لم يؤمن بمحمد اليوم أكثر ممن يؤيده، فسؤالنا عن رجل أعداؤه أكثر من أنصاره، رجل قد شاع تراثه العلمي فهو موجود بين يدي كل أحدٍ وهو يتحدى به، ثم هؤلاء الأعداء على كثرتهم لا يستطيعون أن يظهروا عليه كذباً ولا تناقضاً، هذا وهو يقول إن من لم يؤمن به فهو في النار.

تضافر الأدلة على صدقه

الجواب العقلي السادس: صِدْقهُ في كل دليل، دليلٌ مستقلٌ على صدقه، وصدقهُ في كل خبر إخبارٌ جديدٌ على صدقه، فلو أردنا حصر أعداد الأخبار التي أخبر بها محمد - عليه الصلاة والسلام - عن السابقين واللاحقين وما إلى ذلك فقلنا إنها بلغت ألف خبر ولم يتمكن أحد لا من الذين قرؤوا الكتب السابقة ولا من الذين شاهدوا الأحداث اللاحقة أن يمسك بخبر كاذب واحد، ألا يعني هذا أن لمحمد - عليه الصلاة والسلام - ألف دليل على أنه صادق، هكذا يجب أن نفهم الأدلة ولا نجعل صِدْقه في جميع الأدلة كدليل واحد، أو نجعل مجموع أدلة إثبات نبوته كدليل سلبي.

جاء في سِفْرِ التثنية ٢١: ١٨ - ٢٢: «وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به

الرب، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه».

لكذب عنده من أكبر الذنوب

الجواب العقلي السابع: النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يَعُدّ الكذب من أكبر الذنوب، فتحريمه الكذب مع عدم التزامه بهذا التحريم - لو أنه لم يلتزم - يعني هدم شخصيته كقدوة، وكونه قدوة مما اتفق عليه عدوه وصديقه.

الجواب العقلي الثامن:

صدق الصحابة

إذا كان أصحابه أكثر الناس صدقاً، ولا يعرف عن أحد منهم الكذب، حتى لو خُيّر أحدهم بين الموت والنجاة وكانت نجاته في الكذب لما كذب، فكيف يكون معلمهم كاذباً؟ فمن علمهم هذا الصدق، والثبات عليه والتضحية في سبيله، وبمن اقتدوا؟

الجواب العقلي التاسع:

رده الكذب عن الأنبياء

إذا كان من أساسيات دعوة محمد هو رَدُّ الكَذِبِ عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فهل من المعقول أن يردّ عنهم الكذب والتُّهم

والافتراءات ثم يكذب هو، مع أن القاعدة تقول: إن الفاسد يود أن يكون الناس فاسدين..؟

الجواب العقلي العاشر:

صدق في الأخبار المستقبلية

الأعجب من كل هذا أن يخبرنا محمد بأخبار لم تقع، يخبرنا بأنها سوف تقع، فإذا بالأيام تأتي فتقع تلك الأخبار كما أخبر بها محمد - عليه الصلاة والسلام - وهي كثيرة ومستمرة ولم تنقطع، مثل دخول العراق للإسلام، ودخول مصر ودخول الشام، ومثل إخباره بتطاول الأعراب في البنيان.

ومن هذه الأخبار كذلك إخباره بحصار الشام وحصار العراق الذي حدث بعد عام ١٩٩٠ وأحداث كثيرة أخرى، فهل ترى إذا لم يُخطئ ولم يكذب في هذه الأخبار المستقبلية يكذب في الأخبار الواقعة في عهده.

أستاذ الدراسات الإنجيلية مقاطعاً: أرجوك توقف - يا أبا حامد - هنا فلقد ذكرت أموراً هي

أشبه بالدعاوى المجردة من الدليل، وإن عقولنا لا تسمح بتمرير كل شيءٍ من غير تحقيق، ولقد ذكرت أن محمداً ذكر حصار العراق، وذكرت أنه ذكر حصار الشام!

واعتراضي يكمن في أمرين، أما الأول: فأنا أُطالبك بالدليل أولًا على ذلك، وبعدما تذكر الدليل لدي اعتراض هو أقوى من ذلك، فإنْ كان محمد ذكر حصار العراق أو حصار الشام كما نشاهده في حصار الفلسطينيين[1] فإن المؤرخين لا يختلفون إطلاقاً أن العراق والشام لم يدخلا الإسلام في حياة محمد، فكيف يمكن أن تحل هذه المعضلة التي سقطتْ عليكم؟

أبو حامد: من الأمور التي أرجو أن تتوصلوا لها في نهاية هذا المجلس الطيب والمجالس القادمة هي أن يكشف كل واحد منا نفسه، أَمَا تلاحظون أنكم في كل مرة تهوِّلون الشبهة حتى

---

(١) وفلسطين هي قلب الشام.

لكأنها طامة أو كأنها الحق المبين فإذا ما أجبتُ عليها ظهرت وكأنها فقاعة صابون في مهب ريح عاصف، ولكم أن تتصوروا لو أنني لم أُجب عليها لبقيتم تتصورونها طامة بينما أنتم تسيرون وراء فقاعة كما هو الشأن هنا، بل الأمر أكبر من ذلك إذا تذكرتم أن كل شبهة تذكرونها تنقلب أدلتها عليكم فتصبح ضد ما تتصورون، وبناءً على هذا فإني أرجو أن تراجعوا كل ما سلف من الشبهات التي أثرتموها وسوف تجدونها من هذا الصِّنف، وأنا أضمن لكم أن جميع شُبهاتكم القادمة من هذا الطراز، وأرجو أن تتوصلوا إلى هذه القناعة ولو في نهاية هذا المجلس أو حتى نهاية المجلس الأخير.

حصار العراق والشام

أما الدليل على أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - ذكر في حصار العراق فمنها حديث عند جابر بن عبد اللّه قال: «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبلَ العجم يمنعون ذاك، ثم قال:

يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَلِ الروم ثم سكت هنية ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عداً قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا»[١].

وهنا بودي أن أسألك سؤالًا محدداً فأجبني بنعم أو بلا:

ألا تعتقد أن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان يعرف أن العراق لم يدخل الإسلام في عهده..؟!

أستاذ الدراسات الإنجيلية: نعم يعرف بغير شك.

أبو حامد: إذنْ ما دام يعرف، فماذا كان قصده حين ذكر ذلك إلا أن يبشر الناس بمعجزة جديدة

---

(١) رواه مسلم (٢٩١٣).

وهي دخول هذه البلاد الإسلام، حتى إذا جاء وقتها وشهد الناس دخول العراق الإسلام ازدادوا يقيناً بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وقالوا: سبحان مَنْ أخبره بهذا الخبر يوم أن كان دخول العراق الإسلام غيباً! ثم إذا رأوا بعد قرون طويلة حصار العراق بأعينهم ازدادوا إيماناً بنبوته وهذا ما حصل فعلًا ورأيناه وعشناه.

فهذا هو الإعجاز الحقيقي، وهذا ما فهمه كل أحد، أن العراق سوف يدخل الإسلام من نفس الحديث الذي أمامك، وفي الحديث أن من يمنع العراقَ العجمُ، والعجم لفظ يشمل غير المتحدثين باللغة العربية حتى لو كانوا من المسلمين، هذا ما وقع فعلًا فقد اجتمع على العراق في حصاره الأول اثنتان وثلاثون دولة بقيادة دول الأعاجم وعلى رأسها أمريكا والحلف الأطلسي وإيران وغيرها من الدول.

هل الأمية دعوى؟

أستاذ الدراسات التوراتية «موشى»: نحن نعلم

أن دعواكم بأن القرآن هو معجزة محمد لن تكتمل ما لم تقولوا: «إن محمداً كان أمياً» فأمية محمد هي التي تكمل الخطة وتَحْبِكُ المسألة.

وثمة أدلة عديدة ذكرها كبار المستشرقين على أن محمداً كان يكتب.

فأنا أظن أن الخدعة التي مارسها محمد لم يسبقه إليها أحد أبداً.

لقد درس محمد واقعه جيداً فجاء بما لم تأت به الأوائل.. فبعد ما درس التوراة والإنجيل وكل ما وقع بين يديه من كتب، ومن خلال من لاقاه في زياراته للشام... وجد محمد بعد هذا أن البيئة العربية بيئة خصبة ليبث فيها تعاليمه التي هي في أصلها مأخوذة من التوراة والإنجيل... ويجمع حوله أولئك الذين فتنوا به لأنهم لا يعرفون مُصْلحاً غيره حينما أدركوا أنهم يحتاجون إلى مُصْلِح، يقول «وات»: «ورغم أن الإسلام الأصولي يقرر أن محمداً كان لا يعرف القراءة

والكتابة، إلا أن هذه المعلومة مشكوكٌ فيها بالنسبة للعلماء الغربيين المحدثين، لأنها تبدو موضوعة من أجل إبراز الطابع المعجز لوجود القرآن، وهو عمل لا يستطيع أمي أن ينجزه. وعلى العكس نجد أن عدداً كبيراً من المكيين كان يعرف القراءة والكتابة، ولذلك يفترض أن تاجراً نشيطاً كمحمد كان يتوافر على حظ من هذه الفنون»(١).

أبو حامد: إن الإنسان ليخجل أحياناً أن يأتي بثوب باحث منصف يلتزم المهنية العلمية ثم لا يستطيع إلا أن يظهر عداوته أكثر من عداوة العدو المجاهر بالعداوة..!

أنا لا أعتب عليك يا أستاذ الدراسات التوراتية «موشى» بقدر ما أعتب على من تلبس لباس البحث وزعم الإنصاف العلمي في بحثه كيف يظهر منه مثل هذا..؟!

---

(١) MAHOMET PROPHETE. ET B'ETAT- P37- .

فهل أنتم أكبر مواجهة لمحمد من قريش..؟!

هل أنتم أكثر معرفة به ممن عاش معه قبل أن يأتيه الوحي بأربعين سنة..؟!

أم أنكم أعرف بنقاط ضعفه من قومه الذين عرفوه وليداً، وصغيراً، وطفلًا، وفتى، وشاباً، وكبيراً..؟!

وهل أنتم أكثر حرصاً على إظهار كل نقيصة - إن كانت فيه نقيصة كما تظنون - ممن حاربه بالسيف وقتلوا منه، وقتل منهم..؟!

أرجوكم هاتوا لنا شاهداً واحداً ليس من المسلمين وإنما من أعدائه الذين عاصروه يقول إن محمداً كان قارئاً كاتباً..؟!

هاتوا لنا حالة واحدة كتب فيها محمد كتاباً أو رسالة، أو حتى وقع توقيعاً..؟!

فلو أن محمداً كان كاتباً فَلِمَ لمْ يكتب آية واحدة من القرآن..؟!

لِمَ اتخذ أربعين كاتباً يكتبون الآيات فور نزولها عليه..؟!

أليست كتابة القرآن شرفاً ما بعده شرف، ومحمد - عليه الصلاة والسلام - لا يؤثر أحداً في مرضاة اللَّه..؟!

فلم آثر الناس على نفسه بهذا الشرف والقربة العظيمة..؟!

ومن قال إن محمداً كتب آية واحدة فليظهرها لنا..؟!

من قال إن محمداً كتب على جلد، أو جريد نخل، أو حجر، فليظهر لنا كتابة محمد - عليه الصلاة والسلام -..؟!

أليس من المناسب أن يكتب بنفسه رسائله إلى الملوك..؟!

فلِمَ بقيت كتبه إلى الملوك بخطوط أصحابه المتنوعة وما بقي عليها إلا ختمه المعروف..؟!

ثم إذا كان محمدٌ يكتب فمن علَّمه الكتابة،

وما اسم معلمه..؟!

وإذا كان محمد كتم اسم مُعلِّمه القراءة والكتابة، فأي شرف سيحوزه المعلم أو ورثته لو أنهم أظهروا أن أباهم علّم محمداً - عليه الصلاة والسلام - كلمة واحدة..؟!

ومن لم يتعلم طوال الأربعين سنة - كما هو شأن محمد - فأنى له أن يتعلم بعدها..؟!

كيف وما بعد الأربعين بالنسبة لمحمد لم يكن فيها فراغ ولا هدوء..؟!

ومع كل هذا: افرض أن محمداً كان كاتباً قارئاً، افرض أنه تعلم القراءة والكتابة في آخر عمره.. فماذا يعني ذلك..؟!

ماذا يغير ذلك من حقيقة نبوته..؟!

إذ ماذا غيرت القراءة والكتابة من حقيقة نبوة عيسى - عليه الصلاة والسلام -، وماذا غيرت القراءة والكتابة من حقيقة نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - من قبله..؟!

وماذا غيرت من عظمة القرآن..؟

هذا هو محمد - عليه الصلاة والسلام - مات، وها هو القرآن كما أنزل على محمد يوم كان حياً، فإن كان عندكم اعتراض فدونكم القرآن..؟!

إن اللجوء إلى الطعن في أمية النبي - عليه الصلاة والسلام - دليل الإفلاس الحقيقي، لأن فيه ترك الأصول والغايات، والحديث في وسائل ليست إلا حواشي لا تقدم ولا تؤخر في حقيقة التحدي بالقرآن من جميع جوانبه، وفي حقيقة نبوته، وفي حقيقة دينه... أليس كذلك...؟!

أليس هذا هو دليل العقل، والتاريخ يشهد..؟!

**قال «ديورانت»**: «ولكن يبدو أن أحداً لم يعن بتعليمه القراءة والكتابة، ولم تكن لهذه الميزة قيمة عند العرب في ذلك الوقت، ولهذا لم يكن في قبيلة قريش كلها إلا سبعة عشر رجلًا يقرؤون

ويكتبون، ولم يعرف عن محمد أنه كتب شيئاً بنفسه، وكان بعد الرسالة يستخدم كاتباً خاصاً، ولكن هذا لم يَحُلْ بينه وبين المجيء بأَشْهَر وأبلغ الكتب في اللغة العربية، أو على تعرفه لشؤون الناس تعرفاً قلما يصل إليه أرقى الناس تعليماً»[(١)].

**الدكتور وافي نور الدين**: دعوا المتشنجين الذين لا **يعقلون** خارج مجلسنا هذا لنحافظ على مستوى مجلسنا العقلي العالي.. نحن نريد الليلة حواراً علمياً حول هذه الشخصية التي يكثر الهجوم عليها بين الفترة والأخرى في بلادنا، فإنه لا **يعقل** أن نقرأ نحن عن كل أحد إلا عن محمد - عليه الصلاة والسلام -..؟!

ولا **يعقل** أن تبقى شعوبنا جاهلة بحياة شخصية

(١) من كتاب «نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ص٣٨٩- .. للدكتور لخضر شايب»... نقلًا عن كتاب قصة الحضارة: ١١ /٢١ .

لها كل هذا التأثير في التاريخ..؟!

ولا يعقل أن يصرح علماء عظام في محمد - عليه الصلاة والسلام - ثم لا نقرأ عن محمد - عليه الصلاة والسلام -، بل لا تجد في مكتباتنا إلا الكتب المشوهة عن محمد - عليه الصلاة والسلام -، ومن هؤلاء العلماء العظماء «برناردوشو»، إذ يقول: «إن أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه كما أنها سَتُبرّئ العقيدة الإسلامية مما اتهمتها بها من أراجيف أوروبا في العصور الوسطى، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ويستند على فلسفته في حل النظام وفك المشكلات وحل العقد».

محمد في رأي برناردشو

ويقول كذلك: «إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكيره مثل محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، لأنه أقوى دين على هضم المدنيات، وأنه خالد خلود

أقوى دين على هضم المدنيات

الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة من أمرهم، ومستقبلًا سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في سائر القارة»

هل كان رجل اجتماع فحسب؟!

أستاذ الاجتماع «يوهان»: أقول أولًا: أنا لست من المؤمنين برسالة محمد كنبيّ قد أوحي إليه من اللّه، ولكن بحكم تدريسي لمادة الاجتماع في الجامعة منذ عشرين سنة فأنا من المعجبين بشخصية محمد كرجل اجتماع، وما زلت أزداد إعجاباً بعبقرية محمد في النظام الاجتماعي العجيب الذي وضعه للأسرة، فهو أشبه ما يكون بنظام كامل للدولة الكاملة، يتميز بالمرونة والإحكام في نفس الوقت، وبهذا النظام جعل محمد من الأسرة اللبنة السليمة للدولة السليمة العظيمة، وجعل من الأسرة ملاذاً للدولة، ووزَّع النظام داخل الأسرة بدقة عجيبة، فلكل واحد حقوقٌ وعليه واجبات وليس ثمة فوضى، فالزوج هو رب الأسرة وسيدها، والزوجة هي الأم التي

عليها طاعة الزوج وعلى الزوج الإحسان لها، وجعل أعظم القربات عند اللّه الإحسان للزوجة. . والأولاد عليهم طاعة الوالدين، وعلى الوالدين الإحسان في تربيتهم، والخادم عليه أن يكون أميناً، وعلى سادته أن يجعلوه كأنه واحد منهم، ويمنع الدخول على الوالدين إلا بإذنٍ في ثلاث أوقات هي ما بعد الظهيرة وما بعد العشاء وعند الظهيرة فقد جعلها أوقات خصوصية للوالدين فمن العادة أن يكون فيها انكشاف عورات واستمتاع وما إلى ذلك.

ولكل هذا تفاصيل دقيقة تحفظ للأسرة كيانها، وللمجتمع كيانه، ولأفراد الأسرة حقوقهم، فتربية الأبناء تبتدئ بحسن اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح، وحسن اختيار الاسم الحسن للمولود، والرضاع. . . وهكذا في مراحل عمره إلى أن يتزوج.

وهو في المقابل يجب عليه كولدٍ أو كبنت أن

يبر والديه منذ تمييزه حتى يموت أو يموتا.

بل يجعل بِرَّهما موصولًا بهما لما بعد الموت، وذلك بالدعاء لهما، وصلة أهلهما، وصلة أصحابهما، وبناء مشاريع الخير والأجر لهما.

وبهذا مدد محمد العلاقات الاجتماعية إلى ما بعد الموت.

فالعلاقات التي كانت واصلة بين الوالدين وبين أصحابهما لم تَذُب بموتهما، بل أصبح من الأمانة وحفظ حق الوالدين صلة أصحابهما، فجعل من ذهابهما سبباً لتوسيع دائرة العلاقات، فأدخل فيها بدل الأب الذاهب أفراد أسرته من أولاد وبنات، وجعل مع أصحاب الوالدين أفراد أسرهم جميعاً، كما جعل من موتهما سبباً لتوسيع دائرة المعروف، وإحياء الحياة.

والذي أثار إعجابي في عبقرية محمد هو همته العالية في التغيير، وحسن تخطيطه للتغيير، وقدرته على التغيير، ووضوح مستقبل التغيير في رؤيته.

محمد من الرجال الذين ليس في قاموسهم كلمة مستحيل، كما أن عنده البرمجة الواضحة لتنفيذ ما يريد، من خلال دراسة الحياة في الجزيرة العربية، وهي البيئة التي ولد فيها محمد وترعرع ومات بها، بينما كانت من قبله أكثر البيئات الاجتماعية تخلفاً.

فلا حضارة تذكر، ولا علوم، ولا علماء، كما لم يكن لهم اتصال وثيق بالحضارات العالمية الأخرى إلا ما كان يثمر استعبادهم من قِبَلِ الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية..!

وابتدأ محمد بمبادئ منبوذة عقدياً لدى مجتمعه، فهو لم يأت بما يوافق رغبات مجتمعه، بل جاء بما يضادها تماماً، فهم يعبدون أصناماً كثر، ومحمد يدعوهم إلى ترك عبادة أصنامهم جميعاً، وتحطيمها وعبادة الإله الواحد، يقول هذا ويدعو له، بينما قومه هم قِبْلَةُ عَبَدَةِ الأصنام في الجزيرة العربية كلها، والعالم كله من حولهم

على خلاف دين محمد، فلا نصير لمحمد في العالم كله، وهو لا يتمتع بإمداد داخلي ولا خارجي، فأنَّىٰ له أن ينجح؟! ومع هذا نجح، وأسس مجتمعاً مثالياً لم يؤسسه أحد مثله في التاريخ السابق واللاحق، واستطاع بعد هذا أن ينشئ أقوى مجتمع في الجزيرة العربية، جعل عاصمته مدينة اسمها «المدينة»، حتى جعل محمد ذلك المجتمع الكبير أعظم ترابطاً من أسرة صغيرة متماسكة!! ويكفيك أن تعرف قوة أساس البناء أن ترى ارتفاعه الشاهق المتين! وعليه فإن كل ما بني بعد ذلك فوق بناء محمد الأول إلى هذا الوقت بني على قوة الأساس الذي وضعه للأسرة الأولى حتى أصبحنا نرى أعداد المسلمين قاربت المليار ونصف المليار ومزيتهم العظمى هي التماسك الأسري والتماسك الاجتماعي، بينما نجد المجتمعات الأخرى التى لم يكن قيامها على أساس الأسرة انهارت سريعاً. . . فإذا تأملنا

الحضارة الحديثة نجد أن أساس قيامها هو الثورة ضد التخلف، ولم يكن للأسرة فيها كبير اهتمام في البناء، فكانت كمن يريد البناء من غير لَبِن... فانهارت الحضارة الحديثة اجتماعياً، ومؤشرات الانهيار الأخرى ظاهرة، إذ ما قيمة حضارة ليس للأسرة فيها كيان؟!

وإذا تأملنا الحضارة الاشتراكية نجد أن أساس قيامها هو طلب العدل والمساواة، فكانت ثورة ضد الظلم، وأُنشئت على أساسها حضارة كبيرة مثل حضارة الدول الاشتراكية؛ روسيا وما تبعها، لكنها لم تُعمّر عمر فرد، فما مرت سبعون سنة من إنشائها حتى انحلت كما ينحل جبل الجليد في محيط ساخن! وما ذلك إلا لأنها لم تقم على أساس عقدي أو أخلاقي، وما كان للأسرة فيها أية قيمة، فظهر زيفها سريعاً، وكان انهيارها مريعاً..!

ورغم ذهاب الأنظمة السياسية التي تحمي النظام الاجتماعي الذي بناه محمد إلا أن نظامه

الاجتماعي ما زال قوياً!

هنا يعود المؤرخ بذاكرته إلى عظمة تلك العبقرية التي أنتجت هذا النظام الاجتماعي بطريقة خارقة لكنها منطقية ومنتظمة! والسؤال الأهم هو:

لو كان هذا الإنجاز عادياً فَلِمَ لَمْ يستطع أحد أن يصنعه قبل محمد حتى على الورق..؟!

ولِم لَم يستطع أحد تكراره بعد محمد إلى هذا اليوم، ويبدو إلى الأبد..؟!

الدكتور وافي: هذا تقرير تاريخي منصف عجيب، ولكن سؤالي: هل كان محمد مجرد مصلح اجتماعي، مصلح أسري؟!

هل بشر بمحمد عليه الصلاة والسلام أحد قبله؟

ألم يكن محمد نبياً ماذا ترى يا أبا حامد..؟

بروفيسور جيكوب: نعم لم يكن محمد نبياً قطعاً، محمد كان مصلحاً اجتماعياً، مصلحاً أسرياً.. لأنه لو كان نبياً فلمَ لمْ يبشر به موسى - عليه الصلاة والسلام - أو عيسى أو أي نبي من أنبياء بني إسرائيل، لم لَم يرد ذكره في العهد

القديم ولا العهد الجديد..؟!

المبشرات بمحمد ضرورة عقلية وهذه أدلتها

أبو حامد: لا ينبغي لحوارنا العلمي أن يداخله أي شد أو تشدد أو نحو ذلك إنما هو الحوار الهادئ الهادف للوصول إلى ثمرة ناضجة تليق بالمستويات الحاضرة.

وهنا بودي أن أسأل الأستاذ جيكوب قائلًا: هل يشترط لصحة نبوة أي نبي أن يبشر به مَنْ قبله من الأنبياء، أو يذكر اسمه في الكتب..؟!

فأنت بين واحد من جوابين إما أن تقول: لا يشترط، وبهذا تكون قد سلمت، وإما أن تقول نعم يشترط وعليه نقول لك هات الدليل.

ثم إذا قلت يشترط أن يبشر به من قبله، قلنا لكم: من بشّر بنوح - عليه الصلاة والسلام -؟ من بشّر بإبراهيم - عليه الصلاة والسلام -؟ من بشّر بجميع الأنبياء إلا عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟ هاتوا برهانكم.

ومع علمي بعدم وجود جواب عندك على ما

عرضته من أسئلة، فإني لو لم أذكر الأدلة من الكتب السابقة كبشارات على نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - أكون قد أنصفت. أليس كذلك؟

فكيف وأنا سوف آتيك بما طلبت من أدلة من الكتب السابقة.

بل سأجيبك أيضاً من العقل أولًا، وهذا الذي مرّ معنا من عدم وجود بشائر على نبوات جميع من نعرف نحن وأنتم من الأنبياء بعد هو الدليل العقلي الأول.

من الأحق بالذكر؟

أما الدليل العقلي الثاني: هل من العقل أن يذكر أنبياء بني إسرائيل مثل أشعيا وأرميا ودانيال، وحزقيال، وعيسى عليهم الصلاة والسلام مثل هؤلاء و يذكرون بعض حوادثهم وتفاصيلها أحياناً ولا يذكرون رجلًا مثل محمد، ويذكرون حوادث له غيرت التاريخ كما لم تغيره أية حوادث أخرى منذ أول الخليقة؟!

ما أظن أن واحداً منكم ينكر أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - أعظم تأثيراً وأبقى أثراً من نبوخذنصر، وقورش، والإسكندر، وأمثال هؤلاء... أليس كذلك..؟!

يقول جون وليام درابر: «بعد أربعة أعوام فقط من وفاة (جوستانيان) ٥٦٩ م ولد في مكة في الجزيرة العربية الرجل الذي كان له التأثير العظيم على الجنس البشري»[١].

يقول جون أوستن عن تأثير النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «لأكثر من عام بقليل فقط كان الحاكم الروحي المؤقت للمدينة وكانت بيده الآلة التي حرك بها العالم»[٢].

---

(١) John William Draper, M.D., L.L.D., A History of the Intellectual Development of Europe, London 1875, Vol.1, pp.329-330.

(٢) John Austin, MUHAMMAD THEPROPHET OF ALLAH in T.P.'s and Cassel's Weekly for 24th September -1927 .

وأنتم ترون في التاريخ ماذا صنع محمد، وصنعت أمته في أمم الأرض، كما ترون بقاء أمته واتساعها، ثم ترون أن هذه الحضارة موعودة بالعودة مرة أخرى.

لقد ذهب أولئك العظماء حتى لا يكاد يذكر لهم اسم ولا يتسمى باسمهم أحد بينما ترون رفعة شأن محمد، وعظم أمته، وكثرة من يحمل اسمه وكثرة من يحاول أن يقلده في كل شيء، فهل من المعقول أن يذكر هؤلاء في التوراة والإنجيل وقد اندثروا واندثر من أممهم ما اندثر ولا يذكر محمد فيها، إنه إن لم يذكر فيها فهذا نقص في نسخها الموجودة وليس مأخذاً على محمد - عليه الصلاة والسلام -.

أليس ذلك من الطعن في هذه الكتب وفي هؤلاء الرسل؟ إن العقول تأبى هذا المنطق وتنفر منه أعظم نفرة؟

**الدليل العقلي الثالث**: فلنفرض كما تفرضون

عقلياً أن محمداً ليس نبيّاً، وأنه أكبر خطر على العالم. . . . فهل من المنطق العقلي أن يذكر من هو أقل خطراً منه ولا يذكر الخطر الأعظم. . .؟

هل من المنطق العقلي أن أصف السمكة القاتلة وسط الطوفان التي ربما تعض واحدًا من البشر أو لا تعضه ولا أصف الطوفان الذي سوف يجتاح البلاد والعباد ويحمل ما لا يحصىٰ من الأسماك؟

أليس من اللازم المنطقي أن يذكر الأنبياءُ محمداً لو كان رجلًا كاذباً خادعاً على هذا المستوى ويحذرون منه أشد التحذير كما حذروا كلهم من رجال خطرين كالمسيح الدجال الذي سيخرج قبل قيام الساعة.

إن عدم التبشير به أو التحذير منه من قِبَلِ الأنبياء - كما تزعمون - ليس في صالح الأنبياء السابقين ولا في صالح الكتب السابقة بل ضدهم؟ كيف وقد جاء التبشير بمحمد - عليه الصلاة

والسلام - الكريم واضحاً في صورة عهد أخذه اللَّه على كل الأنبياء أن يبشروا أقوامهم به وأن عليهم إذا بعث أن يؤمنوا به وينصروه، فمن ذلك ما جاء في سورة آل عمران آية ٨١: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

**الدليل العقلي الرابع**: أرأيت لو أن رجلًا ثرياً توفي وترك أولاداً، فتخاصم الأولاد على إرث أبيهم، وانتشر خبرهم في البلد كله، ورفع أمرهم إلى القاضي العادل... فهل ترى واحداً من هؤلاء سوف يجرؤ أن يقول: «قد أوصىٰ لي أبي وصية بأن تركته كلها لي، وعندي على ذلك صك وعليه شهودٌ من أبي» لو لم يكن عنده ذلك الصك والكتاب؟!

أتراه سوف يضحي بسمعته ومصداقيته في البلد

كله وهو يعلم أنه سوف يطالب بالصك والكتاب، ويطالب بالشهود؟ أليس كذلك..؟! إذن فكيف يعلن محمد في العالمين وعلى أعلى مستوى من الإعلان بأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه قد بشر به، أيمكن لأحدٍ أن يعلن هذا الإعلان لو لم يكن ذلك حقيقة؟!

وهو يعلم كثرة خصومه، وشدتهم وتكذيبهم؟! أما الإعلان المذكور فإنه قد ورد في القرآن الكريم بتبشير عيسى - عليه الصلاة والسلام - بمحمد - عليه الصلاة والسلام - في سورة اسمها سورة الصف فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

نعم هو دليل من القرآن و**العقل** الصريح يؤيده بنسبة ١٠٠٪ حتى لو لم تكونوا تؤمنون بالقرآن، إذ لا علاقة للشهادة - في موضوع ما - باتفاقك

مع الشاهد في دين أو منهج أو خلق أو عدمه، فالمطلوب هو صحة الشهادة من عدمها، وكم تختلف مع إنسان اختلافات كبرى لكنك تقبل شهادته.

**أستاذ الدراسات التوراتية:** أحسب أنك طفت بنا بعيداً عن نقطة الحوار، حين حاولت المجيء بأدلة عقلية على أن الأنبياء قد بشروا بمحمد، وهذه البشارات لا تعرف بالأدلة العقلية.. لأنك كما تقول إنها بشارات! أليس مقتضى هذا القول إلا إظهار تلك البشارات من التوراة والزبور والإنجيل، أو كتب سابقة لا نعرفها فأين تلك البشارات؟

ولا ينبغي أن نصنع كما صنعت الآن لما جئتنا بآيات من القرآن تبشر بمحمد! وهل تسمى بشارات إذا لم تسبق ما تُبشِّر به..؟!

هذه كتبنا بين يديك وقد رأيناها من قبل جيداً، و إني أرجوك أن لا تحتج كعادتك في كل مرة

بأنها محرفة ومزورة وما إلى ذلك.

فإن لـم تستطع أن تظهر منها كلاماً واضحاً ومحدداً على نبوة محمد فلتغلق موضوع البشارات من أساسه، ونبحث في موضوع آخر... ولا أحسب أمامك إلا هذا..؟!

بشارة باسم النبي عليه الصلاة والسلام

**أبـو حـامـد:** مـا جـاء فـي الـقـرآن مـن ذكـر للبشارات بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لـيـس هـو بـشـارات، إذ كـيـف يُـبـشِّـر بـه وهـو كتابه..؟! ولكنها إخبار بالبشارات التي ورد ذكرها عنه في الكتب السابقة للأنبياء، وفرق بين الاثنين كبير.. ثم هل ترى أحداً يجرؤ أن ينسب لنبي ما لـم يقل من الوصية وعنده من الأتباع والشهود على مر التاريخ ما لا يعد ولا يحصى ممن سيذبّون عنه لو كذب الآخرون عليه كما تحاول أنت الآن وأشد من ذلك، وسوف أبين لك وجود البشارات كما ذكرت لك؟!

ثم إذا كان في القرآن آلاف الأخبار المتنوعة

ولم تستطع أن تثبت كذبه في خبر واحد فكيف تستطيع إثبات كذبه في ذكر هذه البشارة والوصية من عيسى - عليه الصلاة والسلام - بمحمد عليه الصلاة والسلام؟!

وسوف أسرد عليك بعض النصوص من التوراة والإنجيل مع إيضاحات أو تساؤلات حول كل نص لتحديد المراد بتلك البشارات تحديداً، ومن طلب النور وهو في صحراء مظلمة وحصل على شمعة واحدة لم يتوقف حتى يجمع حزمة من الشموع، فإنه ربما لم يجد تلك الحزمة، لذا فالعقل يقول: خذ الشمعة الواحدة وسر بها واخرج من هذه الظلمة فوراً قبل أن تذهب شمعتك أو تذهب أنت طعاماً للوحوش... ولذا فلنكتفي بالدليل الواحد ما دمنا نطلب الحق ولا نطلب الغلبة في الجدال فإن «الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل» كما قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، كيف وقد حصلت خلال المجالس التي حضرتها على حزم من

الشموع، والآن ستأتيك حزم جديدة لن تستطيع إطفاء نورها إلا إن استطاع رجل في صحراء إطفاء نور الشمس بنفخة، فهاك البشارات من كتبكم بمحمد - عليه الصلاة والسلام - كنبيٍّ من الأنبياء وليس كمصلح فحسب.

يحيى يبشر به عليهما السلام

**البشارة الأولى**[1]: هذه البشارة بمجيء محمد - عليه الصلاة والسلام - حدثت حين أراد اليهود أن يتحققوا مِنْ يحيى - عليه الصلاة والسلام - عن النبي الذي بشر به موسى - عليه الصلاة والسلام - كما بشر بعيسى - عليه الصلاة والسلام -؟ أرسلوا له وفداً خاصاً من الكهنة واللاويين من أورشليم: فجاء «كهنة ولاويين ليسألوه من أنت: إيليا؟ فقال: أنا لست إيليا، فسألوه: أنت النبي؟ فأجاب: لا، فقالوا له: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية، قوموا

---

(١) لم أرتب البشائر حسب ورودها في التوراة ثم الإنجيل وإنما هو ترتيب موضوعي اجتهادي.

إلى طريق الرب، فَسَألوه وقالوا له: فما بالك تُعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي» إنجيل يوحنا في الباب الأول فقرة ٢١- ٢٥- .

**هنا** أسئلة محددة نرجو الإجابة المحددة على كل سؤال منها: مَنْ هذا «النبي» المذكور في هذا النص المعرف بألف التعريف؟ من هذا النبي الذي أصبحت رسالته حقيقة مستقرة عند علماء اليهود، وعند يوحنا، وجاء التبشير به هنا؟ أهو عيسى المسيح، أم أنه إيليا، أم تراه يوحنا أي «يحيى»؟

لقد أفتى «يوحنا» بهذا النص الإنجيلي الذي لا يحتمل التأويل بأن النبي المقصود ليس عيسى ولا إيليا ولا يوحنا عليهم الصلاة والسلام.

قولوا لنا من غير محمد - عليه الصلاة والسلام-؟

**يا أصحاب**: هاتوا كل علماء النصارى وليسموا لنا اسم هذا النبي؟ فإن قالوا: لا نعرف فالجهل ليس بحجة، ومن علم حجة على من لم

يعلم؟ وإن سموا لنا نبياً فليأتوا ببينةٍ، ومن أين البينة وهذه فتوى يوحنا في الإنجيل بيّنة، وهي فتوى عيسى نفسه - عليه الصلاة والسلام -، إنه ليس إلا محمد - عليه الصلاة والسلام - بشهادة هذا النص.

كيف وقد جاء الإخبار في القرآن بهذه الشهادة نفسها على لسان عيسى عليه الصلاة السلام، وذلك في سورة الصف، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٦].

البشارة باسم الشعب الجاهل

البشارة الثانية: جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سِفْرِ التثنية قوله عن اليهود: «هم أغاروني بما ليس إلهاً، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضاً أغيرهم بما ليس شعباً، وبشعب جاهل أُغْضبهم».

عندنا هنا أمران؛ أمرٌ متفق عليه بيننا وبينكم

والآخر نختلف فيه، أما المتفق عليه فهو: أن الخطاب لليهود الذين أثاروا غيرة اللَّه بعبادةِ ما ليس بإله، واتخاذ معبودات باطلة... وأما الأمر المختلف فيه فهو: أن اللَّه سوف يثير غيرتهم بإعلاء شعب جاهل عليهم فمن هو هذا «الشعب الجاهل» المقصود في هذا النص المقدس الذي سوف يسلطه اللَّه على اليهود؟ قال أغلب مفسري الإنجيل: هم اليونانيون! ونحن نتساءل: هل ينطبق هذا الوصف على اليونانيين؟ هل هم الشعب الجاهل؟

الجواب، قطعاً لا؛ «لأن اليونانيين قبل ظهور عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأزيد من ثلاثمائة سنة كانوا فائقين على العالم كله في العلوم والفنون، وكان أكثر الحكماء المشهورين مثل سقراط وبقراط وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس وأرشميدس وبليناس وإقليدس وجالينوس وغيرهم الذين كانوا أئمة الإلهيات

والرياضيات والطبيعيات وفروعها قبل عيسى - عليه الصلاة والسلام - منهم. وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق»[١].

فهل يصح أن يوصف اليونانيون بأنهم شعب جاهل وهم أعلم شعوب الأرض آنذاك..؟!

إنهم أبعد الشعوب عن هذا الوصف.

فمن هو الشعب الجاهل غير العرب الذين كانوا أجهل الأمم بالعلوم والفنون منذ نزول المسيح حتى بعثة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -؟

ولو تأملت جيداً القرآن والإنجيل لوجدت الوصف بـ «الجهل» للعرب يكاد يكون متحداً، فصفة العرب في الإنجيل «شعب جاهل» وصفتهم

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١١٣٣) للشيخ العلامة رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي.

في القرآن «الأمة الأمية» كما في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢].

فكان العقاب لليهود بالعرب مضاعفاً إذ كان اليهود علماء، والعرب جهلة، وصاحب العلم يحتقر الجاهل فكان تسليط العرب عليهم عقاباً لليهود كبيراً، وما من أحد في العالم يَخفى عليه حسد اليهود بشكل عام، وحسدهم لهذه الأمة بشكل خاص، قد ذكر اللّه عن ثوران حسد اليهود كثيراً في القرآن الكريم ببعثة هذا النبي من العرب، فجاء في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الشاهد العقلي مِن هذا هو توافق النص

التوراتي مع النص القرآني على هياج صفة الحسد في نفوس اليهود نحو العرب من بعد ما أصبحوا مسلمين متبعين للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فكما ورد في التوراة الإشارة لحسدهم بقوله: «**وأنا أيضاً أغيرهم بما ليس شعباً**» فقد بين القرآن تحقق ذلك الموعود في قوله: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾.

أليست النتيجة دالة على المقدمات... فإذا كان اللَّه تعالى قد وعد اليهود بذلك وتحقق وعد اللَّه باطناً وظاهراً... فعلامة الباطن هي الحسد في نفوسهم، وعلامة الظاهر هي رفعة العرب عليهم... فهل بعد هذا من علامة؟ وهل يمكن إنكارها؟

البشارة باسم جبل فاران

**البشارة الثالثة**: في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «**جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، ومعه ألوف**

الأطهار، عن يمينه ألسنة من نار».

**وهذه بشارة من جهتين: أما الجهة الأولى:**

فمعلوم لدى الجميع أن المقصود بقوله: «**جاء الرب من سيناء هو إعطاء اللَّه التوراة لموسى - عليه الصلاة والسلام -** . . .» ومعلوم لدى الجميع أن المقصود بقوله: «**وأشرق لنا من ساعير**» هو إعطاء اللَّه الإنجيل لعيسى - عليه الصلاة والسلام - و«**ساعير**» هي المنطقة جنوب البحر الميت في جنوب فلسطين[١].

وسؤالنا هو: من هي «**فاران**» التي استعلن الرب منها. .؟

والجواب القاطع: إنها «مكة» ليس إلا بدليل التوراة نفسها، فقد جاء في سِفْرِ التكوين التصريح بأن المراد بـ«فاران» مكة، فمن المتفق عليه بين جميع أهل الملل والتاريخ أن إسماعيل لم يتربَّ

(١) معجم البلدان (٣/ ١٧١)، وقاموس الكتاب المقدس ص١٦٣، ٤٦٦.

ويترعرع ويكبر إلا في مكة، وعلى هذا جاء النص في التوراة عن إسماعيل «**وسكن في برية فاران**»! الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين رقم ٢٠.

وهذا أيضاً ما جاء موافقاً للقرآن إذ أشار القرآن لمناطق الأنبياء الثلاثة في سورة التين وذلك في قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

فالتين والزيتون هي: أرض فلسطين لأنها موطن التين والزيتون، وطور سينين هي: سيناء حيث موسى - عليه الصلاة والسلام -، وهذا البلد الأمين هو: مكة.

وقد جاء النص في القرآن على سُكنى إسماعيل مكةَ في قول اللَّه عن إبراهيم في سورة إبراهيم آية رقم ٣٧ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى

زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

أما من جهة ثانية: فهذهِ بشارة واضحة بفتح محمد وصحبه لمكة وهذه أكثر تحديداً من الأولى.

فكُتُب السِّير تذكر أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - حين خرج فاتحاً مكة خرج لها بعشرة آلاف مقاتل من أصحابه، وأنه وقف مع الجيش قبل دخول مكة في منطقة مرتفعة على حدود مكة، وأمر أصحابه أن يشعل كل واحد شعلة من النار من العشب لتنزل المهابة في قلوب أهل مكة، فيستسلمون من غير قتال، وبهذه الخطة لم يحدث قتال وحماهم اللّه من القتل.. هذا لم يخالف فيه أحد من أهل السير.

والآن بإمكانك أن ترجع لسفر التثنية ٣٣ رقم ٢ - ٣ فستجد هذه العبارة تحديداً: «جاء الرب

من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، عشرة آلاف قديس معه. . . وعن يمينه نار مشتعلة فأحب الرب، وحمى من ينتسبون إليه».

وسؤالنا: هل بقي بعد هذه العلامات المجتمعة في هذه النصوص التوراتية من شك في أن المقصود بالمبشر به محمد - عليه الصلاة والسلام -. . ؟!

بشارة عيسى عليه الصلاة والسلام

**البشارة الرابعة:** هذه الآية في سفر التكوين هي وعدٌ وبشارة من اللّه لإبراهيم في ولده إسماعيل فقال: «**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة**» سفر التكوين ١٧/ ٢٠ .

من هم ذرية إسماعيل الذين وعد اللّه أن يكثرهم ويباركهم ويثمرهم. . ؟!

هل اليهود من ذرية إسماعيل؟ أم النصارى، أم من؟

أليس هم العرب؟

لكن متى كان العرب أمة عظيمة إلا ببعثة محمد فيهم. . . ؟

حدد النص التوراتي أن الأمة الكبيرة سوف تكون من نسل إسماعيل، وفي التحديد بالنَّسَب دقةٌ لا يمكن أن تكون مثلها دقة، فالأنساب المحفوظة تقطع الالتباس، بينما لو حدده بالدين أو المعتقد أو ما إلى ذلك لربما قال اليهود هي أمتنا ولقال النصارى هذا تابع لمعتقدنا، لكن التحديد جاء بذرية إسماعيل.

وهذا الوعد ما جاء شاهدهُ في القرآن بدعاء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - حيث قال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

البشارة باسم العاقر: مكة

**البشارة الخامسة**: سفر أشعيا ٥٤ / ١ -١٧ ط

١٨٦٥ : «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلدي، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب: أوسعي مكانك وخيمتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة. . .».

لا شك أن الخطاب هنا لأرضٍ معينة من أرض اللَّه. . . لكن مَن هذه الأرض «العاقر» التي لم تلد الأنبياء من بعد إسماعيل - عليه الصلاة والسلام -؟. . أهي أرض مصر التي ما عقرت بعد هذه البشارة أبداً لأنها الأرض التي بعث فيها موسى - عليه الصلاة والسلام - ومن بعده من الأنبياء؟ أم هي أرض الشام التي بعث فيها داود ومَنْ بَعْدَه؟ أم هي الجزيرة العربية التي عُقرت من بعد إسماعيل فلم يُبعث فيها أحد، ولم تلد من بعد هذه البشارة أي نبي إلى أن بُعِث محمد -

عليه الصلاة والسلام -؟

هذه واحدة، ثم من المرأة «المستوحشة» التي ورد ذكرها في النص؟ أهي «سارة» زوجة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - الحُرّة التي عاشت في مصر وما رأت وحشة فهي أم إسحاق ويعقوب وأنبياء بني إسرائيل -عليهم الصلاة والسلام-؟ أم هي «هاجر» أم العرب لأنها أم إسماعيل والذي منه محمد بن عبد اللّه - عليه الصلاة والسلام -؟ لقد عاشت هاجر الوحشة - في صحراء مكة - وجاء الخطاب بذكرها ووصفها ووصف ولدها صريحاً بذلك: «وقال لها ملاك الرب ها أنت حُبْلَى، فتلدين ابناً وقد عين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذَلَّتِك، وأنه يكون إنساناً وحشياً» سفر التكوين ١٦ / ١١، ١٢ فهل بعد هذا التحديد اليقيني من تشكيك.

البشارة السادسة: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون من

البشارة باسم قيدار

البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها وصوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالخ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر»... سفر شعباء الإصحاح الثاني والأربعون ١٠ -١٢ العهد القديم ٣ - ٨ .

في هذا النص تحديد البشارة أكثر وتحديدها باسم الجَدّ، وهذا ما لا يوجد له نظير، فقيدار هذا هو ابن إسماعيل الثاني عشر باتفاق المؤرخين...؟ وقبيلتي ربيعة ومضر من ولده و محمد بن عبد اللّه - عليه الصلاة والسلام - من مضر؟ فهل بقي بعد هذا من احتمال آخر؟ لقد قطعت هذهِ التسمية كل احتمال؟

ثم تعالوا ننظر في جو هذا النص العجيب الذي يصف العالم يومها، ولنتساءل: هل حصل التسبيح للّه ملء البر والجبال والبحر وجزائره مثلما حصل بعد بعثة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

هل يرى أهل الأرض تسبيحاً للَّه على ظهر هذه الأرض كلها مثلما يرونه في حج المسلمين إلى الكعبة..؟!

هل يرفع أحدٌ من العابدين صوته في الأرض كما يرفع المسلمون أصواتهم بالتلبية للحج وهم ينطلقون من بلادهم وجزائرهم وجبالهم وبراريهم مثلما يرفعون أصواتهم بالتلبية.

وقد جاءت الإشارة الواضحة في سفر أشعيا ٦٠ للحج وأعمال الحج فتأملها فإنها لا تحتاج إلى كثير تفكير.. إشعيا ٦٠ النص: «قُومِي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه ها هي الظلمةُ تغطي الأرضَ والظلامُ الدامسُ الأممَ، أمّا عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يُرى، فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك.

ارفعي عينيك وانظري حواليك، قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتي بَنُوكِ من بعيد وتحمل

بناتك على الأيدي. . لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجِمال بُكرانُ «مديان وعيفة»، كلها تأتي من «شبَا» تحمل ذهباً ولُباناً وتبشر بتسابيح الرب، كل غنم «قيدار» تجتمع إليك، كباش «نبايوت» تخدمك، تصعد مقبولةً على مذبحي وأُزين بيت جَمالي.

مَن هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها، إن الجزائر تنتظرني وسفن «ترشيش» في الأول لتأتي ببنيك من بعيد. . وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونكِ».

نحن نعلم أن اليهود قد زادوا على هذهِ البشارة كلمتين ليغيروا مجرى هذهِ البشارة حين قيدوها في نبوءة نسبوها لأشعيا ٢ : ٢-٢ ميخا ٤ : ٤، ٢ وهو أن هذا الحج العالمي سيتم إلى جبل صهيون إلى بيت إله يعقوب:

ومهما غير اليهود فماذا يمكن أن يقول اليهود بهذهِ النبوءة التي فضحتهم إذ يقول فيها النص:

«وأزلزل كل الأمم ويأتي «مشتهى»، كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود: لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود». حجيّ ٢: ٦ - ٨ .

فكيف يستطيع المعاندون الفكاك من هذهِ البشارة الواضحة على مستوى العالم كله، فإثبات هذهِ البشارة لا يكلفك أكثر من أن تفتح فضائية من الفضائيات كقناة المجد أو السعودية أو أي فضائية خليجية بأي لغة من اللغات في موسم الحج لترى ما ذكرته هذهِ النبوءة بعينيك، وترى إلى بيت اللّه هذا الذي يجتمع حوله المسبحون للّه غير الكعبة، وترى بعينيك كيف أن هذا النقل الحي للعبادة في هذا المكان لا يقتصر على الحج وإنما تنقل للناس صلاة الحشود حول الكعبة خمس مرات كل يوم وعلى الهواء مباشرة، وعلى

مدى الحياة إلى يوم القيامة.

ثم لك أن تتساءل: هل من بيت آخر في هذهِ الأرض كلها يُعْبد اللَّه فيه كما يعبد اللَّه حول هذا البيت؟

وهل مرّ على تاريخ هذه النبوءة - أي من أكثر من ثلاثة آلاف سنة - أن عُمِّرَ مسجد في الأرض مثل هذا المسجد (الكعبة)؟

من يجرؤ على تحويل هذهِ البشارة لغير الكعبة وهو يرى ملايين الجمال والكباش كما جاء في هذهِ النبوءة تماماً تقدم سنوياً لتذبح في موسم الحج في مكة تقرباً للَّه لإطعام الفقراء والمساكين.

وإذا اختلط على البعض الكباش فكيف تختلط الإبل؟

حتى البهاء الذي تذكره هذهِ النبوءة هو مِيزة ظاهرة للكعبة وحولها جموع العابدين محتشدين كأنهم أساور الذهب متراصة حولها.. لك أن

تجعل منظر الهيكل كما هو في مخيلة اليهود في جهة واجعل في الجهة الأخرى منظر الكعبة كما هو في الواقع لا في الخيال ثم احكم بنفسك: أيهما أَليق بالصورة التي ذكرها هذا النص؟ ثم أي دقة في هذه البشارة حتى تذكر أن الأمم من أطراف الأرض يأتون إليها... فأي أناس غير اليهود يأتون للهيكل كما هو في مخيلتهم؟

وأي دقة في الدقة حين تذكر هذهِ البشارة من وسائل القدوم إلى هذا البيت هو القدوم عن طريق الجو في منظر عجيب يذكره هذا النص الذي لا ترى له تفسيراً غير الطائرات حيث يقول: «من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها».

وهنا أود أن ألفت انتباه القارئ إلى بعض الآيات القرآنية الواردة في رافع بناء هذا البيت العظيم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بقوله تعالى ليقارن هو بين النصوص الواردة في الكتب

السماوية: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج. ٢٦ - ٢٩].

فهل سيقول اليهود إن هذا عن المسجد الأقصى علماً بأن المسجد لم يُبن إلا بعد خمسمائة عام بعد إبراهيم على عهد داود عليهما السلام والنص التوراتي يحدد المسألة تحديداً دقيقاً لأي المسجدين ستكون هذه البشارة، فيقطع بأنها للمسجد الأخير فيقول: [تجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود.

[البشارة بـ[ملكوت السماوات]]

**البشارة السابعة**: جاء في إنجيل (متى ٣: ١، ٢): «**في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في البرية اليهود قائلًا: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات**».

فأي شيء هذا الذي بشر به يوحنا المعمدان في برية اليهود وسماه «ملكوت السماوات»؟

أهو ملك عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

الجواب: لا قطعاً، إذ كيف يبشر يحيى بعيسى وقد تعاصرا في وقت واحد؟ إذن فهو يبشر بِمُلْك شخص سوف يأتي؟

وكيف يبشر يحيى بعيسى وعيسى نفسُه بشّر بنفس البشارة التي بشّر بها يحيى؟ فقد جاء في إنجيل متى ٤: ١٢ - ١٧ «ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل»، «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات»، و«كان يسوع يطوف كل الجليل يُعلِّم في مجامعهم، يكرز

ببشارة الملكوت».

ولـم تكـن هذه البشارة هي مهمة عيسى نفسه فحسب، بل أوصى عيسى الحواريين في عهده ومن بعده أن يوصوا بها، فقد أخذ يرسل الحواريين إلى البلاد لإبلاغهم هذه الرسالة على وجه الخصوص فقال لهم: «**وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات**» فهي مهمة من أعظم مهمات عيسى - عليه الصلاة والسلام - التي أمر بتبليغها مهما كانت الظروف، وقد جاء في إنجيل لوقا: «**وأي مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم، واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت اللَّه، وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها، حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم، لكن اعلموا هذا: أنه قد اقترب منكم ملكوت اللَّه**» إنجيل لوقا الباب العاشر (٩، ١٠، ١١، ١٢).

فإذا لم تتحقق البشارة «**بملكوت السماوات**» في عهد عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ولا يوحنا، ولا تلاميذ عيسى - عليه الصلاة والسلام - لأنهم بشروا كذلك كما بشر من قبلهم بذلك. . . ففي من تحققت البشارة؟

بعض المفسرين عندكم قالوا: إن البشارة هنا باليونانيين أو الذين استلبوا الأقصى، ولكن أيصح أن يمتدح ويعظمُ يسمى «**ملكوت السماوات**» لمن ظلم اليهود واستباهم، وهدم الأقصى، ودمر بيت اللَّه ودمر مملكتهم تدميراً كاليونانيين وغيرهم؟

مهما حار المفسرون عندكم وداروا فلن يجدوا محيداً من إنزال هذه البشارة على محمد وأمة محمد التي قال عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه كما في إنجيل متى: «**لذلك أقول لكم إن ملكوت اللَّه ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره**» فهل اليونانيون والمجرمون والقتلة يعملون أثماره؟

لقد أغضب عيسى - عليه الصلاة والسلام -

اليهود حين بيّن لهم من خلال مَثَلٍ واضح أنهم لا يستحقون هذا الإرث الرباني، لأنهم قابلوا نعم اللَّه بالكفر، والغدر بالأنبياء... فلا بد أن ينزع منهم ملكوت اللَّه فاستمع لهذا المثل العجيب الدقيق في إنجيل متى في النص الإنجيلي ١ متى ٢١ : ٣٣-٤٥ .

(اسمعوا مثلًا آخر: غرس ربُّ بيتٍ كَرْماً، فسيّجه وحفر فيه معصرة وبنى بُرْجاً وآجره بعض الكرامين، ثمّ سافر، فلمّا حان وقت الثمر أرسل خَدَمه الى الكرّامين ليأخذوا ثمره، فأمسك الكرامون خدمه فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر. فأرسل أيضاً خدماً آخرين أكثر عدداً من الأولين، ففعلوا بهم مثل ذلك. فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر، وقال: سيهابون ابني، فلما رأى الكرامون الابن، قال بعضهم لبعض: هو ذا الوارث، هلمّ نقتله ونأخذ ميراثه. فأمسكوه وَأَلْقَوْه في خارج الكرم وقتلوه. فماذا يفعل ربّ

الكرم بأولئك الكرامين عند عودته؟ قالوا له: «يُهلك هؤلاء الأشرار شرّ هلاك، ويؤجر الكرم كرامين آخرين، يؤدون إليه الثمر في وقته». قال لهم يسوع: أما قرأتم قطّ في الكتب: «الحجر الذي رذله (رفضه) البناءون هو الذي صار رأس الزاوية، من عند الربّ كان ذلك، وهو عجيب في أعيننا» لذلك أقول لكم: «إنّ ملكوت اللّه سيُنزع منكم ويُعطى لأمّة تُثمر ثمره، من وقع على هذا الحجر تهشّم، ومن وقع عليه هذا الحجر حطّمه». فلمّا سمع عظماء الكهنة والفريسيون أمثاله، أدركوا أنه يعرِّض بهم في كلامه، فحاولوا أن يمسكوه، ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يُعدونه نبياً).

فهل من وضوح مثل هذا الوضوح..؟! تعالوا نسير خطوة خطوة مثلما سار هذا النص.

هل من أمة تفضّل اللّه عليها مثل اليهود كما هو المثل في منحهم ولاية هذا البستان..؟!

وهل من مثلٍ للأنبياء مثل الرسل الذين أرسلهم لليهود من صاحب البستان لمن ولّاهم شأن البستان. .؟!

فهل من أمة قتلت الأنبياء مثل أمة اليهود كما فعل أصحاب البستان. .؟!

وهل من تحديد أكثر من أن ينص على أن صاحب البستان أرسل ابنه لمن منحهم ولاية البستان فقتلوه؟ أليس هذا المثل لعيسى واسم الابن يُحْمَل على معنى التشريف كما مر معنا ذلك من قبل؟

وهنا السؤال: ألم يذهب عيسى إلى ربه من هذهِ الأرض وهو الأخير في هذا المثل، فمن جاء بعد عيسى بالنبوة؟

الجواب: لا أحد قال بعد عيسى إنه نبي جاء من عند اللَّه إلا محمد - عليه الصلاة والسلام -.

لقد أوضح النص أن نهاية هؤلاء اليهود مع البستان بنهاية عيسى.

وقد أورد هذا المثل كذلك لوقا (٢٠ : ٩-١٩) مع اختلاف :-

«فقال المسيح عليه السلام لجموع اليهود المجتمعة حوله، فما ترون أن يصنع المالك بهؤلاء الأُجَراء فقالوا: يقتل بالتأكيد هؤلاء الأشرار، ويُعطى البستان لمستأجرين آخرين، فكان تعليق المسيح على ردِّهم عجيباً ولكنّه بيّناً. . قال: «ألم تقرأوا بالكتب أنَّ الحجر الذي رفضه البناؤون لعدم قيمته قد غدا أهم حجارة البناء: لقد صنع ذلك الربّ، وإني أخبركم بأنّ مملكة اللّه ستؤخذ منكم، وتُعطى لأمّة تنتج ثمارها الصحيحة، وأدرك رؤساء الكهنة اليهود ما يعنيه هذا المثل فغضبوا وأرادوا اعتقال المسيح لولا خوفهم من الجماهير التي كانت تؤمن بالمسيح كنبي».

أجيبونا يا معاشر المفسرين عن أي حجر يتحدث عيسى - عليه الصلاة والسلام -، وعن أي بناء؟

أليس هذا البناء هو بناء الأمم مِن بدء الخليقة إلى عهد عيسى؟

لعل بعضكم سيقول إن الحجر الذي رفضه البناؤون هو عيسى... لكن هذا الفهم يصطدم بما بعده من العبارة الصريحة: «وإني أخبركم بأن مملكة اللَّه ستؤخذ منكم وتعطى لأمة تنتج ثمارها الصحيحة».

فإذا ذهبت مملكة اللَّه منكم كما هو النص هنا فلمن ذهبت بعد أمة عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

ثم إن عيسى لم يذكر ذهاب مملكة اللَّه منهم فحسب، وإنما ذكر أن مملكة اللَّه سوف تعطى لأمة أخرى تنتج ثمارها الصحيحة.

البشارة بالهجرة وغزوة بدر

البشارة الثامنة: البشارة الواضحة بالهجرة النبوية وبغزوة بدر وبانتصار المسلمين.

«وحيٌ من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين هاتوا ماء لملاقاة

**العطشان، يا سكان تيماء وافوا الهارب بخُبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقيّةُ عدد قسيّ أبطال بني قيدار تقِلّ».**

بشارة صريحة بأنها لبلاد العرب، وهي تذكر «**ديدان وتيماء**» مدينتان يهوديتان ضمن أحياء المدينة المنورة وهي المدينة التي خرج إليها النبي - عليه الصلاة والسلام - مهاجراً من بلده مكة، فأي تحديد أكثر من هذا؟

ثم يأمر في هذا النص بشكل صريح السكانَ اليهود لمدينتي «**ديدان**» و«**تيماء**» بنصرة هذا المهاجر من قومه كما قال: «يا قوافل الددانيين هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان تيماء وافوا الهارب بخبزه».

ثم يذكر النص بدقة عجيبة كيف تمت هجرة

النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في تلك الليلة، فمن قرأ تاريخ الهجرة، عرف الدقة في هذا النص حيث تذكر جميع المراجع التاريخية كيفية خروج النبي - عليه الصلاة والسلام - من بيته في ليلة الهجرة وكلها تتفق على أن أعداءه اتفقوا على أن يقتلوه ويضيعوا دمه بين القبائل العربية كي لا يطالب به قومه كما لو قتلته قبيلة بعينها، فاختاروا عشرة شباب، كلٌ واحد من قبيلته، ومع كل واحد سيف، فإذا خرج من باب بيته ضربوه ضربة رجل واحد وتخلصوا منه، فحماه اللّه وخرج من بينهم ولم يشعروا به أبداً، وهذا ما ورد في هذا النص العجيب حيث يقول: «**فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب**».

ثم تأتي العلامة العجيبة الأخرى محددة بالوقت، فبعد الهجرة بسنة واحدة وقعت أولى غزوات النبي - عليه الصلاة والسلام - مع سادة

العرب الممثلين بقبيلة قريش، وهزمهم، وقتل أكبر صناديدها، وبعدها ضعفت قبيلة قريش، وهذا ما أشار له بوضوح في آخر هذه البشارة العظيمة حيث قال: «**فإنه هكذا قال السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبَقيَّة عدد قسي أبطال بني قيدار تقل**».

ومن عرف «قيدار» عرف دقة هذه النبوة والبشارة بمحمد - عليه الصلاة والسلام - فقيدار هو الابن الثاني عشر من أبناء إسماعيل كما مر معنا، وقريش هي القبيلة العربية التي تتفاخر بالانتساب إلى إسماعيل وقيدار، وما خرجوا لهذه المعركة إلا عصبية لهذه النعرة وهذا الانتساب، وما أن انتهت معركة بدر المشار لها في هذا النص إلا وقد قُتل سبعون رجلًا من صناديد قريش ووقع في الأَسْرِ منهم سبعون ورجع بقية الألف مهزومين، وذهب أكثر مجد قيدار بهذه المعركة تحديداً. . . فلقد ضعفت العصبية القبلية العربية

وحلت بدلًا منها الأخوة الإيمانية.

البشارة ببسم الفارقليط

البشارة التاسعة: قال عيسى - عليه الصلاة والسلام - في وصيته: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم، و«الفارقليط» روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا.

أُستاذ الدراسات التوراتية موشي: - أما هذه البشارة فإن من التكلف تحولها من يسوع إلى محمد فنحن كمدرسين لهذه المادة نقطع بأن تفسيرها الوحيد هو يسوع، فيسوع هو الفارقليط، وهو من لبث معهم إلى الأبد وهكذا كان، وهو من أرسله الأب باسمه يكلم الناس باسمه.

فأين البشارة بمحمد وأين الإشارة له؟!

أبو حامد: أنا لا أُريد أن أقول لك إنك تقول ما لا تعتقد، أو تقول لتشبك هؤلاء في هؤلاء فهذا ليس بغريب على طبيعتكم، ولكني أرجوك أن تنظر لهذا النص بعين الإنصاف والتجرد وسترى أن هذه البشارة من أعظم البشائر بنبي اللَّه محمد - عليه الصلاة والسلام - أنا لن أتحدث هنا بما أنا مقتنع به وهو أن اسم الفارقليط معناه محمد.. وذلك لأن الفارقليط له واحد من معنيين، فإما أن يكون معناه محمد أو أحمد، وإما أن يكون معناه المعزي أو المثبت أو الشافع... وكل هذه من أسماء النبي محمد وأوصافه كما هو ثابت في الإسلام. هذا بالإضافة لإثبات ذلك بدراسة لغة الأحرف المرقمة التي لا أريد التشعب بذكرها.

ورغم أن المعني بالفارقليط واضح غاية الوضوح وهو: النبي محمد ليس غيره إلا أن جمهور النصارى يقولون إن المراد به هو عيسى -

عليه الصلاة والسلام -. . . وكأن الغاية عندهم هي أن يصرفوا كل بشارة عن محمد بكل طريقة حتى لو كان النص واضحاً غاية الوضوح كهذا النص.

ولكأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - يعرف نكران القوم فأكد لهم بكل طرائق التأكيد لئلا ينكروا. . فقال لهم في أولها: «إن كنتم تحبونني» وهذه لا يقولها الإنسان ليطلب لنفسه كأن يقول: إذا كنت تحبني فأحب فلاناً لأجلي أو أطع فلاناً فطاعته طاعة لي أو نحو ذلك.

ثم سماها وصية، والوصية عادة ما تكون معلقة بما بعد نهاية الإنسان.

وهنا نعود لنسأل: هل من المناسب لو كان عيسى - عليه الصلاة والسلام - يقصد بالفارقليط نَفْسَه لقال: «**فارقليط آخر**»؟

وهل لو كان يريد نفسه بالفارقليط لقال «هو يذكركم كل ما قلته لكم»؟

بالله عليكم هل لو كان يريد نفسه «**بالفارقليط**» لقال له: **والآن قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا**. . ؟!

وهل لو كان مراده نفسه لقال: «**هو يشهد لأجلي**» . . ؟!

وهل لو كان مراده نفسه بالفارقليط لقال: «**إن لم أنطلق لن يأتيكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم**» ؟!

البشارة ... : من ... مثل موسى؟

**البشارة العاشرة**: جاء في العهد القديم نفسه في سفر التثنية الإصحاح ١٨/ الفقرة ١٨ .

في خطاب الله لنبيه موسى - عليه الصلاة والسلام -: «**أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به**»

الأستاذ جيكوب: هذه الآية نعرفها جيداً، وهي خاصة بيسوع ومن العجب أن يذكر أحد أن له علاقة بمحمد، فهذه أول مرة أسمع أن هذه

الآية تشير لمحمد! والدليل على أن المقصود بها هو يسوع ظاهر، وذلك قوله: «إخوتهم» وأخوة اليهود هم النصارى!

وقوله: «**مثلك**» ومن مثل موسى إلا يسوع، فيسوع نبي وموسى نبي، ويسوع يهودي وموسى يهودي.

أبو حامد: أنا أعجب كيف سَلِمتْ هذه الآية من يد التحريف رغم ما حُرّف من التوراة؟

وكيف حَذَفَتِ الأيدي الخفية من التوراة الكثيرَ من أوصاف النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بينما هذه الآية لم تحذف؟!

ومع هذا أقول: دعنا من البحث العاطفي ولنرجع إلى البحث العقلي، ولننظر هل تنطبق كلمات هذه الآية على عيسى أم على محمد عليهما الصلاة والسلام؟ مع ملاحظة أن عقيدتي في أن كلا الاثنين نبي من عند اللّه - عليهما الصلاة والسلام -، لكننا هنا نريد أن نحتكم إلى

العقل في نص موجود أمامنا لنرى أي الفهمين صحيح.

يقول الرب لموسى - عليه الصلاة والسلام -: **«أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به»**.

لقد وضع اللَّه علامة التعريف بذلك النبي أنه مثل موسى - عليه الصلاة والسلام-، فإذا كان منتهى الشبه والمثلية ما بين موسى - عليه الصلاة والسلام - وعيسى - عليه الصلاة والسلام - هو كونهما نبيين ويهوديين فهذا الوصف موجود في كل أنبياء بني إسرائيل ما بعد موسى - عليه الصلاة والسلام - ممن تعترفون بنبوتهم مثل سليمان، وأشعياء، وحزقيال، ودانيال، ويوحنا المعمدان، ويوشع، وغيرهم فما ميزة عيسى - عليه الصلاة والسلام - عن هؤلاء الأنبياء الذين هم من اليهود مثل عيسى -عليه الصلاة والسلام-؟!

فكونه قال: «نبياً» فهو واحد من هؤلاء الكرام،

وبما أن هؤلاء كلهم متشابهون فيما ذكرنا فإن كل هؤلاء يخرجون من الحسبة لأنهم جميعاً متشابهون، كيف ويوجد نص توراتي في سفر الثنية ينص على عدم وجود نبي من بني إسرائيل كموسى في (٣٤: ١٠) يقول: [ولم يقم من بعد في إسرائيل نبي كموسى] **ويبقى الواجب أن نبحث عن واحد ينفرد بصفات أخرى عن هؤلاء جميعاً.**

ثم إنك تجد أوجه الاختلاف ما بين عيسى - عليه الصلاة والسلام - وموسى - عليه الصلاة والسلام - كثيرة جداً بينما أوجه التشابه ما بين محمد وموسى - عليهما الصلاة والسلام - كثيرة جداً. . . ولبيان ذلك فإننا نسأل:

هل ولد عيسى من أبوين مثلما ولد موسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. . ؟!

الجواب: لا.

هل كان عيسى متزوجاً مثلما تزوج موسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. . ؟!

الجواب: لا.

هل كان عيسى صاحب شريعة مستقلة مثل موسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام..؟!

الجواب: لا.

هل ولد لعيسى أولاد مثلما أصبح لموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام..؟!

الجواب: لا.

هل جمع عيسى بين الرسالة والحكم مثلما جمع موسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام..؟!

الجواب: لا.

هل مات عيسى مثلما مات موسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام..؟!

الجواب: لا[١].

وثمة أحداث أخرى جعلت المثلية بين الاثنين أكبر وأكثر.

---

(١) هذه النقاط المذكورة منقولة من أحمد ديدات بتصرف.

محمد جاءته الرسالة وهو في الغار بعيداً عن أهله كما جاءت الرسالة موسى - عليهما الصلاة والسلام - وهو في سيناء بعيداً عن أهله.

محمد - عليه الصلاة والسلام - وقعت في حياته هجرة من بلده وموسى - عليه الصلاة والسلام - وقعت له هجرة من بلده كذلك.

محمد - عليه الصلاة والسلام - واجه في حياته قوماً أشداء على رأسهم رجل يلقب بفرعون هذه الأمة واسمه «أبو جهل» وموسى - عليه الصلاة والسلام - واجه قوماً أشداء على رأسهم رجل يلقب بفرعون «فرعون مصر».

محمد - عليه الصلاة والسلام - كان سبباً في قتل فرعون العرب «أبو جهل» وموسى - عليه الصلاة والسلام - كان سبباً في قتل فرعون مصر غرقاً.

محمد - عليه الصلاة والسلام - عاد إلى بلده مكة بعد إخراجه منها وفتحها وحكمها، وموسى

عاد إلى مصر بعد ما خرج منها وفتحها وحكمها.

هل بقي بعد هذا ريب بأن المبشر به في هذه الآية من هذا السفر هو محمد وليس عيسى - عليه الصلاة والسلام -.

وأخيراً ألست معي بأن أولئك المحرفين لو اكتشفوا هذه الآية لحذفوها قبل أن تصبح حجة عليهم.

**الأستاذ جيكوب**: إذا سلَّمنا لك في قوله في الآية «**مثلك**» فأين تفر من قوله: «**من وسط إخوتهم**» أليسوا هم اليهود؟ أليس إخوتهم اليهود الذين أصبحوا فيما بعد نصارى؟

**أبو حامد**: المشكلة أنكم تلقيتم تفسير الآيات الواردة في التوراة والإنجيل كمسلَّمات كما تلقيتم الآيات نفسها، وهذه في الحقيقة هي لب المشكلة، لذا أنا لم أنازعكم في الآية ولا أريدكم أن تفهموا ذلك ولكني أريدكم أن تنظروا في التفسير من خلال **العقل** والواقع والتاريخ.

يا أستاذ «جيكوب»: هذا الخطاب من اللَّه لمن..؟! أليس لليهود..؟!

أليس الضمير في: «إخوتهم» يرجع إلى إخوة اليهود لا إلى اليهود؟ فمن هم أخوة اليهود..؟!

أليسوا هم العرب، ذلك أن أب العرب «إسماعيل»، وأب اليهود «إسحاق» وهما أخوان، ولو أراد «اليهود» أنفسهم لقال: «أقيم لهم نبياً من وسط أنفسهم» كما خاطب اللَّه العرب حين بعث محمداً من العرب فقال لهم: كما قال في القرآن للعرب عن محمد: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

بل جاء النص في سفر التكوين عن تسمية إسماعيل أخاً لليهود إذ قال: «وأمام إخوته يسكن» ١٥/١٨.

فأي وضوح أوضح من هذا يا أستاذ..!

لقد اجتمع في هذا التعريف قطباه، وهو كونه

جامعاً مانعاً، فلقد أخرج بالكلمة الأولى (**مثلك**) عيسى ابن مريم أساساً من المعادلة، وأخرج كل من لم يماثل موسى - عليه الصلاة والسلام -، كما أخرج بالكلمة الثانية «**إخوتهم**» جميع أنبياء بني إسرائيل، فخلصت النتيجة وأصبحت لا تحتمل إلا محمداً - عليه الصلاة والسلام -.

**البشارة الحادية عشر**: البشارة بوصف النبي محمد «برئيس العالم وبأوصاف أخرى»، ففي إنجيل يوحنا (١٤/ ٢٥ - ٣١): [يقول عيسى: بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى، الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم. سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا، لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب، سمعتم أني قلت لكم: **أنا أذهب ثم آتي إليكم**، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون، لأني قلت: أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم مني، وقلت: لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان

تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء ولكن ليفهم العالم أني أحب الأب، وكما أوصاني الأب هكذا أفعل، قوموا ننطلق من هاهنا].

وهذه البشارة من الوضوح بحيث تجد لكل كلمة من كلماتها شهادة مطابقة من القرآن أو من حديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث يبقى القارئ لهذه البشارة في ذهول من هذا التطابق العجيب!

جيكوب: وأنا أعجب كيف تقول ذلك مع أن في أولها نص على أن المقصود بها روح القدس... فأين ذكر محمد في هذه البشارة؟!

أبو حامد: لعله غرك ذكر لفظ روح القدس ونسيت أن روح القدس لم يرسله اللَّه من قبل ومن بعد رسولًا للبشر إنما هو رسول من اللَّه للعالمين كما هو ثابت في التوراة والإنجيل والقرآن، تُرى: فمن الرسول المقصود هنا والذي أُرسل له روح القدس، هذا أولًا.

**أما ثانياً**: فإن عيسى قد صرح بأن المقصود بروح القدس ليس المعتاد إطلاق هذا اللفظ عليه، أي جبريل، إنما هو «المعزى» فقال في أول كلمة: وأما «المعزى» وقال: «سيرسله الأب» وذكر أنه سيأتي من بعد، وأن روح القدس سيكون معه كما كان من عيسى - عليه الصلاة والسلام - حيث كان بينهم.

**وأما ثالثاً**: فإن كلمة «روح القدس» جاءت بمعان غير معنى المَلَك كما جاء في لوقا ٤ : ١ [أما يسوع فعاد من الأردن ممتلئاً من روح القدس] ولم يقل أحد أن المقصود ممتلئاً من المَلك.

فيبقى أن نفهم أن روح القدس المقصود: هنا هو غير ما تبادر إلى ذهن الأستاذ جيكوب هذا ما يتعلق بالإيضاح الأول.

أما الإيضاح الثاني: وهو ما ذكرته لكم من أن هذه البشارة هي قاطعة من عيسى - عليه الصلاة والسلام - بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وأنها موافقة للقرآن في كل كلمة من كلماتها

فإليك ذلك في نقاط محددة:

١ - قول عيسى بهذا: «كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزى» فيفسره ما جاء في يوحنا نفسه بقوله: «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» وهذا يعني قطعاً أنه من بعده وهو ما نص عليه القرآن في سورة الصف آية رقم ٦ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

٢- أنه مرسل من اللّه وهذا ما جاء نصه هنا في قوله: «فيعطيكم معزياً أخر» وهو ما جاء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

٣- قول عيسى - عليه الصلاة والسلام -: «فهو يعلمكم كل شيء» فقد جاءت في القرآن هذه الصفة للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام نصاً ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٤- ربط عيسى مجيء هذا المعزى بذهابه - عليه

الصلاة والسلام - كما جاء في يوحنا ١٦ : ٧ : [لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله لكم» وفي حديث عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «آخر من بشر بي عيسى ابن مريم»(١).

٥- أنه متى جاء المعزي دافع عن عيسى وعن افتراء النصارى عليه وهذا ما جاء في يوحنا ١٦ : ٧ في قوله: [ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة، وعلى بر، وعلى دينونة] وهذا التبكيت والإنذار هو ما جاء نصه بالقرآن في أكثر من آية منها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

٦- أن محمداً يمجد عيسى لقوله في

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٤٦).

الإنجيل: «ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني لأنه يأخذ من مالي ويخبركم به»، وذلك في القرآن كثير منها قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٧- أن عزاء الأنبياء يكون به فهو الذي يدافع عن الأنبياء وعن عيسى عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي ينصرهم ويؤيدهم، ولذا يكون واجب الناس نحوه أن ينصروه ويؤيدوه ويعزروه، كما قال الله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

٨- أن عيسى أخبر بأمية النبي ﷺ وأنه لا يقرأ ولا يكتب إيماناً بما يسمع فقال في يوحنا: «فمتى جاء هو أي روح الحق أرشدكم إلى الحق كله لأنه لن يتكلم من عندي بل يتكلم بما يسمع»

وهذا مطابق للقرآن في قول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

٩- أن رسالته شاملة: إذ هو الوحيد الذي يأتي بالحق كله ويرشد إليه كله وذلك لقوله في يوحنا: «فمتى جاء هو - أي روح الحق - أرشدكم إلى الحق كله» وهذا موافق للقرآن لقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

١٠- أنه لا ينقض التوراة ولا الإنجيل وإنما يعتمد كثيراً مما فيهما كما في نص يوحنا: «ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني لأنه سيأخذ من مالي ويخبركم به» وهذا ما جاء في القرآن في سورة آل عمران آية ٣ قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ .

١١- أنه أكثر من يخبر الناس بالأخبار المستقبلية اليقينية كما قال في هذا النص ويخبركم بما سيحدث وسوف يمر معنا شيء من هذا قريباً .

١٢- أنه النبي الأخير وهذا ما جاء نصهُ في التبشير به في هذه البشارة الإنجيلية بقوله: «وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزياً أنه يمكث معكم إلى الأبد».

وهذا ما جاء نصه في القرآن ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

١٣- أنه رئيس العالم وخير البشر دون كبر ولا فخر كما قال هنا في البشارة «لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء ولكن ليفهم العالم أين أحب الأب».

وهو ما قاله النبي - عليه الصلاة والسلام - عن نفسه بكل تواضع وهو يروى الحقيقة: «أنا

سيد ولد آدم ولا فخر»[١].

بروفيسور جيكوب: أود أن أذكرك باتفاقنا الأول وهو التزامنا بالاحتكام إلى العقل، ولذا فإني أقول لك: دعك من كل الأدلة التي ذكرتها من التوراة ومن الأناجيل، وتعال نحتكم إلى العقل في أن محمداً خاتم النبيين.

أنا لا أقول ذلك فراراً من التسليم للأدلة التي ذكرت من الأناجيل وغيرها، إنما بحكم كوني رجلًا أكاديمياً فإني لا أعرف هذا الذي ذكرته من نصوص دينية، حتى وإن كنتَ بررت كل نص منها تبريراً عقلياً.

وعليه فالذي أريد هو أن تثبت من خلال العقل أن محمداً رسول اللّه. .؟!

ثم تثبت بالعقل كذلك أن محمداً خاتم النبيين؟!

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٨) وصححه الألباني.

ربما يكون بمقدورك أن تثبت ذلك بالعقل لو أن محمداً كان حياً، ورأيناه وكلمناه، وأثْبتَ هو بنفسه لنا ذلك بمعجزة تظهر أنه خاتم النبيين.

أبو حامد: بناء على ما ذكرت أطلب منك كذلك أن تثبت لي أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - كان نبياً بالعقل، فضلًا عن أن تثبت أنه كان إلهاً بالعقل!

وأن تثبت لي أن نوحاً وإبراهيم وموسى وغيرهم كانوا أنبياء بالعقل أيضاً..!

إنك لا ولن تستطيع ذلك إطلاقاً، لا بالعقل ولا بالشرع، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن المصادر العقلية التي تثبت نبوة هؤلاء معدومة، والسبب الثاني: أن المصادر الشرعية التي تثبت للناس نبوة هؤلاء الكرام عليهم الصلاة والسلام مشكوك فيها بدرجة كبيرة كما مر ذلك معنا من قبل.

أما الاستدلال بإيمان الناس وعدم إيمانهم فإن

توارثه الهنود رغم كثرتهم حق..؟! وهل بوذا إله..؟!

وهل ما توارثه الصينيون عن «كنفوشيوس» حق..؟! وهل هو نبي فعلًا..؟! أم أنه شيء آخر؟

هذا رغم كثرتهم كذلك.

بهذا تجد نفسك وأنت تَأْمَلُ وتتمنى إثبات نبوة عيسى - عليه الصلاة والسلام - شرعياً أمام مهمة مستحيلة، فكيف يمكن إثبات نبوته عقلياً..؟

حاول مرة، وكررها ألف مرة، ولن تستطيع، نعم لن تستطيع..؟

سيتبادر لذهنك أن تسألني الآن: هل أنت مؤمن بأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - نبي..؟!

أقول لك: نعم بكل يقين.

تقول: كيف يمكن أن تؤمن بقضية مستحيلة

شرعاً وعقلًا - كما ذكرت -؟ وأنا أؤكد لك فأقول: نعم، مستحيل أن تثبت نبوة أحد من هؤلاء الأنبياء الكرام إلا بطريق واحد فقط! طريق واحد ليس غيره! هو أن تثبت نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام -، فإذا أَثْبَتَّ نبوة محمد أَثْبَتَّ نبوة نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى - عليه الصلاة والسلام -. ذلك أن مصدر الإثبات الذي جاء به محمد مصدر لم يتطرق إليه الشك أبداً.. ألا إنه القرآن.

وقد مر معنا إثبات ذلك من قبل في مجلس القرآن والعقل، وفي القرآن إثبات ذكر جميع هؤلاء الأنبياء، وفي الإسلام وحده اشتراط الإيمان بجميع هؤلاء الأنبياء، وفي وصايا محمد ومعتقده وجوب الإيمان بهؤلاء الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وهكذا فإنكم لن تجدوا ذكراً لأنبياء بني إسرائيل بعد إبراهيم في الإنجيل..!

إن القضية من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى مزيد تفكير وانتظار.

الأدلة العقلية على أنه خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام

أستاذ الدراسات الإنجيلية: أريد أن أتناول كل ما ذكرت من الفقرة الأخيرة من كلامك فأنت قد قررت بأن محمداً نبي، والآن تقرر بأنه خاتم الأنبياء فلا أدرى كيف يمكنك أن تثبت لنا عقلياً أن محمداً خاتم الأنبياء، وخصوصاً وأننا نحن لا نعتقد ذلك إطلاقاً فلم لا يكون عيسى خاتم النبيين ولم لا يكون يوحنا المعمدان؟

أبو حامد: لا يستقيم أبداً أن تقتنع بأن عيسى نبي حتى تقتنع بأن محمداً نبي وأنه خاتم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - جميعاً، فإن إثبات نبوة محمد ضرورة عقلية لكم، وضرورة شرعية كذلك، فبعدما قررنا أن جميع هؤلاء أنبياء، نريد أن نعرف مَنِ الأحق مِنْ بين هؤلاء الأنبياء الكرام جميعاً أن يكون هو النبي الخاتم - عليهم الصلاة والسلام -.

ولأجل التحقيق العلمي العقلي فلا بد أن نعرف المواصفات التي ينبغي أن يتصف بها النبي الخاتم، وسيقطع عقل كل حاضرٍ منكم بأن كل وصف عقلي لخاتم النبيين ينطبق على واحدٍ من الأنبياء فقط هو محمد - عليه وعليهم الصلاة والسلام -.

الوصف العقلي الأول[1]: الآخر تاريخياً:

مما لا ينازع فيه أي عاقل من العقلاء أن خاتم النبيين ينبغي أن يكون آخرهم ولادة، إذ كيف يكون خاتماً للأنبياء ثم يبعث وراءه نبي؟ كما أن خاتم إخوانك وأخواتك هو آخرهم ولادة ولو بساعة واحدة، فكذلك الأنبياء.. ولا يخالف أحد أبداً بأن آخر الأنبياء ولادة هو محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، فكيف يكون عيسى

(١) حدثتْ في المجلس بعض النقاشات حول بعض هذه النقاط.. لكنها انتهت لما هو مقرر في النقاط المذكورة، وما أحببت أن أطيل على القارئ الكتاب بذكر أمور مردود عليها في نفس المجلس، بعدما أقر المعترضون بالإجابات المذكورة في نهاية الأمر.

الخاتم وقد ولد محمد بعد عيسى بخمسمائة وستين عاماً..؟!

أليس هذا من الأدلة العقلية القطعية على أن محمداً خاتم الأنبياء وليس عيسى عليهما الصلاة والسلام؟!

**الوصف العقلي الثاني: اشتراط الإيمان بجميع الأنبياء:**

لا يمكن عقلًا لأي نبي من الأنبياء أن يشترط الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلوا للناس فعلًا إن لم يكن هو آخرهم، من هنا كان هذا الاشتراط ضرورة عقلية وتاريخية، كما لا يمكن - عقلًا - لأي رسالة أن تدفع العدوان عن جميع الرسالات السماوية التي أرسلت، إن لم تكن هي الرسالة الخاتمة، إذن فلا بد أن تبنى رسالة النبي الخاتم على الدفاع عن جميع إخوانه الأنبياء الذين سبقوه، ورد عدوان المعتدين عليهم، وعلى أديانهم، وللإيضاح بمثال أقول: إذا كان عدد الأنبياء ألفاً - مثلًا - فدافع النبي رقم المائة عمن قبله، فمن

يدافع عن الأنبياء التسعمائة الذين يأتون من بعده لقد دافع هذا النبي عن ١٠٪ فقط من الأنبياء؟!

وإذا دافع النبي رقم التسعمائة عمن قبله، فمن يدافع عن المائة الآخرين الذين سيأتون؟

إذن فلتعلم بأن الدفاع عن الأنبياء جميعاً بنسبة ١٠٠٪ أمر لا يقبل النقاش في رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام -، فهو يجعل الإيمان بجميع الأنبياء كالإيمان بمحمد - عليه الصلاة والسلام - فقد جاء في آخر سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فكيف إذا أصبحت تلك الكتب التي أنزلت على أولئك الرسل بمرور الأيام طعوناً في الأنبياء.

إن الموجود في التوراة - الحالية - من الهجوم على الأنبياء واتهامهم بأبشع التهم شيء كثير.

فمن ذلك اتهام لوط - عليه الصلاة والسلام - بالسُّكْرِ، ثم الزنا بابنته وحاشاه، واتهامه بأنه صارع الرَّبَّ وصرعهُ.

وفي الإنجيل الموجود اعتبار جميع الأنبياء عبيداً لعيسى - عليه الصلاة والسلام -، فأي إساءة أعظم من هذه..؟!

فإذا لم يوجد في بقايا أي رسالة من تلك الرسالات دفاع عن الأنبياء جميعاً، فتلك الرسالات إذن لا تصلح أن تكون الخاتمة التي تحمي كل الرسالات، وتَذُبَّ عن عِرْضِها كل الإساءات، فكيف تذب عن غيرها وهي لا تستطيع أن تذب عن نفسها فقد شوهها التغيير.

وفي الجهة المقابلة لا تجد في القرآن إساءة واحدة لأي نبي مِنَ الأنبياء، بل تجد الحكم الحازم بكفر من ينتقص واحداً منهم، فمن ذلك ما جاء في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ

وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

ومنه ما جاء في سورة التوبة آية ٣٠ في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

ومنه ما جاء في سورة المائدة آية ١٧ في قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فهل يساوي **العقل** بين رسالة من أساسياتها الإيمان بالرسالات التي سبقتها، وبين رسالة لا نجد في نصوصها الموجودة اشتراط ذلك؟

أيساوي **العقل** بين كتاب جعل ذكر قصص

الأنبياء السابقين ناصعة نقية، مع كتب تزعم أنها من اللَّه لكنها تطعن برسل اللَّه في قصص مكذوبة على اللَّه وعلى أنبيائه..؟!

أيساوي العقل بين نبي يجعل من أساسيات دعوته الدفاع عن إخوانه الأنبياء، وبين نبي يزعم أتباعه - الكاذبون - اتهامَ مَنْ سبقه مِنَ النبيين...؟

الوصف العقلي الثالث: أن تتصف بالوسط:

الوسط

العقل يقول: إن خيط الحرير لا يكون عقداً مَهْما كانت خرزاته ثمينة أو كثيرة، ومهما امتد الخيط وطال... حتى يُجمع طرفه الأخير إلى الأول وبذلك يصبح الطرفان هما الوسط باجتماعهما في عقدة واحدة.

وهكذا الأمر بالنسبة للرسالة الأخيرة، فإنها لابد - عقلًا وواقعاً - أن تكون هي الوسط في عِقْدِ الرسالات السماوية كلها والذي هو أثمن عِقْدٍ.

فوصف الوسطية يلازم وصف الأخير في عقد الرسالات.

فلننظر أي رسالة من هذه الرسالات وصفت في كتابها بكلام صريح أنها الرسالة الوسط بين الرسالات السماوية، فذلك أحسن ما تحتج به على رسالة أو تحتج به لها إذ هو كلامها عن نفسها. . . فإذا لم تجد هذا الوصف في كل الرسالات عن نفسها فسوف تجد نصوصاً صريحة تصف رسالة محمد بأنها الوسط، ففي القرآن في سورة البقرة يقول اللّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٤٣].

ومعنى الوسط هو المتوسط لأطراف من مختلف الاتجاهات الأفقية، كما هو الوسط والأعلى من حيث الاتجاهات العمودية.

وبناءً على ذلك فإن آدم أو نوحاً الذي أحدهما صاحب الرسالة الأولى لم يصف رسالته بأنها الأخيرة لأنه قطعاً ليس النبي الأخير فهو ليس النبي الوسط، بينما محمد - عليه الصلاة والسلام - وصف رسالته بأنها الرسالة الأخيرة، كما وصف نفسه بأنه الوسط لأنه النبي الأخير فاجتمع الوصفان فيه، فقد جاء في القرآن وصفه بخاتم النبيين كما جاء في سورة الأحزاب آية ٤٠: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، ومن كلامه عن نفسه أن له أسماء فيقول: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو اللّه بي الكفر، وأنا العاقب»[(١)][(٢)].

---

(١) العاقب: الذي ليس بعده نبي كما قال الزهري.
(٢) رواه البخاري (٤٦١٤) ومسلم (٢٣٥٤) وغيرهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

ثم إذا استحق آدم أو نوح وصف الوسط بحكم اجتماع طرفي العِقْدِ - كما ذكرنا - فإن رسالتهما ليستا وسطاً بحكم المبادئ! بل إنها أبعد ما تكون عن الوسط، لأن موقعها تاريخياً في الابتداء، وكم بين من يبتدئ من الطرف حتى يبلغ الوسط أفقياً أو يبلغ الوسط والأعلى عمودياً من بُعد..؟!

والوسطية دعوى ربما تنازعتها الأمم كلها، ولكن القضية ليست بالغامضة حتى تسبب حيرة ولو لأقل العقلاء عقلًا وأصغرهم سناً. إذ إن النظر في تعليمات كل نبي تريك مَنْ مِن هؤلاء تعاليمه الوسط بين الأنبياء وتستطيع بعدها أن تعرف من هو الخاتم.

وعليه فإن الوسطية لم تكن قضية نظرية فحسب، بل تمثلت في كل جزئية من جزئيات التشريع، كما يظهر ذلك من خلال المقارنة.

أليس النصارى يعبدون عيسى - عليه الصلاة

والسلام - مع اللَّه. . . بينما اليهود يقتلون أنبياءهم؟ فمن الوسط بين إفراط هؤلاء وتفريط هؤلاء إلا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي يقول اللَّه عنه في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ويوصي محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبداللَّه ورسوله»[(١)].

أليس المسلمون وسطاً بين اليهود الذين حرموا على اللَّه أن ينسخ ما يشاء ويُثْبِتَ من الأحكام ما يشاء، وبين النصارى الذين أجازوا لأكابر علمائهم أن يشرعوا التحليل والتحريم من دون اللَّه؟. فكان المسلمون وسطاً لأنهم شرعوا الاجتهاد في الشرع بالضوابط المعروفة الواضحة. . ؟

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦١).

أليس المسلمون وسطاً في الطعام، إذ اليهود حرموا على أنفسهم طيبات أحلها اللَّه لهم، فهم لا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط، بينما النصارى أباحوا لأنفسهم أكل الخبائث وشرب النجاسات كالخنزير والخمرة وغيرها، فالمسلمون لا يأكلون إلا الطيبات كما قال تعالى عن محمد - عليه الصلاة والسلام -: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أليس الإسلام وسطاً بين اليهودية التي أباحت دماء وأموال غير اليهود، وبين النصرانية المثالية الوهمية التي تقول: [لا تقاوموا الشرَّ، مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً، ومن أراد

**أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الدواء أيضاً، ومن سخَّرك ميلًا واحداً فاذهب معه اثنين]** (متى: ٥/ ٤٠، ٤١، ٤٢).

ولا يملك كل من لديه قليل من العقل وقليل من الإنصاف إلا اعتقاد الإسلام إذا أدرك وسطيته ولكن صدقوني أن المقصر في إبلاغ رسالة الإسلام هم المسلمون، ولو أحسن المسلمون إبلاغ هذه الرسالة الوسط لأهدوا العالم أعظم هدية وهداية، ففي «كلمة الأستاذ إيرفنج، الأستاذ بجامعة (تنسي) الأمريكية، حينما وقف مخاطباً تجمعاً للمسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات، فقال: «إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً، أو تقنياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، أو عسكرياً، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثو على رُكَبِهَا أمامكم بالإسلام. أفيقوا من غفلتكم لِقِيمَةِ هذا النور الذي تحملون، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض! تعلموا

الإسلام وطبّقوه، واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا، ويَدِنْ لكم كل ذي سلطان. أعطوني أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً، ويطبقونه على حياتهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر وأسلوبه، وأنا أفتح بهم الأمريكتين»[1].

ويقول الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في محاضرة قيمة ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٩٦ م، تحمل دلالة واضحة بالنسبة للمعنى الذي أشرنا إليه: «إن المادية المعاصرة تفتقر إلى التوازن، وأضرار عواقبها بعيدة في تزايد، إن القرون الثلاثة الأخيرة شهدت في العالم الغربي على أقل تقدير انقساماً خطيراً في

---

(١) نقلًا عن: «قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي» د. زغلول النجار، ص١٣٧، وراجع: «الإسلام ومشكلات الحضارة» سيد قطب ص١٣٦ وما بعدها.

طريقة رؤيتنا للعالم المحيط بنا ؛ فقد حاول العلم بسط احتكاره، بل سطوته المستبدة على طريقة فهمنا للعالم، وانفصل الدين والعلم بعضهما عن بعض؛ بحيث صرنا الآن كما قال الشاعر «وردزورث»: «لا نرى إلا القليل في أمنا الطبيعة التي نملكها».

لقد سعى العلم إلى انتزاع الطبيعة من الخالق، فجزّأ الكون إلى فرق، وأقصى «المقدّسَ» إلى زاوية نائية ثانوية من مَلَكةِ الفهم عندنا، وأبعده عن وجودنا العمليّ. والآن فقط بدأنا نقدر العواقب المدمِّرة، ويبدو أننا نحن أبناء العالم الغربي قد فقدْنَا الإحساسَ بالمعنى الكليِّ لبيئتنا، وبمسؤوليتنا إزاء الكون كله الذي خلقه اللَّه، وقادنا ذلك إلى إخفاق ذريع في تقدير أو إدراك التراث وحكمة السلف، ذلك التراث المتراكم على مدار القرون. والحق أن ثَمَّةَ تحاملًا شديداً على التراث، كما لو كان جذاماً اجتماعياً منفراً.

وثَمَّة الآن في نظري حاجة إلى مقابلةٍ كليةٍ شاملة. لقد أدى العلم لنا خدمة جليلة في تبيانه لنا أن العالم أعقد بكثير مما كنا نتخيل، ولكن العلم في شكله المادي الحديث، الأحادي، عاجز عن تفسير كل شيء. إن الخالق ليس ذلك الرياضي الذي تخيّله نيوتن، وليس صانعَ الساعة الأول...(١).

إن انفصال التكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية والمقدسة قد بلغ حداً مريعاً مفزعاً، وهذا ما نراه في التلاعب بالمورثات (الجينات) أو في عواقب الغطرسة العلمية التي تتجلى في أبشع

---

(١) قال نيوتن: «إن اللّه خلق الكون على هيئة ساعة كونية منضبطة الحركة، ولكن ليس ثمة داع أو فائدة من الصلاة إلى الإله صانع هذه الساعة الكونية الضخمة، لأنه هو ذاته لا يستطيع تغيير مسارها حتى لو أراد ذلك»، عن كتاب: «منشأ الفكر الحديث» تأليف برنتون ص١٥١ من الترجمة.
وجوابي: هذا ما تصوره نيوتن عن إلهه هو في عقله هو لا في الحقيقة العظمى التي مات ولم يعرفها!

صورها في مرض جنون الأبقار.

لقد كنت أستشعر دائماً أن التراث في حياتنا ليس من صنع الإنسان، إنما هو إلهام فطري وهبه الخالق لنا لإدراك إيقاع الطبيعة، والتناغم الجوهري الذي ينشأ عن وحدة أضداد متفرقة، ماثلة في كل مظهر في الطبيعة. إن التراث يعكس النظام السّرمدي للكون، ويشدّنا إلى الوعي بالأسرار العظيمة للكون الفسيح، بحيث نستطيع كما قال الشاعر «وليم بليك» أن نرى كامل الكون في ذرة، ونرى الأبدية في لحظة.

إن الثقافة الإسلامية في شكلها التراثي جاهدت للحفاظ على هذه الرؤية الروحية المتكاملة للعالم بطريقة لم نجدها نحن خلال الأجيال الأخيرة في الغرب موائمة للتطبيق، وهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامي في هذا المضمار.

إننا نحن أبناء الغرب نحتاج إلى معلمين مسلمين ليعلمونا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم

بعقولنا، وإن اقتراب الألف الثالثة قد يكون الحافز المثالي الذي يدفعنا لاستكشاف هذه الصِّلات وتحفيزها. وآمل ألا تفوتَ الفرصة السانحة لإعادة اكتشاف الجانب الروحي في رؤيتنا لوجودنا بأجمعه»[١]. فأي حكمة عند هذا الرجل الذي لا ينبغي إلا أن يوصله عقله إلى الحق كاملًا وإلى القيادة في الحق.

**الوصف العقلي الرابع حكمته: وحدة صحب النبي الخاتم وأُلفتهم:**

صحبة

العقل يقول: إذا كان لديك خط طويل وابتدأ الانفراج في أوله بمقدار صغير فإنه كلما امتد الخط كلما ابتعد طرفاه عن بعضهما بمقدار مضاعف، وهكذا لا تزال المضاعفات في ازدياد مع امتداد الخط وابتعاده عن النقطة الأولى... فكيف إذا كان الانفراج مرتبطاً بالزمن... هل من

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد (٦٥٩٢) بتاريخ ١٥/١٢/١٩٩٦م نقلًا عن كتاب «كيف ندعوا الناس» للأستاذ محمد قطب، ص ١٨٦، ١٨٧.

أحد يمكن أن يوقف تباعد طرفاه؟

وعليه فإن التغيير قد ابتدأ في عهد عيسى - عليه الصلاة والسلام - حتى بلغت زاوية الانفراج في آخر عهده بنسبة ١٠ من ١٢ وهو عدد الحواريين الاثني عشر أي بنسبة ٨٣,٣٣٪ فلقد تغيّر من الجواب عشرة من اثني عشر كما تذكر الأناجيل فكم ستزداد زاوية الانفراج نحو التغيير بعد ذهاب عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟

كم سيكون التغيير والتبديل؟ كم سيكون التحريف والكذب؟

بل السؤال: كم سيبقى لمركز الزاوية من وجود أو أَثر؟

وبناءً على هذهِ القاعدة الرياضية فلن تصلح أن تكون رسالة خاتمة ما لم تكن محفوظة كما أنزلت أول مرة عند موت صاحبها على الأقل. . وأعظم ضمانة في حفظها بعد ذهاب صاحبها هو ألفة أصحابه في عهدِهِ من بعده واجتماعهم على مبدئه.

وهنا نرجع لتطبيق القاعدة الواضحة على أصحاب الأنبياء.

هل حفظ أصحاب موسى رسالة موسى - عليه الصلاة والسلام -؟ كيف وهم الذين خذلوه في حياته مراراً وتكراراً حتى مات بينهم في التيه..؟!

وهل حفظ أصحاب عيسى رسالة عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهم الذين أسلموه للحاكم الوثني، ثم فُتنوا من بعده، حتى لم يبق من الاثني عشر حوارياً رجل ثابت على مبدئه إلا اثنين، فأي ثقة تبقى ما بين النبي وبين أتباع أتباعه من بعدهم..؟!

وهذا الوصف ليس بخافٍ على أي متتبع لتاريخ الديانة اليهودية والنصرانية حتى جاء ذلك صريحاً في القرآن حين قال اللّه تعالى في سورة الأعراف آية ١٦٨: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم

بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفي مقابل ذلك يعجب المؤرخ وهو يرى وحدة أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - حتى لم تظهر أي فُرقة في عهده إطلاقاً، ولذا تجد وصف أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - في القرآن واضحاً في سورة الأنفال آية ٦٣: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومزية حياة أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - الكبرى أنه لا غموض فيها ولا خفاء، فبإمكانك وإمكان أي شخص أن يحكم في كل مجالات حياته، وحين تحاول أن تنتقد أصحاب محمد فإن الرد عليك وإبطال اتهامك سيأتيك من كل مكان... أتدري لماذا؟ لأن حياة محمد كانت كذلك.

يقول «بلاشير»: «ولا يبدو أن محمداً في أي

وقت من الأوقات قد حاول إضفاء الغموض على حياته الخاصة، فإن كلامه وإشاراته وتصرفاته كأب أو كزوج، وتصرفاته باعتباره مؤمناً، كانت مكشوفة لأتباعه الذين كانوا يتشكلون - عن قناعة - على صورته، وهكذا تحددت ملامح السنة»[١].

والتاريخ يحفظ موقفاً عملياً لا يخالف عليه أي مؤرخ من المؤرخين، فبعد وفاة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ظهرت الردة عن الإسلام في بعض القبائل العربية، فبعضهم أعلن الردة كراهية لدفع الزكاة، وآخرون زعموا أن منهم نبيّاً بعد محمد، فكانت النتيجة أن هذا الأمر مازاد الانشقاق في أصحاب محمد، وإنما وحدهم جميعاً على كلمة واحدة، وحدثت معارك لم تدم إلا بضعة أشهر واندثرت بعدها حركة الردة إلى

---

(١) LE PROBLEME DE MAHOMET p 101 (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٤].

الأبد على يد أصحاب محمد المتألقين، والتاريخ يحفظ بأنه لم يكن مع هؤلاء المرتدين أي واحد من أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام -.

وقد مر بك أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - قد حج معه في حجة الوداع أكثر من مائة ألف حاج، كل واحد منهم يفديه بروحه وولده وماله.. ثم لما رجع من حجة الوداع جاءته القبائل من كل مكان تعلن دخولها في الإسلام.. فما مات إلا والأمر مستقر، وأصحابه أقوى ما يكونون، وهم يزدادون مع مرور السنين قوة، ويزيد دينهم انتشاراً.. وهذا يجعل العقل يقطع دون ارتياب بأن محمداً - عليه الصلاة والسلام - هو الوحيد الذي يستحق وصف النبي الخاتم.

ويضاف لهذا الدليل هو تعظيم أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - لأصحاب محمد حتى الذين لم يروهم والذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة، فأمته لا تساوي أحداً بأصحاب محمد -

عليه الصلاة والسلام - أبداً، وهذا من الوفاء لهم والتقدير لنبيهم - عليه الصلاة والسلام. ومن هذا التقدير أن تجد في هذا الكتاب - لك القرار - كلما ذكرت واحداً منهم قلت: « رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » أو نحوها من عبارة، وهكذا يقول كل من يكتب عنهم أو يذكرهم سواء في كتاب أو في خطبة، ولا علاقة لهذه المنزلة الرفيعة لهم بالخطأ إن أخطأ بعضهم في اجتهاده، فإن حفظ منزلتهم هو حقهم لِسَبْقِهِمْ ولصحبة نبيهم وهو ما حفظه المسلمون لهم، بل حفظه اللّه في القرآن لهم فامتدح الذين جاؤوا من بعدهم لدعائهم لهم فقال تعالى في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: ١٠].

فإذا كان هذا هو التفاف الأمة حول أصحاب نبيها - عليه الصلاة والسلام -، فكيف بالتفاف

أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام حوله؟ وهل من أمة هكذا؟!

الوصف العقلي الخامس: رسالته عامة لأصحاب الأنبياء:

العقل يقول: إذا كان هذا نبيّاً يُرْسل إلى قومه خاصة، وذاك يُرْسل إلى قومه خاصة، وهكذا الثالث ومن بعده.. فإن آخرهم ينبغي أن تشمل رسالته جميع أمم الأنبياء الذين سبقوه، وإلا فإن عدم إرساله إلى جميع أمم الأنبياء يناقض كونه الخاتم، ولو استمر إرسال الأنبياء كلٌّ إلى قومه خاصة فإن ذلك يقتضي مواصلة إرسال الرسل وعدم انقطاعهم أبداً، وهذا يناقض ما جاء به الأنبياء جميعاً وهو أن الدنيا منتهية، إذ كيف تكون الدنيا منتهية والرسالات غير منتهية، من هنا كانت النتيجة العقلية هي أنه لابد أن يأتي النبي الخاتم الذي تشمل رسالته جميع الرسالات ويكون آخر رسول يرسله اللّه للناس.

وهـذا مـا اتـصفـت بـه رسـالـة مـحـمـد - عـليه الصلاة والسلام - من دون جميع الرسالات، فإن كل نبي بعث لقومه خاصة.. فرسالة موسى - عليه الصلاة والسلام - كانت لبني إسرائيل خاصة، ورسالة عيسى - عليه الصلاة والسلام - كانت تكميلية لرسالة موسى - عليه الصلاة والسلام - وكانت خاصة بهم كما قال عيسى - عليه الصلاة والسلام (في متى ١٥ : ٢٤)-: «**إنما بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة**».

أما رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - فهي للناس عامة وعلى هذا فأنت - أيها البروفيسور الفرنسي - تعتبر من أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - وهكذا الغربيون، والشرقيون، والهنود، والصينيون، والأمريكيون، والأوروبيون، والعرب، وغير العرب، والبيض، والسود، والحمر، والشقر، كلهم من أمته الذين أرسل لهم جميعاً ودعاهم دون أدنى تمييز،

ولذلك فإن وَصْف رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - بأنها للناس كافة هو الوصف الثابت في القرآن، فإن اللَّه يقول في سورة سبأ آية ٢٨ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

وأنا أؤكد لك أنني لا أذكر الآيات من باب الاحتجاج الديني، ولكن المصدر الأمثل الذي تتلقى منه وصف الرسالة - ليقيّم عقلك تلك الرسالة من خلاله بما لها أو عليها - هو كتاب الرسالة نفسه.

وإذا أردت إيضاح هذه المسألة وإثباتها فاعلم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - لم يقل أن رسالته عامة، وأنها للناس كافة، واكتفى بهذا الإعلان، إنما جاء بمنهج عقدي وعملي لإثبات هذه الصفة، فدعا الناس جميعاً إلى دينه، وهذا ما لم يحصل مع غيره من الأنبياء، و دعا ملوك الدول ورؤساءها إلى الإسلام، ورسائله محفوظة

مذكورة عند جميع المؤرخين العرب والغربيين، وقد ذكر ذلك «أرنولد توينبي» و«غرستوف لوبون» وغيرهما من المؤرخين الغربيين.

ولذا جعل محمد أساس رسالته المساواة بين جميع الناس، ثم طبق ذلك المبدأ مع احترام الفروقات الطبيعية والمالية والاجتماعية وما إلى ذلك دون أن تشكل في مجتمعه طبقية، أو تستثمر عصبية، أو تذيب خصائص الأمم أو تسلبهم حقوقهم.

ولو رجعت إلى أسباب دخول كثير من الناس إلى الإسلام من قبل لوجدتها هي نفسها أسباب دخول الكثير من الحديثين الإسلام من بعد، ومن أعظم تلك الأسباب المساواة الحقيقية، وسوف تجد أن المظلومين أو رافضي الظلم والمنتصرين للمظلومين هم أغلب من يدخل في دينه، لأنه يسترجع لهم حقوقهم الإنسانية فعلياً، كما أنك ستجد الظالمين هم أبعد ما يكونون عن الدخول

للإسلام، لأنه يوجب عليهم رد حقوق المظلومين.

منهجه قد طبق

**الوصف العقلي السادس: تطبيق منهجه وتعاليمه على الواقع:**

هل تقبل دعوى صلاحية الرسالة لكل الناس إذا لم تطبق عملياً من قبل، ولا حتى على قومِ صاحب الرسالة خاصة..؟!

أعطني أي نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - استطاع أن يطبق الكتاب الذي أُنزل عليه أول مرة في حياته كما أُنزل غير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟

هل طبق عيسى - عليه الصلاة والسلام - الإنجيل على قومه وهو الذي حدث له ما حدث من ابتلاءات طوال حياته حتى آخر أيامه من قومه..؟!

أم أن موسى - عليه الصلاة والسلام - استطاع تطبيق التوراة على قومه كما أنزلت عليه، وقد

كان أعظم بلاء واجهه موسى - عليه الصلاة والسلام - هو ما واجهه من قومه وأصحابه حتى مات في التيه - في صحراء سيناء -....؟!

إذن كيف يمكن أن نعمم منهجاً على الناس كلهم وهو لم يطبق في عهد مَنْ أُنزل عليه أساساً على عدد محدود؟!

إننا حينما نشترط في الرسالة الخاتمة أن يكون نبيّها قد طبق المنهج الذي أنزل عليه على أرض الواقع فإن ذلك من باب التنزل، وإلا فإننا نرى أن يكون قد طبق في عهده، وطبق في عهود بعده، وطبق على أصناف مختلفة من الناس، وقامت بتطبيقه أمم مختلفة على نفسها وعلى غيرها، ثم بعد هذا يثبت صلاحيته لهذا العصر ولما بعده.

فما أبعد وصف الرسالة الخاتمة عن رسالة لم تطبق تطبيقاً كاملًا ومثالياً في عهد نبيها، مع استيفائها الشروط الأخرى التي ذكرها..؟!

لكن انظر للقرآن ولتعاليم محمد - عليه

الصلاة والسلام - وكيف تمثلت في حياة الناس أفراداً، ودولةً، وأمةً، وفي فترات مختلفة، وعلى أمم مختلفة. . . إنها العظمة، فالعظمة ليست في المثالية التي ترتفع عن التطبيق وتصلح للهتاف والتصفيق. . إنما العظمة في أن تتحول المبادئ إلى واقع، ويسمو ذلك الواقع حتى تصبح المبادئ عند تطبيقها وكأنها واقعية في عالم المثال، ومثالية في عالم الواقع، فكيف في عالم المادة. . .؟! ومهما كان الأمر فقد طبقت مبادئ محمد - عليه الصلاة والسلام - على أرض الواقع بأحسن صورة وأكملها في عهده طوال عشر سنين، ثم طبقت من بعده على أربع عهود: في خلافة أبي بكر الصديق، ومِنْ بَعدِه في خلافة عمر بن الخطاب، ومن بعده في خلافة عثمان بن عفان، كل ذلك في الجزيرة العربية ومن بعده خلافة علي بن أبي طالب في العراق، وامتدت بعد ذلك في الدولة الأموية في بلاد الشام، ثم في الدولة العباسية في بلاد العراق مع امتدادها إلى

خارج الجزيرة العربية والفارسية والهندية وما بعدها، والعثمانيون في تركيا، وقد شمل تطبيقها جميع الأمصار الإسلامية، وما هذه البلاد إلا عواصم الخلافة فحسب، وليست هي الحدود الجغرافية للتطبيق، بل تمتد حدود التطبيق إلى جميع الدول التي تسمى الآن بالدول العربية والإسلامية وكثير مما جاورها، وبذلك أثبتت صلاحية تطبيقها على جميع الأمم.

ولم يثبت صلاحية مبادئه عند العرب وحدهم، بل طبق هذا المبدأ عندكم - أنتم أيها الأوربيون - وها أنتم ترون آثارها قائمة في الأندلس «أسبانيا»، وما أصابكم من علوم ونهضة إنما هو من غبارها الطيب، فكيف لو حكمتم بها مؤمنين بها؟!

أليست هذه حقيقة تاريخية وإن حاول البعض - عبثاً - طمسها..؟!

وليس هذا فحسب بل هي تجربة صالحة لأن تقوم بتطبيقها كل الأمم بنفسها بغض النظر إن كان

من يطبقها عربياً أو غير عربي، وإلا كيف نجح الذين حملوا الإسلام في تطبيقه وأقاموا في أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، وما إلى ذلك كما حكموا به دولًا قائمة أخرى..؟

أخبروني مَنْ كان مِنْ أصحاب موسى - عليه الصلاة والسلام - من العرب أو من الأوربيين..؟!

ومن كان من أصحاب عيسى - عليه الصلاة والسلام - من الغربيين أو من الفرس أو من الهنود..؟!

لكن تعال وانظر إلى أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - فستجد أن منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من عرب.. وتجد منهم الأعاجم كسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي مؤذن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهكذا.. وللعلم فإن بلالًا كان عبداً اشتراه أبو بكر من سيده العربي المشرك وأعتقه،

ورفع النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - مقامه حتى جعله مؤذنه للصلاة، وكان عمر - وهو الخليفة الثاني بعد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يقول: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا»[1] «يقصد به بلالًا» أليست هذه عينات توضح أن الجنس غير مؤثر في تطبيق الإسلام، ولا في قيادته؟!

هذا بالإضافة إلى أن واقعيته ليست واقعية مجردة بل هي الحيوية كما يسميها المفكر الكبير برناردشو: «لقد كنت دائماً أحمل أعلى تقدير لدين محمد، بسبب حيويته الرائعة.

لقد قمت بدراسته، الرجل الرائع «محمد»، ومن وجهة نظري هو بعيد كل البعد عن معاداة المسيح ويجب أن يُدْعى: «منقذ البشرية».

أنا أعتقد أن رجلًا مثله، والذي ربما يوصف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٤) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

بالدكتاتورية في العصر الحديث، قادر على حل مشاكل هذا العصر وعلى تحقيق ما نحتاج إليه من سلام وسعادة» اهـ.

يقول بوسوورث سميث عن محمد - عليه الصلاة والسلام -: «لقد كان القيصر والبابا معاً، ولكن كان البابا بدون ادعاء وقيصر بدون كتائب قيصر، بدون جيش قائم، بدون حراس، بدون قصور وبدون دخل ثابت، فإذا كان لنا الحق أن نقول إن شخصاً وجه من الإله الحق فهو محمد الذي ملك جميع قوة الإله بدون أدواته»[١].

الوصف العقلي السابع: أن يقطع احتمال توارث النبوة:

لا بد للنبي الخاتم أن يقطع كل احتمال في توارث النبوة، وأن يعلن إعلاناً لا يحتمل الشك بصريح عبارته بأنه الخاتم أو الأخير، وأنه لا نبي

---

(١) Bosworth Smith, MOHAMMAD AND MOHAMMADANISM. London. 1874. p. 92.

بعده أبداً، هكذا يقول العقل.

فالأصل أن يتعاقب المُلْك الديني أو الدنيوي لا أن يُبتر، فالمَلِك إذا مات لا بد أن يُعيِّن ملكاً على مملكته من بعده، أوصى الملك بذلك أم لم يوص، والرئيس إذا مات خَلَفَهُ رئيس، وهكذا الرسل، فإن اللّه لن يترك البشر بدون رسالة، إذ كيف يحاسبهم على شيء دون أن يبلغهم رسالته برسول، قال اللّه تعالى في القرآن: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

فإذا احتاج الأمر إلى تغيير هذه السُّنّة المطردة، لزم أن يعلن الملك أو الرئيس أو اللّه إعلاناً لا يحتمل الشك يقطع ذلك الطريق المعهود.

وبناءً على هذا نقول: هاتوا لنا نبياً من هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعلن هذا الإعلان، بل هاتوا نبياً من الأنبياء لم يستخلف نبياً بصريح

العبارة، فإبراهيم استخلف أبناءه، وأبناؤه استخلفوا أبناءهم وهكذا.

وموسى - عليه الصلاة والسلام - استخلف يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام -، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - استخلف الرسل كما تسمونهم.

ويبقى محمد فذاً ليس في عدم مجيء نبي بعده فحسب، وإنما في إعلانه ذلك على العالمين، فقد أعلن بكل وضوح أنه خاتم النبيين في أكثر من مرة، فمرة قال: «إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[1] وقال: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»[2].

بل جاء ختم النبوة من اللّه في القرآن نفسه صريحاً في سورة الأحزاب آية ٤٠: ﴿مَّا كَانَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢) وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم (١٨٢٢).

مُّحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

وبقي محمد فذاً في عدم بقاء أي ولدٍ ذَكَرٍ له عند موته، مع أنه مات عن تسع نسوة، ليقطع اللَّه أي احتمال بامتداد الرسالة في أبنائه فضلًا عن غيرهم.

فقد وُلِدَ له وَلَدٌ اسمه إبراهيم، لكنه مات وعمره سنتان وأَشْهُر، وأُمُّه قبطية نصرانية مصرية، واسمها «مارِيَّة» ثم أسلمت.

كما أن أصحابه لم يتنازعوا النبوة من بعده إطلاقاً، ولو ادعاها أحد لقتلوه مباشرة.. والذين ادعوا النبوة من بعده سموهم بالمرتدين وقاتلوهم أشد قتال، فمنهم من قتل، ومنهم من تاب واستسلم وعُفِيَ عنه.

ولو كان ثمة أي احتمال لوجود نبي بعده لما أزهقت هذه الأرواح، ولما عُرِّض وجود الدولة الإسلامية للخطر وهي في أول مراحلها.

**الوصف العقلي الثامن: قدوة واقعية لجميع المجتمعات والأمم:**

من الأنبياء من بُعث في قومٍ أصحاب تجارة فعلّمهم التجارة الصحيحة ونهاهم عن الغش، والخداع، والكذب، مثل: شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنهم من بُعث في قوم كان أكبر أعمالهم الصناعة فعلمهم الصواب ونهاهم عن الخطأ مثل: داود، ومنهم من بُعث في قوم قَتَلَة وقطاع طريق مثل قوم ثمود، ومنهم، ومنهم.

ولما كان من الضرورة التاريخية أن تنقل الأمم المتقدمة أوصافها وتجاربها إلى الأمم المتأخرة عنها، حتى تصبح الأمة الأخيرة مقراً لاجتماع الخبرات الخيرة عند الخيريين من أبنائها، واجتماع الخبرات الشريرة عند الشريرين من أبنائها، كان لزاماً أن يكون وصف النبي الخاتم جامعاً لخبرات كل من سبقه، وجامعاً لضد خبرات كل الأشرار بل واقياً بتعليماته منها.

فلننظر الآن متسائلين: ماذا تعرف عن جوانب حياة كل نبي من الأنبياء السابقين..؟!

ستجد جوانب كثيرة جداً يلفها الغموض.

ماذا تعرف عن حياة عيسى - عليه الصلاة والسلام - الأسرية..؟!

ماذا تعرف عن حياته التجارية؟ ماذا تعرف عن حياته الجهادية..؟!

ماذا تعرف عن حياته القضائية..؟!

ماذا تعرف عن حياة موسى - عليه الصلاة والسلام - الصحية و حياته الاقتصادية، والأسرية.

هؤلاء أشهر الأنبياء عندنا وعندكم ولا نعرف ولا تعرفون عن حياتهم شيئاً، فكيف يمكن أن تعرف عن حياة غيرهم من الأنبياء..؟

وهل يمكن لمن خَفِيَتْ كل هذه الجوانب من حياته أن يكون هو النبي الخاتم...؟

بينما لو نظر التجار مثلاً في حياة النبي محمد -

عليه الصلاة والسلام - لوجدوا منهجاً اقتصادياً عظيماً ومتكاملًا، وثمة في الإسلام في كتب «الأحكام الشرعية» أبواب علمية خاصة اسمها «أبواب المعاملات وأحكامها» تجد ذلك العلم مفصلًا تفصيلًا.

وهكذا تجد حياته العبادية، وحياته القضائية، وحياته الاجتماعية، وحياته القيادية، وحياته الإصلاحية، وحياته الصحية وهكذا.

إنك تنظر فيما رُوِيَ عن محمد - عليه الصلاة والسلام - فتقول: لو لم يكن في حياة محمد إلا شمولية قدوته لجميع أصناف البشر، وجميع حالاتهم وحياتهم، لكان ذلك وحده كافياً لأن تقطع بأنه وحده النبي الخاتم.



ولو وزعت جوانب حياة محمد - عليه الصلاة والسلام - على الأمم السابقة كل أمة تأخذ الجزء الذي يعنيها لوجدتْ كل أمة ما يكفيها بل أكثر.. فكأن الأنبياء اجتمعوا في شخصه وكأن

الأديان اجتمعت في دينه وما أحسن قول المفكر البروفيسور جولز ماسيرمان: «أشخاص كـ(باستور) و(سالك) كانا من ناحية رائدين في الوعي والفهم بدرجة أولى... أشخاص كـ(غاندي) و(كونفوشيوس) و(الكسندر) و(قيصر) و(هتلر) من ناحية أخرى كانوا رائدين في ذلك ربما بدرجة ثانية.. (المسيح) و(بوذا) ربما نوعية أخرى وحدهم... ولكن ربما كان «محمد» الزعيم الأعظم في جميع الأوقات، في جميع ذلك، لجمعه تلك الخصائص كلها مرة واحدة، وموسى أيضاً ولكن بدرجة أقل»[1].

حقيقة إن عقلك يصاب بالذهول وهو يطالع عينات من جوانب حياته لتنوعها وشموليتها وواقعيتها، وهذه أمثلة صغيرة جداً من حياته..!

أمثلة من حياته العملية

ففي باب القضاء مثلًا تروي عنه زوجه أم سلمة رضي الله عنها أن رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام -

---

(١) Professor Jules Masserman.

سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم. فلعل بعضكم يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار، فليأخذها أو ليتركها»(١).

ويقول: «إذا ابتلي أحدكم بالقضاء بين المسلمين فلا يقض وهو غضبان، وَلْيُسوِّ بينهم في النظر والمجلس والإشارة، ولا يرفع صوته على أحد الخصمين فوق الآخر»(٢).

وفي باب الأسرة ومشاكل الأسرة الواقعية يروي صاحبه هذه القصة الواقعية فيقول النعمان ابن بشير رضي الله عنهما: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي - عليه الصلاة والسلام - فسمع صوت عائشة عالياً - وأبو بكرٍ هو والد عائشة زوج النبي - عليه الصلاة والسلام -، فلما دخل تناولها

---

(١) رواه البخاري (٢٣٢٦)، ومسلم (١٧١٣).
(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٥٨٦٧) قال الألباني: ضعيف جداً، انظر السلسلة الضعيفة (٢١٩٥).

ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فجعل النبي - عليه الصلاة والسلام - يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام - حين خرج أبو بكر، كيف رأيتني أنقذتُكِ من الرجل؟ قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن على رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلْمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «قد فعلنا، قد فعلنا»[١].

وهذا مثال في باب الموازنة والإنصاف في العلاقات الزوجية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «لا يفرك[٢] مؤمن

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٩٩)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٢٩٠١).
(٢) الفرك: البغض.

مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[١].

وفي باب الموازنة ما بين التفرغ للعبادة والتفرغ لشؤون الحياة حدثت في عهده هذه القصة المفيدة:

عن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي رضي الله عنه أنه قال: آخى النبي - عليه الصلاة والسلام - بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا!!

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كُلْ فإني صائم!!

قال: ما أنا بآكل حتى تأكل؛ قال: فأكل!!

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام!! ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه .

من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه!!

فأتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فذكر ذلك له، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: (صدق سلمان)(١).

وفي مجال العلاقات الاجتماعية ومدى تأثير الكلام والجدل على الإنتاج يروي صاحبه:

أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - هذه الآية: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٧).

وفي باب الذكاء في حل المشاكل والإنصاف أخبرنا هو عن هذه القصة الواقعية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي - عليه الصلاة والسلام - اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار[١] في عقاره جرة[٢]، فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي شرى[٣] الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا[٤].

---

(١) العقار: الأرض.
(٢) جرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.
(٣) شرى الأرض: أي باعها.
(٤) رواه البخاري (٣٢٨٥)، ومسلم (١٧٢١).

وفي باب إكرام الضيف حدثت في عهده هذه القصة الواقعية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام - فقال: إني مجهود[١]، فَأَرَسلَ إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: مَنْ يضُيف هذا الليلة رحمه اللّه؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول اللّه، فانطلق به إلى رَحْلِه فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلّليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على

---

(١) مجهود: أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[(١)].

وأعود لأؤكد لك بأن هذه ليست كل حياته، هذه نتف صغيرة من حياته، أما ما نقل عنه بسند صحيح لا يقبل الشك فهو أضعاف أضعاف ذلك.

وأرجو أن يعلم الجميع أن قضية الاقتداء بمحمد - عليه الصلاة والسلام - والأخذ بما جاء به من القرآن والسنة ليست قضية اختيارية ذلك أن البشر إن لم يأخذوا بها لابد أن يجدوا عقاب ذلك في حياتهم قبل مماتهم، فهو ليس عقاباً مؤجلًا دائماً...

ولو طلت منكم الآن أن تشبهوا آثار الدمار الاقتصادي الذي أصاب العالم كله اليوم لما تجدوا وصفاً أشبه من أن تتولوا إنها حرب أو آثار

(١) رواه مسلم (٢٠٥٤).

حرب عامة على العالم كله بما فيه العالم الإسلامي.

وهذا الوصف تحديداً هو ما جاء في القرآن لمن أقام منهجه الاقتصادي على الربا وهذا الربا هو ما اشترك فيه العالم الإسلامي وغير الإسلامي فاستمعوا لما جاء في سورة البقرة في آية... عن حرب الله للربا والمرابين ولو كانوا مسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

الوصف العقلي التاسع: إتمام إنجازات من سبقه:

حق لكل واصف أن يصف عمل الأنبياء بالبناء، ذلك أن خير بناء هو بناء الأمم في صرح الإنسانية الشامخ.. والمنطق يقول: إذا تتابع

أناس على بناء قصْرٍ عظيمٍ في فترات زمنية متتابعة فإنَّ هذا البناء لن يتم تمامه إلا بآخر لبنة على يد آخر بنّاء.

وبناء على أن آخر الأنبياء ولادة محمد - عليه الصلاة والسلام -، فلا بد أن يكون هو آخر البنائين من الأنبياء... ولذا فإن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - يضرب مثلًا واضحاً فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلّا وُضِعتْ هذه اللبنة، قال: فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[١].

وإنك لتعجب كيف يعدد القرآن الأنبياء نبياً نبياً ثم يمتدحهم، ثم يوجه محمداً أن يقتدي بهم جميعاً.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨٦).

تأمل ماذا يقول اللَّه في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآيات: ٨٣-٩٠].

لكن هنا نتساءل: إذا كان القاسم المشترك بين البنائين هو سلامة البيت الذي يبنون... فما القاسم المشترك بين الرسالات؟!

والجواب العقلي هو أن تقول: بما أنهم مرسلون من عند واحد فلابد أن يتفقوا في أصل الرسالة وهو الدعوة إلى عبادة اللّٰه وحده وإنّ كل نبي أَيّدَ مَنْ قبله من الأنبياء، حتى إذا جاء آخرهم أيدهم جميعاً وأضاف أشياء في دينه الجديد مما ليس فيها نقضٌ لعقائدهم، وهذا ما هو ثابت في القرآن نفسه، ففي القرآن يقول اللّٰه تعالى في سورة المائدة آية ٤٨ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

فهو مؤيد ومضيف أيضاً، والنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يقول: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم»[١].

القيامة آخر الأحداث

الوصف العقلي العاشر: الإخبار بما سيحدث في آخر أيام الدنيا، وأمور الآخرة.

لو كان واجب النبي هو أن يحلل للناس ما يحدث لهم من أحداث، ويقدم نصحه لهم فيما يتعلق بواقعهم فحسب، لأصبحت مهمة كل نبي لا تزيد في شيء عن مهمة أي مصلح من غير الأنبياء.

إنما ميزة النبي الأولى هي أنه يوحى إليه من الأخبار الخاصة التي لا يعرفها الإنسان بعقله المجرد، وأكبر تلك الأخبار هي

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٩)، ومسلم (٢٣٦٥).

الأخبار المستقبلية المتعلقة بحياتهم التي تجعل رسالة ذاك النبي حية فيهم وإن مات، ولا يزيدها الزمان القادم إلا دليلًا على أنها الحق.. هذه هي الطريقة من نبي إلى النبي الذي بعده وهكذا.

ولما كانت الأحوال أكثر ما تكون تَغَيراً في هذه الدنيا بين آخر نبي وبين قيام الساعة، لزم أن يبين النبي الخاتم تلك الأحداث تثبيتاً لإيمان أصحابه وأتباعه إذا وقعت، وحماية لهم من الزيغ، ولتقوم تلك الأخبار مقام النبي لو كان حياً، وإذا رجعنا إلى جميع كتب الأنبياء فإنك لا تكاد تجد ذِكْراً لتلك العلامات التي ما ذكرت لهم إلا نادراً، وعُذر الأنبياء من قَبْل النبي الخاتم بِعَدَمِ ذكر تفاصيل ما يتعلق بالبشرية واضح وهو أن أقوامهم الذين بعثوا لهم لن يعيشوا تلك الفترة الزمنية وأحداثها فلا حاجة

لهم بها، لكن من يعذر النبي الخاتم في عدم إيضاحها - إذا لم يوضحها؟! ثم لمن سيؤجل إيضاح ذلك..؟!

وبما أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - قد ذكر هذه العلامات بأوضح ما يمكن الإيضاح، وبأكبر عدد من تلك العلامات، وربط هذا الإيضاح بقضية ختم النبوة فقال مثلًا: «إن اللَّه لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وإني آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة»[1].

فإن هذا وحده دليل كاف على أن كل واحد من هؤلاء ليس هو النبي الخاتم إنما النبي الخاتم هو من أوضح ما يحتاجونه في تلك الفترة الزمنية.

ولو اطلعت سريعاً في عناوين المكتبة

---

(١) سبق تخريجه.

الإسلامية فستجد أن العلماء جمعوا كتباً خاصة من بيان النبي - عليه الصلاة والسلام - نفسه يحكي أحداثاً كثيرة ستقع قبل قيام الساعة تسمى «أشراط الساعة».

بل بيّن أموراً أخرى خاصة لكل إنسان وإنِ اشترك بالمرور عليها الناس جميعاً، وعليه فإنك ستجد كتباً كثيرة تحكي ما يحدث للإنسان من ابتداء نزع روحه ومن لحظة الموت، وما يعقبها من خروج روحه ومكان ذهابها، ثم دخول القبر وما يحصل فيه بالتفصيل، ثم خروج الناس من القبور للبعث والنشور، ثم ساحة الحساب ووصف كل ما يحدث فيها في بيان إعجازي شامل ودقيق.

ليس ذلك إلا لأنها الرسالة التي لا يعقبها إلا قيام الساعة فقط مهما كانت تلك الفترة الزمنية الأخيرة!

الوصف العقلي الحادي عشر: المرجعية الحية الأبدية الموثقة:

المرجعية للعلماء

العقل يقول: إذا أصبح لكل نبي خلفاء يخلفونه، وكان خلفاؤه أنبياء، فمن يخلف النبي الخاتم وليس وراءه أنبياء، إذ لو كان بعده أنبياء ما كان هو الخاتم..؟!

إذن فلا بد للنبي الخاتم أن يترك مرجعية يفيء إليها الناس، ويبلغون عنه رسالته من غير أن يكونوا أنبياء، فهذه صفة من أهم الصفات، إذ بدونها لا تكون مرجعية لدعوة ذلك النبي الخاتم، ولا تكون مرجعية حية للناس، ثم إن المرجعية الكتابية وحدها لا تكفي عند كثير من الناس، فما أحسن الشهادة إذا اجتمعت من أطرافها: كتاب مكتوب، وشهود أحياء؟

وليس ثمة طريقة تحفظ بها المرجعية الحية الأبدية من غير أن يكونوا أنبياء **إلا أن يكونوا علماء كالأنبياء**، وليسوا بأنبياء، وإنما يكونون

كخلفاء الأنبياء، ومنزلتهم تُستقى من منزلة الأنبياء، وهذا هو ما تَوَفَّرَ في الرسالة المحمدية الخاتمة، حيث جعل المرجعية من بعد الأنبياء للعلماء وأفاض عليهم من الفضل الشيء العظيم وهو ما ذكره النبي الخاتم محمد - عليه الصلاة والسلام - حين قال:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك اللَّه به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

اجعل هذا الوصف بجوار أي نبي كريم من

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني.

الأنبياء، وسوف ترى أنّ ما من نبي إلا خلفه نبي وبذلك يستحيل أن يكون أي واحد منهم هو النبي الخاتم، إلا محمداً - عليه الصلاة والسلام - فليس وراءه أي نبي.

فإذا جاء وراء موسى بعض الأنبياء يخلفونه، وإذا كان وراء عيسى مَنْ تسمونهم الرسل، ووراءه النبي محمد، فإنه ليس وراء محمد أي نبي عندكم ولا عندنا وإن هؤلاء العلماء الذين جاؤوا بعد محمد - عليه الصلاة والسلام لا يحصيهم عد ولا علم ولا بلد ولا وقت، فهم مُستمرون في كل مكان وإلى آخر الدنيا.

**الوصف العقلي الثاني عشر: حفظ ثوابته:**

لا بد أن تكون للنبي الخاتم - أياً كان - ثوابت منهجية عامة محفوظة معروفة لدى جميع الناس ، تبقى من بعده كما كانت في عهده. . . !

إذ كيف يمكن للعقل أن يقتنع بأن هذا آخر الأنبياء، وأنه لكل الناس إلى آخر الدنيا وتعاليمهم

غير موجودة أو مشكوك فيها. . ؟!

فَلْننظر نظرة عقلية منصفة: أين ثوابت الأنبياء السابقين، وأيُّهم أكثر بقاء حتى يومنا هذا. . ؟!

حفظ القرآن وحفظ السنة

هل من كتاب محفوظ كما أنزل على صاحبه مثل القرآن؟! ولا داعي لإعادة إثبات حفظه وحفظ جميع هدي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فقد مر معنا ذلك في موضعين من هذا العرض.

حفظ الكعبة

وإذا تردد متردد في كل الثوابت فَلْينظر في قِبْلة صلاة كل ملة، وعندها سيرى «الكعبة» وهي قبلة محمد - عليه الصلاة والسلام - وحدها سالمة من كل ما يمسها بسوء.

إذ آلت قبلة النصارى إلى أيدي المسلمين ولا زالت، وعلى أقل تقدير ستبقى متنازعاً عليها إلى ما شاء اللّه.

وأما اليهود فيزعمون أن قبلتهم «الهيكل» موجود تحت المسجد الأقصى، ولم يُظْهِروا أي

دليل على ذلك! وَحَريٌّ بقبلة تحت الأرض أن تكون لأمة تحت الأرض..!

وما من نبي ترك ثوابت حية في أمته إلى قيام الساعة مثل العلماء المتعاقبين الذين تركهم محمد - عليه الصلاة والسلام - كمّاً ونوعاً كما مرّ معنا.. وأنه مهما زاغت العقول واشتدت الفتن فلا بد أن تبقى طائفة من العلماء في أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - محفوظة من الزيغ رغم ما يتعرض له دينها.. إنها غير قابلة للاجتثاث مهما حصل من الفتن، وهذا ما يشير له النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]. ولذلك فإنك تجد علماء الدين في أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - هم الذين يعيدون الأمة إلى الجادة كلما جاد عنها الناس... والمثال واضح

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠).

أمامكم، فإنكم تعرفون أن مؤسسات خفية وقوية تريد دائماً تفسيق الناس وإخراجهم عن استخدام عقولهم والتزام الأخلاق النظيفة، يؤيدهم في ذلك كثيرٌ من الحكام، وهذا ما يوافق رغبة في نفس عامة الناس لانجرارهم للشهوة وهوى النفس... فمن الذي يمنع حدوث هذا الانهيار، ويصد هذا التيار..؟!

مَن غير العلماء...؟ لا أحد..!

بينما تجد كثيراً من علماء اليهود لا يهتمون بالدين إلا بقدر ما يدخل عليهم من أرباح مادية، أما علماء النصارى فلا أثر لهم في واقع الحياة ولا الشارع..!

بل المصيبة أن تجد الشذوذ يغزو الكنيسة في عقر دارها حتى ارتفعت نسبة الشاذين جنسياً في الراهبات رهيبة.

«ففي تقرير «جون جي» وجد أن ٤,٣٩٢ قضية مسجلة ضد الرهبان في الكنيسة في أمريكا مما

يشكل ٤٪ من عدد الباباوات من سنة ١٩٥٠ إلى ٢٠٠٢ وعدد الضحايا ١٠,٦٦٧ وأن تكلفة تعويض الضحايا هي ٢ مليار دولار من ١٩٥٠، وهو ما تم دفعه حتى الآن..»[١].

هذا ما سُجِّل، أما الذي لم يسجل مما وقع في الأديرة فهو أضعاف ذلك بما يزيد عن ثمان مرات.

والانحراف العقدي والخلقي في رجال الكنيسة اليهودية والنصرانية انحراف قديم، فقد نبه القرآن من هذا وحذر أصحابه أشد التحذير.. فمنه ما قال اللَّه تعالى في سورة التوبة آية ٣٤: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Catholic-sex-abuse-casescite-note-1 .

من هذا نخلص إلى أن عناصر الثبات التي تركها محمد - عليه الصلاة والسلام - في أمته كفيلة بحفظ دينه مهما طالت الأيام والسنون.

فالمرجع محفوظ وهو القرآن في الصدور وفي السطور، فلو أحرقت جميع المصاحف المكتوبة لوجدت من يحفظه من العلماء كما هو في المصاحف من كل تغيير، ولو مات جميع العلماء لوجد من الصغار أضعافهم ممن يحفظونه ابتداءً من سن الخامسة حفظاً كاملًا من غير خطأ، ولو مات كل العرب لوجد من غير العرب في كل مكان أعداد لا تحصى ممن يحفظه، وهكذا فإن المرجع الثاني محفوظ كذلك، وهو هدي النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - محفوظ علماً وعملًا فلو تأمل أي واحدٍ منكم أي مسلم صادق فإنه سيجد حياته مصطبغة بحياة محمد - عليه الصلاة والسلام -، سيجده يقلده في أكله، في شربه، في نومه، في يقظته، في خلقه في كل

شيء، وهكذا القبلة محفوظة، والحافظون للدين لا ينقطعون أبداً وهم العلماء، ولغة القرآن محفوظة ولم تندثر كلغات أكثر الأنبياء السابقين. . . فماذا بقي بعد كل هذا. . أليس هذا دليلًا عقلياً على أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - خاتم النبيين. .؟!

الوصف العقلي الثالث عشر: بقاء معجزته إلى آخر الدنيا:

العقل يقول: لا يمكن أن يكون آخر الأنبياء ويأتي بمعجزة ثم تذهب المعجزة بموته. . إذ ما ذنب من جاء بعده من الناس ولم يشاهد معجزته إذا لم يؤمن بإخبار الناس له بها. .؟

وكيف يحاسب من لم ير المعجزة حساب من رأى المعجزة بنفسه في عهد نبيه. .؟

أفيكون مَنْ رأى مائدة عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهي تنزل من السماء ثم أكل منها وشرب، وتخللت شرايينه وجوفه، وملأ منها

سمعه وبصره، كمن يسمع بها اليوم سماعاً وهو لا يدري مدى مصداقية أحداثها من عدمها، ولا يعرف حقيقة تفاصيل أخبارها من زورها..؟

ولو كان لأي نبي غير خاتم الأنبياء - فرضاً - معجزة وامتدت معجزته بعد موته لكان حدودها هو بعثة النبي الذي بعده، ولذا كان لزاماً أن تتصف معجزة آخر الأنبياء بامتدادها إلى آخر الدنيا لأنه لا نبي بعده إلى آخر الدنيا.

وبناءً على ذلك فإنا نسأل: هل من معجزةٍ للأنبياء السابقين موجودة..؟!

**الجواب**: لا شيء.. إلا القرآن.

إذن فلا بد أن يكون صاحب الرسالة الخاتمة هو محمد - عليه الصلاة والسلام -، لأن معجزته هي المعجزة الوحيدة الباقية إلى اليوم، وإلى يوم القيامة.

ثم إن القرآن نفسه فيه من المعجزات المتنوعة لكل أحد من الناس كما مر معنا في مجلس

«الإنجيل كلام من. . . ؟!» وكذلك المجلس الذي بعده حيث ذكرنا بعض الشواهد العلمية على أن هذا النبي هو الخاتم، وأنه حق بلا ريب.

وهذه الشواهد مبثوثة في القرآن والسنة بكثرة، وشواهدها مبثوثة كذلك في كل شيء في هذه الحياة، في الطب، والفلك، والبحار، والصخور، والولادة، والموت، والحيوان، والشجر، والأرض، والسماء. . . فارجع إلى ما ورد في مجلس القرآن والعقل.

الوصف العقلي الرابع عشر: المرونة والإحكام

الكمال التشريعي مع التكامل البشري

العقل يقول: لا يزال الصانع يستفيد من كل تجربة جديدة على جهازه الذي صنعه حتى يصل إلى المستوى الذي يستطيع فيه الإعلان عن جهازه الجديد، وكذلك الشرائع، فإنّ تطورها جاء وفق حاجة البشر، فهؤلاء القوم يحتاجون نسبة من المرونة، وأولئك إلى مزيد من الشدة، وهؤلاء يحتاجون في شرائعهم للتركيز على المعاملات

المالية، وأولئك إلى الزهد في المال، وهكذا.

فإن الكمال البشري لا يوافقه إلا الكمال التشريعي الذي يجمع ما بين المرونة والإحكام على أعلى مستوى.

لكن من حق كل سائل أن يسأل: كيف يمكن أن نتبع تشريعاً نزل من أكثر من ألف سنة..؟!

أيمكن أن يستوعب التطورات البشرية الهائلة..؟!

**والجواب** على هذا هو بالإجابة على أسئلة محددة: أليس اللَّه هو الذي خلق..؟!

**والجواب**: نعم.. أليس اللَّه هو الذي أنزل الكتاب..؟!

**والجواب**: نعم.

أما أن تقول تطورات واسعة فإني أضرب لها بمثل محسوس وهو: هل الإنسان بكل ما طور من طائرات وصواريخ استطاع أن يتعدى حاجز السماوات؟ والجواب: لا.

والأعظم من هذا أن نسأل: هل استطاع الإنسان بكل ما أوتي من مناظير أن يصل بمناظيره إلى آخر نقطة في الكون؟ والجواب: لا.

إذن فالإنسان رغم التطور الهائل لم يخرق ببدنه وآلاته حاجز السماوات، ولم يبلغ ببصره حدود الكون... فإذا عجز الإنسان أن يبلغ منتهى الكون الحسي ببدنه، وببصره كذلك.. فإن الإنسان أكبر عجزاً من أن يستوعب شرع اللَّه بفكره.

ولذا كان من أهم الصفات للشريعة الخاتمة هو قدرتها على استيعاب تطورات الحياة.. مع إحكامها وثباتها عن الاختلاف والتغيير والزوال كما قال **برناردوشو** في وصفه للإسلام: إنه الدين الوحيد كما يبدو لي، الذي يمتلك القدرة لاستيعاب مراحل الوجود المتغيرة والقادرة على جعل نفسها صالحة لكل عصر».

فإن من ينظر في طبيعة الشريعة الإسلامية يجد

هذين العنصرين أوفى ما يكونان فيها: المرونة والإحكام، ويكفيك أن تنظر إلى ضابطين شرعيين اثنين يتمثلان في قاعدتين، أما الأولى فهي: (الأصل في الأشياء الإباحة) أيْ إن استخدام أيِّ شيء في الوجود مباح للإنسان ما دام فيه نفعه وخدمته، وأصل هذه القاعدة آيات كثيرة في القرآن نفسه، فمنها آية رقم (٢٩) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ وفي هذه القاعدة دخلت كل الحضارات العلمية النافعة للإنسان، السابقة واللاحقة وهكذا مهما امتدت إلى يوم القيامة.

وأما الضابط الثاني فهو القاعدة الشرعية المعروفة: (الأصل في العبادة المنع)، أي أن الأصل عدم جواز الزيادة على العبادات التى شرعها اللّه، فالإنسان لا يجوز أن يشرع عبادة للإنسان، لأن التشريع عبادة، والإنسان لا يجوز

أن يعبد إنساناً مثله، فلا دخل للإنسان في كيفية الصلاة والزكاة وغيرها، لكن له دخل في كيفية البيع والشراء والمعاملات وطرقها وإنشاء مؤسسات ونظم وما إلى ذلك، ولا سيطرة له على أمواله وإن كان عالماً بالدين بحجة أنها زكاة. . . وبهذا تجد المرونة التي تتسع بحيث لا يدرك اتساعَها بشرٌ، وتجد الأريحيَّة في استيعاب التطورات البشرية مهما توسعت، كما تجد فيها حفظ عقول الناس وحياتهم من تدخلات العلماء والقساوسة وغيرهما.

وربما تتساءل هنا وتقول: فأين الإحكام إذن؟

والجواب: أن الإحكام في ثوابت لا تقبل النقض، فمن الثوابت في المعاملات: تحريم الربا، تحريم الفحش، تحريم الخيانة، تحريم الكذب، تحريم أكل أموال الناس ظلماً أو بالباطل، تحريم شهادة الزور، وما إلى ذلك. . . فإذا تحاشيت هذه المحذورات وأمثالها فافعل ما تشاء كيفما تشاء.

ألا توافقني بعدها على أن هذه الرسالة هي

المستحقة لوصف الخاتمة عقلًا...؟!



**الوصف العقلي الخامس عشر: قيام منهاج الرسالة الخاتمة على العلم:**

الحياة هي الحياة، الأرض هي الأرض، والمواد الخام هي المواد الخام... وتبقى اكتشافات الإنسان العلمية تعتمد على أحد محورين: إما الإبداع، وإما التركيب.. وبما أن الحياة ستبقى ممتدة فلا بد أن تتأسس الرسالة الخاتمة على العلم ليستوعب توسعات العلم والحياة إلى يوم القيامة، وإلا سيبقى الدين الخاتم متخلفاً عن الحياة وبالتالي يعيش الناس الفوضى.. أليس هذا مسلماً عقليّاً..!

فأي الرسالات السماوية ركّزت على العلم مثلما ركزت رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام -، ولقد تكلمنا عن ذلك من قبل في «مجلس القرآن والعلم».

فهل يقول عاقل: إن تراكم الخبرات ومستوى الاكتشافات، وسعة العقلية البشرية كانت في فترة

من فترات التاريخ في عهد أي نبي من الأنبياء كما هي في الفترة التاريخية التي بعث فيها محمد وما بعدها. . ؟!

ومن ثم كان لابد أن تكون رسالته هي الرسالة الخاتمة، ولابد كذلك أن تبقى رسالته لا تستوعب التطور العلمي والتوسع العقلي البشري فحسب، بل تفيض عليها وتزيد، وتغذيه بالمزيد ولقد مر معنا من قبل شواهد عدة على ذلك في مجلس: «القرآن والعلم. . .».

دكتور «بريغل»: بودي أن تتوقف هنا قليلًا لتثبت لي أَنَّ أقوال محمد جميعاً، تتوافق مع العلم الحديث، أثبت لي ذلك ولو بمثال واحد صريح؟!

أبو حامد: أيها البروفيسور بحكم تخصصك في علم الأجنة فإني أريد أن أسألك عن اعتقاد العلماء في أيهما خُلق قبل: العظام أم اللحم عند تكوّن الجنين في بطن أمه. . ؟!

دكتور «بريغل»: كانت النظرية المعروفة لدى

العالم كله هي أن اللحم يتكون أولًا إلى أن جاء العلم الحديث فاكتشف الحقيقة التي قلبت هذا التصور وأحدثت زلزلة في علم الأجنة حين أثبت العلم أن العظم يتكون بشكل غضاريف أولًا ثم يأتي اللحم فيكسوه.

**أبوحامد**: أنا لا أخالفك في شيء واحد مما ذكرت لكني أسألك:

ما رأيك لو أني ذكرت لك أن القرآن ذكر هذه الحقيقة من قبل أن يعرفها العلماء المعاصرون بمئات السنين، وقد ذكرها بكل وضوح وتفصيل دقيق أكبر مما ذكرت لك، فهل يمكن أن تقول بعدها إن هذا القرآن ألّفه بشر؟!

هل لديك تفسير غير أنه من عند اللَّه؟

هل من نتيجة قطعية غير أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - خاتم النبيين؟

إذن اقرأ الآيات (١٢-١٤) من سورة «المؤمنون»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن

طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

إنه القطع والجزم بأن العظام قبل اللحم.

**دكتور بريغل**: هذا من القرآن، فأين ذكر محمد في موضوع الأجنة..؟!

**أبو حامد**: وجوابي هو أن هذا القرآن أنزل على محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو معجزته، أما النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فقد حدد مراحل التكوين تحديداً دقيقاً باليوم، حيث يستحيل على محمد - عليه الصلاة والسلام - في ذاك الزمان أن يجازف هذه المجازفة العلمية فينسف دينه ومصداقيته لو لم يكن اللّٰه يوحي إليه بهذه الأرقام الدقيقة..؟!

فقد جاء في الحديث عند البخاري ومسلم بسندهما عن عبد اللّٰه بن مسعود قال: حدثنا رسول اللّٰه - عليه الصلاة والسلام - وهو

الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح...**»[١].

أخبر النبي - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الأول أن الجنين يجمع خلقه في أربعين يوماً، فما هو هذا الجمع للخلق؟ تعني كلمة (جمع) في اللغة: جمع الشيء عن تفرقة، قال ابن حجر - وهو من أكبر شُرَّاح أحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام - في شرح هذه -: والمراد بالجمع ضم الشيء بعضه إلى بعض بعد الانتشار. ونحن نتساءل: ما هو الشيء المنتشر المفرق الذي يضم بعضه إلى بعض لتحقيق تكون الخلق؟ إن هذه العبارة النبوية غاية في الدقة العلمية؛ حيث يمكن استنتاج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - أشار بها إلى انقسام وتكاثر

(١) رواه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

الخلايا الجنينية الهائل والسريع وفي اتجاهات متفرقة، وعلى تمايز هذه الخلايا في طور العلقة، ثم تجمع خلايا كل عضو من أعضاء الجنين ليتم تكونه وتخلقه في طور المضغة في صورة براعم أولية، ولا تنتهي الأربعون يوماً الأولى إلا وخلايا جميع أعضاء الجنين المختلفة قد تمايزت وهاجر ما هاجر منها وتجمعت في أماكنها المحددة لها بعد أن كانت متشابهة وغير متمايزة في مرحلة التكاثر الهائل والسريع للخلايا الجنينية الأولية في الأسابيع الأولى.

كما أخبر(في نفس الحديث أن أطوار الجنين الأولى؛ العلقة والمضغة تبدأ وتكتمل أوصافها وتنتهي خلال هذه الأربعين. فالحديث يتكلم عن التحديد الزمني لقضيتين: الأولى: زمن جمع الخلق لخلايا أعضاء الجسم في صورة براعم أولية، والثانية: زمن أطوار الجنين؛ العلقة والمضغة نصاً والنطفة لزوماً؛ لأنه لا وجود لكلمة

النطفة في الروايات الصحيحة.

أما وجه الإعجاز في حديث الأربعين: فيدل ظاهر الحديث أن خلق الإنسان يجمع في الأربعين يوماً الأولى فلا تكاد تمر إلا وقد تمايزت وتجمعت خلايا كل عضو من أعضاء الجنين وتخلقت في صورة براعم، واجتمعت كلها في حيز لا يزيد عن سنتيمتر واحد. ثم يذكر الحديث وصفَ طَوْرِي العَلقةِ والمضغة في هذه المدة من الزمن: (ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك). أي ثم يكون علقة مكتملة الخلق المقدر لها مثل ما اكتمل جمع خلايا خلق الإنسان في الأربعين يوماً الأولى. ويقرر العلم الحديث أن الجنين فيما بين اليوم الثامن والواحد والعشرين يأخذ صور العلق المختلفة من تعلق شيء بشيء ومن ظهوره كقطعة دم جامد، حتى تكتمل صورته كصورة العلقة التي تسبح في البرك وتتعلق بالماشية في نهاية الأسبوع الثالث. (ثم يكون في

ذلك مضغة مثل ذلك) حيث يأخذ الجنين شكل المضغة المستديرة المميزة بعلامات تشبه طبع الأسنان عليها، وبسطح غير منتظم، وتنتج الفراغات بين الكتل البدنية شكلًا أشبه بالمادة الممضوغة. ويتجلى الإعجاز في التطابق بين الاسم والمسمى، مع أن الجنين من الصغر بحيث لا يزيد طوله عن قدر أُنْمُلةٍ، والفترة الزمنية بين هذه الأطوار قصيرة، وتقدير عمر الجنين قبل اكتشاف البويضة وارتباط دورة الحيض بها أمر في غاية الصعوبة كما أن النطفة، والعلقة، والمضغة، التي ذكرها القرآن الكريم لم تكن معروفة أصلًا في تلك الأيام. كذلك فإن الأعضاء الأساسية للجنين في الداخل تبدأ في التمايز والتخلق، وبالتدريج يأخذ الجنين شكل المضغة المخلقة وغير المخلقة.

وجه الإعجاز في حديث اليوم الثاني والأربعين: هذا الحديث النبوي يتحدث عن خلق

أعضاء السمع والبصر والعظام والعضلات وأعضاء الذكورة والأنوثة والتصوير الآدمي للجنين، ويحدد زمانها بيوم يبدأ بعده خلق أو استكمال خلق هذه الأجهزة لا قبله، وهو ما أكدته الحقائق العلمية في علم الأجنة.

وقد تطابقت المعلومات العلمية والدراسات الجنينية الحديثة، بعدما أصبحت حقائق مشاهدة مع ما ورد في القرآن الكريم وأحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام - فمن أخبر محمداً - عليه الصلاة والسلام - بكل هذه الحقائق؟ ومن كان يجرؤ من البشر في زمنه - عليه الصلاة والسلام -، بل وبعد زمنه بعشرة قرون، أن يحدد تاريخاً - باليوم - من عمر الجنين يفصل به بين مرحلتين مختلفتين تمام الاختلاف، بل ويذكر فيه تفاصيل لم تعرف إلا بعد أبحاث مُضْنِيَة، وبعد تقدم وسائل المعرفة واختراع المجاهر الدقيقة! قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾

[فصلت: ٥٣ - ٥٤].

أستاذة علم التاريخ والأديان: أنا لست بمتخصصة في الطب ولا في علم الأجِنَّة لكن أرى أن اعتراضاً قوياً ينسف هذه الآية التي ذكرت في القرآن، وكذا حديث محمد، وإذا ثبت أن خطأً علمياً واحداً في القرآن أو عند محمد فهذا كفيل بأن ينسف كل شيء عندكم! لأن اللَّه لا يُخطيء. أليس كذلك..؟!

ذلك الاعتراض هو أن من نظر إلى المرأة إذا أسقطت يجد قطعة من اللحم ولا يجد فيها عظماً، فكيف يقول قرآنكم إن العظم قبل اللحم..؟!

أبوحامد: نعم من حقك أن تعترضي وتسألي، ولكن هذا الذي تشاهديه أنت يا أستاذة هو ما يشاهده عامة الناس بالأعين المجردة، وهو ما كان يشاهده الإنسان آنذاك يوم نزلت الآيات، ويوم قال محمد - عليه الصلاة والسلام ما

قال... إلى ما قبل النتائج المخبرية الحديثة.

وقولك هذا هو دليل جديد وعظيم على أن هذا القرآن من عند اللَّه وهذا النبي رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، إذ أين وقت نزوله من الاكتشافات العلمية الحديثة وهو في فترةٍ تقابل قَعْرَ العصور الوسطى عندكم، أليس هذا هو الإعجاز بحق؟!

نعم حتى وقت قريب كان يُعتقد أن العظام والعضلات تظهران وتنموان معاً، غير أن البحوث الأخيرة أظهرت حقيقة مختلفة تماماً لم يكن أحدٌ ينتبه إليها، وهي أن نسيج الغضاريف في الجنين يتحول إلى عظام أولًا، ثم يتم اختيار خلايا العضلات من الأنسجة الموجودة حول العظام لتتجمع هذه الخلايا وتلف العظام.

هذه الحقيقة العلمية التي وردت في هذه الآية قبل قرون تم شرحها في كتاب علمي حديث اسمه «نشوء الإنسان» فيقول ما يأتي: «في الأسبوع

السادس وكاستمرار للتغضرف (أي التحول إلى غضاريف) تتم أول عملية تحول إلى عظام في عظم التَّرْقُوة(١)، وفي نهاية الأسبوع السابع يبدأ التعظم (أي التحول إلى عظم) في العظام الطويلة. وبينما تستمر العظام بالتكون يتم اختيار خلايا العضلات من النسيج المحيط بالعظم حيث تبدأ العضلات بالتكون، ويبدأ نسيج العضلات بالانقسام حول العظم إلى مجموعة أمامية ومجموعة خلفية.

والأبحاث الميكروسكوبية أثبتت أن تطور الجنين داخل رحم الأم يتم كما وصفته آيات القرآن، فأولًا تتكون الأنسجة الغضروفية التي تتحول إلى عظام الجنين، ثم تكون بعدها خلايا العضلات ثم تتجمع مع بعضها و تتكون لتلتف حول العظام.

وجاء في نفس الكتاب: «خلال الأسبوع

---

(١) الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما الترقوتان.

السابع يبدأ الهيكل العظمي بالانتشار في الجسم و تأخذ العظام شكلها المألوف، وفي نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن تأخذ العضلات وضعيتها حول أشكال العظام.

لذلك لاحظ أن «الغضاريف هي عبارة عن عظام فى مرحلة متقدمة من مراحل نموها وتكوينها كما أن بعض العظام تنضج مبكراً فى نفس الفترة التى تكون باقى العظام فى مرحلة الغضروف».

كذلك لاحظ أن «الغضروف نسيج متين ولكنه لَيِّنٌ ويبقى زمناً طويلًا وينمو الجنين وتتقلص الغضاريف أي تترسب عليها أملاح الكالسيوم فتصبح نسيجاً عظمياً صلباً وأول عظم يتقلص في الجسم هو عظم الترقوة»[١].

وليس هذا هو الإعجاز الوحيد بل ثمة إعجازات أكبر من حجم كتابنا هذا، لو أنَّا جمعناها في كتاب.

---

(١) Developing human.

الوصف العقلي السادس عشر: تنظيم العلاقة مع الموجودات:

كما خَلَفت أمة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - جميع الأمم السابقة... فإن الأمم الأخرى خلفت بعضها بعضاً، فكان لا بد أن تضع الرسالة الخاتمة تنظيماً واضحاً للعلاقات ما بين الأمم الأخرى كلها، أمة الحيوانات، وأمة الطيور، وأمم نعرفها وأمم لا نعرفها، أمم نشهدها وأمم لا نشهدها... وذلك أن هذه العلاقات لا يمكن أن تدرك بالعقل الإنساني وحده... وكيف يستطيع الإنسان تنظيمها وهو لم ينجح في تنظيم العلاقات الإنسانية بعد، ويكفي دليلًا على ذلك هذه الحروب والتعدي... ثم إذا كانت كل رسالة من الرسالات السابقة جزئية ومقتصرة على حاجيات القوم الذين أرسل فيهم رسولهم، فكيف يمكن أن تعالج أمور البشر عامة...؟ بل كيف لها أن

تعالج علاقات أمة البشر بالأمم الأخرى...؟ تصوروا لو جاء النبي الخاتم ولم يوضح هذه العلاقات، فمن سيوضحها بعده؟

وبما أن الرسالة الخاتمة ستكون في آخر الدنيا فلا بد أن يكون لها منهج واضح في التعامل مع المخلوقات الأخرى ومع النباتات ومع الكائنات حية وجامدة، إذ إن سر ذلك هو أن الدنيا آيلة إلى الانقراض، ومخلوقاتها في آخرها أسرع انقراضاً، وسيكون الإنسان أكبر تجربة ومعرفة بطرق إفناء الحيوانات، فإذا تعامل البشر معها بالوحشية العلمية الجارفة، انقرضت مخلوقات كثيرةٌ وربما تكون نافعة في وجوه لا يدرك البشر نفعها، ولو تركوا هذه الحيوانات تماماً لربما انقرض الناس أنفسهم بسببها! فكان لا بد من ميزان يثمر سلامة النظرة أولًا، وسلامة الحياة ثانياً.

وأجد نفسي مضطراً لأُطِلَّ معك إِطْلالةً على بعض ما ورد من حياة النبي محمد - عليه الصلاة

والسلام - في هذا الجانب، لأثبت لك بالأدلة الواضحة أنه الأحق بوصف النبي الخاتم، لانطباق هذه الصفة على حياته ومنهجه.

واعذرني إذا لم أعقب على كل أثر من هذه الآثار بالتفصيل لوضوحها وطلباً للاختصار:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»[1].

تأمل معي كلمة واحدة «أهل الأرض» وكم تشمل هذه من العوالم..؟!

وتأمل معي منهجية التعامل مع كل «من في الأرض»، إنه منهج التراحم لقوله: «ارحموا».

ثم تأمل معي فن التعامل مع أمة الحيوانات وعلى الأخص أمة الكلاب..!

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١)، وصححه الألباني.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «بينما كلب يطيف بِرَكيَّةٍ[١] كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوْقَها[٢] فسقته فغفر لها به»[٣].

وتأمل معي التعامل مع أمة النمل وأمة العصافير والدجاج، «عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي - عليه الصلاة والسلام - فنزلنا منزلًا فيه قرية نمل قد أحرقناها، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «لا يُعذِّبُ بها أحدٌ إلا اللَّه - تعالى وَعَزَّ - فإنه لا يعذب بالنار إلا خالقها»، وقال: مررنا بشجرة فيها فريخاً حمرة، فأخذناها، فجاءت حمرة إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وهي تعرِّش، فقال: «من فجع هذه بولدها؟»»[٤].

(١) يطيف بركية: أي يدور حول بئر.
(٢) موقها: أي خُفَّها، فارسي معرب.
(٣) رواه البخاري (٣٢٨٠)، ومسلم (٢٢٤٥).
(٤) رواه أبو داود (٢٦٧٥) وصححه الألباني.

فـهـل أضـعـف فـي عـيـن الإنـسـان مـن نـمـلـة، وعصفور، ودجاجة؟

هـذه هـي عـلاقـة الإنـسـان واضـحـة بـأضـعـف المخلوقات، إنها علاقة الرحمة، حتى لو أصبح بعضها مؤذياً فإنه يتخلص منها، ولكن لا ينبغي أن يكون الخلاص منها انتقاماً كالتخلص من النمل بالإحراق إذا أصبح مؤذياً، ولا ينبغي أن يتخلص منها إذا لم تكن مؤذية، كما لا ينبغي رفعها وتقديسها مثلما تصنع بعض الأمم التي فقدت عقولها وأخذت تعبد النمل أو الفأرة أو البقرة أو الأسماك. . . !

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجةً يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كُلَّ خاطئةٍ من نَبْلِهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. «إن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لعن من اتخذ شيئاً فيه

الرُّوح غرضاً»[١].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[٢].

إذن فالإنسان مطلوب منه أن يوفر الطعام للقطط والحيوان إذا كان يريدهم أن يعيشوا معه وإلا فليتركهم يطلبون طعامهم بأنفسهم.

وعن سهل بن الحنظلية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: مرَّ رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: «**اتقوا اللَّه في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[٣][٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (١٩٥٨)، واللفظ له.
(٢) صحيح البخاري، باب: خمس من الدواب فواسق.
(٣) أي اتركوها وأنزلوا عنها.
(٤) رواه أبو داود (٢٥٤٨) وصححه الألباني.

هذا هو المنهج في الحيوانات الأليفة. . . تُستخدَم بإحسان وتُراعَى صحتها وسلامتها، وتؤكل كذلك صحيحة لا مريضة وهزيلة.

عن جابر رضي الله عنهما، أن النبي - عليه الصلاة والسلام - مرَّ على حمار قد وسم في وجهه، فقال: «**لعن اللَّه الذي وسمه**»[1].

فإذا تأملت هذا الحديث وجدت إنه لم يكن في حسبان الناس قبل محمد - عليه الصلاة والسلام - مراعاة مشاعر الحمير وأحاسيسها، فالمهم عندهم هو أن يعرفها صاحبُها، فكانوا يكوون الحمار في وجهه من أجل تمييزه، لكن النبي - عليه الصلاة والسلام - غيّر هذا المنهج وأمر بإلغاء هذا الأسلوب المتبع آنذاك ووضع منهجاً أحسن منه.

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «**ما من مسلم يغرس**

(١) رواه مسلم (٢١١٧).

**غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»**[(١)].

إذا فهذا الأجر الموضوع على هذا العمل هو أكبر حافز للتخضير، وأكبر علاج لغزو التصحر، كما أن غاية هذا التوجه نبيلة، لأنه موجه للطير الذي لا ننتفع منه انتفاعاً مباشراً وللإنسان الذي لا نعرفه من المارَّة وغيرهم.

وكثيراً ما ورد عن عالم البحار من آيات قرآنية وأحاديث نبوية لكن مما ورد ذلك في القرآن: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. وحديث النبي - عليه الصلاة والسلام: (**هو الطَّهورُ ماؤه، الحِلُّ ميتته**)[(٢)].

وهكذا في أحكام طرق الناس يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**كان على الطريق غصن شجرة**

---

(١) رواه البخاري (٢١٩٥)، ومسلم (١٥٥٢).
(٢) رواه أبو داود (٨٣) وصححه الألباني.

**يؤذي الناس، فأماطها رجل فأُدخل الجنة»**[١].

وفي الحديث الآخر: «**اتقوا اللّعانين، قالوا: وما اللعانان يا رسول اللَّه؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم**»[٢].

وفي الحديث الآخر: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه**»[٣].

وما هذه النصوص إلا مجرد عناوين لمواضيع كبيرة وردت عن عوالم مختلفة.

أما ما ورد في ذلك عن عالم الملائكة وعالم الجن فهو كثير يضيق هذا المقام عن بيانه لكنه كله لا يخالف العقل أبداً... وإذا حدثت لنا جولة حوار أخرى في هذا الموضوع فسوف نبين ذلك بالتفصيل إن شاء اللَّه، وتوجد كتب متخصصة في هذا الجانب.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٨٢) وصححه الألباني، ومسلم (١٩١٤)، بلفظ مقارب.
(٢) رواه مسلم (٢٦٩).
(٣) رواه البخاري (٢٣٦)، ومسلم (٢٨٢).

**الوصف العقلي السابع عشر: عنوانها الأخلاق:**

بما أن الأرض لم تشهد في أي مرحلة من مراحلها تجمعاً للبشرية كمّاً ونوعاً مثلما تشهده في مرحلتها الأخيرة، وبما أن هذه الأمة هي أكبر أمة على مر التاريخ، بل هي أمم كثيرة في محيط الأمة الكبيرة فقد أصبحت حاجة هذه الأمة للأخلاق أكبر من حاجة كل الأمم التي سبقتها، سواء استجلاب الأخلاق الحسنة أو الوقاية من الأخلاق السيئة.

فلننظر مَن الأكثر تركيزاً على الأخلاق مِنْ بين الرسالات جميعاً، ومن الأكثر حفظاً لمسيرة نبيها وسيرته الأخلاقية..؟!

لو أننا لم نتطرق إلى أي نص شرعي من أي دين كان... **لكان العقل** يقول: بما أن آخر الرسالات هي الأقرب زمنياً لنا، فإنها الأكثر حفظاً لأخلاق نبيها بحكم أنها الأقرب، والأقل تعرضاً لنكبات التاريخ.

وبما أن إرث الأخلاق تراكمي فلا بد أن تكون آخر الرسالات مَجْمعاً لكل الأخلاق الفاضلة، ولذا فرب العالمين يقول لصاحب الرسالة الأخيرة عن أصحاب الرسالات السابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ هذا هو الأساس.. اقتد بهم جميعاً، خذ منهم جميعاً، فَلَكَأنَّ مَنْ يرى أخلاقه يرى أخلاق الأنبياء جميعاً، هذا هو الموقف الحق، وليس هو الكفران لمن سبق، ومحمد - عليه الصلاة والسلام - يُبيّن هذا الأمر بكل وضوح فيقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، فاختصر رسالته في تتميم مكارم الأخلاق، وكلمة «التتميم» تحوي معنيين مهمين:

**الأول:** هو التأسيس على ما سبق، **والثاني** الإضافة على من سبق.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩١)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٤٥).

ولعل هذه الصفة مشتركة ما بين الأنبياء، فكل نبي يقتدي بأخلاق مَنْ سبقه من الأنبياء، ثم تبقى له مزاياه الأخلاقية الخاصة، وعليه فينبغي أن يكون آخرهم أكثرهم جمعاً لمحاسن الأخلاق، وأكثرهم مزايا مضافة على محاسنها، وهذا هو ما كان معروفاً عن النبي - عليه الصلاة والسلام -، فلقد أجابت زوجته وأعرف الناس به حينما سُئلت عن خلقه فقالت: «**كان خلقه القرآن**»[١].

ولهذه الكلمة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أبعاد عظيمة منها:

**أولًا**: ربط حفظ خُلُقه، بحفظ شيء لا يزول ولا يتغير وهو القرآن.

**ثانياً**: تسهيل خلقه فهو سهل كسهولة القرآن الذي يقول اللَّه فيه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٩١) قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

ثالثاً: عظمة خلقه وواقعيته.

إذن هو مطبق وليس مجرد نظريات.

وأنت إذا تأملت حياة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في أي موضع تستطيع أن تفيد من خلقه كمثال تحتذي به من موقعك الذي أنت فيه، وهكذا يستطيع كل أحد غيرك من موقعه أن يجد فيه قدوته، سواءً في ذلك راعي الغنم أو راعي الأمم، كلهم يرى إمكانية الاقتداء به من موقعه.

وسوف أذكر لك نقاطاً من بحر محمد الأخلاقي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام -: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[1]

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

فانظر إلى التكامل حين ربط كمال الإيمان بكمال الأخلاق.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»[١].

فانظر كيف جعل محمد - عليه الصلاة والسلام - التزام الأخلاق ليس خاصاً به، بل أَشَاعَهُ حتى جعله الفارق بين منازل أصحابه وأتباعه والمؤمنين به والمثقِّل لميزانهم يوم القيامة، وبهذا تشتعل المنافسة بين المؤمنين.

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني.

هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقُضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[١].

إذا لاحظت هذا الحديث وجدته يتحدث عن المؤمن المفلس من أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - وليس غير المؤمن، ووجدت أن الخلق يشمل كل قول وكل عمل، ويشمل الكلام والمال، وأن سَيِّئَهُ يأكل الحسنات أكلًا.

الوصف العقلي الثامن عشر: مباشرة العلاقة باللَّه:

إذا كانت الأمم تذهب إلى أنبيائها إن وقعت في خطيئة فتستغفر ربها ويستغفر نبيها لها، فيغفر اللَّه لها... فلمن يذهب الناس إذا أخطؤوا بعدما يموت النبي الخاتم..؟!

أيتركهم اللَّه بذنوبهم، أم يترك غير الأنبياء

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

يبتزونهم ابتزازاً مستغلين وقوعهم في الخطيئة، والخطيئة ملازمة للضعف البشري. . .؟!

أم أن اللّه جعل بينه وبين خلقه وسائط يذهبون لهم فيطهرونهم من الذنوب، أو يمنحونهم رضوان اللّه ويقتطعون لهم أراضي في الجنة. .؟!

إن هؤلاء الذين يمنحون أنفسهم هذه الخاصية هم أكذب الناس على الناس، وأعظم الناس كذباً على اللّه، لأن الأنبياء جاؤوا لإزالة الوسائط ما بين العباد ورب العباد، ولأن هؤلاء رفعوا أنفسهم على العباد بل انتحلوا صفةً من صفات اللّه وهي المغفرة والتوبة.

ومن ثَمَّ كان من أهم صفات الرسالة الخاتمة أن تزيل كل وسيط بين الخَلْق والخالق، بين المذنب وبين ربه سبحانه، لأنه لا نبي بعد النبي الخاتم، ذلك أن الوحي انقطع بذهاب النبي الخاتم، ومن ثم فإن كل من يخبر عن اللّه فهو مُدَّعٍ ومتقوِّلٍ على اللّه بغير علم. فلزم أن تفتح

الرسالة الخاتمة أبواب التوبة في الليل وفي النهار، ومن المشرق إلى المغرب، مُزِيلَةً كل العوائق بين المذنب وبين ربه مباشرة، في أي زمان وأي مكان.

فمن تأمل ضرورة هذه الصفة للرسالة الخاتمة ثم نظر في رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - علم يقيناً أنها الرسالة الخاتمة، فاستمع للقرآن وكيف خاطب اللَّه تعالى عباده، فقال في سورة الزمر آية ٥٣: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فإذا أعدت النظر في الآية وجدت أن اللَّه سبحانه خاطب المسرفين من عباده وليس الصالحين، وأمرهم على لسان محمد - عليه الصلاة والسلام - أن يرجعوا للَّه مباشرة بصيغة محببة لهم حيث ينسبهم اللَّه لنفسه، فيقول «يا عبادي» ثم إن هؤلاء العباد المخاطبين هم

المسرفون على أنفسهم وليس آحاد المذنبين. . . المسرفون في الشراب أو في الكفر أو في الظلم أو الزنا أو في الشذوذ وما إلى ذلك. . !

فاللَّه يخاطب هؤلاء بأن لا يقنطوا من رحمة اللَّه، وعليهم أن يعودوا فيتوبوا قبل الموت الذي لا يعلمون متى يحل بهم، ولذا جاء في الآية التي بعدها مباشرة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

ثم انظر كيف فتح النبي باب التوبة من بعده في كل وقت ومكان، وعلى أوسع نطاق وبصفة المباشرة ما بين العبد وربه فاستمع لما قال:

عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «للَّه أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلًا وبه مهْلَكَةٌ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى

إذا اشتد عليه الحر والعطش، قال: أَرْجِعُ إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده، عليها زاده وطعامه وشرابه، فاللَّه أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»(١).

فهل في الوجود مثل أبلغ من هذا المثل؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب اللَّه عليكم**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «كل ابن آدم خطاء، وخير **الخطائين التوابون**»(٣).

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن اللَّه يقبل توبة العبد

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢٧٤٤)، واللفظ له.
(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٨) قال الألباني: حسن صحيح.
(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٩) وحسنه الألباني.

ما لم يغرغر»(١)(٢).

عن أبي موسى رضي الله عنه، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»(٣).

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه، عن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن من قِبَل المغرب لباباً مسيرة عرضه أربعون عاماً، أو سبعون سنة، فتحه اللَّه عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه»(٤).

---

(١) يغرغر: بغينين معجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، وبراء مكررة، معناه: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به.
(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧) وحسنه الألباني.
(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩).
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٦)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع (٣٩٩٢).

نعم من شروط قبول التوبة أن يعزم الرجل على أن لا يعود وعلى أن يرد الحقوق لأصحابها ولكن هل تراه لو عاد لما قبله اللَّه ثانية؟

سوف أسوق لكم هذا الحديث عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لتعرفوا إن كان يقبله أو لا يقبله.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إن رجلًا جاء إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «يا رسول اللَّه أحدنا يذنب. قال: «يكتب عليه» قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: «يُغفر له ويتاب عليه». قال: «فيعود فيذنب». قال: «فيكتب عليه» قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال: «يغفر له ويتاب عليه، ولا يمل اللَّه حتى تملوا» (١).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٦٨٩) قال الحافظ ابن حجر: «حسن صحيح، وله شاهد في الصحيحين». انظر الأمالي المطلقة ص ١٣٤ .

الوصف العقلي التاسع عشر: الرحمة والتيسير والسماحة والسلام:

ما ورد من الرحمة في الرسالات السماوية السابقة إنما يمثل الرحمة في جوانب مخصوصة ذكرت لنا، أما الرحمة في جوانب الحياة كلها فلم يرد عن نبي واحد منهم عليهم السلام.. ولازم من لوازم الرسالة الخاتمة أن تتصف بالرحمة في جميع جوانب الحياة.. وكما تكون الرحمة مبدءاً تكون تطبيقاً عملياً قابلًا للتكرار في حياة البشر.

وعند تأمل حياة الأنبياء تجد أن موسى - عليه الصلاة والسلام - كان رحمة لبني إسرائيل ورسالته جاءت لإخراجهم من ظلم فرعون، وهذا لا ينكره أحد، وقد جاء في القرآن ما يثبت ذلك، وذلك في سورة النازعات: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾.

وعيسى - عليه الصلاة والسلام - ذهب إكمالًا لرسالة موسى - عليه الصلاة والسلام - ولذلك

قال (متى: ١٥ : ٢٤): «إنما بعثت لخراف بيت إسرائيل الضالة».

يقول «إميل درمنجهم» عن النبي محمد ﷺ: «لقد أبدى من الكرم وعظمة النفس ما لا تجد مثله في التاريخ إلا نادراً، وكان يوصي جنوده بأن يرحموا الضعفاء والشيوخ والنساء والأولاد، وكان ينهى عن هدم البيوت وإهلاك الحرث وقطع الشجر المثمر»(١).

أما محمد - عليه الصلاة والسلام - فقد حدد اللَّه غاية رسالته بقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وانظر إلى مصداقية هذه الغاية ومدى تحقيقها في أحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام -.

عن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنه أن رسول اللَّه -

---

(١) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي. عماد الدين خليل. (من كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر الشايب ص٤١٥).

عليه الصلاة والسلام - قال: «رحم اللَّه رجلًا سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[١].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي - عليه الصلاة والسلام - سبي، فإذا امرأة من السبي[٢] تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: لَلَّه أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «تُقبِّلون الصبيان؟ فما نُقبِّلهم، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**أَوَ أملك لك أن نزع اللَّه من قلبك الرحمة**»[٤].

---

(١) السَّبْيُ: الأسرىٰ من النساء والأطفال.
(٢) رواه البخاري (١٩٧٠).
(٣) رواه البخاري (٥٦٥٣) ومسلم (٢٧٥٤).
(٤) رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٣٧١).

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول: «لا يُرْحم من لا يرحم الناس»[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم - عليه الصلاة والسلام - يقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[٢].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس، رحمة العامة»[٣]. فهي ليست رحمة المسلمين إنما رحمة عامة الناس.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي - عليه

(١) رواه البخاري (٦٩٤١)، ومسلم (٢٣١٩).
(٢) رواه أبو داود (٤٩٤٢) وحسنه الألباني.
(٣) رواه الطبراني، قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، انظر الفتح (١٠/ ٤٥٣)، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب (٢٢٥٣).

الصلاة والسلام - قال: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»(١).

عن أنس رضي الله عنه أن النبي - عليه الصلاة والسلام - رأى شيخاً يهادى بين ابنيه، قال: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن اللَّه عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنهما أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إني لأدخل في الصلاة وأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وَجْدِ أمه من بكائه»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق،

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٣) وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (١٧٦٦) ومسلم (١٦٤٢).
(٣) رواه البخاري (٦٧٧)، ومسلم (٤٧٠).

فأصبحوا يتحدثون: تُصدَق الليلة على سارق!! فقال: اللَّهم لك الحمد على سارق!! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية!! فقال: اللَّهم لك الحمد على زانية!! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني!! فقال: اللَّهم لك الحمد على سارق وزانية وغني؛ فأُتي فقيل له: أمَّا صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما صدقتك على زانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما صدقتك على غني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه اللَّه»[١].

عن عائشة رضي الله عنها، أن يهوداً أتوا النبي - عليه الصلاة والسلام - فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة رضي الله عنها: عليكم السام ولعنكم اللَّه وغضب اللَّه عليكم. قال - عليه الصلاة والسلام -:

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٥)، ومسلم (١٠٢٢).

«مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ»[١].

عن عائشة زوج النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «دعوه وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء أو سَجْلًا[٣] من ماء فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا مُعسِّرين»[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي - عليه

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨)، ومسلم (٢١٦٥).
(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤).
(٣) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.
(٤) رواه البخاري (٥٧٧٧).

الـصلاة والسـلام - يـتـقـاضـاه فـأغـلظ، فـهـمّ بـه أصـحـابـه، فـقـال رسـول الـلَّه - عـلـيـه الـصـلاة والسلام -: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالًا» ثم قال: «أعطوه سناً[١] مثل سِنه» قالوا: ما نجد إلا جذعة، قال: أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً»[٢].

وكم أدرك من الحقيقة العالم الكبير دايوانجاند شارما حين لخص الأمر بكلمتين: «محمد كان روح اللطف والطيب وتأثيره فيمن حوله بقي ولم يُنس أبداً»[٣].

الوصف العقلي العشرون: جلاء حياته الأسرية:

كما ينبغي أن يؤسس النبي الخاتم أعظم بنيان في تاريخ البشرية لأنه البناء الذي لا يعتمد في بنيانه على من بعده من البنائين، فكان ينبغي أن

---

(١) السِّنُّ: هو البعير في سِن معين.

(٢) رواه البخاري (٢١٨٣).

(٣) Diwan Chand Sharma, The Prophets of the East, Calcutta 1935, p.122-.

يكون أساس بنيانه أعظم ما يكون قوة ومتانة، وهل من أساس للمجتمع إلا الأسرة..؟!

هل اللبنة الأولى في بناء المجتمع إلا لبنة الأسرة، ولذا كان أي غموض في حياة الأسرة ضعفاً في القدوة؟

ثم إن حاجة الناس للاختصاص في الاقتصاد أو السياسة أو نحو ذلك من جوانب حاجيات تخصصية وليست عامة، لكن حاجة الناس للأسرة حاجة ملازمة لكل الناس كملازمة الليل والنهار للإنسان.. فلربما يعيش الفرد سياسياً وربما يعيش اقتصادياً وربما يعيش غنياً أم فقيراً، لكن لابد أن يعيش كل واحد من هؤلاء في أسرة، و كذلك ربما يكون كل واحد من هؤلاء عضواً في جمعية أو مجلس أو نحوهما، أو لا يكون لكنه لا بد أن يكون عضواً في أسرة.

وأساس هؤلاء جميعاً هي الأسرة، ومن ثم لزم أن تكون حياة خاتم النبيين واضحة في هذا

الجانب تمام الوضوح لأنها اللبنة الأساس في بنيان المجتمع، ولأنها الحالة التي لا يستغني عنها بشر.

فليست العبرة الأساس فيما ظهر من حياته أمام الناس فحسب، إنما الأساس فيما خفي من حياته داخل جدران منزله، أليس صفاء الباطن هو أصل لصفاء الظاهر؟

إذ ما فائدة أن يكون الرجل عظيماً خارج بيته، بينما يعيش عيش الأشقياء داخل أسرته..؟!

ما فائدة أن يكون ناجحاً مع صحبه، أو في عمله، فاشلًا مع أهله وولده..؟!

وحتى لو كان هذا هو حال الكثير من الناجحين، فهل تراه يصلح أن يكون قدوة للناس كافة، وفي كل المجالات..؟!

وماذا ترى الناس سيصنعون إذا وقعوا في مشاكل مع أسرهم، مع زوجاتهم، مع أولادهم، إذا ما رجعوا إلى سيرة قدوتهم ولم يروا شيئاً

يذكر، أو رأوا مجلداً كبيراً عن حياة ذلك النبي لم يكتب فيه عن الجانب الأسري إلا صفحة أو صفحتين؟!

فكيف إذا كان هذا الشخص خاتم النبيين الذي ينبغي أن يجتمع فيه الكمال البشري..؟

لا مجال عند وقوع المشكلة هنا للمثالية المجردة، والتسامي المطلق.

إن نقص النبي الخاتم - أياً كان - عن هذا الجانب ليس نقصاً في حقه فحسب إنما نقصاً في جميع الرسالات السابقة، بل نقصاً في الذي أرسله لأنه داعٍ لأن يقول القائل: كل الرسالات لم تسد الجانب الشخصي.. أو يقول: لم تكن الرسالات كافية لإنقاذ البشر..!

هنا يأتي السؤال المُلِحُّ: حياة مَن مِن هؤلاء الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - الشخصية مكشوفة كي يكون هو المستحق لوصف النبي الخاتم..؟!

والجْواب واحد لا غير. . . إنه محمد - عليه الصلاة والسلام -.

فبينما لا تكاد ترى للجانب الشخصي والأسري ذِكْراً في تاريخ بقية الأنبياء وحياتهم، فإنك في المقابل لا تكاد ترى جانباً صغيراً جداً من حياة أسرة إلا وتجد في حياة محمد - عليه الصلاة والسلام - الأسرية له ذِكْرٌ.

وفي الوقت الذي لا تكاد تجد السيرة الشخصية لحياة أي نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تتجاوز الصفحات المعدودات، فإنك تجد المجلدات الكبار لا تكاد تغطي حياة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - الشخصية المنزلية.

سلني الآن إن شئت عن أدق التفاصيل التي تطلبها، وسوف أذكر لك ماذا قال محمد - عليه الصلاة والسلام - وماذا فعل - عليه الصلاة والسلام -! وفوق كل هذا فإنك لن تجد تصرفاً

واحداً من تصرفاته يخالف العلم الحديث الصحيح، أو العقل السليم، أو الحضارة الحديثة الراقية.. أو علم السلوك والتربية الصحيحة.

بينما سلني أو سل أي قسٍّ عن أي جانب من جوانب حياةِ أي نبي فلربما تجد الغموض يلفها...! ليس ذلك لعدم علمنا بل نحن - بحمد اللَّه - درسنا سير الأنبياء، ولكن لعدم رواية هذه الأشياء عنهم وربما لأن قومه الذين بعث فيهم لم يكونوا يحتاجونها.

وإذا جادلك في هذه الحقيقة أي أحد من قساوسة أو غيرها فسله عن بعض جوانب حياة ذلك النبي وسوف تعرف الحقيقة، وهي أنه لا خاتم إلا محمد - عليه الصلاة والسلام- .

وكل ذلك مذكور من فعله أو من قوله بأرقى أسلوب، وأعلى معنى، سواءً في ذلك معاملته أهله، ومباسطته لهم، أو معاشرتهم، أو تعليمهم، أو عمله داخل بيته، أو طريقة زواجه،

أو طريقته في حل مشاكله، أو مع ضيفه، أو مع ولده، أو مع خادمه، أو كيفية مواجهته للمصائب، والأفراح. أو حياته في ليله، أو كيفية نومه، أو كيفية تعاره من نومه، أو كيفية قيامه من نومه.

كذلك حياته الشخصية من ولادته إلى طفولته، إلى فتوته إلى شبابه، إلى زواجه إلى أبوته، إلى كبر سنه، إلى مرضه إلى موته...

* * *

# خاتمة المجلس

سؤال كبير يقول: كم عاش محمد –عليه الصلاة والسلام– على الأرض .. لكن كم بقي حيًّا في نفوس البشرية .. وفي أنظمتها العادلة وفي أخلاقها الفاضلة ..؟!

هل تسير البشرية اليوم نحو الانحدار الاجتماعي والقيمي وغيرهما أم لا؟!

وما دام الجواب المتفق عليه هو نعم، فإلى متى ستتخبط البشرية حتى تعود لهدى محمد عليه الصلاة والسلام ..؟!

إن المسافة ما بين تخبط البشرية وعودتها لهدي النبي – عليه الصلاة والسلام – تساوي: تخليها عن تعصبها فقط وإن شئت قلت هو: الإنصاف.

بإمكان الناس أن يتخلوا عن الاقتداء بفلان وفلان من قادة عسكريين أو سياسيين أو مصلحين لكن تخليهم عن الاقتداء بمحمد – عليه الصلاة والسلام– يساوي الشقاء في البيت، وفي العمل، وفي الحياة وفي الممات وفي الآخرة.

سلسلة

# لك القرار

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

# المجلس السابع
# مجلس حلول المشاكل

المقدمة:

قل ما تشاء عن مبادئك.. واستمع لما تشاء عن مبادئي.

لكن: على نار المشاكل الملتهبة تذوب دعاوى المبادئ، ومبادئ الدعاوى.

أتريد أن تعرف نصيب دينك من حياتك؟

انظر لنصيب دينك من حل مشاكلك، فصاحبك من يصحبك عند المشكلة، لا من ينسحب عنك إذا اسْتَعرتْ في صدرك وبيتك ومجتمعك نار المشكلة، فضلًا عن صاحب يسحب إليك المشكلة..!

إن مبدأ حظه من مشاكلك التخدير والفرار، جزاؤه أن تحرق أوراقه كما احترقت مثاليته عند المشكلة بالنار.

انظر في هذا الفصل، جاعلًا العالم قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام بين يديك.. ناظراً إلى رُكام المشاكل التي توارثها العالم - آنذاك - منذ انطلاق البشرية حتى ذلك الجيل.

وسوف ترى ظُلمتين أطبقتا على الأرض كلها: ظلمة الظلم، وظلمة الجهل.

وسيبقى السؤال الأعظم: ما الذي حدث حتى انقشعت الظلمتان..؟!

أصدر قرارك ولو في داخلك.

* * *

## من يحل المشكلة يظفر بالجائزة

### بوابة المجلس السابع

في بيت إيزابيلا المطلَّقة.. تحلق أهل الفكر على شكل مجلسها.

أخذ شكل المجلس بنظر أصحاب النظر إعجاباً.. فالورد في جنبات المجلس يَنفحُ عطراً طبيعياً.. والورد في وسطه يأسر النظر طبيعياً، والانشراح يفوح مِن وجوه مَن حضر طبيعياً.

فما أجمل الحياة الطبيعية من غير اصطناع!

لم الطلاق أصلاً؟

**إيزابيلا**: كل من يريد أن يتحدث عن إنجازات أي حضارة من الحضارات عليه أن يتذكر المشاكل التي عالجتها تلك الحضارة قبل التفكير في سرد إنجازاتها، وأنا حين أنظر في الحضارة الإسلامية لا أجدها قد حلّت أي مشكلة من المشاكل، إنما هي مجرد لباس ظاهري استبدل على جسد متعفن بالمشاكل بلباس آخر، أما

الشخص فهو الشخص ذاته.

فأنا امرأة مطلقة ليس لي ولد، قد أصبحت الآن مقطوعة، بعدما عشت مع رجل لبناني نصراني وتفانيت في حبه، والإخلاص له، لكنه في نهاية الأمر ومن غير أن أعرف سبباً واحداً مقنعاً طلقني، فأصبحت كما ترى وحيدة بعد جَمْعة... غريبة بعد أُسرة.. والحقيقة الوحيدة التي ينبغي أن أنتظرها - مهما شاغلت النظر عما هو قادم أو غطيت وجهي عما ينتظرني - هي: الموت..!

فهل ترى هذا كان سيحدث لي لولا أن الطلاق عندكم مشروع..؟!

أخبرني ماذا صنع الإسلام بالطلاق..؟!

ألم يقر الإسلام الطلاق..؟!

إنها مشكلة حقيقية، وأنت لا تستطيع إنكارها..؟!

أَبَعْدَ كل هذا تقول: إن الإسلام حلّ

المشاكل... أي مشاكل قد حلها الإسلام..؟!

لماذا لم يكن الطلاق عندكم بيد المرأة؟ لماذا لم يكن بالاتفاق بينهما؟ لماذا تُهْمل المرأة بعد الطلاق؟ بل لماذا الطلاق أساساً؟

لا يعني هذا - بالضرورة - أني نادمة على طلاقي من هذا الرجل الذي كان رجل سوء، فهو رجل لا أذكر له من حسنة، اللَّهم إلا أنه ذَكَرٌ في البيت.. وإنما أتذكر- وأنا في هذا الظرف الذي أعيشه - غيري من النساء اللواتي طُلقن وضِعْن بعد الطلاق.

أبو حامد: من حقك يا إيزابيلا أن تتوجعي من هذهِ الطلقات، وواجب علينا أن نستشعر بعض ما استشعرتيه حين أصابتك الطلقات، أما نحن فحالنا حال من يُطْلق عليه طلقات ولا تصيبه، فإنه يصيبه الدوار، وهذا ما أصابني، وقبل أن أبدأ بسؤالي الموضوعي أودُّ أن أسألك سؤالًا فإن شئت أجبت وإلا فاتركي الإجابة وهو: هل كان اللبناني مسلماً؟

**إيزبيلا:** لا ليس مسلماً، إنه نصراني.

**أبو حامد:** إذن فلا علاقة للإسلام بمشكلتك الشخصية، ولذلك سوف أبدأ من آخر سؤال وهو: لماذا الطلاق؟!

لماذا الطلاق في الإسلام؟

فإني أردّ الطلقة بطلقة، والسؤال بسؤال فأقول: تصوري - يا إيزابيلا - الحياة الزوجية بغير الطلاق؟ تصوري أن رجلًا وامرأة أُدخلا إلى دار جميلة، ثم أُغلق عليهما الباب، ثم ألغي الباب ووضع بدلًا منه حائط، وأغلقت الدار من جميع جهاتها، وقيل لهما: لا خروج من هنا إلا في حالة واحدة... حالة الموت! فما هو الشعور النفسي لشخصين يشعران شعوراً مجرداً أن لا مخرج من هذهِ الدار حتى الموت..؟!

إن الشعور الوحيد هو إرادة الخلاص الفوري من هذه الدار مهما كانت جميلة.

إذن فماذا إذا لم تكن هذه الحياة بهذه المثالية التي ذكرتُ لك، وإنما كانت حياة فيها من

الاحتكاك الكثير، وفيها من أسباب الخلاف الكثير، وفيها من اختلاف وجهات النظر واختلاف الطباع، وفيها ما فيها... ثم بعد كل هذا يشعر الاثنان أن لا منفذ...؟!

أنت تقولين الآن: إنه رجل سوء..!

تصوري أن الطلاق غير مشروع، والخلاص من هذا الرجل مستحيل، وقد اكتشفتيه بعد الزواج... ماذا كنت تصنعين..؟!

باب الطوارئ

**فالعقل** يقول: إنَّ من الحكمة أن يجعل ثمة باب للضرورات لا ينبغي الاقتراب منه أو مسّه ولو بحرف واحد، فإنَّ مسَّه يعني - ربما - حصول كارثة للأسرة.

هل رأيت مكاناً محكم الإغلاق مثل الطائرة؟ أليس وجود باب للطوارئ على الطائرة أمراً ضرورياً؟ ولكن أيعني هذا العبث باستخدامه؟!

**والعقل** يقول: ينبغي أن لا يشاع استخدام هذا الحق من قِبَلِ كل أحدٍ من أفراد الأسرة من

زوجين وأبناء وما إلى ذلك، مع أنه يعنيهم جميعاً، ولكن ليُجعل استخدامه على أضيق نطاق من الشخص المعنيّ الأول الذي تَقدَّم أول مرة بطلب الزواج.

الشخص الذي يغلب عليه استخدام عقله أكثر من عاطفته، الشخص الذي ينظر في أبعاد المسألة وآثارها المالية والأدبية والاجتماعية البعيدة... فمن تراه يكون هذا الشخص إلا الزوج الذي تَحمَّل تكاليف الزواج حين عَقَد، وتحمل تكاليف الإنفاق على الأسرة حين تزوج وسكن، وسيتحمل تكاليف الطلاق إذا طلق، كما يتحمل تكاليف الأسرة الجديدة إذا أراد إنشاءها بعد طلاقه هذا؟ أليس هذا هو الحُكْم الذي يوافقه العقل ولا يوافق غيره؟

إيزابيلا: بلى، ولكن ألا يمكن أن تُظْلم الزوجة؟! ألا يمكن أن يستبدَّ الرجل في استخدام الحق؟! ألا يمكن أن تطلب المرأة الخروج من

هذهِ الغرفة فلا تستطيع؟! فما الحل في هذا الحال؟

إن إعطاء حق الطلاق لطرف واحد وهو الزوج مع أن الاثنين معنيّان بالأمر... فيه من الظلم ما فيه.

الخلع

**أبو حامد:** هنا جاء منفذ آخر في الإسلام، منفذ خاص بالمرأة دون الرجل... منفذ اسمه: «الخُلْع».

إذ ترفع المرأة أمرها للقاضي طالبةً حقاً شخصياً أشبه «بالفيتو» اسمه «الخُلْع»، والخُلْعُ يعطي المرأة الحق في ترك الرجل، باتفاقٍ معين، وبناءً على هذا الاتفاق تخلع نفسها منه شاء أم أبى، بيّنتْ العيب أم لم تبيِّن، وسوف أسوق لك قصة حقيقية حدثت أيام النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بهذا الخصوص فلعلكِ تذكرين البخاري - أشهر رواة الحديث الذي ذكرناه من قبل - فقد روى البخاري عن ابن عم رسول اللّه - عليه الصلاة

والسلام - واسمه عبد اللّه ابن عباس قال: إن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي - عليه الصلاة والسلام - فقالت: يا رسول اللّه، ثابت بن قيس! أما إني ما أعيب عليه في خُلُق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام -: «**أتردّين عليه حديقته؟**» قالت: نعم، قال رسول اللّه - عليه الصلاة والسلام -: «**اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**»[1].

أتعرفين ما معنى هذا الحديث يا إيزابيلا..؟!

إن هذه الزوجة تريد الخلاص من زوجها مع أنها تعترف أنها لا تعيب عليه شيئاً! ولكنها لا تطيق العيش معه في بيت واحد كزوجة! ثم إنها تخاف أن تنكر حسناته لأنها تكرهه فتقع في نكران الجميل، وقد أمرها الإسلام بالاعتراف بالجميل... و فوق هذا فهي لا ترضى أن تذكر له عيباً... إنها تريد الخلاص وهي تتحمل نتائج

---

(١) رواه البخاري (٤٩٧١).

قرارها وتبعاته!

**إيزابيلا**: الحقيقة إنه أمر عظيم وقد شَرَحْتَه بطريقة رائعة.

مراحل الطلاق في الإسلام

**أبو حامد**: والأمر لم ينته بعد، فإن الطلاق - في الإسلام - لم يُجعل كلمة واحدة وينتهي كل شيء، بل له نظام دقيق، حتى إنك تشعرين أنه لا يمكن عند تطبيقه إلا أن يؤدي إلى عودة الحياة الزوجية والإصلاح قبل الوصول إلى مرحلةِ الطلاق المبتوت، فإذا وصل إلى مرحلة الطلاق فعلياً فإن ذلك يعني أن الحياة بينهما أصبحت مستحيلة، وأن هذا القرار كان قراراً صحيحاً لأنه قرار عقلي مبني على التفكير والمصالح المشتركة، واستحالة الحياة معاً.

ولكبير أهمية شأن الأسرة في الإسلام فقد جاء ذكر تفاصيل طرق حل الخلاف بين الزوجين في القرآن نفسه، **ومُلخّصه** إذا وقع الخلاف الداخلي بين الزوجين فثمة طريقان للإصلاح، **الطريق**

الأول: هو الطريق المباشر وله ثلاث مراحل: الموعظة الحسنة، والهجر في المضجع، والضرب المقيّد.

فإن فشلت المراحل الثلاث جاء الطريق الثاني وهو الإصلاح الخارجي والذي يشرع فيه تدخل حكمين، حَكَمٌ من أهل المرأة، وحَكَمٌ من أهل الرجل، فيكون الضغط الأسريُّ الذي يثمر - عادة - في حلٍّ قريب وسهل، ذلك أن العقل يقول: إن أبعد من يكون عن معرفة الحل هو الشخص الغضبان، فإذا تدخل شخص خارجي هادئ من هنا وشخص هادئ من هنا انحل الإشكال، والأسرتان عادة لن يبعثا إلا أكثر الشخصيات حِكْمة وتأثيراً وقَدْراً، فإن عجزا عن الحل وأعلنا ذلك للطرفين، وأصر الطرفان على الاختلاف ابتدأ الطلاق بطلقة واحدة وهي الطلقة الأولى، والتي يشترط أن تكون في أول طهر للمرأة قبل أن يجامعها الرجل في هذا الطهر - بهذه الدقة -،

وحتى وصول هذا التوقيت يكون الزوجان - عادة - قد راجعا نفسيهما، فإنْ جامعها أو فَعَل شيئاً من مقدماته في ذلك الطهر فإن هذا يعني عودة الزوجة إلى زوجها، وهذهِ أكبر علامة على الإصلاح وعودة الحياة... إذ لا يجتمع الطلاق والجماع، ثم من ذا الذي يصبر على جفاء امرأة معه تحت سقف واحد وفي بيت واحد، وفيه ما فيه من الشهوة، في ظروف متقلبة بين الغضب والرضا، والخصام والوئام، والفراق والعناق، وما إلى ذلك، ثم تأتي بعدما ترك الرجل المرأة طوال فترة الحيض فهو أكثر ما يكون اشتياقاً لها في أول الطهر... هذا بالإضافة إلى أنّ البرمجة الفسيولوجية المنتظمة - طوال فترة الزواج - لجسم الرجل والمرأة تجعلُ غايةَ الإفراز الشهوانيّ عند أول الطهر من الحيض وذلك تناسق عضوي من الطرفين.

فإن طلقها ثانية انتظر ثلاثة أشهر أخرى، أي

حتى تحيض ثم تطهر، ثم تحيض ثم تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم يطلقها، وفي أثناء هذهِ الفترة لا يجوز للزوج إخراجها من بيته إلى بيت أبيها أو غيره، بل تبقى في بيته معه ومع أولادها كي تُستخدمَ جميع المؤثرات الإصلاحية طبيعياً طوال هذهِ الفترة، لكن لو أن الإسلام أمر بإخراجها من البيت فإن البُعد يقسي القلب - كما هو معلوم - وخروج المرأة من البيت يدخل المفسدين أكثر مما يدخل المصلحين.

ومن المؤثرات التي أراد الإسلام استخدامها في هذه الفترة أن يرى الزوج زوجته أمامه في البيت متجملة متزينة، ويرى أولاده، وسوف يفكر تلقائياً في خسارة كل ذلك مع تحمل تكاليف إضافية عليه دون أن يقبض شيئاً. . كما ترى الزوجة زوجها، وترى أولادها، ثم ترى الضياع ينتظرهم. . !

وفي رؤية الأولاد، وتصور فراقهم، وأنّ هذا

آخر العهد بهم... ضغط عاطفي هائل عليهما إذ هما ثمرة الفؤاد، والقاسم المشترك بين الأبوين.

فإن لم يتنازلا لأجلهم فلأجل مَنْ يتنازلان..؟!

فإن أصرًّا بعد ما أخذا الوقت الكافي، واستنفدا الوسائل كلها على الطلقة الثالثة، عُلِم أنّ الإصلاح مستحيل وأن الفراق خير.

يا إيزابيلا: أيعقل بعد كل هذا أن يصدر قرار من القاضي يمنع الطلاق؟

**إيزابيلا**: لو عرفت - يا أبا حامد - أي شيء صنع فيّ القضاء هنا، لعرفت الظلم الذي مازالتْ تتعرض له المرأة عندنا من جهة، ويتعرض له الزوج عند الطلاق من جهات!

لم تضرب الزوجة؟

لكن تبقى لي ملاحظة واحدة على كلامك كله وهي: أنك أخفيت أمراً ربما كنت تخشى من النقد عليه، ذلك هو تشريع ضرب الزوج لزوجته، وعندكم على هذا آية في القرآن، فلِمَ

الضرب أصلًا؟!

مهما تقول لنا عن رحمة الإسلام ورحمة النبي محمد فإن ضرْبَ المرأة ينسف كل شيء..!

يا أبا حامد إذا كان القانون الدولي يمنع اليوم ضرب الدواب فكيف يسمح الإسلام بضرب المرأة؟ الحقيقة لو أنني فكرت في دخول الإسلام لكل مميزاته التي ذكرتها في مجلس الليلة فإن تشريع ضرب المرأة يمنعني من دخوله..؟!

أبو حامد: يا إيزابيلا، فلتعلمي أنه ليس عندي في ديني ما أخاف إظهاره أو أخشى السؤال عنه والاعتراض عليه، لأن الأمر قبل موافقته التامة للعقل فإنه أمرٌ تشريعي بالنسبة لي، ثم إنني قد تركت أموراً كثيرة لئلا أطيل عليكم، وتطول أكثر بالسؤال كما حصل الآن، أما بالنسبة للضرب فلتعلمي أن الإصلاح بين الزوجين المختلفين على مرحلتين، ففي المرحلة الأولى يكون الإصلاح السِّري المباشر، وفي المرحلة الثانية يكون

مراحل العلاج

التدخل الأهليّ الخارجيّ، ولا يكون الضرب إلا آخر خطوة في الإصلاح السِّريِّ المباشر.. وليس هذا ابتداع مني، إرضاءً لكم بل لا يكون إلا في المرحلة الأخيرة من الإصلاح المباشر، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

فهنا إصلاح مباشر بين الزوج وزوجته لا يعلم به أحد غيرهما من الناس، إنه داخل سور منزلهما، وربما داخل غرفة نومهما، وكل شيء يقع بينهما مستور، فلا حرج فيه، لأن الحرج والإحراج بالفضيحة والإخراج، هذا أولاً.

وقد سبق العلاجَ بالضربِ علاجان؛ الأول هو: العلاجُ بالموعظة الحسنة، والعلاج الثاني بالإعراض عنها داخل الغرفة، ولا ينبغي إخراجها من الغرفة حتى لو كانت الغرفة ملك خاص

للزوج، وثمة إيضاح للموعظة الحسنة فإنها ليست على الملأ إنما هي موعظة خاصة بها وبحالها.. وربما كانت الكلمة أشد من الضرب، لكن اللَّه لم يقل: فحقروهن، وأهينوهنّ، وإنما قال: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، وأخيراً قال: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ والضرب يأتي في إطار العلاج المباشر المستور ما بين الزوج وزوجته، هذا **أولاً**.

**أما ثانياً**: فالزوج هنا مؤتمن على هذه المرحلية، فلا ينبغي له أن يتخطاها ظلماً وعدواناً، فهو مؤتمن على حكم شرعي مع زوجته، كما الحاكم الأكبر مؤتمن على الحكم في بلده ومع رعيته، فإن لم يكن الزوج أميناً فهو خائن في تنفيذ هذا الحكم وهذا يحسب عليه، علماً بأن كل علاج لا بد أن يستهلك وقته قبل أن يتحول إلى العلاج الذي بعده.. والزوج مؤاخذ ديانة وقضاءً كذلك إذا تبين أنه تعدى في الضرب وظلم، وهذا مما يدل على أن الضرب ليس حقّاً

مطلقاً للزوج على الزوجة.

**ثالثاً:** أن التحول من الموعظة والهجر إلى الضرب ينبه الزوجين تنبيهاً خطيراً إلى انتهاء مرحلة العلاج السِّريِّ المباشر، بل يشير إلى احتمالية الفراق الكبيرة، فماذا بعد الضرب من وسيلة، ولذلك فإن المرأة عادة ما تأخذ هذه المسألة في منتهى الجدّيّة، مادام الضرب تأديبياً سِرياً بيانيّاً، وليس انتقامياً.

إذ ماذا إذا لَمْ يفدِ الضرب..؟! لا شيء إلا الفراق..!

إن النتيجة الأهمّ للضرب هو التفكير الحازم بخطورة المصير والمستقبل، بل باقتراب النهاية المأساوية.

**رابعاً:** مع أن الرجل مؤتمن على كيفية الضرب ومستواه، وأن لا يكون ضرباً جارحاً ولا مبرّحاً إنما هو الضرب الخفيف الذي لا يقصد منه إلا التأديب والإصلاح والإفاقة، إلا أن الزوج إذا

تجاوز هذا المستوى من الضرب حوسب على تعدّيه، فاللّه تعالى جعل الضرب في آخر مراحل العلاج السريّ المباشر، ولذا فمن السهولة أن ينكشف تعدي الزوج وظُلْمه بعد تدخل الحكمين، وعندها يصبح من حقها شرعاً أن ترفع مظلمتها إلى القاضي إن لم ينصفها الحكمان.

**خامساً**: ربما تنكرين - يا إيزابيلا- هذا الأمر أشد الإنكار لخصائصك النفسية والتربوية، وربما تنكره أُخْريات لطريقة تعامل زوجها الراقي معها.. أو لمستوى زوجها الثقافي ومستواها، هذا لا شك فيه ولذلك قال النبي - عليه الصلاة والسلام - في الذين يضربون نساءهم: «**ليس أولئك بخياركم**»[1] حتى وإن كانوا مسلمين وخيّرين، فإن الضربَ يحُطُّ بهم عن هذه المنزلة، ومن ثم فإن نساء النبي محمد وَخَدَمه يشهدون جميعاً بأنه «**ما ضرب خادماً ولا امرأة ولا**

(١) رواه أبو داود (٢١٤٦) وصححه الألباني.

**طفلًا قط»** [١].

فنعم المربي من يستغني بفهم الآخر له عن نظرته لهم، وتغنيه نظرته عن صدوده، ويغنيه صدوده عن لسانه وموعظته، وتغنيه موعظته عن ضربه، أما من وصل إلى مستوى الضرب فقد استنفد آخر مخزونات الوسائل التربوية، وظهر عجزه، وفشله في جميع الفرص والخيارات التي أتيحت له.

**سادساً:** الزواج - من أوله نظام - محكوم ببنود، والضرب مشروع لإقرار النظام الذي إذا اختل ووقع الانشقاق كان على وليّ الأمر أن يعيد النظام بالأساليب الحسنة وبالموعظة الحسنة، فإن لم يتمكن من إعادة النظام بتلك الظروف، فماذا بعدُ إلا أن يستخدم المقدار الكافي من القوة لإعادة النظام..؟

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨) بلفظ: «ما ضرب رسول اللّه ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً».

على هذا تقوم الدول، ويحفظ أمنها عند الحاجة، وتقدير ذلك يعود للحاكم وحكمته، فهل يقال للحاكم: دع الأمور تفلت ولا تستخدم الضرب..؟!

إنّ الضحايا الذين يذهبون نتيجة نجاح الانشقاق واتساعه أضعاف أضعاف الضحايا الذين يذهبون بالضرب - إذا كانت ثمة ضحايا -.

فتفويت الخسائر وتقليل الضحايا غايات يهون دونها الضرب غير المبرح، ولذلك قيّد اللَّه الضرب بعودة الطاعة فقال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

**سابعاً**: الضرب هو التفكير المباشر للمخلوقات عند عجز الوسائل الأخرى.. هذه حقيقة لا ينكرها أحد، فهل ترين من الحكمة أن تُنْكَر هذه الفطرة حتى تنفجر ولا يبالي صاحبها - عند الغضب - بالنتائج المدمّرة مهما كانت.. أم تُهذَّب وتوضع لها أسبابها، وتحدد لها ضوابطها، ثم تُستثمر.

حد زاوية النظر

**ثامناً**: إن السبب في اختلاف الموقف من ضرب الزوج زوجته بين مؤيد ومعارض إنما هو عائد إلى زاوية النظر، فالولد مثلًا يستنكر الضرب أشد الاستنكار إذا رأى أباه يضرب أمه.. لماذا..؟!

لأنه نظر لها على أنها أمه الضعيفة وهو ولدها، لكنه لو نظر من زاوية نظر أبيه لأمه، لاختلفت زاوية النظر وأصبح ينظر لها نظر الزوج لزوجته، ولفهم المسألة واستوعب الدرس، وربما أيّد أباه وربما عارضه وغالباً ما يقرر الإصلاح.

وهكذا حين ننظر إلى المسألة من زاوية نظر القاضي، فسنرى أنه ينظر لها نظر المتصيد للأدلة الطالب للحكم في الخصومة، فيصبح الأصل في هؤلاء الخصومة.

وحين ننظر للمسألة من زاوية الصراع ما بين الرجل والمرأة فإن المسألة تأخذ الشكل العدواني وطلب الانتصار، وهكذا.

بل إن النظر من هذه الزاوية - زاوية الصراع

والتصعيد - كفيل بأن يجعل ضرب الرحمة والتأديب من قِبَل الأم الحنون لصغيرها الوحيد حين يخطئ ويكرر خطأه بعد أن تستخدم معه كل الأساليب المعروفة السابقة للضرب موضع تهمة وسوء ظن بالأم مع ولدها، وربما سُحِب هذا الصغير من أمه وأُعطِيَ لغيرها، فحرمت أعظم سعادة لها في الدنيا.

فمتى أصبح حرمان الوالدين من أَحَبِّ الخلق إليهما علاجاً..؟!

ومتى أصبح منع الضرب على الإطلاق علاجاً..؟!

ومتى يستقيم مَنْ أَمِنَ العقوبة..؟!

الضرب ليس حقاً مطلقاً

ومتى يكون إفراط بعض المتهورين في استخدام الضرب من الوالدين أو الزوجين سبباً في منع أسلوب تربويّ يأتي بالنتائج الجيدة إذا وضع في موضعه واستخدم في وقته.. وسبباً في منع إصلاح بعض الزوجات، يجب أن يتحمل

المخطئ خطأه إذا أفرط في الأسلوب، أو اتخذه في غير وقته أو لمن لا يستحقه.

فبالإضافة لكل الشروط فإن من شروط الضرب أن لا يكون جارحاً ولا مبرّحاً.

وهكذا كانت النظرة الجزئية القاصرة من زاوية واحدة سبباً في حكم القاصر.

إن الضرب قضية جزئية ولا نريد إطالة الحوار فيها، فزاوية النظر هي التي تحدد تصور حكم الضرب والصحيح هو النظر من جميع الزوايا.

ثم إن الضرب - هنا - أسلوب رَدْع وليس أسلوب قهر - في العادة -، فإنك إن لم تستطع أن تَحُول دون هلاك ولدك إلا بضربه فهل تتركه يهلك؟ إن لم تستطع أن تأخذ منه المسدس الذي سوف يقتل نفسه به إلا بلَيِّ ذراعه، هل تتركه يقتل نفسه بحجة تحريم لي ذراع الطفل..؟!

وإن لم تستطع أن تمنع إحراقه للبيت بنزع الكبريت منه إلا بضربةٍ تطير الكبريت من يده،

هل تتركه يحرق البيت بناءً على أن الضرب ممنوع؟!

شروط الضرب

إذن فنحن حينما نقول بالضرب فلأنه أسلوب مباح بشرط الرحمة وقصد التأديب، وبشرط ألا يأتي بضرر أكبر، وبشرط أن تستنفد جميع الوسائل السابقة.. مع أننا نقول إن النبيّ محمداً - عليه الصلاة والسلام - «لم يضرب».. وقال عن الذين يضربون «ليس أولئك بخياركم»[1].

فحري بمجتمعات تقوم على المادية وسوء الظن، ومخلفات الظلم السابق وما إلى ذلك أن تفرز هذه القوانين التي هي عبارة عن نظرة قاصرة، من زاوية واحدة، ولا تمثل إلا ردة فعل، ثم أليس الإسلام يجعل من **إحياء الضمير أعظم ضمان لحسن التطبيق**، وأحسن رقيب على المخالف، فيصبح القانون العقابيّ هو الأهون في نظر المخالف.

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٨٠ .

إذاً أين عقاب الناس من عقاب اللّه تعالى. . ؟!

لذلك فإنكم حين تقيسون النظام الإسلامي على أنظمتكم تخطئون أعظم الخطأ ؛ لأنكم تقيسون نظاماً لا يراعي الضمير، بمن ضميره حيٌّ متيقظ.

وإن شئت قلت: إنكم تساوون بين زوج يضرب بغير ضمير ولا خوف من اللّه وربما قتل أو أجرم، بزوجٍ حيِّ الضمير يخشى اللّه و يخاف عقابه إن تجاوز حده. . .

زوج اتخذ خطوات كبيرة وطويلة حتى وصل إلى الضرب ومع هذا فهو يتحاشى الضرب خوفاً من اللّه الذي سوف يحاسبه، وإن ضرب وهي مستحقة ملتزماً بالشروط فقد خرج من الخيرية كما مرّ معنا دليل ذلك.

وهل من الحكمة والعقل أن ينقرض الضرب إذا لم ينقرض النشوز. . ؟!

إنّ أكبر تحفيز للجريمة هي رفعُ العقاب إذا كان المقتضى موجوداً، والفاعلون موجودين في المجتمع. . !

أمّا العلاقة الزوجية في النظام الإسلاميّ فهي علاقة مقدسة منظمة، الزوجة والزوج محكومان فيها بأحكام منضبطة، الأساس في تلك الأحكام هو مراقبة اللَّه، فقد حوّل الإسلام المنزل مجالًا للسباق إلى مرضاة الآخر، فأصبحت زاوية النظر عند الزوج هو حديث النبيّ - عليه الصلاة والسلام - «خيركم خيركم لأهله» (١) وأصبحت زاوية النظر عند الزوجة حديث النبيّ -عليه الصلاة والسلام-: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد - غير اللَّه - لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (٢).

علاقة بهذه القدسية لن يقع الضرب فيها أبداً، و إن وقع فلا يقع إلا لبقائها، ولمصلحتها، ولدفع الفشل عنها، ومبناها على حسن الظن فيها، ولولا قدسيتها وتعظيمها لما استحقت هذا التشريع الحازم حفاظاً عليها وحماية لها.

أليس من الاستهانة في الحياة الزوجية أن

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه الألباني.
(٢) رواه الترمذي (١١٥٩) قال الألباني: حسن صحيح.

تسهل طرق الخروج منها، وتحطم العوائق التي تمنع استمراريتها؟!

إن المرأة العاقلة إذا فهمت هذا فإنها هي التي سوف تشكر الزوج الذي ضربها ضرباً بالشروط التي ذكرناها لأنه أعادها إلى بيتها وأَفاقها من غرورها أو سَكْرتِها، ولم يجعل بيتها الشارع مثل صاحبتها فلانة وفلانة، وردَّها إلى صوابها بعدما أصبح الخطأ قرينها.

**وزوج بهذا الفهم** لن يتخذ الضرب انتقاماً، ولا انتصاراً على الزوجة، إنما هو خسران بالنسبة له إذ أفلست كل أساليبه السابقة من تحقيق النجاح، كما أنه بدخول أسلوب الضرب إلى التنفيذ فَقَدَ الخيريةَ بين المتنافسين على هذه المنزلة، فالنبيّ - عليه الصلاة والسلام - يقول عمّن يضربون زوجاتهم: «**أولئك ليسوا بخياركم**» .

إن أبناء هذه الأسرة لتشكر أباً بهذه الحكمة، إذ حفظ لهم أنفسهم من الضياع حين حفظ أمّهم من الضياع، فأعادها لتربيتهم وإكمال المسيرة ولو

بضربٍ رادع في يوم من الأيام.

وكم شَكَرَتِ الجموع السائرة راعياً منعها بالضرب اليسير والتخويف القليل ومهابة كبيرة من شتات يجعلها وصغارها طعاماً للذئاب..؟!

وكم شكرت الأجيال قائداً منع البلاد بحزْمِه من الشتات والانشقاق والضياع بين الأمم..؟!

وأنت تعلمين - يا إيزابيلا - أنّ من النساء من تعيدها الكلمة والموعظة الحسنة، ومنهن من تعيدها الكلمة الشديدة والتهديد، ومنهن من يعيدها فراق الزوج للزوجة في نفس البيت وصدوده عنها، ومنهن من يعيدها التخويف والضرب الخفيف.

وأنت تقرين - يا إيزابيلا - بأن بعض النساء ينفع معهن ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فأي عاقلة هذه التي تفضل الفراق والشتات وضياع الأولاد على أن لا ترتدع بالضرب..؟!

لقد أصبح لسان حال الكثيرات بعد الطلاق:

ليتني ضُربْت مائة مرة ولم أطلق مرة..!

إذن فلكل واحد من العلاجات الثلاثة غاية مرحليّة، فإذا لم تتحقق الغاية به ترك وتحول للذي بعده، وهذا عائد لمعرفة الرجل أهله... فإنه إن علم أن هذا العلاج أو ذاك سيأتي بأثر عكسيّ فلا يحل له أن يستخدمه.

«ضرب الزوجات» بالأرقام

إنكم - يا إيزابيلا - حين منعتم عقوبة الضرب التأديبي الهادف وقعتم في الضرب القاتل، فلو اطلعتم على النِّسَبِ المخيفة لأعداد المضروبات من النساء، ونتائج الضرب الفظيعة، لهرعتم إلى النظام الإسلاميّ، فلقد أعلنت الحكومة الفرنسية في دراسة معدة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي لإنهاء العنف ضد النساء والذي تنظمه الأمم المتحدة، أعلنت أن امرأة فرنسية واحدة تموت في المتوسط كل ثلاثة أيام في فرنسا مقابل رجل واحد في المتوسط كل ١٤ يومًا نتيجة للعنف الزوجي، وفقاً لما أوردته جريدة «الراية» القطرية.

وتشير الإحصاءات التي جَرَت على مستوى فرنسا أنّ هذه الآفة تصيب كل طبقات المجتمع الفرنسي على حد سواء، وأنه اعتبارًا من الأول من يناير ٢٠٠٦ وصل عدد جرائم العنف الزوجي إلى ١١٣ جريمة، ٨٣٪ منها ضد النساء، مقابل ١٨ حالة فقط توفي فيها الزوج نتيجة للعنف من جانب الزوجة. بيْد أنه تبيّن أن ١٢ حالة من هذه الحالات بادر فيها الزوج بالاعتداء على زوجته.

وتشير الدراسات إلى أن واحدة من بين كل ثلاث نساء في العالم يتعرضن في حياتهن لإساءة المعاملة سواء كانت بالضرب أو التهديد أو الاعتداء أو الإيذاء أو التشويه أو جرائم الشرف أو الشتم أو التحرش أو الزواج الإجباري وغيره، كما أن ٤٠-٧٠٪ من النساء في كل من أستراليا وإسرائيل وجنوب أفريقيا وكندا والولايات المتحدة ممن تعرضن للقتل قُتِلن على أيدي أزواجهن أو رفاقهن.

وبصورة عامة يمكن القول بأن ٤٠ ٪ من النساء اللاتي يتعرضن للقتل يلقين حتفهن على أيدي الزوج أو الرفيق، و٧٠٪ من ضحايا العنف في السويد كُنَّ قد عايشن بعض أشكال العنف أو التحرش الجنسيّ، وأكثر من ٢٠٠ ألف امرأة في هولندا يتعرضن - سنوياً - للعنف على أيدي أزواجهنّ.

**- في الولايات المتحدة الأمريكية، تتعرض امرأة للضرب، عادة على يد زوجها/ شريكها كل ١٥ ثانية (دراسة للأمم المتحدة حول نساء العالم ٢٠٠٠).**

وتُقتل حوالي امرأتان أسبوعياً على أيدي شركائهن في المملكة المتحدة:

(E, Joni Seager 2003)[١].

إيزابيلا: صحيح أن هذه النسب تعبر عن تضخم مخيف في حالات ضرب المرأة في المجتمعات المتحضرة، إلا أنها تعبر عن وقوع

(١) Web. Amnesty. Oeg.

حالات في العالم الثالث فيها ضرب الرجال للنساء، وهذا وحده كافٍ لأن يجعل النسبة المذكورة أكبر شاهد على أن الإسلام لم ينجح في الحد من الظلم الواقع على المرأة، وربما يكون مساهماً حقيقياً في تقنين ضرب المرأة، إذ إن ضرب المرأة كما ذكرتَ مذكور في القرآن وفي الحديث عندكم، وتقنين الشيء الخاطئ أمر أكبر خطورة من ترك الأمر بغير قانون، إذ بالقانون تُجعل له حماية من الانقراض، وتجعل لفاعله شرعية.

**أبو حامد**: ثمة حقيقة ينبغي أن تكون واضحة في أذهان المتحاورين، تلك هي: أن الإسلام شيء والتطبيق الخاطئ شيء آخر. وإن واقع المسلمين الخاطئ لا يحسب على الإسلام إطلاقاً، فالإسلام يبرأ من الخطأ أياً كان صاحبه، وأياً كانت منزلته في الإسلام، وفي هذا أعظم حماية للمبدأ، وأعظم تكريم لمن يحسن تطبيقه، وأعظم تحفيز.

إن وجود التطبيق الخاطئ من قِبَلِ البعض لِمَبْدأ عظيم ينبغي أن يجعلنا نتهافت عليه ونحسن

تطبيقه، فالمبادئ العظيمة ليست حكراً على أحد.

أرأيت رجلًا أعظم من النبي محمد - عليه الصلاة والسلام في معتقد المسلمين وفي القرآن؟ عاتب اللَّه سبحانه وتعالى نبيه محمداً - عليه الصلاة والسلام - في أكثر من موضع في القرآن الكريم والنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لم يتوانَ في تبليغ ذاك العتاب عن ربه بدون زيادة أو نقصان كما قام بتبليغ الآيات التي زكَّاه فيها ربُّ العالمين.

ألم يأت في سورة اسمها سورة «عبس» عتاب اللَّه لرسوله - عليه الصلاة والسلام - عن عدم اهتمامه وإقباله على الرجل الأعمى حيث كان منشغلًا بكبار قريش الذين يرجو أن يدخلوا دينه، فقال الله له: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ - ١٠].

وتكرر ذكر مثل هذا العتاب أكثر من مرة في

مواضع مختلفة، ولهذا العتاب فوائد عظيمة منها: ترسيخ قاعدة أن الخطأ مردود، فمادام اللَّه عاتب نبيه محمداً - عليه الصلاة والسلام-، فمن المستحيل أن يبقى في الشرع خلل لأنه محسوب على اللَّه وحده، وحاشا اللَّه أن يخطئ سبحانه، وعليه فمن باب أَوْلَى أن لا يعتد بخطأ أي فرد في المجتمع.

هذا أمر، **والأمر الثاني** ليس في هذا دعوة للمثالية أو أنّ الإسلام لا يمكن تطبيقه، فلقد مرت مرحلة طبق فيها الإسلام على أحسن صورة فخرجت الصورة الحقيقية للإسلام، والمزيّة في ذلك التطبيق أنه جاء في الفترة الملاصقة للجاهلية الكبرى زمنياً. . وهذا يعني أنّ الإسلام الذي نجح في تلك الفترة فهو أقدر على النجاح فيما سواها، وأنه صالح للتطبيق في كل فترة، أليست هذه هي لغة المنطق والحسابات. . ؟!

ولدي حامد والسيارات

**والأمر الثالث** - يا إيزابيلا -: لقد أصبح

ولدي الأكبر «حامد» مفتوناً بقيادة السيارة بسرعة كبيرة، ويتفنن بها، مثل السير على إطارين فقط، ونحو ذلك مما فيه مخاطرة على حياته! فنصحته ونصحته ولم يرتدع إلا ظاهراً، وأصبح يفعل ذلك خُفيةً ويبلغني آخرون من الناس عن فعله...!

حاول مراراً إقناعي أن يدخل نادي سيارات السباق فمنعته قائلًا في نفسي: إذا كان وهو بهذا الوضع لم يرتدع فكيف إذا أصبح الأمر عنده ثقافة، وكيف إذا صاحب هؤلاء المتهورين..؟!

فتحاورنا ذات يوم ونحن على الغداء في البيت وكان معنا أخي الشيخ قيس فساعده في إقناعي، وقالا لي: إن في النادي نظام حماية خاصاً، وللسباق أوقات خاصة، وفيه اشتراك خاص... ومن لا يلتزم بالنظام عليه عقوبة خاصة، وقال لي ولدي حامد كلمة لا أزال أذكرها: يا أبتاه، اسمح

لي بالدخول في نادي السيارات، فأنا أعرف أن السرعة هوى في رأسي، فاجعلني أُخرجُ هذا الهوى من رأسي بطريقة مأمونة.

قلت له: قبلتُ بهذا الشرط.

والمفاجأة أن حامداً أصبح اليوم لا يتجاوز في سرعته على الخطوط السريعة مائة كيلو متر في الساعة..!

لقد أصبح يكره السرعة الجنونية تماماً.

إيزابيلا: مَثَلٌ جميل لكن، ما الذي تريد التوصل إليه من خلاله..؟!

تقنين منع الضرب مطلقاً

أبو حامد: حين منع الضرب عندكم (قانوناً) تحول إلى قتل، وتهور، وسجون، وظلم، وحالات هستيرية، وأصبح الحل هو التحاكم إلى القضاء - هذا على أحسن الأحوال - أما حين شرع للضرب تشريع خاص، ونظام خاص، وقدر خاص، وغاية محدودة، ثم نُهي عن الاقتراب

منه، ولم يكن قدوتنا يضرب النساء ولا الأطفال، جاءت النتائج كما هو مشروع لها وأصبح الضرب قليلًا.

وأصبحت مرارته كمرارة الدواء، يشربه المريض ضرورةً وهو كارهٌ، وجاءت نتيجته كنتيجة الدواء الناجع، وإذا أردت الإنصاف والوصول إلى صحة أي علاج أو خطئه فانظر إلى نتيجته، فالعجب أننا حين رخَّصنا في ضرب الزوجة بشروط وضوابط كانت النتيجة عندنا هي قلة الطلاق وتماسك الأسرة، بينما نسبة الطلاق عندكم مرتفعة والتفكك لا يوصف مع أنكم تمنعون الضرب مطلقاً.

وسؤال آخر وهو: لماذا الأبناء عندنا يبرون الآباء ويحبونهم ويفدونهم بالمال والنفس مع أن الضرب مباح وربما الآباء يضربون الأبناء أحياناً، بينما الضرب عندكم ممنوع والعقوق المنقطع

النظير؟ ألا تستحق هذه النتائج التأمل والنظر. لكن يجب أن لا نفهم أن هذه النتائج عائدة لإباحة الضرب أو عدمه، إنما الضرب نقطة في بحرٍ من العلاجات والوقايات.

هل تتصورين أن النبيّ محمداً - عليه الصلاة والسلام - يجمع المسلمين ليخطب فيهم خطبة خاصة عن ضرب النساء، منفراً الرجال من هذا الأمر أشد التنفير من خلال تأمل واقعهم: فيقول: «**يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه**»[1].

فإذا تأملت هذا الحديث عرفت قبح الضرب، وعرفت ماذا يقصد النبي - عليه الصلاة والسلام - حين جعل أمام سامعيه أمرين متقابلين متباعدين، فإن الضرب هو ذروة القسوة، وإن مضاجعة

---

(١) رواه البخاري (٤٦٥٨)، ومسلم (٢٨٥٥).

الزوج زوجته هو ذروة المحبة وأكبر ثمراتها، فكيف تجتمع هذه وهذه في يوم واحد عند شخص واحد؟!

**ولنعد الآن إلى تطبيق ذلك على حوارنا،** ونعود إلى الفترة المظلمة التي نهى فيها الإسلام عن ضرب المرأة إلا بضوابط، فقد نهى عن ذلك في مجتمع ما كان للمرأة فيه حق الاعتراض، ولم يكن لها نصير!

وممن كانت تنتظر نصرتها إذا كان ظالمها هو والدها وزوجها وأخوها ومجتمعها..؟

لقد كان ثمة ضرب في المجتمع العربي، فأعلن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أن لا ضرب، وكان هو القدوة في تركه، وبناءً على هذا العلاج الشامل بلغت الشكاوى التي رفعت من النساء على أزواجهن أربعة شكاوى في فترة تجاوزت خمسة وثلاثين عاماً على أقل تقدير، أي

آخر عهد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وعهد الخلفاء الراشدين من بعده، ومع هذا فلنفرض أنها بلغت مائة شكوى أليس هذا في عداد الخيال أو المحال إذا ما قارناها بالنسب التي ذكرناها عندكم؟

ويجب أن تعلم أن ديننا يأمرنا باحترام النظام وتطبيقه، ليس في بلادنا ولا في البلاد الإسلامية فحسب، ولكن أينما كنا في هذا العالم، وذلك لأن الإسلام لا ينشئ المواطن الصالح وإنما ينشئ الإنسان الصالح، فهو صالح ومصلح ليس في حدود بلده، ولا حدود أهل دينه وإنما حيثما حلَّ في أيِّ بُقْعة في هذا العالم.

وأنتم ترون بأنفسكم كيف يَصْلُحُ الحَيُّ في أي منطقة في بلادكم إذا كان فيها مسلمون، فتقلُّ الجرائم، وتقلُّ الخصومات، وتقلُّ المشاكل، حتى السجون إذا دخلها المصلحون المسلمون

وقابلوا المساجين صَلُحَ حالهم، وشواهد هذا كثيرة، وخصوصاً في السجون الأمريكية.

فأرجو أن لا يتبادر لأحد أننا في بيوتنا وفي بلادنا نضرب نساءنا، لا... نحن نحتقر من يضرب نساءه، ورسولنا ﷺ يقول عن هذا الصنف من الأزواج كما مر معنا: «**أولئك ليسوا بخياركم**».

فكيف نضرب نساءنا في بلادكم، والنظام يمنع هذا أساساً!

الشبهة الثانية: القسوة على الأطفال

**بروفيسور كريستيان**: دعك من إباحة ضرب المرأة في الإسلام، **وخذ مشكلة ثانية هي أصعب من الأولى**، فلربما نقول إن المرأة العاقلة ربما عقلت سبب الضرب وانتفعت به - أقول ربما - ولكن ماذا تقول في ضرب المسلمين للأطفال..؟!

فالذي عُرف عن المسلمين أنهم أشد الناس على الأطفال قسوة، وأن أي مشكلة للأطفال لا يعالجونها إلا بمشكلة أكبر ألا وهي الضرب.. !

فهل تُحل مشاكل الأطفال بالضرب.. ؟!

وهل الضرب - أساساً - يزيد المشكلة أم يحلها.. ؟!

أليس هؤلاء الأبناء والأمهات بحاجة إلى قانون يمنعهم من ظلم آبائهم.. ؟!

**أبو حامد:** ابتداءً أقول لك: لا نختلف على وجوب منع الظلم، أما ربط الضرب بالظلم فهذا غير صحيح على إطلاقه، وأنت تعلم أن في كل مجتمع يقع ضرب الأطفال والدواب وما إلى ذلك.. ولكن سوف أثبت لك بأن مجتمعاتكم تعاملت مع هذه المشكلة بالمنهجية التي ذكرت لك وهي حماية المشكلة ورعايتها، والتقنين لها، مع استثمارها بالزيادة منها، وكأنكم تصنعون لكل مشكلة حصانة وحضانة تربونها فيها حتى تكبر

وتتكاثر ويصعب بعد ذلك إيقافها فضلًا عن حلها، كما هو الشأن فيمن يعمل للبكتيريا الضارة حضانة وهو لا يدري.

فإن من المعروف تربوياً أن الأسلوب الجامع ما بين الترغيب والترهيب هو الأسلوب المتوازن في التربية والذي يثمر شخصاً متوازناً إذا كان الترغيب والترهيب بالقدر المناسب.

ومع هذا فإن الترغيب - عندنا - هو الأسلوب المقدم على الترهيب.. إلا إذا لم ينفع الترغيب التجأ المربي إلى أسلوب الترهيب بأضيق الحدود.

محمد لم يضرب خادماً ولا طفلًا ولا امرأة

وأنا أستغرب أشد الاستغراب كيف تأخذون هذه الصورة عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أو عن دين الإسلام في القسوة على الأطفال، لذلك أجد نفسي مضطراً أن أبين لك خُلُق النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في هذا الجانب ثم حاكمني إن شئت.

أما أن تحاكمني على التشويه المستمر بالإعلام عندكم عن الإسلام، فهذا لا علاقة له بالإنصاف، أو أن تفرض صورة في ذهنك أو يفرضها غيرك فتحاكمني لها، أو أن تشاهد حالة فردية من مسلم أو مسلمة فتعممها على الإسلام أو تجعل الإسلام هو السبب فيها، فهذا ليس من الإنصاف حتى تتأكد.

وعليك أن تعلم أيها الأستاذ: أن قدوتنا في التربية النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لم يضرب في حياته التي عاشها وهي إحدى وستين سنة[1] طفلًا ولا امرأة، رغم عدم انعزاليته، ورغم أن أسرته كبيرة ورغم كثرة احتكاكه.. وهذه شهادة خادمه أنس بن مالك، والذي صحبه صغيراً وخدمه عشر سنين، وما يرويه هنا عنه يرويه بعد موته، وأنا أرويه لك بحرفه فعن أنس

---

(١) إحدى وستين باعتبار السنة الميلادية وثلاث وستين باعتبار الهجرية.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خدمت النبي - عليه الصلاة والسلام - عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لشيء صنعتُهُ لِمَ صنعتَهُ، ولا لشيء تركتُهُ لم تركتَهُ، وكان رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - من أحسن الناس خُلُقاً وخَلْقاً، ولا مسست خزّاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألْينَ من كفّ رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- . . . »(١).

«وهذِهِ شهادة زوجه عائشة حيث يقول عبد اللَّه الجدليّ: **سألت عائشة عن خُلُق رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فقالت: لم يكن فاحشاً، ولا متفحّشاً ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح**»(٢).

أما أقواله فهي كثيرة:

فقد روى عنه صاحبه سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال



(١) رواه الترمذي (٢٠١٥) قال الألباني: صحيح.
(٢) رواه الترمذي (٢٠١٦) وصححه الألباني.

رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة[١] والوسطى وفرّج بينهما شيئاً[٢]. أي إنّ كافل اليتيم قرين النبي محمد - ﷺ - في الجنة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - قال: «**اللَّهم إنّي أحرّج**[٣] **حق الضعيفين اليتيم والمرأة**». أي إنه يشدد أعظم التشديد في التقصير في حق المرأة واليتيم فضلًا عن العدوان عليها ويقول عن مجموع الأولاد الصغار: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»[٤].

وأنت تعلم أن تعليمات محمّد - عليه الصلاة والسلام - عند المسلمين كتعليمات القرآن، وتعلم مدى حرص المسلمين على الاقتداء

---

(١) وهو الإصبع الذي يلي الإبهام.
(٢) رواه البخاري (٤٩٩٨).
(٣) أحرج: أحذر من ذلك تحذيراً شديداً.
(٤) رواه الترمذي (١٩٢٠) وصححه الألباني.

بنبيهم - عليه الصلاة والسلام - ومدى حرصهم على الأخذ بأحاديثه.

فاللّه يحذر من مخالفة أمره ﷺ فيقول في سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ضرار منع الوالدين من الضرب مطلقاً

ومع وقوع مخالفة بعض المسلمين لأمر محمد - عليه الصلاة والسلام - في ضرب الأطفال إلا أن ذلك لا يمثل إلا حالات فردية منبوذة، ثم إنها لم تحوّل المشكلة إلى مشكلة أكبر، أو إلى مشكلة محميّة مقنّنة بقانون كما هو الحاصل عندكم.

إن رفع عقاب الضرب بالكلية من منهج تربية الأطفال مع معرفة الأطفال بهذا إنما هو إغراء لهم بالخراب على أوسع نطاق.

لا أحد يقول: إن معنى إباحة ضرب الأب أو الأم للطفل يعني لزوم استخدامه ولو مرة، أو يعني استخدامه في كل وقت، أو يعني إرهاباً أو

نحو ذلك.. وإلا فها هو قانون المحاكم منشور على الناس جميعاً وفيه ما فيه من العقوبات المتنوعة والمختلفة وما قال أحد إن فيها إهانة للناس، ولا يعني تطبيقه على كل الناس، بل يختلف القضاة في تطبيقه في القضية الواحدة حسب اختلاف القاضي ورؤيته.

وحين تمشي في شارع سريع ومكتوب عليه «**الشارع مراقب بالرادار - مثلًا -**» فلا يقع في ذهنك أبداً أن ذلك تهمة لك بالتهور.

والبيت جزء من هذا المجتمع الكبير.. فإجازة ضرب المخالف لا يعني أكثر من رادع لمن سولت له نفسه المخالفة التي لا يمكن ردها إلا بالضرب بحدود معينة.

وَلَكَمْ يلوح الحاكم أو المربي باستخدام العقاب الأشد، ويكرر ذلك ولربما ألف مرة لكنه ربما لا يستخدمه مرة! ولكن حين لا يكون عنده هذا القانون الأشد ربما خسر النظام كله، وأهدرت قيمة القانون كله.

ثم إن الرادع الأكبر لدى الآباء من التعدي في استخدام هذا الحق على الطفل إنما هو العاطفة الفطرية الجياشة في قلب والديه نحوه فهي كافية لمنع ضربه ضرب انتقام إنما هو ضرب تأديب وتربية هذا إن ضُرِب

وهذا الضرب رادع للولد المخطئ عن الاستمرار في السير في طريقه، ورادع للأخوة الآخرين أن يسيروا على طريق من أخطأ، وإلا ماذا عليك أن تصنع إذا لم تستطع ردع أكبر الصغار مثلًا بكل أساليب الترغيب أو الترهيب إلا بالضرب..؟! هل تتركه يسير ويسير الصغار الآخرون وراءه نحو الهاوية، وأنت لا تملك إلا أن تنظر وتسكت ولا تحرك ساكناً، وإن تحركت وضربت حماية لهم عن الخطأ تدخّل القانون لحمايتهم..؟! ألن يدفع هذا القانون بقية الصغار إلى استخدام أقصى طاقاتهم العبثية للانفلات اللامحدود..؟!

وهنا نحن نسأل: لمصلحة من وضع قانون منع ضرب الصغار مطلقاً..؟!

أَلِمصلحة الوالدين اللذين يَريَان ثمرة حياتهما تحترق ولا يستطيعان إنقاذها بحكم القانون، ولو بالتهديد إلا كاذبين فإنهم إذا وجدا أن إنقاذ أولادهم في التهديد بالضرب التأديبيّ، قيل لهم: القانون يمنعكم حتى لو ضاع أبناؤكم..؟!

أم لمصلحة الصغار الذين يدمرون - أحياناً - مستقبلهم، وإخوانهم، وأصحابهم، وبيوتهم متذرّعين بالقانون، والقانون يحمي خطأهم..؟!

وأريد أن تسألوا هؤلاء: هل يعرفون الفارق ما بين الظلم و بين الضرب التربوي أو الضرب للضرورة؟

وأريد أن تسألوا هؤلاء عن نِسبِ المتهورين الذين هلكوا ممن كان بالإمكان منعهم من الهلاك بالضرب التربويّ ثم لم يمنعوا..؟!

وأن تسألوا آخرين قد أوقفهم الضرب عن

السير في طريق الهلاك والهاوية. . ؟!

أرجوكم يا أيها البروفسور الكبير! أن تحذفوا من أذهانكم - في هذه اللحظة - صورة ذلك الأب الظالم الذي يمسك آلة جارحة أو كاوية أو يرفع عصا وينهال فيها ضرباً بغير هوادة على صغير. . ! لأنّ الصغير كسر المزهريّة! أو ضرب أخاه الأصغر! أو خطَّ خطاً أسود على جدار الغرفة البيضاء أو ما إلى ذلك!

ليس تصرف الأب هذا تصرفاً إسلامياً ولا تربوياً، إنما الإسلام يشرّع الضرب ضرورة بعد استنفاد كل الأساليب، وحينما يصبح الضرب رادعاً لما هو أشد ضرراً على الطفل، وهذا ما اتفقت عليه جميع الشرائع بالقاعدة المعروفة: «**يُدفع أعظم الضررين بأدناهما**».

ثم هو ضرب له مواصفات التأديب لا الانتقام، وهل يمكن أن ينتقم أب من ولده إلا أن يكون الأب شاذاً شذوذاً عقلياً أو سلوكياً، وهذا

الأب أحق بالعلاج.

وبعد كل هذا لو أردنا أن ننظر إلى أثر رفع الضرب عن مجتمعاتكم لرأيت كيف سبب ذلك همجية في الضرب، ونتائج مأساوية على حياة الأطفال.

إنك لو فكرت بأي خطيئة يمكن أن يقع فيها الطفل لوجدت أن القانون يحميه ويباركه كما يحمي صاحب حضانة البكتيريا الضارة على حضانته وهو لا يدري بل حتى لو كانت الخطيئة واقعة على الطفل فإن القانون عندكم يحمي هذه الخطيئة ويحمي المجرم المتعدي على الطفل.

«يقول الدكتور (كوستوفر هوبز) والذي يقود مجموعة مختصة بهذا النوع من الاعتداء على الأطفال في المستشفى التابع لجامعة ليدز: لقد درّبنا أساتذة المدارس والحضانات ورجال الشرطة والزائرين الصحيين للتعرف على مؤشرات الاعتداء عند الأطفال، ولقد أنشأنا أعداداً كبيرة

من بيوت الحضانة، وسنبحث عن عدد كبير من العوائل كي تأخذ هؤلاء الأطفال. . ولكن المشكلة التي تواجهنا أنّ هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى عوائل ذات خبرات في التعامل مع مثل هذه الحالات لأنّ لديهم كثيراً من المشاكل الاجتماعية والنفسية، حيث يتصرفون تصرفاتٍ غير ملائمة» [الإندبندنت ٣/ ١١/ ٨٦].

كما ذكر ناطق باسم المنظمة المذكورة بتاريخ ١٣/ ٧/ ٨٦ (إن أكثر من ٣٠٠ طفل في مدينة ليدز يتلقون علاجاً نفسياً بعد أن تعرضوا لاعتداءات من بعض أفراد عوائلهم أو من بالغين آخرين.

وَلْنَرَ الآن ما موقف القانون البريطانيّ من هذه المشكلة، وما مدى مساهمته في حلها والقضاء عليها؟

يقول: «موريس هوكر Maurice Hawker» مدير الخدمات الاجتماعية في مجلس مقاطعة إسكس:

إنّ المشكلة تكمن في أن القانون لا يحمي هؤلاء الأطفال.. حيث إننا نخسر كثيراً من الحالات عندما نحاول أخذ هؤلاء الأطفال للعناية بهم، وذلك بسبب عبء الإثباتات الهرقلية (القاسية).. وعلى عموم المجتمع أن يأخذ حقوق الأطفال في حساباته [الأوبزيرفر ١٢/ ١١/ ٨٦].

فهل الذي فعله القانون البريطانيّ كان حماية للطفل أم حماية للمغتصب..؟!

ويقول الدكتور هوبز: «إنه من الصعوبة بمكان اتخاذ أيّ إجراء ضد الشخص المغتصب ؛ إلا إذا اعترف بذلك.. حتى لو كان التشخيص الطبيّ يثبت هذا الشيء، **إن القانون أصبح حصانة للمغتصب**.. والشرطة تعرف ذلك وقليل جداً من الحالات ترسل إلى المحكمة» [الإندبندنت ٣/ ١١/ ٨٦ ][1].

---

(١) مقال (أطفال الحضارة المعاصرة، نحو الهاوية) مجلة البيان العدد ٣ ص٩٨ .

بالله عليك أيها البروفيسور: هل هذا حل للمشكلة أم إقرار لها..؟!

لك أن تتصور أن الذي اغتُصب هو صغيرك، فماذا أنت صانع تجاه مغتصب ولدك..؟!

وهل تشعر أن القانون قد ردعه..؟!

ثم إذا كانت هذه نسبة من بَلَّغ عن اغتصابه، فكم أعداد من لم يبلغوا..؟!

وإذا كانت هذه نسبة المكرَهين فماذا يقول القانون عن النشء المتراضين على الشذوذ..؟!

وهل يحق للقانون أن يعاقب إذا كان القانون نفسه يبيح لأجهزة الإعلام نشر هذه الرذيلة..؟!

أليس الطفل ضحية..؟!

إنه ضحية من جاء ليحل مشكلته فشرع لها تشريعاً، وزاد من ارتكابها!

إنه ضحية مناهج التعليم ووسائل الإعلام، والقانون القضائي. . !

وأنت كولي أمرٍ تقف هنا موقف الحيران. . !

تقول: ماذا أصنع. . ؟!

هل أفتك بمغتصب ولدي. . ؟!

أم أعـاقـب ولـدي ولـو بـالـضـرب غـيـر المبرح. . ؟!

الـقـانـون يـمـنـعـني مـن هـذا وهـذا، بـل يـشـرع لولدي أن يشتكي عليّ لو أني ضربته أيّ ضرب.

والقانون يصدقه ويكذبني، بل يأخذ مني ولدي ويسلّمه إلى غيري. . !

فماذا أصنع. . ؟!

هل من حماية للفاحشة أعظم من هذه. . ؟!

كيف أستطيع أن أحمي ولدي والقانون يمنعني من التلويح باستخدام أسلوب الردع وهو الضرب التأديبيّ. . نعم الضرب التأديبي فحسب. . !

هل مِنْ حق من كان له مزرعة دواجن إذا هاجمتها الثعالب وأكلت ما فيها أن يرفع شكوى على الثعالب إذا لم يكن قد وضع لمزرعته سوراً يحمي دجاجاته..!

أليس هؤلاء المغتصبون شراً من الثعالب..؟! فلم تمنعوني من وضع السور، وفرض الحراسات؟!

ثم من ذا الذي يضمن تتابع بقية الأبناء وراء أخيهم في الخطيئة إذا رأوا سلامة من أخطأ من العقاب..؟!

إنّ الوالدين السويين هما أبعد الناس عن الانتقام من ولديهما، هذه هي الفطرة حتى في الحيوان، فالدجاجة تعرض نفسها للثعلب حماية لفراخها، والبقرة تنطح الأسد دفاعاً عن صغارها، والفرس يرفع حافره لئلا يطأ ولده الصغير، فهل يمكن للإنسان أن يضرب صغيره ضرب انتقام وهو الذي يفديه بماله وروحه حماية له

ولمستقبله.. إذ كيف يجتمع أن يحميه بروحه ثم هو يسعى لإزهاق روحه، يدفع عنه ببدنه معرضاً إياه لمخلب السبع ونابه، ثم يمزق بيده ولده؟!

إن قانون الفطرة أعظم من قانون الورق.

إن القانون يبدو مضحكاً لو شرّع للناس عقاباً لمن يضرب يده بيده، أو رجله بيده، أو يضرب نفسه بعصا... فكيف وفطرة الحيوانات - فضلًا عن الناس - تشهد بأنّ محبة الوالدين الطبيعية لأبنائهم أعظم من محبتهم أنفسهم، ومحبتهم أبعاضهم كما نراها نحن في برامج عالم الحيوان صباح مساء، كيف والوالد يتبرع بسخاء ونفسه راضية إذا توقفت حياة ولده على كُلْيةِ احتاج لمن يتبرع بها إليه، فكيف يضربه انتقاماً؟

أما ما يحدث من حالات شاذة من بعض الآباء والأمهات مع أطفالهم فهذه واقعة تحت السكر في غالبها، وأحياناً الجنون، وحالات نادرة أخرى تحت تأثير الغضب! والشذوذ لا قاعدة له، ولا

ينبغي أن نبني على الشذوذ قانوناً ونعمِّمه على الآخرين.

ويكفي أن نرى أين وصل الأمر بالأطفال، وكيف استغله الشاذون والمنحرفون.

أيها الحضور المحترمون: لا تستغربوا أبداً من ردة فعل الآباء نحو الأبناء... ردة فعل فوق التصور البشري!

أرأيت أباً يحرم أولاده وزوجه إرثه ليعطيه إلى كلبه؟

وبما أن القانون يمنع توريث البشر لغير البشر فقد لجأ هؤلاء الآباء إلى إنشاء مؤسسات لرعاية كلبهم أو كلابهم وقططهم أو الوصية لشخص ينفق ثرواتهم عليها...

وبهذا يحرم الآباء الأبناء من ميراثهم.

وإلا كيف أصبحت الكلاب تملك ملايين الدولارات مثل الكلب الألماني الذي ورث (١٠ مليون دولار واستثمرت حتى أصبحت ثلاثة

أضعاف، **والكلب الثاني هو** . . . وملكية ٨٠ مليون دولار وعلى هذا المنوال فسرْ[١].

فأي ثقة في الروابط الأسرية تبقى إذا فعل الآباء في آخر حياتهم هذا الفعل؟

وأي عقوق صنعه الأبناء. والأسرة بولي أمرها حتى فعل هذا الفعل؟

الاعتراف بمشكلة الشذوذ

**بروفيسور كريستيان**: هذه النسب في حقيقة الأمر لا يمكن إنكارها، ولا العبور عليها سريعاً، لكنك - يا أبا حامد - حولت الأمر تحويلًا خطيراً علينا حين ذكرت مشكلة واقعة عندنا، ونعاني منها أكثر بكثير من مجتمعاتكم. . !

مشكلة أكبر بكثير من مشكلة ضرب الأطفال:

**إنها مشكلة الشذوذ الجنسي عند الأطفال**، بل حتى عند الكبار. . إنها تتفاقم يوماً بعد يوم، ولا ندري كيف نحلها. . !

---

(١) http://petslobby.com/2008/04/03/top-7-richest-dogs-intheworld.
http://www.legalzoom.com/legal-articles/create-pet-trust.html.
http://www.estateplanningattoreyatwills.com/Willbasics.htm.

ومن باب الإنصاف والاعتراف بأمر لا يمكن إخفاؤه ولا نقدر على التستر عليه تلك هي انتشار الشذوذ في مجتمعاتنا، وحضانة الشذوذ الحقيقي هو من الطفولة والمراهقة سواء كان معتدياً أو معتدى عليه.

في دراسة بعنوان «الشذوذ الجنسي وابتزاز الأطفال جنسياً»[١]: «نسبة الشواذ جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية تتراوح بين ١٪ - ٣٪ من مجموع تعداد السكان بنحو (٢٦٠) مليون في منتصف التسعينيات من القرن العشرين، ومن هذه الأعداد ٤٦٪ من الشواذ الذكور، و٢٢٪ من الشواذ الإناث تعرضوا لتحرش جنسي شاذ أثناء طفولتهم، في مقابل ٧٪ فقط من غير الشواذ الذكور، و١٪ فقط من الإناث غير الشاذات.

ويمثل الشواذ من مرضى الإيدز أكثر من ٥٠٪

---

(١) Timothy J. Daily (2005) : Home sexuality & child sexual abuse issue No.247 .

من المصابين بمرض الإيذر الخطير، وأن:

١) ٢٥٪ - ٣٣٪ من الشواذ جنسياً مدمنون للخمور، و٦٤٪ مدمنون للمخدرات.

٢) إن ٣٩٪ إلى ٥٩٪ من الشواذ جنسياً مصابون بالعديد من الطفيليات التي لا تتوافر إلا في أقذر الأوساط البيئية.

٣) إن الشذوذ الجنسي يؤدي بصاحبه إلى التعاسة والشعور بالنقص والساديّة التي قد تنتهي بقتل الشريك في هذه الجريمة.

٤) إن ٥٠٪ من المنتحرين هم من المنحرفين جنسياً.

٥) إن متوسط عمر الشواذ جنسياً من الذكور هو نحو (٤٢) سنة، ومن الإناث هو (٥٤) سنة، وتقول الدراسة: بينما قد يفلت من الموت نحو (٩٪) فقط من مجموع الشواذ الذكور، و(٢٤٪) من الشواذ الإناث ليصلوا إلى ما بعد الخامسة

والستين يقضونها في معاناة صحية ونفسية، وآلام جسدية لا تطاق، وينزل هذا المعدل إلى (٣٩) سنة فقط إذا أصيب الشاذ بمرض الإيدز.

ولو كانت تبعات الشذوذ قاصرة على الشاذ أو الشاذة لكان الجرم أخف ولكنها تتعدى إلى أضرار كثيرة.

ففي دراسة الدكتور فرانك جوزيف التي سبقت الإشارة إليها جاء ما يلي:

١) إن الشواذ جنسياً معرضون للقتل أكثر مائة مرة في الذكور، و(٥٣٤) مرة في الإناث من غيرهم، وعادة ما يتم ذلك بواسطة شركائهم في هذه الجريمة البشعة، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن (٥٠٪) من حوادث قتل النساء في بلد مثل الولايات المتحدة هي للشاذات جنسياً.

٢) إن الشواذ جنسياً معرضون للانتحار أكثر ٢٥ مرة من غيرهم، وللقتل عن طريق حوادث الطرق أكثر ١٩ مرة من غيرهم.

٣) إن ٣٣٪ من الشواذ جنسياً يعترفون بالاعتداء على كل من الأطفال الصغار والكبار، وهناك مجموعات عديدة مكونة من آلاف الشواذ جنسياً في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية منها مجموعة تسمي نفسها باسم:

The North American Man/Boy Love (NAMBLA) Association

وهي مجموعة متخصصة في الاعتداء على الأطفال الصغار، وتمثل أكثر من ٣٣٪ من الحوادث البشعة، ويعترف ٥٣٪ منهم باقتراف هذه الجريمة مع من هم دون التاسعة عشر من العمر.

٤) إن ٥٩,٦٪ من الشواذ جنسياً في دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية هم من خريجي الجامعات، وأن ٤٩٪ منهم يحتلون مراكز تخصصية وإدارية بارزة في مجتمعاتهم.

يا أبا حامد: إن ظاهرة الشذوذ أخذت في

مجتمعاتنا الغربية صور المظاهرات العامة والمطالبات الرسمية، والمصيبة أن القانونيين خضعوا لها حين خضع لها السياسيون، فأصبحوا يشرعون لها قوانين - لا لتحد منها - ولكن لتحميها وتنشرها..!

نحتاج فعلًا إلى أن نعرف كيف سيتعامل الإسلام مع هذه المشكلة لو أنه واجهها، نحن لا نريد حلولًا نظريّة مثالية.

تعامل الإسلام مع الشذوذ

**أبو حامد**: أما إذا أردتم معرفة تعامل الإسلام مع مثل ظاهرة الشذوذ هذه، فإنّ الإسلام يعمل **بمبدأ الوقاية قبل العلاج، والوقاية أولًا** قبل أن تقع الجريمة، فهو يقطع أسبابها، و يَعدُّ الإعلام الذي يشيع الفاحشة جزءاً من الجريمة، ولا يبرؤه منها، وفي القرآن آية في سورة النور تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ١٩].

إن الأمـر الأهـم هـو الإسـلام يـضـع الـجـو النظيف، ويصنع البيئة الطاهرة التي لا تعيش فيها البكتيريا الظاهرة، فلا قياس بينها وبين بيئتكم، وثـم هـو لا يكتفي بهذا بل يتابع تفاصيل هذا الموضوع.

إن الإسلام يجعل الأساس في التربية الصالحة هو **إنشاء الرقابة الذاتية الداخلية** في نفس الطفل، **وإنشاء الجو الأسري الصالح**، ويمنع **أسباب الإثارة الجنسية** حتى في داخل البيت، فالنبي - عليه الصلاة والسلام - ينهى أن ينام الإخوة والأخوات في فراش واحد، أو تحت لحاف واحد إذا أصبحوا مميزين، أي أصبحوا أبناء سبع سنين وزيادة، فيقول: «**وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1].

وهو يضع كذلك العقوبة المنزلية كطريقة احتياطية ولا يلغيها، لكنها عقوبة التأديب والمحبة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، قال الألباني: حسن صحيح.

ثم إن الإسلام يشرع الثقافة الجنسية المناسبة والواقية من الوقوع في حبائل الوحوش الجنسية، وبعد كل هذا فإذا وقع الصغير في هذا الشذوذ فإن الطفل يعفى عنه لصغره ولو كان راضياً، مع وجوب تأديبه وتربيته، وأول المعنيين بذلك وليّ أمره، لأنه أولّ المعاتبين لو وقع الولد في التقصير. . وأما ذاك المغتصب فينزل به العقاب الرادع له ولأمثاله مادام عاقلًا وبالغاً.

أما أَنْ تنشر المغريات، وتُرفع العقوبات - كما هو عندكم - ثم يُطلب الالتزام وعدم الشذوذ فإنّ مثل هذا كمثل ما قال الشاعر:

**ألقاه في اليَمِّ مكتوفاً وَقالَ له:**
**إيّاك إيّاك أن تَبْتَلَّ بِالماءِ**

والمَثَل يقول: «**مَنْ أَمِنَ العقوبة أساء الأدب**». . !

لكن أودُّ أن أؤكد لك مرة أخرى - «يا بروفيسور كرستيان» - أن المنهجيّة عندكم في

مواجهة أيّ مشكلة صغيرة - وللأسف - هو تحويلها إلى مشكلة أكبر، ثم تنظيمها، ثم حمايتها، ثم تهيئة قنوات لنشرها..!

فلا شك أن الشذوذ مشكلة، لكن انظر كيف تعامل معها خبراء التربية والقانون والإعلام والسياسة.

لقد اعترفوا بها، وأصدروا لها قوانين تحميها، وأسسوا لها أندية، وأخيراً شرعت لها بعض الدول تشريعات رسميّة، وجعلوا لها ما يُسمّى «الزواج المثليّ» ونحو ذلك، لا أقول إلا كان اللّٰه في عون أبنائكم وبناتكم من أنظمتكم وأجوائكم!

فلأجل مَنْ تفعلون كل هذا.؟!

أَلأجل حفنة من المهتمين بنشر الرذيلة في العالم كله، أم لأجل شهوة الشاذِّين يَهُونُ انتشار الأمراض الخطيرة في المجتمع؟ فهل فَتْح جمعيات للشاذين، ومنحهم حقوقاً سياسيّة، ومحطات إعلاميّة، حلٌّ للمشكلة أم تضخيم لها..؟!

وهل سنعامل من كان مريضاً بمثل مرض الكوليرا أو غيره من الأوبئة بهذه الطريقة، أم نجعله في حَجْرٍ صحيٍّ حتى يعالج، ثم إن شفي سمح له بمخالطة المجتمع..؟!

**أتدرون كيف تعامل الإسلام** مع المخنثين خِلْقة وليسوا مخنثين جنساً وممارسة:

**أولًا:** صنع الإسلام الجو الطاهر المحيط بالجيل الجديد كما قال اللَّه تعالى في سورة التوبة آية ٧١: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

**ثانياً:** حرم تشبه الرجال بالنساء والعكس أيضاً، ففي الحديث الذي قاله النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**لعن اللَّه المتشبهاتِ من النساء بالرجال، والمتشبهين من**

الرجال بالنساء»[1].

ولا يخفى عليكم أن معنى اللعن هو الطرد من رحمة اللَّه، وهذا من أشد الأساليب في التنفير من هذا التشبه، فماذا يبقي الزوج المخنث لزوجته إذا أصبح يتزين مثلها، وماذا تبقي الزوجة لزوجها من رجولة إذا أصبحت تتشبه برجولته..؟!

ألا ترى أن الزوج المخنث إذا أصبح يطلب حقه الجنسي من زوجته سيكون ذلك دافعاً لنفرة زوجته منه، أو دافعاً لها لأن تطلب شهوتها من غيره..؟!

وماذا سيبقى للوزير - مثلًا - من مهابة إذا أصبح معروفاً بأنه يؤتى كما تؤتى المرأة..؟!

نعم، ربما هو يتلذذ بالشذوذ والانحراف، لكن ما ذنب أبنائنا الذين ربما يقتدون به..؟!

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٠٠٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٦٨).

ما ذنب زوجته وأسرته؟!

ما ذنب الرجولة التي أصبحت هي الضحية..؟!

وما ذنب الأنوثة التي أصبحت ضحية العدوان عليها من غير أهلها..؟!

ثم هل يجوز لمن ابتلي في نفسه أن يعلن شذوذه..؟!

إنّ الشذوذ شيء وإعلان الشذوذ شيء آخر.

**ثالثاً**: أمر الإسلام بالعمل وكَرَّه البطالة، ففي القرآن الكريم يقول اللَّه تعالى في سورة التوبة آية ١٠٥: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ويقول اللَّه لنبيه محمد - عليه الصلاة والسلام - في سورة الانشراح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الآيتان: ٧ - ٨].

أي ما إن تنتهي من عمل حتى تشرع في غيره، وهكذا مدى الحياة.

رابعاً: حثّ الإسلام على الخشونة في الشباب ونهى عن التميّع، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «المؤمن القويّ خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن باللَّه ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر اللَّه، وما شاء فعل، فإنّ «لو» تفتح عمل الشيطان»[1].

خامساً: حث الإسلام على الصحبة الصالحة. فعن أبي موسى - رضي الله عنه - أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك[١] وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»[٢].

سادساً: أمر بعزل المخنثين الذين لا يقدرون على ترك تشبههم بالنساء.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو ابن عم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - قال: «لعن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: أخرجوهم من بيوتكم، قال: فأخرج النبي - عليه الصلاة السلام - فلاناً، وأخرج عمر فلاناً»[٣].

إن عزل المخنثين عن المجتمع يأتي بعد عدم قدرتهم على ترك تشبههم بالنساء، وليكون ذلك

---

(١) يحذيك: أي يعطيك.
(٢) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).
(٣) رواه البخاري (٥٥٤٧).

العزل عقاباً نفسيّاً بليغاً يدفعهم دائماً لمراجعة أنفسهم ومحاسبتها، وسد جانب النقص فيها.

ثم إن العزل عن المجتمع داع إلى اعتماد المخنث على نفسه في أداء الأعمال والقيام بشؤون نفسه، فإن مصيبة المخنث هو ضعف قدرته على الاعتماد على نفسه، فإذا ما عزل افتقد من كان يعتمد عليه من الناس فأحيا ذلك في نفسه الإرادة التي غيرتها الطوارئ، كمن يستند إلى عكاز وهو قوي، فأخذتَ منه العكاز وقلتَ له امش بدونه.. فسوف يمشي شيئاً فشيئاً، هكذا تنبت الإرادة في نفس هذا المخنث على العفاف شيئاً فشيئاً فيعود المخنث لرجولته، وتعود الشاذة لأنوثتها وإذا وجد علاج طبي للهرمونات فيجب الأخذ به إذا تعسّرت العلاجات الأخرى.

أما وجود المخنث وسط المجتمع فهو أبلغ دعوة لضعاف النفوس الآخرين ليكونوا مثله، فيكبر هذا الخُلُق وينمو شيئاً فشيئاً، حتى يصبح ظاهرة كما هو في أمريكا وأوروبا، وأكثر.

وإني أقول لمن يعترض على هذا العزل المؤقت: أترضى أن يبقى في بلدك سببٌ لأنفلونزا الطيور؟

الجواب: قطعاً لا.

والسؤال: فَلِم؟

والجواب: خشية الانتشار.

إذن: فهل هذه الأمراض المميتة للرجولة والخلق أهون من أمراض الحيوان، هل ترضى ببقاء خادمك الوفي في بيتك بعدما تكتشف أنه يحمل مرضاً معدياً؟

إذاً لماذا لا نتعامل مع مجتمعنا الكبير تعاملنا مع مجتمعنا الصغير (الأسرة)؟

إننا حقاً بحاجة إلى مراجعة قيمة القيم عندنا.

أيها البرفسور: ليكن في علمك أن الأهم من كل الأسباب الوقائية والعلاجية التي ذكرت لك هو الإيمان الحقيقي الذي يصنعه الإسلام في قلب

كل فرد، حتى الصغير فإنه ينبته على هذا الماء وهذه الأرضية الإيمانية، فينشأ على محبة اللَّه والحساسية من الاقتراب مما يكره والطمع في رحمته ومخافة عذابه، وتكبر معه هذه العقيدة كلما كبر كما الشجرة ترتفع إلى الأعلى بزيادة رسوخها في الأسفل.

فيكفي أن تبين للصغير أن اللَّه يحب كذا ولا يحب كذا حتى يلتزم فوراً، وذلك لعظيم حرصه على مرضاة ربه سواء كان في حضور والده أو غيابه، في حضور القانون ورجاله أم غيابه والأمر سيان، لأن مرضاة اللَّه تهمه أكثر من مرضاة أي أحد، ومحبته للَّه أعظم من محبة كل أحد، وهذه المحبة لا تنقص من محبة الأب بل هي تزيدها لأن اللَّه لا يرضى عن العبد ما لم يرضَ عنه والداه في الحق، وليس محضن الإيمان هذا المسجد فحسب لا، بل البيت والمدرسة والشارع لذلك فإن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام -

يوصي ابن عمه - عبد الله بن عباس - وهو صغير بوصية جامعة فيها كل ما ذكرنا وزيادة فيقول له: «اتق اللَّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخَالِقِ الناسَ بخُلقٍ حسن»[1].

ويبقى السؤال عندكم هو: من السبب وراء زيادة هذه النِّسَبِ حتى أصبحت ظاهرة..؟!

وهل لو اتخذنا أسلوب الوقاية في الإسلام ثم أسلوب العقاب لانتشر الشذوذ هذا الانتشار..؟!

المشكلة الثالثة مشكلة الرق

بروفيسور أندرسون: اسمح لي - يا أبا حامد - أن أذكر لك مشكلة أخرى زادها الإسلام تعقيداً..! فإن من لا يعرف نظام الرِّقِّ في الإسلام يحسب أن الرحمة بالناس هي غاية الإسلام، بينما نجد أن الإسلام شرع الرق كنظام - وخصوصاً بالنسبة للمرأة - حيث جعل الرجال يستمتعون بالرقيقات وسماهنّ إماء، وجعل من

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧) وحسنه الألباني.

حق الرجل أن يأتيها من غير عقد ولا مهر، وجعلها سلعة تباع وتشترى، وشرع تسخيرهنّ، وجعل حقوقهن كحقوق البهائم، بل كحقوق المتاع الموجود في البيت، فهل مثل هذا النظام يوصف بأنه نظام رحمة، فضلًا أن يوصف بأنه نظام صالح لكل زمان ومكان. . ؟!

خسارة الحقيقة!

**أبو حامد**: لا يمكن للقاضي مهما كان خبيراً أن يصل إلى الحكم الصحيح ما لم يستمع إلى الطرفين جيداً، فكيف إذا استمع لطرفٍ وترك الاستماع للطرف الآخر. . ؟!

وأنا أحسب أن من أكبر المكاسب في جلساتنا هذه هي أنها توضح لي ولكم وجهة النظر الأخرى. . . وبعدها يصبح المرء على بيّنة إذا حكم، ثم ماذا يضير المرء إذا جاءته الحقائق بنفسها تسعى دون أن يبذل جهداً في طلبها. . ؟!

وهل من شيء أغلى من الحقيقة في الوجود. . ؟!

وهل من خاسرة في هذه الدنيا أكبر من خسارة شخص يعيش ويرحل وهو لا يعرف الحقيقة التي يتوقف عليها مصيرهُ، اللهم إلا شخص جاءته الحقيقة تطرق باب قلبه وفكره وهو يطردها راغباً في العيش في الظلام والأوهام؟!

**أيها البرفسور:** لا يمكن لأي منصف من المنصفين أن يكون مصيباً في حكمه ما لم ينظر لمسألة الرق نظرة واقعية، ثم يرى كيف تعامل الإسلام مع الرق في ذلك الواقع، ثم ينظر إلى نتيجة هذا النظام من ذلك اليوم وما بعدهُ إلى هذا اليوم.

وليس من الواقعية أن يجلس الناقد في هذا الواقع الذي نعيشه اليوم ليحكم على الإسلام من موقعه هذا على موقع الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة..! ثم يمتدح واقعه هذا ويذم الإسلام! وهو لا يدري أن التدرج الذي سار به الإسلام في تفكيك منظومة الرق العالمية آنذاك هو الذي أنتج

هـذه الـحرية لـلبشـر الـتـي هـو يـفـخـر بـهـا الآن، فافتخاره الحقيقي بالإسلام وهو لا يدري به..!

فـكـيـف كـان الـعـالـم آنـذاك..؟! ومـاذا صـنـع الإسلام في ذلك العالم..؟!

ألـم يكن الـمصير الـذي يسير نـحوه الـعالـم هـو مزيد اتساع لطبقة الرقيق، ومزيد اتساع في أملاك المالكين من البشر؟!

ألـم ينقسم العالـم كله آنذاك إلى طبقتين؛ طبقة المُلّاك وطبقة المملوكين..؟!

وهل تعرفون - يا سادة - أحداً نادى في ذلك الوقت - أي قبل ألف وأربع مائة عام - بِقلْب هذه المعادلة غير محمد - عليه الصلاة والسلام -..؟!

وهل تعرفون أحداً وضع نظاماً للعتق في الدنيا غير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

وهـل تـعـرفـون أحـداً جـعـل مـبـنـى نـظـامـه هـو السهولة في تحقيق الحرية بحيث ضَيّق منابع الرقّ لدرجة التجفيف، ووسع مخارج العتق لأوسع

درجات الاتساع غير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

وهل تعرفون أحداً حوّل عتق العبيد عند المُلَّاك إلى رغبة ذاتية غير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

وهل تعرفون من جعل لمن بقي في دائرة الرق نظاماً من الحقوق الواجبة على السادة نحو المملوكين بحيث أصبحت دائرة المملوكية محكومة بأنظمة فوق أنظمة السيد وأهوائه.. أنظمة فيها الحرية النفسية والحقوق الإنسانية، هل تعرفون أحداً عمل مثل هذا غير محمد - عليه الصلاة والسلام -؟!

أنا لا أشكُّ أنكم سوف تستغربون من هذا الكلام.. ولكني أرجوكم أن تجعلوا التاريخ يحاكم كلامي، وعندها سوف ترون أن ما في أنظمة الحرية الحالية من صواب إنما هو ثمرة من ثمرات محمد - عليه الصلاة والسلام -.

**تذكروا أولًا أبواب الرق المشرعة قبل محمد** - عليه الصلاة والسلام - فمنها: النهب، ومنها السلب، ومنها المقامرة، ومنها السطو ومنها وضع اليد، ومنها الحروب، ومنها القرصنة، إلى غير ذلك. . . وتذكروا أن الإسلام أغلق كل تلك الأبواب ولم يبق منها إلا باب الجهاد القتالي الشرعي. . والذي هو مقرر اليوم في نظام أسرى الحروب ومقرر معه ما لهم من حقوق.

**تذكروا أيها الحضور نظام الرقيق آنذاك** - في بلادكم في بلاد الرومان - وكيف كان السادة يتلذذون بمصارعة الرقيق حتى الموت وهم على المسرح يتضاحكون. . !

**تذكروا كيف تُترك الجماعات من الرقيق مع الوحوش** ليبقى السيد يتفرج على افتراس الحيوان للإنسان. . !

**بروفيسور أندرسون**: نحن نتذكر كل هذا الذي ذكرته في مجتمعاتنا، ونتذكر أضعاف أضعاف هذا من الصور المخزية للإنسان. . لكنك حتى هذه

اللحظة ذكرت مجموعة من الدعاوى عن محمد، ولم تثبت أي دعوى بأي دليل، اللَّهم إلا الكلام التاريخي المثير للعاطفة الإنسانية، ثم نسبت فضيلة تحريرنا إلى محمد!

**أبو حامد:** أنا إنما حاكمت إلى العقل، فالنتيجة واحدة لا غير أرجوك ارجع إلى العالم آنذاك - كما ذكرت لك - وأعطني أية حضارة من الحضارات وقفت في وجه الرقّ. . !

بل أعطني أي حضارة من الحضارات لم تكن تزيد من الرقّ وتفاقم مشكلته. . !

وأرجوك لا تذهب بعيداً: أجب تحديداً عن هذا السؤال، وعما ذكرت قبله.

ثم أرجوك والحاضرين المحترمين أن تنظروا في إثبات كل دعوى ذكرتها لكم، لتروا بالدليل كيف فتح محمد - عليه الصلاة والسلام - أبواب عتق الرقيق شيئاً فشيئاً، فأفاق العالم بعد فترة ينظر في حظائر الرق الممتلئة، فلا يجد فيها رقيقاً وليس ثمة فاتح لها إلا محمد - عليه الصلاة والسلام -.

أيها الحضور: دعوا كلامي المجرد عن الدليل وانظروا في الأبواب التي فتحها محمد - عليه الصلاة والسلام - نظرة سريعة وسوف أذكر دليلًا واحداً فقط لكل دعوى ذكرتها من قبل:

**باب العتق الأول: باب الكفارات:**

١) **كفارة اليمين،** فمن حلف باللَّه على أن لا يفعل أمراً من المعروف ثم ندم وأراد فعل ذلك الأمر فله أن يفعله بشرط أن يكفر عنها بأحد الكفارات منها: عِتْقُ رَقَبَة.. مثل أن يحلف أن لا يعطي ولده نقوداً أو لا يصل رَحمه أو نحو ذلك، ودليل هذا الذي أقوله هو قول محمد - عليه الصلاة والسلام - «من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فُليكَفِّر عن يمينه وليأت الذي هو خير»[١].

٢) **كفارة جماع الصائم،** فلا يحل للصائم في الإسلام أن يأكل أو يشرب أو يجامع زوجته طوال

(١) صحيح مسلم بلفظ مقارب (٥/ ٨٥).

النهار، فإذا جامع زوجته وهو صائم فعليه أن يقضي اليوم الذي أفطره، وعليه أن يعتق رقبة، وقد حدثت قصة في عهد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، فاستمع إلى هذه القصة يرويها أحد الملازمين الفقراء للنبي - عليه الصلاة والسلام - واسمه مرّ معنا كثير وهو أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند النبي - عليه الصلاة والسلام - إذ جاءه رجل فقال: يا رسول اللَّه، هلكتُ. قال: «ما لك؟» قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا. قال: «هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد طعام ستين مسكيناً؟» قال: لا. قال: فمكث النبي - عليه الصلاة والسلام -، فبينما نحن على ذلك أُتيَ النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - بعرق فيه تمر، والعرق: المكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به». فقال رجل: على

أفقر مني يا رسول اللَّه؟! فواللَّه ما بين لابتيها «يريد الحرتين» أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي - عليه الصلاة والسلام - حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك»[١].

فإذا تأملت هذا الحديث وجدت أن الكفارة الأولى لهذا النوع من المخالفات الشرعية هي عتق الرقبة.

٣) كفارة القتل الخطأ بالإضافة للدية، فمن قتل خطأً سواءً كان المقتول مسلماً أم غير مسلم وجب عليه دية القتل إلى أهله، كما يجب عليه عتق رقبة، ودليل ذلك آية صريحة في القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ

---

(١) رواه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١١١١).

﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

وهنا كذلك فإن أول كفارة للقتل الخطأ هي عتق الرقبة وهذه علامة لا يمكن المجادلة فيها على أهمية عتق الرقبة.

٤) القرابة: بمعنى أن يكون أحد أقربائك عبداً... فما دمتَ حراً فذلك العبد الذي في ملكك يصبح حراً لحديث ورد عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «من ملك ذا رحم محرم فهو حر»(١).

**باب العتق الثاني: باب القربات:**

١) الفضيلة: لقد رغَّب النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في العتق أعظم ترغيبٍ حتى قال: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق اللّه بكل عضو

---

(١) رواه داود (٣٩٤٩) وصححه الألباني.

منه عضواً من النار..»(١).

ولك أن تقدر أهمية هذا التحفيز حين ترى أن أعظم خطر يخافه كل إنسان على نفسه هو دخول النار، وأن من أسباب النجاة من هذا المصير هو عتق رقبة.

باب العتق الثالث: باب المكاتبة: وهو نظام يُلْزم السيد بالموافقة على عتق العبد إذا رغب في ذلك مقابل مبلغ مالي معروف ومتفق عليه وليس مبلغاً مُبالغاً فيه، وهذا النظام ثابت في القرآن، فقال تعالى في سورة النور: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [آية: ٣٣].

باب العتق الرابع: باب الزكاة المفروضة: لكم أن تتصوروا أيها السادة منزلة العتق في الإسلام بعدما تعرفون أن الإسلام افترض على كل غني إخراج نسبة ٢,٥٪ من أمواله كزكاة لأصناف معينة كل سنة، لكن جعل لكل عبد يريد الحرية حقاً

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٧)، ومسلم (١٥٠٩).

مشروعاً في هذه الزكاة المفروضة على كل مسلم حُرٌّ مقتدر، وهذا في القرآن نفسه في سورة النور آية ٣٣: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

باب العتق الخامس: نكاح السيد للأَمَة

لقد أفاد الإسلام من جانب الشهوة الغريزية في قضية العتق كذلك، فتعامل بواقعية ومثالية معاً مع هذا الصِّنف من الناس، إذ إن الإسلام نظر لهذه المشكلة نظرة واقعية، فأنت الآن أمام مشكلة اجتماعية خطيرة..!

فقد جاء الإسلام والإماء منتشرات بكثرة في المجتمعات، وكان الجماعة من الرجال - قبل الإسلام - يتواردون على الأَمَة الواحدة، فالأَمَة مال سائب أو شهوة مسبّلة..!

إنها مشكلة اجتماعية كبيرة ومتشعبة..!

فهل كان على محمد - ﷺ - أن ينظر إلى هذه البقعة السوداء في المجتمع ويتركها إذ هي آخذة في الاتساع لتعم البشرية، من غير إنكار أو

اتخاذ خطوات عملية علاجية..؟!

أم كان عليه أن يسابق غيره في توسيع دائرة الرقيق داخل مجتمعه الناهض حيث يأكل من المجتمعات الأخرى ويجعلهم رقيقاً عنده، فقد بلغت الفتوح من بعدها إلى أغلب بلاد العالم؟

أم كان عليه أن يغمض العينين عن هذه المشكلة المنذرة بفساد أخلاقي رهيب، وأمراض صحية فاتكة..؟!

أم كان عليه أن يصادم المجتمع برُمَّته، ويصادم الرجال والنساء، فيرفع الرقيقات لدرجة السيدات دفعة واحدة، وبذلك يهدم الأساس الذي قام عليه المجتمع وهن أمهات البيوت وسيدات المجتمع وذراريهن مرة واحدة..؟!

لقد عالج الإسلام هذهِ المعضلة بأن أباح للسيد فقط معاشرة أَمَته الخاصة بناءً على أنها مِلْكُ يمينه كما يعاشر زوجته من حيث الستر والاحتشام، والخصوصية، والحقوق الإنسانية،

وحرَّم عليه أن يبيحها لغيره بأُجرة أو بغير أجرة، حتى لو كان ضيفاً أو ولداً أو غيرهما، ثم إن السيد إذا نكحها وولدت له ولداً ارتفعت درجة الأمَة في الحرية وسميت «**أم ولد**» بمعنى أم ولد السيد تشريفاً لها، حيث أُلحقت بولدها الذي يلحق أباه في الحرية، وعلى هذا يمنع معاملتها معاملة الأمَة، فلا يجوز بيعها أو معاملتها معاملة الرقيق، وبذلك يصبح من أعظم الإكرام للولد أن تعتق أُمه لئلا يُعيَّر بها، والنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يحث الأولاد أعظم الحث على عتق الوالدين فيقول: «لا يجزئ ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيعتقه».

كما يصبح من أعظم مطالب الولد عتق أُمِّه، أما الولد فإنه يَتْبع أعلى الأصلين أي أنه يصبح حراً بمجرد ولادته رضي الأب أم لم يرض.. فإذا أصبحت الأَمَة أم ولده ورفض السيد عتقها فبمجرد وفاته تصبح حرة بحكم الشرع.

**بروفيسور أندرسون:** عذراً على المقاطعة مرة ثانية، فهذا حلٌّ جزئيٌّ ليس حلًا كافياً لمشكلة كبيرة مثل هذه، ذلك أن من أُعتق انتقل إلى مجال الحرية - وهذا ممتاز، لكن ماذا على مَنْ بقي رقيقاً..؟!

ماذا على مَنْ سيعيش حياته ويموت وهو في الرق ولم يعتقه الإسلام..؟!

**أبو حامد:** سؤال وجيه، وجوابه في الباب الآتي وهو الباب السادس فقد سبقتني بلمحة وهذا من حسن متابعتك:

**باب العتق السادس: حفظ الكرامة والحقوق**

أما من بقي في دائرة الرق في أول الإسلام ولم يصبه العتق بعد، فقد جعلت له معاملة خاصة، **فمنها:**

**أولًا:** أوجب للرقيق الحقوق الشريفة، فقد كان من المعتاد أن يتخذ الرجل إماءه للتكسب بأجسادهن، فحرم الإسلام ذلك في القرآن، فقد

جاء في سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

فقد كان الرجل قبل الإسلام يستخدم إماءه في التكسب بجسدها، فإذا لم ترض أكرهها فجاء الإسلام ونهى عن هذا الأمر نهياً مطلقاً سواء بالإكراه أو بالرضا فالإكراه هنا حرام، والرضا بالزنا حرام، ولا يغفر اللَّه إلا لمن تاب عن ذنبه.

**ثانياً:** حرم إهانتهم أو تكليفهم من الأعمال ما هو فوق طاقتهم، ومن نظر إلى تغير تصرفات أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - نحو الأرقاء عرف ماذا صنع محمد - عليه الصلاة والسلام - بأولئك الأعراب الأجلاف الأشداء قبل أن يدخلوا الإسلام. . !

فهذا أبو ذرٍّ الغِفاريُّ، رجل كان من قبيلة غفار المعروفة بقطع الطريق، دخل في الإسلام على يد

النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فماذا صنع الإسلام في خُلُقه؟ وكيف تحولت نظرته للأرقاء؟

فعن المعرور بن سويد - رضي الله عنه - قال: «عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان عليه حُلّة وعلى غلامه مثلها، فسأله المعرور بن سويد عن ذلك، فذكر أنه سَابَّ رجلًا على عهد النبي - عليه الصلاة والسلام - فعيّره بأمه، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «إنك امرؤ فيك جاهلية[1]، إخوانكم خولكم[2] جعلهم اللَّه تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»[3].

هكذا أصبح أبو ذر يتعامل مع عبده اتباعاً لما قال النبي محمد -عليه الصلاة والسلام-، وهذه

---

(١) فيك جاهلية: أي خلق من أخلاق الجاهلية.

(٢) والخول: الخدم والحشم.

(٣) رواه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١) واللفظ له.

منهجية عامة وليست خاصة بأبي ذر، فقد روى مسلم حديثاً عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يقول عن الأرقاء فيه: «هم إخوانكم، جعلهم اللَّه تحت أيديكم، فمن جعل اللَّه أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فَلْيُعِنْه عليه»[(١)].

**ثالثاً: أمر بالإحسان إليهم**، ودليل ذلك ما ورد في حديث أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - الذي أخرجه الإمام مسلم - في صحيحه، قال: كنتُ أضرب غلاماً لي بالسَّوْطِ، فسمعتُ صوتاً من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني، إذا هو رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام -، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!**»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعلم أبا مسعود! أن اللَّه أقدر**

(١) رواه البخاري (٥٧٠٣)، ومسلم (١٦٦١).

عليك منك على هذا الغلام» ، فقلت : يا رسول اللَّه ، لا أضرب مملوكاً بعده ، وقلت : هو حُرٌّ لوجه اللَّه تعالى ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «أما لو لم تفعل لَلَفَحتْكَ النار أو لَمَسَّتْكَ النار»[١] . ومعناه لو لم تفعل ذلك لعذبك اللَّه في الآخر بالنار .

رابعاً : أوجب تعليمهم ، أليس هذا غريباً في ذلك المجتمع في ذلك الزمان . . . ليس غريباً على دين محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي أمر بتعليم البهائم أن يشرع تعليم بني آدم ، فقد شرّع اللَّه تعليم الكلاب والطيور فقال في سورة المائدة آية ٤ : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ .

ونعود للسؤال الأكبر : من أين جاءتكم الحرية من الرق التي تستمتعون بها إلا بعد معرفتكم بحضارة الإسلام كما اعترف بذلك كبراء

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٩) .

مفكريكم.. فهل ينظر لهذا الموضوع على أنه مزية من مزايا الإسلام أم سلبية كما يفعل البعض..؟ وهل الواجب عليكم هو الشكر والعرفان أم النكران..؟!

المشكلة الرابعة: الجزية في الإسلام

**القسيس إندريه**: أنت الذي طلبت إذا كان لدى أي واحدٍ منا أية إشكالية على الإسلام فليعرضها عليك، ولذا عليك أن تتحمل هجومنا... فمنذ فترة وأنا أستغرب من هذا الدين الذي يزعم أصحابه أنه يمنح الأديان الأخرى الحرية بينما هو يفرض **الجزية**..!

**فالجزية** مصيبة، حيث تأخذون علينا المال لأننا لم نصبح مسلمين، أهذه مساواة أم ماذا؟!

هل للعقيدة عندكم قيمة حتى تدفع لأجلها **الجزية**..؟!

لطالما أتيتم بالأدلة على أن دينكم لا يفرق بين الناس، وأتيتم بدعاوى أنكم رحمة للناس، وأنكم، وأنكم... لكن حين تأتي للواقع فإن مَنْ

يقع تحت حكمكم تأخذون منه مبلغاً من المال، لأنه لم يصبح مسلماً، فإذا أصبح مسلماً سقط عنه ذلك الحق الذي تسمونه «**الجزية**». . !

أبو حامد: إذا كان الإسلام يأخذ على المسلم ما يسمى بالزكاة وهي ٢,٥ ٪ من أمواله كل عام أفلا يأخذ مبلغاً على كل فرد من غير المسلمين. . ؟

وإذا كان الإسلام يحصي جميع ممتلكات المسلم التجارية فيأخذ ٢,٥ ٪ من مجموع ممتلكاته كزكاة تجارة، أفلا يأخذ على الفرد المقتدر من غير المسلمين مبلغاً صغيراً جداً - بغض النظر عن ممتلكاته مهما كانت كبيرة. . ؟

بل إن الإسلام وكما أسقط الزكاة عن الفقير المسلم فإنه أسقط **الجزية** عن غير المسلم مادام فقيراً أو عاجزاً. . . كذلك.

فهذا الخليفة الثاني بعد موت النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - عمر بن الخطاب والذي

أصبح رمزاً للعدل - يمر في سكك المدينة فيرى سائلًا يسأل المال من الناس، فيسأله عمر عن دِينِهِ، فقال له: يهودي، فقال عمر: «**ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيَّعناك في كبرك!؟ ثم أجري له من بيت المال ما يصلحه**»[1].

هكذا تحولت الجزية لصالح هذا اليهودي، حتى أجرى له الخليفة عمر مرتباً ثابتاً إلى آخر يوم في حياته!

وليس هذا خاصاً بهذا اليهودي، بل أصبح نظاماً عاماً في الخلافة الإسلامية لمن يعجز من هؤلاء عن دفع الجزية وعن كفالة نفسه وعائلته.

ثم عليك أيها القس - أندريه - أن تعلم أن الجزية **لا تؤخذ إلا من العاملين** من غير المسلمين، فلو كان غنياً ولم يكن عاملًا لم تؤخذ

---

(١) أحكام أهل الذمة تأليف العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية المجلد الأول ص١٤٤ .

من أمواله المختزنة.

وقد ألف المسلمون في هذا الباب مؤلفات كثيرة، فمن أشهر الكتب المعتمدة في هذا المجال كتاب محمد بن الحسن الشيباني، واسم الكتاب (الزيادات)[١] فيقول فيه: «**في حكم نصراني مَرِضَ السَّنَةَ كلها فلم يقدر على أن يعمل وهو موسر: أنه لا تجب عليه الجزية، لأنها إنما تجب على الصحيح المُعْتَمل**»[٢].

ومن التخفيف على الذين يدفعون الجزية وتيسيرها فإنها تؤخذ من أعيان أموالهم ولا يلزمون ببيعها وتسليم ثمنها تيسيراً عليهم، فقد كان الخليفة الرابع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] يأخذ الجزية،

(١) «الزيادات» لمحمد بن الحسن الشيباني أيضاً صاحب أبي حنيفة، مازال مخطوطاً.
(٢) أحكام أهل الذمة تأليف العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية المجلد الأول ص١٤٧ .
(٣) أبو عبيد في «الأموال» رقم ١١٧ وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٨٢/٧) .

من كل ذي صنعة، من صاحب الإبر إبراً، ومن صاحب المسانّ مسانّاً، ومن صاحب الحبال حبالًا، ثم يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة، فيقتسمونه ثم يقول: خذوا هذا فاقتسموه، فيقولون: لا حاجة لنا فيه، فيقول: أخذتم خياره، وتركتم عَلَيّ شراره، لتحمِلُنّه[(١)(٢)].

ثم إن الإسلام لم يجعل مقدار الجزية مفتوحاً بحيث يتلاعب به الحكام وأصحاب الأهواء بل حرم الزيادة فيه عن أربعة دراهم على الفرد في السنة أي ما تساوي دولاراً تقريباً مهما كانت أملاك المُلّاك ومداخيلهم وأعمالهم، مع بالغ التيسير عليهم.

---

(١) في كتاب «الأموال» (ص٥٦). قال أبو عبيد: «وإنما توجه هذا من علي رضي الله عنه أنه إنما كان يأخذ منهم هذه الأمتعة بقيمتها من الدراهم التي عليهم من جزية رؤوسهم، ولا يحملهم على بيعها، ثم يأخذ ذلك من الثمن إرادةَ الرِّفقِ بهم والتخفيفِ عليهم».

(٢) أحكام أهل الذمة تأليف العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية المجلد الأول ص١٤٢.

وهذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتابع عماله على الجزية ويشدد عليهم بوجوب التخفيف على النصارى فقد روى عبد الرحمن ابن جبير بن نفير: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بمال كثير - أحسبه قال من الجزية - فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا واللَّه، ما أخذنا إلا عفواً صفواً، قال: بلا سوط ولا نواط؟ قالوا: نعم، قال: الحمد للَّه الذي لم يجعل ذلك على يدي وفي سلطاني[١].

ولا تزال معاهدة القائد الشهير خالد بن الوليد مع نصارى الشام حين افتتحها شاهدة على ذلك إذ جاء فيها: «**هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق: أمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، ولا يُسكن شيء من دُورهم، وأي شيخ منهم ضعف عن العمل أو أصابته آفة أو كان غنياً وافتقر،**

(١) أحكام أهل الذمة تأليف العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية المجلد الأول ص ١٣٩ .

**طُرحت عنه الجزية، وأعطي هو وأهله إعانة من بيت مال المسلمين»**، فهل ترون رحمة أكبر من هذهِ؟

**وللعلم فإن في مقابل الجزية تترتب حقوق على المسلمين** منها دفاع المسلمين عنهم وحمايتهم، ولهذا لما بلغ أبا عبيدة وكان قائداً على بلاد الشام تجهيز الروم ضده وكان عاجزاً عن مواجهتهم ردَّ الجزية التي كان أخذها من نصارى الشام قائلًا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا اللّه عليهم، فلما قال لهم ذلك ردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم اللّه علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم - أي الروم -لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا، حتى

لا يدَعُوا لنا شيئاً[1]. . !

إذن فمتى عجزت الدولة الإسلامية عن حماية هؤلاء الناس وجب إسقاط الجزية عنهم. . وقد حصل هذا فعلًا كما مر معنا.

وإنَّ دَفْعَ غير المسلم للدولة المسلمة مبلغاً من المال - ولو كان رمزياً كما هو الشأن في «الجزية»- يحفظ لذاك الدافع حقه كاملًا غير منقوص بحيث يستطيع أن يطالب بحقه لو أن الحاكم قَصّر معه أو مع بني دينه.

وأمر آخر هو أن هذه الجزية الرمزية إنما هي توثيق للعقد بين الطرفين: الدولة المسلمة وهذا الفرد، وفي هذا العقد من الترفيع والتمكين للنصارى كفاية، إذ إن عقده مع الدولة المسلمة وليس مع فرد أو شركة أو نحو ذلك. . . فحارسه

---

(١) انظر «الخراج» لأبي يوسف ص (١٥٠-١٤٩) نقلًا من كتاب: العلاقات الدولية في الإسلام. د. عثمان جمعة.

الحقيقي هو الدولة المسلمة! ألا يكفي هذا..؟

ثم إن بقاءه في الدولة المسلمة يعطيه الفترة الكافية ليختار الحق دون ضغوط أو إكراه، فرمزية الجزية تحميه، وتُبقيه على دينه محفوظ الحقوق دون أدنى إكراه له أو لأبنائه، فإذا اختار في فترة من فترات حياته الإسلام فقد سقطت عنه الجزية ووجبت عليه الزكاة. فاختياره الإسلام لا يعني مكافأة مادية بل ربما زادت عليه التكاليف المادية بإيجاب الزكاة والتي هي أكبر من الجزية بكثير غالباً، بل في اختيار الإسلام مزيد تكاليف عليه كإيجاب الجهاد الذي ربما يكون فيه إزهاق روحه وماله، وفيه إيجاب حقوق مادية أخرى لو تعرضت الدولة لضرورات.

فهل يرى العاقل إنصافاً مثل هذا الإنصاف..؟!

ثم يجب أن تعلم أن هذه الجزية ليست على

أهل الكتاب المقيمين في الدولة الإسلامية أو الزائرين لها، فهؤلاء معاهدون أو مستأمنون.

إنما هي خاصة بمن قاتلوا المسلمين وأصروا على ذلك، فلما هُزموا أو كادوا تنازلوا إلى الصلح إبقاءً على حياتهم، وبعد كل هذا فإنهم مهما قتلوا من المسلمين أو خربوا في الحرب ضد المسلمين فإنهم يدفعون الجزية وكفى دون مطالبتهم بأي تبعات أو متاعب تسببوا بها للمسلمين، لأنهم اختاروا الصلح على الهزيمة، واختاروا البقاء في أرضهم وبلادهم وأموالهم، مع اختيارهم البقاء على دينهم دون الدخول في دين الإسلام صلحاً دون قتال، كل ذلك في مقابل دفع هذه الجزية. . . فالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - قد شدد في حقوق أهل الكتاب أعظم تشديد، وحذر أشد التحذير من أي مساس بمعاهدة معاهد من غير المسلمين، فقال: «ألا مَنْ ظلم مُعاهداً أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو

**أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»**[١].

فأي دفاع أكبر من أن يجعل النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - نفسه هو المخاصم لأي مسلم من المسلمين وهو المحامي ضد كل مسلم ظَلَمَ أحداً منكم ظلماً كاملًا أو بعض الظلم أو كلفه فوق طاقته، أو أكل منه شيئاً بغير طيب نفس منه.

قارنوا بين هذا وبين ما تقوله التوراة في هذا الحكم في سِفْرِ التثنية ٢٠/ ١٠: **«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحتْ لك (أي أبوابها) فكلُّ ما فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، فإن لم تسالمك بل عملتْ معك حرباً فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك**

(١) أبو داود (٣٠٥٢) وصححه الألباني.

**التي أعطاك الرب إلهك»**.

فكم ترون بين هذه وهذه من فروق..؟!

ومع هذا فإن هذا الاستعباد الصريح في نص التوراة، وهذه الدموية تبدو رحيمة بالنسبة للحروب الصليبية.

لقد أذهلت رحمة الإسلام في حروبه أهل الإنصاف من المؤرخين.. فلقد **قال غوستاف لوبون**: «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب». ويقول توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «ولما بلغ الجيش الإسلاميّ وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في بلدة «فحل»، كتب الأهالي النصارى في تلك البلاد إلى العرب الفاتحين يقولون: يا معشر المسلمين! أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوْفى لنا وأرأف بنا، وأَكَفُّ عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا». «وغَلَّق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا

المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق والروم وتعسفهم»[١].

واسمح لي - أيها البروفيسور يا من تنكر الجزية - أن أسألك: **هل أنت راض عن حجم الضريبة التي تؤخذ من مدخولك؟**

هل يوجد واحد من بلادكم راض عما تأخذه دولته منه؟!

وكيف يمكن أن يكون راضياً إذا كانت دولكم تأخذ من مجمل مداخيلكم ما بين ٤٠٪ إلى ٦٠٪..؟!

إن للدولة مداخيل كثيرة، ولكن أن تصبح مداخيل الأفراد الشخصية جزءاً من مداخيل الدولة الثابتة بحجة أنهم يتمتعون بخدمات الدولة، فهذا ما لا يتحمله الإنسان..؟!

أليست الدولة لها مداخيلها الهائلة من موارد

---

(١) كتاب الدعوة إلى الإسلام: أرنولد، ص ٧٣.

طبيعية، وتجارات، وصناعات، وعلاقات اقتصادية مع الدول..؟!

أين هذا المبلغ الضخم من مبلغ الجزية..؟!

المشكلة الخامسة: انتشار الإسلام بحد السيف

**بروفيسور أندرسون:** أنا لا أريد أن أعتذر عن إثارة شبهة جديدة ضد الإسلام، وذلك لأن - أبا حامد - يظهر تميز الإسلام عند كل شبهة أكثر من قبل إثارة الشبهة.. وأن ما أريد أن أذكره هنا ليس شبهة جديدة وإنما هي حقيقة لا يمكن لأبي حامد تبرئة الإسلام منها، وذلك لأن قيام الإسلام أول مرة وفي كل مرة كان على هذا الأمر المشين.

أنت تعرف يا أبا حامد أن الصورة التي انطبعت في أذهاننا عن الإسلام هي أنه انتشر بحد السيف، وأَنَا حينما أقول لك ذلك فإنني مقتنع بهذا تمام الاقتناع، فأنتم الآن ترون هذه الرحمة عن محمد وكل واحد منا يعرف كيف انتشر الإسلام في البلاد...!

لقد جاء محمد في فترة أنهكتْ فيها الحروبُ

القبائلَ والدولَ، فبدأ محمد بشن الغارات على القبائل العربية المنهكة ثم توسع أكثر وأكثر حتى مات، وتوسع مَنْ خَلَفه بعد موته من الخلفاء إلى خارج الجزيرة العربية، وليس لهم في ذلك من وسيلة لنشر الإسلام إلا السيف، فهم يخيرون الناس بين الإسلام وبين القتل، فماذا ترى الشعوب سوف تختار إلا الحياة..؟!

ويكفيك أن تنظر في عدد المعارك التي خاضها محمد مع أعدائه، والمعارك التي خاضها مَنْ خَلَفه مع أعدائهم، وسوف يتبين لك إنْ كان الإسلام انتشر بحد السيف أم انتشر بالإقناع..؟!

إن هذه الحقيقة تنسف كل دعاواكم القائلة بأن الإسلام دين العقل، أو أن الإسلام ما انتشر بحد السيف، فكم بين حد السيف وبين حد العقل من فارق..؟!

أبو حامد: أرجوك أن تذكر لي حالة واحدة خيَّر فيها محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - قوماً

من الأقـوام أو بلداً من البلدان، ما بين السيف وبين الإسلام فاختار الإسلام. . !

إذن فأنا أطالبك الآن أن تذكر حالة فردية واحدة جيء بأي فردٍ من أي جنس كان وقيل له إما أن تسلم وإما أن نقتلك فاختار الإسلام؟

لا تقل حالات كثيرة!. . اذكر لي حالة واحدة! التاريخ لا يخادع، لا يخفي شيئاً! أتدري لماذا لا يوجد أبداً؟

لأنه لو دخل رجل الإسلام مُكْرهاً. . . رُدّ إسلامه لأن اللّه يقول في القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثم أرجوك أن تذكر لي حالة واحدة أمّن فيها المسلمون غير المسلمين بعدما انتصروا عليهم ثم غدروا بهم. . !

الجواب: لن تجد.

ماذا صنع النصارى بإخوانهم؟!

لكنك - في مقابل ذلك - سوف تجد الكثير من انتصارات النصارى وتمكنهم من رقاب عدوهم جاءت بعدما أمنوهم ثم غدروا بهم..!

لقد جرى الغدر سُنَّة ما بين الكاثوليك والبروتستانت.. فما يكاد يتمكن أحدٌ من الآخر حتى يغدر به، ويجرم أعظم الإجرام... وأنا أستغرب كيف تثيرون هذه الشبهة على الإسلام، بينما تاريخ الكنيسة عندكم ملطخ بالدماء..؟!

خذوا هذا المثل الموجود في تاريخكم وأنت أعرف به مني.

يقول المؤرخون: «ومن أهم المذابح التي دبرها الكاثوليك للبروتستانت مذبحة باريس في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢، والتي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت، هؤلاء الذين دُعوا لباريس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر، ثم قُتِلوا خيانة وهم نيام، فلما أصبحت باريس كانت شوارعها تجري بدماء

هؤلاء الضحايا، وانهالت التهاني على شارل التاسع من البابا وملوك الكاثوليك وعلمائهم على هذا العمل البطولي النبيل.

وهكذا دَوَّنَ تاريخ المسيحية أخبار بحار من الدماء، وأكداس من جثث الضحايا البشرية التي تحولت إلى رماد محترق، وآهات ودموع وأنين ووحشية وبربرية وصراخ واستغاثة.

استعملت الكنيسة الرومانية - مرات كثيرة - الاضطهاد والطرد ضد البروتستانت، وذلك في ممالك أوروبا، وقد بلغ عدد مَنْ أُحرق بالنار قرابة مائتي ألف وثلاثين ألفاً من الذين آمنوا بيسوع دون البابا.

ففي فرنسا قتل في يوم واحد ثلاثون ألف رجل.

وفي مدينة تولوز قُتل ألف ألف.

وفي كالابريا الإيطالية سنة ١٥٦٠م، قتل ألوف الألوف من البروتستانت، يقول أحد الكتاب

الرومانيين: إنني أرتعد كلما تذكرت ذلك الجلاد والخنجر الدموي بين أسنانه والمنديل يقطر دماً بيده، وهو متلطخ اليدين إلى نهاية المرفقين، يسحب واحداً بعد واحد من المَسَاجين كما يفعل الجزار بالغنم.

وكارلوس الخامس سنة ١٥٢١م، أصدر أمرًا بطرد البروتستانتيين من بلاد (الفلمنك) برأي البابا وبسبب ذلك قتل خمسمائة ألف.

وبعد «كارلوس» تولى ابنه «فليبس» ولما ذهب إلى إسبانيا سنة ١٥٥٩م، استخلف الأمير «ألفا» على طرد البروتستانتيين، ويذكر المؤرخون أنه في أشهر قليلة قتل على يديه ثمانية عشر ألفاً.

وبعد ذلك كان يفخر بأنه قتل في جميع المملكة ستة وثلاثون ألفاً.

هذا ما فعله الكاثوليك بالبروتستانت! فماذا فعل البروتستانت بالكاثوليك عندما قدروا؟!

لقد مارسوا نفس الدور، ولم يكونوا أقل

وحشية، بل عملوا وفق منهجية وقانون يحميهم، ولذا أصدر البروتستانت هذه القوانين:

١) لا يرث كاثوليكي تركة أبويه.

٢) لا يشتري واحد منهم أرضاً بعدما يجاوز عمره اثنتي عشرة سنة إلا إذا صار بروتستانتينياً.

٣) لا يشتغل أحد منهم بالتعليم، ومن خالف هذا الحكم يسجن سجناً مؤبداً.

٤) من كان من الكاثوليك يؤدي ضعف الخراج.

٥) إن أرسل أحد منهم ولده خارج إنجلترا للتعليم هو وولدهُ تسلم أمواله ومواشيه كلُّها.

٦) لا يعطى له منصب في الدولة.

٧) من لم يحضر منهم يوم الأحد أو العيد في الكينسة البروتستانتينية يغرم غرامة مالية شهرية كبيرة، ويكون خارجاً عن الجماعة.

٨) لا يسمع استغاثة أحد منهم عن الحكم الصادر عليه حسب القانون.

٩) لا تنفذ أنكحتهم، ولا تجهز موتاهم ولا تكفن، ولا تعمد أولادهم إلا إذا كان ذلك على طريقة كنيسة إنجلترا.

١٠) لا يحضر القسيس عند قتلهم ولا عند تجهيزهم وتكفينهم.

١١) لا يصح لواحد منهم أن يمتلك سلاحاً.

١٢) إن أدى قسيس منهم خدمة من الخدمات المتعلقة به يسجن سجناً مؤبداً.

ولقد حُمل كثيرٌ من رهبانهم وعلمائهم بأمر الملكة إليزابث في المراكب، ثم أُغرقوا في البحر، وجاء عساكرها إلى أيرلندا ليُدْخلوا الكاثوليك في المذهب البروتستانتي، فأحرقوا كنائس الكاثوليك، وقتلوا علماءهم، وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية، وكانوا لا يؤمِّنون أحداً، وإن أمَّنوه قتلوه أيضاً بعد الأمان.

وفي حديث الأرقام والوثائق أنه:

في أسبانيا قد قدمت محكمة التفتيش للنار أكثر

من واحد وثلاثين ألف نسمة، وحكمت على مائتين وتسعين ألف بعقوبات أخرى تلي الإعدام.

وفي عام ١٥٦٨، أصدر (الديوان المقدس) حكمه بإدانة جميع سكان الأراضي المنخفضة، والحكم عليهم بالإعدام، واستثني من الحكم بضعة أفراد نص القرار على أسمائهم، وبعد عشرة أيام من صدرور الحكم دفع للمقصلة ملايين الرجال والنساء والأطفال..»[(١)].

كيف دخلت القبائل العربية الإسلام؟!

أيها البروفيسور لو تأملت في التاريخ لوجدت أن جميع القبائل العربية التي أسلمت دخلت في الإسلام بعدما جاء منهم أفراد وقابلوا محمداً - عليه الصلاة والسلام - ودخلوا في دينه مقتنعين، ثم رجعوا إلى قومهم داعين، فأسلم أفراد آخرون وآخرون وانتهى الأمر بإسلام القبيلة، هكذا تكرر

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية ص٢٧٩ -٢٨١ .

المشهد إلى أن جاءت جميع القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام إلا قبل موت محمد - عليه الصلاة والسلام - بسنة واحدة معلنة دخولها في الإسلام. وليس هذا تبريراً منا لا أصل له، بل هو مشهد مثبت في القرآن في سورة خاصة اسمها سورة النصر يقول اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر].

فنصر اللَّه المقصود هنا ليس النصر في معركة ما، إنما هو دخول الناس في الإسلام، فهذا هو النصر الحقيقي الذي من أجله شرع الجهاد، ثم كيف يمكن أن نتصور دخول أحد في الإسلام خوفاً من القتل بينما الذي يدخل في الإسلام طواعية أو رغبة أو طمعاً أو بأي طريق يُصدَّق ولا يجوز تكذيبه، ولا يعمل له تفتيشٌ على قلبه، لماذا؟! لأن الإسلام شُرِع لِلدخول فيه أمر محدد

واضحٌ ظاهرٌ مَنْ فعله دخل الإسلام وعُومل كمسلم ذلك هو أن يقول: «أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أن عيسى عبد اللَّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» وأما من قالها ولم يكن صادقاً مقتنعاً بها فهذا هو شأنه وبينه وبين اللَّه، لكن لا يجوز لنا أن نتَّهم داخلًا للإسلام أبداً حتى لو قال لنا: السلام عليكم ولم نعرف أنه مسلم من قبل، فهذا الاتهام عدوان على اللَّه يقول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] وقد حدثت قصة واقعية أيام النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - لرجل هو من أحب الناس إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فاقرأ هذه

القصة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا اللَّه، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة، بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللَّه؟!» قلت: يا رسول اللَّه! إنما كان متعوذاً، فقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللّه؟!» فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وفي رواية: قال رسول اللَّه ﷺ: «أقال: لا إله إلا اللَّه وقتلته؟!» قلت: يا رسول اللَّه، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!» فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[١].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٢١) ومسلم (٩٦).

وإذا تأملت في فلسفة الجهاد في الإسلام من خلال النصوص الشرعية والتطبيقات الواقعية وجدت أن غاية الجهاد أنه وسيلة لتعريف الناس بالإسلام، فإذا منع الناس من عَرْض الإسلام عليهم وتعريفهم به يأتي الجهاد لإزالة المانع وفتح الطريق، فالغاية إذن هي دخول الناس الإسلام، وما من شيء عند اللَّه أحب من دخول رجل إلى الإسلام وتوبته من كفره طواعية مختاراً، **وكلمات النبي** محمد - عليه الصلاة والسلام - محفوظة لقادته حينما يرسلهم في جهاد بعض القبائل إذ يقول لهم: «واللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلًا خيرٌ لك من حمر النعم»[1].

الغاية هي: الهداية

**فالغاية** ليست إكراه الناس، وإكراه الناس ممنوع، إنما هي هداية الناس، وهل يمكن أن تكون الهداية بالسيف والإكراه، أم تكون بالعقل والحوار..؟!

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٧)، ومسلم (٢٤٠٦).

إن السيف ما شرع إلا لإزالة سلطان الخوف عن رقاب المظلومين، وإزالة الإكراه عن عقولهم، ليفسح المجال لسلطان العقل ويبقى له أن يقرر على بيّنة وحُرية.

**عليك أن تعلم** - أيها البروفيسور - **أن الذي هو شر من الكافر** في حكم الإسلام شخص اسمه **«المنافق»** وهو من يظهر الدخول في الإسلام ولكنه يبطن عكس ذلك..!

فمنطق الإسلام يقول له: ما الداعي للنفاق وأنت مختار..؟!

ما الذي دعاك لإظهار الإسلام وإبطان الكفر وأنت في الأصل غير مكره على ذلك.. إذ الواجب أن تأخذ حريتك في دخول الإسلام أو عدم الدخول فيه... ومن هنا تُقام الحُجَّةُ على المنافق؟!

**ثم إنك تقول أيها البروفسور**: ما إن بدأ محمد بإعلان نبوته حتى أخذ يشن الغارات على

القبائل، ولا أدري على أي أساس تاريخي بُنيَ هذا الزعم..؟!

فهل تعلم أن أول معركة خاضها محمد - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه كانت بعد خمس عشرة سنة من بداية بعثة محمد - عليه الصلاة والسلام -..!

سنين طويلة من الإيذاء له ولأصحابه حتى قُتل منهم تحت العذاب مَنْ قُتِل مِنَ الرجال والنساء، وما رجعوا عن دينهم! ثم استمر الإيذاء حتى طرد مِنْ أصحابه مِنْ بلدهم مَنْ طرد، فخرجوا مهاجرين إلى بلاد الحبشة وكان يحكمها النجاشي النصراني وهي بلاد نصرانية، لا لشيء، إلا لأن فيها حرية عقدية عقلية، والتاريخ يحفظ ما قال محمد - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه في هذا الرجل النصراني: «**لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد**»[1].

---

(١) رواه ابن إسحاق، وانظر السلسلة الصحيحة (٣١٩٠).

ثم خرج النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بنفسه تاركاً مسقط رأسه مهاجراً إلى منطقة تبعد عن بلدة مكة المكرمة حوالي أربعمائة كيلومتر اسمها «المدينة»، وبقوا طوال تلك الفترة السابقة وما أُذن لهم بالقتال لقوله تعالى في سورة النساء آية ٧٧: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وما إن هاجروا من بلدهم «مكة» حتى أخذ المشركون أموالهم وبيوتهم وورثوا تجاراتهم، وما تركوا لهم من شيء! ثم بدأ المشركون من أهل مكة بالتعاون مع يهود المدينة بدس الدسائس عليهم في موطنهم الجديد. . .! وبدأوا بتجميع القبائل الأخرى للقضاء عليه وعلى أصحابه. . !

لاحظ أنه بعد خمس عشرة سنة ابتدأ القتال بالرغم من كل هذه الأساليب المتنوعة من العدوان والأذى!

وما ابتدأ تشريع القتال إلا بأقل الأحكام إلزاماً

وهو «**الإذن**»، وليس «الأمر» الإلزامي به، وهذا الذي أقوله ثابت في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الآيات: ٣٩-٤٠].

إذن فالآية تبين أنه «**إذْنٌ فقط**»، مسبب بأسباب واضحة، **منها**: أن عدوهم هو الذي قاتلهم أولًا، وأنهم أُخرجوا من ديارهم ظلماً، وأُخذت أموالهم بغير حق، ومُنعوا من ممارسة معتقداتهم، بل منعوا من مجرد الاعتقاد..!

فهل كان من العقل أن يقول محمد - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه: استسلموا للباطل! سلِّموا أموالكم وأهليكم وأرضكم لعدوكم ولا تطالبوه بشيء..! اتركوا عدوكم يتجسس عليكم حتى لو وصلت دسائسه إلى بلدكم، فعليكم أن

تكشفوا سركم لجواسيسه، واكشفوا صدوركم لحرابه، واكشفوا أعراضكم لعهره..؟!

أترى محمداً - عليه الصلاة والسلام - لو فعل ذلك حمى أصحابه.. أو أقام دينه ودولته.. أو وصلت إلينا هذه التعاليم..؟!

أتراه لو فعل ذلك لكان دينه واقعياً..؟!

وأمر آخر أودُّ أن أبيّنه بناءً على أنك تعرف مدى جدية المسلمين بالتزام ما جاء في القرآن وحرصهم على ما ورد عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فإني أرجوك أن تنظر في مبادئ القتال في دين الإسلام، ولك أن تتوقع بعد ذلك كيف التزموا بها، وإياك أن تقيس القتال عندنا بما تعرفه من القتال عندكم!.

مبادئ القتال عند محمد عليه الصلاة والسلام

**فهذه مبادئ أساسية لا بد لك من معرفتها وأنت تتحدث في هذا الموضوع المهم:**

١) كان النبي محمد- عليه الصلاة والسلام - يأمر أصحابه بعدم تمني لقاء عدوهم ويقول كما

في الحديث: «**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا اللَّه العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**»(١). فهل الذي ينهى عن تمني لقاء العدو يمكن أن يأمر أصحابه بالعدوان..؟

٢) كان يوصي جيشه المحارب فيقول له: «**اغزوا باسم اللَّه، في سبيل اللَّه من كفر باللَّه، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»(٢).

فأي حَيْطة تَحول دون تعدي الجيش المسلم أعظم من هذه الحَيْطة..؟!

وعلى هذا تتابعت وصايا كل الخلفاء من بعده لقادة جيوشهم بأن لا يقتلوا صبياً ولا امرأة ولا يقتلوا راهباً ولا يهدموا كنيسة، ولا يقطعوا شجراً.. وأولهم في ذلك أول الخلفاء بعد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - واسمه أبو بكر

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٤) ومسلم (١٧٤٢).
(٢) رواه مسلم (١٧٣١).

الصديق، فقد قال لأحد قادته واسمه يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى بلاد الشام: «**إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعنّ شجراً مثمراً، ولا تخربنّ عامراً، ولا تعقرنّ شاة، ولا بعيراً، إلا لمأكلة، ولا تحرقنّ نخلًا، ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن**»[1].

فبينما الجيوش إذا دخلت بلاداً أحرقت الأخضر واليابس، وضربت بكل سلاح فتاك في الأحياء، بل في النسل القادم... إلا أن أبا بكر الصديق ينهى في هذه الوصية المحفوظة حتى عن عقر البهائم أو قطع الزروع، هذا وهو جيش، فتأمل..!

٣) كان النبيّ محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - ينهى عن التمثيل في القتلى، وجعله من

---

(١) رواه مالك في موطئه (٩٦٥) قال ابن كثير: روي هذا عن أبي بكر الصديق من وجوه كثيرة، انظر إرشاد الفضية (٣/ ٣٢٠).

المحرمات، فقد صح أن النبي - عليه الصلاة والسلام - رأى امرأة مقتولة في إحدى المغازي فقال: «ما كانت هذه تقاتل. . ! أَدْرِك خالداً فقل له: لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً»[1].

٤) جعل من الدين الإحسان لقتلى الأعداء وذلك بدفن جثثهم وعدم تركها في العراء أو حرقهم أو رميهم للوحوش!

٥) إن الإسلام يجعل الإحسان للأسرى من أعظم الصدقة والقربة إلى اللّه، وذلك في القرآن في سورة الإنسان: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

بروفسور أندرسون: أبا حامد لا أستطيع مخالفتك في شيء واحد ذكرته ولكن ما أعرفه وأنا متأكد منه هو أن الجيش المسلم كان يخيِّر

---

(١) رواه ابن حبان (٤٧٨٩)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

الجيش المقابل ثلاثة خيارات، أولها: الدخول في الإسلام، وآخرها: القتال ووسطها: دفع الجزية فهل هذا صحيح ثابت أم غير صحيح؟ وهل هذا من العقل الذي تنادي به يا أبا حامد؟

**أبو حامد**: صدقني أيها البرفسور أنني أُشفق عليكم من شدة التلبيس عندكم، وأي خطيئة سوف أرتكبها لو تركتكم ولم أوضح لكم الحقيقة، إنك حينما تسرد الأحداث سرداً في سياق معين ربما صدقت نفسك وصدقك من سمعك وظننتم أنها حجة لكم، بينما هي في الحقيقة ضلالة جديدة تَلِجُونَها وأنتم لا تشعرون. . . صدقوني يا أصحابي إن من محبة المسلمين لكم أن يدعوكم إلى الإسلام وإلا فما يضرهم لو أنهم لم يدعوكم، وصدقوني إن من تضحية المسلمين أن يعرضوا أنفسهم للأسر والجرح والتقطيع والضياع والقتل لأجل أن يعرضوا عليكم الإسلام من غير إكراه.

إن مبدأً يقول لك: أنا لا أقاتلك إلا لتحاورني، لتتعرف على ديني، وبعدها أنا لن ألزمك إذا لم تختزْ ديني ولك أن تبقى على دينك، إنه لمبدأ حقيق بأن تنظر فيما عنده وتحاوره، مبدأٌ يقول لك: ابق في بلادك، استمتع بحكم بلادك وثروات بلادك إذا اقتنعت واخترت الإسلام بنفسك.

أنا لا أريد أن أستعبدك، لا أريد أن أنهب ثرواتك بل لو احتجت لي فكل طاقتي الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلمية في خدمتك.

ألا يستحق مبدأٌ مثل هذا أن تنظر فيه وتحاور أهله وصحبه؟

ألا ينبئك هذا ابتداءً بسلامة تقصد هذا المبدأ، وقيامه على الحجة التي برهن عليها، وكيف وقد أثبت طوال تاريخه على مصداقيتها. أنا لا أريد أن أستثير ذهنك إلى جانب من الحقيقة قد خفي عليك وما وراءه أعظم من ذلك فقناعتي واللّه أن

أكبر ندم سوف يصيبك يوم تعرف هذا الدين على الحقيقة هو كيف صدَّقتَ مَنْ حال بينك وبينه في مرحلتك العمرية السابقة، وتتمنى أنه لو أكرهك وقاتلك وألزمك حتى أدخلك الإسلام، أرجوك أيها البرفسور انظر في هذه الخيارات الثلاثة بإنصاف وسوف أعرضها عليك كما هي في الإسلام، نعم الإسلام قَبْل القتال يُخيّر الجيش المقابل بين أمور ثلاثة آخرها القتال:

**الخيار الأول**: أن يدخلوا في الإسلام وذلك بناءً على القناعة والحوار لأنه لا يجوز أن يكره أحدٌ في الدخول للإسلام، ودليل هذه الدعوى ما ورد في سورة البقرة بنص الآية في قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

**الخيار الثاني**: دفع الجزية، وهو مبلغ رمزي مقابل أن يكون لهؤلاء ما للمسلمين من حماية

وحقوق عامة في الدولة الإسلامية، وقد مر معنا الإجابة على اعتراض القسيس أندريه.

**الخيار الثالث والأخير وهو القتال**: وهنا نسأل ماذا يبقى للمسلمين من خيار آخر غير هذا الخيار الثالث؟ وهذا الخيار ليس لعامة الناس وإنما للطواغيت الحاكمين الذين يمنعون الحوار والحرية الفكرية، الذين يجعلون العقبات أمام شعوبهم لئلا يستمعوا للرأي الآخر.

فإذا سمحوا بالحوار دون قتال فقد تحقق المقصود ولا حاجة للقتال، ولتمض الحجة تقارع الحجة، وإن أبى الطواغيت إلا استمرار استعباد شعوبهم، ومنعهم من التفكير، ومنعهم من الاطلاع والحوار، وجعلوا جيوشهم حامية للكفر، والجهل مانعه من الحوار، لم يكن إلا القتال الذي يزيل هذا العائق لينفتح الطريق أمام الناس.

وما من دين ينتشر بالحوار العقلي مثل الإسلام، **ولولا أن الإسلام ينتشر بالحوار** ما قدّم

الحوار على القتال في الخيارات الثلاثة، ففي تقديم الحوار على القتال دليل على أن انتصاره بالحوار أكثر ضماناً من انتصاره بالقتال، وأن المجازفة بالقتال أكبر من المجازفة بالحوار.

ولعلكم سمعتم بأشهر صلح وقع في التاريخ الإسلامي، وربما في التاريخ كله، إنه صلح «**الحديبية**»، فقد وقع هذا الصلح في السنة السادسة للهجرة أي بعد بداية الدعوة الإسلامية بتسعة عشر عاماً، فحين وقّع النبي - عليه الصلاة والسلام - مع أعدائه الصلح كان جيش المسلمين على أبواب مكة وليس لأعدائه قوة في الدفاع عنها! ومع أن أكثر أصحاب النبي محمد ﷺ لم يرضوا بالصلح بداية الأمر إلا أنه وقَّع مع المشركين الصلح، وكانت مدته المقررة عشر سنوات.

وما مرّ عام واحد على الصلح حتى جاء المشركون النبيَّ محمداً - عليه الصلاة والسلام -

يطلبون نقض الصلح، فوافق على ذلك ولم يصرّ على الشروط السابقة، والسبب الرئيس في طلب المشركين إلغاءه هو أنهم حين وقّعوا الصلح أصبح المسلمون يخالطونهم ويزورونهم وهم يبادلونهم الزيارة، ويرون أخلاق المسلمين ويحاورونهم، فكانت النتيجة أن تضاعف في هذه السنة الواحدة عدد المسلمين عن جميع مَنْ دخل في التسع عشرة سنة بأكملها أضعافاً مضاعفة..! ويكفي دلالة على ذلك أن جميع من كان مع النبي - عليه الصلاة والسلام - من أصحابه عند صلح الحديبية كان ألفاً وأربعمائة شخص، وبعد حدوث هذا الصلح بسنة جاء المشركون أنفسهم يطلبون نقض الصلح فنقض الصلح ثم جاءهم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فاتحاً مكة بعشرة آلاف مقاتل..!

فكم هو الفارق عظيم في خلال سنة من الحوار، وكم هي ثمرة الحوار عظيمة..؟!

وهنا نعود لنسأل:

**أولًا**: إذا كان الإسلام قد انتشر من قبل بحد السيف، فما سبب انتشاره الآن في دول العالم الكبرى، المتحضرة، وهي الدول الأقوى، والتي استعمرت بلاد الإسلام يوماً من الأيام، ولا تزال مهيمنة عليها..؟!

وما باله ينتشر بين أشد الدول عداءً له..؟!

هل رأيتم قوماً مستضعفين، قِلّة، مغتربين إلا وتراهم يتبعون الأكثرية القوية من أهل البلاد، فما بال المسلمين المهاجرين من بلادهم، الفارين من الظلم، الطالبين للأمان أو للرزق ينشرون الإسلام بين أهل البلاد المتمكنين، الأغنياء، الأقوياء..؟!

فأنّى تجدهم، ومهما كان عددهم، وأيّاً كان ضعفهم، إلا وتراهم ينشرون دينهم بين أهل البلاد، هل سألتم عن سر ذلك..؟!

أترى أهل البلاد في حاجتهم..؟!

أم ترى أنّ أهل البلاد لا يعقلون..؟!

ما بال دينهم ينتشر كثيراً بين العلماء والخبراء. . ؟!

ما بال نسبة انتشاره تسجل المزيد في كل عام. . ؟!

ما باله أصبح أكثر الديانات نمواً على مستوى العالم. . ؟!

لقد جاءت النسب المئوية تشهد بهذا حيث تقول: المسلمون هم المجموعة الأسرع نمواً في العالم(١).

الدين الإسلامي ينمو أسرع من أي دين آخر في العالم(٢).

الإسلام هو الدين الأسرع نمواً في الولايات المتحدة(٣).

---

(١) USA TODAY, The population referance bureau, Feb. 17, 1989, p.4A.

(٢) Mike Wallace, 60 MINUTES.

(٣) NEW YORK TIMES, Feb 21, 1989, p1, .

الإسلام هو الدين الأسرع نمواً في أمريكا وهو الدليل وعمود الاستقرار لجزء كبير من شعبنا[١].

الإسلام مستمر في النمو في أمريكا ولا يستطيع أحد أن يشكك بذلك[٢].

وقد قال برناردشو من قبل: «إذا كانت هناك فرصة لأي دين أن يحكم إنجلترا خلال المائة عام القادمة، فمن الممكن أن يكون الإسلام».

أيها البرفسور: هل تساءلتم كيف دخل الإسلام بلاد تترستان ومنغوليا وما جاورها، وهم الذين جاؤوا العالم الإسلامي جيوشاً غازية طامعة متوحشة، ودمروا كل البلاد الإسلامية التي مروا عليها تدميراً..؟!

لقد دخلوا بلاد المسلمين منتقمين، ولكنهم ما لبثوا حتى رجعوا يحملون لواء الدعوة إلى

---

(١) Hillary Rodman Clinton, LOS ANGELES TIMES, May 31, 1996, p3,.

(٢) CNN, December 15, 1995.

الإسلام إلى البلاد التترية والمغولية.. وإلى ما يسمى اليوم جمهوريات آسيا الوسطى؟!

ولنسأل ثانياً: لو أن الإسلام انتشر بحد السيف فما باله وصل إلى بلادٍ لم يصلها السيف، ودخل الإسلام بلاداً لم يدخلها سيف الإسلام مثل دول شرق آسيا وغيرها..؟!

ولنسأل ثالثاً: إذا كان الإسلام قد انتشر بحد السيف ما بال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - إذا دخل بلداً مُنْتَصِراً عفا عن أهلها، ولم يخيرهم بين دخول الإسلام أو القتل، ولم يكن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بعدما ينتصر على الجيش المقابل ينتقم أبداً، وإذا فتح بلداً أحسن لأهلها بالغ الإحسان.. ولم يحصل أن قَتَل بلداً من البلاد بعد الانتصار غير قرية واحدة فقط اسمها «قريظة» ولم يقتلهم لأنهم يهود!..لا، بل قاتلهم لأنه كان بينه وبينهم عهد تعاهدوا عليه عندما سكن المدينة، فعاشوا معه على أحسن ما يكون العيش، محفوظة حقوقهم وأراضيهم، وأموالهم، وشعائرهم

التعبدية، لكنهم خانوا العهد في الوقت الذي كانت فيه مدينة النبي - عليه الصلاة والسلام - محاصرة، وكانت تتعرض لهجوم شامل وكبير من جميع القبائل العربية الكافرة حتى سميت تلك المعركة معركة «الأحزاب» ومعنى الأحزاب هُنا أي اجتماع القبائل العربية وتكاتفهم وتوحد غايتهم وهي القضاء على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - والمدينة المنورة، ومع هذا ما قتل من هؤلاء اليهود طفلًا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا معوقاً ولا رجلًا غير قادر على حمل السلاح، وما استأصلهم استئصالًا، وما تعدى هؤلاء إلى غيرهم من اليهود.

فهل تراه لو تركهم بعد كل هذا سيكون قائداً قدوة..؟!

وهل سيحترم عهده بعد ذلك أحد..؟

هذا ما حصل مع النبي محمدٍ - عليه الصلاة والسلام - طوال معاركه، ولم يتكرر أبداً، فكانت درساً في القيادة، ودرساً يحتاجه أهل الخيانة، ودرساً يحتاجه اليهود على وجه الخصوص.

وما من أحد مرّ على التاريخ مروراً سريعاً إلا وسمع بأعظم فتح فتحه النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - في معاركه جميعاً، إنه «فتح مكة» . . حيث دخل النبي مكة ظافراً منتصراً، ووقع رؤوس أعدائه وكبارهم أذلة مهزومين منكسرين بين يديه، وهم الذين قتلوا من أصحابه من قتلوا، وعذبوا من عذبوا . . وأخرجوه من مكة، وطردوا أصحابه . . . هاهم أصبحوا الآن بين يديه، هنا وقف محمد النبي - عليه الصلاة والسلام - خطيباً يقول لأولئك النفر: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال لهم: «لا أقول لكم إلا ما قال أخي يوسف: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1] .

هذا ليس موقفاً خاصاً بالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام-، وبهذا أصبح سنة عامة لكل

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١١٨) قال الألباني: حسن، انظر فقه السيره (ص٣٧٦).

الفاتحين، وهذا ما شهد به التاريخ، ولذا قال «أرنولد»: «لم يشهد التاريخ فاتحاً أرحم من العرب».

باللّه عليكم: دعوا العصبية جانباً، وانظروا نظرة المؤرخ المهني الأمين.. هل تجدون لغة للقتال مثل هذه اللغة..؟!

المشكلة الخامسة: نصف كأس من الخمرة

**أستاذ فيفا:** أنا لم أُثِر أي شبهة على الإسلام في هذا المجلس، وأنا لا أخفيك أنني معجب باهتمام الإسلام بالإقناع العقلي... لكنني كلما فكرت في الأمر وجدت تشريعاته تصرفني عنه.. فبصراحة **أنا رجل أحب شرب الخمر من غير إسراف**.. ولا أستغني عن نصف كأس من الخمر على الأقل في اليوم، والإسلام يُحرِّم حتى القطرة منه، فإن أخبرتني أن الإسلام يبيح لي نصف كأس يومياً فسوف أفكر في الأمر جدياً..!

وهل من المعقول أن يجعل الإسلام من نصف كأس مشكلة ينبني عليها دخول

رجل الإسلام وعدمه..؟!

فكيف يمكن للإسلام أن يحل مشكلتي إذا كانت هذه النصف كأس تعتبر في الإسلام مشكلة، بينما هذا المقدار من الخمرة يمثل بالنسبة لي مفتاحاً لحل مشاكلي اليومية..؟!

إنها ليست مشكلتي وحدي إنما هي مشكلة جميع الأساتذة والمربين والعقلاء في بلادنا تقريباً.

بالون اختبار

**أبو حامد**: سواءً كُنتَ مُخْتَبِراً لي بنصف الكأس هذا أم لست بمختبر... فإن الدين لا أملكه أنا، كما لا يملكه أي شخص غيري ولو كان عالماً أو نبياً، أو مجمعاً للعلماء حتى يتلاعب به هذا أو ذاك حسب المصالح والظروف والأهواء!

ولقد حَدَثَتْ مثل هذه القصة أكثر من مرة، فلقد عرض رؤوس المشركين على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - أن يعمل لهم مجلساً لا

يحضره الضعفاء والعبيد من أصحابه، فإذا حضر الكبراء قام أولئك الضعفاء، فإذا خرج الكبراء عاد إليه أصحابه الفقراء، مرغّبين إياه بأنهم إذا اتبعوه اتبعه الناس من بعدهم، وما عليه إلا أن يوافق على هذا الشرط فأنزل اللّه تعالى آية صريحة في سورة الأنعام يقول فيها: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) [الآيات: ٥٢ - ٥٤].

فلا مساومة على أي حكم من الأحكام، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٥٨).

أقول هذا لا لتفهم منه فهماً غير صحيح أن أحكام الإسلام جامدة، بل الاجتهاد في الإسلام مفتوح إلى يوم القيامة، وبضوابط معروفة... لكن أقوله لتعرف أنني - كأبي حامد - أو أي شخص في الدنيا لن يستطيع أن يكذب في الإسلام ليكسبك أو يكسب غيرك، وأنه إن فعل ذلك ارتكب خطأً وخطيئة.

**ثم إنك قلت**: إن الإسلام يعنى بالجانب العقلي وهذا سر إعجابك به، فأنا أقول لك: ماذا تصنع الخمر غير أنها تزيل العقل كُلًّا أو جزءاً..؟!

وهل من شيء أكرم في الإنسان من العقل، فهل من العقل أن تزيل العقل..؟!

هل من الإنسانية أن تزيل رمز الإنسانية..؟!

كيفية العلاج

ومع هذا **فأنا أقول لك**: ليس موضوعنا هو أضرار الخمر وغيرها، لكن موضوعنا هو كيف عالج الغرب هذه المشكلة، وكيف عالجها الإسلام..!؟

والأصح أن نقول ونحن مطمئنون: كيف عالج الإسلام هذه المشكلة، وكيف حولها الغرب إلى مشكلة مشروعة ومحمية وكبيرة، وشجع عليها بالإعلام وبالقانون..؟ القضية - أيها البروفيسور - ليست قضية شرب شخصي فحسب، وإنما هي أكبر من ذلك بكثير..! والمشكلة الكبرى أن لا يدرك الناس أنها مشكلة كبرى.. مشكلة ثمنها أرواح، وأموال، وأُسر، وسعادة..!

القاتل الثاني

تقول دائرة معارف جامعة كاليفورنيا للصحة (طبعة ١٩٩١): «يعتبر الخمر حالياً القاتل الثاني - بعد التدخين - في الولايات المتحدة. فشرب المسكرات في أمريكا سبب موت أكثر من مليون شخص سنوياً هناك. والخمر وحده مسؤول عن أكثر من نصف الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق في أمريكا.

وليس هذا فحسب، بل إن الخمر مسؤول عن

إصابة أكثر من نصف مليون شخص بحوادث السيارات في أمريكا في العام الواحد، وأما في البيت، فالمسكرات مسؤولة عن كثير من حرائق البيوت، وسقوط شاربي الخمر على الأرض، أو غرقهم أثناء السباحة».

وتتابع دائرة معارف جامعة كاليفورنيا القول: «والمسكرات لا تسبب المشاكل في البيت.. أو على الطرقات فحسب، بل إن خسائر أمريكا من نقص الإنتاج وفقدان العمل نتيجة شرب الخمر تزيد عن ٧١ بليون دولار سنوياً. ناهيك عن الخسائر التي لا تقدر بثمن من مشاكل نفسية وعائلية واجتماعية. ويحثُّ الكتَّاب في الجرائد والمجلات الأمريكية الناس على عدم تقديم المسكرات قبل العشاء - أثناء حفلاتهم - وعلى أن يصادروا مفاتيح السيارات من المفرطين في شرب الخمر، حتى لا يقودوا أنفسهم إلى الموت!!».

تذكر موسوعة جامعة كاليفورنيا في مكان آخر: «أن ثلث اليافعين في أمريكا يشرب المسكرات بدرجة تعيق نشاطه الدراسي في المدرسة، أو توقعه في مشاكل مع القانون..! وقد بدأ معظم هؤلاء الشباب شرب المسكرات قبل سن الثالثة عشرة من العمر».

ويقول البروفسور «شوكيت» وهو بروفسور الأمراض النفسية في جامعة كاليفورنيا ومدير مركز الأبحاث المتعلقة بالإدمان على الكحول: «إن ٩٠٪ من الناس في الولايات المتحدة يشربون الخمر، وأن ٤٠ - ٥٠٪ من الرجال هناك يصابون بمشاكل عابرة ناجمة عن المسكرات وأن ١٠ ٪ من الرجال و ٣,٥٪ من النساء مصابون بالإدمان على الكحول»[(١)][(٢)].

---

(١) عن كتاب هاريسون الطبي طبعة ١٩٩١ .

(٢) مقال «أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر» للكاتب الدكتور حسان شمسي باشا، مجلة البيان العدد ٥٧ ص٩١ .

أرأيت هذه الأرقام؟

أرجو أن لا تمر عليها مروراً عابراً. . ! إنهم ليسوا قتلى معركة مفتوحة! إنها ليست خسائر حرب عسكرية كبرى. . !

إنه ليس وباءً اجتاح البلاد مع الهواء كإنفلونزا الطيور. . !

إنها نتيجة هذه الخمرة التي تَحدَّث عنها «الأستاذ فيفا»، والبروفيسور والأساتذة العلماء يعرفون جيداً ما في الخمر من أضرار على عقل الإنسان وحياته وأعضائه، ولكنه الضعف في مواجهة اللذة! الصعوبة في مواجهة المألوف. . !

قيمة نصف الكاس؟!

وهذا التبرير إن قُبل من كل أحدٍ لا ينبغي أن يقبل من طبيبٍ أساس نجاحه في مهنته هو إنصافه وعدله حتى مع أعدائه.

نعم: يمكن أن يقول الرجل الحُكْم كما هو بكل مصداقية، فإذا سئل عن مخالفته لما يقول

كان جوابه الصدق، فيقول: أنا لا أطيق الصبر عنها!

والأستاذ يعلم أنه كلما ظهرت تقارير توهم الناس بأن المسكرات لا تضر أو أنها تفيد في جانب معين تصدّى لها أهل العلم وأبطلوها، فمثلًا «زعم بعض الأطباء أن القليل من الخمر قد ينقص نسبة الوفيات من جلطة القلب. ولكن مقالة رئيسية في مجلة «لانست» البريطانية (صدرت عام ١٩٨٧) فنَّدت هذه المزاعم، يقول كاتب المقال: «إن ما يدعيه بعض الأطباء من أن الكحول قد تكون مفيدة إذا ما أُخذت بجرعات صغيرة إنما هو محض كذب وافتراء». وتقول المقالة أيضاً: «إن الدراسة التي يستند إليها هؤلاء دراسة غير موثوقة ولا يعتد بها».

ويقول البروفيسور «شوكيت»: «إن شرب ثلاث أو أربع كؤوس من البيرة يومياً يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، ولهذا يعتبر الخمر حالياً سبباً

هاماً من أسباب ارتفاع ضغط الدم. ويؤدي شرب الخمر إلى «اعتلال العضلة القلبية»، وما ينجم عنها من توسع في حجرات القلب وقصور (فشل) القلب. فيصاب المريض بضيق نفس لدى القيام بأي مجهود. وقد تتشكل جلطات في الجهة اليسرى من القلب. وهناك بلا شك علاقة وثيقة بين حدوث السكتة الدماغية Stroke، وبين شرب المسكرات. ويسبب الكحول اضطراباً في ضربات القلب، مما يسبب تسارعاً شديداً في القلب. وقد يحدث ذلك عقب شرب الخمر مرة واحدة فقط».

يقول البروفيسور «شوكيت»: قد يلاحظ بعض شاربي المسكرات ازدياداً في الشعور الجنسي لدى تناول كأس أو كأسين من المسكرات. ولكن ينسى هؤلاء أن ذلك يمكن أن يسبب العُنَّة عند الرجال (ضعف القدرة الجنسية). وينسى هؤلاء أيضاً أن شرب المسكرات قد يؤدي إلى ضمور

الخصيتين، وفقدان النُّطَف، كما أن شرب المسكرات عند النساء يمكن أن يؤدي إلى انقطاع الطمث، ونقص في حجم المبايض، وما يتبع ذلك من عقم، أو إجهاض تلقائي»[١].

لقد تغلغلت الخمر في كل فئات المجتمع وبلغت أضرارها الأرواح والممتلكات وإليك هذه الإحصائية المعتمدة[٢]:

- في عام ٢٠٠٦ بلغت الوفيات الناتجة عن حوادث متعلقة بتناول الكحول ١٣,٤٧٠ وفاة وهذه النسبة تشكل ٣٢٪ من إجمال الوفيات

---

(١) مقال «أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر» للكاتب الدكتور حسان شمسي باشا، مجلة البيان العدد ٥٧ ص٩١ .

(٢) http://www.alcoholalert.com/drunk-driving-statistics.html.
http://www.anapolschwarts.com/practices/liquorliability/statistics.asp
http://www.sadd.org/stats.htm

الناجمة من حوادث الطرق.

- في عام ٢٠٠٦، ١٧٩٤ طفل، أقل من ١٤ عام، قتلوا في حوادث السيارات، ١٧٪ من هذه الوفيات نتج عن حوادث مرتبطة بتناول الكحول.

- في عام ٢٠٠٦، معدل حوادث الطرق المرتبطة بتناول الكحول هي حادث كل ٣٩ دقيقة.

- معدل الحوادث المرتبطة بتناول الكحول والتي تسبب وفيات في فترة الليل هي أربعة أضعاف فترة النهار.

- في العام ٢٠٠٥ بلغت نسبة متناولي الكحول من ذوي الاعتبار (١٢ - ٢٠ سنة) ١٠,٨ مليون شخص ويشكل هذا العدد نسبة ٢٨٪ من إجمالي العدد في هذه الفئة العمرية.

- ثلاثة من كل أربعة طلاب، ٧٥٪، يتعاطى الكحول قبل التخرج من الثانوية العامة.

- ٤١٪ من الطلاب تعاطوا الكحول قبل أن ينهوا الصف الثامن الابتدائي.

أيها الأستاذ: إن تعداد أضرار الخمر يطول، **ولكنّ المصيبة هي في كيفية علاج خبراء الغرب لهذه المشكلة..؟!**

ما هي العقوبات التي فرضوها على السكران..؟! ما هي..؟!

**والجواب**: إنها إشاعة الخمر، وتشريع بيعها، والترغيب بشربها، وحماية شاربها، وما إلى ذلك..!

ولو توقفت الحماية للمسكرات لهان الأمر ولكنها تعدتْ لتصل إلى حماية للمخدرات.

**أستاذ فيفا**: أنا زرت العديد من البلاد الإسلامية، وقد وجدت الخمر في الفنادق

متوفرة، كما وجدتها تباع في أماكن أخرى..!

نعم، لم أجد الناس يتعاطون الخمر مثلنا، فعدد المتعاطين بالنسبة لنا قليل، لكن الشاهد هو: لِم تنكر علينا شرب الخمر وهو موجود عندكم..؟!

لِم لَمْ يعالج الإسلام هذه المشكلة عندكم..؟!

وإذا كنت تقول إن الإسلام عالج، فأثبتْ لي ذلك بالأدلة.

أبو حامد: لا أحسبك تعتقد أن الدول الإسلامية - اليوم - تمثل الإسلام أو تطبق الإسلام، والدليل هو ما ذكرته من إباحة أكثر الدول الإسلامية لشرب الخمر في الفنادق أو الطائرات أو غيرها.

كيفية علاج مشكلة الإدمان

أما كيف عالج الإسلام شرب الخمر فهذا ما ينبغي أن تطلع عليه، وينبغي أن تتساءل: هل كان علاج الإسلام للإدمان سابقاً ناجحاً أم لا؟!

وهل هذا العلاج صالح للتطبيق في كل مرة، وفي كل زمان ومكان أم لا. . ؟!

أما كيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟ فإنّك تعجب إذا قلت لك بأن أكثر من ٩٠٪ من المجتمع العربي كان يشرب الخمر قبل الإسلام، ومع هذا فقد أصبحت النسبة بعد إتمام علاجه قريبة من الصفر٪.

فكيف عالج الإسلام هذه المشكلة الظاهرة. . ؟!

كيف عالج الإدمان. . ؟!

إنكم تعلمون أن آيات القرآن لم تنزل دفعة واحدة في كتاب أو ألواح، إنما كانت مجموعة الآيات تتنزل حسب الحاجة على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وذلك لتواصل جميع الأحداث، ولتطبق على مثلها من الأحداث إلى آخر الدنيا، وهنا يكون العلاج ناجعاً، ويكون على مراحل متصاعدة، ولذا كان أول ما نزل في الخمر في سورة النحل قول اللّه تعالى: ﴿وَمِن

ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

فالقرآن لم يصرح في هذه الآية بأن السُكر سيء، ولكنه جعلها في مقابل الرزق الحسن إنها مجرد إشارة!

فتنبه ذلك الجيل لهذه الإشارة وأخذوا يسألون عن حكم شرب الخمر، فأنزل اللَّه بعدها قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

هنا تبين أن في الخمر إثم كبير وفيها كذلك منافع تجارية، ولكنها ليست صريحة في تحريم الخمر، فكانت هذه إشارة أقوى وتنبيهاً أكبر، إذ إن أبغض شيء لنفوس ذلك الجيل الصالح هو «الإثم» فكيف وهو «إثم كبير». . وختمت الآية بكلمة عظيمة تلك هي: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

لكنها لم تَرْقَ بعدُ إلى درجة التحريم، فبقيتْ هذه الآية فترة من الزمن وبقي التساؤل عندهم في ازدياد عن حكمها: أهي حرام أم ليست بحرام..؟!

وهل يتركونها أم لا يتركونها..؟!

هنا أنزل اللَّه تعالى في سورة النساء آية ٤٣ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾.

فكانت هذه الآية تمثل التدريب العملي على تركها مع أنها لم تصرح بأنها حرام مطلق، وإنما هي حرام مقيد بوقت محدد وحالة محددة، فقد نهى اللَّه عن قربان الصلاة إذا لم يعقل الإنسان ما يتلو من الآيات وبذلك جمعت هذه الآية بين التحريم العقدي الوقتي، وبين المنع العملي الوقتي كذلك.

وبذلك تحول تَرْكها إلى عقيدة عملية لكن السر هنا هو ربط المنع بالصلاة، فجعل شربها مقابلًا للصلاة..!

ومن منع من الصلاة فقد منع من لقاء اللَّه، فالخمر تمنعه هذا الشرف الكبير. . ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾.

ثم إن من نظر في هذا الحكم عند التطبيق الفعلي وَجَدَ جدِّية علاجه وثمرته.

فالصلاة تُؤدى خمس مرات على خمس أوقات موزعة على أطراف الليل والنهار.

فصلاة الظهر يبتدئ وقتها بعدما تميل الشمس عن وسط السماء ولو بلحظة، ويستمر وقتها حتى العصر أي بعد نحو من ثلاث ساعات ونصف، وعند غروب الشمس يدخل وقت صلاة المغرب، وعند مغيب الشفق الأحمر أي بعد أقل من ساعتين، يدخل وقت العشاء، وهذا الوقت يستمر إلى صلاة الفجر والتجارة والعمل، ووقت هذه الصلاة يبتدئ قبل طلوع الشمس بنحو ساعتين وزيادة، هذا هو التوقيت في الجزيرة العربية يوم نزل تحريم الخمر. وهذا التوقيت يتكيف مع كل بلد بحسب حركة الليل والنهار.

**والسؤال هو**: متى يستطيع شارب الخمر أن يشربها إذا حاصرته أوقات الصلوات بهذه الطريقة!؟

إن الانتصار الحقيقي **الأول** في هذا هو أن الفرد أصبح يتلقى الحكم من اللّه في شأنٍ تهواه نفسه، فإذا قَبِل بهذا راضياً فهو مفتاح القبول لغيره مما يخالف هواه، والانتصار **الثاني** هو أن هذا التحكم في أوقاته عنوان تملك المسلم لإرادته، وهذه هي نقطة ضعف المدمن، فضعف الإرادة هو سبب فشل كل علاج، **وثالثها** طول فترة تَرْكها على مدار اليوم.

فلم يعد له من وقت إلا بعد العشاء، وما بعد العشاء في العادة يكون واحدهم منهكاً من الحرث والزرع والرعي والتجارة والعمل، ويكون كالسكران من شدة الإرهاق، فلا حاجة لسكر الخمر إذا حضر سكر النوم، **والرابع** أن سر هذا الترك واضح الغاية، فليس تركها لأنها مضرة فحسب إنما تركها لأنها حرام حرمها اللّه، فمن يتركها يتركها لأمرين: طاعة للّه، ثم لأضرارها..

وبهذا قد اجتمع في سبب الترك أقوى حوافز الطاعة: الإقناع العقلي، والخطوة العملية، والحافز العاطفي، أي تحريك القلب مع إحياء الإرادة وتقويتها وتدريبها.. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] وقد مر في المرحلة الثانية ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

وبما أن الإباحة في المرحلة الثالثة كانت مرتبطة بالصلاة، إذن فالواجب أن تحسن تقدير مدة ذهاب العقل، فلا يصل ذهاب العقل إلى وقت الصلاة، وبما أن ذهاب العقل وعودته ليس أمراً منضبطاً فينبغي أن يكون الشرب منضبطاً.

إن السر الأول والأعظم في نجاح العلاج أنه علاج رباني، فاللَّه أعلم بعباده، وأما كونه علاجاً متدرجاً ومتصاعداً وما إلى ذلك... فهذا كله من الوسائل.

**أستاذ فيفا**: الحقيقة أنه علاج عملي رائع ولكن ما الذي يضمن لك أن ولدي إذا تركها اليوم يعود لشربها في الغد، بل أنا نفسي ربما أقتنع بكلامك هذا اليوم وبعد يومين أرجع وأشربها، فالعلاج الآنيّ ليس إلا علاجاً مؤقتاً.

**أبو حامد**: أرجو أيها البروفسور الكبير أن تعيد التأمل في كل نقطة علاج ونوعيتها وسوف تجد السر:

**فالأول**: أنه علاج رباني، فمن تركها أول مرة، مؤمناً باللَّه فقد ارتبط التحريم بالإيمان، والإيمان لا يزال معه طوال حياته.

**والثاني**: أنه علاج قام على إحياء الإرادة وصُنْعها أو تقويتها ولم يقم على تخديرها، وفارقٌ كبيرٌ بين الاثنين.

**والثالث**: أنه علاج اعتمد على التدريب العملي بالتدرج، فالانتقال من مرحلة إلى مرحلة تعني النجاح في المرحلة السابقة وهكذا حتى الذروة بالترك الكامل إيماناً، ثم إن ربطها بتوقيت على مدار

اليوم والليلة يجعل المعالج يمارس النجاح عملياً على مدار اليوم والليلة ويستعيد الثقة والانتصار على الضعف كلما مر عليه ذلك التوقيت، وهذا أحسن دافع للاستمرار والثبات، ثم إنه يجمع بين مكاسب حالية منظورة وهي ما يجده من مكاسب صحية ونفسية ومالية واجتماعية، ومكاسب قادمة غير منظورة وهي مرضاة اللَّه والفوز في الآخرة.

**الرابع**: أنه علاج حَرَّكَ جناحي النجاح وهما القلب والعقل.

**الخامس**: أنه علاج لم يرتبط بمكان كالمسجد، ولا بوقتٍ محدد، إنما هو علاج يجمع بين الإطلاق والإلزام، فهو من حيث المكان والوقت مطلق، وهو من حيث أداء الصلوات ملزم.

إنك كثيراً ما تنهى ولدك عن أمر ما فلا يطيع أو لا يطيق التطبيق مع أنه أمر مضر وهو يعترف بذلك، لكنه أصبح كالمدمن عليه مثل التهور في قيادة السيارات وما إلى ذلك، أما حين توصله إلى درجة من الإيمان الصحيح، المقنع للعقل والقلب

معاً، فإنه لا يملك إلا أن يستجيب.

ومع كل هذه الاستجابة ممن نزل عليهم آيات تحريم الخمر وقتها، وقد كان أكثرهم أسوأ مثال للإدمان، إلا أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - لم يترك الأمر على عنصر التسليم، بل بيَّن عاقبة مَنْ يشربها في الآخرة ليكون أحسن ضمان لثبات التائب منها إذا ضعف، أو إذا تحلل من رقابة من يخاف من البشر.

مقدمين أضرارها وعاقبة من يشربها، وحذر منها أشد التحذير وبذلك يكون قد جمع ما بين حكم العقل وحكم العاطفة الصادقة.

ماذا قال النبي محمد عليه الصلاة والسلام في الخمر؟!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**لعن رسول اللّه ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له**»[1].

فالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ولَمْ

---

(١) رواه الترمذي (١٢٩٥) قال الألباني: حسن صحيح.

يمنع الشرب فحسب، وإنما أغلق كل الطرائق الموصلة إلى الشرب.

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - قال: «**ثلاثة قد حرم اللَّه تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث**»[١].

فما أغلى الثمن الذي يدفعه المدمن إذا استمر على إدمانه..!

وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل شر»[٢].

ثم قطع الطريق على شربها ولو كان الشرب قليلًا، ولو لم تُسَمَّ خمراً ما دامت تسكر..!

فقال رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - : «كل

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٦٩) قال شعيب الأرناؤوط: صحيح، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب (٢٣٦٦).

(٢) رواه الحاكم (٧٢٣١) قال الذهبي: صحيح، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب (٢٣٦٨).

**مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة»**[١].

وورد عنه أيضاً: «**نهى النبي ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر**»[٢].

وبعد كل هذا فرض الإسلام عقاباً على من شربها بجلده أربعين جلدة أمام المجتمع.

إن الجلد هنا ليس هو بالجلد القاتل ولا الجارح إنما هو فاضح لهذه الخصلة الشنيعة.

**إياك أيها البروفيسور أن تنظر لهذا السكران ومشاعره وتنسى المجتمع بأكمله!**

إياك أن تنسى كل الخسائر التي يتسبب بها هؤلاء السكارى للمجتمع لأجل أن تكسب أصوات سكارى في الانتخابات، وإياك أن تنظر لإشباع المدمن وتنسى تدميره الحقيقي نفسه ومجتمعه! وعليك أن تتذكر أن الإسلام ما بدأ مراحل تحريم الخمر بالجلد، وإنما كان الجلد بعد انتهاء كل

---

(١) رواه مسلم (٢٠٠٣).
(٢) رواه أبو داود (٣٧٧٤)، وصححه الألباني.

المراحل العلاجية . . !

**وأنت إذا جئت إلى سر الشرب ستجده طلب السعادة ولو للحظات يغيب فيها الإنسان عن عالم الهموم والتكاليف، وإلا فإن الخمرة ليس فيها الجاذبية التي يحبها البشر أو يألفها حسُّ البشر، فلا طعم طيب ولا رائحة زكية، ولا آثار صحية، ولا آثار أخلاقية.**

الخمر والسعادة

فسؤالنا هو: هل فعلًا الخمرة تأتي بالسعادة؟ وهل أتت لمجتمعاتكم بالسعادة؟ وإن أردت أن أصيغ لك السؤال بطريقة أخرى فهي: هل نستطيع أن نصف مجتمعاتكم بأنها سعيدة رغم كل ما فيها من التأمينات والضمانات والترف والخمر والمرأة أم أنها مجتمعات غير سعيدة؟

أرجو أن تأخذ علامة واحدة فقط لعلامات السعادة وهي حب الحياة من خلال النظر إلى نسب الانتحار[١] ثم لنقارن:

---

(١) www.who.int/mental-health/prevention/suiciderates/en/print.html.

# منظمة الصحة العالمية

معدل الانتحار لكل ١٠٠٠٠٠ حسب البلد والسنة والجنس

أحدث إحصائية لسنة ٢٠٠٣

| التسلسل | البلد | السنة | الذكور | الإناث |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ALBANIA | ٠٣ | ٤,٧ | ٣,٣ |
| ٢ | ARGENTINA | ٠٣ | ١٤,١ | ٣,٥ |
| ٣ | AUSTRALIA | ٠٣ | ١٧,١ | ٤,٧ |
| ٤ | BELARUS | ٠٣ | ٦٣,٣ | ١٠,٣ |
| ٥ | BELGIUM | ٩٧ | ٣١,٢ | ١١,٤ |
| ٦ | CHINA (HONG KONG SAR) | ٠٥ | ٢٢,٠ | ١٣,١ |
| ٧ | CZECH REPUBLIC | ٠٥ | ٢٥,٥ | ٥,٦ |
| ٨ | DENMARK | ٠١ | ١٩,٢ | ٠,٦ |
| ٩ | EGYPT | ٨٧ | ٠,١ | ٠,٠ |
| ١٠ | GERMANY | ٠٤ | ١٩,٧ | ٦,٦ |
| ١١ | HUNGARY | ٠٥ | ٤٢,٣ | ١١,٢ |
| ١٢ | ICELAND | ٠٥ | ١٦,٢ | ٦,١ |
| ١٣ | INDIA | ٩٨ | ١٢,٢ | ٩,١ |
| ١٤ | KAZAKHSTAN | ٠٥ | ٤٥,٠ | ٨,١ |
| ١٥ | KUWAIT | ٠٢ | ٢,٥ | ١,٤ |
| ١٦ | LATVIA | ٠٥ | ٤٢,٠ | ٩,٦ |
| ١٧ | MEXICO | ٠٥ | ٧,٠ | ١,٤ |

| التسلسل | البلد | السنة | الذكور | الإناث |
|---|---|---|---|---|
| ١٨ | POLAND | ٠٥ | ٢٧,٨ | ٤,٦ |
| ١٩ | ROMANIA | ٠٤ | ٢١,٥ | ٤,٠ |
| ٢٠ | SERBIA | ٠٦ | ٢٨,٤ | ١١,١ |
| ٢١ | SLOVAKIA | ٠٥ | ٢٢,٣ | ٣,٤ |
| ٢٢ | SPAIN | ٠٥ | ١٢,٠ | ٣,٨ |
| ٢٣ | THAILAND | ٠٢ | ١٢,٠ | ٣,٨ |
| ٢٤ | UKRAINE | ٠٥ | ٤٠,٩ | ٧,٠ |
| ٢٥ | URUGUAY | ٠١ | ٢٤,٥ | ٦,٤ |
| ٢٦ | VENEZUELA | ٠٢ | ٨,٤ | ١,٨ |

وأرجو أن لا يفوت أحدٌ من الناظرين في الجدول المقارنة بانخفاض نسبة الانتحار في عموم بلاد المسلمين لدرجة الصفر حتى بلاد المسلمين التي سجلت بعض نسب الانتحار فذلك غالباً من المقيمين فيها من غير المسلمين كما في الكويت .

فإن قلتم إن السعادة بالدخل المادي فلكم أن تقارنوا دول الخليج العربي وهي عالية الدخل بدول أوربا وأمريكا وانظروا نسب الانتحار، وإن قلتم إنه يرجع إلى الفقر وأن الفقير لا هموم له فقارنوا نسبة الانتحار في مصر أو الأردن وهما من الدول الفقيرة بالهند أو البرازيل مثلًا .

إنه لا يبقى من سبب إلا هذا الإسلام الذي مازج حياة الناس ورزقهم الرضا بكل شيء... ومع هذا أقول لك: كل هذه السعادة في بلاد المسلمين رغم ضعف تمسك الناس بالإسلام، فكيف لو تمسكتم به أنتم مع ما أعطاكم الله؟ أريد جواب العقل لا العاطفة.

وأخيراً أقول ليس السبب في الانتحار شرب الخمر فحسب، إنما الخمر أخذ عندكم كعلاج فكيف بالأسباب الأخرى، ومع هذا فليس كل من لم ينتحر سعيد.

وللنظر بطريق مباشر إلى إحصائيات الاكتئاب لترى ما يظهر التعاسة الحقيقية.

- يعاني ١٨,٨ مليون أمريكي بالغ من اضطرابات لها علاقة بالاكتئاب وهذه النسبة تشكل ٩,٥٪ من إجمالي السكان البالغين، ١٨ عاماً فأكثر.

- حسب دراسة للحكومة الأسترالية، كل شخص عان في حياته من تجربة الاكتئاب من خلال الإصابة المباشرة أو معاناة شخص قريب.

- فئة الأطفال/ ما قبل سن الدراسة، هي الفئة الأسرع نمواً بالنسبة للإصابة بالاكتئاب، أكثر من مليون طفل يشكلون ٤٪ من هذه الفئة.

نسبة الزيادة في الإصابة بالاكتئاب بين الأطفال مرعبة إذ تصل إلى ٢٤٪ سنوياً.

- ١٥٪ من السكن في معظم الدول المتقدمة يعانون من الاكتئاب الحاد.

- ٣٠٪ من النساء مصابات بالاكتئاب.

- ٨٠٪ من المصابين بالاكتئاب لا يتعاطون أية علاجات.

- ١٥٪ من المصابين بالاكتئاب ينتحرون.

- الخسائر المالية السنوية للاكتئاب تصل لـ٥١ مليار دولار، وهي نتيجة الغياب عن العمل وتدني الانتاجية وللعلم فإن هذه النسب لا تكاد تجد لها ذكراً بالدول العربية(١).

---

(١) http://www.upliftprogram.com/depression_stats.html
http://www.nimh.nih.gov/health/publications/the-numbers-comuntmental-disorders-in-america/index.shtml#majordepressive
http://www.guardian.com.uk/society/2003/dec/01/mentalhealth.medicineandhealth

العقوبات وتناسبها مع الجُزم والعصر الحاضر

**بروفيسور سيناو**: الناظر في العقوبات الإسلامية يجد أنها عقوبات بالغة القسوة، وأنها لا تناسب أبداً هذا الإنسان المتحضر، وهذا العصر العلمي..!

لا يمكن لأي عقل في هذا العصر أن يقتنع بصلاحية قانونٍ وُضِع قبل ألف وخمسمائة سنة..!

ولو قلنا بصلاحية التشريعات الإسلامية فسيقول آخرون: لماذا لا تصلح قوانين حضارات كانت تفرض عقوبة التمثيل بأجساد البشر لإخلالهم ببعض الأنظمة العامة أو أنظمة الملك الخاصة..؟!

يا أبا حامد: لك أن تقول إن هذه العقوبات صالحة لتلك البيئات البدوية الخاصة أما أن تصلح لهذا العصر المتحضر، فهذا ما لا يقبله أي عاقل، وقد حاولت أنت بنفسك أن تقنعنا أكثر من مرة أن دينكم يقبل التطور، ويتسع للتقدم العلمي بطريقة عقلية علمية، لكننا نصطدم اليوم بهذه العقوبات..!

يا أبا حامد: ألا ترى أن التطور يتسع والتقدم يزداد، بينما العقوبات ثابتة... أليست هذه تصادم هذا..؟!

أبو حامد: أنا أعلم أن هذه الإشكالات التي ذكرْتَها تشكل عائقاً كبيراً في ذهن الغربي عن قبول الإسلام، وتجعل آخرين لا يضعون أي نسبة احتمال بأن الإسلام دين صحيح أو أنه يمكن أن يصلح للحياة..!

وإلا فحدوده المسجد أو المعبد والعبادة، ولا يصلح أن يسير أبعد من هذا شبراً واحداً..!

وأنا أدرك هذا جيداً لكن بودي أن نركز جميعاً على ما سأذكر متحررين من هذه القيود الذهنية..! نعم، فأنا الذي أطالبكم أن تتحرروا من هذه القيود الذهنية.

وبغير هذا التحرر لن نصل إلى الحقيقة.

فالحقيقة هناك في الجو المشمس والفضاء الرحب، ولا يمكن أن تصل إليها إلا بعدما تكسر الأغلال وتقتلع القضبان..!

لماذا أقول أنا هذا..؟

لأن هذه الإشكالات تتردد دائماً.. فإن حللناها هنا فقد انتهى كل شيء، وإلا ستبقى

عقولنا تراوح في أماكنها لا تتقدم خطوة واحدة.

أرجوكم: فكِّروا جيداً، هل ما ذكرتموه مسلمات عقلية لا تقبل الأخذ والرد..؟!

هل كل قديم مرفوض فعلًا..؟!

هل كل قديم لا يصلح للحياة المعاصرة..؟!

وهل الواجب نحو ما ثبت صلاحه في عصر وعصر ينبغي أن ينسف في العصور التي بعده بحجة أنه قديم..؟!

أم أن ثبوت صلاحياته دليل على أنه حق..!

وهل يساوى بين ما ثبت صلاحياته في عصور متكررة مع ما ثبت فشله ومخالفته للعقل..؟!

دعونا نعود لشماعة القديم متسائلين: إذا كنتم تقولون إن كل قديم مرفوض - بهذا الإطلاق - فعليكم أن تتركوا الأرض والسماء والأجواء وتخرجوا إلى كونٍ جديد تخلقونه بأنفسكم..!

أتدرون لماذا..؟!

لأن النظام الذي يحكم هذه الأشياء ويحكم

المجاميع الكونية نظام غارق في القِدَمِ!

وهل أنظمة الجاذبية وأنظمة الهواء، والماء، والزرع، والنور، والظلمة، ودوران الكواكب والنجوم وما إلى ذلك.. هل هذه ناجحة وجميلة ومحكمة أم أنها سيئة ويجب تبديلها لأنها قديمة؟

حتى أنظمتنا الاجتماعية في تكوين الأسرة، ونظام النِّسَب، ونظام الأمومة والأبوة، وما إلى ذلك هل هي أنظمة يجب تغييرها...؟

الجواب: قطعاً لا... لأنها أنظمة ناجحة وكلما مرت العصور رسخت القناعة بنجاحها أكثر، وأنها أنظمة لا يمكن تغييرها لأنه لا بديل عنها... وبهذا فقد أصبحت حقيقة من أعظم الحقائق، إذن فلنتفق مبدئياً على أن ليس كل قديم سيئ، ويجب تغييره، فمنه السيئ ويجب تغييره، ومنه العادي ويمكن تغييره، ومنه ما لا يمكن تغييره.

وكذلك فإنه ليس كل جديد جيداً.



بروفيسور سيناو: أرجوك لا تخلط ما بين الأنظمة الكونية والأنظمة الدينية فهذه الأنظمة شيء وتلك شيء آخر..! ونحن حين نقول هذا

على الأنظمة الإسلامية فإننا نعممه حتى على الأنظمة المسيحية واليهودية على حد سواء.. فلا تظن أننا متحيزون.

أبو حامد: لو فكرت بهذا الذي ذكرته آنفاً لما ذكرت هذا الاعتراض.. فأنت بهذا الاعتراض قبلت أنظمة الكون ورددت أنظمة الإسلام، علماً بأنك تقر معي أن الذي وضع الأنظمة هذه وهذه واحد وهو اللّه سبحانه وتعالى... أليس كذلك..؟!

فكيف نأخذ منه هنا ونرده هنا..؟!

كيف يكون نظامه للكون محكماً ودقيقاً ولا نسبة للخطأ فيه، لأن أي خطأ فيه يعني دمار الحياة.. بينما تعتقد أن نظامه الذي يضعه للبشر لا يصلح للحياة..؟

كيف لا يتسع نظامه التشريعي للحياة خارج المسجد شبراً واحداً بينما تعترف بأن نظام الوجود اللامحدود نظام في غاية الحكمة..؟!

المفروض أيها البروفيسور: أن تحدد القضية

أكثر وتقول: أثبت لي أن هذا النظام وضعه اللَّه وأنا أكتفي.. لا أن تغض الطرف هنا، وتَعْبر على هذا الموضوع الأساس... وتقول: هذه قديمة..!

وأنا كذلك أطالبك نفس الطلب فأقول لك: أثبت لي أن هذا النظام الذي عندكم هو من عند اللَّه، وعندها أكون ملزماً به..!

إن العاقل أيها البروفيسور لا يزن صلاحية الأحكام والتشريعات بالزمان والمكان الذي صدرت فيه، ولا بالبقعة التي حَكَمَتْ فيها يوماً من الأيام.

أيها البروفيسور: لا يمكن لأي غربي أن يتصور صلاحية التشريعات والأحكام الإسلامية ما دام يربطها بأنظمة القرون الوسطى التي حكم بها الملوك والقساوسة، وقد أذاقوا فيها الناس الأَمَرّين بحيث لا تتناسب تلك الأنظمة إطلاقاً مع الجرم الذي يرتكبه الناس، بل وأحياناً تصل إلى إزهاق

أرواح البشر لمجرد أهواء الملوك الفاسدة..!

أرجوكم أزيحوا هذه الصورة عن وجوهكم ووجوهنا، فأنتم طلاب حق وحقيقة، فلا تنظروا للتشريعات الإسلامية بنظارات قرونكم الوسطى.

فإذا أزحتم هذه الصورة فإن السؤال الأول هو: لمن تنسب التشريعات الإسلامية؟!

هل تنسب إلى حاكم أم ملك أم لجنة أم تنسب لعصر من العصور..؟!

والجواب: أنها تنسب للّه.

والسؤال: هل نسبتها للّه صحيحة..؟!

والجواب: قد مر معنا نسبة التشريعات الإسلامية إلى مصدرها وهو القرآن وحديث النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وقد عرف الحاضرون أنها صحيحة كصحة نسبة نظام الكون للّه.

وإذا وصلنا إلى هذه القناعة فقد انتهى كل شيء، لكن ربما يعترض ملحد فيقول: وهل من

حق اللَّه أن يشرع لعباده أم ليس من حقه. . ؟!

وهل تشريع اللَّه لعباده مُبَرَّأٌ من الهوى والنقص لأنه رحيم وأنه عليم بعباده في كل العصور. . . أم أن تشريع العباد للعباد هو المتهم بالقصور والنقص. . ؟

إذا أنصفنا أيها البروفيسور نجد أن التشريعات البشرية الحالية هي الصورة الجديدة لتشريعات العصور الوسطى ولكن بالوجه المقابل.

والقاسم المشترك هو الأهواء، فقد كانت أهواء الملوك والقساوسة والظَّلَمة وراء تلك الأنظمة الجائرة، وقد كان وراء هذه التشريعات الحديثة أهواء اللجان البشرية. . . والبشر أياً كانوا لا يمكن أن يتخلصوا من الهوى.

بروفيسور سيناو: يمكنك أن تتهم أولئك الملوك والقساوسة بالأهواء، أما أن تتهم هذه اللجان القانونية بالأهواء فهذا أمر غير مقبول. . !

لأن ما يفوت على واحد من اللجان القانونية

يدركه آخر وهكذا.

إذن فهذه اللجان أبعد ما تكون عن الهوى.

حتى وإن تنازلتُ لك وقلتُ إن الهوى يؤثر فيها فإنه إنما يكون في الرحمة بالبشر، الرحمة في تخفيف العقوبة... الرحمة بالمحكوم عليه وبأهله، وما الضير في الرحمة..؟!

**أبو حامد:** أنا واللَّه أعجب من اعتراضاتكم أيها البروفيسور الكبير..!

فهذا العصر الذي نفخر جميعاً بما أنجز من علوم وتقنيات هل قام إلا على تعديل ما صنعته الأجيال التي قبله..؟!

وهل بقيت إنجازات البشر في هذا العصر على ما هي عليه أم أنها - كذلك - طورت ولا يزال هذا المنهج مستمر إلى نهاية العالم؟

انظر إلى كل الهواتف النقالة كم غيروا وبدلوا..؟!

انظر إلى التلفاز كم تطور خلال سنوات.!

انظر إلى الأسلحة.

انظر في كل شيء، ستجد أن أكبر شاهد على لزوم النقص والجهل للبشر هو هذا التطور الذي تتحدث أنت عنه.. أليس كذلك..؟!

فإذا كانت الصناعة البشرية للأشياء المادية وهي آلات تصنع في المختبرات، فهي محسوسة، وملموسة، ويمكن تعديلها في المختبر مراراً وتكراراً، ويجرب هذا التعديل وينظر له أكثر من خبير، حتى إذا وصلوا إلى مستوى لم يبق معه أي إمكانية للزيادة أخرجوه للناس.. ويبقى كذلك سنين والناس يعجبون به كما في السيارات ثم تبتدئ العيوب تظهر، وأحياناً بمجرد خروجه للاستعمال تبدأ العيوب بالظهور.. فأين الكمال..؟!

وأين جهد اللجان والمختبرات..؟! والفحوصات وما إلى ذلك..؟!

هذا وهي أمور واكتشافات مبنية على أشياء

صناعية محسوسة وملموسة ومرئية.. أي أن كل ما تفعله اللجان أن تقول: بما أن التجارب السابقة في أمور الناس هي كذا وكذا... وأن المتوقع هو كذا وكذا، فإن أحسن احتمالات النجاح أن نجعل القانون بهذه الصياغة، فهم - أنفسهم - لا يقطعون بعصمة هذا القانون، وأن مبناه على الاحتمال ولذلك تراهم يغيرونه مراراً وتكراراً.. وهم أعرف الناس بهذا لأنهم غيروا بأنفسهم قوانين أخرى... وبنوا قانونهم على تعديلات أَجْرَوْهَا من دساتير الآخرين..؟!

أليس هذا دليلًا كافياً على النقص القطعي لقوانين وأنظمة البشر..؟!

**بروفيسور سيناو**: ما تفضلت به واضح، لكن لا علاقة له بالهوى، إنما علاقته بلزوم الجهل للبشر، وما من أحد منا قال إن البشر يعلمون كل شيء.. إنما حديثنا نحن عن الهوى البشري في القوانين.. فأنا أقول لك: إن الهوى منفي عن

البشر ماداموا يضعون القوانين بشكل لجان يُعَقبُ بعضها على بعض. . !

**أبو حامد**: أنا أشكرك أولًا على الاعتراف بأن الجهل ملازم للبشر، وهذا وحده كافٍ لإسقاط البشر من قضية التشريع المطلق للبشر، لأنّ مبنى التشريع الصحيح على العلم اليقيني، ذلك أن أثره على البشر أثر عملي وواسع وخطير، فمنه حرمة أموال أو إباحتها، وحرمة فروج وإباحتها، بل وحرمة نفوس ودماء أو إباحتها. . . فأي شيء أخطر من هذا. . ؟!

أيها البروفيسور: لو كانت لديك قضية خطيرة في المحكمة، فهل ترضى أن يحكم عليك قاضٍ جاهلٌ بقضيتك. . !

**والجواب**: قطعاً لا . . إذن كيف ترضى أن يشرع للقضاء كله من يجهل المستقبل. . ؟!

**بروفيسور سيناو**: إذن ما الحل. . ؟!

هل الحل أن يعزل البشر عن التشريع تماماً،

فهم يتلقون التشريع ولا يشاركون في شيء منه، أم ماذا..؟!

فإذا كانت اللجان جاهلة بالمستقبل، والقضايا التي تشرع لها قضايا في منتهى الخطورة.. فلمن نتوجه بالتشريع؟ وممن نطلب التشريع..؟!

**أبو حامد**: عذراً بروفيسور سيناو، فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر لك على إقرارك، وأرجوك أن لا تعجل عليَّ فإني لم أُجِبْكَ إلى طلبك وهو إثبات وجود الأهواء في قرارات البشر.. وعندنا نحن مثل يقول: «توضيح الواضح مشكل»، وهل يحتاج النهار إذا طلع إلى دليل أكثر من طلوعه.

والدليل على ذلك هو الاختلاف الطبيعي بين البشر، فهل أهواء البشر في العصور الماضية كأهواء البشر اليوم..؟!

أم أن أهواء العرب كأهواء الأوروبيين، وهل أهواء الأوروبيين كأهواء الأمريكان..؟!

وهل البريطانيون كالألمان أو كالفرنسيين، أو كالصينيين، وهل أهواء الصغار كأهواء الكبار، بل هل هواك أيها - البروفيسور - في صغرك كهواك عندما كنت شاباً أو كهواك بعد التقاعد..؟!

هل أهواء الفقراء كأهواء الأغنياء..؟!

أيها البروفيسور: دقق وسترى أنّ التشريعات البشرية إفرازات لأهواء ورغبات أقوامهم، وستجد أنها ردود أفعال لرؤى معينة، وإلا كيف ظهرت القوانين الدكتاتورية وظهرت في مقابلها القوانين الديمقراطية...؟!

كيف ظهرت المبادئ الاشتراكية، وظهرت في مقابلها المبادئ الرأسمالية..؟!

كيف حرَّم القانون الأمريكي الخمر لمدة تزيد على عشر سنوات، وجَرَّم من يتعاطاه أو يبيعه حتى قتل بالقانون ثلاثمائة شخص، وسجن ما يزيد على خمسمائة ألف، وصُودرت أملاكٌ بقيمة مئات الملايين ثم عاد وأباحه..؟!

لِمَ حدث كل هذا، لِمَ كل هذا التنوع في القوانين. . والبشر هم البشر، والزمان هو الزمان.

ولولا وجود النقص الملازم والهوى عند البشر لم نجد الانتقاص المتبادل من أصحاب الدساتير الاشتراكية لأصحاب الدساتير الرأسمالية والعكس، وهكذا الأمر متبادل بين الجميع. . !

أيها البروفيسور: أيمكن لأحد أن ينكر تأثر النفسية البشرية بالبيئة التي حولها، أو تأثرها بالزمان والمكان وردّات الأفعال. . ؟

هل يمكنها التخلص من الخوف والطمع. . أو نحو ذلك من الفرضيات. ؟

فإذا لم يمكنها التخلص من ذلك كله، فكيف يمكن أن نضع نظاماً بغير هوى ورغبة. . ؟!

بروفيسور سيناو: أنا أعود لسؤالي السابق وهو: ما الحل؟!

بصراحة، لا أريدك أن تقول لي إن الحل في الدين، وخصوصاً الدين الإسلامي، لا أريدك أن

تقول لي احكموا بالدين الإسلامي وسترون النتيجة.

لو كان الدين الإسلامي صالحاً لحكمتم أنتم أيتها البلاد العربية به، فكيف تتركونه وتريدون منا أن نحكم به..!

**أبو حامد:** ما دمنا في مجال البحث فإني أرجو أيها البروفيسور الكبير أن تطرق جميع الاحتمالات وأن لا تخشى من فتح باب من الأبواب، وليس من الإنصاف أن تعطي نتيجة مقدمة قبل الإثبات، فتقول لي مقدماً أرجوك لا تقل لي: إن الحل في الدين الإسلاميِّ..!

وأنا أقول لك بملء الفم: ولم لا، بل هو في الدين الإسلامي تحديداً، ولا علاقة للدين الإسلامي بما تحرّف من الأديان، ولا ينبغي أن تحسب قوانين الدول العربية والإسلامية عليه، فهذه القوانين مستوردة من عندكم، ولذلك فهي شاهدة لنا على عدم صلاحية قوانينكم في بيئتكم

وفي بيئتنا على حدٍّ سواء.

ولكن من حقك أن تسأل وتقول لي: أثبت لي بالأدلة العقلية أن الدين الإسلامي وحده هو الحل..؟!

أليس كذلك؟ أجبني أيها البروفيسور..؟!

**بروفيسور سيناو**: نعم، القضية كذلك، أثبت لي وإلا كان كلامك دعوى من غير دليل..!

**أبو حامد**: أظن أننا بعد هذه الجولة من الحوارات لا حاجة لنا أن نعود لنبحث في قضية وجود اللّه تعالى.

**بروفيسور سيناو**: نعم، هذا مسلم من المسلمات حتى قبل هذا البحث.

**أبو حامد**: كما أظن أننا قد بحثنا بما فيه الكفاية قضية أن التوراة والإنجيل والزبور من عند اللّه تعالى، أما تفاصيلها الموجودة بين أيدينا فهذا موضع شك كبير جداً كما مر معنا، وهكذا بحثنا في قضية أن عيسى إله أو أنه ثالث ثلاثة، وبينا

بوضوح كامل أن هذا من معتقد الشرك الذي حاربه عيسى - عليه الصلاة والسلام - أساساً. . . وسواء اتفقنا على هذا أم لم نتفق فإني أتصور أنه لم يبق حتى الآن أيّ شبهة مقبولة على أن مع اللّه إلهاً آخر، أو أن القرآن الموجود بين أيدينا ليس من عند اللّه، أو أن محمداً ليس نبياً من الأنبياء أو ليس خاتم الأنبياء.

لا تتصور أن القضية ستخرج عن كونها قضية عقلية، بل **هي هنا موافِقةٌ تمامَ الموافقة للعقل**، إذ إنّ الطريقة الوحيدة التي تضمن فيها دستوراً حيادياً بنسبة ١٠٠٪ هي أن لا يكون واضعه أصحاب الأهواء البشرية، والطريقة الوحيدة التي تضمن فيها دستوراً من غير جهالات كما يراعي المستقبل بكل جزئياته بنسبة ١٠٠٪ هي هذه الطريقة.

إذن فلا بد أن يكون واضع الدستور هو رب هؤلاء البشر الذي لا يغفل عن شيء، ولا يجهل بشيء، ولا يحابي جنساً على جنسٍ، وشعباً على

شعبٍ، وهنا يجب أن تعلم أن التوراة والإنجيل لو كانا صحيحين بنسبة ١٠٠٪ لرأيت جميع التشريعات التي فيهما مبرأة من الهوى، مُبَّرأة من الجهل، مُبَرَّأة من النقص الشرعي... لكن لما لم يحفظا كما أنزلا لم نستطع الوثوق بهما لأن أساس القضاء ومبناه هو البعد عن المشكوك فيه... فكيف يمكن أن يؤخذ منها مع أنهما مشكوك في تفاصيلهما ثم إنها أنزلا لفترة زمنية محددة وأناس مخصوصين، ولذا نقول: لم يبق أمامنا إلا القرآن..!

ومع هذا فالقرآن حفظ للكتب السابقة أصلها مع بعض الأحكام الثابتة وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

ومن هذه النقطة أود أن أؤكد لك تأكيداً ليس بعده تأكيد أن التشريع الذي في القرآن، تشريع مُبرَّأٌ من الهوى والجهل والنقص لأنه تشريع لم يضعه بشر يقيناً ولأنه لا ينسب لقوم ولا لقوميّة، ولا لعرف، ولا لشعب، وليس فيه عصبية، ولا بشرية بما فيهم محمد النبي - عليه الصلاة والسلام -، والفخر فيه لمن أخذه وعمل به، فإذا أخطأ تطبيقه العرب والمسلمون اليوم فهذا نقص في حقهم وليس في المنهج، ومن الحرمان أن تحرموا أنفسكم الأخذ به لظن أنه خاص بالعرب، فالحق ليس له حدود جغرافية ولا لغة، وكم ستقفزون فوق الأمم إذا جمعتم بين التقدم التقني وهذا المنهج الإيماني العملي الشامل.

**بروفيسور سيناو:** أمِن المعقول أن نأخذ مواد تشريعية جامدة ونطبقها في مختلف البقاع التي اعترفتَ بنفسك أنها تتغير من حال إلى حال، ومن بلد إلى بلد، ومن زمان إلى زمان، ومن مرحلة عمرية إلى أخرى.

**أبو حامد**: أنا أعذرك بهذا الاعتراض، ولكن هذا دليل على عدم قدرتك على تخطي الحاجز الكبير في ذهنك. . ذلك الحاجز الذي أقامته القرون الطويلة، والأحداث الكثيرة. . . حتى أصبحنا الآن نحاول ثقبه فلا نستطيع. . نحاول تحاشيه يميناً وشمالًا فلا نستطيع، وهذا الجواب من ضمن المحاولات. . . لكن أرجوك أيها البروفيسور الكبير مساعدتي بخطوة واحدة فقط نتخطى بها الحاجز.

أيها البروفيسور: لو كانت المواد الشرعية جامدة لكنتُ أول من يُعينك على تخطيها، وأن تجعلها وراء ظهرك. . أنا كما تراني رجل مثقف ومنفتح على الثقافات، ولست رجلًا معقداً متقوقعاً بين جُدُرٍ أسمنتية معينة، أو جُدُرٍ ذهنية متصلبة.

مزية التشريعات الإسلامية أنها جعلت من التشريع فتح باب التشريع الاجتهادي للناس وفي سورة النساء آية رقم ٨٣ يقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ وهذا باب

كبير ومهم يكسر كل جمود في كل العصور وقد مرّ معنا شيء منه في المجلس الثالث وفي هذا غاية استخدام العقل، ثم إن من مميزات الشريعة الإسلامية أنها تمثل الضوابط الواضحة لإقامة حياة صحيحة، وسوف أضرب لك مثالًا:

لو كان عندك أسرة كبيرة وكانت هذه الأسرة مكونة من أربع زوجات. . أصل كل زوجة من جهة من جهات العالم، وقد بَنَيتَ لهنَّ أربعة بيوت متجاورة. . . وكل زوجة أنجبت أبناء وبنات كثراً، فأخذْتَ تضع الأنظمة المناسبة لهذه الأسر، وعرّفتَ كل واحد بالواجبات التي عليه والحقوق التي له، ثم بيّنت المكافآت لمن وفّى، والعقوبات لمن خالف. . هنا أريد أن أسأل: هل هذا المنطق صحيح أم غير صحيح. .؟!

**بروفيسور سيناو:** نعم، هذا هو الواجب الذي لا يمكن أن تقوم الأسرة إلا عليه، وإلا فبغير هذا النظام تتفكك الأسرة ويضيع الأبناء والزوجات.

**أبو حامد:** فهل من المناسب أن يضع هذا

الأب نظاماً متنوعاً للعقوبات بمعنى أن يجعل على من يسرق من أبناء الأسرة الأولى عقوبة السجن شهراً، أما السارق من أبناء الأسرة الثانية فعقوبته السجن لمدة سنة، أما السارق من أبناء الأسرة الثالثة فعقوبته السجن لمدة شهرين... أما السارق من أبناء الأسرة الرابعة فيسجن يوماً واحداً فقط.. أهذا التنوع مقبول لاختلاف الأسرة..؟!

**بروفيسور سيناو**: طبعاً لا، ما دامت الجريمة موحدة والشروط مستوفاة على الجميع.

**أبو حامد**: إذاً فهكذا بقية العقوبات، وكذلك نظام المكافآت، ولا عبرة باختلاف الشخصيات أو اللغات، وعليه فاعلم أني لا أقول لك هذا إلا لأقرب لك الصورة.. فاجعل أنت بدل (ولي الأسرة الكبيرة): «اللّه سبحانه» - وله المَثَل الأعلى -، واجعل بدل هذه الأسرة ذات الاتجاهات الأربعة، في البيوت الأربع: اجعل الناس والأرض الاتجاهات الأربع وما فيها، واجعل بدل (النظام) الذي وضعه ولي الأمر:

«التشريع الإسلامي» بحكم أنه التشريع الأخير كما مر معنا إثبات ذلك.

لكن مع هذا أقول لك: ثمة مميزات في التشريع الإسلامي تجعله من المرونة بحيث يستوعب كل المتغيرات والتنوعات... ومميزات تجعل الحزم في العقوبة يجتمع مع الرحمة.. ومميزات تجعل العقوبة تجمع ما بين علاج المخالف، ووقاية المجتمع، بل الوقاية قبل الوقوع في الجريمة؟ هل تتصور ذلك..؟!

دعني أحدد أكثر وأضرب مثلًا في أصعب موضوع في التشريعات الإسلامية ألا وهو موضوع العقوبات.

فالشريعة الإسلامية قبل أن تقيم العقاب منعت أسباب الوقوع في الجريمة قبل الجريمة.. فهي تغلق باب الجريمة في داخل النفس قبل أن تحاول إغلاقه على أرض الواقع.. ومن ثم فإنك لو فتحت المحل التجاري على مصراعيه وخرجت ذاهباً إلى مكان ما ورجعت وليس عليه حراسة

فلن يسرقه أحد. . !

هل بإمكانك تصور هذا. . ؟!

نعم، هذه حقيقة. . ! ذلك أن الشريعة الإسلامية تجعل الرقيب على العبد هو اللّه الذي لا يغيب.

اذهب إن شئت إلى بعض المناطق الإسلامية التي يطبق فيها حد السرقة وستجد الثمرة. . !

اذهب إلى مكة وستجد المحلات مفتحة على مصراعيها أثناء خروج الناس خمس مرات كل يوم للصلاة. . ! ويبقى المحل لفترة من عشرين إلى ثلاثين دقيقة في المرة الواحدة مفتوحاً، وتجد المارة في الشوارع في زحام شديد ومع هذا فإنك ربما لا تجد حالة سرقة واحدة كل يوم رغم وجود آلاف المحلات حول الحرم في مكة. . ؟!

إذن: حتى لو فتحت المحلات فإن الرغبة في السرقة غير موجودة لوجود العقاب الصارم، وقبل العقاب وجود الضمير المراقب لربه الذي لا تخفى عليه خافية.

المثال الثاني: أن النظام عندكم لا يعتبر المساس بالجانب الخلقي، وخدش الحياء مخالفة تستحق العقاب.. بل لا يوجد لها عقاب ما لم تضر بالنظام العام، أو تخل بالأمن، ولو كانت أية مخالفة مادامت بالتراضي فهي جائزة ومحمية بحكم القانون، فلو كانت فاحشة ما بين رجل ورجل، أو رجل وامرأة، أو امرأة وامرأة، فلا عقاب..!

ولو كان سَكَرَ حتى الثُّمالة، فلا عقاب ما لم يوجد في مكان عام أو يقود سيارة في طريق عام، لأن وجوده في هذه الحالة يعرض الناس لأذاه، أما تعريضه نفسه فلا اعتبار له..؟!

بينما الشريعة الإسلامية تقيم عليه العقاب لاستيفائه شروطه، وحماية لنفسه من الانحراف، ولأن هذه الأمور في نفسها منكرات، وما يزيد عليها من أضرار عامة على المجتمع فهذه تضاف عليها.

هل في العقاب الإسلامي رحمة

والعجب كل العجب من هذه العقوبات التي تساوي في حقيقة الأمر ما بين الفواحش والمنكرات، والمخالفات، إذا فعلت بالتراضي، وبينها إن لم تفعل أصلًا..!

وتساوي بين الزواج والمعاشرات المنكرة مادامت بالتراضي..؟!

أليست هذه الأنظمة مشاريع تدمير النفس بحماية القانون..؟!

أليست أنظمة تدمير للمجتمع باسم الحرية التي يحميها القانون..؟!

عقوبة السرقة في الإسلام

أليس أكثر النفوس حين تمر بمراحل المراهقة يصيبها الطيش، ويجري بها الهوى نحو المخالفة.. فتجد في هذه الأنظمة حماية لها.. وهذه تعني تدمير أكثر المجتمع، في أقوى حياته...؟!

كيف وللخمر دعايات.. وللجنس قنوات، وما إلى ذلك..؟!

أما النظام الإسلاميُّ فإنه يبين أضرارها أوضح بيان، ثم يعرّف بعقوبتها أوضح تعريف، ويوضح أن عقابها عند اللَّه أعظم، ويغلق أبوابها فهو يمنع صناعة الخمر، وبيعها، وحملها، والتوسط في بيعها، وسقيها، وزراعة العنب بقصد صناعة الخمر. .كما يحرم العمل في أي مرحلةٍ من هذه المراحل.

فإذا لم ينفع كل هذا، أقام على المخالف العقاب بحزم. . دون انتقام أو تعدٍّ، ومع أنه عقاب صارم إلا أن مزيته الرحمة بالمجتمع والرحمة بالفرد كذلك.

**بروفيسور سيناو**: أرجوك يا أبا حامد ربما نأخذ ونرد معك في النقاط التي ذكرتها سابقاً أما أن تقول إن مزية العقاب في الشريعة الإسلامية الرحمة، فهذه غير مقبولة ولا منطقية إطلاقاً، أين الرحمة في عقوبة السرقة. . ؟!

أتعرفون أيها السادة ما عقوبة السرقة في

التشريع الإسلامي..؟!

إنها قطع اليد من الرسغ، ورمي اليد المقطوعة! أين الرحمة في هذه - باللَّه عليكم -..؟!

أين الرحمة في تشويه رَجُلٍ، أو تشويه امرأة سرقت ما يساوي أو يزيد على ثلاثين دولاراً تقريباً، بل أين الحكمة في تعطيل هذه الطاقة الإنتاجية، وتكثير المشوهين الذين يصبحون عالة على المجتمع، وما أكبرَ الفرق يا أبا حامد ما بين عقوبتكم هذه وعقوبة السجن الذي يُؤَهَّلُ فيها السجين ويعاد عضواً عاملًا في المجتمع!

**أبو حامد**: أنا لا أدري هل البروفيسور يعي جيداً ما يقول؟ وهل يبني هذه المقارنة على أرقام.. أم أنها دعاوى هجومية اعتدنا سماعها عن الإسلام والعقاب فيه من البروفيسور في الجامعة، ومن اللاعب في المقابلة الإعلامية، ومن الممثل على المسرح، ومن المدرس، ومن رجل الشارع، ونسمعها في كل مكان يثار فيه

النقاش حول العقوبات الشرعية الإسلامية وخصوصاً حد السرقة.

أيها البروفيسور المحترم: أنا سوف أسألك أسئلة وأنت أو أي واحد من الحضور إذا لم تكن إجابته على أي سؤال بنعم فليعترض عليَّ مباشرة ولا يمهلني، وفي النهاية سوف نصل إلى الحقيقة من خلال الأرقام:

أيها البروفيسور الكبير سيناو: قد ذكرت لك الحقيقة الكبرى وهي أن مشرع العقوبة هو اللَّه الذي لا يحابي طرفاً على طرف.. ولا يحابي الفرد على المجتمع، ولا المجتمع على الفرد، ودليل ذلك هو أننا قد بيَّنا الأدلة القطعية على أن القرآن من عند اللَّه.

والآن أبين لك الآية التي شرع اللَّه فيها بنفسه حد السرقة، وهي في سورة المائدة، وفيها قال اللَّه: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

لا أذكر لك الآية لأنك تؤمن بالقرآن... لا..!
وإنما أفعل كما يفعل المشرعون والقانونيون حين يعرضون مستند كلامهم ومرجعهم.

أنا أعجب أيها البروفيسور كيف تدافع عن عقاب السجن للسارق..!

أعجب كيف تدافع وعندك النسب التي تستطيع أن تظهرها في الشبكة العنكبوتية بلحظة واحدة..!

أيها البروفيسور الكبير «سيناو»: سوف أضرب لك مثلًا ببلدٍ مسلم لا يطبق عقوبة حد السرقة هل تعرف أن أعداد السرقات في مصر عام ١٨٩١ بلغت تسعة آلاف وثلاثمائة وستة وخمسين، وما زالت في تزايد مستمر، حتى بلغت عام ١٩٣٩ خمسة وستين ألفاً وخمسمائة وثمانين، وهذا يعني أن السرقات قد زادت في ثمانية وأربعين عاماً سبعة أمثال ما كانت عليه..!

فتضاعف السرقات إلى سبعة أضعاف بينما لم يقابل ذلك تضاعف أعداد السكان في هذه الأعوام

مرة واحدة[١]. ولم تكن العقوبة قطع اليد إنما العقوبة السجن. . !

فكيف يمكن أن تقنعني بأن السجن إصلاح أو علاج.

وفي تقرير لـ (F.B.I) سنة ٢٠٠٣ فإن عدد الجرائم التي تتعلق بالأملاك قد بلغ ١٠,٤ مليون جريمة، قيمتها (١٧) مليار دولار.

٨,٦ مليار دولار منها سيارات مسروقة.

٣,٥ مليار دولار منها سطو[٢].

أليس الواجب أن تتناقص أعداد السرقات لو كان العلاج بالسجن ناجحاً ورادعاً. . ؟!

أليس هذا التزايد ثمرة من ثمرات الأنظمة الوضعية. . ؟!

ماذا يمكن أن نسمي العلاج الذي لا يأتي بالنتائج الإيجابية إلا أنه علاج فاشل. . ؟!

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام (١/٧٣٩- ٧٤٠).

(٢) http://crime.about.com/od/?once=true&.

لم لا نعترف بالفشل وهذه الأرقام تشهد؟!

إنها ليست أرقام من وضع المسلمين. .؟!

ثم سؤال آخر: كم أعداد المساجين السراق الذين يخرجون من السجن ويعودون مرة أخرى؟!

**انظر أيها البرفسور لنسب العائدين إلى السجن بعدما خرجوا منه وسوف تعرف إن كان السجن علاجاً أم انحداراً:**

«٦٧٪ ممن أطلق سراحهم سنة ١٩٩٤ عادوا إلى السجن خلال ثلاث سنوات.

٣٠٪ تم إعادة القبض عليهم بعد ست شهور.

٤٤٪ تم إعادة القبض عليهم بعد سنة.

٥٤٪ تم إعادة القبض عليهم بعد سنتين.

٦٧٪ تم إعادة القبض عليهم بعد ثلاث سنوات»[(١)].

---

(١) http://usgovinfo.about.com/library/weekly/aa060702a.htm. From Robert Longley، Your Guide to US Government Info. FREE Newsletter.

أيمكن أن يقول منصف بعدها إن السجن يعيد تأهيل السراق. . ؟!

وهذا الرقم مقتصر على من تمّ القبض عليهم، أما الجرائم ضد المجهول فحدث ولا حرج.

كما أن هذه الأرقام تحدد تاريخ القبض عليهم مع النسبة ولعل الحقيقة هي أنهم جميعاً مارسوا السرقة بالطرق الجديدة التي تعلموها في السجن فور خروجهم، ولربما لأنها طرق جديدة فقد تأخر القبض على أكثرهم فكانت النسبة الأعلى هي القبض على ٦٧٪ منهم بعد ثلاث سنوات.

أيها البروفيسور: هذه كتب التاريخ تشهد بأن حد السرقة وهو قطع اليد لم يطبق إلا ست مرات فقط خلال أربعمائة سنة على مساحة من الأرض تشمل جميع البلاد العربية والإسلامية اليوم تقريباً على أعداد بمئات الملايين. . !

أيمكن أن نتصور أي أمان كانت تعيشه تلك المجتمعات. . ؟!

أيمكن أن يقول عاقل بعد هذا إن حد السرقة يسبب التعويق وتعطيل الطاقات..؟!

أنا لا أدري كيف يؤدي حد السرقة إلى التأثير سلباً على الإنتاج، وكيف يؤدي الحبس إلى المزيد من الإنتاج..؟!

اللّهم إلا إذ قلنا إن العلاقة ما بين الأمن المالي وبين الإنتاج علاقة عكسية، أو أن العلاقة ما بين الخوف وبين الإنتاج علاقة توافقية أو طردية، أي إذا زاد الخوف المالي في المجتمع زاد الإنتاج..!

أيها البروفيسور الكبير «سيناو»: هل ترى أن جريمة السرقة جريمة سلبية بمعنى أن أثرها قاصر عليها، أم إنها متعدية الآثار..؟! أليس المعتاد أن السرقة تؤدي إلى القتل بكل صوره، وإلى ترويع الآمنين، وإلى هتك حرمات البيوت، وإلى تدمير كل من يقف في طريق السارق، ويمحو أثر جريمته، أو يكشف سرّه..؟

أيها البروفيسور تصور هذا المجرم المحترف قد قبض عليه فعلياً هنا، وقبض على مبتدئ في السرقة من هنا وآخر من هناك وقبض آخر مثله، وقبض على مجاميع من هنا وهناك.. ووضعوا في سجن واحد، ماذا يمكن أن يدور بين هؤلاء من أحاديث في ذلك التجمع في ليالي السجون وأقبيتها!

أي خبرات سيتبادلونها؟

أي إنتاجية بعد ذلك تنتظر نفوساً هي في أصلها مجرمة، وقد مارست الجريمة، ثم هي تكتشف خبرات جديدة في هذا الموقع..؟

ثم كم سيكلف السجين المجتمع من تكاليف طعام وشَراب وتدريب ودواء وما إلى ذلك..!

وكلما زادت خطورة جريمته زادت تكاليفه في السجن..!

ثم أي ثقة بعد إطلاق سراحه بانتفاء عودته أشرس مما كان وأخفى وأخبث..؟!

وبعد كل هذا نتساءل: من الضحية نتيجة هذا

العلاج.. أو هذا العقاب بالسجن..؟!

أليس هو المجتمع الذي يدفع من دمه وإنتاجه نفقات لا طائل من ورائها لعلاج فاشل.. والحقيقة ليس هو علاجاً فاشلًا، بل هو تأهيل للإجرام على مستوى عالٍ! وهو التأهيل على السرقة بالتخصص.

دعني الآن أثبت لك بلغة الأرقام ما قلته لك آنفاً.

[نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية (CNN) لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، تبلغ نسبة «المساجين» أكثر من شخص بين كل ١٠٠ من الأمريكيين، تبعاً لتقرير يوثق ترتيب أمريكا بوصفها الدولة التي تضم أكبر نسبة «مساجين» في العالم، الأمر الذي يدفعها إلى تخفيض كلفة «إعادة التأهيل» عبر وضع عدد أقل من المخالفين بتهم خفيفة خلف القضبان.

وباستخدام بيانات الولايات الأمريكية

الخمسين، يقول التقرير إن (٢٣١٩٢٥٨) أمريكياً كانوا في السجن في بداية ٢٠٠٨، أي شخص من كل (٩٩,١) بالغاً، وبالتالي فإن هذه النسبة تبقى الأكثر من أي نسبة في أي دولة أخرى.

وقال التقرير، الذي أصدره مركز «بيو» للولايات، إن الخمسين ولاية أنفقت أكثر من (٤٩) مليار دولار على «إعادة التأهيل» العام الماضي، بعد أن كانت أقل من ١١ مليار دولار قبل عشرين سنة.

وتبعاً للتقرير، فقد ازداد عدد السجناء العام الماضي في (٣٦) ولاية على الأقل، وفقاً للأسوشيتد برس.

وسجلت ولاية كينتاكي أكبر زيادة في أعداد المساجين، حيث بلغت نسبة الزيادة ١٢٪، في حين قال حاكم الولاية، ستيف بيشير، إن نسبة الجريمة في الولاية ازدادت فقط بنسبة ٣ ٪ خلال الثلاثين سنة الأخيرة.

وبحسب التقرير، فإن متوسط التكلفة السنوية للسجين هي(٢٣٨٧٦) دولاراً، وتعتبر رود آيلاند الأكثر إنفاقاً على السجين الواحد حيث يصل المتوسط إلى ٤٤٨٦٠ دولاراً، وبينما كانت لويزيانا الأقل إنفاقاً بمتوسط بلغ ١٣٠٠٩ دولاراً.

وبلغ إنفاق كاليفورنيا، التي تعاني من نقص في الميزانية يعادل ١٦ مليار دولار، على إعادة التأهيل العام الماضي: ٨,٨ مليار دولار، بينما كانت تكساس، التي تحتوي على عدد أكبر قليلًا من السجناء، في المرتبة الثانية بإنفاقها ٣,٣ مليار دولار.

وفي المتوسط، تنفق الولايات المتحدة حوالي ٦,٨ في المائة من تمويلها العام على «إعادة التأهيل»، وسجلت أوريغون أعلى نسبة إنفاق وبلغت ١٠,٩ في المائة، في حين كانت الأباما الأقل بنسبة ٢,٦ في المائة.

وتبعاً للتقرير فإن أربع ولايات - فيرمونت

وميتشيغان وأوريغون وكونيتيكيت - تنفق على «إعادة التأهيل» الآن أكثر مما تنفقه على التعليم العالي.

وبحسب الأرقام الوطنية لنزلاء السجون المختلفة منذ الأول من كانون الثاني/ يناير، فإن نزلاء سجون الولايات والسجون الفيدرالية يقدرون بنحو ١٥٩٦١٢٧ نزيلًا، إضافة إلى ٧٢٣١٣١ نزيلًا في السجون المحلية، وذلك من إجمالي عدد سكان الولايات المتحدة البالغ ٢٣٠ مليون نسمة.

وأشار التقرير إلى أن نزلاء السجون في الولايات المتحدة يفوق أي دولة أخرى، متقدمة بأشواط على الصين التي يوجد فيها ١,٥ مليون شخصاً في السجن.

وأوضح أن الولايات المتحدة متقدمة في النسبة أيضاً، حيث تصل إلى ٧٥٠ من بين ١٠٠ ألف، متفوقة بذلك على روسيا ٦٢٨ لكل ١٠٠

ألف، ودول سوفيتية سابقة تشكل العشر الأوائل.

أما عن الفئات، فأشار التقرير إلى أنه بينما يوجد واحد من كل ٣٠ نزيلًا بعمر ٢٠ إلى ٣٤ سنة خلف القضبان.

كذلك كان الاختلاف العِرْقي للنساء بارزاً، إذ بينما توجد نزيلة واحدة من كل ٣٥٥ امرأة بيضاء بين عمر ٣٥ و٣٩ سنة خلف القضبان، ثمة امرأة واحدة من كل ١٠٠ سوداء في الفئة العمرية ذاتها[١].

**بروفيسور سيناو**: أبا حامد أنت لم تُجب على السؤال، لقد أظهرت ما في السجن من فشل لعلاج السرقة، لكن هل هذا يبرر القسوة في العقاب الإسلامي؟ هل هذا يبرر قطع يد حية متحركة لأجل السرقة، كان يمكن تلافيها بأي عقاب آخر..؟!

---

(١) http://arabic.cnn.com/2008/entertainment / 2 / 29 / us.prisoners /index.html.

أبو حامد: يكفيني أن تعترف بأن السرقة جريمة... أليس كذلك..؟!

ويكفيني أن تعترف بأن موضع هذه الجريمة هي الجارحة التي تنفذ السرقة عادة وهي «اليد»..؟

ويكفيني أن تعترف بأن «اليد» السارقة هذه تعدت حدودها إلى حدود ملكية ما يقع تحت «أيدي الآخرين».

أيها البروفيسور: أمهلني حتى أوضح لك الأمر بمثال: عندك أيْدٍ كثيرة تعبت وأنتجت وملكت، وأصبحت تحت ملكيتها أموال... فتسللت يدٌ خارجية فامتدت متجاوزة حدود أملاكها لتتناول ما تحت ملكية تلك الأيدي..! حاول الجميع إرجاعها، إرهابها، لم ترتدع.. أصرت على أن تمتد، وفعلًا امتدت وأخذت..!

فماذا تتصور العقاب المناسب لها..؟!

تصوروا لو كانت شجرة في بيتك وامتدت أغصانها إلى بيت جيرانك، ولم تستطع أن تمنع

نموها على جارك إلا بالقطع، ألا يلزمك دفع أذاها عن الجيران بالقطع..؟!

هكذا هو شأن الحياة كلها نحو من يمتد أكثر عن حدوده.. حتى أجزاء الإنسان الواحد، فلو خرج سن من أسنانك عن حدّه ولم تستطع تقويمه، لا يكون علاجهُ إلا قلعه، وهكذا لو خرج أصبع ولم تستطع التخفيف من أذاه وردَّه، لكان استئصاله هو العلاج.

وهنا أودُّ أن تتأمل العقوبة الشرعية الإسلامية ثم بعدها احكم بما يُمليه عليك ضميرك وإنصافك حتى لو لم تصارحني بحكمك، فالمهم عندي هو ما في داخلك.

أيها الأستاذ: لقد جاءت هذه العقوبة في الشريعة الإسلامية رادعة لذاك السارق طوال حياته، فلا يفكر بالعودة ثانية، وكلما جاءته فكرة العودة نظر في يده الآثمة التي قُطِعت فارتدع.

ثم إن السارق عادة ما يفكر بذهاب جزءٍ من بدنه

مع إلزامه بإرجاع المسروقات، ويفكر بالعاقبة قبل الإقدام على عمله، فيقارن ما بين كسب مال الآخرين وذهاب جزء من بدنه مع إرجاع أموال الآخرين.. ولا يوجد عاقل في الدنيا يفضل ذهاب نفسه أو جزء من بدنه ليكسب مالاً للحظة، يرجع بلا مال ولا يد..!

ثم إن الدافع للسرقة هو الثراء من أموال الناس ووسيلة التكسب عادة هي اليد، فكان قطع اليد من باب الجزاء من جنس العمل، ومن باب: «من استعجل بشيء شيئاً قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه».

فالشرع لم يمنعك من الثراء بل منعك من العدوان لأجل الثراء.. والنتيجة الطبيعية لمن عنده هذه الرغبة القوية في الثراء أن يصرف النظر عن مدّ يده لأموال الآخرين إلى تفجير فِكْرِهِ بإبداعات جديدة ومشروعة نحو الثراء، لأن الطريق الآخر بالغ الخطورة عظيم التكاليف..!

أليس في هذا علاج اجتماعي وقائي قبل وقوع السرقة.

ثم إن السارق عادة ما يسرق متخفياً عن أعين الناس، مستغلًا جهلهم به، وسوف يتبع نفس الطريقة إن خرج من سجنه ولكن مع أناس آخرين لا يعرفونه، فكان قطع اليد علامة كافية ظاهرة كاشفة له أمام الناس الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه.

أليس في هذا وقاية للمجتمع من الوقوع في حيل السراق..؟!

كما أن بقطع يد السارق قطعاً لوساوس كل نفس ضعيفة - في المجتمع - دار الحديث في داخلها لو أنها سرقت، فمن تُحدِّثه نفسه بالسرقة يتلمس يده ألف مرة ويتحسسها قبل أن يفقدها..!

أليس في هذا علاج للنفوس الضعيفة..؟!

وأخيراً أيها البروفيسور: فإن الناس بين واحد

من اثنين: فمن لا يريد أن يسرق فإنه لا يخاف على يده أن تقطع، ومن أراد أن يسرق فقد أقدم على بيّنةٍ وإصرار.

وليتحمل تبعة فِعْلته أمام الناس وأمام أولاده وأهله.

ومن ثم فإنها أحسن وسيلة لإصلاح السارق نفسه بعد ذلك.

بروفيسور سيناو: تقول لي فيها علاج للسارق..! أين العلاج وأنتم دمرتم حياته..؟! كيف وقد عوَّقتُموه..؟! كيف وقد جعلتموه مُثلة أمام الناس إلى أن يموت..؟! كيف يمكن أن يزيل هذا المنظر المخزي عن نفسه بعد هذه العقوبة..؟!

أبو حامد: إن القصور في التشريع البشري محيط به من كل جهاته، ومن القصور هنا أن ينظر المشرع متعاطفاً مع المجرم، ومع يد المجرم، ولا يتعاطف مع النساء والأطفال

والآمنين في البيوت الذين روَّعهم.

ويتعاطف مع رجل سارق مخيف ولا يتعاطف مع المجتمع الخائف المهدد.. فهل هذا هو التوازن المناسب..؟!

ويتعاطف مع آحادٍ في بحر الملايين ولا يتعاطف مع الملايين الطاهرة؟

لو كنت في سفينة سياحية كبيرة وكان معك كلبك الوفي الذي لا تستطيع فراقه أبداً.. لكنه وبعد أيام من الرحلة استوحش من البحر واستوحش من الناس... فأخذ يعتدي على ممتلكات الناس، أصبح يعتدي على الناس! أصبح مسعوراً! حاولتم العلاج بكل طريق فلم تتمكنوا... فهل الكلب يترك حتى يقضي على الناس أم يُقضى عليه هو..؟!

**البروفيسور سيناو**: بل يُقضى عليه هو.

**أبو حامد**: فالشريعة الإسلامية ما أمرت بالقضاء على السارق وقتله.. ولكنها أمرت بقطع يده

فحسب، وقطع يده من منطقة الرسغ؟!

فهل ترى الشريعة أمرتْ بتقطيع أطرافه جميعاً؟ أم أنها أمرت بقطع عضو بريء..؟

أيها البروفيسور: نعم، إنك قطعت يداً واحدة لكنك في المقابل حميت كسب الأيادي النظيفة الأخرى، حميت مجتمعاً وحميت الممتلكات! وحميت الإنتاج، وأشاعت الأمان.. وزادت الإنتاج إذ الأمان هو رأس مال الإنتاج، أرجوك تصور السرقة على مستوى العصابات المحترفة والعصابات المتنامية وكيف سَيَمْنع هذا الحد الحازم من تناميها.

ثم كيف تقول إنك عوَّقته، ودمرت حياته، وجعلته مُثلة!

أرجوك انظر للنسبة المئوية للمعوقين من حوادث السرقة ثم احكم..!

أخشى أنك سوف تقول: إن هذه العقوبة قليلة في حقه..!

انظر للذكرى التي سوف يحملها الصغير

المروع بسارق وسط الظلام حتى يكبر. . !

انظر للرعب الذي يصيب الصغار كلما استيقظوا في الليل وسط الظلام. . !

انظر إلى آثار السارق العضوية وآثاره المادية ثم احكم بما تشاء. . !

فلماذا التعاطف والتستر مع مَنْ لا يزيده التعاطف إلا قسوة وإجراماً وجشعاً. . ؟

أرجوك أجبني: هل من الحكمة عدم قطع القدم والتعاطف معها إذا انتشر فيها السرطان بحجة أن في قطعها تشويه لهذه الرِّجْل إلى آخر حياة صاحبها وما إلى ذلك. . . أم الحكمة إنقاذ البدن كله بقطع هذا العضو قبل أن يسري ضرره إلى الأجزاء الأخرى. . . ؟!

أيها البروفيسور: إنك لو حاولت الدخول إلى نفسية السارق وأصغيت لحديثها مِنْ داخلها، بعدما قطعت يده لسمعت اعترافها باستحقاقها هذا العقاب، وسمعت ندمها على فِعْلَتِهَا، وبكاءها

على ذهاب يدها، وهي كلما نظرت إلى موقع الكف والأصابع فلم تره بكت على خطيئتها، وقالت: لكنكِ في النهاية تستحقين هذا العقاب العادل لأنك أنت المعتدية، وأما أنت أيتها الأعضاء الأخرى فاحترسي لكيلا يكون مصيرك مصير تلك اليد الذاهبة إلى غير عودة.

ولسمعتها تخاطب ربها وتقول: سبحان من حكم وعدل كيف شرع هذه العقوبة المناسبة..؟!

ولسمعتها تحمد اللَّه وتقول: الحمد للَّه الذي عاقبني في الدنيا وأنا أرجوه ألا يعذبني في الآخرة.. وتقول: إذا كان هذا هو الخزي والإهانة بين أناسٍ محدودين في الدنيا فما بالك بالخزي العظيم في الآخرة أمام الأولين والآخرين..؟!

وتقول: عهداً للَّه أن لا أرجع لمثلها أبداً.. وتعاهد على أن تُحسِّن صورتها مع الخلق لتمحو صورتها السوداء الأولى.

يا أبنائي قد أخطأت فلا تقتدوا بي في

خطيئتي، ولعلها لو لم تقطع يدي لَغَرَّكُم فِعْلِي وسرتم ورائي معتبرين النجاح في السرقة بطولة.

تصور أيها البروفسور: إن سر قبول هذا العلاج هو أن المؤمن يعتقد أن الله خالقه وأن بدنه بنيان الله ومن حقه أن يحكم في بنيانه بما يشاء، ثم من ملك شيئاً من حقه أن يسترجعه متى شاء فكيف إذا حكم في ملكه بعد عدوان وظلم؟! هو لم يقتل السارق ولم يتركه، إنما هو العقاب الوسط.

فحين أقيمت الحدود الشرعية العقابية فإنه لم تحدث إلا حالة سرقة واحدة فقط طوال حياة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - من قبل امرأة من قبيلة من أشهر القبائل العربية وأعلاها مكانة، إنها قبيلة مخزوم، فاسمع لهذا الحديث.

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن قريشاً أهمتهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: مَنْ يكلِّم فيها رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - ثم قالوا: مَنْ يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول اللَّه -

عليه الصلاة والسلام -، فكلمه أسامة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «يا أسامة أتشفع في حد من حدود اللَّه؟» ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم اللَّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١).

فهذه المرأة تعلم أنه عقاب اللَّه وليس عقاب بشر، وبعد هذا فعليها أن تتوب إلى اللَّه وترضيه.. ومن ثم فليس أمامها إلا إصلاح نفسها حتى تنجو من عذاب اللَّه في الآخرة.. فهذا هو العقاب الرادع والعلاج الجامع للحكمة من أطرافها، والذي به تصلح الحياة، واللَّه تعالى يقول في كلمة جامعة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

بروفيسور سيناو: بصراحة ليس لدي أي اعتراض على ما ذكرت بعد إجابتك النظرية

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

التفصيلية هذه . . لكن هذا الذي ذكرته يسقط من الناحية العملية إذ يوقعنا في قطع أيادٍ كثيرة. . . حيث إن كل من تثبت عليه السرقة قطعت يده حتى لو كان ما سرقه بمقدار يورو واحدٍ.

ترى: كم من الأيادي سوف تقطع في مجتمعاتنا، وقد أظهرت أنت بنفسك نسب السرقات.

**أبو حامد:** خذ قاعدة في التشريع الإسلامي: «إن الإسلام لم يُقِمْ أي عقوبة من العقوبات إلا بعدما يغلق الأبواب الموصلة لهذه المخالفات».

والشريعة الإسلامية منعت الجريمة قبل حدوثها، فهي لا تفتح أبواب الزنا وتعاقب عليه، ولا تشيع الخمور وتقيم الحد على شاربها، ولا تفتح أبواب السرقة ثم تقطع أيدي السُّرَّاق، لا، بل تغلق الأبواب كلها ثم ترغب وترهب وتبشر وتنذر وبعد كل هذا تقيم الحد، بعد تطبيق قاعدة ثانية مهمة تقول: «إن الحدود تُدْرأ بالشبهات».

وسوف أضرب لك مثالًا في عهدٍ كان من أكثر العهود الإسلامية قوة وصرامة في تطبيق الحدود، ذلك هو عهد عمر بن الخطاب، الرجل الثاني للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - كما مر معنا ذكره من قبل.

إذ حدثت مجاعة في عهد عمر بن الخطاب فلم تمطر السماء فترة طويلة، ولم ينبت الزرع، ونفقت البهائم، وأصاب الناس قحط شديد، وفقر قاتل في المدينة حتى سُمِّي ذلك العام: «عام الرمادة»... فرفع عمر حدّ السرقة ولم يقمه رغم حدوث عدة سرقات، وذلك بشرط أن يأخذ المحتاج ما يكفيه.

فهذا أوضح مثال على أن الإسلام لا يطبق الحد ما دامت ثمة شبهات قائمة، أو ضرورة ماسَّة.

**هذا أولًا، أما ثانياً:** فليس كل سرقة يقام على صاحبها الحد إلا أن تبلغ السرقة ربع دينار ذهبي،

أي ما فوق عشرين يورو، والإسلام حين ربط بالذهب ولم يربط بالعملات لأن الذهب كان وبقي وسيبقى رصيد كل عملة.

**أما ثالثاً**: فلا يقام الحد على طفل سارق، فلا بُدَّ أن يكون حال سرقته بالغاً عاقلًا.

ومن الشروط أن لا يسرق وهو مضطر للسرقة أو محتاج لها كما مر معنا في قصة عمر وعام الرمادة أليست هذه الشروط كلها منطقية توافق العقل.

عقوبة الردة

**بروفيسور سيناو**: أنا أريد أن أعود لقسوة نظام العقوبات في الإسلام ثانية وإذا كان هذا الذي سمعناه من قبل هو قولك عن السرقة فماذا تقول عن عقوبة الردة..؟!

إنها القتل! تصوروا يا أساتذة أن أبا حامد الذي يقول لنا دائماً إن الدين الإسلامي هو دين العقل، ويتحدى ويقول: هاتوا أي شيء في الدين تظنون أنه يخالف العقل وسوف أثبت لكم بالعقل أنه يوافق العقل..! إذن يا أبا حامد أثبت لنا

صحة عقوبة الردة بالعقل..!

أنتم تقولون إن دخول الإنسان في الإسلام ينبغي أن يكون بالعقل فكيف إذا خرج من الإسلام بعقله استحق عقوبة القتل...؟!

هل ترضون المعاملة بالمثل؟!

هل ترضون أن نتعامل نحن معكم بهذه الطريقة، فمن دخل منكم في ديننا تركناه وإذا أراد أن يخرج قتلناه..؟!

أبو حامد: أنا أشكرك أيضاً على إثارة هذه النقطة الحسَّاسة كي نُجَلِّيها جيداً، فأنا أظن أنها آخر ما في جُعْبتكم من إشكالات على الدين الإسلامي، وإننا إن أجبنا عليها فلن يبق بين أيديكم أي شيء تحتمون به، أو أي حصن تلجؤون إليه، ولذلك فإني وبصراحة أقول: يجب بعدها أن تقرر أيها البروفيسور الكبير، نعم، يجب أن تقرر قرارك الأخير..!

وجوابي عن هذا الاعتراض أولًا: لقد اعترفتَ بنفسك أن الإسلام لا يُكرِه أحداً على الدخول

فيه، إنما يخيرهم بين بالدخول أو عدمه . . يعرض عليهم الإسلام عرضاً، فإن اقتنعوا به عقلياً دخلوا وإلا فلا إلزام، ودليل هذا في القرآن نفسه، وفي سورة البقرة تحديداً في قول اللّه تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أتدري أيها البرفيسور ما المناسبة التي كانت سبباً في نزول هذه الآية، لن تجد مثل هذه الحرية في الاختيار، فقد كان بعض نساء أهل المدينة قبل الإسلام لا يلدن، فكانت المرأة تنذر أنها إن جاءها ولدٌ جعلته يهودياً، وفعلًا جاء الأولاد لبعضهن، ثم دخل أهل المدينة الإسلام، وخانت قرية من قرى اليهود، وطردهم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - رفض أهل المدينة المسلمون ترك أولادهم الخروج مع اليهود فنهاهم اللَّه عن أخذ أولادهم ليلزموهم الدخول إلى الإسلام وقال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ونص الحديث كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً - وهي التي لا يعيش لها ولد - فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أنْ تُهوِّده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل اللّه عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾(١).

أيها البرفيسور: وهذا الذي عُرِض عليه الإسلام يعلم أنه إن أحب أن يعيش محتفظاً بدينه فلن يكرهه أحد على الإسلام، لكنه إن اختار الدخول في الإسلام فقد اختار بعقله، وعليه أن يعلم ابتداءً أنه لن يستطيع تغييره، هذا هو الشرط المقدم، فهل من حق الإسلام أن يشترط هذا الشرط قبل الدخول فيه..؟!

وهل من حق المعترض أن يعترض بعد ذلك

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، وصححه الألباني.

إذا هو أخلّ بالشرط علماً بأنه حين وافق على الدخول كان ذلك بعلمه وهو بكامل أهليته..؟!

إن الردة تعتبر نقضاً لعهود كثيرة، وتَخلياً عن التزامات كثيرة منها التزامات معنوية ومنها التزامات مادية.. كما أن فيها إعلان المحاربة.

فالرجل بدخول الإسلام وافق على أداء زكاة ماله، والتي قدرها ٢,٥٪ من أمواله السنوية.. ووافق على التكافل مع المجتمع المسلم في كل ما يصيبه، ووافق على أداء خَمْس فرائض وهي الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، بالإضافة لعقيدة التوحيد وتكاليفها.. ووافق على الجهاد والدفاع عن الإسلام إن تعرَّض لخطر، وعليه فإنَّه يكون بردته قد نَقَضَ كل هذه العقود، ونقض عهد الأمانة، والوفاء، وما إلى ذلك من عهود أخلاقية،.. فهو ليس عهداً ولا عهدين، بل هي حزمة من العهود الكبيرة التي تشمل جميع جوانب الحياة بما فيها عهد الدفاع، ليس هذا فحسب بل إن الردة إعلان حرب

على الإسلام وأهله . . أتدري لماذا . . ؟!

لأنه كان يسعه أن يبقى غير مسلم، مستوراً غير معلن ردته، فأبى إلا إعلان الردة.

إذن فقضيته لم تكن قضية قناعة إنما هي إعلان ومحاربة.

أما أنتم - أيها البرفيسور - فإن من حقكم أن تفتحوا الباب لمن أراد الخروج من دينكم لعدم وجود أي تبعات يترتب على الخارج منه، لأنه في الأساس لم يكن ثمة أي التزام، بل هي الحرية الكاملة في الالتزام أو التحلل، فكأن وجوده وعدمه سواء من حيث حياة الفرد والمجتمع.

أو أنك لو فكرت بطريقة أخرى في حد الردة لقلت: بما أن الإسلام لم يلزم النصراني أن يغير دينه، وأنه أعطاه الحرية المطلقة في البقاء على دينه الأول، وأنه قد حفظ له جميع حقوقه كالمسلم حتى لو لم يُسلم، وربما بتكاليف أقل مادام باقياً على دينه . . فالمسلم كما مر معنا يدفع

الزكاة ٢,٥ ٪ من أمواله كل عام، ويلزم بدفع تكاليف ربما تطلبها منهم الدولة المسلمة، ويدفع أكثر من ذلك، ويتحمل كذلك تكاليف عبادية إلزامية أخرى كالصلاة وغيرها، بينما أنت باق على دينك ليس عليك أي شيء من هذا. . . اللَّهم إلا ما تدفعه من عقد جزية فقط، وهي مبلغ جد صغير، ثم إنه على المستطيع منكم فقط، ومن لا يستطع لا تجب عليه، وعلى أصحاب المهن فقط، ومن عجز وافتقر منهم أُعطي من الدولة المسلمة من «بيت مال المسلمين». . فإذا كان هذا لك وأنت على غير الإسلام، ثم تختار بمحض إرادتك وكامل قواك العقلية دين الإسلام على دينك، وبعد كل هذا تترك دين الإسلام إلى دينك أو دين آخر، ألا يثور التساؤل: ما الذي جعلك تغير دينك هذه المرة. . فأنت لا شك مخطئ في إحدى المرتين، إما المرة الأولى وإما المرة الثانية. . وبما أن عليك شرطاً إذن يجب

عليك أن تتحمل تبعات التغيير!

إن هذا يدفعنا إلى القول الجاد بأن الإسلام لو أراد قتله لقتله وهو على دينه، ولو أراد خديعته ما أعطاه الحرية كاملة في الدخول أوعدمه، أو أعطاه الحرية ثم قتله.

ولو أراد التضييق عليه لضيق عليه قبل أن يدخل الإسلام حتى يلجئه إلجاءً للدخول فيه..؟!

إن ذلك يدفعنا قطعاً إلى القول: لقد أنصفه الإسلام حين أعطاه الوقت المفتوح، وأعطاه الحرية المفتوحة في الدخول وعدمه، وأَخَذه بالجدية حين طالبه بعدم الإخلال.

**ثانياً**: لو اشترطتْ دولة من الدول على الداخلين إليها، الطالبين منها حق حمل جنسيتها شروطاً معينة قبل أن يدخل البلد، فوافق الداخل ووقع، ثم طلب ذاك الرجل أن يدخل في السلك العسكري لهذا البلد، فوافقت السلطات بناءً على

إمضائه توقيعات على شروط محددة، ثم طلب أن يعمل في المعمل الذري للبلد، فوافقت السلطات على تعيينه في مقابل إمضائه على شروط معينة من ضمنها أنه إن ذهب يعمل في أي بلد آخر في نفس التخصص فإنه يقتل لأنه ربما كشف أسرار البلد، ولأنه ربما نسف جهود الآخرين، وربما شجع العاملين في المصنع على الخروج منه، وذلك يضر بمصلحة كل فرد في الدولة ولا يضر بمصلحة الفرد المنسحب فقط، أو مصلحة المصنع، أو القوة العسكرية. . . افرض أن هذا بلدك، وهذا مصنع بلدك ألا تؤيد هذا الاشتراط على الراغب في العمل في المصنع الذري لبلدك، ثم ماذا تقول لو أن: حكومة بلدك لم تطالب هذا الفرد بالوفاء بالشروط ولم تحزم في تطبيقه أفلا تعدها حكومة خائنة، وهل لها الحق في البقاء بعد تعريضها مصلحة كل فرد في الدولة للخطر، كما عرضت الدولة بِرُمَّتِها للزوال والاحتلال. . ! وهل للدولة الحق بعد ذلك بمنع غيره من

الخروج إذ أراد أن يخرج، أو أراد كثيرون أن يخرجوا... نعم هو فرد واحد لكنه مؤذن بزوال القوة والأمة والدين.

أيها البروفيسور: إن الإنسان يمكن أن يغير شركته، أو وظيفته، أو بيته أو ملابسه، أو دولته، ولا أحد يعترض عليه، لماذا؟ لأن هذه أمور ظاهرية وإن شئت أسميتها تغيير قشور، وتغيير القشور أمر طبيعي لا أحد يؤاخذ عليه حتى في الحيوانات، فالحية تغير جلدها، والطير يغير ريشه، والأشجار تغير أوراقها وهكذا.

أما تغيير المعتقد فهو تغيير الباطن، وتغيير روح الشخصية وَلُبِّها، إنه تغيير الحقيقة! وهذا لو حصل فعلًا لكان حكمه القتل حتى عند الحيوانات! فلو تغيرت الأفعى فرضاً إلى سحلية ودخلت جحرها الأول لأكلتها الأفاعي، وهكذا الطير وغيره.. بل إن تغيير الدين أصعب من تغيير الشخصية، إنه تغيير الرب! فهل تغيير الرب شيء عادي..؟!

**ثالثاً**: من قال لك إن هذا الرجل استخدم عقله في الخروج من الإسلام كما استخدمه في الدخول فيه.

إنه حين أراد الدخول أُعطي الحرية الكاملة والوقت الكافي أليس كذلك..؟!

إذن فهو عاقل بكامل قواه العقلية.. فما الذي تغير بعد ذلك..؟!

لم يتغير شيء إنما الذي تغير هو أنه انكشف على حقيقته التي دخل فيها الإسلام، حيث إنه لم يدخل إلا للإضرار والتجسس.

وهو حين اختار الإسلام اختاره بنفسه وربما استشار أهله وصحبه من بني دينه... فهو إذن تفكير جماعي سواءً عارضوه أم وافقوه، لكنه في النهاية اختار من المشورة ما يشاء وقرر.

فالأمر حين عاد من الإسلام إلى دين آخر كان عن قصد الإضرار، ودليل الإضرار أنه لا يُقْتل إلا إذا أعلن ردّته أما لو أخفى تغير قناعته في نفسه

لما قُتِلَ، حتى وإن سُمِّي في الإسلام منافقاً لأن الأصل مؤاخذة الناس في الإسلام بالظاهر لا بالباطن.

ومع كل هذا يجب أن تعرف حقيقةً مهمة وهي أنه قبل أن يقتل يعرض عليه الإسلام ويناقش ويحاور ويذكر حتى يقتنع عقلياً ولا يبق له أيّ حجة عقلية، ويترك يفكر في الأمر.. نعم إلى هذا الحد! فهل بقيت لهذا المرتد من حجة.

بروفيسور سيناو: هل ترضون أن نتعامل مع مَنْ غيَّر دينه من النصرانية إلى الإسلام بالقتل مثلما تتعاملون أنتم مع مَنْ يُغيِّر دينه من الإسلام إلى النصرانية؟!

ألستم تقولون ديننا دين العقل والإنصاف، فأين العقل وأين الإنصاف في هذا يا أبا حامد؟!

أبو حامد: أيها البروفيسور: إن الإسلام حين يقتل من يرتد عن الإسلام إنما يدافع عن النصرانية وعن اليهودية كما يدافع عن الإسلام،

هل تتصور هذا..؟

ذلك أن هذا الرجل لما كان مسلماً كان مؤمناً بالنصرانية الحقّة التي جاء بها عيسى، وباليهودية الحقّة التي جاء بها موسى ومؤمناً بأنبياء بني إسرائيل، كما هو مؤمنٌ بمحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وهو مؤمن بموسى كما هو مؤمن بعيسى كما هو مؤمن بمحمد، لكنه حين ارتد عن الإسلام كفر بكل هذه الرسالات وكفر بالرسل وكفر بالمرسلين، **أفلا تستحق هذه الديانات السماوية الصحيحة الدفاع عنها من أمثال هؤلاء..؟**

وافرض أنه عاد للنصرانية، فهل دينكم الذي انتقل إليه يأمره بالإيمان بجميع الرسالات والرسل كما يأمره بالايمان بعيسى..؟! **الجواب قطعاً: لا**. هذا أولًا.

**أما ثانياً:** فأنتم ليس عندكم هذا الاشتراط حتى تطلبوا عقابه.. فلستم تشترطون على الداخل أن

لا يغيِّر دينه، ولا تشترطون على النصراني أنه إن غيَّر دينه سيقتل.. فما دَخْلُنا نحن إذا كنتم لا تشترطون هذا الشرط..؟!

ثم بأي حق تشترطون إذا كان دينكم الآن محرفاً ومبدلًا، والاختلاف في داخله كثير وفي كل شيء.. فمثلًا عندنا مَنْ غيَّر حرفاً في القرآن ارتد عن الإسلام فماذا تقولون أنتم، وهذه التوراة والإنجيل وأكثرها محرَّف.. بحيث لا توجد طبعة إنجيل مطابقة لطبعة أخرى، ولغة مطابقة للغة أخرى وهكذا فاختلافهم في المصادر نفسها فضلًا عن الفروع.. فعلى أي اعتبار تكون الردة..؟! وبأي حق تقتلونه..؟!

ولو فتحتم هذا الباب لَقَتلَ بعض النصارى بعضاً، وأهل كل طبعة للإنجيل أهل الطبعة الأخرى. لأن الإنجيل مختلف من طبعة لأخرى ومن ترجمة لأخرى وهكذا.

ثم إذا كان دينكم لا يوفر للفرد أية قناعة عقلية

في الأساس، فكيف تقتلونه إذا غيَّر قناعته العقلية..؟!

وإذا كان دينكم لا يُجيب على أعظم الأسئلة إجابةً صحيحةً مقنعةً كالغيب، وما وراء العالم، والموت والقبر والآخرة والرسل، فبأي حق تقتلونه إذا غيّر دينه..؟!

قل لي بصراحة أيها البروفيسور: هل يحق لك أن تساوي بين موظف في مصنعٍ فاشل، وبين موظف في المصنع الذري للبلد وهو في قمة النجاح..؟! وهل على موظف المصنع الفاشل إن رأى حقوقه ضائعة وأن المصنع لم يعد قادراً على سداد المرتبات والديون التي عليه، من حرج إذا ما قدم استقالته أو قرر الخروج منه؟

أيؤاخذ هذا إذا غيّر مصنعه لعدم الوفاء والمصنع هو السبب..؟! وهل يقارن بين هذا وبين موظف في مصنع الذرة حيث حقوقه محفوظة، ومكافآته وفيرة، والمصنع ملتزم على

أحسن وجه إذا ما قرر هذا الموظف الخروج من المصنع، هل يستوي هذا الموظف مع ذاك..؟!

أيحق لذلك أن يخرج كما يحق لهذا..؟!

إن هذا الاشتراط في دخول الإسلام وهذه العقوبة في الخروج منه إن دلت على شيء فإنما تدل على تعظيم هذا الدين، وتعظيم العقل كذلك، وتعظيم الالتزام والقرار، وأنتم حين أجزتم الدخول والخروج لأنفسكم فإنه عائد لهوان دينكم عليكم، وهوان العقل، وهوان القرار..!

وأن الدين عندكم أهون من أصغر شركة وأهون من أصغر موظف وأصغر خادم في البيت، إذ خادمكم في البيت لا تتركونه بتركه عمله متى شاء وكيف شاء وبدون تكاليف وتبعات..!

فهل تريدون أن نتعامل مع ديننا كما تتعاملون مع دينكم..؟

وهل تريدون أن نتعامل مع ربنا أقل مما

تتعاملون مع خَدَمِكُم؟

فخادمك لو أنك وفرت له كل متطلباته وأعطيته كامل حقوقه، ثم غدر بك وخرج من البيت، ثم تمكنت منه، ألا تطالبه بما وقع عليه من حقوق..؟! هذا وهو خادم، فكيف باللّٰه العظيم وهو ربنا وربكم جل وعلا؟

وإذا كان عندكم قوام الحياة (المادة)، بل تجعلونها الرب الحقيقي، فمن يعتدي على (المادة) أو النظام تُوصلون العقوبة عليه إلى الإعدام، كالخيانة العسكرية وغيرها، فما الضرر إذا كنا نتعامل نحن مع ربنا بهذا المستوى وأكثر ونجعل ديننا هو عماد الحياة؟!

ما ذنبنا إذا لم تجعلوا لدينكم أيَّ قيمة عندكم، ما ذنبنا إذا كنتم لا تلتزمون به ولا تأمرون أبناءكم بالتزامه؟!

ما ذنبنا إذا كان دينكم لا يمثل عندكم أكثر من كمالية من كماليات الحياة، فهل يعاقب من ترك

كمالية. . ؟!

ما ذنبنا إذا اكتشفتم بأنفسكم حقيقة دينكم المزور فتركتموه وقدمتم كل شيء عليه؟!

ثالثاً: القضية ترجع للأساس، فهل يمكن أن يُساوى بين دين التثليث مع دين التوحيد. .؟ هل يُساوىٰ بين الكفر بالأنبياء جميعاً مع الإيمان بالأنبياء جميعاً. .؟!

هل يُساوى الإيمان بكتاب حقيقي لم يحرف منه حرف واحد مع كتب محرفة. .؟!

هل يساوى بين الحق والباطل. .؟!

رابعاً: وضع حد القتل للردة يدل على أن لا علاج لهذا المرتد أبداً، ولا صلاح فيه.

أيمكن لمنْ لم يثبت على دينه أن يثبت على مبدإ، إذا كان هذا المرتد قد غير مبدأ المبادئ كلها، أيمكن أن يوفي لأحد أو لبلد إذا كان قد خان اللّه ربه. .؟!

لذلك كان على المعترض أن يسأل عن معنى الردة وحقيقتها قبل أن يعترض على العقوبة.

خامساً: إن الإسلام حينما يقرر هذه العقوبة على المرتد إنما يراعي المرتد قبل غيره، فكم يأخذ الإنسان القضايا الكبيرة مأخذ الهزل، أو لا يعطيها حقها.. فتتلاعب به الأهواء، ويتلاعب بعقله أهل الأهواء، ويغيب عنه الحق كثيراً.. ويمكن أن يدمره تفكيره هذا ويوصله إلى الهلاك المحقق في الدنيا والآخرة، ومن ثم كانت عقوبة القتل هي الحد الفاصل ما بين الجد واللعب، وما بين الحقيقة الكبرى والأهواء والفوضى.

وعليه فليس أمام مَنْ أراد أن يعلن ردته إلا أن يتذكر العقوبة، وعندها ستطير هذه العقوبة كل هزلٍ في نفسه، إذ ليس بعد فقدان الروح شيء يخسره المرء.. فهو أخطر قرار لأخطر قضية ومن ثمّ كان عقابه أخطر عقاب.

سادساً: ربما تتصورون الآن أن المسلمين مثل

الطيور في الأقفاص، وأنهم يودون الخروج من الإسلام في أيِّ لحظة يأمنون فيها من العقاب لولا حد الردة!

وهذا التصور خاطئ.

إن المسلم حين يعيش في إسلامه إنما يعيش حياته بتفاصيلها، فهل ترون أحداً يحب أن يفارق الحياة؟ كيف وهو يرى أن دينه له مثل الماء للسمكة ومثل الهواء للنفس، بل الحقيقة أنه يتلذذ بهذا العيش في هذا الدين، يتلذذ في حياته كما يتلذذ في صلاته، يتلذذ في سوقه بإيمانه كما يتلذذ في مسجده..؟!

يجده ديناً كما يجده حياة سواءً بسواءٍ، يجد أثره وثمرته في برِّ ولده له وحسن تربية أبيه له، يجد ثمرته في خلق زوجته، وتَجِدَه في حسن تعامل زوجها معها، يجده في أخلاقه مع صحبه وأخلاق صَحبه معه، يجده في تعامله المالي، يجده في الإقراض والاقتراض... في كل شيء وشأن من شئون الحياة.

وأسوأ خبر عنده هو أن تخبره خَبَر من رجع عن إسلامه أو ارتد، فكيف يفكر هو أن يرتد عن دينه؟!

ولو كان حد الردة هو سبب بقاء المسلمين على دينهم، فلماذا لا يرتدون في هذه الأيام حيث إن الدول الإسلامية عموماً لا تطبق حد الردة...؟!

* * *

## خاتمة المشاكل

حريٌّ بمن فشل في حل مشاكل منزله وأبنائه أن يصنع الفشل إذا مارس الحل إذ «فاقد الشيء لا يعطيه».

حريٌّ بمن جعل حل المشاكل عنده بتقنينها ورعايتها وحمايتها وتكبيرها ونشرها.. حري به - إن استمر - أن يدمر بلاده وعالمه، ويشنق نفسه وغيره بحلوله..!

مجرد الإعجاب بحلِّ الإسلام المشاكلَ لن ينقلك من موقعك الحالي إلى أحسن منه، ما لم تحل أكبر مشكلة عندك، إنها المشكلة التي في داخلك جذورها وفي حياتك امتدادها وسرها، إنها مشكلة معتقدك! ومن بعدها تتهاوى صروح المشاكل تباعاً.

* * *

# المجلس الثامن وهو الأخير

## بوابة المجلس الثامن

من فاته القرار في كل المجالس، فكأنما لم يحضر أي مجلس من المجالس حتى وإن شهدها جميعاً!

ومن قرر في آخر المجلس الأخير، فكأنما حضر جميع المجالس لأنه صاحب الحصاد الأخير. . !

ومن لم يتخذ قراره في نهاية الأمر، وقد اقتنع عقله بما عُرِض، فكأنما يُفسد طعامه بعدما نضج بمزيد الاحتراق. . !



بعد إجابتي لدعوة القسيس الأكبر «ريتشارد» بالحضور إلى الكنيسة الكبرى في هذه المدينة الكبيرة، مع هؤلاء الأساتذة الكبار، بعدها توجهت بدعوة القسيس الأكبر وهؤلاء العلماء الستة الكبار لزيارتنا في دبي، والاطلاع على

معالمها القديمة والجديدة، والصلاة في مسجدنا.. وها قد جاء اليوم الذي احتفلنا بوصولهم مع بعض الخاصة.

لحظة الإعلان

وفي مشهد حيّ لخطبة الجمعة والصلاة في مسجد المنارة الواقع على البحر في دبي، وقفت بعد السلام من الصلاة أمام المصلين لأعلن لهم رغبة ثلاثة من الرجال الصينيين إعلان دخولهم الإسلام، - فقد أخبرني الأخ داود الصيني من قَبْل باقتناع هؤلاء الثلاثة بالإسلام، بعدما عرض هو عليهم الإسلام، وقرأوا عنه، وحاورهم وحاوروه لمدة تزيد على الشهر - فأخبروه برغبتهم الدخول في الإسلام، وهاهم الآن يقومون من بين صفوف المصلين، قادمين نحوي ليعلنوا دخولهم الإسلام مختارين غير مكرهين، أغنياء غير محتاجين، فأحدهم صاحب شركة مطاعم صينية في دبي، والآخر مهندس للبيوت الجاهزة، والثالث عامل سيراميك، أما ديانتهم

فإن أحدهم كان ملحداً والآخران كانا نصرانيّين!

صافحت الثلاثة واحداً واحداً، ثم وقفوا في جهة واحدة أمام مكبر الصوت في مواجهة الجموع التي ضاق بهم المسجد الأكبر في دبي فسألتهم عبر الأخ المترجم: إن كان «الأخ» داود الصيني قد ترجم لهم أولًا معنى الشهادة: «أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه»؟ فقال: قد فهموا أن معناها: لا معبود بحق إلا اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه وخاتم النبيين.

أبو حامد: إذن قلْ لهم أن يرددوا الشهادتين من بعدي، فرددوا الشهادتين كلمة كلمة أمام الجموع: «أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه، وأشهد أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - عبد اللَّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» ، رددوها وبعدها قام الحضور سريعاً فرحين مسرعين نحوهم يهنئونهم بدخول الإسلام، في طابور طويل ازدحم عليهم

من كل جهة.. وكأنه يوم عيد..!

كل هذا والضيوف السبعة الكبار يشهدون!

ثم انْصَرَفْنا مع صحبيَّ الفرنسيين من المسجد إلى بيتي في منطقة جميرا، الذي لا يبعد عن سيف البحر سوى مائة متر، من مجلس بيتنا حيث نسمع أصوات الأمواج، وزوارق الصيد، والسباقات البحرية، ويلفنا نسيم البحر بلطائفه ونعومته.



شربنا القهوة العربية وأكلنا التمر الطيب أولًا، ثم جلسنا إلى أن تُقدم مائدة الغداء، وكان الموضوع الذي فرض نفسه على الجلسة هو موضوع خطبة الجمعة، وما أعقبها من إسلام هؤلاء الصينيين.

**قال القس الأكبر «ريتشارد»**: الحقيقة التي توصلت إليها اليوم وبعد جميع الحوارات السابقة هي أن الإسلام دين عظيم ينبغي أن نحترمه، ولا يمكننا أن نحترمه ما لم نعرفه من الداخل، نعرفه

بمعرفة أهله، العظمة التي رأيناها اليوم قد تجلَّت في كل شيء.. المصلون كانوا صفوفاً مستقيمة، لم أر أي تمييز لصف دون صف، ولا لواحد دون الآخر، الفقير بجانب الغني، والمسؤول بجانب من هو مسؤول عنه.. دخول المسجد لم يكن بضريبة أو رسوم بل هو مفتوح للجميع!

وحين قرأ الإمام ردد الناس جميعاً وبصوت واحد كلمةً واحدةً إنها كلمة «آمين»، فأعجبني ذلك الجواب أيما إعجاب، لأن عندنا نفس الكلمة وهي «AMEEN» ومعناها: «اللَّهم استجب».

**الأستاذ فيفا**: الذي أثار إعجابي على الأخص اليوم هو عناية النبي محمد بالأسرة والمجتمع، فلقد ترجم لي مُرافقي: الدكتور «أحمد سعدون» خطبة الجمعة التي ألقاها أبو حامد على الناس، كما أعجبني كثيراً في خطبة الجمعة شدة إنصات الناس لها، حتى لكأنَّ على رؤوسهم الطير كما يقول المثل العربي!

الأستاذ شارل فيفا: الحقيقة أن الذي أعجبني شيء لا أستطيع وصفه بلساني، إنه شعور داخلي ممزوج ما بين الرهبة والإجلال من جهة، والطمأنينة والسكينة من جهة أخرى.

حقيقة، لا أستطيع وصفه، لكنني شعرت أنه تخلل كياني وسرى في مجاري أعصابي، ولقد أحسست بشعر جلدي قد اقشعرَّ مراراً كثيرة، وخصوصاً في الصلاة، وعند استماعي للقرآن! ولو سألتني هل فهمت الخطبة لقلت لك: لم أفهم منها جملة واحداً اللَّهم إلا المعنى العام وهو: أن أباحامد كان يتحدث عن بر الأم وحقها علينا..!

قال الدكتور «جيكوب»: ثمة مواقف في هذا اليوم لا يمكن أن أنساها، أعظم هذه المواقف جميعاً السجود الذي ما جربته قبل اليوم في حياتي، لقد شعرت في حال السجود أنني قريب من الرب، قريب قريب.

ومما ساعدني على ذلك أنني درست من قبل بحثاً مترجماً لبعض العلماء المسلمين أهداه لي طالبٌ فرنسي من أصول جزائرية يذكر فيه فوائد السجود، ويذكر فيه معلومات علمية عن السجود على الأرض، فمنها أن فيه تغذية ممتازة للدماغ بالدم، ويكفيك أن تعرف أثر تغذية الدماغ بالدم لتعرف أثرها على جميع أجهزة الجسم ومنها أنه تمرين لعضلات الرقبة، وفيه تفريغ للشحنات السالبة من الدماغ في الأرض، وكل ذلك شيء وأثره الإيماني شيء آخر!

أبو حامد: أرجو أن نبقى ملتزمين في نظام الحوار الذي التزمناه في سلسلة مجالسنا - هناك - في فرنسا، ألا وهو الالتزام بحكم العقل، ومع هذا فأنا أعذر من لم يطق كتمان مشاعره في هذا اليوم فلعلها أول مرة في حياتكم تدخلون المسجد يوم الجمعة، وأول مرة تشاهدون فيها من يدخل الإسلام بهذه السهولة!

**الأستاذ جيرارد:** الحقيقة أنني لم أصلِّ معكم حين صليتم، ولكني وقفت مسنداً ظهري إلى الحائط الخلفي من داخل المسجد أراقب الوضع والحركات المنتظمة، وبحكم أنني أستاذ في العلاج الطبيعي فما رأيته عبارة عن تمارين رياضية في شكل طقوس عبادية، مع ما تحمله من الروحانية التي تظهر من العبودية والتذلل في شكل الحركات نفسها.

ولو سمح المسلمون لي الآن فسوف أبين لهم ما في عبادتهم من نفع للعضلات والأعصاب والفقرات فيما لم ينتبهوا له ولم يعرفوه، فأنا قد شاهدت مصوراً من قبل لرجل يؤدي الصلاة الإسلامية، واليوم رأيتكم كيف تصلون فعلياً، فالقيام بهذه الطريقة مع وضع الرِّجْلين باتجاه مستقيم وليس منحرف إلى خارج البدن فيه تعديل لوضع الرِّجلين والذي يخطئ أغلب الناس في وضعيتيهما، والذي ينبغي أن تكون عليه الرِّجلان

عند القيام وعند المشي، ونظر الواقف حال الوقوف إلى موضع سجوده في الأرض فيه تقوية التركيز النفسي، مع ما فيه من انسيابية الدورة الدموية، أما منظر الركوع بوضع الكفين على الركبتين مع استقامة الظهر والعنق والنظر كذلك إلى موضع السجود فيه ما يسمى عندنا تمطيط عضلات العمود الفقري والفقرات وكذا المفاصل.

أما عند الاعتدال من هذا الوضع فإن أهم العضلات التي تتحرك هي العضلات القطنية، وهذه العضلات هي أكثر العضلات تعرضاً للإصابة عند الناس عامة وخصوصاً بعد سن الخمسين... ولكنها ومن خلال التمطيط والتقوية في هذين التمرينين تأخذ وقايتها، أما عند سجودكم - وهو بوضع جبهتكم على الأرض - فإنه التمرين المميز كما رأيته لعضلات الفخذ، إذ ينزل المصلي على الركبتين أو على اليدين، لكن

وضع السجود مع تمطيط الظهر بطريقة وضع الرأس على الأرض ووضع اليدين عند الرأس مع الاتكاء عليهما وعلى الرأس مفيد جداً لعضلات الكتفين الخلفية، ومفيد كذلك لعضلات الرقبة وهو من أكثر التمارين نفعاً لمن يعمل له عملية إزالة الديسك أو كيِّه.

وهو أكثر فائدة لعضلات البطن، وهم مهمٌّ جداً للحوامل وذلك لتقوية عضلات البطن، ولذا فهو يسمى في ألمانيا: «تدريب اللَّه أكبر»[1].

شارل: لقد دفعني الفضول فلم أَتْبع إمامكم حين سجد فبقيت واقفاً أنظر إليكم ورؤوسكم في الأرض... فوقع في نفسي شيء أنا متردد أن أحدثكم به، وذلك لأن البشر يمكن أن يحيي البشر بأي حركة... يمكن أن يحييه فيهز له رأسه

(١) لم يحفظ الأستاذ الحركات كما ذكرت هنا مرتبة، ولكن كان يقولها بتذكير أبي حامد له بكل ركن وكيفيته، فتركت تذكير أبي حامد لئلا أقطع على القارئ تواصل متابعته.

يمكن أن يرفع له يده، يمكن أن يحني إليه رأسه، يمكن أن يحرك له جذعه، أما أن يضع له رأسه في الأرض ويجعل له رأسه بمستوى رجليه! فلا، وألف لا! حتى لو كان أبوه.

هذه الحركة لا يفعلها الإنسان لمخلوق! حتى لو كان محمداً ولو كان عيسى -عليه الصلاة والسلام- ولو كان من يكون! إنها فقط للخالق الواحد الأحد، وهذه دليل على أن الصلاة التي صليناها اليوم كانت للَّه وحده وهذا ما أدركته لأول مرة في حياتي، وأنا لا أظن أن أحداً من الجالسين يخالفني بهذا كقناعة في داخله.

التمرة الجميلة

أبو حامد: أشكركم أولًا على مشاعركم وعلى هذه المعلومات، ولكن دعونا من موضوع الإعجاب بخطبة الجمعة، والإعجاب بالصلاة الإسلامية، والإعجاب بجو المسجد يوم الجمعة، دعونا من كل هذا وسوف أسألكم عن هذه التمرة التي أمامنا التي تلمع كل حبة منها كأنها قطعة

ذهب تلتصق بعسلها بالقطعة الأخرى حتى ملأت هذه الصفائح الثمانية.

**القس الأكبر ريتشارد:** اسمح لنا فقد غلب علينا الحديث عن الجمعة، وقد غفلنا عن هذه التمرة الجميلة المنظر، اللذيذة الطعم، الغنية بفوائدها، والمباركة شجرتها، التي وَلَدَت تحتها مريم أم عيسى، وأكلت منها بعد الولادة مباشرة.

**أبو حامد:** إذن فإن التمرة قد جمعت الأوصاف كلها ونالت الإعجاب مظهراً ومخبراً، أليس كذلك يا إخوة..؟!

الجميع: نعم.

**أبو حامد:** ما رأيكم لو أننا لم نأكل من التمرة، واقتصرنا على الإعجاب من خلال النظر إليها فحسب..؟!

**القس الأكبر ريتشارد:** سيكون حالنا نفس حال من سمع بها ولم يرها، بل ربما حَسْرتُنا نحن

أكبر لأننا رأيناها ولم نأكل منها، لكن - يا أبا حامد - من الواضح أنك تستدرجنا لتقول شيئاً مبْنياً على أجوبتنا. . !

**أبوحامد**: نعم أريد أن أقول: إن **العقل** الصحيح يقول: بما أنكم أعجبتم جميعاً اليوم بمظهر واحد من مظاهر الإسلام، فإن النتيجة **العقلية** تقول: ينبغي أن تتذوقوه كما تذوقتم الآن التمرة وإلا ما فائدة الإعجاب بثمرة فيها فوائد كثيرة لكم، وتستطيعون تناولها ثم لا تفعلون، فهل قُدمت التمرة إلا لتُأكل؟

**الأستاذ فيفا**: أنا أقول لك وبكل صراحة أنني متصور جداً عظمة الإسلام، وأنا أشعر كأنني مسلم وإن كنت بعد لم أدخل فيه، حقاً إن الإسلام دين عظيم. . ! ولذا فأنا راضٍ عن معرفتي بالإسلام وهذا من ثمار صحبتك.

**أبو حامد**: لو قلت الآن ألف مرة ما أجمل التمرة ما أحسن التمرة، ما أحلى التمرة. . . . هل

يساوي هذا الهتاف والترديد تذوق حبة واحدة من التمر مرة..؟!

هل مضغ كلمتها كمضغ التمرة نفسها، وامتصاص بدنك فوائدها..؟!

دعني أذكر لك قصة رجل إنجليزي يعمل في القنصلية البريطانية في دبي، فقد كان له موقف شبيه بهذا الموقف: فبعدما انتهينا من صلاة الجمعة، دُعيت للغداء في بيت السيد «خلفان» وهو مجلس كبير ومزدحم بالضيوف يوم الجمعة، ولما انتهينا من تناول الغداء قال لي صديقي «ناصر»: هذا - أخونا الإنجليزي - عنده بعض التساؤلات عن الإسلام، فَطِرتُ نحوه فرحاً وجلست بجواره وقلت له: سل عما بدا لك.

قال: عندي أربعة أسئلة، فألقى السؤال الأول فأجبته، ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، وبعد كل جواب عن سؤال كنت أوجه له هذا السؤال: هل اقتنعت؟ فيجيب: نعم.

ثم قلت له: هل عندك غير هذه الأسئلة الأربعة، قال: نعم، وسأل سؤالًا إثر سؤال حتى أكمل عشرة أسئلة..!

قلت: هل اقتنعت؟ قال: نعم، قلت: هل انتهيت أم عندك غيرها؟ قال: بل اقتنعت، وليس عندي أي سؤال آخر..!

قلتُ: لِم لا تُسلم..؟!

مقتنع ولكن

قال: أنا مقتنع تماماً بالإسلام ولكن أريد أن أزداد اقتناعاً.

قلتُ: جيد ولكن دعني أخبرك بالحقيقة: إنك لا يمكن أن تتصور حقيقة الإسلام جيداً حتى تدخل الإسلام، أرأيت صبياً ولد تحت البيت في سرداب في الظلام، وكبر في الظلام، وأخذ من يزوره في الظلام يصف له الحياة خارج بطن الأرض! ويصف له النور، والطبيعة الجميلة، والسماء المنيرة في الليلة المقمرة، ووصف له طلوع الفجر، ثم طلوع الشمس، والضحى،

فالظهر، فالعصر، فالمغرب! هل تراه بهذا الوصف سوف يستغني عن رؤية ظاهر الأرض والسماء والأجواء وجمالها والعيش فيها؟ هل هذا يساوي هذا؟

قال: قطعاً لا!

**قلت**: كذلك الإسلام.. فقلبك الآن في ظلمة عظيمة، ولن يتمكن من معرفة النور حتى يرى قلبك النور، ويتخلَّله، ويتخلل خلاياه، وينيره فعلًا، فعندما يشرق النور في داخلك، ويكون جزءاً منك، ولا يبقى وصفاً خالصاً عندك، عندها تعرف ما هذا الإسلام.. دعني أضرب لك مثالًا بالصلاة.

هذه الصلاة التي تراها وتعجب بمظهرها ليس لك الآن منها أي نصيب إلا النظر!

لكنك حينما تصليها وأنت مسلم سوف ترى ما تصنع الصلاة في كيانك من داخله، سوف تعيش روحك وقلبك لذّتها.. أنا لا أحدثك عن «اليوغا»

أو لعبة الاسترخاء.. إنها شيء آخر.

قال لي السكرتير الإنجليزي: دعني أفكر أكثر.. قلت: إلى متى؟

قال: لا أدري.

قلت: فكر كما شئت كيفما شئت، ولكن هل تؤمن بالآخرة وأن جزاء الكافرين النار؟

قال: هذا واللَّه ما يقلقني بل يخيفني!

قلت: إذن نلتقي إن شاء اللَّه إن كتبتْ لنا حياة جديدة...!

وانصرفت متعجباً من برود هذا الإنجليزي في اتخاذ قرار في قضية قد حسمها هو عقلياً وعاطفياً من جميع الجهات...!

ومرت فترة ونسيت أخانا الإنجليزي، وبعد ستة أشهر رأيته يوماً يصلي صلاة العشاء في مسجد «أحمد الطاير» في دبي! فحمدت اللَّه كثيراً، لكن الذي لفت انتباهي إطالته السجود كثيراً كثيراً، وبعدها جمعنا نفس المجلس الأول،

فتعانقنا وتصافحنا، ثم قلت له: سبحان اللَّه، كيف أسلمت..؟!

قال: بعد حوارنا ذاك ذهبت إلى بريطانيا، وفكرت في الحوار كثيراً فرأيت أنه لا بديل عن الإسلام وهنا أسلمت، وتمنيت أني أسلمت يومذاك.

قلت له: رأيتك تطيل السجود..؟

قال: نعم، لقد تذكرت كلمتك الأولى ووجدتها حقيقة، حين قلت لي: لن تعرف طعم الإسلام من خارجه، لن تعرف طعم الإسلام حتى تدخل فيه، ولن تعرف طعم الصلاة حتى تؤديها وأنت مسلم...عندها سترى شيئاً آخر!

تذكرت مَثَلَ النور الذي ذكرته لمن يعيش تحت الأرض ولم ير النور إلا بالوصف.

القس الأكبر ريتشارد: لعلك بدأت تمارس الضغط العقدي العاطفي كي تُدْخِلَ من تستطيع الدينَ الإسلاميَّ، وهذا يخالف حكم العقل الذي

اتفقنا على الاحتكام له والرضا بما يقرره.

تصور - يا أبا حامد - لو أنني دعوتك إلى النصرانية يوم كنتم عندي هناك، أو لو أنك دعوت إلى الإسلام هناك في كنيستي؟!

أبو حامد: أيها القس الأكبر «ريتشارد»، أنا ما خرجت عن حكم العقل، أنتم الذين أبديتم إعجابكم العقلي بالإسلام، وإعجابكم العقلي بالصلاة، وإعجابكم العقلي بالجمعة، وكان من مقتضى الإعجاب العقلي هو أن نتبع مقتضى حكم العقل أليس كذلك؟

ثم أخبرني أيها القس الأكبر: هل يؤاخذ من رأى تمرة وأخذ يمتدحها، فقال له صاحب الضيافة: لو تذوقتها لوجدتها أجود؟!

ألا يعد صاحب التمرة بَخيلًا لو أنه لم يرغِّب ضيفه في أكل تمرته الجيدة؟

أيها القس الأكبر: كم مرة لا بد أن يقتنع الرجل - عقلياً - حتى يستطيع أن يحكم؟

إن العقل إذا صفا، وكان طليقاً يكتفي بحجة صحيحة واحدة حتى يتبع مقتضاها، فكيف وقد رأى من الحجج العقلية في هذه الحوارات ما يصعب إحصاؤه؟!

الأستاذ سيلاس: أما أنا فإني أحمد اللَّه أني قد حضرت أغلب المجالس الحوارية التي تمت، إنها مجالس ما حضرت مثلها في عمري كله، وأرجو أن تتغير على أساسها حياتي، لكنني مازلت واثقاً بأن ثمة أجوبة عندنا على كثير مما لم نعرف نحن إجابته.

[illegible] علي» في البحر

أبو حامد: سوف أذكر لك هذه القصة التي حدثت لي، كنت يوماً من الأيام من ضمن ركاب سفينتنا الخشبية بقيادة أخي الأكبر «أبو طارق» حيث كانت تعمل على نقل الركاب والبضائع من وإلى الكويت وقد كانت تنقلنا من «جزيرة تابعة» لدولة الكويت اسمها جزيرة فيلكا إلى مدينة الكويت وذلك في سنة ١٩٧٩م، وكانت مدة الرحلة المعتادة ساعتين تقريباً في البحر، وفي

أثناء الرحلة حدث حوار كان يتمناه الكثير من الركاب بيني وبين «عبد علي»، وهو مثقف شيعي، كثير القراءة، شديد التعصب لمبدئه، وكان الاتفاق أنه إذا أقنعني اتبعته، وإذا أقنعته اتبعني!! ولا يخفى عليكم المذهب الشيعي الذي تقوم على أساسه دولة إيران.

ولم يستمر الحوار أكثر من ربع ساعة، والذي دار حول قضية دينية خلافية بيننا وبينهم، حتى ظهر بطلان رأيه، وأفحم «عبد علي»، وعندها قال مثلما قال الأستاذ سيلاس، قال: لا شك أن لعلمائنا ردوداً على هذا الذي ذكرت من حجج، لكنني لا أعرفها الآن!

قلت له: خذ من الوقت ما تشاء، واسأل من تشاء، وابحث، ثم تعال أخبرني، وسوف ننظر فيما عندكم من أدلة، ولكن إذا لم تجد هذه الأدلة التي تظن أنها موجودة فماذا تراك ستفعل؟ فسكت «عبد علي»! فتكلم رجل كبير محدودب الظهر قليلًا ذو صوت ضخم قد حضر الحوار

على ظهر السفينة اسمه «عبد اللّه فهد» وهو يخاطبني قائلًا: هذا الرجل ما يفيد معه النقاش! هذا ما يفيد معه إلا أن تأخذه وترميه في البحر! فضحك الجميع، وضحك عبد علي، ووجدها فرصة للهرب بخفية، وانسلّ من المكان سريعاً إلى مكان آخر.

يا أستاذ سيلاس: إنا حين ابتدأنا الحوار قد رضينا بحكم عقولنا وأحكامه، فلماذا ننتظر الأحكام من عقول غيرنا، ولماذا نُحيل على المجهول، فنظل نردد عند عجزنا عن الإجابة: لعل علماءنا يعرفون الإجابة... لعل ولعل..!

يا أستاذ سيلاس: إن طريقة التهرُّب من القرار الحاسم، باحتمالية أن ثمة أشياء لا نعرفها، بينما هي في حقيقتها تعني عدم القدرة على اتباع الحكم العقلي الحاسم مع وضوحه، أو عدم إرادة ذلك، فإن ذلك يعني معرفتي بالصواب ومعرفتي بالخطأ، وأني مصرٌّ على الخطأ، ثم إن اتباع

نظرية الاحتمالية أمر لا يكاد ينتهي!

**القس الأكبر ريتشارد**: أحسب أن الجميع متهيئٌ ومتشوق لمعايشة الفصل الأخير من الجولة الأخيرة ليرى الحكم العقلاني أياً كان، لكنني أريد أن لا يشترط أحدٌ أن يعلن الإنسان قناعته من دليل واحد في قضية كبيرة، ثم إننا أُلْزمنا في مواضع كما أُلزم - أبو حامد - في مواضع أخرى، فالقضية تحتاج إلى جولات أخرى وجولات حتى نحسمها تماماً.

**أبو حامد**: أنا لا مانع لدي أن تستمر جولات الحوار **العقلاني** إلى آخر أعمارنا، ولكن الذي أريد أن أسأل عنه القس الأكبر وجميع إخواننا الذين حضروا اليوم أو حضروا من قبل: هل رأيتم الحجة لزمتني في أية جلسة من جلسات الحوار العقلاني ، وفي أي نقطة من نقاطه!

فما دمت أقول أنني لم أُلزم بأي إلزام عقلي طوال جلسات الحوار، بينما أخونا القس الأكبر

قد اعترف - الآن - بأنه أُلزم بعدة إلزامات طوال الجلسات، فإني أعود لأسأل سؤالًا قانونياً محدداً وواضحاً: هل البينة الواحدة القاطعة على المدّعى عليه في قضية محددة كافية للقاضي لإقامة حكمه عليها، أم أن من حق المحكوم عليه أن يطالب ببينة ثانية وثالثة ورابعة وعاشرة.

**الأستاذ فيفا**: لا شك أنه يكفي قيام بينة واحدة، ولا يستجاب لطلب المحكوم عليه بمطالبته خصمه المجيء ببينة ثانية وثالثة، فربما استمر الأمر إلى ما لا نهاية.

**أبو حامد**: كيف وقد رأى الجميع توارد الحجج عليكم حتى أصبحت صعبة الحصر، وقد كانت في كل موضوع من المواضيع التي بحثناها؟ وكيف وقد أقر القس الأكبر بها أو بأكثرها الآن... كيف؟

التفت أبو حامد للحضور قاطعاً كلامه معتذراً قائلًا: فاسمحوا لي فإنه لا يليق بي إلى هذه

بعد الغداء

اللحظة كصاحب بيت أن أبقى متحاوراً معكم والغداء قد وُضع بين أيدينا، فتفضلوا، وسنكمل مشوار الحوار بعد الغداء فنحن في نهايته، وعسى أن نصل إلى قرار يوافق **عقولنا** - إن شاء اللّه -، تفضلوا للغداء.

**الأستاذ فيفا:** لو قلت لي - يا أبا حامد - ماذا ينقص المائدة اليوم، لقلت لك: هي فوق المطلوب وفوق المتوقع، وهذا هو الكرم العربي الذي سمعنا عنه.. ولكني من باب الإثارة والاستفادة أتساءل وبكل صراحة بأني لا أرى خمراً ولا لحم خنزير على مائدتك، ولا أدري ما عداء المسلمين مع الخنزير خاصة، فالخمر كما نعرف كأطباء وكما أوضح أبو حامد فإن أضرارها كبيرة، أما الخنزير فما الضير لو أننا أخذناه وربيناه في مزارع نظيفة فأصبح لحمه طيباً، أو أخذناه كما هو وطبخناه طبخاً جيداً؟

أيمكن أن يكون محرماً على عهد النبي محمد

لأنه كان حيواناً وسخاً ويستمر التحريم إلى اليوم بعدما أصبح حيواناً نظيفاً؟

أيمكن أن نقول بعد هذا إن الإسلام دين يصلح لكل زمان ومكان؟

ثم ما معنى هذا العداء مع الخنزير حتى جعلتم غاية مجيء المسيح في آخر الزمان كما هو مقرر عندكم أنه: «**يكسر الصليب ويقتل الخنزير**»[1].

أيعقل أن عيسى يأتي ليكسر شعار ملته ويقتل حيواناً من الحيوانات؟

أهذا هو الدين الذي تقول إنّه موافق للعقل والعلم؟

أبو حامد: صدقوني أيها الإخوة إنني سعيد بكل شبهة تثيرونها لأني أعتبرها دليل جديتكم في الحوار، وعدم مجاملتكم، كما أنها دليل صدقكم في طلب الحقيقة، وما أرجوه هو أن يستمر طلب

---

(١) رواه البخاري (٢١٠٩)، ومسلم (٢٤٢).

الحقيقة إلى قبول الإجابة إن كانت مقنعة بنفس المستوى الأول. وأنا يكفيني فائدة على هذه المائدة أن أجيب على هذه الشبهة إجابة لا تُبقي عندكم تردداً بأن الإسلام هو الحق.

**أولًا**: دعنا من إثبات أن الخنزير مُضرٌّ طبياً الآن، ولنأخذ الجانب العقلي في الموضوع، وبناءً عليه فسوف أسألك فأقول: أنت لماذا تأكله، أليس لأنه حلال عندك؟

**وجوابك**: بلى، وأنا جوابي: أنا لا آكله لأنه حرام عندي فأنا متبع لأمر اللَّه.. لأن اللَّه هو الذي خلقه ومن حقه أن يحرمه؟ نعم ربما تنازعني وأنازعك، أهو حلال أم حرام؟

**إذن فخلافنا الأساس هو**: هل الخنزير حرام حرمه اللَّه أم حلال أحله اللَّه الذي خلقه؟

فإذا كان اللَّه قد حرمه فترْكه واجب حتى لو كان مفيداً.

**أليس** من حق اللَّه أن يختبر عباده بما يشاء؟

ألم يختبر اللَّه أبانا آدم حين أحل له كل الجنة بكل ما فيها وحرم عليه شجرة واحدة من أشجارها الكثيرة؟

فإن اعترضت وقلت: فَلِمَ يحرمها علينا؟ كان الجواب: إنه أحل لك في مقابل ذلك كل شيء، ولم تسأل لم أحلّ إلينا كل شيء..؟!

**أستاذ فيفا:** هذا الذي تقوله أمر مهم وهو قاعدة واضحة في التحريم والتحليل، ولكن كيف يمكن أن نتفق إذن إن كان الخنزير في دينكم حراماً وفي ديننا حلالاً.. كيف؟

لذا أرى من العدل أن لا ننكر عليكم ولا تنكروا علينا.. فحكمكم ليس ملزماً لنا وحكمنا ليس ملزماً لكم، أليس كذلك؟

**أبوحامد:** هذا الكلام صحيح لو أن مقدماته صحيحة، لكن ماذا لو أثبتنا اتفاق الإسلام والنصرانية على تحريم الخنزير؟ ماذا لو أثبتنا أن

عيسى نفسه حرّم الخنزير؟ ألا يجب علينا أن نتركه حتى لو لم يكن مضراً؟

**أستاذ فيفا**: بكل تأكيد، ولكن كيف تثبت ذلك وتحريمه غير وارد أصلًا في الإنجيل، وأي شيء لا يذكر بالتحريم فهو حلال، وحكم القرآن لا يلزمنا؟

**أبوحامد**: أنتم تعلمون أن الكتب المقدسة عندكم هما عهدان، العهد القديم وهو التوراة والعهد الجديد وهو الإنجيل، وقد جاء تكميلًا للعهد القديم، ولذلك فإن أي حكم جاء في العهد القديم فإنه ثابت في العهد الجديد هذا هو الأصل وهذه مقدمة لا يخالف فيها نصراني، اللّهم إلا من لم يعترف بقداسة العهد القديم، وعليه فلننظر هل ورد تحريم للخنزير في التوراة؟

والجواب قطعاً: نعم فاستمع لما ورد:

«وكلّم الربُّ موسى وهارون قائلًا لهما: كَلِّما بني إسرائيل قائلين هذه هي الحيوانات التي

تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض كلّ ما شقّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجترّ من البهائم فإيّاه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجترّ ومما يشق الظلف: الجمل الوبر لأنّه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم... من لحمها لا تأكلوا، وجثثها لا تلمسوا، إنّها نجسة لكم» (سفر اللاويين ١١ : ١-٨).

وفي سِفْرِ التثنية: «لا تأكل رجساً، ما هذه هي البهائم التي تأكلونها: البقر والضأن والمعز والإبّل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة. وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجترّ فإياها تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها مما يجترّ ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر لأنها تجترّ لكنها لا تشق ظلفاً فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجترّ فهو

نجس لكم، فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا» (١٤ : ٣-٨).

هذه النصوص التوراتية وحدها كافية ومع هذا فليس تحريم الخنزير في العهد القديم فحسب، بل حتى الإنجيل نفسه:

فقد حكى مرقص في إنجيله (إن المسيح أَتْلَفَ الخنزير وغرَّق منهم في البحر قطيعاً كبيراً)[1] وقال لتلاميذه: (لا تعطوا القدس الكلاب ولا تلقوا جوهركم قدّام الخنازير) فقرنها بالكلاب، فمن أحلّ الخنزير فقد كفر بموسى والمسيح» إلخ[2].

ففي إنجيل «متى»: «لا تعطوا القدس الكلاب، ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير» إنجيل متى٦٧ .

وقد أصابهم ما في المثل الصادق: «كلب قد

---

(١) انظر: «إنجيل متى»: (٨/٢٨-٣٢)؛ «إنجيل مرقس»: (٥/١-١٤)؛ «إنجيل لوقا»: (٨/٢٦-٣٣).
(٢) «التخجيل» (٢/٦٠٩-٦١٠).

عاد إلى قيئه، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة» (رسالة بطرس الرسول الثانية٢ : ٢٢).

«وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها، فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير» (إنجيل مرقص ٥ : ١١-١٣).

على أن هناك حقيقة ينبغي أن تكون نصب أعيننا، هي أن المسيح جاء مقرراً للتوراة ومؤكداً لما جاء فيها: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم أن تزول السماء والأرض: لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (إنجيل متى٥ : ١٧-١٨)

والسؤال الذي ينتظرني من البروفيسور ومن كل أحد هو: إذن من أين جاءنا إباحة الخنزير؟

والجواب هو: من نفس المصدر الذي غير

دين عيسى كله إنه من «بولس».

ولذا فبولس لم يجرأ على التنصيص على إباحة الخنزير؛ لكنه جعل نصوصاً عامة تبيح كل شيء إلا الدم، والمنخنقة، وما ذبح للأوثان، وتهاجم من قال بنجاسة شيء، فأدخل الخنزير مع الحلال الطاهر، وذلك في رسائله لا في الإنجيل نفسه، فيقول في رسالة أعمال الرسل: «ونحن أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة ٢٩ أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمّا تفعلون» ١٥/ ٢٩ .

ويقول في رسالته إلى أهل رومية: «إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيئاً نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس» رومية ١٤/ ١٤ .

وقال في رسالته إلى تيطس: «كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس

شيء بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم» تيطس ١/ ١٥.

أستاذ فيفا: الحقيقة التي تعجبني في حواراتنا هذه هي إخضاع النصوص الدينية للجانب العقلي... فالمنطق هو الحَكَمُ حتى على النصوص الدينية، ومع هذا فأنا أذكِّر أبا حامد باعتراضي على تحريم دينهم للخنزير وأنا أوافقه إذا كان الخنزير وسخاً أما إذا كان نظيفاً فكيف نحرمه؟ وأذكره بنقطة عدائهم للخنزير؟

أبو حامد: سأثبت لك الآن وفي كل مرة أن اللّٰه إذا حرم شيئاً لا يحرمه عبثاً إنما يحرمه لحكمة عظيمة ولمصلحة الناس أنفسهم ولصحتهم، ولا تملك بعدها إلا أن تقول: نعم هذا الدين صالح لكل زمان ومكان، وقوله هو الحق سواء في البشر أم في البهائم، في السماء أم في الأرض وفي كل شيء ولا أقول عن الخنزير وحده إنما عن كل ما حرم اللّٰه في القرآن وسنة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فالمهم أن

نثبت أن الله حرمه.

**يقول الدكتور هانس هاينرش زكيفج في كتابه: الصحة ولحم الخنزير:**

- أكلُ لحم الخنزير الطازج يؤدي إلى التهاب الزائدة الدودية، التهاب المرارة، وحصوة المرارة، أمراض القولون، أمراض الجلد، تقيح الغدد التي تفرز العرق؟

- في السنوات العجاف أثناء الحرب العالمية كان يعيش الشعب الألماني بشكل صحي حيث لم يوجد لحم خنزير ولم تكن الأمراض المذكورة أعلاه معروفة في ذلك الوقت.

- بعد سنة ١٩٤٨ وبعد تقييد العملة الألمانية أصبح لحم الخنزير ومشتقاته منتشرة بشكل كبير في الوقت التي ظهرت فيه أمراض القولون والمرارة والأمراض الجلدية.

- الشيء المخيف أنه ارتفعت نسبة الأمراض السرطانية في الأعمار ما بين ٦٠ -٧٠ سنة الذين

كانوا يعيشون بشكل صحي ولم تكن لديهم أمراض من قبل وقد بدأت بالآم المعدة في سنة ١٩٥٢ ، في المجلة الطبية الصادرة في ميونخ رقم ١٢ تقرير عن الدكتور هانس ريكتفيج بأن أكل لحم الخنزير يسبب التهاب المفاصل والتكلس وإصابة النساء بمرض السيلان الأبيض WEIBFLUBوأمراض مزمنة.

- قام الدكتور ريكفيج بتجربة على ٣٠ من الفئران في سنة ١٩٥٥ .

- قسم منها تتغذى بشكل طبيعي، وجزء على لحم الخنزير.

- فكان الجزء المتغذي على لحم الخنزير أصيبوا بسرطان في أجزاء مختلفة في الجسم وأمراض جلدية وتقرحات.

- كما تقول الدراسات أيضاً أن لحم الخنزير يحتوي على بعض العناصر السامة Toxin ويضيف الدكتور قائلًا :

أنه أثار انتباهه عندما عرف بأن كلاب البوكسر Boxer ممنوعة من أكل لحم الخنزير حيث إنها تصاب بأمراض جلدية وباطنية خبيثة.

- كما أنه ممنوع إعطاء الأُسُود والنمور في السيرك لحم الخنزير لأنها تصاب بارتفاع ضغط الدم ونزيف الأنف.

- وتقول الدراسات أن إعطاء الأسماك من المزارع السمكية لحم الخنزير يقضي على الأسماك في خلال أيام قليلة.

- ويذكر الدكتور بأن لحم الخنزير هو أهم السموم التي يتناولها الإنسان، (Homotoxin) التي تقوم بتهييج جهاز المناعة والذي يترتب عليه الإصابة بأمراض مختلفة.

- يذكر البروفيسور هاوس Hauss (MUNSTER).

بأن الدهون وبالأخص دهن الخنزير والضغوط النفسية تؤدي إلى عواقب وخيمة (مميتة).

- ويذكر البروفيسور فنسست (Frank furt) wendt بأنّ أمراض الدم وتصلب الشرايين والسكري بسبب أكل أحشاء الخنزير. ويتساءل: ما هو الفرق بين لحم الخنزير ولحوم الحيوانات الأخرى؟ فيجيب: لحم الخنزير يحتوي على نسبة دهون عالية لأن الدهون تكون داخل الخلية حتى في الخنازير المُربّاة بشكل خاص، في حين أنّ الحيوانات الأخرى تكون الدهون خارج الخلية وبالتالي تكون العواقب المترتبة عليه الشرايين.

* هي تصلب الشرايين والسمنة وأمراض القلب والدم والجهاز الدوري.

* زيادة نسبة الكولسترول المفرطة في الدم تؤدي إلى التحول إلى خلايا سرطانية (بروفسور رُفو Roffo).

- فمهما كانت طريقة الطهي لا يمكنك إخراج نسبة الدهون من الخلية ومن داخل الألياف العضلية.

- يحتوي لحم الخنزير على نسبة عالية من الكبريت.

أمينوسكر .Hexosamin - Condroitin Sulfat -

Glukosamin جلوكوزأمين.

وهذا يؤدي إلى تجمع السوائل الهلامية في الجسم والمفاصل والأربطة والغضاريف (الروماتزم) التهاب المفاصل التكلس، أمراض العمود الفقري.

- كما قام البروفيسور بير .prof. Bier

بالتجارب التي تثبت أن الغضاريف والأربطة التي تحتوي على نسبة قليلة من الكبريت تكون أكثر قوة وتحملًا.

**أستاذ فيفا:** الحقيقة أنني كطبيب لأول مرة أعرف هذه المخاطر بهذا التفصيل وسوف أدخل على هذه المواقع العلمية التي ذكرت وأتحقق بنفسي، وأنا أقول لك يا أبا حامد بأن من يأكل لحم الخنزير تسري له أخلاقه الخسيسة.. إذ

كيف تثبت هذه بالعقل؟

أبوحامد: أنت تعرف تأثير الحياة المحيطة عادة بالإنسان، فكيف نستغرب احتمال تأثير الأطعمة على الإنسان، هذا من حيث قبولها الوقوع.

يقول أحد كبار العلماء الألمان في الطب واسمه بروفيسور ليترا : .Prof. Lettre

إن أكل أجزاء من الخنزير تؤثر على نفس الأجزاء الخاصة بالشخص نفسه على سبيل المثال:

- الأشخاص الذين يأكلون ظهر الخنزير تكون نسبة الدهون واضحة أكثر عندهم في الظهر والرقبة، والأشخاص الذين يأكلون أحشاء الخنزير يكون البطن أكثر الأجزاء المتأثرة، وكذلك الفخذ.

بناءً على كلام هذا البروفيسور نقول: ما دام ثابتاً في أعضاء الإنسان المرئية فلم لا يكون له

تأثير في طاقته العقلية وطريقته الفكرية والأخلاقية.

ونحن عندنا في الإسلام حديثٌ عن النبي - عليه الصلاة والسلام - يوضّح هذا الترابط الخلقْي العجيب، فيقول: «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[١].

ومن باب الاستئناس سوف أذكر قول عالمين عندنا، وهما معروفان عندكم، أما أحدهما فاسمه الفخر الرازي، يقول: «قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي فلابد أن يحصل له أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات فحرم أكله لئلا يتكيف بتلك الكيفية».

---

(١) رواه البخاري (٤١٢٧) ومسلم (٨٥).

وأما الثاني فهو مؤرخ شهير عند الغرب والشرق وهو خبير بطبائع الشعوب والأمم واسمه «ابن خلدون»، فيقول: «أكلت الأعراب لحم الإبل فاكتسبوا الغلظة، وأكل الأتراك لحم الفرس فاكتسبوا الشراسة، وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة».

**إن لحم الخنزير يحتوي** على نسبة عالية من هرمونات النمو التي تؤدي إلى السِّمنة المفرطة، كما تجعل الخلايا مُهيَّأة للأمراض السرطانية.

**كما يحتوي لحم الخنزير** على نسبة عالية من الهيسامين الذي يسبب الإصابة بأمراض الجلد والحساسية والتهاب القولون والمرارة والتهاب الجلد وينرود رماتيس Neurodermitis وأمراض الربو.

- كما يسبب لحم الخنزير الحُمة الفيروسية والتي تسبب مرض Perof. Letter

**تتلخص سموم الخنزير في الآتي:**

١- نسبة الكولسترول المفرطة والتي تسبب: الأمراض: أ) ضغط الدم. ب) تصلب الشرايين أمراض القلب (السرطان) Prof Roffo.

٢- الهستامين: والذي يسبب:

أ) الأكزيما ب) أمراض الجلد ج) التهاب الزائدة الدودية المرارة د) تجلط الدم.

٣- ارتفاع نسبة هرمونات: والتي تسبب:

أ- النمو.

ب- السمنة.

ج- الأورام السرطانية.

٤- البروتين في لحم الخنزير ولحم الإنسان متطابق تماماً.

وهو الحيوان الوحيد الذي يؤخذ صمامه لاستبدال صمام قلب الإنسان لأنه مطابق لصمام الإنسان.

- قبل ذبح الخنازير بأسابيع أو أشهر لا بد أن

تفحص حتى لا تفرز الهرمونات الجنسية التي تجعل رائحة اللحم غير محتملة.

- الخنازير من الولادة حتى الذبح لا بد ألا تزيد أعمارها على ست سنوات وإلا قد يصاب بالسرطان.

- تربية الخنزير بطريقة طبيعية لا يغير من العوامل المسببة للأمراض المختلفة.

إن الأمراض التي يسببها لحم الخنزير بسبب السموم التي يتناولها وبسبب الأجواء عوامل حيوية في زيادة ضرره، ولكن يبقى أصل الأمراض في التركيبة الجينية لهذا اللحم فمهما تعرض للتسخين أو غيره فإن ذلك لا يغير من حقيقة الجينات شيئاً.

والآن وأنا في هذه اللحظات الأخيرة قبيل إعادة طباعة الكتاب أجد الرعب قد أصاب العالم بسبب الخنازير، فلقد أعلنت وكالات الأنباء عن هذا الخطر القادم من هذا الذي حرمه الله تعالى

فلقد أعلن وزير الصحة المكسيكي جوزيه أنجيل إلى أن عدد ضحايا أنفلونزا الخنازير ارتفع إلى ٨١ شخصاً في إبريل نيسان الجاري، وأكد مسؤولون أن غالبية المصابين في المكسيك من الشباب الأصحاء وليسوا من الأطفال أو كبار السن، وحذرت رئيسة منظمة الصحة مارجريت تشان من أن أنفلونزا الخنازير في المكسيك والولايات المتحدة يمكن أن تتطور إلى وباء خطير. هل عرفت بعض السر: لماذا إذا جاء عيسى ثانية كسر الصليب وقتل الخنزير؟[1].

إن شهادة العلم الحديث كفيلة بأن تعطيك اليقين بأن كل ما حرم اللَّه في الإسلام إنما حرّمهُ لحكمة، وكل ما أحله اللَّه فلحكمة، وإن حكمة ذلك العظمى هي مصلحة الإنسان، أدركها أم لم

---

(١) المرجع ب. ب. سي الأحد ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٩م.

يدركها، وإن الإسلام أكبر من أن يعادي حيواناً فضلًا عن أن يعادي ملة من الملل، إنه دين الملل والأمم كلها.



البروفسور جوكوب: يا أبا حامد، لماذا أنت ناقم بهذه الطريقة على المسيحية؟ نحن نريدك أن تكون معنا أكثر صراحة. فما أكثر ما أثار عقلك في ديننا..؟!

وما أكثر الأمور التي أثارت اشمئزازك في المسيحية؟

**أبو حامد**: أنا واللَّه لم أكن معكم إلا صريحاً في غاية الصراحة، ولم أتخل لحظة واحدة عن حكم العقل إلى حكم العاطفة، ولكن بما أنك طلبت مني أن أكون معكم صريحاً أكثر مما كنت، فإني لا أخفيك أن أعظم ما أثارني كان عِظَمَ استخدام عقولكم في الماديات وإلغائها في أمور الدين!!

فأنتم تغبطون على هذه العلوم العلمية الحياتية

التي توصلتم لها ولم يكن ذلك ليتحقق لولا ما منحكم اللَّه من هذه العقول، وهيأ لكم في الإمكانات، ثم أنتم أصحاب هذه العقول تتقبلون كل هذه التناقضات في جانب عقيدتكم! تستسلمون ولا تتساءلون في أعظم القضايا العقلية العلمية والقلبية!

**تناقضات** لا تحتاج إلى علم عميق في الدين. . !!

**تناقضات** لو سألك عنها ولدك الصغير، لما عرفت الإجابة المقنعة له!

فمثلًا تقول لي عن المسيح في الأمانة التي تعتمدونها: مولود وغير مخلوق. . أي تناقض صارخ مثل هذا. . ؟!

تقول لي: ثلاثة آلهة لكنهم واحد، وتقول واحد لكنهم ثلاثة، كيف. . ؟!

تقول لي عن المسيح: هو «ابن آدم» «ابن إنسان» وهو «خالق آدم». . كيف. . ؟!

تقول لي: «هو ربٌّ مقتول»... كيف..؟

«إله مصلوب»... كيف..؟!

إنه «يحزن، ويبكي» من تعذيب اليهود له.. كيف..؟!

«رب مدفون ثلاثة أيام».. كيف..؟!

تقول: «نعلّق صليب الحب على قلوبنا».. كيف..؟!

تقولون: كان في غاية التواضع والعبودية ثم تقولون إنه ادعى الألوهية.. كيف..؟!

تقولون: نحن ندعوه ونطلب منه وهو يلبي حاجاتنا، ثم تقولون: كثيراً ما كان المسيح يدعو أباه.. إذن لماذا لا ندعو نحن الرب مباشرة..؟!

تقولون: نحن موحدون، وأنتم تعترفون حتى في إشارتكم الثلاثية على صدوركم أنها ثلاثة آلهة، وإلا لماذا لا تضربون ضربة واحدة على القلب مثلًا، لتعلنوا أنه إله واحد..؟!

تقولون: نحن نقدس التوراة، ونؤمن بما فيها،

وأنتم ترونها تدعو إلى توحيد اللَّه، ومع هذا تقولون بالتثليث.. كيف!

تقولون: أنزل اللَّه على عيسى الإنجيل؟ فيقال لكم: فأين إنجيل عيسى؟ تقولون: لا يوجد لعيسى إنجيل؟ تقولون: إنها كتبت بعد ذهاب عيسى - عليه الصلاة والسلام - بأكثر من ثلاثين سنة.. كيف؟!

فلو وافقناكم على ذلك، هل عندكم سند متصل بهذا؟ تقولون: لا.

هل عندكم النسخة التي كتبت آنذاك؟ تقولون: لا..!! هل أملاها عيسى - عليه الصلاة والسلام - بنفسه؟

تقولون: لا..!!

فكيف إذاً تحتجون بها..؟!

أليست كل هذه التساؤلات مشروعة عقلًا..؟!

هل ترى عقلك يهضم هذه التضادات، أم أنه يستوعبها؟

أم أن الدين جاء لينسف **العقل**..؟!

لم لا تُوجِدُون إجابة مقنعة **لعقولكم** قبل أن تكون مقنعة لعقول الآخرين؟! هذا إذا كانت ثمة إجابة ولا توجد إجابة، لأن الإجابة المقنعة على المستحيل مستحيلة..!

**الأستاذ فيفا**: مما أتساءل بيني وبين نفسي؟

كيف أنني ما رأيت في مسجدكم أية تماثيل أو صور! لا للرب ولا للنبي محمد ولا لأمه، ولا لأصحابه، ولا لأقربائه، ولا لأبنائه..؟!

أليس ديننا ديناً سماوياً ودينكم ديناً سماوياً، فلماذا أصابنا هذا التلوث ولم يصبكم أنتم..؟!

لمْ نشعر - ونحن في المسجد - أننا نصلي لصورة أو تمثال أو أشخاص يمكن أن تصورها الأذهان، بينما كنائسنا - مع الاعتذار للقس الكبير- قد امتلأت بهذه التماثيل والصور وما إلى ذلك.

وقد تبادر لعقلي في تلك اللحظة تساؤل لم

أعرف جوابه: هل المعبد الذي كانت تتعبد فيه مريم قبل ولادة يسوع كان بهذا الشكل..؟!

هل كان فيه صورة عيسى - عليه الصلاة والسلام - مصلوباً قبل أن يولد؟ أم فيه صورة موسى؟ أم صورة آدم؟

**أيعقل** أن المعابد التي كان يتعبد فيها عيسى - عليه الصلاة والسلام - فيها صورته وهو مصلوب، أو صورة أمه، أو صورة ربه..؟!

**أبو حامد: الحقيقة أن الذي أصابكم أصابنا، لكن اللَّه ثبتنا على المعتقد الصحيح، وما ذلك إلا لِتكفُّل اللَّه بحفظ القرآن، وهدي النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -... الأمر عجيب أليس كذلك..؟!**

**إن الذين غيروا دين عيسى - عليه الصلاة والسلام - هم الذين حاولوا تغيير دين محمد - عليه الصلاة والسلام - إنهم اليهود؟!**

**فهؤلاء هم الذين ادّعوا صلب المسيح، وهم**

**يتفاخرون بذلك! وهم الذين حاولوا قتل محمد، بل هم الذين قتلوه مسموماً بعد ثلاث سنين من سَمِّه حيث سمته امرأة من سكان خيبر، حيث وضعت سُمّاً في شاة مشوية قربت اليه فَأَكَلَ لُقمةً واحدة..!**

فإنكم ترون أناساً وتعدونهم مسلمين - وأغلبهم كذلك - وهم من يُسمَّون بالشِّيعة! لكنكم ترونهم يفعلون أشياء هي أبعد ما تكون عن الإسلام! يمارسون عبادات صورتها إسلامية وحقيقتها مخالفة للإسلام، مساجدهم مليئة بالصور، ومنها قطع من الطين يصلون عليها! وأفضل عباداتهم زيارات مقابر لأناس معينين، لا يدعون اللّه لقضاء حوائجهم بقدر ما يدعون الأموات! ترونهم كيف يلطمون وجوههم وصدورهم، ويخرجون الدم من أجسادهم ومن رؤوس أطفالهم...! أمورٌ يَخْجل منها كل عاقل، أمور كثيرة وشنيعة مختصرها هو تغيير التوحيد إلى الشرك!

وهم درجات متفاوتة في إهدار قيمة العقل

والوقوع في الشرك... وقد خرج منهم أناس يريدون إعادتهم إلى الإسلام الصافي من الشرك، الإسلام الذي يحترم **العقل**... فطردوهم وحذروا منهم، وحرّموا قراءة كتبهم، كما جعل عندكم تماماً!

**الأستاذ رينو**: إنه أمر يستحق التوقف قليلًا: نعم لقد رأينا في الفضائيات، والفضائيات العراقية - والتي زادت على الثلاثين فضائية - منها على وجه الخصوص بعض الطقوس الغريبة وخصوصاً على دين الإسلام، وهي أشبه ما تكون بالطقوس الوثنية التى قرأناها مثل الزحف على الأرض حتى الوصول إلى القبر الذي في المعبد، ومثل وجود قبور كبيرة في المعبد، والوقوف عند حائط القبر وهز الرؤوس والتراتيل وأمور كثيرة جداً... ولطالما تساءلت عن سر هذا... فهل من جواب؟

**أبو حامد**: الجواب المختصر المفيد الدقيق هو: «عبداللّه بن سبأ اليهودي الصنعاني»!!

ذلك الرجل الذي ادعى دخول الإسلام، وادعى

أن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - أوصى لابن عمه «علي بن أبي طالب» بالخلافة من بعده!

ثم زاد دعواه فادعى أنه أوصى لعليٍّ بالنُّبوة من بعده!

ثم ادعى أن علياً جزء من الإله، ثم ادعى أن الإله حلّ في علي!!

وقد حاولَ نشر مذهبه في بلاد الشام في العقد الثالث والرابع من صدر الإسلام فلم يفلح، ثم تحول إلى مصر فلم يفلح، ثم جاء إلى العراق ولم يفلح في نشر مذهبه كذلك، ثم فرّ إلى بلاد فارس والتي تسمّى اليوم إيران وهناك تَمكّن من نشر مذهبه، مذهب التشيع الذي هو في حقيقته: «مزيج الشرك الحقيقي مع المجوسية وهي عبادة النار في صورة الإسلام على طريقة بني إسرائيل»، وقيام مذهب هؤلاء القوم على التقية، وهو جواز النفاق إذا كانوا مستضعفين لا يظهرون حقيقة معتقدهم وإذا تمكنوا أعلنوا، كما ترونهم الآن

بعد احتلال العراق..!

وهذا الذي حدث لنا هو ما حدث لكم من قبلنا، ولو أن الأمة الإسلامية كلها تحولت لِمَا أراد «عبد اللَّه بن سبأ» واستجابت لجهوده الحثيثة التي بذلها، لأصبحت نسخة من إيران كما تحولتم أنتم إلى النصرانية المنحرفة وللأسف، ولربما أصبحنا مثلكم - الآن - تماماً، ولكن ذلك لم يحدث والحمد للَّه رب العالمين.

**الأستاذ رينو:** لكن أين الرجل الذي غير المسيحية وهو ليس مسيحي؟!

**أبو حامد:** هذه واللَّه من العجائب، ذلك أن لا يعرف أهل الدين مَنْ غيَّر دينهم!

القس الأكبر هو مِنْ أعرف الناس بِمَنْ غيَّر دينكم، إنه القس أو القديس «شاؤول» والذي أصبح بعد ذلك مؤسس الديانة المسيحية الحالية كما يقولون عنه، وعلى هذا نصّ أشهر مَنْ كَتَبَ عن تاريخ المسيحية ومنهم «Berry»: «إن كثيراً من

الثقات المسيحيون بعداوته الشديدة المتحمسة للمسيحية»[1].

بولس الخطير

ولا يمكن لأحد إنكار أن أصل بولس يهودي، فهو يقول عن نفسه في كتابه «أعمال الرسل»: «أنا يهودي، فريسي بن فريسي، على رجاء قيامة الأموات» أعمال الرسل ٦٠٢٣ .

ولم يكن بولس مسالماً للمسيحيين قبل أن يتحول إلى الإمامة في المسيحية، فهو يقول عن نفسه: «سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي من بني جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي» غلاطية١ :١٣-١٤ .

ولم يتلق المسيحيون الأوائل أنفسهم من الأذى والتعذيب على يد أحد مثلما تلقوه على يد

---

(١) من كتاب مقارنة الأديان المسيحية ٢ للدكتور أحمد شبلي ص١١١ .Outline of History vol,3p.695

بولس - هذا - حتى لوقا نفسه يقول عن بولس في أعمال الرسل: «وكان شاؤول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت، ويجر رجالًا ونساءً ويسلمهم إلى السجن، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلًا على تلاميذ الرب» أعمال ٩: ١-٢ .

وقصص تعذيبه للمسيحيين رجالًا ونساءً وأطفالًا تقشعرُّ لها الأبدان، ولكن الأعجب من كل هذا هو قصة دخول بولس المسيحية حيث يقول لوقا: «فتقدم إلى رئيس الكَهَنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالًا أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وعندما كان بولس قريباً من دمشق، أبرق حوله نورٌ من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلًا له: شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا

تريد أن أفعل؟ فقال له: قم وكرز بالمسيحية»[(١)]
ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملةً ذات بال غيّرت وجه التاريخ وهي: «وللوقت جعل يكرز في المجاميع بالمسيح أن هذا هو ابن اللّه» ولم تكن هذه الفكرة قد عُرفت من قبل.



وبناءً على هذه القصة المذكورة فإني أعرض هذه الأسئلة على عقل كل محب لدين عيسى المسيح - عليه الصلاة والسلام -، وأُشهد اللّه أني أحب عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأحب دينه، وأحب الإنجيل الذي أنزله اللّه عليه:

أيمكن أن نأخذ ديننا من رؤيا رآها واحد لم يشهد له غيره بهذه الرؤيا العيانية كما يقول..؟!

أيمكن أن نقبل دين رجل كان يوماً من الأيام قاتلًا للمسيحيين الأوائل من طلاب الحواريين،

---

(١) من كتاب مقارنة الأديان المسيحية ٢ للدكتور أحمد شلبي ص١١١ - ١١٢- .

ولـم يكـن يـوماً من الأيام حوارياً ولا حتـى من طلاب الحواريين. . !

أيمكن أن نتنازل عن الأعراض التي هتكها، والدماء التي سفكها من المسيحيين الأوائل، كما تنازلنا من قبل عن دعوى قتل المسيح نفسه. . ؟!

نعم إن الكثيرين حاربوا الأنبياء والمصلحين ثم تحولوا إلى صفهم، ولكن من تأمل قصة انتقال بولس التي ذكرها بنفسه وجد أنها البداية الحقيقية للمسيحية الجديدة، إذ إنها جمعت أعظَم علامتين للمسيحية الجديدة فالعلامة الأولى هي إلغاء العقل، وهذا سبيل فهم الديانة الجديدة!

والعلامة الثانية «إلغاء التوحيد» والإشراك مع اللَّه غيره فلا مكان للتوحيد والموحدين بعد اليوم!

أما إلغاء العقل فإنك أمام رجل مُتمرِّس في ديانته، يتحول في قصة غريبة لم يُثْبت وقوعَها غيرُه وليس عنده شاهد واحد معه. . . . إن العقل يشهد بأنه ما من أحد أوحى اللَّه إليه إلا هيأه اللَّه

للوحي فترة من الزمن، حتى مريم فإن المَلَك ما جاءها إلا بعد تعبد شديد وعزلة وتفرغ، وهكذا جميع الأنبياء... فكيف يصبح بولس هو الوحيد الذي لا يتهيأ للوحي. إنما ينتقل من ذلك الحال إلى هذا الحال؟ بل يتحول مِن رجل كان يقود أولياء اللَّه إلى أورشليم لينكِّل بهم إلى رجل يناديه الرب إذ هو في ذروة الإجرام.

بل من رجل يقود أولياء اللَّه إلى المذابح والمسالخ البشرية، إلى رجل يقودهم في العقائد الدينية!

أما إلغاء التوحيد فهذه أول مرة يُنادى فيها بأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - هو الرب... لتصبح هذه بعد ذلك عماد الأناجيل الجديدة وعماد المسيحية الجديدة، وتصبح هي الفارق ما بين بولس وجميع المسيحيين الآخرين، فقد نحَّى بولس كل المسيحيين الأصليين لينفرد هو بكل شيء، حتى أستاذه الذي زكاه وقدمه للمسيحيين،

تخلص منه ومِنْ إنجيليه... ومَنْ ذا يجهل برنابا؟! ثم تخلص من القديس بطرس رئيس التلاميذ بعد ذلك...!

ففي سِفْرِ أعمال الرسل يقول عن برنابا: «فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر» سفر أعمال الرسل ١٥/ ٣٩ .

ويقول بولس عن بطرس: «لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومه مواجهة» غلاطية ٢/ ١١ .

هنا بدأ بولس بالتغيرات المنهجية الجذرية وبهذا ألغى بولس تعاليم المسيح وأبدل كل بديل باطل بأصل صحيح! فقد أبدل بقصة رفع عيسى - عليه الصلاة والسلام - الصلب الذي جعل المسيحيين يحملون آلة صلب المسيح زينة على صدورهم!

فأصبح التثليث بديل التوحيد! وأصبح ختان القلب بديلًا للختان المعروف الذي عليه شرائع

الأنبياء جميعاً[١]! وأصبح التعميد بديلًا للتوبة! وعُممت رسالة عيسى - عليه الصلاة والسلام - بعد أن كانت خاصة إلى بني إسرائيل! وأصبحت محبة عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن تمضغ الخبز على أنك تقطع لحمه بين أسنانك، وتشرب الخمر ليتحول إلى دم عيسى - عليه الصلاة والسلام - في جوفك..! وهذه علامة التطهير وعلامة محبة عيسى - عليه الصلاة والسلام - كما يزعم!

---

(١) جاء في سفر التكوين صح ١٧ : ١١ - ١٤ : «وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، **يختن منكم كل ذلك فتختنون في لحم غرلتكم**، فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم، كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، **وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شُعَبها أنه قد نكث عهدي**.

ليس ما أقوله استنتاجاً بل اقرأ ما جاء عن بولس وماذا يقول عمن لم يوافقه ويوافق على آرائه من المسيحيين أتباع عيسى - عليه الصلاة والسلام -، يقول: «إنه التوحيد الذي اؤتمن على المسيحية الصحيحة وعلى إنجيل مجد اللَّه المبارك، وأن كل مَنْ يخالف ما يقول به من تعاليم، فكلامه باطل، دنس، مخالف للعلم، كاذب الاسم، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان» ثيموتاوس الأول ٦ : ٢٠-٢١ .

هكذا أصبح يصف من يخالفه! ولكن من يقوى على الوقوف في وجه بولس؟

لكن الغريب هو كيف قَبِلَ أتْباع عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأتْباعهم هذا الرجل، وكيف شاعت تعاليمه؟!

بولس ولوقا

يقول perry: «بعد صلب المسيح ذاب أتباعه، واختفت دعوته ولم يعد أحد يسمع شيئاً

عن هذه الدعوة»[١].

وكان السبب الأهم من كل **هذا أنه استطاع كسب رجل هو في غاية الأهمية إلى صفه، ذلك الرجل هو لوقا، لوقا الذي سمَّاه بولس: «إنه الطبيب الحبيب»**! لوقا الذي آمن برسالة بولس، وأخلص له، وأنزله منزلة عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه، وكتب لوقا رسالة: «**أعمال الرسل**»، والتي هي قصة حياة بولس، كما كتب إنجيله الذي أفرغ فيه أفكاره، علماً بأن الاثنين بولس ولوقا لم يلتقيا بعيسى ابن مريم!

سبب الخلطة الوثنية

**الأستاذ رينو**: لكن يبقى أن نعرف السبب الذي حدا ببولس أن يخلط هذه الخلطة الوثنية، لماذا، ومن أين جاءت..؟!

**أبو حامد**: أما لماذا فهذا هو شأن اليهود في كل وقت من الأوقات، فاليهود هم رأس الحربة

(١) من كتاب مقارنة الأديان المسيحية ٢ للدكتور أحمد شبلي ص١١٤.

في محاربة الأنبياء! ومَنْ قَتَلَهم اليهودُ مِنَ الأنبياء أكثر بكثير ممن قتلهم الوثنيون مجتمعين من الأنبياء، وليس لليهود صورة معينة في حرب الأنبياء وأتباعهم!

**فكيف إذا كان عدوهم انشق عنهم كما يقولون هم عن عيسى - عليه الصلاة والسلام -؟!**

فاليهود يعتقدون أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - انشق عنهم، ولذلك استحق أن يصلب لأنه غيّر دينه!

**وبولس قد جرب الحربين مع المسيحيين،** فالحرب الأولى هي حرب الإبادة من خارجهم أو حرب إبادة الأشخاص وإخفائهم، والحرب الثانية إبادة المبدأ نفسه وإخفائه! وكان نجاحه في الحرب الثانية أوسع مدى وأبقى أثراً على مدى الأزمان.

ومن عرف أن التثليث - خاصة - لم يكن شيئاً جديداً اكتشفه «بولس»، علم من أين سرقه

«بولس»، وكيف نجح في تطبيقه كدين مسيحي.

**فالتثليث كان دين البابليين الذين عاشوا قبل الميلاد بأربعة آلاف عام، فقد قسموا الآلهة ثلاثاً،** فجعلوا المجموعة الأولى ثلاثة أيضاً، وهي إله السماء، وإله الأرض، وإله البحر، وكانت المجموعة الثانية ثلاثة، وهي إله القمر، وإله الشمس، وإله العدالة والتشريع[١].

**وكان التثليث هو عبادة الهنود** قبل المسيح بألف عام، وجعلوا آلهتهم الثلاثة هي «براهما» و«فشنو» و«سيفا»، وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد، أو كانوا يعدون «براهما» إلهاً واحداً له ثلاثة أقانيم، فهو براهما من حيث هو موجود، وهو «فشنو» من حيث هو حافظ، وهو «سيفا» من حيث هو مهلك.

ويقول «wells»: **أقام بطليموس الأول معبداً**

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية ٢- تأليف د. أحمد شلبي صفحة ١٣٦- نقلًا من كتاب «تاريخ الفلسفة» صفحة ٦- للدكتور. إبراهيم مدكور.

عظيماً هو معبد السيرابيوم كان يعبد فيه نوعاً ما من ثالوث الأرباب، مكوناً من أوزيريس وإيزيس وحورس، ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاث لإله واحد»[١].

إن العقل يقول: لو أن المسيح بُعث لإبطال عقيدة معينة لكان مجيئه لإبطال عقيدة التثليث التي عمت الأرض وسبقته!

إن العقل يقول: لا يليق بعيسى - عليه الصلاة والسلام - إطلاقاً أن يحارب هذه الآلهة ويحذفها ثم يجعل نفسه مكانها وبنفس طريقتها، هل جاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - ليخرج الناس من التثليث ويدخلهم في التثليث... لا فارق عن الأول إلا تغيير الأسماء؟!

أيها الأستاذ المتخصص في الدراسات الإنجيلية: إن نقل المسيحية قضية التثليث من

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شبلي ص١٣٣ عن الدكتور إبراهيم بن كدر: تاريخ الفلسفة ص٦٥ .

الديانات الوثنية كان نقلًا غبياً لأنه يكاد يكون نقلًا حرفياً . . . وسوف أقرأ عليكم مقارنة دقيقة عملها روبرتسون .

يقول روبرتسون(١) : (Ropertson: Pagan and Christ P. 338) ميثراس، هذه الديانة فارسية الأصل، وقد ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون، ثم نزحت إلى روما حوالي عام ٧٠م، وانتشرت في بلاد الرومان، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت إلى بريطانيا، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك، ومدينة شستر وغيرها من مدن إنجلترا، وتذكر هذه الديانة أن :

* ميثراس كان وسيطاً بين اللّه والناس .

* كان مولد ميثراس في كهف أو زاوية من الأرض .

---

(١) ربرتسون : المسيحية والوثنية (ص٣٣٨) منقول من كتاب (مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية) .

* وكان مولده في الخامس والعشرين من ديسمبر.

* كان له اثنا عشر حوارياً.

* مات ليخلص البشر من خطاياهم.

* دفن ولكنه عاد للحياة بقيامته من قبره.

* صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون.

* كان يُدعى: «مخلصاً ومنقذاً».

* ومن أوصافه أنه كان الحمل الوديع.

* وفي ذكراه كل عام يقام العشاء الرباني.

* ومن شعائره التعميد. Baptism.

* واعتبار يوم الأحد يوم عبادة.

ويقول روبرتسون: إن ديانة ميثراس لم تنته في روما إلا من بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية على هذا النحو الموضح في الجدول:

| الديانة الميثراسية : «ميثراس» | الديانة المسيحية : «عيسى عليه الصلاة والسلام» |
|---|---|
| ميثراس وسيط بين اللّه والناس . | المسيح وسيط بين اللّه والناس : «وليس يأخذ غيره الخلاص لأن ليس هناك اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس ربه ينبغي أن نخلص «(أعمال الرسل ٤ : ١٢) . |
| مولده في كهف | ولد في مذود البقر : «فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود» (إنجيل لوقا ٢ : ٧) . |
| مولده في يوم ٢٥ديسمبر . | يحتفل الغربيون بمولد المسيح في يوم ٢٥ ديسمبر . |
| كان له اثنا عشر حوارياً . | كان له اثنا عشر حوارياً : «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوا ويشفوا كل مرض وكل ضعيف» (إنجيل متى تشكيل ١٠ : ١) . |

| | |
|---|---|
| مات ليخلص العالم. | مات ليخلص العالم، هكذا كانت تعاليم بولس: «إن المسيح؟ مات من أجل خطايانا حسب الكتب» (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣). |
| دفن لكنه عاد للحياة | دفن وقام في اليوم السادس، هكذا كانت تعاليم بولس: «أنه دفن، وأنه قام في اليوم السادس حسب الكتب» (١ : كو ٤ : ١٥). |
| صعد إلى السماء أمام تلاميذه. | صعد إلى السماء أمام تلاميذه: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم» (أعمال الرسل ٩ : ١). |
| كان يدعى مخلصاً ومنقذاً. | أطلق عليه بولس لقب المخلص والمنقذ: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد اللّه العظيم ومخلصاً يسوع المسيح» (تيطس ١٣ : ٢). |

| | |
|---|---|
| ومن أوصافه أنه حَمَلُ اللَّه الوديع. | تنقل هذه الأناجيل عن يوحنا المعمدان وصفه المسيح بحمل اللَّه الوديع!: «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلًا إليه فقال: هو ذا حَمَلُ اللَّه الذي يرفع خطيئة العالم» (إنجيل يوحنا ٢٩ : ١). |
| رسم العشاء الرباني | رسم بولس العشاء الرباني قائلًا: «... أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري» (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٥). |
| رسم المعمودية | رسم المعمودية / بدأت بداية صحيحة: «وأمر بطرس أن يعتقدوا باسم الرب «(أعمال الرسل ١٠ : ٤٨). وانتهت بالتثليث: «وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩). |

| | |
|---|---|
| تقديس يوم الأحد. | «وبعد السبت عند الفجر أول الأسبوع» (تشكيل ٢٨: ١) مع أن الوصية الرابعة تقرر تقديس يوم السبت إذ تقول: «اذكر يوم السبت لتقدسه...» (خروج ٢٠: ٨-١١). |

**فبم يحكم العقل بعد هذه المقابلة..؟**

أيمكن أن يقول: إن هذه هي ديانة عيسى - عليه الصلاة والسلام - التي بعثه اللَّه بها؟

ألا يدعو هذا كل سامع إلى إنقاذ نفسه أولًا من هذا الشرك الذي مصيره الخلود في عذاب اللَّه..؟

ألا يدعو هذا إلى انتفاضة حقيقية تعيد الصفاء والتوحيد الحقيقي لديانة عيسى - عليه الصلاة والسلام -..؟!

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «بوب»**: إذا كان ما تقوله صحيحاً فلم لم يرجع المسيحيون إلى دين

عيسى بعد ذهاب بولس؟

**أبو حامد:** أريد أن أذكرك بأن الحقائق التاريخية لا تقبل الاجتهاد كما لا تقبل التشكيك، فإذا نقلت لك هذه الحقائق التاريخية فأنت أول مَنْ يعرف صحتها ويعرف مصدرها وبإمكانك أن ترجع لها بأسرع وقت.

هذا أمر وأمر آخر وهو أنك تذكر جيداً أن محاولة بولس تغيير المسيحية مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى كانت بالظلم والقتل والتهجير والحبس وما إلى ذلك، فلم يفلح، والمرحلة الثانية هو الدخول في المسيحية وتغييرها من داخلها وقد كانت هذه هي قاصمة ظهر المسيحية، فلو أن بولس مات بعد مرحلة الظلم للمسيحيين لكانت موتته يومَ عيدٍ ولشَهد ما بعده عودة عارمة لدين عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ولكنه ما مات إلا بعدما غيّر كل ما استطاع تغييره، وأخلف الآلاف من أمثاله وفي مختلف بلاد الدنيا، ثم إنه

عاش طويلًا حتى لم يعد أحد من جيل الدين الصحيح قد بقي، كما أنه أثبت تغييراته بكتب مكتوبة، ولم يبقها نصائح شفوية تزول بزواله أو زوال مَنْ يحفظها حتى أصبحت رسائله هي العمدة في المراجع المسيحية وعلى أساسها يفهم الإنجيل المحرف نفسه، ثم إنَّ مَنْ تولىٰ حكم البلاد المسيحية بعد بولس فترة طويلة من الزمن كانوا جميعاً يتبعون بولس ويأخذون الناس على تطبيق تعاليمه شاؤوا أم أبوا، وكلهم حكام دينيون.

وأخيراً: لقد كان القضاء الفعلي والأخير على المعتقد المسيحي أن يعود إلى تعاليم عيسى على يد قسطنطين.

**ويبقى أن نتساءل: لماذا تمكن شاؤول مِن «تغيير الإنجيل» وتخريب دين المسيحية، والقضاء على دعاة التوحيد، ولا يوجد واحد منا كبولس في الهمة، فيحيي هذه الملة ويعيدها إلى التوحيد الذي جاء به عيسى - عليه الصلاة والسلام - ..؟!**

**أستاذ الدراسات الإنجيلية «بوب»**: الحقيقة أن الذي نخشاه هو أنكم أنتم المسلمون - وبكل صراحة - تريدون أن تنتقموا من آخرين بنا، فتجعلونا نحن دائرة الصراع، فبعدما كنا طوال القرون ضحية لغيركم نصبح الآن ضحيةً لكم..!

**أبو حامد**: هذا الذي تقوله مُهِمٌّ في غاية الأهمية، ذلك لأن فيه إقراراً بالحقيقة الكبرى؛ وهو أنكم كنتم ضحية ولا تزالون! وأنكم تعرفون الحق جيداً وتودون اتباعه لولا خشيتكم من ظنكم أنه سيكون سبباً لتبعيتكم لنا - وليس الأمر كما تظنون، وأنا أخبرك بأنني لست هنا ممثلًا لنظام سياسي إسلامي، وأنا واثقٌ تمامَ الثقة بأنكم تعرفون جيداً المحب من العدو - نحن أو غيرنا - إننا محبون الخير لكم صادقون في محبتنا، محبون لعيسى ابن مريم، مُخْلِصون غاية الإخلاص.

**أستاذ الدراسات الإنجيلية**: ثمة قضية في غاية

الأهمية فنحن نريد أن نعرف الفارق لديكم بيننا وبين غيرنا... فالذي يظهر لأكثرنا هو أنكم أنتم وغيركم من أصحاب الديانات بسواء... فما الفرق؟!

**أبو حامد: يا قوم أفيقوا... أعيدوا للعقل مكانته، والتزموا بحكم العقل الذي ارتضيناه حكماً.. أين نحن المحبّون لكم من اليهود المبغضين لنا ولكم..؟!**

فهؤلاء يكفرون بعيسى - عليه الصلاة والسلام -، والمسلمون يؤمنون به، فهل يستوي من يكفر مع من يؤمن..؟!

هؤلاء يلعنون عيسى - عليه الصلاة والسلام -، والمسلمون يحبون عيسى - عليه الصلاة والسلام - ويُصلّون عليه... فهل يستوي اللاعن والمصلي المحب..؟

فهؤلاء يتفاخرون بأنهم صلبوا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وفعلوا به ما فعلوا عند

الصلب-كما يدعونه، والمسلمون ينفون عنه الصلب أو أي مساس بعيسى... فهل يستوي المتهم الناقم مع المدافع..؟!

هؤلاء يتهمون مريم عليها السلام بالفاحشة، والمسلمون يقولون إنها من أطهر نساء العالمين... وعندنا -نحن المسلمين- أن من يتهم مريم من المسلمين بذلك يخرج من الإسلام بالكليَّة.

هؤلاء يريدون النصارى خُدَّاماً لأهدافهم، فيركبونهم ليوصلوهم إليها فإذا وصلوا تركوها كما يقولون.... «الأميون خُلِقوا حميراً لنا، فكلما نَفَقَ حمارٌ ركبنا غيره».

جاء في سفر اللاويين - الإصحاح ٢٥: ٤٤-٤٦: «وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك، فمن الشعوب الذين حولك منهم تَقْتَنُون عبيداً وإماءً، وأيضاً من المستوطنين النازلين عندكم... تستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك

تستعبدونهم إلى الدهر.. وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف».

ونحن نقول كما يقول القرآن في سورة المائدة آية٨٢: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

والمسلمون يريدون إخراجكم من الشرك بالله إلى التوحيد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن استعباد عقولكم إلى تحريرها واليهود يؤكدون هذه الضلالات عليكم تأكيداً.

حتى فيما نخالفكم فيه فإننا نخصكم بمعاملة من دون الناس إذ نسميكم أهل الكتاب وشتان بين أهل الكتاب، وبين غيرهم من الأمم، ونخصكم من بين أهل الكتاب بمودة خاصة كما في الآية التي مرت معنا في سورة المائدة في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ

وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ **فليست التسمية بأهل الكتاب شعاراً فارغاً بل لها أحكامها ولها كرامتها** إذ إننا وإياكم واليهود نستوي في هذا الاسم، وما أكثرَ ما خصَّكم القرآن بهذا الوصف في الخطاب فقال في سورة آل عمران: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

خوف ذهاب القيادة

القس الأكبر ريتشارد: هل تريد أن نتبعكم لنترك مقام القيادة بين الأمم كما نحن عليه اليوم وننزل إلى مستوى أمتكم أمة المسلمين..؟!

أي تحكيم للعقل هذا الذي تريد أن نلتزم بحكمه..؟

**أبو حامد**: أنا أعلم يقيناً أن هذا المانع الذي تفضل بذكره ريتشارد مانع حقيقي حال بين العقل وبين الكثير من الناس، وقد ذكره القرآن الكريم من قبل فقال اللَّه لرسوله محمد - عليه الصلاة والسلام - ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فمنكم من يعرف الحقَّ والنبيَّ ﷺ كما يعرف الأبُ ولدَه، لكنه لا يتبعه حتى قال اللَّه تعالى في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولكن الخوف من ذهاب مصالح معينة هو الذي يمنع الكثيرين من اتباع قناعاتهم العقلية الموافقة للحق، وهذه مصيبة حين تصبح خشية ذهاب بعض المكاسب المتحققة له بالبقاء على

دينه، أو خشية وقوع بعض الأضرار والمضايقات ونحو ذلك مانعة لمن ائتمنه الناس على عقائدهم، ولا أحسب أن أحداً من الحاضرين يشك في دقة كلامي هذا. . . لقد سألني أحد الأخوة الأثرياء عن بنك تملكه أسرته الكبيرة الثرية، وكان الشركاء هم والده وأعمامه وقلة من الشركاء الآخرين، وكان همُّ الأخ هو كيف يتخلص من نصيب والده من هذا البنك الربوي. . . وكان نصيب والده ٤٠٪ من أسهم البنك ومثلها لأعمامه والباقي للناس، لقد جاء الأخ وكان على استعداد لدفع ثمن هذا القرار ولو كان بأخذ حقه كاملًا من البنك والتخلص منه بالطرق المشروعة التي أشير بها عليه. . . ! فأشرت عليه أن يسعى في تحويل البنك من بنك يتعامل بالربا إلى بنك لا يتعامل بالربا، أو بالمصطلح المعروف «بنك إسلامي». . . فانشرح صدره لذلك. . . لكنه اصطدم في ما يبدو باستمساك الشركاء الآخرين مجتمعين. . . فجاءني

ثانية وثالثة يحمل هموم الدنيا على رأسه، يخاف أن يموت ويحاسبه اللّه على الربا، وعقوبة الربا في دين اللّه كبيرة. . . فقلت له: حاول إقناعهم فقال: إقناعهم مستحيل!!

فلاقيته بالأمس - أي قبل كتابة هذه الأحرف بنحو من ثلاثين ساعة - وقلت له: قل لهم: إنهم إن حوّلوا بنكهم إلى بنك إسلامي فلن يخسروا درهماً واحداً، ولا عميلًا واحداً بينما سيضاف لهم زبائن كثيرون، ورؤوس أموال ضخمة جديدة بحكم أنه سيلبي خدمات جديدة لزبائن جدد بالإضافة إلى زبائنه الأُوَل. . . فأعجبته الفكرة أيما إعجاب وأنا بانتظار لقائه بهم، وردهم عليه. . !

وبناءً على هذا المنطق فأنا أقول لكل سامع بشكل شخصي: خذ الموضوع بجدية الإنقاذ . . . فكِّر بإنقاذ نفسك بشكل منفرد، ثم فكّر كيف تنقذ الآخرين، فإن أبت الجماعة واقتنعت بأن تكمل مسيرتها نحو الهاوية فالعقل يقول: انجُ برأس مالك. . . ورأس مالك الكبير هي نفسك. . .

حتى لو كلّفك ذلك ما كلفك.

**أما قول القس الأكبر بأن معنى الدخول** في الإسلام هو تحولكم من المقدمة إلى المؤخرة، فأنا أقول للقس الكبير مع الاعتذار: وهل ترى النهضة الأوروبية الحديثة ابتدأت إلا لما ابتدأت الثورات على كنيستكم؟ فما دخلكم أنتم يا أصحاب الكنائس والنهضة العلمية..؟!

ثم إن هذه النهضة العلمية ما حدثت إلا بعد الرضاعة الغربية من النهضة العلمية الإسلامية وبهذا شهد أعظمُ مُفكِّريكُم وأكثرهم إنصافاً.

شهادات مقبولة

يقول الدكتور «لوبون»: الغرب وليد الشرق، ولا يزال مفتاح ماضي الحوادث في الشرق، فعلى العلماء أن يبحثوا عن هذا المفتاح فيه[١].

---

(١) من كتاب نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب. صفحة ٨٦ . . . نقلاً عن كتاب حضارة العرب: صفحة ٤٠ .

ويقول أيضاً: «كلما أمعنَّا النظر في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة. . . . ولسرعان ما رأينا أن العرب هم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موارداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوروبا: مادةً وعقلاً وأخلاقاً»[1].

فمنذ ثلاثة عشر قرناً، في أوقات الحرب أو السِّلم، كان التاريخ الإسلامي يمتزج بتاريخنا، وحضارتنا نشأت على الأساس نفسه، وإن كان الذي أضفناه - يقصد الطابع المادي - قد خلق هذا الاختلاف العميق، فإن المقارنة ستساعدنا على فهمٍ أحسن لأنفسنا وللآخرين، ولهذه الأسباب يبدو ضرورياً أن يتبوَّأ تاريخ العالم

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٨٧- . . . عن نفس المصدر صفحة ٣٨ .

الإسلامي مكاناً مرموقاً في ثقافتنا. . . . ولا بد أن تعرف أنه قبل أن يكون القديس توماس كان هناك ابن سينا، وأن مساجد دمشق وقرطبة وجدت قبل كاتدرائيات فرنسا وألمانيا، وضروري أن ننسى الاحتقار الذي قابلْنا به الشعوب الإسلامية المعاصرة[١].

يقول مارسيل بوازار: والمؤلفون الذين لا ينسبون إلى المسيحية معظم التنظيمات الوضعية للخلق الدولي يرجعون في بحوثهم أولّا إلى الحضارات القديمة ولا سيما الحضارة الإغريقية، ليقفزوا بعد ذلك من غير تدرج إلى الأزمنة الحديثة، مُسلِّمين بأن ظلام العصور الوسطى المزعوم كان يلف العالم بأكمله. . . . ومع ذلك فإن الموضوعية التاريخية، بل مجرد العدل، يدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السبعة التي تتألف منها

---

(١) نفس المصدر السابق صفحة ١٢٨ .

القرون الوسطى كانت الحضارة الإسلامية[1].

فكيف فهمت أيها القس الأكبر أن اعتناق الإسلام يعني تخلِّيكم عن العلم، وتخلِّيكم عن المقدمة!

هل ترى أن أحداً سيقول لكم - يومها - اخرجوا من بلادكم واسكنوا بلادنا..؟!

أم سيقول لكم غيِّروا بشرتكم إلى بشرتنا..؟!

أم سيقول غيروا أزياء لباسكم والبسوا كذا وكذا لتدخلوا الإسلام..؟!

أم سيقول لكم غيِّروا لغتكم؟ أم سيقول لكم اجعلوا قيادتكم في الشرق..؟

ألا ترون نسبة الداخلين في الإسلام في أوروبا وأمريكا والعالم؟... فهل رأيتم هؤلاء يهاجرون من بلادهم إلى مكة والمدينة أو إلى الشرق...؟!

---

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٢١٠- نقلاً عن كتاب إنسانية الإسلام صفحة ١١، ١٢.

أم رأيتموهـم افتقروا بعد أن كانوا أغنياء؟ أم رأيتموهم تركوا وظائفهم وتخلوا عن أموالهم!؟

أم رأيتموهم تخلوا عن وطنيتهم وجوازات بلادهم..؟ أم رأيتموهم تركوا الدراسة والعلوم ولعنوا العلم؟

نعم إن كان ثمة تغيير ففي أخلاقهم وعبادتهم... أنا لا أشك أنك تعرف الكثيرين ممن دخلوا الإسلام... سلهم بنفسك، أو اسأل من يعرفهم، واجعل دراستك لهم كَعَيِّنَة على المنطقة وعلى الدولة وعلى المجتمع بأكمله.

**إن الحقيقة التي سوف تكسبونها يوم تتبعون حكم عقولكم في هذه القضية هي أن تكسبوا توافق قلوبكم وعقولكم، وتجمعوا بين القيادتين: قيادة الدين وقيادة الدنيا، أو قيادة الدنيا وقيادة الآخرة.**

إن الأتراك لم يكونوا عرباً يوماً من الأيام، ولم يكونوا يُذْكَرون بعزٍّ، ولا علم، ولا قوة قبل

الإسلام. . . فلما دخلوا الإسلام فتحوا أوروبا نفسها، بل خضع لهم العالم العربي نفسه.

إن الثمرة العظيمة التي نتمناها لكم هو أن تتذوقوا السعادة العظمى في حياتكم الطويلة هذه، وسوف يقول كل واحدٍ منكم أيها الأساتذة: «لقد ولدتُ من جديد» الأمنية التي نتمناها لكم هي: إيقاف هذه الجموع السائرة إلى العذاب كل يوم، إلى مقابركم. . ! وتحويل خط سيرها إلى الجنة مع السعادة في الدنيا.

إن أعظم أعدائك هو من يَحُولُ بينك وبين النجاة، فهل يجامل أحدٌ أحداً على هلاك نفسه؟!

هب أنه كان ثمة خسائر بالعودة إلى خط التوحيد الذي جاء به عيسى - عليه الصلاة والسلام -. . . لكن أي خسارة تساوي خسارة النفس مضاعفاً في عيش الخلود؟

سوف تصبح التكاليف التي تبذلها ثمناً للهداية دليلًا على عظمة الغاية، وتصبح تلك العوائق

علامة على أن طريقك هو طريق الأنبياء، فمهما واجهتَ فإن ما واجهه الأنبياء أشد من هذا وأعظم.

والسؤال الذي ينبغي أن تسأله نفسك ولا تجاملها في الإجابة عليه هو:

هل تحب عيسى ابن مريم أم لا..؟!

هل تتبع وصاياه أم لا..؟! تذكَّر ما الذي أوصى به عيسى قومه؟

هل هذه القضية تستحق البذل..؟!

إن الرجل العظيم لا تستهويه إلا المهام العظيمة ومواجهة الجموع في الحق الذي يعتقده، هل تتصور أن نابليون كان يحلم بتطبيق القرآن، فاستمع إلى ما يقول: «**موسى كشف عن وجود اللَّه لشعبه، المسيح للعالم، للدولة الرومانية، محمد للعالم القديم «القارة القديمة»**.

جزيرة العرب كانت وثنية، ستة قرون بعد

المسيح، عندما قدم محمد دعى إلى عبادة رب إبراهيم وإسماعيل وموسى والمسيح، الآريون بالإضافة إلى طوائف أخرى أربكت وأزعجت هدوء الشرق بإثارة السؤال عن طبيعة الأب والابن والروح القدس.

محمد أعلن أنه لا يوجد شيء إلا اللَّه الذي ليس له أب ولا ابن وأن فكره أو الاعتقاد بالتثليث هي مستقدمة من الوثنية.

أرجو أن لا يكون بعيداً الوقت الذي يتحد فيه الحكماء والمثقفين من كل الدول لتأسيس نظام موحد يعتمد على مبادئ القرآن الوحيدة الصحيحة والوحيدة القادرة على تحقيق السعادة للبشر».

أرجوكم أيها القساوسة الكبار لا تحولوا بين الناس وبين الحقيقة... لا تحولوا بين الناس وبين عقولهم... قولوا الحقيقة كما هي، فإن الناس بدأوا يتركونكم... أما ترون كيف انزويتم في مجتمعكم وعُزلتم عن حياة الناس... لقد

أدرك العظماء الحقيقة وسوف يلحقهم العامة. . .
فاسبقوا الجميع إلى الحق يقول توني بلير بعد ما ترك رئاسة الوزارة في بريطانيا وما أحسن ما قال:
إن أكثر ما يلفت الانتباه (الإعجاب) في القرآن بالنسبة لي، هو مدى تقدميته إنني أكتب بكل تواضع كإنسان من ملة أخرى (من الخارج) لقد هزني القرآن ككتاب مؤسسي، محاولًا إعادة اليهود، والمسيحية إلى أصولها.

القرآن كتاب شامل، تطرق إلى العلوم والمعارف ونفى الخزعبلات.

إنه كتاب عمل ونظر إلى أبعد من عصره، في العلاقات (التوجهات) فيما يتعلق بالزواج، والمرأة، والدولة.

لقد انتشر الإسلام تحت تعليمات القرآن وهيمن على المسيحية بطريق تأخذ بالأنفاس.
وعلى مدى عقود مضت أوجد الإسلام إمبراطورية، وقاد العالم في مجال الاستكشاف

والفنون والحضارة، وقد تجلت مفاهيم الإسلام هذه في بلاد المسلمين أكثر من بلاد المسيحية في القرون الوسطى.

وسترى كيف سيعظم هؤلاء العظماء وغيرهم باتباعهم الحق بعد اعترافهم به، في الدنيا والآخرة فما الاعتراف إلا الخطوة الأولى[1].

أبو حامد: هل لمن عرف الحق ولم يتبعه حجة؟

أليس انتحاراً إذا عرف سائق المركبة على جبل أن هذه الانحناءة تسقطه في الوادي ثم سلكها وسقط.

عارٌ على من عرف الحق ثم حاربه أو أعرض عنه ولم يتبعه، ومع هذا سوف أذكر لك هذه القصة الكبيرة المعبرة التي وللأسف يتمثل بها الكثير منكم أذكرها لكم فعن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول اللَّه ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه

(١) http://www.foreignaffairs.com/articles/62271/tonyblair/a-battle-for-global-values.

إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول اللَّه ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لَمَّا كشف اللَّه عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لما أبلاه اللَّه، فلما جاء قيصرَ كتابُ رسول اللَّه ﷺ قال حين قرأه: التمسوا لي ها هنا أحداً من قومه لأسألهم عن رسول اللَّه - عليه السلام والسلام -.

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً في المدة التي كانت بين رسول اللَّه ﷺ وبين كفار قريش، قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج؛ وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي وليس في الركب يومئذ أحد من بني

عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه، قال أبو سفيان: واللَّه لولا الحياء يومئذ من أن يؤثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه ولكني استحييت أن يؤثروا الكذب عني فصدقته، ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا. فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر - قال أبو سفيان: ولم يمكني كلمة أن أدخل فيها

شيئاً أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عني غيرها - قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم. قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت: كانت دولًا وسجالًا يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، قال: فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد اللَّه وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إني سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله قلت رجل يأتم بقولٍ قد قيل قبله. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم ليدع الكذب على الناس ويكذب على اللَّه. وسألتك هل كان من آبائه من ملك فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت يطلب

ملك آبائه. وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت إن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا؛ فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا وكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمت أن قد فعل؛ وأن حربكم وحربه تكون دولا ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة. وسألتك بماذا يأمركم، فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة النبي قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجمشت

لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - فقرئ فإذا فيه «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من محمد عبد اللَّه ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك اللَّه أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين من حوله من عظماء الروم، وكثر لغطهم، فلا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا، فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه، قال أبو سفيان: واللَّه ما زلت ذليلًا مستيقناً بأن أمره سيظهر حتى أدخل اللَّه

قلبي الإسلام وأنا كاره»[١].

لقد كانت القناعة العقلية هنا كاملة، وكانت كافية لتحوله إلى الحق ولكن خوفه لأن يكون من تكاليف اتباع الحق ذهاب ملكه أحجم فمات على كفره وضلاله... ومات ليس على غير دين محمد فحسب وإنما على غير دين عيسى ودين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

القس الأكبر ريتشارد: لقد عرضت علينا قصة النجاشي من قبل وكأنك تريدنا أن نقتدي به، ولم تنظر إلى الكثيرين الذين عرض عليهم الإسلام ولم يسلموا.

الحل الوسط بيننا وبينكم

القس الأكبر ريتشارد: أنا أريد أن أسألك سؤالًا وأرجو أن يكون السؤال الأخير:

**ألا يوجد حل وسط في هذه المسألة؟ نحن نتنازل خطوة وأنتم تتنازلون خطوة، ونلتقي في وسط الطريق..؟!**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٧٤) رقم (٢٧٨٢).

أبو حامد: نعم ثمة حل وسط وذلك بأن نتفق على أن نأخذ بالمتفق عليه، ونترك المختلف فيه، حتى يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى رأي نتفق فيه على حل كل ما اختلفنا فيه.... فما رأيكم لو أخذنا بالمتفق عليه -الآن- وتركنا المختلف فيه.

القس الأكبر: وهل هذا ممكن عند التطبيق الفعلي؟

أبو حامد: فمثلًا أنت تقول أنني في العام الماضي صعدت في سباق ارتقاء السلالم مائة درجة، بينما أنا قلت: إنك صعدت سبعين درجة فقط، فقال الثالث: إنك لم تشارك في السباق أصلًا!

فكيف يكون الحل؟ وكيف تعمل هنا بالمتفق عليه!! فأنا وإياك متفقان على أنك شاركت في السباق هذا أولاً، أما ثانياً فإن مَنْ حفظ يكون حجة على مَنْ لم يحفظ، ولذا يلزمنا إسقاط الرأي الثالث، وأنا وإياك متفقان على أنك بلغت

السبعين درجة، أما المائة فليست محل اتفاق. . . فلم لا نأخذ - الآن - بالمتفق عليه وهو «السبعين»، ونؤجل النظر فيما اختلفنا عليه وهو بلوغك المائة حتى نتمكن في فترة ما من إقرارها أو إلغائها. . . أليست هذهِ هي الحكمة التي ينبغي أن لا نختلف عليها.

أستاذ فيفا: نعم إنها خطوة مهمة على الطريق الصحيح، وأنا لأول مرة أشعر أن بإمكاننا أن نتفق منهجياً وليس مجاملة.

وأنا مقتنع تماماً بوجود نقاط اتفاق عظيمة، إذ كلانا أصحاب دين سماوي، وبإمكاننا أن نتفق على أكثر من نقطة رئيسية، ونسير مُتحدين على خط واحد أو خطوط متوازية.

أبو حامد: فما رأي الإخوة الآخرين؟

الجميع: نعم فلنبتدئ على بركة الإله.

أبو حامد: نحن وإياكم نتفق على أن مريم صديقة طاهرة مُبَرَّأة من الفاحشة والسفاح،

ويختلف معنا اليهود فيقولون: إن عيسى - عليه الصلاة والسلام - جاء من سفاح!!

فلنأخذ -إذاً- بالمتفق عليه وهي كون أمه الطاهرة امرأة من سيدات نساء العالمين، ولنُلْقِ وراء ظهورنا قَوْلَ مَنِ اتَّهمها من اليهود بالفاحشة... حاشاها.

نحن جميعاً نتفق على معرفة بداية عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهي النفخة... لكننا نختلف فيما قبل النفخة إن كان موجوداً، أو كان إلهاً، أو أي شيء آخر... فلنأخذ إذاً بما اتفقنا عليه نحن وإياكم، وهو أن بداية المسيح كانت نفخة.

نحن جميعاً نتفق على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - رسول أرسله اللَّه سبحانه... لكننا نختلف إن كان هذا الرسول تحول بعد ذلك إلى إله... فلنأخذ بالمتفق عليه بيننا، وندع قول اليهود في ذمِّهِ واتهامه.

نحن جميعاً نتفق على أن من معاني كلمة

«الأب»: المربي، لكننا نختلف في كون نسبة الأبوّة للَّه في الإنجيل تعني أبوة التناسل، وخصوصاً وأن نفس الكلمة وردت في التوراة والزبور والقرآن عن اللَّه بمعنى المربي فحسب، فلنأخذ بالمتفق عليه ونترك المعنى الآخر المختلف عليه.

**نحن جميعاً نتفق** على أن أساس اليهودية والمسيحية والإسلام هو التوحيد ومحاربة الشرك والوثنية، وأن تأليه عيسى - عليه الصلاة والسلام - ومريم وروح القدس أمر مختلف فيه... **فالعقل** يقضي بأن نأخذ بما اتفقنا عليه وهو التوحيد ونترك المختلف فيه وهو الوثنية والإشراك باللَّه.

**نحن وإياكم تتفق على أن عيسى** - عليه الصلاة والسلام - جاء من نفخة كريمة طاهرة.... ونختلف إن كانت تلك النفخة حوَّلت عيسى - عليه الصلاة والسلام - من بشر

«ابن إنسان» إلى إله. . . . فلنأخذ بالمتفق عليه وهو أنه إنسان جاء من نفخة كريمة طاهرة، ونترك المختلف فيه وهو أنه تحول إلى إله. . . حتى نقطع معاً في قضية ألوهيته.

نحن وإياكم متفقون على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - ظهر في صورة بشر، ومتفقون أن أمه حملت به حَمْلَ بشرٍ، وولدته كما تلد نساء البشر، وأرضعته كما ترضع النساء البشر، وأنه مرّ في مراحل الطفولة، فحبا، وشب، ونام، وقام، وقعد، وجاع، ومشى، وتكلم. . . كل ذلك وغيره فعله كما يفعله كل البشر، وَفَعَله على أنه بشر. . . لكننا مختلفون على أنه فعل ذلك تمثيلًا للبشر، فلنتفق بما يظهر لنا على أنه بشر، ولنترك الآن ما لم يظهر عليه دليل حتى نتفق عليه.

إننا لا نختلف نحن وإياكم واليهود على وجوب التوجه بالعبادة للّه رب العالمين ونختلف

في توجيه العبادة لغير اللَّه. . . . إذاً فلنأخذ بالمتفق عليه وهي عبادة اللَّه وحده دون سواه، ولنتوجه له وحده بالعبادة دون سواه.

وإذا اختلفنا وإياكم على أن جميع الخوارق التي جاء بها عيسى - عليه الصلاة والسلام - دليلًا على ألوهيته. . . فإننا لا نخالفكم إطلاقاً بأن هذه الآيات العظيمة دليل على كرامته عند اللَّه فلنأخذ بهذا المتفق.

إذا اختلفنا وإياكم في الأناجيل الموجودة جميعاً، واتفقنا على أن إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - نفسه غير موجود، واتفقنا على أن القرآن غير محرف فلنأخذ إذاً بالقرآن.

إذا اختلفنا وإياكم في رفع المسيح فقلتم: إن اللَّه رَفَعه كإله، وقلنا بل رفعه تكريماً له، بل قال آخرون أنه صلب مذموماً مهاناً، فلنأخذ بحكم التكريم وهو أنه رفع تكريماً، ولم يرفع بعد صلبٍ وبصقٍ، وضربٍ وسبٍّ، وإهانة، وموت، ودفن!

إذا اتفقنا وإياكم على أن جبريل - عليه السلام - رسول من عند اللّه وهو روح القدس إلى الأنبياء وإلى مريم، واختلفنا إن كان هو حياة اللّه أو هو إله. . . . . بينما شتمه اليهود وعدّوه عدواً، فلنأخذ إذاً بالمتفق عليه وهو أنه رسول اللّه إلى الأنبياء وإلى مريم ولندع المختلف فيه من الطرفين المتناقضين.

إذا اتفقنا وإياكم على أكل الطيبات، واختلفنا على أكل الخنزير وشرب الخمر. . . فلم لا نأخذ بأكل الطيبات وشرب الطيبات، ونترك أكل الخنزير، وشرب الخمر، ونأخذ بالختان، إلى الوقت الذي نتفق فيه على هذه المسائل جميعاً، وخصوصاً وأنتم تعلمون أننا واليهود متفقون على هذا، وهو ثابت في الكتب السماوية من التوراة والزبور والقرآن. . . فكيف اختلف الإنجيل عنهم وأنتم تعلمون أن هذهِ من تغيرات بولس وليست في إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام -.

الأستاذ رينو: من خلال قراءتي لمعاني القرآن

قرأت الدعوة لجميع أهل الكتاب وقد توقفت عندها كثيراً وقرأتها مراراً. . . لكنني لم أفهمها كما ينبغي، ويبدو أننا نحتاج إلى قراءة القرآن بالفهم الصحيح. . . الحقيقة أنني لأول مرة أفهم هذا التفصيل، وأول مرة أفهم أن ثمة نقاط التقاء كبرى بيننا، فهل هذه من تأليفك يا أبا حامد أم عندكم على هذا آيات من القرآن؟

أبو حامد: بل وردت بذلك آيات من القرآن منها ما ورد في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: ٦٤].

ولعلمك فإن النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - جعل دعوته هذه إلى الالتقاء على الأصول بيننا وبينكم منهجاً ثابتاً، بل طلباً مستمراً عند صباح كل يوم.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية والتي في آل عمران ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢](١).

وأنا أطلب من كل واحد أن يتأمل قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ وليست كلمة: «لنا وحدنا».

فما المقتضى العقلي لكل نقاط الالتقاء التى ذكرناها؟

لا أريد منكم الآن إجابة لكن الذي أخشاه هنا هو أنكم سوف تفكرون، وتفكرون، ثم تفكرون... وسوف تخبو جذور التفكير كعادتكم في كل مرة!

لكن تعالوا أيضاً نعود لنقاط الاتفاق... نحن وإياكم نؤمن بالدار الآخرة، وإن قلَّت تفاصيلها

ماذا ستصنعون يومها

(١) رواه مسلم (١/ ٥٠٢) رقم (٧٢٧).

عندكم، بينما هي مفصلة بدقة عندنا، فلنأخذ بالمتفق عليه، ولنتساءل: إذا دَهم الموتُ واحدًا منكم فجأة وهو على الشرك بالله، فبم سيجيب الله إذا سأله: لم اتخذت معي إلهًا غيري ..؟!

ماذا ستصنع إذا تبرأ عيسى -عليه الصلاة والسلام- من عبادتك، وتبرأت مريم العذراء من عبادتك لها، وتبرأ روح القدس من عبادتك له؟! ماذا إذا ذهبت الدنيا وذهب الغرور، ورأيتم الحق في ساحة الحساب عيانًا، فإذا عيسى -عليه الصلاة والسلام- رسول من المرسلين الذين بعثهم الله على طول عمر هذه الدنيا وليس إلهًا؟ ماذا ستصنعون إذا رأيتم أن الأمر جدٌّ لا هزلَ فيه، وأنه لا رجعة للدنيا لأن الدنيا كلها ذهبت، وأن الحكم هو الخلود الأبدي مع الحياة الأبدية في نار جهنم؟ثم تنظرون فتجدون أن السبب هو تأخير القرار الحاسم لحظة في الدنيا .. وأن فلانًا من الناس نجا لأنه اتخذ هذا القرار، وأنه مهما تحمل فقد جاء التعويض. ما دمت تؤمن بالآخرة فحكم عقلك واجعل ما يصيبك هنا من أضرار مقارنًا بما سيصيبك هناك. إن غايتك الشريفة هذه تستحق كل التضحيات التي تخشى منها .. ألم يدفع لأجلها مَنْ قبلك حياته وروحه بما فيهم عيسى بن مريم كما تزعمون؟ وهل تعتقد أن الله الذي آمنت به سوف يُسلمك لأعدائه، أم أنه سيرفع شأنك

كما رفع شأن المؤمنين به من قبل ومن بعد، حتى قيام الساعة. ألا تكفيك جنة النعيم –كما هي الحقيقة– لا كما هو مُصوَّر في التحريفات إذ هو نعيم الروح والبدن في عيش الخلود أبد الآبدين؟ أنا سوف أذكر كلام القرآن الذي أصبحتم تعلمون يقيناً أنه الوحيد الجامع لكلام الله كما نزل من غير زيادة ولا نقصان .. فتأملوا المشهد، وانظروا لموقف عيسى ابن مريم – عليه الصلاة والسلام – خاصة انظروا للحقيقة القادمة بغير شك ولا ارتياب ..

قرر فأنت واحد من أصحاب هذا المشهد ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا

مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة].

## إغلاق بوابة المجلس الأخير

أيمكن أن يبقى حتى هذه اللحظة – لحظة وداع هذه المجالس – عقل متردد لدرجة أنه لم يتخذ قراره الأخير..؟

نعم، ربما، ولكن ليس من كان في ميزان عقله ذرة واحدة فقط من إنصاف ..!

# الفهرس

## الفهـــــرس

# الفهرس

# الفهرس